عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

الجزء الأول

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلام :

« إنّ اللهَ سائلٌ كُلَّ راعٍ عمّا
استرعاهُ حفِظَ أمْ ضيّعَ »

الطبعـــــــة الأولـى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م
الطبعة الحادية والعشرون ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أبان للعباد منهج التربية القويمة في قرآنه المجيد ، وأوضح للعالمين مبادىء الخير والهدى والإصلاح في أحكام شرعه الحنيف .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله للإنسانية مؤدباً ، وأنزل عليه تشريعاً يحقق للبشرية أسمى آيات عزها ومجدها ، وأعظم غايات سؤددها ومكانتها ، ورفعتها واستقرارها . وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار ، الذين أعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في تربية الأبناء وتكوين الأمم . وعلى من نهج نهجهم ، واقتفى أثرهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد :

١ - فمن فضل هذا الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس ، وتنشئة الأجيال ، وتكوين الأمم ، وبناء الحضارات ، وإرساء قواعد المجد والمدنية .. وما ذاك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى ، إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار . وصدق الله العظيم في محكم تنزيله : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾

(المائدة : ١٦)

٢ – ويكفي شريعة الإسلام فخراً وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها . واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها ، وإليكم – يامن تستهويكم شهادات الغربيين – طائفة من أقوالهم ، وطاقة من أريج مدحهم ، وطيب ثنائهم ؛ لتعرفوا ماذا يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الإسلام الخالدة ، وتعاليمه السامية ؟ :

■ نقل الأستاذ (غوستاف لوبون) عن الأستاذ (ليبري) قوله :
(لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربة الحديثة عدة قرون) .

■ وقال (لين بول) في كتابه (العرب في إسبانيا) : (فكانت أوربة الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم) .

■ وقال (إلياس أبو شبكة) في كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا وأوربا ، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب ..) .

■ وقال (سيديلوت) في كتابه (تاريخ العرب) : (كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربة ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها) .

■ والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الانكليزي المشهورة (برناردشو) ، اسمعوا إلى ما يقوله بالحرف الواحد :

(لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ..) .

فهذه الأقوال ، وأقوال غيرها ، تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان تلو البرهان على ما انطوى عليه نظام الإسلام من قوة دفع حضارية ، ومبادىء تطويرية شاملة ، وتعاليم حيوية خالدة ... والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون وشهد به الأعداء :

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ماشهدت به الأعداء

٣ – وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتصف بالربانية ، وتتسم بالشمول ، وتختص بالتجدد والاستمرار ، فهل مبادئها الشاملة ، ومعطياتها المتجددة .. فكرة مجردة في الأذهان ، ونظريات مدونة في الكتب ، أم هي متحققة في أمة تلمسها الأيدي ، وتراها العيون ؟ .

فلنحل الجواب إلى شهيد الإسلام سيد قطب – رحمه الله – ولنسمع منه مايقوله : (وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه – عليهم رضوان الله – صوراً حية من إيمانه ، تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ من كلّ منهم قرآناً حياً يدبّ على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام ، يراه الناس فيرون الإسلام .

إن النصوص وحدها لاتصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لايعمل حتى يكون رجلا ، وإن المبادىء وحدها لاتعيش إلا أن تكون سلوكاً .

ومن ثمّ جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالا لا أن يلقي مواعظ ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبّج خطباً ، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة ؛ أما الفكرة ذاتها فقد تكفّل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد ﷺ أن يحوّل الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي ، وتراهم العيون ...

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً ، وحوّل إيمانهم بالإسلام عملا ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفاً ، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق ، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب . وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي ، وتقول بالفعل والعمل ماهو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله)[١] .

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم بإحسان ؛ فليستقرىء التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم . وكريم فضائلهم ..

فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجل أو اعظم ، أو أرق أو أعلم ؟!

ويكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركّعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ..** ﴾

(الفتح : ٢٩)

ويقول : ﴿ **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ .

(الذاريات : ١٧ — ١٩)

---

(١) من كتاب (دراسات إسلامية) للشهيد سيد قطب فصل (انتصار محمد بن عبدالله) .

ويقول : ﴿ **والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

(الحشر : ٩)

ويقول : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلا** ﴾ .

(الاحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم .. وكيف لا ، والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم مايحبون لأنفسهم ؟ ولماذا يتباغضون والإسلام يأمرهم بالمحبة والإخاء ، ويحضهم على التعاطف والإيثار؟

وإليكم ماقاله الصحابي الجليل (عبدالله بن مسعود) رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم المكريمة ... (من كان متأسيا فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) .

٤ – وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم ، وتستضيء بنور مكارمهم ، وتنهج في التربية نهجهم ، وتسير في بناء المجد سيرهم ... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الإسلامي حكم الإسلام ، وزالت في الأرض معالم الخلافة الإسلامية .. واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث

وغرضهم الدفين في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة ، ودول متخاصمة متنابزة .. تتقاذفهم الأهواء ، وتجتذبهم المطامع ، وتفرقهم المبادىء . ويتساقون وراء الشهوات والملذات ، ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ... ويسيرون بلا هدف ولا غاية ، ويعيشون من غير ماسعي إلى مجد ولا وحدة ولا كيان ... تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، حتى إن كثيراً من رجالات الإصلاح ، وأرباب الدعوة إلى الله قد اعتراهم اليأس ، واستحوذ عليهم القنوط ، اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وأن لا أمل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع عزتها وكيانها .. بل وجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة ، والتزام أحلاس البيوت ، لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان ، وآن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن[١] حتى يدركه الموت .

وهذا التصور اليائس للإصلاح ناتج عن أسباب ثلاثة :

(أ) ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين .

(ب) وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت .

(ج) وناتج عن الجهل بالغاية التي من أجلها خلق المسلم .

(أ) ويوم يفهم المسلمون أن الإسلام دين القوة ، وأن شعاره في ذلك :
﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ﴾

(الأنفال : ٦٠)

(١) روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ وسلم قال : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » . الحديث محمول على من يفتن بدينه ويجبر على الردة ، أما أنه مادام يوجد مسلمون يؤدون الشعائر ، ويطبقون على أنفسهم أحكام الإسلام ، ومادام أنه ثمة مجال للتعاون ، وتحقيق العز الإسلامي فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء ، لأنه مالا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب ، لهذا وجب على المسلمين اليوم أن يحققوا حكم الله . ويقيموا دولة الإسلام ، وإلا فهم آثمون .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العلم : العلم الشرعي والعلم الكوني على السواء وأن شعاره في ذلك : ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾ .

(طـــه : ١١٤)

ويوم يفهمون أن الاسلام اعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها ، ويستخرج دفائنها ، ويطلع على كل سر فيها ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** ﴾ .

(الأنعام : ١٦٥)

ويوم يفهمون أن الإسلام كرم الإنسان ، وفضله على كثير مما خلق الله : ليضطلع بمسؤولياته ، ويؤدي المهمة الموكل بها ، وأن شعاره في ذلك :﴿ **ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ .

(الإسراء : ٧٠)

ويوم يفهمون أن الإسلام يعتبر الإنسان مسؤولا عن عقله ، ومسؤولا عن حواسه إذا هو قام بدور الإهمال والتعطيل ؛ وان شعاره في ذلك : ﴿ **ولا تقف ماليس لك به علم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾ .

(الإســراء : ٣٦)

ويوم يفهمون أن الاسلام اعتبر هذا الكون كله مسخراً للإنسان ، ليستعمله في خدمة العلم ، وخدمة الإنسانية ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ **وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه ...** ﴾ .

(الجاثية : ١٢)

ويوم يفهمون أن الإسلام دين التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض ...** ﴾ .

(يونس : ١٠٢)

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والنشاط والحيوية ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ .

(الملك : ١٥)

ويوم يفهمون أن الإسلام يحرم اليأس ، وينهى عن القنوط وأن شعاره في ذلك : ﴿ **إنه لا ييأس من روّح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ .

(يوسف : ٨٧)

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العزة والكرامة ، فيجب أن يتوجوا رؤوسهم بها ، ويرفعوا في العالم لواءها ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ .

(المنافقون : ٨)

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ، ويعرف الناس – وعلى رأسهم الدعاة إلى الله – طبيعة هذا الدين ، وحقيقة هذا الإسلام فلا يتملكهم يأس ، ولايدبّ في نفوسهم قنوط .. بل ينطلقون في مضمار الدعوة والإصلاح والبناء .. ليعودوا – كما كان سلفهم – أساتذة للدنيا ، وهداة للأمم ، ومنارات متلألئة في ظلمات الحياة .. فتستقي البشرية من علومهم ، وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

(ب) ويوم يتحرر المسلمون – وعلى رأسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله – من حب الدنيا ، والركون إليها ، والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها .. ويجعلون هداية الناس ، وإصلاح المجتمع ، والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض .. أكبر همهم ، ومبلغ علمهم ، وغاية الغايات ، ومنطلق العزائم والنيات .

ويوم يتحررون من الجبن ، والخوف ، وكراهية الموت ، ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله ، وأن الذي يضر وينفع هو الله ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم ، وإن اجتمعوا على أن يضروهم بشيء ، لن يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم .

يوم يوقن المسلمون بهذا ، ويتحررون من أسباب الضعف والوهن ، فعندئذ ينطلقون في ميادين الدعوة إلى الله ، وفي مجالات التربية والتوجيه والإصلاح .. غير هيّابين ولا وجلين ، مبلغين رسالات ربهم لايخشون أحداً إلا الله . بل واثقين كل الثقة أن الله سبحانه سينصرهم ، ويمكن لهم في الأرض ، ويبدلهم من بعد خوف أمناً ، ومن بعد ذلة عزاً ، ومن بعد تفرق وحدة . وما ذلك على الله بعزيز ، إن هم صحّحوا النيات ، وعقدوا الهمة والعزيمة ، وتحرروا من اليأس والخوف وحب الدنيا !!..

* * *

(ج) ويوم يعرف المسلمون أنهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام ، وغاية نبيلة ، هذه الغاية قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال :

﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

(الذاريات : ٥٦)

ولكن ما هي هذه العبودية التي يريدها الله منا ، ويأمرنا بها ، ويحضنا عليها ؟ .

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت ، وصراطه المستقيم .
إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إنها إعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

إنها رفض المبادىء والأفكار التي لا تنبثق من شريعة الإسلام .

هذه هي مهمة المسلم في الأرض ؛ وهذه هي غايته في الحياة ، فحين يعطي المسلم ولاءه لله ورسوله والمؤمنين ، يكون عبداً لله ؛ وحين يحمل الأمانة بنفس مؤمنة وعزيمة صادقة يكون عبداً لله ؛ وحين لايقبل هدياً إلا هديه ، ولاتشريعاً إلا تشريع دينه يكون عبداً لله ؛وحين يستمر في حركية دائمة وجهاد دائب ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام يكون عبداً لله .

وإلا .. فإنه يكون همَلاً من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت ، وعبداً لليأس والجمود والقنوط .. يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثّر بلا دليل .. ﴿ **أو مَن كان ميْتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون** ﴾ .

(الأنعام : ١٢٢)

إذن فليعلم المسلمون طبيعة دينهم .

وليتحرروا من حب الدنيا وكراهية الموت .

وليعرفوا الغاية التي من أجلها خلقوا ، وعلى أساسها وجدوا .

حتى ينهضوا بالإسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الداثر ، وعزتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

٥ - ولكن ما السبيل إلى الإصلاح ؟ وما البداية الصحيحة في تكوين المجتمع الصالح ؟ وما المهمة الملقاة على كاهل الآباء والمربين ، ورجالات التربية والإصلاح في هذا العصر ؟ كل هذه التساؤلات في الحقيقة تدور حول منطلق واحد ، وترمي إلى غاية واحدة .

أما أنها تدور حول منطلق واحد فلأن كل من يهمه أمر الإصلاح ، وكل من يعتني بقضية التربية .. يسعى جهده لتغيير هذا الواقع المرير الذي يتخبط اكثر الناس فيه ، ويبذل كل ما يملك من وسائل وإمكانيات ليرى هذا المجتمع فى المستوى اللائق ، والحياة الهانئة الكريمة .

وأما أنها ترمي إلى غاية واحدة : فلأن كل العاملين في حقل التربية والتوجيه والإصلاح .. يجندون قواهم ، ويشحذون عزائمهم لإقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة القوية في إيمانها . والقوية في أخلاقها ، والقوية في جسمها ، والقوية في علومها ، والقوية في نفسيتها ... لتستطيع أن تصل إلى النصر المؤزر ، والوحدة الشاملة ، والمجد الضخم العريض !! ..

ولكن ما ملاك هذا كله ؟ وما وسائل تطبيقه ، ومراحل تنفيذه ؟

الجواب يكمن في كلمة واحدة ، ألا وهي : كلمة التربية . ولكن لهذه الكلمة مدلولات كثيرة ، ومجالات واسعة ، ومفهومات شاملة !! ..

فمن مدلولاتها ومفهوماتها : تربية الفرد ، وتربية الأسرة ، وتربية المجتمع ، وتربية الإنسانية .. وتحت كل صنف من هذه الأصناف تتفرع أنواع ، وتتدرج أقسام .. وكلها تهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثلى .

وما تربية الأولاد إلا فرع من تربية الفرد الذي يسعى الإسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضوا نافعاً ، وإنسانا صالحاً في الحياة .

بل تربية الولد إن أحسنت ووجهت ما هي في الحقيقة إلا أساس متين في إعداد الفرد الصالح ، وتهيئته للقيام بأعباء المسؤولية ، وتكاليف الحياة .

٦ – وما هذا الكتاب الذي بين يديك – أخي القارىء – إلا تبيان للمنهج الكامل الصحيح **في تربية الأولاد في الإسلام** . وحين يوفقك الله سبحانه لقراءته تعلم أن من مزايا هذا التشريع الإسلامي **مزية الشمول** ، الشمول الكامل لكل مايسعد الإنسانية في دينها ودنياها وآخرتها ، ويتبين لك كذلك أن للإسلام **طريقته في التربية** ، **ومنهجه في الإصلاح** ، فحينما يأخذ المربون بطريقته ومنهجه .. يحل في الأمة الاستقرار والأمن والسعادة ، محل الفوضى والخوف والشقاء .. ويتضح لناظريك أيضاً أن هذا الإسلام **هو دين الحياة ، ودين الإنسانية ، ودين الوعي والتربية والإصلاح** . وحينما تهتدي البشرية بهديه ، وتستقي الأمم من معينه ، وتأخذ الدول بمبادئه وتشريعه ، فإن السلام في العالم يسود ، ومعالم المجتمع الفاضل تتراءى للأعين بجلاء ووضوح ، ويعيش الناس في ظلال الإسلام سعداء آمنين !! ..

لماذا ؟ لأنه دين رب العالمين ، ورسالة فخر الإنسانية ﷺ والتشريع الشامل الكامل الذي ارتضاه الله للبشرية ليكون لها دستوراً ومنهاجاً .

٧ – ومن الملاحظ أن المكتبة الإسلامية فقيرة في كل ما كتب عن تربية الأولاد في الإسلام ، وحتى الآن لم أعثر – فيما اطلعت عليه – على كتاب جامع شامل

مستقل يبحث عن تربية الولد منذ ولادته إلى سن التكليف ، اللهم إلا كتاب (تحفة المودود في أحكام المولود) لابن القيم الجوزية رحمه الله ، فإنه يبحث فقط في المولود ، ومايتعلق به من أحكام ، وقد استفدت منه كثيراً في كتابة الفصل الثالث ومابعده في القسم الأول ، فجزى الله مؤلفه أفضل الجزاء ، وأجزل مثوبته ، ورفعه في الدار الآخرة مقاماً علياً .

والله يعلم كم بذلت من جهد ! وكم بحثت في مراجع ! لأخرج لقراء العربية كتاباً جامعاً مستقلا يتناول تربية الولد منذ الولادة إلى التمييز إلى المراهقة إلى سن التكليف .. ويتناول كذلك المنهج الكامل الذي يجب أن يسير عليه الآباء والمربون ، وكل من له في عنقه حق التوجيه والتربية ؛ وقد جاء الكتاب – والحمد لله – موفياً بالغرض ، محققاً للهدف ، مفصلا الوسائل والغايات .. هذا ولا أدعي الكمال فيما كتبت ، والعصمة فيما بحثت ، والاستيعاب فيما ألفت ، ولكن أرجو من الله سبحانه أن تكون هذه البداءة حافزاً لرواد الفكر الإسلامي في هذا العصر في أن يشحذوا أقلامهم ويحركوا هممهم وعزائمهم ... ليكتبوا في حقل تربية الأولاد ، ويستوعبوا البحث فيها ، ويكثروا من البحوث والتآليف لتبيان وسائلها وغاياتها .. لنرى بعد قليل أن المكتبة الإسلامية قد فاضت بالكتب التربوية ، والبحوث الإرشادية .. ليكون عند كل من يهمه أمر التربية المراجع الوافية لاتباع أفضل الطرق في إعداد الولد إسلامياً ، وتكوينه روحياً وخلقياً وفكرياً .. ويوم تتضافر جهود العاملين في الكتابة عن التربية الإسلامية ، ويؤدون ماعليهم من واجب ومسؤولية في هذا المضمار .. يكونون قد أبانوا للجيل الحاضر طريق العز والقوة ، ووضحوا لكل ذي عينين من أبناء الإنسانية الوسائل العملية التي تؤدي إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وتكوين الجيل المثالي .

٨ – ولقد رأيت أن أخرج كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) في ثلاثة أقسام متتابعة ، كل قسم يتناول عدة فصول ، وكل فصل يندرج تحته عدة موضوعات ، وستكون عناوين الفصول في كل قسم على النحو التالي :

القسـم الأول : ويتناول أربعة فصول :

الفصل الأول : الزواج المثالي وارتباطه بالتربية .

الفصل الثاني : الشعور النفسي نحو الأولاد .

الفصل الثالث : أحكام عامة تتعلق بالمولود ، ويشمل هذا الفصل أربعة مباحث :

الأول : مايفعله المربي عند الولادة .

الثاني : تسمية المولود وأحكامها .

الثالث : عقيقة المولود وأحكامها .

الرابع : ختان المولود وأحكامه .

الفصل الرابع : أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته .

* * *

القسم الثاني : وهو بحث واحد تحت عنوان (المسؤوليات الكبرى لدى المربين) ويتناول سبعة فصول :

الفصل الأول : مسؤولية التربية الإيمانية .

الفصل الثاني : مسؤولية التربية الخلقية .

الفصل الثالث : مسؤولية التربية الجسمية .

الفصل الرابع : مسؤولية التربية العقلية .

الفصل الخامس : مسؤولية التربية النفسية .

الفصل السادس : مسؤولية التربية الاجتماعية .

الفصل السابع : مسؤولية التربية الجنسية .

* * *

القسم الثالث : ويتناول ثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : وسائل التربية المؤثرة .

الفصل الثاني : القواعد الأساسية في تربية الولد .

الفصل الثالث : اقتراحات تربوية لا بد منها .

وأخيراً : خاتمة المطاف .

* * *

تلكم هي الخطوط العريضة لفصول كل قسم من أقسام الكتاب . وستجد أخي القارىء أن تحت كل فصل من هذه الفصول بحوثاً هامة ، وموضوعات مفيدة ، وكلها تستهدف توضيح المنهج الأفضل في التربية القويمة للأبناء ، وإعدادهم أعضاء صالحين للحياة ، وجنوداً أقوياء للإسلام ، وشباباً وثاباً يحملون في نفوسهم أنبل معاني الكرامة والتضحية والفداء .

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني يوم العرض عليه ، وأن يجعل من هذه السلسلة أداة نفع للعباد ، وشعلة نور وهداية لكل من يريد أن يسير في الحياة على هدى وصراط مستقيم ، إنه أفضل مأمول ، وبالإجابة جدير .

المؤلف

عبدالله ناصح علوان

مقدمة لفضيلة العالم الكبير
الشيخ وهبي سليمان الغاوجي الألباني

١ - لقد عرفت الأستاذ الشيخ عبدالله علوان من خلال رسالته الأولى (إلى ورثة الأنبياء) ثم من خلال رسائله وكتبه مثل : (التكافل الاجتماعي في الإسلام) (حتى يعلم الشباب) (صلاح الدين الأيوبي) ، كما عرفته من خلال حديثه والعمل المشترك حينا من الدهر في مجال التربية والتعليم . لقد عرفته في ذلك ، وفيما سمعت عنه ، ولو سئلت أن أقول في الشيخ عبدالله علوان قولا وجيزا لقلت : الرجل مؤمن عالم يعيش وبين عينيه وفي جوانحه ، وفي قلبه ودمه قوله ، صلى الله تعالى عليه وسلم (.. من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

لذا تجده حينا يخاطب العلماء أن يقوموا بواجب تبليغ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فيكتب لهم (إلى ورثة الأنبياء) وحينا يخاطب العامة فيحذرهم من المرناة (الرائي) ويبين لهم أخطاره وسيّء آثاره في رسالته (حكم الإسلام في التليفزيون) التي طوّرها الى كتاب أسماه (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) وحينا يخاطب الطلاب فيكتب لهم رسالة (شبهات وردود) .

وحينا يخاطب الشباب فيكتب لهم (حتى يعلم الشباب) .

وحينا يخاطب القائمين على شؤون المجتمع فيكتب لهم (التكافل الاجتماعى فى الإسلام) .

وحينا يثير فينا أشواق الماضي ، ويذكرنا بعظمة الماضي فيكتب (صلاح الدين الأيوبي) .

وحينا يخاطب المسلمين بأسلوب العلم والفقه فيكتب لهم (أحكام الصيام) و (أحكام الزكاة ...) .

وحينا يدل على وسيلة تخليص المجتمع من أوضار الرأسمالية فيكتب لهم (أحكام التأمين) ، ويذكر أخطاره وأضراره .. ويبين بديله الحق في التكافل الإسلامي .

ونجده الآن يكتب في (تربية الأولاد في الإسلام) لأولئك جميعا ، فجزاه الله تعالى خيراً ، وزاده توفيقا ، وبارك في عمره وفي عمله .

٢ – لقد كتب كتابه الأخير هذا ، وجعله في أربعة أجزاء ، وقد بلغ ما كتبه في هذا الموضوع (١٣٧٦)[1] صفحة من القطع المتوسط . وهو أمر يدل حقا على عنايته العظيمة بتربية أجيال المستقبل فضلا عن غير ذلك من العلم والمعرفة .

☐ ما أعلم أحداً كتب في تربية الأولاد من وجهة النظر الإسلامية على سعة وبسط وصدق مجموعا كما فعل الأستاذ الشيخ عبدالله علوان .

☐ ما أعلم كاتبا أكثر من الشواهد الإسلامية في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح على مايقرره من أحكام ووصايا وآداب ، كما فعل الأستاذ الشيخ عبدالله علوان .

☐ ما أعلم كاتبا اكتفى في هذه البحوث التربوية الهامة بكتابات المسلمين الأصيلة ، دون العروج إلى ماقاله الآخرون ، إلا عند الحاجة الماسة لغاية خاصة ، كما فعل الأستاذ الشيخ عبدالله ، ذلك لأنه يكتب لمسلمين يوجهون مسلمين ، فهو

---

(١) كان هذا في طبعته الأولى ، وقد يسر الله إعادة جمعه وترتيبه في مجلدين بطريقة أفضل إن شاء الله (الناشر) .

يختصر الطريق ، ولأن له من الثقافة الإسلامية القائمة على أصول الإسلام وتجارب المسلمين الماضين والمعاصرين ، ما يجد بها غنية عما عند الآخرين .

□ ما أعلم كاتبا كتب بحرقة وقوة في موضوع تربية الأولاد كما فعل الأستاذ الشيخ عبدالله .

٣ – أما بعد ، فلقد هممت بأن أكتب عناوين بعض بحوث هذا الكتاب القيم ، وأن أعرض لمعان من نقاط نيرة مفيدة منه ، « وما أكثرها » لتكون نموذجا . وإعلانا ينبيء عن كنه الكتاب وحقيقته ، لكني تركت ذلك كيلا أطيل على القارىء الكريم في هذه الكلمة ، وكي يصل هو بنفسه إلى ماكنت أودّ عرضه وزيادة .

لكني أنقل كلمة الأستاذ الشيخ عبد الله في نهاية الكتاب التي جعلها تحت عنوان : اقتراحات تربوية لا بد منها .

يرى الأستاذ أنها تنحصر في الأمور التالية : تشويق الولد إلى أشرف الكسب – مراعاة استعدادات الولد الفطرية – ترك المجال للولد في اللعب والترويح – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة - تقوية الصلة بين المربي والولد – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة – تهيئة الوسائل الثقافية للولد – تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة – استشعار الولد الدائمة بمسؤولية الإسلام – تعميق روح الجهاد في نفسية الولد . لقد كتب في شرح هذه المقترحات (١٧٧) صفحة ، فهل ترى أن الكاتب الفاضل ترك مزيدا لمستزيد في واجب تربية الأولاد والعناية بهم ؟

فما أجدر الآباء والأمهات ، وما أجدر المربين والعاملين في ميدان التربية ، ما أجدرهم جميعا بقراءة كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) ، وأن يسيروا مع كتابنا هذا في تربية من يلون أمرهم (فكفى بالمرء إثما – كما يقول رسولنا ﷺ – أن يضيع من يقوت) رواه مسلم .

وأيّ ضياع أشد وأخطر من إضاعة القلوب وتحريفها عن الجادة أو تركها تضيع هكذا بسبب الإهمال ؟!

أيّ ضياع أشد من ضياع هو الخروج على الإسلام والتنكر لأحكامه ؟
أيّ ضياع أشد من ضياع قلوب الأولاد وعقولهم وأخلاقهم ، ثم بقاء أجسادهم كأنها خشب مسندة لاتحمل عقيدة عظيمة ولا تعيش لغاية عظيمة ؟!

أقر الله عينك ياشيخ عبدُ الله ، وعيون أمثالك ، فينشأ الجيل ، الجيل المثالي يعيش عيش أول جيل مثالي على الأرض ،ويوفقه الله تعالى كما وفق ذلك الجيل الأول ، جيل رسوله ﷺ وصحبه البررة الأخيار رضي الله تعالى عنهم فيستخلفه في الأرض ويمكن له دينه الذي ارتضى له ، ويبدله من بعد خوفه أمنا ، ويرفع رايته على كل صقع ورابية ، ويجعل الدين كله لله .

وماذلك على الله بعزيز ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ .

وهبي سليمان الغاوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
الطبعة الثانية
للمؤلف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير ، وهادي البشرية إلى نور الحق المبين ، والصراط المستقيم .. ورضي الله عن آله وأصحابه والتابعين .. ممّن حملوا إلى العالم رسالة الإسلام ، وتعاليم القرآن .. ورضي أيضاً عمّن سار على دربهم ، ومشى على طريقتهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فأحمده سبحانه أولا وآخراً على مامنّ ووفق في إنجاز كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » بأقسامه الثلاثة .

وقد جاء الكتاب بعد اكتماله – كما شهد أهل الاختصاص – موفياً بالغرض ، موضّحاً للوسائل ، مرشداً للطريقة ، مستوعباً للمبادىء ، منوّعاً للمسؤوليات ، ملبياً للحاجة ، مناسبا لروح العصر ، متلائما مع واقع الجيل ، وحالة الأمة الإسلامية الراهنة ...

وأملي وطيد أن يجد قرّاء العربية في هذا الكتاب أمنيتهم الغالية في كل مايحتاجونه لأولادهم في الحاضر أو في المستقبل ... من مبادىء توجيهية عامة ، وقواعد تربوية شاملة ...

كما آمل أن قد سددت بإخراج هذا الكتاب ثغرة كبيرة في عالم الكتب ، ومجال التربية .. حيث أصبح المربّي يجد في المكتبة الإسلامية الحاضرة كتاباً تربوياً شاملا ، يعالج « **تربية الولد** » من جميع الجوانب ، ويضع بين يديه القواعد الأساسية في إعداد الولد روحيا وعقليا وجسميا ، وفي تكوينه خلقيا ونفسيا واجتماعيا ...

كما أرجو أن يكون الكتاب هذا مناراً متلألئاً يستهدي به كل من يريد أن يربّي ولده على أصالة العقيدة الربانية ، وسنن الإسلام ، وهدي القرآن ، ومعالم السنة ، وطرائق السَّلَف ، ومنهجية الشريعة الإسلامية الغراء !

وأبشّر المربيّن على اختلاف مستوياتهم بأني أضفت إلى هذه الطبعة في قسم « مسؤوليات المربيّن » بحثاً جديداً بعنوان « **مسؤولية التربية الجنسية** » الذي يعالج ميل الولد إلى الجنس ، وكفّه عن الفاحشة في سن المراهقة ، وإرشاده الى أصول الاتصال الجنسي إذا بلغ سن البلوغ ، ودخل عتبة الزواج !! .

وأريد في هذه المناسبة أن أذكّر إخوتي المربيّن بأن يوافوني بملاحظاتهم واقتراحاتهم إذا رأوا في الكتاب ثمة نقص أو نقد ... وأنا شاكر لهم سلفاً حسن صنيعهم ، وكريم اهتمامهم ، لأن الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله ، وما منّا إلا من ردّ ورُدَّ عليه ... عسى أن أستدرك ذلك في الطبعات القادمة إذا يسّر الله لي بقاء الصحة وطول العمر !! ..

وإن مما يثلج الصدر ، ويفرح القلب أن أرى في شبابنا وشاباتنا ظاهرة التلهف إلى شراء الكتاب الإسلامي لمطالعته والاستفادة منه ... وما أن نزل القسم الأول والثاني والثالث من كتاب التربية إلى السوق حتى تزاحم الشباب والمربون على اقتنائه ، وماكنت أتوقع أن تنفد النسخ بهذه السرعة العجيبة ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

وهذه الظاهرة تدل على أن جيلنا المسلم بدأ يتجه نحو الإسلام لما تولّد عنده من قناعة عقلية وقلبية ... هذه القناعة تتجسد في أن هذا الإسلام بتشريعه الشامل ، ومبادئه الخالدة هو المنقذ الوحيد مما يعانيه من آفات نفسية ، وانحرافات خلقية ، وضغوط سياسية ، وتفسّخ اجتماعي ..

﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين ، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .
(المائدة : ١٦)

وإني لألمح في خيالي أن طلائع الإسلام بدأت تتحرك نحو المستقبل لتقيم في مجتمعنا الإسلامي مجداً عريضاً يضاهي الأمم الكبيرة في عزتها وشموخها ... وإن من أعظم العوامل التي تحقق للإسلام دولته ، وللمسلمين عزتهم .. أن تتضافر جهود العاملين للإسلام في تكوين جيل قرآني مؤمن ، وإعداد أمة إسلامية مُجاهدة ، وتهيئة مجتمع رباني فاضل ...

وما ذلك على الله بعزيز إذا أخذ العاملون بالوسائل ، وسار المسلمون نحو الغايات !!

وها أنذا أقدم لجيلنا المسلم المعاصر على اختلاف مستوياته وثقافاته .. الطبعة الثانية من كتاب التربية بتنقيحاتها وزياداتها ... عسى أن يجدوا في الكتاب ما ينشدونه من أسس في الإعداد متينة ، ومن قواعد في التربية راسخة ، ومن مبادىء في التكوين سامية ... فلا يرون من بدّ سوى أن يأخذوا بمنهجية التربية الإسلامية الشاملة التي وضّحت معالمها شريعة الإسلام ووضع أصولها النبي عليه الصلاة والسلام ! ...

وختاماً أذكّر القراء بأن يشملوني بدعوة صالحة في ظهر الغيب ألقى فيها ربّي إن رأوا في هذا الكتاب خيراً وأنا لهم من الشاكرين ...

الله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبّله مني يوم العرض عليه ، وأن يوفقني دائما لنصرة هذا الدين الحق ، وتوضيح فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ... إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير .

المؤلف

عبدالله ناصح علوان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة المزيدة للمؤلف

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فما كنت أحسب أن يلقى كتابي [تربية الأولاد في الإسلام] من الإعجاب والتقدير ، والثناء العطر ... من كل من اجتمعت به من أساتذة وعلماء وتربويين ، ومن كل من راسلوني من أقطاب فكر ، ورجال أدب ، وقادة دعوة .. والحمد لله أولا وآخراً فهو الذى منّ ووفق ، وأعطى ووهب ، وألهم ويسر .. فمنه نستمد العون ، وعليه نتوكل ، وإليه يرجع الفضل كله ... وها هو ذا الكتاب أقدمه للطبعة الثالثة مع زيادتين هامتين :

الأولى - تبيان الأدلة القاطعة في وجوب ستر وجه المرأة المسلمة .

الثانية – تدعيم الوقائع فى الخرافات الجنس على ضوء ما جد من أحداث . وأرجو من الله العلى القدير أن يخرج الكتاب فى طبعته الثالثة فى أجمل طباعة ، وأبهى حلة ، وأفضل إخراج ... ليكون عوناً وسنداً لكل من يهمه تربية أولاده على قواعد الإسلام ، ولكل من يسعى فى تكوين جيل على أساس الأخلاق والإيمان ... وفى إسلامنا والحمد لله أفضل الأسس في التربية ، وأقوى الدعائم في التوجيه والأخلاق .. فهو يفي

بحاجات الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان في كل ما تتطلع إليه من غد مشرق أفضل ، ومستقبل متفائل بسام ...

الله أسأل أن يوفق جيل الإسلام اليوم إلى أن يجعل الإسلام رائده في الفكر والعقيدة وغايته في التطبيق والعمل والتربية ، ومقصده في التطلع إلى عزة سامقة ، وكرامة منشودة ، ووحدة إسلامية شاملة .. إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف
عبدالله ناصح علوان

القِسْمُ الأَوَّل

ويشمل أربعة فصول

الفصل الأول: الزَّواج المثالي وارتباطه بالتربية.

الفصل الثاني: الشعور النفسي نحو الأولاد.

الفصل الثالث: أحكام عامة تتعلق بالمولود.

الفصل الرابع: أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

قبل أن أشرع في بيان الأسس التي وضعها الإسلام في تربية الأولاد يحسن أن أتعرض – ولو باختصار – للزواج من نواح ثلاثة :

(أ) الزواج فطرة إنسانية
(ب) الزواج مصلحة اجتماعية
(ج) الزواج انتقاء واختيار

لأن التعرض لمثل هذه النواحي توضح وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية ، والاعتراف بنسب الولد ، وسلامة جسمه وأخلاقه ، وتأجيج عاطفة أبويه نحوه ، وتعاون الزوجين على تربيته وتقويم اعوجاجه ، وإعداده إنساناً صالحاً للحياة .

وإليكم بعض التفاصيل في كل ناحية من هذه النواحي الثلاثة :

(أ) الزواج فطرة إنسانية

من الأمور البدهية في مبادىء الشريعة الإسلامية أن الشريعة حاربت الرهبانية لكونها تتصادم مع فطرة الإنسان ، وتتعارض مع ميوله وأشواقه وغرائزه .

فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السمحة) .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني) .

فأنت ترى من هذه الأحاديث وغيرها أن شريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ، ويزهد فيه بنية الرهبانية ، والتفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولاسيما إن كان المسلم قادراً عليه ، متيسراً له أسبابه ووسائله .

ونحن إذا تأملنا مواقف رسول الله ﷺ في مراقبة أفراد المجتمع ، ومعالجة النفس الإنسانية ، ازددنا يقينا بأن هذه المراقبة وتلك المعالجة مبنيتان على إدراك حقيقة الإنسان ، وراميتان إلى تلبية أشواقه وميوله ، حتى لايتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته ، ولا يحمل ما ليس بإمكانه واستطاعته ، بل يسير في الطريق السوي سيراً طبيعيا متلائماً معتدلا ، لا يتعثر وقد سار الناس ، ولايتقهقر وقد تقدم البشر ، ولايضعف وقد قوي أبناء الحياة﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾.
(الروم : ٣٠)

وإليكم هذا الموقف من رسول الله ﷺ ، فهو يعد من أعظم المواقف الإصلاحية والتربوية في معالجة الطبائع السلبية ، وفهم حقيقة الإنسان .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، وقال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين

قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) .

فمن هذه النصوص يتبين لكل ذي عقل وبصيرة أن **الزواج في الإسلام فطرة إنسانية ، ليحمل المسلم في نفسه أمانة المسؤولية الكبرى تجاه من له في عنقه حق التربية والرعاية** .. حينما يلبي نداء هذه الفطرة ، ويستجيب لأشواق هذه الغريزة ، ويساير سنن هذه الحياة !!! .

(ب) الزواج مصلحة اجتماعية

من المعلوم أن للزواج في الإسلام فوائد عامة ، ومصالح اجتماعية ، سنتعرض بتوفيق الله لأهمها ، ثم نبين وجه ارتباطها بالتربية .

١ - **المحافظة على النوع الإنساني** : فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنساني ، ويتكاثر ، ويتسلسل .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ولا يخفى ما في هذا التكاثر والتسلسل من محافظة على النوع الإنساني ، ومن حوافز لذوي المختصين لوضع المناهج التربوية ، والقواعد الصحيحة لأجل سلامة هذا النوع من الناحية الخلقية ، والناحية الجسمية على السواء ، وقد نوّه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية ، والمصلحة الإنسانية حين قال : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** ﴾ .

(النحل : ٧٢)

وقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً** ﴾

(النساء : ١)

٢ - **المحافظة على الأنساب** : وبالزواج الذي شرعه الله يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم ، ولايخفى مافي هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي ، وكرامتهم الإنسانية ، ولو لم يكن ذلك الزواج الذى شرعه الله ، لعجّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ؛ وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والإباحية ..

٣ - **سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي** : وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعي .. ولايخفى على كل ذي إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال ، تتحلى الأمة - أفراداً وجماعات - بأفضل الآداب ، وأحسن الأخلاق ، وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسؤولية على الوجه الذي يريده الله منها . وما أصدق ما قاله عليه الصلاة والسلام في إظهار حكمة الزواج الخلقية ، وفائدته الاجتماعية حين كان يحض فئة من الشباب على الزواج : (يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[2] رواه الجماعة

٤ - **سلامة المجتمع من الأمراض** : وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنى ، وشيوع الفاحشة ، والاتصال الحرام ... ومن هذه الأمراض الزهري ، وداء السيلان (التعقيبة) ... وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تقضي على النسل ، وتوهن الجسم ، وتنشر الوباء ، وتفتك بصحة الأولاد .

٥ - **السكن الروحاني والنفساني** : وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والإلفة مابين الزوجين . فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله ، ويركن عند المساء إلى

(١) الباءة : المقدرة على الزواج .
(٢) وجاء : قاطع للشهوة .

بيته ، ويجتمع بأهله وأولاده ، ينسى الهموم التي اعترته في نهاره ، ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاده ، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها ، وتستقبل عند المساء رفيق حياتها .

وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الآخر سكنه النفسي ، وسعادته الزوجية ، وصدق الله العظيم عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان ، وأجمل تعبير : ﴿ **ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ .

(الروم : ٢١)

٦ - **تعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد** : وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الاسرة ، وتحمل المسؤولية .. فكل منهما يكمل عمل الآخر ، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها ، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها ، وذلك في الإشراف على إدارة البيت ، والقيام بتربية الأولاد ، وصدق من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والرجل كذلك يعمل ضمن اختصاصه ، ومايتفق مع طبيعته ورجولته ، وذلك في السعي وراء العيال ، والقيام بأشق الأعمال ، وحماية الأسرة من عوادي الزمن ومصائب الأيام ... وفي هنا يتم روح التعاون مابين الزوجين ، ويصلان إلى أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات في إعداد أولاد صالحين ، وتربية جيل مؤمن يحمل في قلبه عزمة الإيمان ، وفي نفسه روح الإسلام ؛ بل ينعم البيت بأجمعه ويرتع ويهنأ في ظلال المحبة والسلام والاستقرار .

٧ - **تأجج عاطفة الأبوة والأمومة** : وبالزواج تتأجج في نفس الأبوين العواطف ، وتفيض من قلبيهما ينابيع الأحاسيس والمشاعر النبيلة ... ولا يخفى ما في هذه

الأحاسيس والعواطف من أثر كريم ، ونتائج طيبة في رعاية الأبناء ، والسهر على مصالحهم والنهوض بهم نحو حياة مستقرة هانئة ، ومستقبل فاضل بسّام .

تلكم هي أهم المصالح الاجتماعية التي تنجم عن الزواج ، ولقد رأيت – أخي القارىء – ارتباط هذه المصالح بتربية الولد وإصلاح الأسرة ، وتنشئة الجيل .. فلا عجب أن نرى الشريعة الإسلامية قد أمرت بالزواج وحضت عليه ، ورغبت فيه ؛ وصدق رسول الله ﷺ القائل : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

والقائل : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم .

(ج) الزواج انتقاء واختيار

الإسلام بتشريعه السامي ، ونظامه الشامل .. قد وضع أمام كل من الخاطب والمخطوبة قواعد وأحكاماً إن اهتدى الناس بهديها ، ومشوا على نهجها كان الزواج في غاية التفاهم والمحبة والوفاق ... وكانت الأسرة المكونة من البنين والبنات في ذروة الإيمان المكين ، والجسم السليم ، والخلق القويم ، والعقل الناضج ، والنفسية المطمئنة الصافية .

وإليكم أهم هذه القواعد والأحكام :

١ – الاختيار على أساس الدين :

نقصد بالدين – حين نطلق لفظه – الفهم الحقيقي للإسلام ، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية ، وآدابه الرفيعة ... ونقصد كذلك الالتزام الكامل بمناهج الشريعة ، ومبادئها الخالدة على مدى الزمان والأيام .

فعندما يكون الخاطب أو المخطوبة على هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام ... يمكن أن نطلق على أحدهما أنه ذو دين وذو خُلق ؛ وعندما يكون الواحد منهما على غير هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام .. فمن البديهي أن نحكم عليه بانحراف السلوك ، وفساد الخُلق ، والبعد عن الإسلام ... مهما ظهر للناس بمظهر الصلاح والتقوى وزعم أنه مسلم متمسك ...

وما أدقَّ ما سنّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص ، وإظهار حقائق الرجال ، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر ...

فقال له عمر : أتعرف هذا الرجل ؟

فأجاب : نعم ! .

قال : هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟

فأجاب الرجل : لا

قال عمر : هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق ؟.

فأجاب الرجل : لا

قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل ؟.

فأجاب الرجل : لا

فصاح به عمر ، لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى ؛ فرد الرجل نعم !!..

فقال له عمر : اذهب فإنك لاتعرفه ، والتفت إلى الرجل وقال له : ائتني بمن يعرفك . فعمر رضي الله عنه لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره ، ولكن عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حاله ، ودلت على تدينه وأخلاقه !! ..

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .. » .

لهذا كله أرشد النبي صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين ، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد ، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام ، وحض عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت[1] يداك » .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضَّ بصره ، ويحصِّن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » .

وبالمقابل أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق . ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ، وأداء حقوق الزوجية ، وتربية الأولاد ، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف ، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق .

روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض ، وفساد عريض » .

---

(١) تربت يداك : كلمة تفيد الحث والتحريض ، والدعاء له بكثرة المال ، وصار المعنى : اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال وغيره .

وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل ، أو زوج لا يرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمة ، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً ؟

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر ، يكرهها على السفور والاختلاط ، ويجبرها على احتساء الخمرة . ومراقصة الرجال ، ويقسرها على التفلت من ربقة الدين والأخلاق ؟

فكم من فتاة – ويا للأسف – كانت في بيت أهلها مثالاً للعفة والطهر . فلما انتقلت إلى بيت إباحي ، وزوج متحلل فاجر ، انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة ، لا تقيم لمبادىء الفضيلة أية قيمة ، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار!!.

ومما لاشك فيه أن الأولاد حين ينشؤون في مثل هذا البيت المتحلل الماجن الآثم ، فإنهم سينشؤون – لا محالة – على الانحراف والإباحية ، ويتربون على الفساد والمنكر !!.

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم مايحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة ، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة ، وللأسرة شرفها الثابت ، واستقرارها المنشود .

٢ – الاختيار على أساس الأصل والشرف :

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر ، أن يكون الانتقاء لشريك الحياة من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق ، وأصالة الشرف ، وأرومة الأصل ، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفاً ، ويتفاضلون فساداً وصلاحاً!!.

ولقد نوه النبي ﷺ في أن الناس معادن ، وأنهم يتفاوتون في الوضاعة والشرف ، والخير والشر ، بقوله في الحديث الذي رواه الطيالسي ، وابن منيع ، والعسكري عن أبي هريرة : « الناس معادن في الخير والشر ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا » .

هذا حض النبي ﷺ كل راغب في الزواج ، أن يكون الانتقاء على أساس الأصالة والشرف والصلاح والطيب .. وإليكم طاقة من أحاديثه الكثيرة المتضافرة .

فقد روى الدارقطني ، والعسكري ، وابن عدي ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إياكم وخضراء الدِّمَن ، قالوا : وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء »[1] .

وروى ابن ماجه ، والدارقطني ، والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء » .

وروى ابن ماجه والديلمي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس » .

وروى ابن عدي ، وابن عساكر ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » ، وفي رواية : « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم ، فإن الرجل ربما أشبه أخواله » .

وروى ابن عدي في الكامل مرفوعاً : « تزوجوا في الحِجْر الصالح فإن العرق دسَّاس »[2] .

---

(١) خضراء الدمن : عشب المزابل .

(٢) أحاديث الاختيار على أساس الأصل والشرف صحيحة بمفردها وحسنة بمجموعها لتعدد طرقها .

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبي الزواج ، إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن في بيئة صالحة ، ونشأن في بيت عريق عرف بالشرف والطيب ، وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم ، وجدود أمجاد !!.. ولعل السر في هذا حتى ينجب الرجل أولاداً مفطورين على معالي الأمور ، ومتطبعين بعادات أصيلة ، وأخلاق إسلامية قويمة .. يرضعون منهن لبان المكارم والفضائل ، ويكتسبون بشكل عفوي خصال الخير ، ومكارم الأخلاق !!...

وانطلاقاً من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده في تخيّر النطف ، وتجنب عِرْق السوء ، وإليكم ما قاله لهم : (يابنيّ الناكح مغترس ، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعِرْق السوء قلما يُنجب ، فتخيروا ولو بعد حين) .

وتحقيقا لهذا الاختيار أجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله ما حق الولد على أبيه ، بقوله : (أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه القرآن) .

وهذا الانتقاء الذي وجه إليه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، يعد من أعظم الحقائق العلمية ، والنظريات التربوية في العصر الحديث .. فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية ، منذ الولادة ، فعندما يكون انتقاء الزوج ، أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشؤون على خير ماينشؤون من العفة والطهر والاستقامة ... وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الفاضلة ، يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق ، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة ، وحسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ...

فما على راغبي الزواج إلا أن يحسنوا الاختيار ، ويُحَكِّموا في رفيق الحياة الانتقاء ، إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة ، وسلالة طاهرة ، وأبناء مؤمنون !.

٣ - الاغتراب في الزواج :

ومن توجيهات الإسلام الحكيمة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة الأجنبية على النساء ذوات النسب والقرابة ، حرصاً على نجابة الولد ، وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية ، والعاهات الوراثية ، وتوسيعا لدائرة التعارف الأسرية ، وتمتيناً للروابط الاجتماعية .

ففي هذا تزداد أجسامهم قوة ، ووحدتهم تماسكاً وصلابة ، وتعارفهم سعة وانتشاراً !!... فلا عجب أن ترى النبي ﷺ قد حذر من الزواج بذوات النسب والقرابة ، حتى لاينشأ الولد ضعيفا ، وتنحدر إليه عاهات أبويه ، وأمراض جدوده .

فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام في هذا قوله : « لاتنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً »[1] وقوله : « اغتربوا ولا تضووا »[2] .

ولقد أثبت علم الوراثة كذلك أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خُلقية ذميمة ، وعادات اجتماعية مستهجنة ...

وهذه الحقيقة قررها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه منذ أربعة عشر قرناً ، قبل أن يأتي العلم ليقول كلمته ، ويظهر لذوي الأبصار حقائقه .

وهذه معجزة لرسولنا الأمي العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، تضاف إلى جملة معجزاته الباهرة ، وإخباراته الصادقة ..

---

(١) ضاوياً : نحيفاً ضعيف الجسم بليد الذكاء .

(٢) أرسل إلي بعض الفضلاء جزاهم الله كل خير ، التخريج الآتي :

فحديث « اغتربوا ولا تضووا » ذكر في تخريجه العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء للغزالي بأن لفظ الحديث المذكور ليس بحديث ، وإنما هو أثر ثبت معناه عن الفاروق عمر حين قال لآل السائب : « قد أضويتم فانكحوا في النوابغ » أي في الغرائب . واشتهر هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه برواية أخرى : « لاتنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً » .

ومن قال من أهل العلم والاختصاص إنها حديثان فقد أعطوهما حكم الحديث المرفوع . والله أعلم .

٤ – تفضيل ذوات الأبكار :

ومن توجيهات الإسلام الرشيدة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة البكر على المرأة الثيب[١] ، لحكم بالغة ، وفوائد عظيمة !.

فمن هذه الفوائد : حماية الأسرة مما ينغص عيشها ، ويوقعها في حبائل الخصومات ، وينشر في أجوائها ضباب المشكلات والعداوات .. وفي الوقت نفسه تمتين لأواصر المحبة الزوجية ، لكون البكر مجبولة على الإنس والإلفة بأول إنسان تكون في عصمته ، وتلتقي معه ، وتتعرف عليه ... بعكس المرأة الثيب ، فقد لا تجد في الزوج الثاني الإلفة التامة ، والمحبة المتبادلة ، والتعلق القلبي الصادق للفرق الكبير بين أخلاق الأول ، ومعاملة الثاني .

فلا غرابة أن نرى عائشة رضي الله عنها قد وضحت لرسول الله ﷺ كل هذه المعاني ، لما قالت للرسول صلوات الله عليه – فيما رواه البخاري – : يارسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ، وشجرة لم يؤكل منها ، في أي منها كنت تُرتع بعيرك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : في التي لم يُرْتَعْ منها ، قالت رضي الله عنها : « فأنا هي » .

وتقصد بيان فضلها على باقي الزوجات باعتبار أن الرسول ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها .

وقد ألمح عليه الصلاة والسلام عن بعض الحكم بالزواج بذوات الأبكار ، فقال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه ابن ماجه والبيهقي – : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً ، وأقل خِبّاً ، وأرضى باليسير »[٢] .

---

(١) المرأة البكر : هي التي لم تتزوج بعد ، والثيب : هي التي سبق لها أن تزوجت .

(٢) المقصود بعذوبة الأفواه : طيب الكلام ، وبنتق الأرحام : كثرة الأولاد ، وبأقل خبّاً أقل مكراً وخديعة .

كما ألمح عليه الصلاة والسلام لجابر رضي الله عنه ، أن الزواج بالبكر يولد المحبة ، ويقوي جانب الإحصان والعفة ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما : « أن رسول الله ﷺ قال لجابر – وهو راجع من غزوة ذات الرقاع – : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يارسول الله إن أبي أصيب يوم أحد . وترك لنا بناتٍ سبعاً ، فنكحتُ امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ، قال : أصبت إن شاء الله » .

ومما يشير إليه حديث جابر أن الزواج بالمرأة الثيب قد يكون أفضل من الزواج بالمرأة البكر في بعض الحالات ، كحالة جابر رضي الله عنه التي مر ذكرها ، ليتم التعاون في رعاية الأيتام ، والعناية بهم ، والقيام على أمرهم . تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ . (المائدة - ٢)

٥ – تفضيل الزواج بالمرأة الولود :

ومن توجيهات الإسلام في اختيار الزوجة انتقاء المرأة الولود ؛ وتعرف بشيئين :

الأول : سلامة جسمها من الأمراض التي تمنع من الحمل ، ويستعان لمعرفة ذلك بالمختصين .

الثاني : النظر في حال أمها ، وحال أخواتها المتزوجات ، فإن كن من الصنف الولود ، فعلى الغالب هي تكون كذلك .

ومن المعلوم طبياً أن المرأة حينما تكون من الصنف الولود ، تكون في الغالب في صحة جيدة ، وجسم قوي سليم . والتي تتوافر فيها هذه الظاهرة تستطيع أن تنهض بأعبائها المنزلية ، وواجباتها التربوية ، وحقوقها الزوجية على أكمل وجه ، وأنبل معنى .

وبما تجدر الإشارة إليه ، أن على الذي يتزوج المرأة الولود ، ويحرص على كثرة النسل ، وإنجاب الذرية ، أن يؤدي إليهم ما يترتب عليه من واجب ومسؤولية ، سواء مايتعلق بمسؤولية النفقة ، أو مسؤولية التربية ، أو مسؤولية التعليم .

وإلا كان مسؤولاً عند الله سبحانه فيما فرط ، وفيما قصّر ؛ وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » رواه ابن حبان .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الذي يأنس من نفسه أن ينهض بمسؤوليات الأولاد كما أمر الإسلام فلا يسعه – إن أراد الزواج – إلا أن يفتش عن المرأة الولود ليضاعف من أعداد هذه الأمة المحمدية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ؛ وما ذاك إلا من توجيهاته عليه الصلاة والسلام ، وذلك حين جاءه رجل يقول له : يارسول الله إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لاتلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه . ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داود والنسائي والحاكم .

تلكم هي أهم مبادىء الزواج ، وأهم ارتباطاته بقضايا التربية ؛ فالإسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة ، يعالجها بالزواج لكونه يلبي حاجة الفطرة ويساير أشواق الحياة ، ولكونه يلحق نسب الأبناء بآبائهم ، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة ، والانحلال الخلقي ، ويحقق التعاون الكامل بين الزوجين في تربية الأولاد ، ويؤجج عاطفة الأبوة والأمومة في نفسيهما ...

ولكونه يقوم على أسس متينة وقواعد عملية صحيحة في اختيار شريك الحياة ، والتي من أهمها الاختيار على أساس الدين ، وأساس الأصل والشرف ، وأساس تفضيل ذوات الأبكار .

ولما يعلم المسلم من أين يبدأ ؟ لتكوين الأسرة المسلمة ، والذرية الصالحة والجيل المؤمن بالله ... تهون في نظره المسؤوليات الأخرى المترتبة عليه ، والمكلف بها .

لماذا ؟ لأنه أوجد في بيته حجر الأساس الذي يبني عليه ركائز التربية القويمة ، ودعائم الإصلاح الاجتماعي ، ومعالم المجتمع الفاضل ... ألا وهو المرأة الصالحة !!!

إذن فتربية الأولاد في الإسلام يجب أن تبدأ أول ما تبدأ ، بزواج مثالي يقوم على مبادىء ثابتة لها في التربية أثر ، وفي إعداد الجيل تكوين وبناء !! .

ألا فليتذكر أولو الألباب ؟.

الفصل الثاني

الشعور النفسي نحو الأولاد

المقصود بالشعور النفسي : إبراز ما أودع الله سبحانه في قلب الأبوين من حب وعاطفة ورحمة نحو أولادهما ، والحكمة في ذلك ؛ هي استهجان عادات جاهلية بغيضة استحكمت في بعض النفوس المريضة ، في النظرة السيئة إلى البنات ؛ وإظهار فضيلة المثوبة والأجر لمن يصبر على فقد الولد ويتجلد لفراقه . وأخيراً ماذا يفعل الأبوان إذا تعارضت مصلحة الإسلام مع مصلحة الولد ؟

كل هذه المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية ، وكل هذه التصورات والتساؤلات ستجدها – أيها الأخ الكريم – مبيّنة موضحة في هذا الفصل ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

(أ) الأبوان مفطوران على محبة الولد :

من المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد ، ومتأصل بالمشاعر النفسية ، والعواطف الأبوية لحمايته ، والرحمة به ، والشفقة عليه ، والاهتمام بأمره .

ولولا ذلك لانقرض النوع الإنساني من الأرض ، ولما صبر الأبوان على رعاية أولادهما ، ولما قاما بكفالتهم ، وتربيتهم ، والسهر على أمرهم ، والنظر في مصالحهم ..

ولا عجب أن يصور القرآن العظيم هذه المشاعر الأبوية الصادقة ، أجمل تصوير . فيجعل من **الأولاد** تارة زينة الحياة : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا ...**﴾

(الكهف : ٤٦)

ويعتبرهم **أخرى** نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم :

﴿ **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً** ﴾

(الإسراء : ٦)

ويعتبرهم **ثالثة** قرة أعين إن كانو سالكين سبيل المتقين :

﴿ **والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾ .

(الفرقان : ٧٤)

إلى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تصور عواطف الأبوين نحو الأولاد ، وتكشف عن صدق مشاعرهما ، ومحبة قلبيهما ، تجاه أفلاذ الأكباد ، وثمرات الفؤاد .

وإليك – أيها القارىء الكريم – طاقة مما قاله الشعراء في محبة الأولاد ، وهي أشعار تفيض رقة وحناناً ، وتتأجج شعوراً وعاطفة . وهي بمجموعها تؤكد ظاهرة الحب والحنان التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، ليبذلا قصارى جهودهما ، وغاية مساعيهما في تربية الولد ، وإعداده ليكون إنساناً صالحاً في الحياة .

ونبدأ بما قاله أمية بن أبي الصلت في حق ولده العاق ، وهي من غُرر القصائد التي تفيض رقة وحناناً ، والتي تصور صدق المشاعر القلبية الأبوية نحو الولد :

غذوتُك مولوداً وعلتُك يافعاً ... تُعلّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلّا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طُرقتَ به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السنّ والغاية التي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوّتي ... فعلتَ كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار فلم تكن ... عليّ بمالٍ دون مالك تبخل

* * *

واسمعوا إلى مايقوله أبو بكر الطرطوسي فيما يتجرع الأبوان عند فراق الولد :

لو كان يدري الإبن أية غصة ... يتجرع الأبوان عند فراقه
أمّ تهيج بوجده حيرانة ... وأب يسحّ الدمع من آماقه
يتجرعان لبينه غصص الردى ... ويبوح ما كتماه من أشواقه
لرثى لأم سلّ من أحشائها ... وبكى لشيخ هام في آفاقه
ولبدل الخلق الأبي بعطفه ... وجزاهما بالعطف من أخلاقه

* * *

وإليكم ما قاله آخر في العطف الأبوي الدفاق الذي قعد بالأب دون الكفاح من أجل مايسعى لتحقيقه :

لقد زاد الحياة إليّ حباً ... بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي ... وأن يشربن رنْقاً بعد صاف

وأن يعرين إن كُسي الجواري فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سوّمت مُهري وفي الرحمن للضعفاء كاف
أبانا مَنْ لنا إن غبت عنا وصار الناس بعدك في اختلاف

* * *

ومما قيل كذلك :

ولولا بُنيّات كزُغْب القطا حُططْنَ من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرَب واسع في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هب الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

* * *

وأخيراً فلنستمع إلى ما يقوله الشاعر الكبير الأستاذ عمر بهاء الأميري في صدق الحنان والشاعرية ، وذلك لما سافر أولاده الثمانية من المصيف إلى حلب . فتلبث وحده في خلوة شعرية ليتحف الأدب العربي قصيدة من غرر القصائد في محبة الآباء للأبناء :

أين الضجيج العذبُ والشغَبُ أين التدارسُ شابه اللعبُ
أين الطفولة في توقدها أين الدمى في الأرض والكتبُ
أين التشاكس دونما غرض أين التشاكي ماله سببُ
أين التباكي والتضاحك في وقت معاً ، والحزنُ والطربُ
أين التسابق في مجاورتي شغفاً إذا أكلوا وإن شربوا
يتزاحمون على مجالستي والقرب مني حيثما انقلبوا

يتوجهون بشوق فطرتهم   نحوي إذا رهبوا وإن رغبوا
فنشيدهم (بابا) إذا فرحوا   ووعيدهم : (بابا) إذا غضبوا
وهتافهم : (بابا) إذا ابتعدوا   ونجيهم : (بابا) إذا اقتربوا
بالأمس كانوا ملء منزلنا   واليوم ، ويح اليوم ، قد ذهبوا
وكأنما الصمت الذي هبطت   أثقاله في الدار إذ غربوا
إغفاءة المحموم هدأتها   فيها يشيع الهم والتعب
ذهبوا ، أجل ذهبوا ، ومسكنهم   في القلب ، ما شطوا وما قربوا
إني أراهم أينما التفتت   نفسي وقد سكنوا ، وقد وثبوا
وأحس في خلدي تلاعبهم   في الدار ليس ينالهم نصب
وبريق أعينهم ، إذا ظفروا   ودموع حرقتهم إذا غلبوا
في كل ركن منهم أثر   وبكل زاوية لهم صخب
في النافذات زجاجها حطموا   في الحائط المدهون قد ثقبوا
في الباب قد كسروا مزالجه   وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصحن فيه بعض ما أكلوا   في علبة الحلوى التي نهبوا
في الشطر من تفاحة قضموا   في فضلة الماء التي سكبوا
إني أراهم حيثما اتجهت   عيني كأسراب القطا سربوا
بالأمس في (قرنايل) نزلوا   واليوم قد ضمتهم (حلب)

* * *

دمعي الذي كتمته جلداً   لما تباكوا عند ما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا   من أضلعي قلباً بهم يجب
ألفيتني كالطفل عاطفة   فإذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العذال من رجل   يبكي ، ولو لم أبك فالعجب
هيهات ما كل البكا خور   إني وبي عزم الرجال أب

* * *

من هذا كله نعلم قوة العاطفة الفياضة التي أودعها الله في قلب الأبوين نحو الأولاد ، وما ذاك إلا ليساقا سوقاً نحو تربيتهم ، ورعايتهم ، والاهتمام بشؤونهم ومصالحهم .

﴿ فِطْرَتَ الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ... ﴾

(الروم : ٣٠)

(ب) الرحمة بالأولاد منحة من الله للعباد :

ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، شعور الرحمة بالأولاد ، والرأفة بهم ، والعطف عليهم ، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد ، وفي إعدادهم وتكوينهم ، أفضل النتائج ، وأعظم الآثار .

والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة ، يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية ، والغلظة اللئيمة القاسية . ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد ، وفي تخبطهم في أوحال الشذوذ ، ومستنقعات الجهل والشقاء ..

لهذا كله نجد شريعتنا الإسلامية الغراء ، قد رسخت في القلوب خلق الرحمة ، وحضت الكبار من آباء ومعلمين ومسؤولين على التحلي بها ، والتخلق بأخلاقها .

وإليكم اهتمام الرسول صلوات الله وسلامه عليه بموضوع الرحمة ، وحرصه الزائد على تحلي الكبار بهذا الخلق الكريم ، والشعور النبيل :

– روى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » .

– وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أتى النبي ﷺ رجلٌ ومعه صبي ، فجعل يضمه إليه ، فقال النبي ﷺ أترحمه ؟ قال : نعم ، قال : فالله أرحم بك منك به ، وهو أرحم الراحمين) .

– وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى أحداً من أصحابه لايرحم أولاده يزجره بحزم ، ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة والأولاد ... فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : أتقبّلون صبيانكم ، فما نقبلهم ؟ فقال النبي ﷺ : « أوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » .

– وروى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ماقبلتُ منهم أحداً ، فنظر رسول الله ﷺ إليه ثم قال : « من لايرحم لايُرحم » .

– وروى البخاري في أدبه عن أنس بن مالك قال : (جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبي لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيّان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها ، فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي ﷺ ، فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صَبِيَّيْهَا) .

– وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى طفلاً يحتضر ، وأوشكت أن تفيض روحه ، فاضت عيناه بالدموع حزناً وعطفاً على الصغار ، وتعليماً للأمة فضيلة العطف والرحمة ... روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أرسلت بنتُ النبي ﷺ إلى أبيها أن ابني قد احتُضر[1] فاشهدْنا ، فأرسل عليه الصلاة

---

(١) أي حضرته مقدمات الموت .

والسلام يقرىء السلام ، ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب » . فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، رضي الله عنهم ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ، فأقعده في حجره ، ونفسه تقعقع[٢] ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ فقال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده » . وفي رواية : «جعلها الله في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وينبغي ألا يغرب عن البال أن ظاهرة الرحمة إذا حلت قلب الأبوين ، وترسخت في نفسيهما ، قاما بما يترتب عليهما من واجب ، وأديا ما عليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية ، وواجب المسؤولية ، ألا وهم الأولاد !! ..

(جـ) كراهية البنات جاهلية بغيضة :

الإسلام بدعوته إلى المساواة المطلقة ، والعدل الشامل ، لم يفرق في المعاملة الرحيمة ، والعطف الأبوي ، بين رجل وامرأة ، وذكر وأنثى ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ... ﴾

(المائدة : ٨)

وتنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذى رواه أصحاب السنن ، والإمام أحمد ، وابن حبان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم » .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي ، حقق الآباء في أولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة ، في الهبة ، والمعاملة ، والنظرة الحانية ، والملاطفة الرحيمة ، دون أن يكون بين الذكور والإناث أي تمييز أو تفريق !!..

---

(٢) تقعقع : أي تتحرك وتضطرب .

وإذا وجد في المجتمع الإسلامي آباء ينظرون إلى البنت نظرة تمييز عن الولد ، فالسبب في هذا يعود إلى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي أعراف جاهلية محضة ، وتقاليد اجتماعية بغيضة ، يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي قال الله تعالى فيه :

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون ﴾ .

(النحل : ٥٩)

والسبب في ذلك أيضا يعود إلى ضعف الإيمان ، وزعزعة اليقين ، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث ، لم يملكوا هم ولا نساؤهم ، ولا من في الأرض جميعاً ، أن يغيروا من خلق الله شيئاً . ألم يسمعوا إلى ما يقوله الله تبارك وتعالى في تدبيره المبرم ، وإرادته النافذة ومشيئته المطلقة وأمره الغالب في شأن الإناث ، وشأن الذكور؟ .

﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير ﴾ .

(الشورى : ٥٠)

ومن طرائف ما يروى أن أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة ، تزوج امرأة ، وطمع أن تلد له غلاماً ، فولدت له بنتاً ، فهجر منزلها ، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها ، فمر بخبائها بعد عام ، وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها :

ما لأبي حمزة لا يأتينـــا يظلّ في البيت الذي يلينا
غضبـان ألّا نلـد البنينـــا تالله ما ذلك في أيدنـا
وإنما نأخـــذ ما أعطينـــا

فغدا الرجل حتى دخل البيت ، بعد أن أعطته درساً فى الإيمان ، والرضى ، وثبات اليقين . فقبل رأس امرأته ، وابنتها ، ورضي بعطاء الله المقدر ، وهبته المقسومة !!.

ولكي يقتلع رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية ، خص البنات بالذكر ، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن ، والعناية بهن ، والقيام على أمورهن ، ليستأهلوا دخول الجنة ، ورضوان الله عز وجل . وبالتالي حتى تكون تربية البنات ، وتحقيق الخير لهن على الوجه الذي يرضي الله سبحانه ، ويأمر به الإسلام !!..

وإليكم بعض التوجيهات النبوية في وجوب العناية بالبنات ، والاهتمام بهنّ :

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين – وضم أصابعه – » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن ، وسقاهن وكساهن من جِدَته (أي ماله) ، كن له حجاباً من النار » .

وروى الحميدي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، وصبر عليهن ، واتقى الله فيهن دخل الجنة » .

فما على المربين إلا أن يأخذوا بهذه الإرشادات النبوية ، والتعاليم الإسلامية في وجوب العناية بالبنات ، وتحقيق العدل والمساواة بينهن وبين الذكور . ليحظوا بجنة عرضها السموات والأرض ، ورضوان من الله أكبر ، في مقعد صدق عن مليك مقتدر .

(د) فضيلة من يتجلد لموت الولد :

عندما يصل المسلم إلى درجة عالية من الإيمان ، ويبلغ منزلة رفيعة من اليقين ، ويؤمن حقيقة بالقضاء خيره وشره ، من الله تعالى ، تصغر في عينيه الأحداث ، وتهون أمامه المصائب ، ويستسلم لله سبحانه في كل ما ينوب ويروع . وتطمئن نفسه ، ويستريح ضميره لصبره على البلاء ، ورضائه بالقضاء ، وخضوعه لمقادير رب العالمين .

من هذا المنطلق الإيماني أخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه ؛ أن من يموت له ولد فيصبر ويسترجع ، يبني الله له بيتاً في الجنة اسمه بيت الحمد . فقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع[1] ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » .

ولهذا الصبر ثمرات ، يقتطفها الصابر المحتسب ، في يوم لاينفع فيه مال ولابنون .

فمن ثمراته أنه سبيل إلى الجنة ، وحجاب من النار : روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للنساء مرة : « ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد ، إلا كانوا لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة : واثنان ؟ قال رسول الله ﷺ : واثنان » .

---

(١) يسترجع : يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

وروى أحمد وابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة ، قال : قلنا : يارسول الله : واثنان قال : واثنان» .

قال أحد الرواة لجابر : أراكم لو قلتم : واحداً ، لقال : واحداًقال جابر : وأنا أظن ذلك .

ومن ثمرات الصبر كذلك أن الولد الذى يموت وهو صغير يشفع لأبويه يوم القيامة .

روى الطبراني بإسناد جيد عن حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها ، فقال ما من مسلمَين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث (أى سن البلوغ) إلا جيء بهم يوم القيامة حتى يُوقفوا على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتى يدخل آباؤنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم .

وروى مسلم فى صحيحه عن أبي حسان قال : توفّي ابنان لي فقلت لأبي هريرة رضي الله عنه : سمعت من رسول الله ﷺ حديثا تحدثناه ، تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، « صغارهم دعاميص [1] الجنة يلي أحدهم أباه – أو قال أبويه – فيأخذ بناحية ثوبه أو يده ، كما آخذ بصَنِفَة[2] ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يدخله الله وإياه الجنة » .

ومن المواقف البطولية الإيمانية التي كان يقفها نساء الصحابة رضي الله عنهن ، والتي تدل على الصبر والرضى والايمان عند موت الولد . موقف أم سليم – رضي الله

(١) دعاميص : واحد دعموص : أي صغار أهلها . وأصله دويبة تكون في الماء لاتفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لايفارقها .

(٢) بصنفة ثوبك : أي طرفه .

عنها – الرائع ، وتجلدها العظيم . وإليكم القصة بكمالها كما رواها البخاري ومسلم : عن أنس رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي . فخرج أبو طلحة ، فقُبض[1] الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : مافعل ابني ؟ قالت أم سليم – وهي أم الصبي – أسكن[2] ما كان ، فقربت له العشاء فتعشى ، ثم تصنعت (أي تزيّنت) أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها (أي جامعها) فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسب ابنك (أي ابنك مات فاطلب الأجر من الله) ، قال : فغضب ، ثم قال : تركتني حتى إذا تلطّختُ (أي أصابتني جنابة بسبب الجماع) ، ثم أخبرتني بابني ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان – فأقر عليه الصلاة والسلام أم سليم على ما فعلت – ثم قال : « بارك الله ليلتكما » . وفي رواية قال : « اللهم بارك لهما » ، فولدت غلاما سماه النبي ﷺ عبدالله ، فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن – يعني من أولاد (عبدالله) المولود – وما ذلك إلا استجابة لدعوة رسول الله ﷺ حين دعا : (اللهم بارك لهما) .

ولا شك أن الإيمان بالله سبحانه ، إذا ترسخ في قلب مؤمن ، فإنه يصنع الأعاجيب لكونه يصيّر من الضعف قوة ، ومن الجبن شجاعة ، ومن الشح والبخل بذلاً وسخاء ، ومن الجزع والهلع صبراً واحتمالاً .

فما أجدر الآباء والأمهات أن يتذرّعوا بالإيمان ، وأن يتسلحوا باليقين حتى إذا أصابتهم مصيبة لم يجزعوا ، وإذا مات لهم ولد لم يتبرّموا ، وإنما كان قولهم إن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، حتى يحظوا بالثواب والأجر عند من له الحكم والأمر .

---

(١) قبض : أي مات .

(٢) تقصد أنه مات ، وفهم أبو طلحة أنه تماثل نحو الشفاء .

اللهم هوّن علينا مصائب الدنيا ، ورضّنا بقضائك وقدرك . وتولّنا في الدنيا والآخرة فإنك خير المتولين يارب العالمين .

(هـ) تغليب مصلحة الإسلام على حب الولد :

إذا كان قلب الأبوين ينطوي على مثل تلك المشاعر الصادقة من الحب والرحمة والعطف والحنان نحو الأولاد ، وفلذات الأكباد ، فينبغي ألا تطغى هذه المشاعر على الجهاد في سبيل الله ، وتبليغ دعوة الله في الأرض ، لأن مصلحة الإسلام فوق كل المصالح والاعتبارات ، ولأن إقامة المجتمع الإسلامي غاية المؤمن ، وهدفه في الحياة . ولأن هداية الإنسانية التائهة أسمى مايسعى إليه المسلم وأعظم ما يحرص على نشره وتحقيقه .

وهكذا فهم الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن اتبعهم بإحسان هذا الفهم ، فلم يعرفوا حركة سوى الجهاد ، ولاتبليغاً غير الدعوة ، ولا غاية غير الإسلام .

فلا غرابة أن نسمع في التاريخ عن انطلاقتهم الكبرى في تبليغ الرسالة الإسلامية ، وإعلاء كلمة الله في الأرض . ولاعجب أن يضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس ، ويتمنوا الشهادة في سبيل الله .

وإليكم ما قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه للمقوقس ملك مصر لما خوفه بجمع الروم الهائل ، وأغراه بالمال والدنانير : (ياهذا ، لاتغرّنّ نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع الروم ، وعددهم ، وكثرتهم ، وأنّا لا نقوى عليهم ، فلعمري ماهذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يردنا عما نحن فيه إن كان ماقلتم حقاً . وإنا منكم على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإن الله عز وجل قال في كتابه العزيز :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ .

[البقرة : ٢٤٩]

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ؛ ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه من أهل وولد ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته . وأما قولك : إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، ولو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه » .

هذا الموقف الذي وقفه عبادة رضي الله عنه ، هو واحد من آلاف المواقف التي وقفها جدودنا البواسل الأمجاد ، في فترات طويلة من التاريخ ، وما هذه التضحيات الجسام ، وتغليب حب الجهاد والدعوة على حب الأهل والولد ، والمسكن والعشيرة ، إلا لأنهم وجدوا الله سبحانه يقول في محكم تنزيله :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتيَ الله بأمره ، والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ .

(التوبة : ٢٤)

ومن المآثر الكريمة التي تناقلتها الألسن عن الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله ورضي عنه ، كان من عادته أن يتفقد شباب الدعوة إلى الله في الأقضية والنواحي في كل عيد من الأعياد ؛ ففي مرة من المرات التي كان يخرج فيها ، مرض ولده سيف الإسلام مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فقالت له زوجته : لو بقيت معنا في هذا العيد تستأنس بك ، وتكون بجانب ولدك المريض ، فأجابها وبيده حقيبة السفر : إن منّ الله على ولدي بالشفاء فلله الحمد والمنّة ، وإن قدر الله عليه الموت فجده أعرف بطريق المقابر ، ثم خرج وهو يتلو قوله تبارك وتعالى :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ... ﴾ إلى آخر الآية .

(التوبة : ٢٤)

الله أكبر ، هكذا فليكن التفاني في إعلاء كلمة الله ... الله أكبر ، هكذا فليكن الدعاة إلى الله ... لو لم يكن لسلفنا ورجال الدعوة فينا إلا هذه المواقف لكفتهم على مدى الأيام فخراً وشرفاً وخلوداً !!..

أيها الأب المؤمن : يجب أن يكون حب الإسلام والجهاد والدعوة إلى الله مسيطراً على قلبك وجوارحك ، ومقدّماً على حب أهلك وولدك وعشيرتك ، حتى تندفع بكليتك إلى تبليغ الدعوة وحمل راية الجهاد ، عسى أن تكون في عداد الرجال الذين يبنون بسواعدهم المتينة مجد الإسلام ، ويقيمون بعزائمهم القوية دولة القرآن ، ويعيدون للأمة المحمدية عزتها المنيعة ، وكرامتها المجيدة ، وكيانها العظيم ، وما ذلك على الله بعزيز .

اسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الذين يريدون أن يكمل إيمانهم ، ويذوقوا في أعماق قلوبهم حلاوته ، ويجدوا في قرارة وجداناتهم لذته !!..

- روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

- وروى البخاري كذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : لأنت يارسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبيّ ، فقال له النبي ﷺ : الآن ياعمر !! . أي الآن كمل إيمانك .

– وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

– وروى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين » .

(و) عقوبة الولد وهجره لمصلحة تربوية :

مادام الولد صغيراً يعيش في كنف أبويه ، ومادام في سن التعليم والتربية ، فيجدر بالأبوين والمربين ، ألاّ يتركوا وسيلة من وسائل الإصلاح إلا سلكوها ، ولا طريقةً في تقويم اعوجاجه ، وتهذيب وجدانه وأخلاقه إلا نهجوها . حتى ينشأ الولد على الخلق الإسلامي الكامل ، والأدب الاجتماعي الرفيع .

وللإسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيته ، فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ . فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر ؛ وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب . وإذا عجز عن جميع الوسائل الإصلاحية ملاطفة ووعظاً ، فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرح ، عسى أن يجد المربي في هذه الوسيلة إصلاحاً لنفسه ،وتقويماً لسلوكه واعوجاجه !! .

وإليكم هذه المراحل في الإصلاح مستقاة من السنة النبوية ، وعمل الصحابة ، لتعرفوا – أيها المربون – طريقة الإسلام في الإصلاح ، ومنهجه في التربية .

أما فيما يتعلق بتوجيه الولد ووعظه وملاطفته ، فقد روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجر[1] رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش[2] في الصَّحْفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : «يا غلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

---

(١) في حجر رسول الله : أي تحت نظره ورعايته .

(٢) تطيش : أي تتحرك وتمتد إلى نواحي الطعام الموجود في القصعة .

وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول ﷺ للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ، – وهذه هي الملاطفة – فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتله رسول الله ﷺ في يده (أي وضعه في يده) ، وهذا الغلام هو عبدالله بن عباس .

أما فيما يتعلق في هجر الولد : فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ وسلم عن الخذف[1] ، وقال : « إنه لايقتل الصيد ، ولا ينكأ العدو ، وإنه يفقأ العين ، ويكسرالسن » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مغفل – وكان دون الحلم – خذف ، فنهاه وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، وقال : « إنها لاتصيد صيداً .. » . ثم عاد فقال : أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟ لا أكلمك أبداً !! .

أما فيما يتعلق بضرب الولد فقد روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

وهذه المراحل في التأديب إذا كان الولد في سن الطفولة والمراهقة .

وأما إن بلغ سن الشباب ، وتدرج نحو الكبر ، فإن الطريقة في الإصلاح والتأديب تختلف .

فعندما لاينفع مع الولد الإقناع والوعظ والإرشاد ، فعلى المربي أن يلجأ إلى الهجر الدائم ما دام مصراً على فسقه وفجوره ، وسادراً في غيه وضلاله .

---

(١) الخذف : رمي الحصى بالسبابة والابهام .

إليكم النصوص التي تثبت ذلك :

– روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله » .

– وروى البخاري – في باب مايجوز من الهجران لمن عصى – : وقال كعب حين تخلف عن النبي ﷺ في تبوك : (نهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة) ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحد من الناس يكلمهم أو يحيّيهم أو يجالسهم ، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم .

– وقد ثبت أن النبي ﷺ هجر بعض نسائه شهراً زجراً لهن وتأديباً .

– وروى السيوطي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم ينفّذ لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ : « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد »[1] .

هذا إذا انحرف وفسق وهو على الإيمان والإسلام ، وأما إذا ألحد وكفر وخرج عن الملة الإسلامية فالتبرؤ منه ، والإعراض عنه ، والهجران له من أبسط مقتضيات الإيمان ، ومن أظهر توجيهات القرآن الكريم .

وإليكم النصوص التي تثبت ذلك :

قال تعالى :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾

(المجادلة : ٢٢)

---

(١) ألف السيوطي رسالة سماها « الزجر بالهجر » أي التأديب بالمقاطعة ، استدل فيها على ذلك بنصوص وآثار كثيرة فارجع إليها .

وقال الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام :

﴿ ونادى نوح ربّه فقال : ربّ إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال : يانوح إنه ليس من أهلك ،إنه عملٌ غيرُ صالح ، فلا تسألنِ ماليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ .

(هود : ٤٦)

وقال الله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن ، قال : إني جاعلك للناس إماماً ، قال : ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين ﴾ .

(البقرة : ١٢٤)

وقال سبحانه عن موقف إبراهيم من أبيه :

﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾ .

(التوبة : ١١٤)

من هذه النصوص وغيرها يتبيّن أن هجر الولد والقرابة .. إن كانوا مصرين على الكفر فإن هجرهم من مستلزمات العقيدة والإيمان ، ذلك لأن الإسلام يعتبر رابطة الأخوة الإسلامية فوق رابطة النسب ، ورابطة الأرض ، ورابطة اللغة ، ورابطة الجنس ، ورابطة المصالح الاقتصادية ... وشعاره في ذلك قوله تعالى :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ؛ أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ .

(التوبة : ٢٤)

ومن المعلوم أن مبدأ الإسلام الذي لا يتبدل :

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾

(الحجرات : ١٠)

وشعاره الذي لا يتغير :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

(الحجرات : ١٣)

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *

وبعد : فهذا الذي بيناه في هذا الفصل هو أهم المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية التي يجب أن تعتلج في نفوس المربين ، ولقد رأيتَ أن من هذه المشاعر ما هو فطري متأصل في قلبي الأبوين ، وفي نفسيهما ، كمشاعر الحب والحنان والعطف والرحمة . ولولاها لما انتظمت سنة الكون في المحافظة على النوع الإنساني ، ولولاها لما اندفع الأبوان إلى الاهتمام بأولادهما ، والعناية بهم ، والإنفاق عليهم ، والقيام بتعليمهم وتربيتهم . ولولاها لما رأيت الأسرة مجتمعة الشمل ، متماسكة الكيان ، راسخة البنيان ..

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ماهو جاهلي ككراهية البنات ، وقد مر معك أن الإسلام عالج هذه العادة الجاهلية البغيضة بالإيمان الصحيح ، والعقيدة الربانية الراسخة ، والتربية الإسلامية الفاضلة ، لتكون نظرة الأبوين إلى الإناث والذكور على حد سواء ، ودون أن يكون بينهما أي تمييز أو تفريق ، تحقيقاً لمبدأ العدل والمساواة .

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو مصلحي كتغليب حب الجهاد والدعوة إلى الله ، على حب الأهل والولد ، ولقد مر معك أن مصلحة الإسلام هي فوق المصالح الذاتية ، والاعتبارات الشخصية ، فلا يمكن لأمة الإسلام أن تصل إلى علياء النصر والمجد والقوة ، إلا بعد أن يكون حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، فوق حب الأهل والمال والولد والعشيرة والمسكن .

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو تأديبي تربوي كمناصحة الولد وزجره وهجره وعقوبته . وقد مر معك أن الإسلام تدرج في التأديب من الوعظ إلى الهجر إلى الضرب غير المبرح ، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف . وهذا غاية مايسمى إليه الإسلام في تأديب الأولاد ، وتربيتهم ، وإصلاح نفوسهم .

ألا فليعلم المربون ودعاة الإصلاح ، منهج الإسلام في التربية ، وطريقته في الإصلاح ، لينهجوا في تربية الجيل نهجاً سليماً ، ويسيروا في طريق الإصلاح الاجتماعي سيراً سوياً . وفي ذلك نُقْلَة للجيل من بيئة الفساد والانحراف ، إلى حياة الطهر والكرامة والأخلاق .. ألا بمثل ذلك فليعمل العاملون !!.

* * *

الفصل الثالث

أحكامٌ عامّـة تتعلّق بالمَولُود

وتقع في أربعة مباحث :

مَايفعَــلهُ المُربّي عِند الولادة

تسميَة المولود وَأحكامُهَا

عَقيقَة المولُود وَأحكامُهَا

خِتَانُ المولُود وَأحكامُه

المَبحث الأوّل

مَايفعَلهُ المُربّي عِند الولادة

من فضل هذه الشريعة الإسلامية على أمة الإسلام ، أنها بينت كل مايتصل بالمولود من أحكام ، وما يرتبط به من مبادىء تربوية هامة ، حتى يكون المربي على بيّنة من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه طفله الوليد . فما أجدر بكل من كان في عنقه حق التربية أن يقوم بواجبه الأكمل تطبيقاً وتنفيذاً على الأسس التي وضعها الإسلام ، والمبادىء التي رسم معالمها المربي الأول عليه الصلاة والسلام !!.

وإليكم أهم هذه الأحكام التي يجب أن يفعلها المربون عند الولادة :

١ - استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة :

يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم إذا ولد له مولود ، وذلك ببشارته وإدخال السرور عليه ، وفي ذلك تقوية للأواصر ، وتمتين للروابط ، ونشر لأجنحة المحبة والإلفة بين العوائل المسلمة ، فإن فاته البشارة استُحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد ، عسى الله أن يتقبل ويرعى ويستجيب .

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة إرشاداً وتعليما للأمة الإسلامية ، لما لهذه البشارة - كما ألمحنا - من أثر كبير في تنمية الروابط الاجتماعية ، وتقويمها بين المسلمين .

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام :

﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاماً ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ[1] فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .. ﴾

(هــود : ٦٩ – ٧١)

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام :

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : أن الله يبشرك بيحيى ﴾ .

(آل عمران : ٣٩) .

وفي آية أخرى :

﴿ يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ .

(مريــم : ٧)

ومما ذكرته كتب السيرة : (أن النبي ﷺ لما وُلد ، بشرت به ثُوَيْبَةُ عمَّه أبا لهب وكان مولاها ، وقالت : قد ولد الليلة لعبد الله ابنٌ ، فأعتقها أبو لهب سروراً بولادته ، فلم يضيع الله ذلك له ، وسقاه بعد موته في النُّقْرَةِ[2] التي في أصل إبهامه) كما روى البخاري .

---

(١) حنيذ : مشوي

(٢) النقرة : الشيء المتجوف الذي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع ، كان أبو لهب يشرب منها بعد موته لفرحه بولادة ابن أخيه عليه الصلاة والسلام .

وذكر السهيلي أن العباس قال : (لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال ، فقال : مالقيتُ بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين) ، وهو اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام ، وبشرت به ثُوَيْبَة ، وفرح بولادته أبو لهب .

أما فيما يتعلق بالتهنئة بالمولود : فقد روى الإمام بن قيِّم الجوزيَّة في كتابه (تحفة المودود) عن أبي بكر بن المنذر أنه قال : روينا عن الحسن البصري : أن رجلاً جاء إليه ، وعنده رجل قد وُلد له غلام ، فقال له ، يهْنِك الفارس ، فقال الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار ؟ قال الرجل : فكيف نقول ؟ قال : قل (بورك لك في الموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه) .

وهذه البشارة والتهنئة ينبغي أن تشمل كل مولود ، سواء أكان ذكراً أم أنثى دون تفريق . فما أحرى المسلمين أن يطبقوا في مجتمعهم هذه السنة الكريمة ، لكي تقوى روابطهم ، وتتعمق على مدى الأيام أواصرهم ، وتخيِّم عرائش الأنس والمحبة على بيوتاتهم وأسرهم ، وما أجدرهم أن يسيروا في الطريق الموصل إلى تآلفهم ووحدتهم ، حتى يكونوا دائماً عباد الله إخواناً ، وحتى تكون وحدتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[١].

٢ – استحباب التأذين والإقامة عند الولادة :

ومن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود : التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى ، وذلك حين الولادة مباشرة ، لما روى أبو داود والترمذي عن أبي رافع أنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ أذّنَ في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة) .

---

(١) وما يفعله بعض الأسر بتقديم الزهور والهدايا لأهل المولود ، فهو شيء حسن ، لكونه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « تهادُوا تحابّوا » ، وهو مما يزيد الإلفة والمحبة بين المسلمين .

وروى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال : « من وُلِد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، لم تضرّه أم الصبيان »[1] .

وروى كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي ﷺ أذّن في أذُن الحسن بن علي يوم وُلِد ، وأقام في أذُنه اليسرى) .

وسر التأذين والإقامة كما ذكر ابن قيّم الجوزية في كتابه تحفة المودود : (أن يكون أول مايقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه ، وتأثره به وإن لم يشعر .

ومع ما في ذلك من فائدة أخرى : وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد . فيسمع شيطانه مايضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه - الإسلام - وإلى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها ، سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ، إلى غير ذلك من الحِكَم ..) اهـ .

وهذه المعاني التي أفاض فيها ابن القيم رحمه الله ، أكبر دليل على اهتمام الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد والإيمان ، ومطاردة الشيطان والهوى ، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ، ويتنسم نسائم الوجود .

---

(١) أم الصبيان : هي الريح التي تعرض للولد ، فربما يُغشى عليه منها ، وقيل : هي التابعة من الجن وهي المسماة عند الناس بالقرينة .

٣ - استحباب تحنيكه عندما يولد :

ومن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة .

ولكن ما التحنيك ، وما الحكمة منه ؟

التحنيك معناه مضغ التمرة ، ودَلْكُ حنك المولود بها ؛ وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع ، وإدخال الأصبع في فم المولود ، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة ، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة ، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة كالمعقود ، أو رائب السكر الممزوج بماء الزهر ، تطبيقاً للسنة ، واقتداءً بفعله عليه الصلاة والسلام .

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي ، وامتصاص اللبن بشكل قوي ، وحالة طبيعية . ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركاً ، وتيمناً بصلاح المولود وتقواه .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب التحنيك مايلي :

- جاء في الصحيحين من حديث أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيتُ به النبي ﷺ فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه إليَّ .

- وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كان ابنٌ لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : مافعل الصبي ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ماكان ، فقربت إليه العشاء فتعشّى ، ثم أصاب (أي جامع) ، فلما فرغ قالت : وارِ الصبيّ (أي قم على دفنه) ، فلما أصبح أبو

طلحة أتى النبي ﷺ فأخبره ، قال : أعرستم الليلة ؟ (كناية عن الجماع) قال : نعم ، قال : اللهم بارك لهما ، فولدت غلاماً ، فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي ﷺ ، وبعث معه بتمرات ، فأخذه النبي ﷺ ، فقال : أمعه شيء ؟ قالوا : نعم ، تمرات ، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ، ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي (أي في فمه) ، ثم حنّكه ، وسماه عبدالله .

وقال الخلال : أخبرني محمد بن علي قال : سمعت أم ولد أحمد بن حنبل تقول : لما أخذني الطَّلْقُ كان مولاي نائماً ، فقلت له : يامولاي ها هو ذا أموت ، فقال : يفرج الله ، فما هو إلا أن قال : يفرج الله ، فولدت سعيداً ، قال : هاتوا ذلك التمر - تمر كان عندنا من مكة - فقال لأم علي : امضغي هذه التمر وحنكيه ، ففعلتُ .

٤ - استحباب حلق رأس المولود :

ومن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود استحباب حلق رأسه يوم سابعه ، والتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء والمستحقين .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : حكمة صحية :

لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له ، وفتحاً لمسام الرأس ، وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع[١] .

الثاني : حكمة اجتماعية :

لأن التصدق بوزن شعره فضة ، ينبوع آخر من ينابيع التكافل الاجتماعي ، وفي ذلك قضاء على الفقر ، وتحقيق لظاهرة التعاون والتراحم والتكافل في ربوع المجتمع .

---

(١) قاله ابن القيم في كتاب (تحفة المودود) .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب الحلق ، والتصدق بوزن الشعر فضة هي مايلي :

روى الإمام مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر الحسن والحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، قال : عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن شاة ، وقال : يافاطمة ، احلقي رأسه ، وتصدقي بزنة شعره فضة ، فوزنته ، فكان وزنه درهماً أو بعض درهم .

وروى يحيى بن بكير : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أمر بحلق رأس الحسن والحسين يوم سابعهما فحُلِقا ، وتصدّق بوزنه فضة .

ويتفرع عن الحلق مسألة القَزَع ، ومعناه حلق بعض رأس الصبي، وترك بعضه .

وجاء النهي عنه صريحاً ، في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (نهى رسول الله ﷺ عن القزع) .

والقَزَع الذي يشمله النهي أربعة أنواع :

أحدها : أن يحلق من رأسه مواضع من ههنا وههنا .
الثاني : أن يحلق وسطه ويترك جوانبه .
الثالث : أن يحلق جوانبه ويترك وسطه .
الرابع : أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره .

وهكذا كله – كما يقول ابن القيم رحمه الله – من كمال محبة الله ورسوله للعدل ، فإنه أمر به حتى في شأن الإنسان مع نفسه ، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه ، لأنه ظلم للرأس حيث ترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً . ونظير هذا أنه نهى عن الجلوس بين الشمس والظل ، فإنه ظلم لبعض بدنه . ونظيره أيضاً أنه نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة ، بل إما أن ينعلهما أو يحفيهما » اهـ .

وهناك حكمة أخرى : أن رسول الإسلام صلوات الله عليه وسلامه ، حريص على أن يظهر المسلم في المجتمع بمظهر لائق في مظهره وهندامه . وحلق بعض الرأس وترك بعضه ، يتنافى مع وقار المسلم وجماله ؛ ثم بالتالي يتنافى مع الشخصية الإسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل والمعتقدات ، وعن سائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال .

* * *

فمما يؤسف له أن كثيرا من الآباء والمربين يجهلون هذه الأحكام جهلاً تاماً ، بل نجد الكثير منهم ، حينما نتعرض لها ، ونحدثهم بها ، تظهر منهم أمارات التعجب والاستغراب ، لكونهم ما ألفوها ، ولم يروا من يطبقها ، ويعمل بها ، إلا من رحم ربك .

وأريد أن أهمس في أذن هؤلاء ، إن الجهل ليس بعذر في شريعة الإسلام ، وأن المقصر فيما يجب أن يعرفه عن أمور دينه ، وتربية أولاده ، لا ينجيه عن تحمل المسؤولية يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وهذه الأحكام التي ذكرناها آنفاً هي وإن كانت من قبيل المستحبات والمندوبات ، فيجب العمل بها ، وتطبيقها بحذافيرها في أسرنا ، في أولادنا ، في أهلنا وأقربائنا وذوينا . لأننا إذا تساهلنا في المستحب سيؤدي بنا حتماً إلى التساهل في

الواجب ، ثم إلى التساهل في الفروض ، ثم إلى التساهل في الإسلام كله . وفي النهاية يقع المسلم الظاهري في حبائل الكفر الصراح ، ويتيه في متاهات الضلال المبين ، ويكون قد انسلخ من دينه وإسلامه !. ألا فليأخذ المربون بهذه الأحكام ، وليطبقوا على أولادهم هذه المستحبات واحدة بعد واحدة ، ليحظوا برضى الله سبحانه ، ويتحققوا بالإسلام قولاً وعملاً عسى الله سبحانه أن ينصرهم على أعدائهم ، ويعيد لهم مجدهم الدائر وكرامتهم المهيضة ، وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

المَبْحَثُ الثاني

تسمية المولود وَأحكامُهَا

من العادات الاجتماعية المتبعة ، أن المولود حين يولد يختار له أبواه اسماً يُعْرَف به ، ويتميز لدى القاصي والداني بسببه . والإسلام بتشريعه المتكامل اعتنى بهذه الظاهرة ، واهتم لها ، ووضع من الأحكام مايشعر بأهميتها ، والاعتناء بها ، حتى تعلم أمة الإسلام كل مايتعلق بالمولود ، وكل مايرفع من شأنه ، ويتصل بتربيته .

وإليكم أهم هذه الأحكام التي وضعها الإسلام في تسمية المولود :

١ - متى يسمى الولد ؟-

روى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه » .

فهذا الحديث يقضي أن تكون التسمية في اليوم السابع .

وهناك أحاديث أخرى صحيحة تفيد أن تكون التسمية في يوم الولادة منها :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن الساعدي قال : أتي بالمنذر بن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ حين ولد ، فوضعه النبي ﷺ على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهى

النبي ﷺ بشيء بين يديه ، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتُمل من على فخذ النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد قلبناه يارسول الله (أي أرجعناه) ، فقال : ما اسمه ؟ قال : فلان ، قال : لا ولكن اسمه المنذر .

وفي صحيح مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وُلد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » .

فيؤخذ من هذه الأحاديث المتقدمة : أن في الأمر سعة ، فجاز تعريفه وتسميته في اليوم الأول من ولادته ، وجاز التأخير إلى ثلاثة أيام ، وجاز إلى يوم العقيقة وهو اليوم السابع ، وجاز قبل ذلك ، وجاز بعده .

٢ – مايستحب من الأسماء وما يكره :

● إن مما يجب أن يهتم به المربي عند تسمية الولد ، أن ينتقي له من الأسماء أحسنها وأجملها ، تنفيذاً لما أرشد إليه ، وحض عليه وأمر به نبينا عليه الصلاة والسلام .

فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبدالله وعبد الرحمن » .

● كما عليه أن يجنبه الاسم القبيح الذي يمس كرامته ، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه . فهذا رسول الله ﷺ – كما روى الترمذي عن عائشة – : (كان يغير الاسم القبيح) .

وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ جميلة .

قال أبو داود : غيّر رسول الله ﷺ اسم العاصي ، وعزيز وعتلة[1] ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب[2] . وسمي حرباً : سلماً ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وبني الزّنية سماهم : بني الرِّشدة ، وسمي بني مُغوية : بنى رِشدة . قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصاراً .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم ، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها .

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال : أتيت إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : ما اسمك ؟ قلت : حَزْن[3] ، فقال : أنت سهل ، قال : لا أغير اسماً سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت تلك الحزونة[4] فينا بعد .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمْرَة ؛ قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممّن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : بحرّة النار ، قال : بأيّتها ؟ قال : بذات لظى ، قال عمر : أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا . فكان كما قال عمر رضي الله عنه .

---

(١) عتلة : الشدة والغلظة .

(٢) الحباب : نوع من الحيات ، وقيل : اسم شيطان .

(٣) الحزن : ماغلظ من الأرض وهي ضد السهل .

(٤) يقصد بالحزونة : الغلظة .

كما عليه أن يجنبه الأسماء المختصة بالله سبحانه ، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرزاق ... ولا بغيرها .

قال أبو داود في سننه : إن هانئاً لما وفد على رسول الله ﷺ إلى المدينة مع قومه ، كانوا يكنّونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله ﷺ وقال له : إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم ، فلِمَ تكنى أبا الحكم ؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين ، فقال رسول الله ﷺ : ما أحسن هذا . فما لك من الولد ؟ قال : لي شريح ، ومسلم ، وعبد الله ، فقال : فمَنْ أكبرهم ؟ قال : شريح ، قال : فأنت أبو شريح .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُه : رجل تسمّى مَلِكَ الأملاك ، لا ملك إلا الله » .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل حتى لايحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا ، كالتسمية بأفلح ونافع ، ورباح ، ويسار .

روى مسلم وأبو داود والترمذي ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحانه الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ؛ لاتُسمِّيَنَّ غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجيحاً ، ولا أفلح . فإنك تقول : أثَمّ هو[1]؟ فلا يكون ، فيقول : لا[2] ، إنما هن أربع فلا تزيدُنّ علي .

وروى ابن ماجه مختصراً ولفظه : « نهانا رسول الله ﷺ أن نسمي رقيقنا أربعة أسماء : أفلح ، ونافع ، ورباح ، ويسار » .

---

(١) أثم هو : أهناك يسار مثلاً .

(٢) فلما يقال : لا ، يحصل كدر من قبح الجواب .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء المعبّدة لغير الله ، كعبد العزى ، وعبد الكعبة ، وعبدالنبي ، وماشابهها ، فإن التسمية بهذه محرمة باتفاق .

أما قوله عليه الصلاة والسلام في غزوة حنين : (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب) ، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية وابتدائها – كما يقول ابن القيم – وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذى عرف به المسمى دون غيره ، ولاسيما في المواقف التي فيها تحدٍّ للعدو كموقف النبي ﷺ ، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم ؛ فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون أمام النبي ﷺ أسماء قبائلهم : كبني عبد مناف ، وبني عبد شمس ، وبنى عبد الدار ، ولا ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام .

وصفوة القول أنه يجوز في الإخبار ما لا يجوز في الابتداء والإنشاء .

● وأخيراً عليه أن يجنبه الأسماء التي فيها تميّع وتشبه وغرام ، كاسم : هيام ، وهيفاء ، ونهاد ، وسوسن ، وميادة ، وناريمان ، وغادة ، وأحلام ، وماشابهها . لماذا ؟ حتى تتميز أمة الإسلام بشخصيتها ، وتعرف بخصائصها وذاتيتها . وماهذه الأسماء إلا فقدان لكيانها ، وانحدار لاعتبارها ، وتحطيم لمعنوياتها . ويوم تصل الأمة الإسلامية إلى هذا المستوى من التدني والانحدار ، تتمزق إلى قطع وأوصال ، ويسهل على كل عدو مغتصب أن يستحل أرضها ، ويجعل أعزة أهلها أذلة ، كما هو حالنا اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا عجب أن يحض الرسول صلوات الله عليه وسلامه أمة الإسلام في أن يتسموا بأسماء الأنبياء وبعبد الله ، وعبدالرحمن ، وما شابهها من الأسماء المعبّدة لله . حتى تتميز الأمة المحمدية على غيرها من الأمم ، في كل مظاهر حياتها لتكون دائما خير أمة أخرجت للناس ، تهدي البشرية إلى نور الحق ومبادىء الإسلام .

فقد روى أبو داود والنسائي : عن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن ؛ وأصدقها : حارث ، وهمام ؛ وأقبحها : حرب ، ومرّة »[1] .

٣ - من السنة تكنية المولود بأبي فلان :

من المبادىء التربوية التي وضعها الإسلام في تربية المولود ، تكنية المولود بأبي فلان ؛ ولهذه التكنية آثار نفسية رائعة ، وفوائد تربوية عظيمة ، وهي كما يلي :

- تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد ، ومنه قول الشاعر :

أكنّيه حين أناديه لأكرمه
ولا ألقّبه والسوءة اللقبُ

- تنمية شخصيته الاجتماعية ، لاستشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار ، وسن الاحترام .

- تعويده أدب الخطاب للكبار ، ولمن كان في سنه من الصغار .

لهذه الفوائد الجليلة ، والاعتبارات العظيمة ، كان صلوات الله وسلامه عليه يكنّي الأطفال ، ويناديهم بها ، تعليماً للمربين وإرشاداً لهم ، حتى ينهجوا نهجه ، ويسلكوا طريقه في تكنية أولادهم ، ومناداتهم بها .

جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير ، وكان النبي ﷺ إذا جاءه

---

(١) مرة : قوة وشدة وبطش .

يقول له : (يا أبا عُمَيْر ، مافعل النُّغَيْر؟)[١] ، قال الراوي : أظنه كان فطيماً .

وأذن النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن تكتني بأم عبدالله وعبدالله هو عبدالله ابن الزبير ، وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً .

وكان أنس يكتنى قبل أن يولد له بأبي حمزة ، وأبو هريرة كان يكنى بذلك ولم يكن له ولد إذ ذاك .

ويجوز تكنية الرجل الذي له أولاد باسم غير اسم أولاده ؛ فهذا أبو بكر رضي الله عنه يكنى بأبي بكر ، ولم يكن له ولد اسمه بكر ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكني بأبي حفص ، ولم يكن له ولد اسمه حفص ؛ وكذلك أبو ذر رضي الله عنه كان يُكنى بأبي ذر ، ولم يكن له ولد اسمه ذر ،وكذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يُكنى بأبي سليمان ، ولم يكن له ولد اسمه سليمان . وهذا أكثر من أن يُحصى .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن تكنية المولود أمر مستحب ، وكذلك تكنية الكبار ، ولا يلزم من جواز التكنية أن يكون للمكني ولد ، ولا أن يُكنى باسم ذلك الولد .

● ● ●

ويتفرع عن التسمية والتكنية أمور نرتبها فيما يلي :

(أ) في حال عدم اتفاق الأبوين على تسمية الوليد فالتسمية من حق الأب : فالأحاديث التي سبق ذكرها في أول البحث وبعده تفيد أن التسمية من حق الأب .

---

(١) النغير : طائر كان يلعب به .

والقرآن الكريم قد صرح بأن الولد ينسب لأبيه لا لأمه ، فيقال له فلان بن فلان . قال تعالى :

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾

(الأحزاب : ٥)

ولقد مر حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » .

(ب) لا يجوز للأب ولا لغيره أن يلقب الولد بألقاب ذميمة : كالقصير ، والأعور ، والأخرس ، وخنفساء ، وما شابهها ... لشمول النهي في قوله تعالى :

﴿ ولاتنابزوا بالألقاب ﴾

(الحجرات : ١١)

لما لهذه الألقاب الذميمة من أثر كبير في انحراف الولد النفسي والاجتماعي ، وسنتوسع في هذا البحث في مبحث (مسؤولية التربية النفسية) في باب (المسؤوليات) إن شاء الله .

(ج) هل يجوز التكنية بأبي القاسم :

أجمع العلماء بتسمية الأولاد باسم النبي ﷺ وسلم ، للحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمداً ، فقال له قومه : لاندعك تسمي باسم رسول الله ﷺ ، فانطلق بابنه حامله على ظهره ، فقال يارسول الله : ولد لي غلام ، فسميته محمداً ، فقال قومي : لاندعك تسمي باسم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « تسموا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم » .

أما التكني بكنيته عليه الصلاة والسلام ، فقد ذهب الأئمة المجتهدون ، مذاهب مختلفة ، وأقوال عدّة ، وإليكم هذه الأقوال ، ثم الراجح منها .

الأول : الكراهة مطلقاً ، وحجتهم في ذلك الحديث السابق الذي مر ذكره . وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « تسموا باسمي ، ولاتكنّوا بكنيتي » ، وقد قال بهذا الرأي الإمام الشافعي .

الثاني : الإباحة مطلقاً ، واحتجوا بما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت ، جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يارسول الله ، إني قد ولدتُ غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذُكِر لي : أنك تكره ذلك ؛ فقال : ما الذي أحل اسمي ، وحرم كنيتي ؟

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا محمد بن الحسن عن أبي عوانة عن المغيرة عن إبراهيم قال : كان محمد بن الأشعث ابن أخت عائشة ، وكان يكنى أبا القاسم

وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري قال : أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم : محمد بن طلحة بن عبدالله ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص .

وسئل الإمام مالك : عمّن اسمه محمد ، ويكنى بأبي القاسم ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نهي ، ولا أرى بذلك بأساً .

وهذه الطائفة التي قالت بالإباحة مطلقاً حملت أحاديث النهي على أنها منسوخة .

الثالث : لا يجوز الجمع بين الكنية والاسم كأن يسمي ولده محمداً ويكنيه بأبي القاسم في وقت واحد .

أما إفراد التسمية أو التكنية فإنه جائز .

وحجة هذه الطائفة لما رواه أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي » . ولما رواه ابن أبي شيبة عن عبدالرحمن عن أبي عمرة عن عمه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي » . ولما رواه ابن أبي خيثمة : أن محمد بن طلحة لما ولد ، أتى طلحة النبي ﷺ فقال : اسمه محمد ، أكنيه أبا القاسم ؟ فقال : لاتجمعهما له ، هو أبو سليمان .

الرابع : النهي عن التكنية مخصوص بحياته ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا بأس بها .

واحتجت هذه الطائفة بما رواه أبو داود في سننه عن منذر عن محمد بن الحنفية قال قال علي رضي الله عنه : إن وُلد لي بعدك ولد أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم .

وقال حميد بن زنجويه في كتاب الأدب : سألت ابن أبي أويس ما كان (مالك) يقول في رجل يجمع بين كنية النبي ﷺ واسمه ؟ فأشار إلى شيخ جالس معنا ، فقال : هنا (محمد بن مالك) سماه أبوه محمداً ، وكناه أبا القاسم ، وكان يقول — أي الإمام مالك — : إنما نهي ذلك في حياة النبي ﷺ كراهة أن يدعى أحد باسمه وكنيته ، فيلتفت النبي ﷺ ، فأما اليوم — أي بعد وفاته — فلا بأس بذلك .

ولعل القول الرابع هو القول الأرجح للمعقولية التي قالها الإمام مالك ، وللأحاديث النبوية التي أفادت ذلك .

وعلى هذا يجوز التسمية باسم النبي ﷺ ، ويجوز التكنية بكنيته ، لأن الأحاديث التي تفيد النهي مختصة بحياته خشية الالتباس وقت النداء بشخصية المخاطب ، وشخصية النبي ﷺ ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا التباس ، فدل ذلك على الجواز ، ومما يؤكد الجواز أيضا حديث الزهري الذي سبق ذكره أنه أدرك أربعة من أبناء الصحابة ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم ، والله أعلم .

فما على الآباء والأمهات – بعد الذي علموه في هذا الفصل – إلا أن ينهجوا الطريق الأقوم في تسمية أولادهم ، وأن يجنبوهم الأسماء التي تحط من أقدارهم ، وتمس بكرامتهم ، وتحطم من شخصياتهم ومعنوياتهم . وعليهم كذلك أن يتأسوا بالنبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، في تكنية أولادهم منذ الصغر بكنية حبيبة إلى قلوبهم ، لطيفة إلى أسماعهم ، حتى يشعروا بشخصيتهم ، وتنمو في نفوسهم روح المحبة والتكريم لذواتهم ، وحتى يعتادوا الأدب العالي مع من حولهم في الخطاب ، وملاطفة الأقران .

فما أحرانا أن نأخذ جميعاً بأسس هذه التربية الفاضلة ، وأن نسير على مبادىء هذا المنهج الإسلامي العظيم ، إن أردنا أن نعيد لأنفسنا وأمتنا المجد الدائر ، والكيان الكبير ، وما ذلك على الله بعزيز ، إن أخلصنا وطبقنا ، والتزمنا الإسلام تشريعاً وتربية ومنهاجاً .

★ ★ ★

المَبحثُ الثالثُ

عَقيقَة المولُود وَأحكامُهَا

١ – مامعنى العقيقة ؟

العقيقة في اللغة : معناها القطع ، ومنه عقّ والديه إذا قطعهما ، ومنه قول الشاعر :

بلاد بها عقّ الشباب تمائمي   وأول أرض مسّ جلدي ترابها

يريد أنه لما أصبح شاباً قطعت عنه تمائمه .

ومعناه في الاصطلاح الشرعي : ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته .

٢ – دليل مشروعيتها :

الأحاديث التي تؤكد مشروعية العقيقة ، وتبين وجه الاستحباب والسنّة فيها كثيرة ومستفيضة ، نجتزىء منها مايلي :

روى البخاري في صحيحه عن سلمان بن عمار الضبي قال : قال رسول الله ﷺ : « مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل غلام رهينة بعقيقته[1] ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويُسمّى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عن الغلام شاتان مكافئتان[2] ، وعن الجارية شاة » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة : « عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة ، ولايضركم ذكراناً كنّ أو إناثاً » أي الذبائح .

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحسن عن سمرة : أن النبي ﷺ قال في العقيقة : « كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ، ويسمى » .

٣ – آراء الفقهاء في وجه مشروعيتها :

ذهب الفقهاء والأئمة المجتهدون مذاهب ثلاثة في وجه مشروعيتها :

الأول – السنية والاستحباب : وهم الإمام مالك ، وأهل المدينة ، والإمام الشافعي وأصحابه ، والأمام أحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وجماعة كثير عددهم من أهل الفقه والعلم والاجتهاد . وحجتهم هذه الأحاديث التي سبق ذكرها ، وردوا على مَنْ ذهبوا أنها واجبة بعدة أقوال :

---

(١) المراد أن العقيقة لازمة له لابد منها .

(٢) مكافئتان : أي مستويتان في السن ، ومتشابهتان في الشكل .

● لو كانت واجبة لكان وجوبها معلوماً من الدين ، لأن ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، وتعم به البلوى ، ولبين رسول الله ﷺ وجوبها للأمة بياناً عاماً كافياً تقوم به الحجة ، وينقطع معه العذر .

● وقد علق رسول الله ﷺ أمر العقيقة بمحبة فاعلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ وُلد له ولد فأحب أن يُنسك عنه فليفعل » .

● وفعله صلوات الله عليه لها لا يدل على الوجوب ، وإنما يدل على الاستحباب .

الثاني – التحتيم والوجوب : وهم الإمام الحسن البصري ، والليث بن سعد ، وغيرهما . وحجتهم في ذلك ماورواه بريدة ، وإسحق بن راهويه : (أن الناس يعرضون يوم القيامة على العقيقة كما يعرضون على الصلوات الخمس) . واستدلوا كذلك بحديث الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كل غلام مرتهن بعقيقته » . ووجه الاستدلال : أن الولد محبوس عن الشفاعة لوالديه حتى يَعق عنه ، فهذا مما يؤيد الوجوب .

الثالث – إنكار مشروعيتها : وهم فقهاء الحنفية .

وحجتهم في ذلك حديث رواه البيهقي ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ سئل عن العقيقة ، فقال : (لا أحب العقوق) .

واستدلوا كذلك بحديث رواه الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، أن الحسن بن علي أرادت أمه فاطمة رضي الله عنه أن تعق عنه بكبشين ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تعقي ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورق . أي من الفضة – ، ثم ولد الحسين ، فصنعت مثل ذلك » .

ولكن ظاهر الأحاديث التي سبق ذكرها تؤكد جانب السنّة والاستحباب في العقيقة ، وهذا ماذهب إليه جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم والاجتهاد .

وقد أجابوا على الأحاديث التي استدل بها فقهاء الحنفية في إنكارهم مشروعية العقيقة بقولهم : إن الأحاديث التي استدلوا بها ليست بشيء ، ولا تصلح دليلاً على إنكار مشروعية العقيقة . أما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لا أحب العقوق » فسياق الحديث وأسباب وروده يدل على أن العقيقة سنة ومستحبة ، فإن لفظ الحديث هكذا : سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال : لا أحب العقوق ، وكأنه كره الاسم - أي كره أن تسمى الذبيحة بالعقيقة[1] فقالوا يارسول الله : إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد ، فقال : « من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاة » .

وأما استدلالهم بحديث أبي رافع : « لاتعقي ولكن احلقي رأسه ... » فإنه لا يدل على كراهية العقيقة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أحب أن يتحمل عن ابنته فاطمة رضي الله عنها العقيقة ، فقال لها : « لاتعقي ... » ، لكونه عقّ عليه الصلاة والسلام عنهما ، وكفاها المؤنة . ومما يؤكد أنه عليه الصلاة والسلام عقّ عنهما كثرة الأحاديث المروية في هذا الشأن ، نذكر منها مايلي :

- روى أبو داود عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

---

(١) استدل طائفة من الفقهاء من ظاهر هذا الحديث استبدال كلمة العقيقة بالنسيكة ، لكراهيته عليه الصلاة والسلام اسم العقيقة وقالت طائفة أخرى لايكره ذلك ، ورأوا إباحته للأحاديث الكثيرة المستفيضة في تسمية الذبيحة بالعقيقة .

والتوفيق بين الرأيين : أن يستعمل المسلم كلمة النسيكة ويجعلها هي الأصل ، وإذا استعمل كلمة العقيقة في بعض الأحيان للتوضيح وبيان الحكم وإظهار المراد فلا بأس في ذلك ، وعلى هذا تتفق الأحاديث .

– وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشين .

– وذكر يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت : عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع .

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم : أن العقيقة عن المولود سنة مستحبة عند جمهور الأئمة والفقهاء . فعلى الأب إن ولد له مولود وكان مستطيعاً قادراً أن يُحيي سنة رسول الله ﷺ ، حتى يحظى بالفضيلة والأجر عند الله سبحانه ؛ وحتى يزيد من معاني الإلفة والمحبة والروابط الاجتماعية ، بين الأهل والأقرباء والجيران والأصدقاء جميعاً ، وذلك حينما يحضرون وليمة العقيقة ابتهاجاً بالمولود ، وفرحاً بقدومه . وحتى يساهم كذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي ، وذلك حينما يُشرك في الانتفاع بالعقيقة بعض ذوى الحاجة والحرمان من الفقراء والمساكين .

فما أعظم الإسلام ، وما أسمى مبادئه التشريعية في زرع الإلفة والمحبة في المجتمع ، وفي بناء العدالة الاجتماعية في الطبقات الفقيرة والمحرومة .

٤ – الوقت الذي يستحب فيه العقيقة :

سبق أن ذكرنا حديث سمرة : « الغلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم السابع ويسمّى » . فهذا الحديث يفيد أن وقت الاستحباب لذبح العقيقة هو اليوم السابع ، ومما يؤكد ذلك حديث عبدالله بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : (عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع ، وسماهما ، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى) .

ولكن هناك أقوالا تفيد أن التقيد باليوم السابع ليس من باب الإلزام . وإنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو مابعده ، أجزأت العقيقة .

وإليكم أظهر هذه الأقوال :

– قال الميموني : قلت لأبي عبد الله : متى يعق عن الغلام ؟ قال : أما عائشة رضي الله عنها فتقول : (سبعة أيام ، وأربعة عشر ، ولأحد وعشرين) .

– قال صالح بن أحمد : قال أبي في العقيقة : (تذبح يوم السابع ، فإن لم يفعل ففي أربعة عشر ، فإن لم يفعل ففي أحد وعشرين) .

– وقال الإمام مالك : (والظاهر أن التقيد باليوم السابع إنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذُبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو مابعده ، أجزأت العقيقة) .

والذى نخلص إليه بعدما تقدم : أن الأب إذا تيسر له أن يذبح العقيقة في اليوم السابع يكون أفضل لفعل النبي ﷺ ، وإن لم يتيسر له ذلك جاز فى أى يوم من الأيام ، كما قال الإمام مالك .

إذن ففي الأمر سعة ، وفي ذبح العقيقة تيسير ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ (البقرة : ١٨٥) ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (الحج : ٧٨)

٥ – هل عقيقة الذكر مثل الأنثى ؟

سبق أن ذكرنا أن العقيقة سنة مستحبة على رأي جمهور أهل العلم من المجتهدين والفقهاء ، وهي سنة مستحبة عن الذكر والأنثى على السواء .

للحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال : (عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة) .

وللحديث الذي رواه ابن أبي شيبة من حديث عائشة « أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نعق عن الغلام بشاتين ، وعن الجارية شاة » . إلى غير ذلك من الأحاديث التي سبق ذكرها في دليل المشروعية .

فهذه الأحاديث بجملتها تفيد شيئين أساسيين :

الأول أن الذكر مثل الأنثى في مشروعية العقيقة .
الثاني : المفاضلة بينهما : للذكر شاتان ، وللأنثى شاة واحدة .

وهذه المفاضلة هي ماتدل عليه ظواهر الأحاديث ، وهي مذهب ابن عباس ، وعائشة ، وجماعة من أهل العلم والحديث .

ومذهب الإمام مالك أن عقيقة الذكر شاة ، والأنثى شاة ؛ ولما سئل كم يُذبح عن الغلام والجارية ؟ أجاب بقوله : (يذبح عن الغلام شاة واحدة ، وعن الجارية شاة) . احتج على مذهبه بالأحاديث التالية :

– روى أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن والحسين كبشاً .

– وروى جعفر بن محمد عن أبيه : أن فاطمة ذبحت عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

– وقال الإمام مالك : (وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، يعق عن الغلمان والجواري من ولده شاة شاة) .

وصفوة القول : أن من أغدق الله عليه من رزقه وإنعامه ، فليْعقّ عن الذكر شاتين ، وعن الأنثى شاة واحدة ، لما ثبت عن رسول الله ﷺ في أمر المفاضلة

بينهما ، ومن كانت أحواله المادية في حدود الوسط ، أو دون الوسط ، فيجزئه عن الذكر شاة ، وعن الأنثى شاة ، وإذا فعل ذلك يكون محظياً بالأجر ، متحققاً بالسنة ، والله أعلم .

الرد على اعتراض : رب معترض يقول : لِمَ فرق الإسلام بين الذكر والأنثى في أمر المفاضلة في العقيقة ، ولِمَ كان هذا التمايز والتفاضل ؟

والرد على هذا الاعتراض من وجوه :

١ – المسلم مستسلم لكل ما أمر الإسلام به ، ومانهى عنه ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾
(النساء : ٦٥)

وبما أن المفاضلة في العقيقة ثبتت عن رسول الله ﷺ ، فالمسلم لايسعه إلا التسليم والتنفيذ .

٢ – ولعل وجه الحكمة والمعقولية في هذه المفاضلة ، إظهار الرجل على المرأة بما وهبه الله من القوة الجسمانية ، وبما كلفه من حق القوامة والمسؤولية ، وبما خصه به من الاتزان والانضباط العاطفي ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ...﴾ . (النساء : ٣٤)

٣ – تأكيداً لزرع الإلفة والمحبة لاجتماع الناس على عقيقة المولود ، ثم بالتالي تقوية لروافد التكافل الاجتماعي بين الطبقات الفقيرة ، والأسر المحرومة .

٦ – كراهية كسر عظم العقيقة :

من الأمور التي يجب مراعاتها في عقيقة المولود ألاّ يكسر من عظم الذبيحة شيئاً ، سواء حين الذبح أو عند الأكل . بل يقطع كل عظم من مِفصله بلا كسر ، للحديث الذي رواه أبو داود عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين : أن ابعثوا إلى القابلة منها برجل ، وكلوا وأطعموا ، ولاتكسروا منها عظماً . وروى ابن جريج عن عطاء كان يقول : تُقطع جدولاً[1] ، ولا يكسر لها عظم . وروى ابن المنذر عن عطاء عن عائشة مثله .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : إظهار شرف هذا الإطعام أو الإهداء ، في نفوس الفقراء والجيران ، وذلك في تقديم القطع التامة الكبيرة ، التي لم يُكسر من عظامها عظم ، ولا ينقص من أعضائها شيء . ولا ريب أن هذا التصرف أجلّ موقعاً ، وأعظم في باب الجود والإكرام في نفوس المهدَى لهم .

الثاني : تيمّناً وتفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود وصحتها وقوتها ، لكون العقيقة جرت مجرى الفداء للمولود ، والله أعلم .

٧ – أحكام عامة تتعلق بالعقيقة :

هناك أحكام عامة تتعلق بالعقيقة يجب مراعاتها ، وهي على الترتيب التالي :

---

(١) تقطع جدولاً : أي تقطع أعضاء .

(أ) أجمع العلماء أنه لايجوز في العقيقة إلا ما يجوز في الأضحية . والذى يجوز في الأضحية[1] هو مايلي :

١ – أن يكون عمرها سنة ودخلت في السنة الثانية إذا كانت من الضأن أو المعز ، وإذا كان الضأن كبير الجسم سميناً ، فإنها تصح به إذا بلغ ستة أشهر ، بشرط أنه إذا خلط بما له سنة لايمكن تمييزه منه . وأما المعز فإنها لاتصح به إلا إذا بلغ سنة ودخل في السنة الثانية على كل حال .

٢ – أن تكون الأضحية سليمة من العيوب . وعلى هذا لاتصح الأضحية بالعمياء ، ولا بالعوراء ، ولا بالعجفاء (وهي المهزولة التي لا مخ في عظامها) ، ولا بالعرجاء (التي لاتستطيع المشي إلى المذبح) . وكذلك لاتصح بمقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها . ولاتصح بالهتماء (التي ذهب أكثر أسنانها) ، ولاتصح بالسكاء وهي (التي لا أذن لها بحسب الخلقة) ، ولا بالتولاء (وهي المجنونة التي يمنعها جنونها من الرعي) .

أما ماعدا ذلك من العيوب التافهة فإنها تجوز ، كأن تكون مشقوقة الأذن ، أو مكسورة القرن ، أو مصابة بالعرج الذي تستطيع المشي معه ، كأن تمشي بثلاث قوائم وتضع الرابعة على الأرض لتستعين بها على المشي ، أو مصابة بجنون لم يمنعها من الرعي ، أو ذهب بعض أسنانها ولكن الأكثر موجودة ، أو كانت مقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية وبقي الثلثان وذهب الثلث فقط . كل ذلك لا يمنع من الأضحية بها .

٣ – أما الأضحية بالبقر والجاموس فلا تصح إلا إذا بلغ سنتين ودخل في السنة الثالثة ، وأما التضحية بالإبل فلا تصح إلا إذا بلغت خمس سنين ودخلت في السنة السادسة .

---

(١) أحكام الأضحية المذكورة هي على مذهب أبي حنيفة .

(ب) لا يصح الاشتراك فيها : كأن يشترك سبعة على جمل مثلا ، لأنه لو صح الاشتراك فيها لما حصل المقصود من إراقة الدم عن الولد ، ولما كانت الذبيحة بالتالي فداءً عن المولود .

(ج) يصح أن يذبح عن الغنم بالإبل أو البقر ، بشرط أن يكون الذبح بأحدهما عن مولود واحد .

لما روى ابن القيم عن أنس بن مالك : انه كان يعق عن ولده بالجزور .

وعن أبي بكرة أنه نحر عن ابنه عبدالرحمن جزوراً ، فأطعم أهل البصرة .

وبعض أهل العلم ذكر أنه لاتصح العقيقة إلا بالغنم للأحاديث الواردة .

ولكن حجة من أجاز العقيقة بالإبل والبقر ، مارواه ابن المنذر عن النبي ﷺ أنه قال : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً » ، ولم يذكر الرسول ﷺ دماً دون دم ، فما ذُبح عن المولود على ظاهر الحديث فإنه يجزىء ، سواء كانت الذبيحة غنما أو بقراً أو إبلاً .

(د) يصح في العقيقة مايصح في الأضحية : من ناحية الأكل منها ، والتصدق ، والإهداء ، ويزاد بإهداء جزء منها إلى القابلة لإدخال السرور عليها ، للحديث الذي رواه البيهقي : عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر فاطمة رضي الله عنها ، فقال : « زني شعر الحسين ، وتصدقي بوزنه فضة ، وأعطي القابلة رِجْل العقيقة » .

ومن أراد أن يولم على العقيقة ، ويدعو من أحب لحضور الطعام فلا بأس في ذلك ، وقد أجاز ذلك كثير من الفقهاء لما ينشر في المجتمع المسلم من أجنحة ،

الألفة ، والمحبة ، والأخوّة .. بين الأهل والأصدقاء والجيران .. وهذا ما يحرص عليه الإسلام في تماسك وحدة الأمة ، لتكون دائماً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

(هـ) يستحب أن تذبح العقيقة على اسم المولود : لما روى ابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي ﷺ : « اذبحوا على اسمه (أي على اسم المولود) فقولوا : بسم الله ، اللهم لك وإليك ، هذه عقيقة فلان » . وإن نوى الذابح العقيقة ولم يذكر اسم المولود ، أجزأت وحصل المقصود .

٨ – ما الحكمة التشريعية من العقيقة ؟

يكفي العقيقة فائدة وحكمة أنها :

- قربان يتقرب منها المولود إلى الله في أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة .

- فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات ، كما فدى الله اسماعيل عليه السلام بالذبح العظيم .

- فكاك لرهان المولود في الشفاعة لوالديه .

- إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الإسلام ، وبخروج نسمة مؤمنة ، يكاثر بها رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة .

- تمتين لروابط الإلفة والمحبة بين أبناء المجتمع ، لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد .

- إرفاد موارد التكافل الاجتماعي برفد جديد ، يحقق في الأمة مبادىء العدالة الاجتماعية ، ويمحو في المجتمع ظواهر الفقر والحرمان والفاقة .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد والثمرات .

وبالمناسبة يجدر بك – أيها القارىء – أن تعرف أنواع الأطعمة والولائم التي شرعها الإسلام في أوقات مخصوصة ، وفي أيام المناسبات ، وهي كما يلي :

١ – **القِرى** : طعام الضيفان .
٢ – **التحفة** : طعام الزائر .
٣ – **الخُرْس** : طعام الولادة .
٤ – **المأدُبة** : طعام الدعوة .
٥ – **الوليمة** : طعام العرس .
٦ – **العقيقة** : طعام المولود في اليوم السابع .
٧ – **الغديرة** : طعام الختان .
٨ – **الوضيمة** : طعام المأتم .
٩ – **النقيعة** : طعام القادم من سفره .
١٠ – **الوكيرة** : طعام الفراغ من البناء .

• • •

المبحثُ الرّابع

خِتَانُ المَوْلُود وَأحْكامُه

١ – معنى الختان لغةً واصطلاحاً :

الختان في اللغة معناه : قطع القُلْفَة (أي الجلدة) التي على رأس الذَّكر .

وفي الاصطلاح الشرعي : هو الخرْف المستدير على أسفل الحشفة ، أي موضع القطع من الذكر ، وهو الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية ، كما روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن النبي عليه الصلاة والسلام « إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسْلُ » .

وفي رواية الطبراني « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغُسْلُ ، أنزل أو لم يُنزل » .

٢ – الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان :

الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان كثيرة نجتزئ منها مايلي :

– روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : من الفطرة[١] : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، والاستحداد[٢] ، والاختتان » .

– وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط » .

٣ – هل الختان واجب أم سنة ؟

اختلف الفقهاء في أمر الختان هل هو واجب أم سنة ؟

فالذين قالوا بسنيته : الإمام الحسن البصري ، والإمام أبو حنيفة ، وبعض الحنابلة .

وحجتهم في ذلك : مارواه الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال : « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » .

وحجتهم كذلك : أن الرسول ﷺ قرن الختان في الحديث بالمسنونات كتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وغيرها ، فدل على أن الختان سنة وليس بواجب .

---

(١) الفطرة فطرتان : فطرة إيمانية تتعلق بالقلب وهي معرفة الله والإيمان به ؛ وفطرة عملية وهي هذه الخصال المذكورة في الحديث . فالأول تزكي الروح ، وتطهر القلب ، والثانية تطهر البدن ، وتزين المظهر ، فكان رأس فطرة البدن (الختان) .

(٢) الاستحداد : حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج .

وحجتهم أيضاً : ماقاله الإمام الحسن البصري : (قد أسلم مع رسول الله ﷺ الناس : الأسود ، والأبيض ، والرومي ، والفارسي ، والحبشي .. فما فتش أحداً منهم) ، فلو كان الختان واجباً لما قبل إسلامهم حتى يُختنوا .

والذين قالوا بوجوبه هم : الشعبي ، وربيعة ، والأوزاعي ، ويحيى بن سعد الأنصاري ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . وشدد في أمر الختان الإمام مالك حتى قال : (مَنْ لم يختتن لم تجز إمامته ، ولم تقبل شهادته) .

واحتج هؤلاء الأئمة على الوجوب بأدلة كثيرة نجتزىء منها مايلي :

(أ) روى الإمام أحمد وأبو داود ، عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده ، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال : قد أسلمت . قال « ألق[1] عنك شعر الكفر واختتن » .

(ب) وروى حرب في مسائله عن الزهري قال : قال رسول الله ﷺ : « من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً » .
فالحديث وإن كان ضعيفاً فإنه يصلح للتقوية والاعتضاد .

(ج) وروى وكيع عن سالم عن عمرو بن هرم عن جابر عن يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الأقلف[2] لا تقبل له صلاة ، ولاتؤكل ذبيحته » .

(د) وروى البيهقي عن موسى بن اسماعيل ، عن علي رضي الله عنه قال : وجدنا في قائم سيف رسول الله ﷺ في الصحيفة : « أن الأقلف لا يترك في الإسلام حتى يختتن » .

---

(١) ألق عنك : أي احلق رأسك .
(٢) الأقلف : أي غير المختتن .

(هـ) قال الخطابي : (أما الختان فإنه وإن كان مذكورا في جملة السنن فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب ، وذلك أنه شعار الدين ، وبه يعرف المسلم من الكافر ، وإذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين ، صُلّي عليه ودفن في مقابر المسلمين) .

(و) وقد علل الذين قالوا بوجوب الختان من الفقهاء : (أن الأقلف معرض لفساد طهارته وصلاته ، فإن القلفة تستر الذكر كله ، فيصيبها البول ، ولايمكن الاستجمار لها ، فصحة الطهارة والصلاة موقوفة على الختان ولهذا منع كثير من السلف والخلف إمامته ، أما صلاته مع نفسه فيعد معذوراً كمن معه سلس بول) .

(ز) قال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .
(النحل : ١٢٣)

فالرسول ﷺ وأمته مأمورون باتباع ملة إبراهيم ، والختان من ملة إبراهيم عليه السلام . ومما يدل على ذلك مارواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : (ان إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة) . وفي رواية : (أنه أول من أضاف الضيف ، وأول من لبس السراويل ، وأول من اختتن ، واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى بعثة الرسول ﷺ) .

فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : « أربع من سنن المرسلين : الختان[1] ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » .

---

(١) قد ورد في بعض النسخ (الحياء) ، وفي البعض (الحناء) بدل الختان ، وكلاهما غلط وتصحيف قاله : أبو الحجاج المزي . وثبت عن المحاملي انه روى لفظ (الختان) في الحديث عن الشيخ الذي روى عنه الترمذي . ارجع الى كتاب (تحفة المودود) ص ٩٣ تجد مافيه الكفاية .

فهذه الأحاديث هي أظهر الأدلة التي احتجوا بها على وجوب الختان للمولود .

أما ردهم على من قالوا بسنيّة الختان فهو مايلي :

● فالحديث الذي احتجوا به على السنيَّة هو « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » . وقد قال عنه علماء الحديث : أنه ضعيف من ناحية السند ، والحديث الضعيف - كما هو معلوم عند الفقهاء - لايحتج به في استنباط الأحكام الشرعية . وعلى فرض أنه صحيح فيكون المعنى أن الرسول ﷺ سنّ الختان وأمر به فيكون واجباً ؛ والسنة هي الطريقة ، يقال : سننْتُ له كذا : أي شرعتُ ؛ فقوله عليه الصلاة والسلام : « الختان سنة للرجال ...» أي مشروع لهم .

● أما احتجاجهم بأن الرسول ﷺ قرن الختان بالمسنونات كتقليم الأظافر ، فيكون سنة كباقي المسنونات ، فهو احتجاج غير صحيح ، لأن الخصال المذكورة في الحديث منها ماهو واجب كالمضمضة والاستنشاق في الاغتسال ، ومنها ماهو مستحب كالسواك ، وأما تقليم الأظافر - وإن كان سنة - فإنه في بعض الأحيان يكون واجباً لصحة الطهارة ، وذلك في حين الإطالة وتراكم الأوساخ تحتها . إذن فالحديث الذي احتجوا به يجمع مابين طياته ماهو واجب ، وماهو مستحب .

● أما احتجاجهم بقول الحسن البصري : (قد أسلم مع رسول الله ﷺ الناس فما فتش أحداً منهم) ، فجوابه : (أنهم استغنوا عن التفتيش بما كانوا عليه من الختان ، فإن العرب قاطبة كلهم كانوا يختتنون ، واليهود قاطبة تختتن ، ولم يبق إلا النصارى وهم فرقتان : فرقة تختتن ، وفرقة لاتختتن . وقد علم كل من دخل في الإسلام منهم ومن غيرهم ، ان شعار الإسلام « الختان » ، فكانوا يبادرون إليه بعد الإسلام كما يبادرون إلى الغسل)[1] . ويؤيد ماقاله ابن القيم أن الناس كانوا يبادرون إلى الختان بعد الإسلام كما يبادرون إلى الغسل ، حديث عُثَيْم بن كليب الذي سبق ذكره ، أن

---

(١) من كتاب تحفة المودود ص ١٠٤ .

جله جاء إلى النبي ﷺ فقال : قد أسلمت : قال : (ألق عنك شعر الكفر واختتن) . وكذلك حديث الزهري الذي مرّ أنه عليه الصلاة والسلام قال : «من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً » .

وكان عليه الصلاة والسلام . يرشد الأمة دائماً إلى مافيه خيرها وسعادتها ، وإلى مايميزها عن غيرها . ولكن لم يكن مأموراً بالبحث والتفتيش ، ومنهجه في ذلك أن يقبل ممن أسلموا ظواهرهم . ويكل إلى الله سرائرهم .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الختان رأس الفطرة . وشعار الإسلام ، وعنوان الشريعة . وهو واجب على الذكور ، وأن مَنْ لم يبادر إليه في إسلامه ، ولم يقم على تنفيذه قبيل بلوغه . فإنه يكون آثما ، مرتكبا المعصية ، واقعا في الوزر والحرام ، لكون الختان شعاراً من شعائر الإسلام ، وبه يتميز المؤمن عن الكافر ، وبسببه يتمتع المختتن بصحة جيدة ، ويتحرر من كثير من الأمراض الفتاكة ، وسيأتي بيان الحكمة من الختان ، وفوائده العظيمة في الصفحات التالية إن شاء الله .

*

٤ - هل على الأنثى ختان ؟

أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون على أن الختان مستحب للأنثى وليس بواجب ، اللهم إلا في رواية للإمام أحمد بن حنبل أنه يجب على النساء والرجال على السواء ، بينما الرواية الثانية المروية عنه يجب على الذكور دون الإناث ؛ وهذه الرواية الثانية وافقت ما أجمع عليه الأئمة الأعلام من الفقهاء والمجتهدين في أنه مستحب وليس بواجب ؛ ووافقت كذلك مادرجت عليه الأمة ، وماتوارثه جيلا عن جيل ، في أن الختان للمرأة مستحب وليس بواجب . وحجتهم في ذلك أن الرسول ﷺ لما شرع لأمة الإسلام الختان ، كان يخص الرجال دون الإناث ، ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة بالاختتان ، اللهم إلا حديث شداد الذي مر ذكره : « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » . فإن فيه مايشير إلى ذلك ، وعلى فرض صحة الحديث

فإنه يرشد إلى الاستحباب دون الوجوب ، لأن في لفظ (مكرمة للنساء) دليلا قاطعاً على الاستحباب فقط ، والله أعلم.

ولعل الحكمة في ذلك أن الاختتان للرجل يختلف كل الاختلاف عن الاختتان للمرأة ، يختلف شكلا ، ويختلف حكما ، ويختلف فائدة كما هو ملحوظ ومفهوم .

ألا ما أعظم تشريع الإسلام ، وما أسمى مبادئه الخالدة على مدى الزمان والأيام !! .

٥ - متى يجب الاختتان ؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الاختتان يجب عن مشارفة الولد سن البلوغ ، باعتبار أنه سيصبح مكلفاً في امتثال الأحكام الشرعية ، والأوامر الإلهية . حتى إذا دخل في سن البلوغ كان مختوناً ، لتكون عبادته على الوجه الصحيح الذى رسمه الإسلام ، وبينه الشرع الحنيف .

ولكن الأفضل في حق الولي أن يقوم بعملية الاختتان في الأيام الأولى من ولادة الولد ، حتى إذا عقل ، وتفهم الأمور ، وأصبح في مرحلة التمييز ، وجد نفسه مختوناً ، فلا يحسب له في المستقبل حساباً ، ولايجد له في نفسه هماً ، فما أهنأ قلب الولد لما بدأ يعقل ، ويدرك حقائق الأشياء ، وجد نفسه أنه مر على مرحلة الاختتان .

ودليل الأفضلية مارواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : (عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام) .

٦ - وأخيرا ما الحكمة من الختان ؟

للختان حكم دينية عظيمة ، وفوائد صحية جليلة ، قد أبان عنها العلماء ، وكشف عن آثارها الأطباء ، وإليكم أميز ماذكروه وأهم ماقرروه :

فمن الحكمة الدينية العظيمة

• أنه رأس الفطرة ، وشعار الإسلام ، وعنوان الشريعة .

• أنه من تمام الحنيفية التي شرعها الله على لسان إبراهيم عليه السلام . فهي التي صبغت القلوب على التوحيد والإيمان . وهي التي صبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط . قال تعالى :

﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً .. ﴾ .

(النحل : ١٢٣)

﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ .

(البقرة : ١٣٨)

• أنه يميز المسلم من غيره من أتباع الديانات والملل الأخرى .

• أنه إقرار بالعبودية لله ، والامتثال لأوامره ، والخضوع لحكمه وسلطانه .

ومن الفوائد الصحية الجليلة مايلي :

• أنه يجلب النظافة ، والتزيين ، وتحسين الخلقة ، وتعديل الشهوة .

• أنه تدبير صحي عظيم يقي صاحبه كثيراً من الأمراض والاختلاطات .

يقول الدكتور (صبري القباني) في كتابه (حياتنا الجنسية) :

وفي الختان بعض الفوائد نذكر منها :

١ – بقطع القُلْفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية ، ويتخلص من السيلان الشحمي المفرَّز للنفس ، ويحال دون إمكان التفسخ والإنتان .

٢ - بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

٣ - يقلل الختان إمكان الإصابة بالسرطان ، وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث في الأشخاص المتضيّقة قلفتهم ، بيد أنه نادر جداً في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان .

٤ - إذا شرعنا في ختان الطفل أمكننا تجنيبه الإصابة بسلس البول الليلي .

٥ - يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين إلى غير ذلك من هذه الفوائد ... » اهـ .

هذه بعض الفوائد والحكم في مشروعية الختان ، يدركها كل ذي عقل وبصيرة ، ويتعقلها كل من يريد أن يعرف محاسن الإسلام ، وأسرار الشريعة .

● ● ●

وفي تقرير هذه الأحكام التي سبق ذكرها ، سواء مايتعلق ببشارة المولود ، أو التأذين بأذنه ، أو استحباب تحنيكه أو عقيقته ، أو حلق رأسه ، أو أحكام تسميته ، أو وجوب ختانه . فكل هذه الأحكام تقرر للمربين هذه الحقيقة الهامة ، ألا وهي : الاعتناء بالمولود منذ ولادته ، والاهتمام بأمره من حين أن يُطلّ بنفسه على الدنيا ، ويستنشق نسائم الحياة .

وهي أحكام هامة تكسب الطفل صحة ، وتعطيه قوة . حتى إذا فتح المولود عينيه ، وأصبح ينظر حوله ، ويتفهم الأمور ، ويدرك حقائق الأشياء وجد نفسه في أسرة مسلمة تطبق الإسلام ، وتعمل بمقتضى الشريعة ، وقد قامت نحوه بكل الالتزامات التي أمر بها الشرع الحنيف ، وسنها الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولاشك أن الولد حينما يفهم هذه الالتزامات ، ويعرف أن مربيه من أب وأم يقومان بكل هذه الواجبات ، فإن نفسه تترسخ على الإسلام ، وتتربى على الإيمان ، وتعتاد على معاني الخلق والفضيلة وأنبل الفضائل والمكرمات .

وإذا كان الإسلام قد اعتنى بالولد من حيث الولادة – كما رأيت – فاعتناؤه به من حين أن يعقل ويتفهم الحياة ، ويدرك حقائق الأشياء ، يكون أبلغ وأعظم ، وأسمى وأكبر.

وستجد – أيها الأخ القارىء – في الفصول التالية أهم المسؤوليات العامة التي أوجبها الإسلام على المربين والآباء نحو أولادهم ، لتعلم جيداً كيف اعتنت الشريعة الغراء بتربية الأبناء ، وكيف أهابت بهم أن ينهضوا بواجباتهم ، ويضطلعوا بمسؤولياتهم .

وستجد فيها إن شاء الله ، ما يشفي الغليل ، وما يوضح المنهج ، وما ينير الطريق .

* * *

الفصل الرّابع

أسبابُ الانحِراف عِند الأولاد ومُعالجتُه
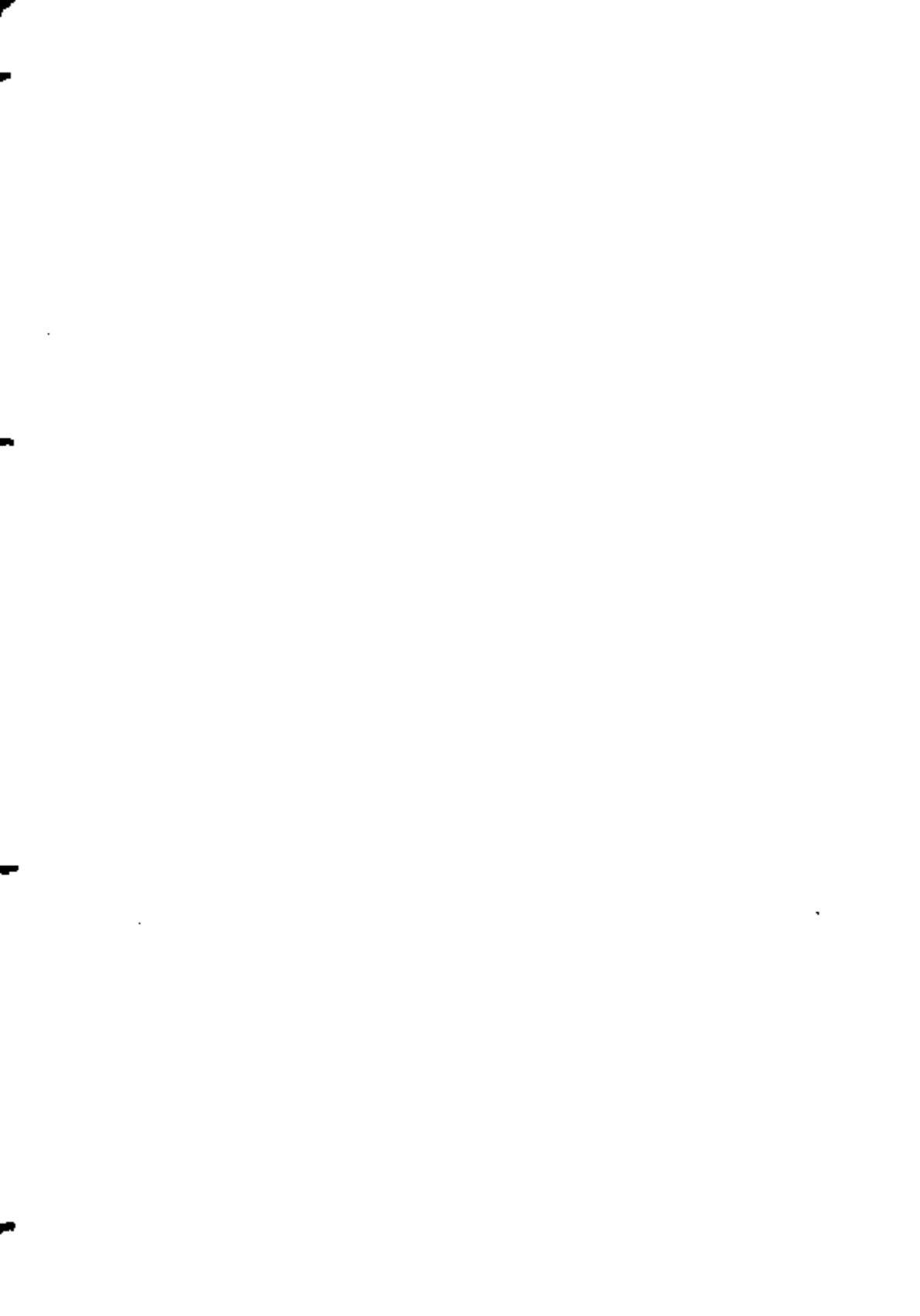
تمهيـــد

ما أكثر العوامل والأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأولاد ، وإلى زيغهم وفساد أخلاقهم ، وسوء تربيتهم ، في هذا المجتمع الآثم ، والواقع المرير ، والحياة الماجنة !! وما أكثر نوازع الشر ، وبواعث الفساد التي تحيط بهم وتكتنفهم من كل جانب ، وتعترضهم من كل مكان !!..

فإذا لم يكن المربون على مستوى المسؤولية والأمانة ، وعلى علم بأسباب الانحراف وبواعثه ، وعلى بصيرة وهدى في الأخذ بأسباب العلاج ، وطرق الوقاية . فإن الأولاد - لاشك - سيكونون في المجتمع جيل الضياع والشقاء ، وعصبة الفساد والجريمة .

ونحن إن شاء الله في هذا الفصل ، سنفصل القول عن أسباب الانحراف في الأولاد ، وعن المعالجة الناجعة لهذا الانحراف ، ليعلم من يريد أن يعلم أن الإسلام - بتشريعه الحكيم ، ومبادئه القويمة الخالدة - قد وضع الأسس الكفيلة ، والمناهج الحكيمة ، لصيانة الجيل من الانحراف ، وحماية المجتمع من التشرد والضياع .

وإليكم - أيها المربون - أهم الأسباب في انحراف الأولاد ، وأظهر المعالجات لهذا الانحراف على ضوء الإسلام ، لتكونوا على بينة وهدى في أمر التربية والمسئولية .

(أ) الفقر الذي يخيم على بعض البيوت :

من المعلوم أن الطفل حين لايجد في البيت مايكفيه من غذاء وكساء ، ولا يرى من يعطيه ما يستعين به على بلغة العيش ، وأسباب الحياة ، وينظر إلى ما حوله فيجد الفقر والجهد والحرمان ، فإنه – لاشك – سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثاً عن الأسباب ، وسعياً وراء الرزق . فتتلقفه أيدي السوء والجريمة ، وتحيط به هالة الشر والانحراف ، فينشأ في المجتمع مجرماً ، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض .

والإسلام بتشريعه العادل ، قد وضع الأسس الكفيلة لمحاربة الفقر ، وقرر حق الحياة الكريمة لكل إنسان . ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء . ورسم للمجتمع المسلم مناهج عملية للقضاء على الفقر نهائيا . كتأمين سبل العمل لكل مواطن ، وإعطاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز ، وسن قوانين للتعويض العائلي لكل أب له أسرة وأولاد ، ورعاية زمر اليتامى ، والأرامل والشيوخ ، بشكل يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية ، ويحقق لهم العيش الأفضل . إلى غير ذلك من هذه الوسائل والأحكام ، التي إن تحققت ، ومرت بمراحل التطبيق والتنفيذ ، زال في المجتمع أهم أسباب الجريمة والتشرد والضياع ، وقضي نهائيا على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان[١] .

(ب) النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات :

من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف الولد ، احتدام النزاع ، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في أعظم ساعات الاجتماع واللقاء . فالولد حين يفتح في البيت عينيه ، ويرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه ، سيترك حتماً جو البيت القاتم ، ويهرب من محيط الأسرة الموبوء ، ليفتش عن رفاق يقضي معهم جُلّ وقته ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه . فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ، ورفقاء شر ، فإنه سيدرج معهم

---

(١) ارجع إلى كتابنا (التكافل الاجتماعي في الإسلام) تجد فيه مايشفي الغليل في قضاء الإسلام على الجهل والفقر والمرض . وترى فيه كيف حقق الإسلام العدالة الاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد .

على الانحراف ، ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق ، وأقبح العادات . بل إن انحرافه سيتأكد ، وإن إجرامه سيتحقق ، ليصبح أداة خطر وبلاء على البلاد والعباد .

والإسلام بمبادئه الحكيمة الخالدة رسم للمخاطب المنهج القويم في حسن اختيار الزوجة ، كما رسم لأولياء المخطوبة الطريق الأفضل في حسن اختيار الزوج . وما ذاك إلا تحقيق للمودة والمحبة والتفاهم والتعاون بين الزوجين ، ثم بالتالي بعدٌ عن كل احتمال للمشكلات العائلية ، والخصومات الزوجية التي تقع عادة ما بين المرأة وزوجها .

وقد سبق أن بيّنا في الفصل الأول من هذا الكتاب الأسس الصحيحة في اختيار الزوج أو الزوجة .

وهي لاشك من أعظم الأسس الثابتة في إعداد البيت السعيد ، وتهيئة الأسرة المثالية المتحابة المتفاهمة .

(جـ) حالات الطلاق ومايصحبها من فقر :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد ، حالات الطلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقبها من تشتت وفراق .

ومن الأمور المعلومة التي لايختلف فيها اثنان ، أن الولد عندما يفتح على الدنيا عينيه ، ولا يجد الأم التي تحنو عليه ، ولا الأب الذي يقوم على أمره ويرعاه ، فإنه لاشك سيندفع نحو الجريمة ، ويتربى على الفساد والانحراف .

ومما يزيد الأمر سوءاً ، زواج المطلقة من زوج آخر ، فإن الأولاد سيؤولون - على الغالب - إلى التشرد والضياع .

ومما يعقد المشكلة كذلك ، فقر الأم بعد الطلاق ، فإنها في هذه الحالة ستضطر إلى العمل خارج المنزل ، ومعنى هذا أن تترك البيت ، أو بالأحرى أن تترك الأولاد الصغار للشارع تعبث بهم فتن الأيام ، وحادثات الليالي ، من غير رعاية ولا عناية . وماذا نرجو من أولاد لا يجدون عطف الأب ولا اهتمامه ومسؤوليته ، ولا حنان الأم ولا عنايتها ومسؤوليتها ؟!.

وماذا نرجو منهم حين ينظرون إلى ما حولهم ، فلا يجدون الطعام الكافي الذي يسد جوعتهم ، ولا الكساء الواقي الذي يستر عورتهم ، ولا المسكن الصالح الذي يحقق لهم راحتهم ويحفظ صحتهم ؟!.

فالحقيقة أننا لا نرجو منهم إلا التشرد والضياع ، ولا نتوقع إلا الجريمة والانحراف ، إلا من رحم ربك وقليل ما هم .

والإسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلًا من الزوجين ، أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما البعض ، حتى لايؤول بهما الأمر إلى نتائج لاتحمد عقباها .

● فمن هذه الحقوق : طاعة الزوجة لزوجها بالمعروف . فقد روى البزار والطبراني : أن نسوة اجتمعن مرة في عهد النبي ﷺ ، وأرسلن إحداهن إلى الرسول ﷺ لتقول له : يارسول الله أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن يصيبوا أثيبوا ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فمالنا من ذلك الأجر ؟ فأجابها عليه الصلاة والسلام بقوله : « أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة للزوج ، واعترافاً بحقه ، يعدل ذلك (أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله) ، وقليل منكن من يفعله » .

● ومن هذه الحقوق : أن تحفظ الزوجة للزوج ماله ونفسها . لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « ألا أخبركم بخير ما يكنز الرجل؟ المرأة الصالحة ، إذا

نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته بماله ونفسها » .

● ومن هذه الحقوق : عدم امتناعها عن فراش زوجها إذا طلبها إليه . لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : « إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء إليه ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

● من هذه الحقوق : قيام الزوج بواجب النفقة على الزوجة والأولاد لقول تعالى ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ .

(البقرة : ٢٣٣)

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

● ومن هذه الحقوق : استشارة الزوج زوجته في أمور البيت . لقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وأبو داود : « آمروا النساء في بناتهن » ، أي استأذنوهن في البنات قبل أن يخطبن .

● ومن هذه الحقوق : أن يغض الزوج طرفه عن بعض نقائص زوجته ولاسيما إن كان لها محاسن ومكارم تغطى هذا النقص . لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « لايفرك (أي لايبغض) مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضي منها آخر » .

● ومن هذه الحقوق : معاشرة الزوج لزوجته بالمعروف وملاطفتها والمزاح معها .

لقول تبارك وتعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ .

(النساء : ١٨)

ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه والحاكم : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

وروى البخاري ومسلم : « أنه عليه الصلاة والسلام كان يُري السيدة عائشة – رضي الله عنها – اللعب في باحة المسجد ، فيضع كفه على الباب ، ويمد يده وتضع وجهها على كتفه » . ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » .

وروى أبو داود والنسائي : « أنه عليه الصلاة والسلام كان يسابق السيدة عائشة – رضي الله عنها – فسبقته مرة ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال : هذه بتلك » .

وكان مما يقوله عمر رضي الله عنه – وهو القوي الشديد الجاد في حكمه وعدله – : (ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أي في الإنس والسهولة – فإذا كان في القوم كان رجلا) .

● ومن هذه الحقوق : مساعدة زوجته في أعمال المنزل اقتداء بالنبي ﷺ . روى الطبراني وغيره عن عائشة رضي الله عنها ، أنها لما سئلت : ماذا كان يصنع الرسول ﷺ في البيت؟ قالت : (كما يصنع أحدكم ، يشيل هذا ، ويحط هذا ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع لهن اللحم ، ويقُمُّ البيت « أي يكنسه » ، ويعين الخادم في خدمته) .

تلكم أهم الحقوق التي أوجبها الإسلام على كل من الزوجين ، وهي حقوق واقعية وعادلة ، عندما ينفذها كل من الزوج والزوجة يحل الوفاق محل الفرقة ، وتتحقق المحبة محل الكراهية ، وتعيش الأسرة بأكملها على أحسن ما تعيش من السعادة والتفاهم والاستقرار ، ولايمكن أن يحدث مايعكر صفو الأسرة ، ولا مايسيء أحدهما إلى الآخر .

وفي حال تعذر الوفاق لسوء خلق الزوج ، أو سوء خلق الزوجة ، ولايمكن بحال أن تتحقق المعيشة بينهم ، فعلى الزوج أن يأخذ بالاحتياطات الكاملة قبل إيقاع الطلاق .

وهذه الاحتياطات مرتبة كما يلي :

١ - الوعظ والإرشاد : من باب وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

٢ - الهجر في المضجع : وهي عقوبة نفسية ، لعل المرأة تعود إلى صوابها .

٣ - الضرب غير المبرّح : إذا كان باعتقاده أنه ينفع ، ويشترط فيه أن لايكون شديداً ، ثم بالتالي ألا يترك أثراً في جسم المرأة ، ويشترط كذلك أن لايكون الضرب في مواضع مؤذية كالوجه والصدر والبطن . وهو بهذه الشروط إلى التهديد أقرب منه إلى الإيلام والإيذاء . علماً بأن الرسول ﷺ وهو القدوة الصالحة لم يضرب امرأة قط . فقد روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة قط ، ولا خادماً ، ولا ضرب شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله) .

ويروي ابن سعد : عندما شكت للنبي ﷺ امرأة ضرَبَ زوجها ، قال للزوج : (يظل أحدكم يضرب أمرأته ضرب العبد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحي) .

٤ – وأخيراً اللجوء إلى التحكيم : وذلك بتدخل وسطاء عقلاء من أهله وأهلها ، يدرسون المشكلات القائمة بين الزوجين ، ويقترحون الحلول العملية لإعادة الوفاق والتفاهم بينهما ، لعلها تجدي قبل وقوع الطلاق .

وهذه الاحتياطات لازمة ، عملا بقوله تبارك وتعالى : ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها ، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيراً** ﴾ (النساء : ٣٤ – ٣٥) . وفي حال تعذر الوفاق بعد الأخذ بهذه المراحل ، يطلقها تطليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، لإتاحة الفرصة في إعادة الحياة الزوجية بعد التطليقة الأولى ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **فإن طلقها فلا جناح عليهما ، أن يتراجعا ، إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** ﴾ .

(البقرة : ٢٣٠)

فيتبين مما ذكرناه أن الإسلام اتخذ من الاحتياطات اللازمة ما يحول دون وقوع الطلاق ، لما يترتب عليه من نتائج وخيمة على الزوج والزوجة والأولاد .

فلا عجب أن يعده عليه الصلاة والسلام مَن أبغض الحلال إلى الله ، للحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

وفي حال وقوع الطلاق أوجب الإسلام على الزوج المتعة ، ونفقة العدة ، ونفقة الأولاد ، حتى لاتشقى المطلقة ، ولايشقى معها أولادها ، لقوله سبحانه : ﴿ **ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف حقا على المحسنين** ﴾ .

(البقرة : ٢٣٦) .

وفي حال فقر الزوج ، وعدم مقدرته على النفقة ، يتعين على الدولة أن ترعى هؤلاء الأطفال بالنفقة ، وتمدهم بكل مايحتاجون إليه من أسباب مادية لتعليمهم والإنفاق عليهم ، إلى أن يكبروا ويشبوا ، وبذلك تمنع عنهم أسباب شقاوتهم وانحرافهم . هذا عدا ما يوجبه الإسلام على من يعلم بأحوالهم من تقديم العون والمؤازرة والتكافل ، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

وقوله فيما رواه الطبراني وابن ماجه : « في المال حق سوى الزكاة » .

وقوله فيما رواه الطبراني : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً » .

وقوله فيما رواه البزار والطبراني : « ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

(د) الفراغ الذي يتحكم في الأطفال والمراهقين :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد عدم الاستفادة من الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين . ومن المعلوم أن الولد منذ نشأته مولع باللعب ، ميال إلى المغامرة ، محب للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية ، فنراه في حركة دائمة ، في اللعب مع من كان في سنه حيناً ، وفي الركض والتسلق أحياناً ، وفي ممارسة الرياضة تارة ، وفي اللعب بألعاب الكرة تارة أخرى .

فيجب على المربين أن يستغلوا هذه الظاهرة في الأطفال ، ومن كان في سن المراهقة ، حتى يملؤوا فراغهم بما يعود على أجسامهم بالصحة ، وعلى عضلاتهم

بالقوة ، وعلى أجهزة أبدانهم بالنشاط والحيوية .

فإن لم ييسروا لهم أماكن للعب واللهو البريء ، ونوادي صالحة للرياضة وإعداد القوة ، ومسابح للتدريب والتعليم ، ونزهات للنشاط والحيوية ، فإنهم سيختلطون غالباً بقرناء سوء ، ورفقاء شر وفساد ، ويؤدي حتماً إلى شقائهم وانحرافهم .

والإسلام بتوجيهاته السامية ، عالج الفراغ لدى الأطفال والمراهقين بوسائل عملية تصحح لهم أجسامهم ، وتقوي أبدانهم ، وتكسبهم قوة وحيوية ونشاطاً .

فمن أعظم هذه الوسائل تعويدهم على العبادات ولاسيما الصلاة التي عدها الإسلام عمود الدين ، وقوامه ، وركنه الأساسي ، لما لها من الفوائد الروحية ، والمنافع الجسمية ، والآثار الخلقية والنفسية .

ولابأس أن نعدد باختصار فوائد الصلاة الجسمية ليعرف من يريد أن يعرف أهميتها ووجه مشروعيتها .

• كونها رياضة إلزامية يحرك فيها المسلم جميع أعضائه ومفاصله ، ولايخفى ما في هذه الحركات من تنشيط للعضلات ، والدورة الدموية ، وجميع أجزاء البدن .

• كونها نظافة إجبارية لما يسبق الصلاة من أفعال الوضوء ، وهل الوضوء إلا نظافة الأعضاء الظاهرة ، وتنظيف الشعر ، والفم والأنف ، والأسنان ؛ هذا عدا الغسل في وقت وجوبه واستحبابه ، وعدا طهارة البدن والثوب والمكان .

وهذه كله شروط لصحة الصلاة .

• كونها تدريباً على المشي ، وذلك في السير إلى المساجد خمس مرات في اليوم

والليلة ، ولايخفى ما في حركات المشي ذهاباً وإياباً من تنشيط للبدن ، ومطردة للخمول والكسل .

وكم سمعنا من الأطباء أن الجسم إذا تحرك بالمشي أو الرياضة بعد الطعام ، لايصاب بأمراض المعدة وعسر الهضم ، وغيرها من الأسقام والآفات .

فلا عجب أن نسمع ممن لا ينطق عن الهوى ، في حضه الآباء والمربين على أن يأمروا أولادهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين حتى يعتادوها ، ويقضوا أوقات فراغهم في تعلمها والتدريب عليها .

واسمعوا إلى مايقوله عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى فيما رواه الحاكم وأبو داود : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

هذا عدا عما يقضيه الولد وقت فراغه من تعلم لكيفية الصلاة وأفعالها ، وقراءتها ، وعدد ركعاتها ، وفرائضها ، وسننها ، وآدابها ، سواء في البيت على يد مربيه ، أو في المسجد على يد معلّميه .

ومن هذه الوسائل العملية التي وجه إليها الإسلام في معالجة الفراغ لدى الأولاد :

أمره بالتعليم لفنون الحرب ، والفروسية ، والسباحة ، والقفز والمصارعة .

وتوجيه الولد في إشغال فراغه بالمطالعة الهادفة ، والنزهة البريئة ، والرياضة المتنوعة . وذلك لا يتأتّى إلا بافتتاح الملاعب الكبيرة ، والنوادي الضخمة ، والمكتبات الشهيرة ، والمؤسسات العامة ، والمسابح الصحية الملائمه بشرط أن تكون متوافقة مع أحكام الإسلام ، وآدابه السامية .

وإليكم طائفة من توجيهات الإسلام في إعداد هذه الوسائل :

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ .
(الأنفال : ٦٠)

وقال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ .
(الزمر : ٩)

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً » .

– وروى الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

– وروى النسائي والترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا » .

– وروى الطبراني والحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ، أو لهو ، أو سهو ، إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين[1] ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعلمه السباحة » .

– وروى ابن اسحق وابن هشام عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة » .

---

(١) بين الغرضين : أي الهدفين وذلك في حالة الرمي .

– وروى البخاري ومسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال للحبشة حينما أخذوا يلعبون بحرابهم في المسجد : « دونكم يابني إرفدة ، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة » .

– وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خير ، احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولاتعجز ، فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . إلى غير ذلك من هذه التوجيهات القيمة السامية .

ولو أخذ المربون بهذه التوجيهات الإسلامية ، لأكسبوا أولادهم صحة وعلماً وقوة ، ولحالوا بينهم وبين تفلتهم وتشردهم وانحرافهم ، ولملأوا فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ولأعدوهم ليكونوا جيل الإسلام ، وجنوده المغاوير ، ودعاته الراشدين ، وشبابه العاملين .

(هـ) الخلطة الفاسدة ورفاق السوء :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد ، رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما إن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق . فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان مايكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الاخلاق . بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم ، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم . ويصعب بعد ذلك ردّه إلى الجادة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوة الشقاء .

والإسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة ، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون ، وإلى أين يغدون ويروحون ؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون ؟

كما وجههم أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة .

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفاق السوء ، حتى لا يقعوا في حبائل غيهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم .

وإليكم توجيهات الإسلام وتحذيراته من قرناء الشر ، ورفاق السوء والفساد :

– قال تعالى : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾ .
(الفرقان : ٢٨ – ٣٠)

– وقال أيضاً : ﴿ **قال قرينه : ربنا ما أطغيته ، ولكن كان في ضلال بعيد** ﴾ .
(ق : ٢٧)

– وقال كذلك ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ، إلا المتقين** ﴾ .
(الزخرف : ٦٧)

– وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

– وقال أيضاً فيما رواه البخاري ومسلم : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك[1] ، أو تشتري

---

(١) يحذيك : يعطيك .

منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

– وقال كذلك فيما رواه الترمذي : « المرء مع من أحب ، وله ما اكتسب » .

– وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عساكر : « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف » .

فما أجدر الآباء والمربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات الكريمة ، حتى تنصلح أحوال أولادهم ، وتسمو أخلاقهم ، ويظهر في المجتمع أدبهم ؛ وحتى يكونوا في الأمة أداة خير ، ورسل إصلاح ، ودعاة هداية ، فينصلح المجتمع بصلاحهم ، وتفتخر الأمة بكريم فعالهم ، وجميل صفاتهم .

(و) سوء معاملة الأبوين للولد :

من الأمور التي يكاد يجمع علماء التربية عليها ، أن الولد إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد ، والتوبيخ القارع ، وكان دائما الهدف في التحقير والازدراء ، والتشهير والسخرية ، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه ، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله ، وقد يؤول به الأمر الى الانتحار حيناً ، أو إلى مقاتلة أبويه أحياناً ، أو إلى ترك البيت نهائياً ، تخلصاً مما يعانيه من القسوة الظالمة ، والمعاملة الأليمة .

فلا عجب – وهذه حاله – أن نراه أصبح في المجتمع مجرماً ، وفي هذه الحياة شاذاً ومنحرفاً !!. ولا عجب أن ينشأ على الاعوجاج والميوعة والانحلال!! .

والإسلام بتعاليمه القويمة الخالدة ، يأمر كل من كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ، ولا سيما الآباء والأمهات منهم ، يأمرهم جميعاًبأن يتحلّوا بالأخلاق العالية ،

والملاطفة الرصينة ، والمعاملة الرحيمة ، حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ، ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية ، وبالتالي حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة .

وإليكم توجيهات الإسلام في الأخلاق العالية ، والمعاملة الرحيمة ، والمسايرة اللطيفة :

قال الله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...** ﴾ .
(النحل : ٩٠)

وقال سبحانه : ﴿ **والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناسِ ، واللهُ يُحبُّ المحسنين** ﴾ .
(آل عمران : ١٤٣)

وقال كذلك : ﴿ **وقُولوا للناسِ حسناً** ﴾ .
(البقرة : ٤٣)

وقال أيضاً : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ .
(آل عمران : ١٥٩)

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال ﷺ فيما رواه أحمد والبيهقي : « إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أحسن منه ، وإن العنف لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أقبح منه » .

وروى أبو الشيخ في الثواب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على بره » .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السـماء » .

تلكم أهم التوجيهات الإسلامية في لين الجانب ، وحسن القول ، وفضيلة المعاملة . فما على الآباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها ، وينفذوا ما جاء فيها ، ويعملوا بمقتضى هديها وإرشادها ، إن أرادوا لأولادهم الحياة الفاضلة ، والاستقامة الدائمة ، والخلق الاجتماعي النبيل .

أما أن يسلكوا معهم الطرق الملتوية ، والمعاملة الفظة القاسية ، والعقوبة الظالمة الشديدة ، فيكونون قد جنوا على أبنائهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة ، والتوجيه الملتوي الذميم ، بل سيرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم ، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم – وهم صغار – بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (أي القرآن) ، قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جُعلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك ، وقد عققْتَهُ قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك ؟!.

وهكذا حمّل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له .

ومما يذكر في كتب السِّيَر : أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، غضب على ابنه يزيد مرة ، فأرسل إلى الأحنف بن قيس ليسأله عن رأيه في البنين فقال : (هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فإنهم يمنحونك ودّهم ، ويحبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويتمنوا وفاتك) .

ألا فليأخذ الآباء من هذين الخبرين العظة والعبرة في الملاطفة لأولادهم ، وحسن المعاملة لهم ، والرفق بهم ، واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم .

(ز) مشاهدتهم أفلام الجريمة والجنس :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وتدفعه إلى الشقاوة وارتكاب الجريمة ، والسير وراء الميوعة والانحلال ، مايشاهده في دور السينما ، وعلى شاشة الرائي (التلفزيون) من روايات بوليسية ، وأفلام خلاعية ، وما يقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة . وهي بجملتها ومضمونها تتجر بالغرائز ، وتشجع على الانحراف والإجرام ، وهي كذلك تفسد أخلاق الكبار ، فكيف بالمراهقين ، والأطفال الصغار ؟!

ومن المعلوم بداهة أن الولد حين يعقل تنطبع في ذهنه هذه الصورة ، وتتأصل في مخيلته هذه المشاهد ، فيعمد حتماً إلى محاكاتها وتقليدها . وليس أضر على الولد المراهق من مشاهد تشجع على الإجرام ، وتوجه نحو الرذيلة والفساد .

ولا سيما إن كان مفلوت الزمام ، متروك الرقابة والرعاية .

ومما لا يختلف فيه اثنان ، أن لمثل هذه الأجواء الفاسدة ، والمشاهد الآثمة ، أثراً بالغاً في نفوس الأطفال والمراهقين ، بحيث لا ينفع معه نصح الآباء أو توجيه المربين والمعلمين .

والإسلام بمبادئه التربوية ، يضع أمام الآباء والمربين والمسؤولين ، المنهج القويم في توجيه الأبناء وتربيتهم ، والقيام بواجبهم وحقهم .

● فمن مبادىء هذا المنهج : الوقاية الكاملة من كل مايسبب لهم ولأنفسهم غضب الجبار ، ودخول جهنم ، امتثالاً بقوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً .. ﴾ .

(التحريم : ٦)

● ومن مبادىء هذا المنهج : استشعار المسؤولية نحو من لهم حق التوجيه والتربية ؛ ليقوموا بأداء المهمة والأمانة على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « الرجل راع في بيت أهله ومسؤول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

● ومن مبادىء هذا المنهج : إزالة الضرر عن كل مايؤدي إلى انحراف عقيدتهم وأخلاقهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مالك وابن ماجه : « لا ضرر ولا ضرار » فبناء على هذه المبادىء الإسلامية ، والمناهج التربوية ، وجب على كل أب ومربٍّ ومسؤول ، أن يمنعوا الأولاد من مشاهدة الأفلام الجنسية والبوليسية .

وأن يمنعوهم كذلك من شراء المجلات الخلاعية ، واقتناء القصص الغرامية ، ومطالعة الكتب الإلحادية . وبالاختصار وجب منعهم من كل مايضر بعقيدتهم ، ويدفعهم نحو الرذيلة والإجرام .

وإن شاء الله حين نتكلم عن مسؤولية التربية الإيمانية ، ومسؤولية التربية الخلقية في الجزء الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام)، فسوف نفصل القول في المبادىء التي وضعها الإسلام في تربية الولد عقيدة وخلقاً ، ليعلم من يريد أن يعلم أن الإسلام هو دين الحياة ، ودين الفطرة ، ودين الإصلاح والتوجيه والتربية .

﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

(ح) انتشار البطالة في المجتمع :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي الى انحراف الولد ، انتشار البطالة بين أفراد الأمة ، وطبقات المجتمع . فالأب الذي له زوجة وأولاد ، ولم تتيسر له سبل العمل ، ولم تأمن له طرائق الكسب ، ولم يجد من المال مايسد به جوعته ، وجوعة أهله وأولاده ، ويؤمن لهم حاجاتهم الضرورية ، ومطالبهم الحيوية ، فإن الأسرة بأفرادها ستتعرض للتشرد والضياع ، وإن الأولاد سيدرجون نحو الانحراف والإجرام ، وربما فكر رب الأسرة مع من يقوم بأمرهم من أهل وولد ، أن يحصلوا على المال عن طريق حرام ، وبجموعه من وسائل غير مشروعة كالسرقة ، والاغتصاب ، والرشوة . ومعنى هذا أن المجتمع حلت فيه الفوضى ، وأصيب بالدمار والانهيار .

والإسلام بسنّه مبادىء العدالة الاجتماعية ، ورعاية حق الفرد والمجتمع . قد عالج البطالة بأنواعها ، سواء كانت بطالة مضطر ، أو بطالة كسول .

أما علاجه لبطالة المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل مع رغبته فيه ، وقدرته عليه فيتحقق بشيئين :

(أ) وجوب تكفل الدولة له في تأمين سبل العمل .

(ب) وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل .

أما وجوب تكفل الدوله له : فلما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله ، فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حِلْسٌ (كساء غليظ) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ؛ وقَعْبٌ (إناء) نشرب فيه

الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ، وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً ، وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله ﷺ : (هذا خير لك من أن تجيء ، والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة) .

أما وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل : فلما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على مَنْ لا زاد له » .

ولما روى البزار والطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ماآمن بي مَنْ بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيما رجل مات ضياعاً بين أقوام أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ، وذمة رسوله » .

وجاء في كتاب الاختيار لتعليل المختار مانصه : (وإن أطعمه أحد وأعطاه شيئاً فسقط إثمه عن الباقين) .

أما علاجه لبطالة الكسول الذي يكره العمل مع وجوده وقدرته عليه : فيكون بمراقبة الدولة له ؛ فإن شعرت به أنه قصر عن العمل وقعد عنه نصحته إلى مافيه خيره ومنفعته ، فإن أبى ساقته بالقوة إليه ، وألزمته به . فقد روى ابن الجوزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه لقي قوماً لا يعملون ، فقال : ماأنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : « كذبتم ! .. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض ثم توكل على

الله » ، وقال : « لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة » . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالاً على الصدقات فكان من قوله لهم : « يامعشر الفقراء استبقوا الخيرات ، ولاتكونوا عيالا على المسلمين » .

والذي يفهم من كلام عمر رضي الله عنه وتوجيهه : أن الزكاة في الإسلام لاتعطى إلا لسد الحاجة وتأمين سبل العمل ، حتى لا تكون مدعاة للكسل ، وسبباً للقعود والتواكل .

أما إن كان العجز أو الشيخوخة أو المرض سبباً للبطالة ، فعلى الدولة أن ترعى حق هؤلاء ، وتؤمن لهم سبيل العيش الأفضل ، وطريق الكفالة الحقة ، بغض النظر عن كون العاجز أو الكبير أو المريض مسلماً أو غير مسلم .

ومما يدل على هذا مارواه أبو يوسف في كتاب الخراج : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على باب قوم وعليه سائل يسأل ، وكان شيخاً كبيراً ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه ، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ، قال : فما ألجاك إلى ماأرى ؟ قال : أسأل الجزية ، والحاجة ، والسن ، فأخذه عمر إلى منزله ، فرضخ له بشيء (أي أعطاه شيئاً) من المنزل ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال له : انظر هذا وضرباءه ، فو الله ما أنصفناه ، إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين أهل الكتاب .

ومما فعله عمر رضي الله عنه أنه مر على قوم من النصارى قد أصيبوا بمرض الجذام فأمر لهم بعطاء من بيت المال ، يحقق لهم تكافلهم ، ويؤمن علاجهم ، ويحفظ كرامتهم .

هذه هي معالجة الإسلام للبطالة ، وهي – كما رأيت – معالجة رحيمة وحكيمة وعادلة ، وهذا يدل دلالة لا غموض فيها ، أن الإسلام دين الرحمة والإنسانية

والعداله ، أنزله الله سبحانه ليكون الإشعاع الهادي للبشرية ، والمنارة المتلألئة في ظلمات الحياة . فما أحرى الجاهل لهذه الحقائق أن يعرف ماهو الإسلام ؟ وأن يعلم لماذا أرسل الله سبحانه محمداً هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

(ط) تخلي الأبوين عن تربية الولد :

ومن العوامل الكبرى التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وإلى فساد خلقه ، واختلال شخصيته : تخلي الأبوين عن إصلاح نفسه ، وانشغالهما عن توجيهه وتربيته .

وعلينا ألا نغفل دور الأم في حمل الأمانة ، والقيام بواجب المسؤولية تجاه من ترعاهم . وتقوم على تربيتهم ، وتشرف على إعدادهم وتوجيههم . ورحم الله من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء ، بل مسؤوليتها أهم وأخطر ، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع ، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ، ورجل الحياة . والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أفرد الأم بتحمل المسؤولية حين قال : «والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» .

وما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد الجيل ، وتربية الأبناء ، وإذا قصرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها ، لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها ، وخروجها من بيتها ، وإذا أهمل الأب مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولاده ، لانصرافه وقت الفراغ إلى اللهو وارتياد القهوات مع الأصحاب والخلان .

فلاشك أن الأبناء سينشؤون نشأة اليتامى ، ويعيشون عيشة المشردين ، بل سيكونون سبب فساد ، وأداة إجرام للأمة بأسرها .

ولله درّ من قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همّ الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً

فماذا تنتظر من أولاد آباؤهم وأمهاتهم على هذه الحال من الإهمال والتقصير ؟!

فحتماً لاننتظر منهم إلا الانحراف ، ولا نتوقع إلا الإجرام ، لانشغال الأم عن رعاية الولد وتربيته ، وإهمال الأب واجب تأديبه ومراقبته .

ويزداد الأمر سوءاً عندما يقضي الأبوان جلّ وقتهما في حياة الإثم والغواية ، ويتقلبان في أتون الشهوات والملذات ، ويتخبطان في طريق الانحلال والإباحية . فلاشك أن انحراف الولد يكون أبلغ واخطر ، وتدرجه في الإجرام يكون آكد وأعظم .

ورحم الله من قال :

وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يرجى لأطفال كمالٌ ... إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصات

والإسلام في دعوته إلى تحمل المسؤوليات ، حمّل الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء ، وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة ؛ وتهدّدهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطوا وقصروا وخانوا :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقُودُها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .
(التحريم : ٦)

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أكد في أكثر من أمر ، وأكثر من وصيّة بضرورة العناية بالأولاد ، ووجوب القيام بأمرهم ، والاهتمام بتربيتهم .

وإليكم طائفة من أوامره وتوجيهاته :

« والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ...» رواه البخاري ومسلم .

« أدّبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه .

« علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

« مروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار » رواه ابن جرير .

« أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله ، يوم لاظل إلا ظله » رواه الطبراني .

وسنفصل القول عن مسؤوليات المربين في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويشبع النفس والفكر ، إن شاء الله .

(ي) مصيبة اليتم :

من العوامل الأساسية في انحراف الولد : مصيبة اليتم التي تعتري الصغار وهم في زهرة العمر ، ومقتبل الحياة . هذا اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير ، إذ لم يجد اليد الحانية التي تحنو إليه ، والقلب الرحيم الذي يعطف عليه ، وإذا لم يجد من الأوصياء المعاملة الحسنة التي ترفق به ، والرعاية الكاملة التي ترفع من مستواه ، والمعونة التامة

التي تسد جوعته ، فلا شك أن هذا اليتيم سيدرج نحو الانحراف ، ويخطو شيئاً فشيئاً نحو الإجرام ، بل سيصبح في المستقبل أداة هدم وتخريب لكيان الأمة ، وتمزيق لوحدتها ، وإشاعة الفوضى والانحلال بين أبنائها .

والإسلام بتشريعه الخالد ، وتوجيهاته الرشيدة ، أمر الأوصياء وكل مَنْ له صلة قرابة باليتيم ، أن يحسنوا معاملته ، وأن يقوموا على أمره وكفالته ، وأن يشرفوا على تأديبه وتوجيهه ، حتى يتربى على الخير ، وينشأ على المكارم الخلقية ، والفضائل النفسية ، ويجد في ظل من يرعونه كل عطف ومحبة ، وكل حنوّ وإخلاص .

وإليكم جملة من تعاليم الإسلام التي تأمر برعاية اليتيم ، والعطف عليه :

قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن اليتامى ، قل : إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ .

(البقرة : ٢٢٠)

وقال سبحانه :

﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ .

(الضحى : ٩)

وقل جل شأنه :

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدعُّ اليتيم ﴾ .

(الماعون : ١ — ٢)

وقال عز من قائل :

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً ﴾ .

(النساء : ٩)

وقال عليه الصلاة والسلام : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » رواه أحمد وابن حبان .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من قبض يتيماً بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى ، أوجب الله تعالى له الجنة البتّة ، إلا أن يعمل ذنباً لايغفر له » رواه الترمذي .

وقال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى » رواه الترمذي .

إلى غير ذلك من هذه الأوامر الإلهية ، والتوجيهات النبوية ، التي تفيد أن رعاية اليتيم وكفالته ، واجبة على ذوي القرابات من العصبات والأرحام ، وفي حالة الفقر وعجزهم المادي ، وجب على الدولة أن تتعهده وتشرف على تربيته والإنفاق عليه ، فيكون ذلك أبعد له عن التشرد والضياع والإهمال .

• • •

تلكم هي أهم العوامل الأساسية في انحراف الولد ، وهي عوامل ضارة وخطيرة – كما علمت – ، فإن لم يتدارك المربون هذه العوامل ، وإن لم يستأصلوا أسبابها ، وإن لم يأخذوا بالعلاج الناجع الذي وضعه الإسلام في الاصلاح والتربية ،

فإن الأولاد سينشؤون على الفساد ، ويتربون على الإجرام ، ويعتادون كل موبقة ورذيلة . بل يكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع ، واستقرار الأمة ، وأمن البشرية . ومن الصعوبة بمكان ردهم إلى الجادة ، وتفهيمهم الحق ، والسير بهم نحو معالم الخير ، وطريق الهدى ، والصراط المستقيم .

فما أجدر الآباء والمربين أن يمشوا على سنن الإسلام ، ومنهجه القويم في تربية الأولاد ، ومعالجة انحرافهم ، وتقويم سلوكهم ، وإصلاح نفوسهم ، وتثبيت عقيدتهم ، وتلقينهم مبادىء الخير والفضيلة والأخلاق ، حتى يروا أبناءهم كالملائكة في طهر أرواحهم ، وصفاء نفوسهم ، ونقاء سريرتهم ، وأمتثالهم لأمر ربهم . بل يكونون قدوة صالحة لغيرهم في كل مكرمة وفضيلة ، وإنتاج وتضحية ، وخلق وعمل صالح .

ولا يسعني في الختام إلا أن أتضرع الى الله عز وجل ، في أن يوفق أبناء الإسلام إلى مافيه عزهم وسعادتهم ، وأن يهبهم الإيمان الذي يجدون حلاوته في قلوبهم ، وأن يلهمهم دائما الرشد والسداد ، الذي يُلمح في أقوالهم وأفعالهم ، وأن يجعل منهم أمة قوية متينةً تبني الحضارة ، وتنشر العلم ، وتبني المجد ، وترفع بسواعدها الفتيّة لواء العزة والنصر ، وتحوّل اتجاه التاريخ ، وتعيد لهذه الأمة مجدها الداثر ، وعزتها السليبة ، وكيانها العظيم ، وما ذلك على الله بعزيز ، إنه بالإجابة جدير وخير مسؤول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

● ● ●

القسم الثاني

مسؤوليات المربين

ويشمل سبعة فصول

الفصل الأول: مسؤولية التربية الإيمانية.
الفصل الثاني: مسؤولية التربية الخلقية.
الفصل الثالث: مسؤولية التربية الجسمية.
الفصل الرابع: مسؤولية التربية العقلية.
الفصل الخامس: مسؤولية التربية النفسية.
الفصل السادس: مسؤولية التربية الاجتماعية.
الفصل السابع: مسؤولية التربية الجنسية.[1]

(١) ألحق الفصل السابع بالمجلد الثاني للضرورة (أنظر المجلد الثاني صفحة ٤٤٩).

مقدمـــــة

من أظهر المسؤوليات التي اهتم الإسلام بها ، وحض عليها ، ووجه الأنظار إليها .. مسؤولية المربين تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية .. فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة وشاقة وهامة .. لكونها تبدأ منذ سني الولادة إلى أن يدرج الولد في مرحلتي التمييز والمراهقة ، إلى أن يصبح مكلفاً سوياً . ولاشك أن المربي سواء أكان معلماً أو أباً أو أماً أو مشرفاً اجتماعياً .. حين يقوم بالمسؤولية كاملة ، ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء على الوجه الذي يتطلبه الإسلام ... يكون قد بذل قصارى جهده في تكوين الفرد بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه ، ثم بالتالي يكون قد أوجد الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها ومزاياها ، ويكون كذلك – من حيث يعلم أو لا يعلم – قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه لتكوين الفرد الصالح ، والأسرة الصالحة ؛ وهذا هو منطلق الإسلام في الإصلاح .

ونحن لو تتبعنا آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في إهابتها بالمربين للقيام بمسؤولياتهم ، وتحذيرها إياهم اذا قصروا بواجبهم .. لو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ؛ وما ذاك إلا ليعلم كل مربٍّ ضخامة أمانته ، وعظم مسؤوليته .

فمن هذه الآيات الكريمة :

– ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ .

(طه : ١٣٢)

– ﴿ ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً .. ﴾ .

(التحريم : ٦)

– ﴿ وَلَتُسئَلُنَّ عَمَّا كنتم تعملون ﴾ .

(النحل : ٩٣)

– ﴿ يوصيكم الله في أولادكم .. ﴾ .

(النساء : ١١)

– ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ .

(البقرة : ٢٢٣)

– ﴿ .... ولايقتلن أولادهن ﴾ .

(الممتحنة : ١٢)

– ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ .

(الصافات : ٢٤)

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة ...

ومن هذه الأحاديث الشريفة :

– « الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » (البخاري ومسلم) .

– « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي .

– « مانحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

– « علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

– « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ..» رواه الطبراني .

– عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظنّ أنا اشتهينا أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في **أهلينا** فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « **ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم** ، وصلّوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » البخاري في الأدب المفرد .

– « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماعمل فيه » (رواه الترمذي) .

إلى غير ذلك من هذه الأحاديث الكثيرة المستفيضة ...

• • •

فانطلاقاً من هذا التوجيه القرآني ، والهدي المحمدي اهتم المربون جميعاً جيلا بعد جيل بتربية الأولاد ، واعتنوا بتعليمهم وتقويم اعوجاجهم ، بل كان الآباء والأوصياء يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً وتأديباً ، وأحسن المؤدبين ارشاداً وتوجيهاً .. ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الولد على أساس العقيدة والأخلاق وتعاليم الإسلام ..

وإليكم طائفة من طرائف الأولين وأخبارهم عسى أن تكشف لكل ذي عقل وبصيرة عن مدى اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وحرصهم الزائد على تعليمهم وتأديبهم ؛ وكيف كانوا ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علماً وخلقاً ، وأميزهم أسلوباً وطريقة ؟ :

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : « ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح بَنِيّ إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سِيَرَ الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولاتتكِلَنّ على عذر مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدّب قال له : « يا أحمر : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السُّنن ، وبصّره بمواقع الكلام وَبَدْئِه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته .. ولا تَمُرّنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

● وبلغ من اعتناء السلف بالولد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة بينهم وبين مؤدبيهم ، فكانوا يحزنون إذا غابوا عن الأولاد فترة بسبب من الأسباب ، لخوفهم على الأولاد أن لا يؤدبوا على ما يريدون ويشتهون .. ذكر الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث إلى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ فقالوا : « **مافقدنا من تربية أولادنا** » .

● وقال عبدالملك بن مروان ينصح مؤدّب ولده : « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الأخلاق الجميلة ، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا ، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم ، وجنّبهم السَّفَلَة والخدم فإنهم أسوأ الناس

أدباً .. ووقّرهم في العلانية ، وأنّبهم في السر ، واضربهم على الكذب ، إن الكذب يدعو إلى الفجور ، وإن الفجور يدعو إلى النار ... » .

• وقال الحجاج لمؤدب بنيه : « علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم » .

• وقال أحد الحكماء لمعلم ولده : « لاتخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن اصطكاك العلم في السمع ، وازدحامه في الوهم مضلّة للفهم » .

• وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم : « علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية » .

• ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيّة حسنة آدابهم ، مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

• قال هشام بن عبدالملك لسليمان الكلبي مؤدب ابنه : « إن ابني هذا هو جلدة مابين عيني ، وقد ولّيتك تأديبَه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة ، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به في أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم ، وبصره طرفاً من الحلال والحرام ، والخُطب والمغازي .. » .

هذا غيض من فيض من اهتمام الخاصة والعامة بتربية أولادهم واختيار أفضل المؤدبين لهم مع تذكيرهم بقواعد التوجيه الصحيح ، ومبادىء التربية العملية الفاضلة ، لكونهم مسؤولين عنهم ، مؤتمنين عليهم ، محاسبين ومؤاخذين إن قصروا في واجبهم وأهملوا حق تعليمهم وتربيتهم ...

وإذا كان المربون من آباء أو أمهات أو معلمين ... مسؤولين عن تربية الأولاد ، وعن تكوينهم وإعدادهم للحياة .. فعليهم أن يعلموا بجلاء ووضوح حدود مسؤوليتهم ، ومراحلها المتكاملة ، وجوانبها المتعددة ، ليستطيعوا أن ينهضوا بمسؤوليتهم على أكمل وجه ، وأنبل معنى ...

وأهم هذه المسؤوليات – في نظر كثير من المربين – مرتبة على الوجه التالي :

١ – مَسؤوليَّة التربيَة الإيمَانيَّة
٢ – مَسؤوليَّة التربيَة الخلقيَّة
٣ – مَسؤوليَّة التربيَة الجِسميَّة
٤ – مَسؤوليَّة التربيَة العقليَّة
٥ – مَسؤوليَّة التربيَة النفسيَّة
٦ – مَسؤوليَّة التربيَة الاجتِماعيَّة
٧ – مَسؤوليَّة التربيَة الجنسيَّة .

ونحن إن شاء الله في هذا الجزء سنفصل الكلام في كل جانب من جوانب هذه المسؤوليات السبعة ، وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمد العون والتوفيق .

* * *

الفصل الأول

١ - مَسؤوليّة التربيَةِ الإيمَانيّة

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان ، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادىء الشريعة الغراء ...

ونعني بأصول الإيمان :

كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانيـة ، والأمور الغيبيـة كالإيمان بالله سبحانه ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب السماوية ، والايمان بالرسل جميعاً ... والإيمان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار .. وسائر المغيبات .

ونعني بأركان الإسلام :

كل العبادات البدنية والمالية ، وهي : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج من استطاع اليه سبيلا .

ونعني بمبادىء الشريعة :

كل مايتصل بالمنهج الرباني ، وتعاليم الإسلام من عقيدة ، وعبادة ، وأخلاق ، وتشريع ، وأنظمة ، وأحكام ...

فعلى المربي أن ينشيء الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية ، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية .. حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة ، ويتصل به منهاجاً ونظاماً ، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام ديناً ، وسوى القرآن إماماً ، وسوى الرسول صلوات الله وسلامه عليه قائداً وقدوة ...

وهذا الشمول لمفاهيم التربية الإيمانية مستمد من وصايا الرسول ﷺ وإرشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان ، وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة ...

وإليكم أهم إرشاداته ووصاياه عليه الصلاة والسلام :

١ - أمره بالفتح على الولد بكلمة لا إله إلا الله :

لما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » .

والسر في هذا :

لتكون كلمة التوحيد ، وشعار الدخول في الإسلام أول مايقرع سمع الطفل ، وأول مايفصح بها لسانه ، وأول مايتعقّلها من الكلمات والألفاظ .

سبق أن ذكرنا في فصل « أحكام المولود » استحباب التأذين في أذن المولود اليمنى ، والإقامة باليسرى ، ولايخفى مافي هذا العمل من أثر في تلقين الولد أصل العقيدة ومبدأ التوحيد والإيمان .

٢ - تعريفه أول مايعقل أحكام الحلال والحرام :

لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه

قال : « اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

والسر في هذا :

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته على أوامر الله ، فيُرَوَّض على امتثالها ؛ وعلى اجتناب نواهيه ، فيُدرَّب على الابتعاد عنها ... وحين يتفهم الولد منذ تعقّله أحكام الحلال والحرام ، ويرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة فإنه لايعرف سوى الإسلام تشريعاً ومنهاجاً ..

٣ - أمره بالعبادات وهو في سن السابعة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » ، ويقاس على الصلاة الترويض على بعض أيام الصوم إذا كان الولد يطيقه ، وتعويده الحج إذا كان الأب يستطيعه .

والسر في هذا :

حتى يتعلم الولد أحكام هذه العبادات منذ نشأته ، ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة أظفاره ؛ وحتى يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقه ، والشكر له ، والالتجاء إليه ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. ؛ وحتى يجد في هذه العبادات أيضاً الطهر لروحه ، والصحة لجسمه ، والتهذيب لخلقه ، والإصلاح لأقواله وأفعاله !!

٤ - تأديبه على حب رسول الله ﷺ ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال : « أدّبوا أولادكم على

ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حَمَلَة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » .

ويتفرع عن هذا :

تعليمهم مغازي رسول الله ﷺ ، وسير الصحابة الكرام ، وشخصيات القادة العظماء ، والمعارك الحاسمة في التاريخ ..

والسر في هذا :

حتى يتأسّى الأولاد بسِيَر الأولين حركة وبطولة وجهاداً ..
وحتى يرتبطوا بالتاريخ شعوراً وعزة وفخاراً ...
وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم روحاً ومنهاجاً وتلاوة ..

وإليكم ماقاله علماء التربية الإسلاميون في وجوب تلقين الولد تلاوة القرآن ، ومغازي الرسول ﷺ ، ومآثر الجدود الأبطال :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

وأوصى الإمام الغزالي في إحيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

● وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الإيمان .

• ولقد نصح ابن سينا في كتاب السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع اللغة الأصيلة ، وترسخ في نفسه معالم الإيمان .

• ومما يروى في كتب التاريخ والأدب أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتم خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه ، وعلّمه الشعر فرواه ، ورُغّب في مفاخر قومه ، ولُقن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلُم حملته على أعناق الخيل ، فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى إلى صوت الصارخ ... » .

وسبق أن ذكرنا في مبحث اهتمام الأولين بتربية أبنائهم أنهم حين كانوا يدفعون أولادهم إلى المؤدّب أول شيء يشيرون إليه ، وينصحون به تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتلاوتهم له ، وتحفيظهم إياه .. حتى تتقوم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ في نفوسهم الإيمان واليقين .

والذي نخلص إليه بعد ماتقدم :

أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم بتلقين الولد منذ نشأته أصول الإيمان ، وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة ، وتأديبه على حب الرسول ﷺ وحب آل بيته ، وحب الأصحاب والقواد والفاتحين ، وتلاوة القرآن الكريم ... حتى يتربى الولد على الإيمان الكامل ، والعقيدة الراسخة ، وحب الرعيل الأول من الجدود البواسل الأمجاد .. وإذا ترعرع وكبر لم يتزعزع بالدجل الإلحادي ، ولم يتأثر بدعايات أهل الكفر والضلال !!..

فما أجدر المربين أن يربوا أبناءهم على هذه الأسس ، ويسلكوا معهم هذه الوسائل.. ليضمنوا سلامة عقيدتهم من الزيغ والإلحاد والانحراف !!.

* * *

من الأمور المسلم بها لدى علماء التربية والأخلاق أن الطفل حين يولد **يولد على فطرة التوحيد ، وعقيدة الإيمان بالله ، وعلى أصالة الطهر والبراءة** .. فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية ، والخلطة الاجتماعية الصالحة ، والبيئة التعليمية المؤمنة .. نشأ الولد – لاشك – على الإيمان الراسخ ، والأخلاق الفاضلة ، والتربية الصالحة ..

وهذه الحقيقة من الفطرة الإيمانية قد قررها القرآن الكريم ، وأكدها الرسول ﷺ ، وأثبتها علماء التربية والأخلاق :

أما أن القرآن الكريم قررها فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ .

(الروم : ٣٠)

- أما أنه عليه الصلاة والسلام أكدها فلما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصرانه أو يمجّسانه ... » .

– أما أن علماء التربية والأخلاق قد أثبتوها فبعد قليل سنستشهد بأقوال المغربيين والمشرقيين عند الكلام عن أهمية التربية الإنسانية ، وأثرها في إصلاح سلوك الأفراد ، وتقويم اعوجاج الشعوب ؛ ونجتزىء في هذا المجال ما قرره الإمام الغزالي في تعويد الولد خصال الخير ، أو مبادىء الشر باعتبار قابليته وفطرته ؛ فمما قاله في هذه المناسبة : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوّدَ الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وإن عُوّدَ الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدّبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق .. » .

وما أحسن ما قال بعضهم :

وينشأ ناشيء الفتيان منّا على ماكان عوّده أبــــوه

ومادان الفتى بحجى ولكن يعــوده التديّـــن أقربـــوه

ومن هذا العرض لأهمية الفطرة وأثرها ... نعلم أن الولد إذا نشأ في بيت منحرف ، وتعلم في بيئة ضالة ، وخالط جماعة فاسدة ... فلا شك أنه سيرضع لبان الفساد ، ويترب على أسوأ الأخلاق ، ويتلقن مبادىء الكفر والضلال .. وسرعان مايتحول من السعادة إلى الشقاء ، ويتدرج من الإيمان إلى الإلحاد ، وينتقل من الإسلام إلى الكفر .. وعندئذ يصعب رده إلى جادة الحق ، وإلى سبيل الإيمان والهدى ...

ولا بأس في هذه المناسبة أن أستعرض معك – أيها المربي – **صوراً من واقعنا الاجتماعي ونماذج من بيئات الضلال والفساد** ، لتعلم العوامل التي تؤدي إلى انحراف الولد في عقيدته وأخلاقه ، وتعلم كذلك أنه إذا تساهل الاولياء والآباء في تربية أبنائهم ، فسيؤدي بهم الأمر – على الأغلب – إلى الزيغ والانحراف ، واعتناق مبادىء الكفر والإلحاد !! ..

● **فالأب** الذي يدفع بولده إلى المدارس الأجنبية ، والمعاهد التبشيرية يرضع من لبانها ، ويتلقف التوجيه والتعليم على يد مبشريها .. لا شك أن الولد سينطبع على الزيغ والضلال ، ويتدرج على الكفر والإلحاد .. بل سترسخ في نفسه مشاعر الكره للإسلام ، وأحقاد العداوة لهذا الدين .

● **والأب** الذي يسلم قياد ولده لأساتذة ملحدين ، ومربين أشرار ، يلقنونه مبادىء الكفر ، ويغرسون في سويداء قلبه بذور الضلال .. لاشك أن الولد سينشأ على التربية الإلحادية ، والتوجيه العلماني الخطير ..

● **والأب** الذي يسمح لولده أن يطالع ماشاء من كتب الملحدين والماديين ، ويقرأ ما أراد من مطاعن المبشرين والمستعمرين .. لاشك أن الولد سيتشكك بحقيقة عقيدته ودينه ، ويهزأ بتاريخه وأمجاده ، ويكون حرباً على مبادىء الإسلام ..

• **والأب** الذي يرخي لولده العنان ، ويترك حبله على غاربه ليخالط من رفقاء الزيغ والضلال مايرغب ، ويعتنق من المبادىء الضالة والأفكار المستوردة مايشاء ... لاشك أن الولد سيسخر لامحالة بكل القيم الدينية والمبادىء الخلقية التي جاءت بها الأديان والشرائع .

• **والأب** الذي يترك المجال لولده لأن ينتمي إلى أحزاب إلحادية كافرة ، وإلى منظمات علمانية لا دينية ، وإلى هيئات لاترتبط بالإسلام عقيدة وفكراً وتاريخاً .. لاشك أن الولد سيتربى على عقائد ضالة ، وينشأ على مبادىء إلحادية كافرة ، بل يكون حرباً على الأديان والقيم والمقدسات !! .

وليس النبتُ ينبت في جنان كمثل النبت ينبتُ في الفلاةِ
وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُدَيّ الناقصات

* * *

وإذا كان على المربين بشكل عام ، والأبوين بشكل خاص مسؤولية كبرى في تنشئة الولد على عقيدة الإيمان ، وواجب أعظم في تلقينه مبادىء الإسلام ... **فينبغي أن نعرف حدود هذه المسؤولية ، وأبعاد هذا الواجب** .. ليعلم كل من كان له في عنقه حق التوجيه والتربية المهمة الملقاه على عاتقه في تنشئة الولد على التربية الإيمانية الكاملة المرضية .

وحدود هذه المسؤولية مرتبة على الشكل التالي :

١ – **أن يرشدوهم إلى الإيمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وإبداعه الرائع** عن طريق التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض . وذلك في سن الإدراك والتمييز . ويحسن أن يتدرجوا معهم من المحسوس إلى المعقول ، ومن الجزئي إلى الكلي ، ومن البسيط إلى

المركب .. حتى يصلوا معهم في نهاية الشوط إلى قضية الإيمان عن اقتناع وحجة وبرهان ... ؛ وحين يأخذ الولد منذ الصغر القضايا الإيمانية الثابتة ... وتنصب في ذهنه وفكره الأدلة التوحيدية الراسخة ... فلا تستطيع معاول الهدم أن تنال من قلبه العامر ، ولايمكن لدعاة السوء أن يؤثروا على عقله الناضج ، ولا يقدر إنسان أن يزعزع نفسيته المؤمنة .. لما وصل إليه من إيمان ثابت ، ويقين راسخ ، وقناعة كاملة .

وهذه الطريقة من التدرج من الأدنى إلى الأعلى ، ومن المحسوس إلى المعقول .. في الوصول إلى الحقيقة هي طريقة القرآن الكريم ... وإليكم طرفاً من آياته الباهرة :

- ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون • وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون • وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون • أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ؟ ﴾ .

(النحل : ١٠ — ١٧)

﴿ إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

(البقرة : ١٦٤)

- ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصُّلب والترائب إنه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر ﴾ .
(الطارق : ٥ - ١٠)

- ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنَّا صببنا الماء صبًّا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم .. ﴾ .
(عبس : ٢٤ - ٣٢)

- ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ .
(فاطر : ٢٧ - ٢٨)

- ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرةً وذكرى لكل عبد مُنيب .. ﴾ .
(ق : ٥ - ٨)

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة التي لا تعد ولا تحصى ..

٢ - أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين :

وذلك بتفتيح بصائرهم على القدرة المعجزة ، والملكوت الهائل الكبير في كل شيء .. في الدقيق والكبير .. في الجامد والحي .. في النبتة النابتة والشجرة النامية ..

في الزهرة الفواحة البديعة الألوان .. في ملايين الملايين من الخلائق العجيبة الصنع ، البديعة التكوين ... فما يملك القلب إزاء ذلك إلا أن يخشع ويهتز لعظمة الله ، وما تملك النفس تجاه هذا إلا أن تحس بتقوى الله ومراقبته ، وأن تشعر بكليتها وقرارة وجدانها بلذة الطاعة وحلاوة العبادة لله رب العالمين .

ومن وسائل تقوية الخشوع ، وترسيخ التقوى في نفس الولد ترويضه في سن التمييز على التخشع في الصلاة ، وتأديبه على التحزن والتباكي عند سماع القرآن الكريم . وهذه هي صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين ، وخصيصة المؤمنين الصادقين ..

ولنستمع إلى القرآن العظيم في تمجيده الخاشعين ، وثنائه على الأتقياء المخبتين :

- ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ .

(المؤمنون : ١ — ٢)

- ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء** ﴾ .

(الزمر : ٢٣)

- ﴿ **وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ .

(الحج : ٣٤ — ٣٥)

﴿ **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكيًّا** ﴾ .

(مريم : ٥٨)

- ﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ .

(الحديد : ١٦)

وهذه الظاهرة من الخشوع والإخبات والتحزن .. هو ماكان عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وماكان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، والسلف الصالح ، والعارفون بالله رحمهم الله . فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرأ عليّ القرآن » ، فقلت يارسول الله : أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « اني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ ، قال : « حسبك الآن » ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان .

وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : هكذا كنا حتى قست القلوب .

وأخبار السلف في بكائهم وتخشعهم في صلاتهم ، وفي سماعهم للقرآن الكريم أكثر من أن تحصى ، وقصصهم الرائعة في كتب الأخلاق والتربية كثيرة ومستفيضة ...

وربما يجد المربي في ترويض الولد على الخشوع والتحزُّن والبكاء ... صعوبة ومشقة في بدء الترويض والتعليم ، ولكن في التنبيه تارة ، والمثابرة أخرى ، والتأسي ثالثة .. يصبح التخشع والتحزن .. خلقاً أصيلا في الولد ، وطبعاً كريماً من طباعه وأخلاقه ...

وما أحسن ماقال بعضهم :

قد ينفع الأدبُ الأولادَ في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت
ولاتلين ولو ليّنتَهُ الخشب

وهذا التعويد من البكاء والتخشع .. في أخذ الأولياء به ، وترويضهم عليه هو ما أرشد إليه عليه الصلاة والسلام في قوله :

« أقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » . رواه الطبراني .

٣ – أن يربوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم وأحوالهم ..

وذلك بترويض الولد على أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .. وتخليق الولد على مراقبة الله تعالى يجب أن تكون غاية المربي وهمّه وهدفه الأكبر ، وذلك لا يكون إلا في ترويض الولد عليها وهو يعمل ، وترويضه عليها وهو يفكر ، وترويضُه عليها وهو يُحِسّ :

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يعمل فليتعلّم الإخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته ، ولكي يقصد وجه الله سبحانه في كل عمل يسبقه نية ، وعندئذ يتحقق بالعبودية الخالصة لله تعالى ، ويكون مِمّن شملهم القرآن بقوله :

﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاءَ ، ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دِين القيّمة ﴾ .

(البينة : ٥)

وكذلك على المربي أن يشعر الولد بأن الله سبحانه لا يقبل منه أي عمل إلا إذا قصد من ورائه وجه الله ، وابتغى به مرضاته .. للحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا ، وابتُغي به وجهه » ؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى .. » .

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر فليتعلم الأفكار التي تقرّبه من خالقه العظيم .. والتي بها ينفع نفسه ، وينفع مجتمعه ، وينفع الناس أجمعين .. بل يجب أن يُروَّض على أن يكون عقله وقلبه وهواه تبعاً لما جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وكذلك على المربي أن يؤدب الولد على المحاسبة حتى على الخواطر السيئة ، والأفكار الشاردة .. وأن يُحفّظه أواخر سورة البقرة[1] مع بيان ما فيها من إرشادات وأدعية لما تشتمله هذه الآيات من توجيه إلى مراقبة الله ، والمحاسبة للنفس ، والالتجاء إلى خالق الأرض والسموات ، ومناجاته والدعاء له .

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يحس .. فليتعلم كل إحساس نظيف ، وليتربّى على كل شعور طاهر ... فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ، ولا يتمتع المتاع الدّنِس ، ولا يشتهي الشهوات الباطلة .. وكلما أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمّارة بالسوء تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه فإذا هو متذكر مبصر .. وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجه اليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في إجابته السائل عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

وقد أشار إليه القرآن الكريم بقوله :

﴿ وإما ينزغنّك من الشيطان نزْغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ؛ إن الذين

---

(١) الآيات تبدأ من قوله تعالى : « ولله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم ... إلى آخر السورة » .

اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .
(سورة الأعراف : ٢٠١)

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم .. كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم ، وتأديبهم عليها ، وإليكم ما قصه الإمام الغزالي في إحيائه :

(قال سهل بن عبد الله التستري : كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار) ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي ؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلته فوقع في قلبي حلاوته ؛ فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ؛ فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري ؛ ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل من كان الله معه ، وناظراً إليه ، وشاهده .. أيعصيه ؟ إياك والمعصية ..) وأصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .. بفضل خاله الذي أدَّبه وعلمه وربّاه .. وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة ، وأنبل مكارم الأخلاق ..

* * *

وحينما ينهج المربون في تربية الأولاد هذا النهج ، وحينما يسير الآباء والأمهات في تأديب الأبناء على هاتيك القواعد .. يستطيعون في فترة يسيرة من الزمن أن يكوّنوا جيلاً مسلماً مؤمنا بالله ، معتزًّا بدينه ، مفتخراً بتاريخه وأمجاده .. ويستطيعون كذلك أن يكوّنوا مجتمعاً نظيفاً من الإلحاد ، نظيفاً من الميوعة ، نظيفاً من الحقد ، نظيفاً من الجريمة .

وهذه التربية الإيمانية التي فصلنا فيها ، ودار الكلام حولها .. **هي التي يلح عليها كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب** لتحرر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة ..

وإليكم طرفاً من أقوالهم :

● كتب « دستوفسكي » أعظم قصصي في عالم الغرب ليبين كيف أصبح الإنسان متلبّساً بالشياطين حين هجر الله تعالى[١] .

● ويقول الأديب الفرنسي الشهير « فولتير » ساخراً من طبقة المتحدين الماديين المشككين :

(لِمَ تشككون في الله ، ولولاه لخانتني زوجتي ، وسرقني خادمي !! ..) .

● ويقول الدكتور « هنري لُنك » الطبيب النفسي الأمريكي في كتابه « العودة إلى الإيمان » .

(فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمّون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها ، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل ، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لاحل لها ، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخُلُقي الإلهي في قلوب الناس ...) .

● وذكرت مجلة الحج المكية في السنة ٢٣ من الجزء الثالث عن لسان « سوتيلانا » بنت استالين : (أن السبب الحقيقي فجر وطنها وأولادها هو

---

(١) من كتاب « مباهج الفلسفة » (ول ديورانت) ج : ٢ ص : ٢٧٦ .

« الدين » ، فقد نشأت في بيت ملحد لايعرف أحد من أفراده « الرب » ، ولا يُذكر عندهم عمداً ولا سهواً .. ولما بلغت سن الرشد وجدت في نفسها – من غير أي دافع خارجي – إحساسا قويا بأن الحياة من غير الإيمان بالله ليست حياة ، كما لايمكن أن يقام بين الناس أي عدل أو انصاف من غير الإيمان بالله ، وشعرت من قرارة نفسها أن الانسان في حاجة إلى الإيمان كحاجته إلى الماء والهواء ..) .

● وقد أعلن الفيلسوف « كانت » أنه لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاث :

(وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت) .

والذي نخلص اليه بعد ماتقدم أن الإيمان بالله هو أساس إصلاح الولد ، وملاك تربيته الخلقية والنفسية .. ولقد رأيت – أخي القارىء – من أقوال علماء التربية والأخلاق في العالم الصلة الوثيقة بين الإيمان والخلق ، والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل ، وإن شاء الله في معالجتنا لبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فسنفصل القول عن أثر الإيمان في تقويم سلوك الولد ، وتهذيب خلقه ، وتقويم اعوجاجه ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

وصفوة القول إن مسؤولية التربية الإيمانية لدى المربين والآباء والأمهات .. هي مسؤولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل ، ومبعث الكمالات .. بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان ، وقنطرة الإسلام ... وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية ، ولا يتصف بأمانة ، ولا يعرف غاية ، ولايتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة ، ولا يعمل لمثل أعلى ولاهدف نبيل .. بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن يسد جوعته ، ويشبع غريزته ، وينطلق وراء الشهوات والملذات ، ويصاحب الأشقياء والمجرمين .. وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة ، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه :

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم ﴾ .

(سورة محمد : ١٢)

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله ، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان ، وباللفتات التي تقوي فيه جانب العقيدة .. وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية ، هو أسلوب المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حيث كان يسعى دائما إلى أن يوجه الأولاد إلى كل مايرفع من شأنهم ، ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم .. وإليك — أخي القارىء — بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عليه الصلاة والسلام :

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ؛ إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ؛ رُفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وختاماً : أقترح على المربين والمعلمين والآباء .. أن يختاروا لتلاميذهم وأبنائهم أفضل الكتب لتعليم الأولاد عقيدة التوحيد منذ سن التعقل والتمييز ، وأرى أن يكون التعليم على مراحل ، كل مرحلة تتفق مع سن الولد ومع نضجه وثقافته .

دراسة المرحلة الأولى :

وهي مابين سن العاشرة إلى الخامسة عشرة :
١ - كتاب « المعرفة » لفضيلة العالم المرشد الشيخ عبد الكريم رفاعي رحمه الله .

٢ - وكتاب « العقائد » للإمام حسن البنا رحمه الله .

٣ - وكتاب « الجواهر الكلامية » للأستاذ طاهر الجزائري .

دراسة المرحلة الثانية :

وهي مابين سن البلوغ إلى سن العشرين :
١ - « أصول العقائد » للأستاذ عبد الله عرواني .

٢ - كتاب « الوجود الحق » للدكتوب حسن هويدي .

٣ - كتاب « شبهات وردود » للمؤلف .

دراسة المرحلة الثالثة :

وهي مابعد سن العشرين :
١ - كتاب « كبرى اليقينيات الكونية » للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٢ - كتاب « الله جل جلاله » للأستاذ سعيد حوّى .

٣ - كتاب « قصة الإيمان » للأستاذ نديم الجسر .

ويضاف إلى كتب مرحلتي الثانية والثالثة كتب عقيدية وفكرية أخرى ، فعلى كل شاب مسلم أن يقتنيها ويمر على دراستها ، ويتعمق في فهمها ومطالعتها لكونها ترسخ جانب العقيدة ، وتزيد من معين الإيمان .

وأهم هذه الكتب هي :

الدين في مواجهة العلم	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الإسلام يتحدى	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الله يتجلى في عصر العلم	لمجموعة من علماء الغرب
العلم يدعو إلى الإيمان	لكريسي موريسون
الله والعلم الحديث	لعبد الرزاق نوفل
الطب في محراب الإيمان	للدكتور خالص كنجو
قصة الهداية	للمؤلف .

إلى غير ذلك من هذه الكتب التي تقوي الإيمان ، وترسخ معاني العقيدة والإسلام ...

هذا إن كان الولد مثقفاً يتابع مراحل دراسته حتى الجامعة .. أما إذا كان الولد مقتصراً في دراسته على المرحلة الابتدائية ثم نزل الحياة العملية لابتغاء الرزق ، فعلى الأب أن يسعى جهده في تعليمه عقيدة التوحيد في أوقات فراغه على يد أساتذة أكفاء يلقنونه مبادىء الإيمان ، ويغرسون في نفسه بذور التوحيد الخالص حتى يعرف بوضوح ما يجب لله ، وما يجوز ، وما يستحيل .. وعندئذ ينشأ على التربية الإيمانية الخالصة .. فلا يتزعزع بشبهة ولا ينساق وراء فتنة أو إغراء !!

* * *

الفصل الثاني

٢ ـ مسؤوليّة التربية الخلقيّة

نقصد بالتربية الخُلقية مجموعة المبادىء الخُلقية ، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضمّ الحياة ..

وممّا لاشك فيه ، ولا جدال معه **أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة** ...

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله ، ويتربّى على الخشية منه ، والمراقبة له ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. تصبح عنده الملكة الفطرية ، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة ، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم .. لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره ، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه ، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره واحساساته .. كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة .. بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته ، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته ..

وممّا يؤكد هذا نجاح التجربة العملية التي يسلكها الكثير من الآباء المتدينين مع أبنائهم ، وكثير من المرشدين والمربين مع مريديهم وتلامذتهم ، فهذه التجربة أصبحت

معلومة في سيرة السلف ، وعالم الواقع .. وسبق أن ذكرنا موقف « محمد بن سوار » من ابن أخته « التستري » في تربيته على الإيمان ، وإصلاح نفسه ووجدانه ، ورأينا أن نفسه قد صلحت لما رباه خاله على مراقبة الله ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .... وذلك في ملاحقته على أن يردّد في سره وعلنه ، وظاهره وباطنه ، واجتماعه وخلوته : « الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي » .

* * *

وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية ، مجردة من التوجيه الديني ، والصلة بالله عز وجل .. فإن الطفل - لاشك - يترعرع على الفسوق والانحلال ، وينشأ على الضلال والإلحاد ، بل سيُتبع نفسه هواها ، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة ، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة .

(فإن كان مزاجه من النوع « الهادىء المسالم » عاش في الحياة غافلاً بليداً ، حياً كميت ، وموجوداً كمفقود ، ولا يحس أحد بحياته ، ولا يترك فراغاً بعد موته ، ورحم الله من قال :

فذاك الذي إنْ عاش لم يُنتفَع به وإنْ مات لاتبكي عليه أقاربُه

وإن كان يغلب على نفسه الجانب « البهيمي » جرى وراء الشهوات والملذّات يقتحم إلى بلوغها كل حرمة ، ويسلك من أجلها كل طريق ، لا حياء يردعه ، ولا ضمير يقمعه ، ولا عقل يمنعه ، يقول ما قاله أبو النواس :

إنما الدنيـــا طعـــام وشراب ونَـــدام[1]
فـــإذا فـاتـــك هـــذا فعلى الدنيـــا السلام

---

(١) الندام : المنادمة والمجالسة على شرب الخمر .

وإن كان مزاجه من النوع « العصبي » جعل همة العُلوّ في الأرض ، والاستكبار على الناس ، وإظهار السلطة والتحكم في الرقاب ، والفخر بلسانه ، والاختيال بفعاله ، ولم يهمه في سبيل ذلك أن يبني قصراً من جماجم البشر ، وأن يزخرفه بدماء الأبرياء ، شعاره ماقاله الشاعر الجاهلي :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظُلمنا ولكنّا سنبدأ ظالمينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخرّ له الجبابر ساجدينا

وإن كان يغلب عليه الجانب « الشيطاني » دبر المكائد ، وفرق بين الأحبة ، ووضع الألغام ليدمر ، وسمّم الآبار ليقتل ، وعكّر المياه ليصطاد ، وزيّن الإثم ، وأغرى بالفاحشة ، وأوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وقال مع الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما يُرجّى الفتى كيما يضر وينفعا

وهكذا يدور كل من هؤلاء حيث تدور نفسه الأمّارة ، ويندفع حيث يدفعه مزاجه المنحرف ، وينقاد لأمر هواه ، والهوى يعمي ويُصم ، وهو آله معبود ، قال تعالى :

﴿ ومن أضل ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾[1].
(القصص : ٥٠)

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن التربية الإيمانية هي التي تعدّل المزاج المنحرف ، وتقوّم المعوج الفاسد ، وتصلح النفس الإنسانية .. وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح ، ولا أن يتم استقرار ، ولا يتقوّم خلق ..

---

(١) من كتاب « الإيمان والحياة » للأستاذ القرضاوي صفحة : ٢١٠ مع بعض التصرف .

وهذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والأخـلاق ، والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب ، وفي كثير من الأمم .. فأصدروا توجيهاتهم ، وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنه من غير دين لا يتم استقرار ، وبغير ايمان بالله لا يتحقق إصلاح ، ولا يتقوم خُلق ..

وإليكم طائفة من آرائهم وتوجيهاتهم :

● قال الفيلسوف الألماني « فيخته » : (الأخلاق من غير دين عبث) .

● قال الزعيم الهندي المعروف « غاندي » : (ان الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ، ولا يفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لا تتجزأ ، إن الدين كالروح للأخلاق ، والأخلاق كالجو للروح ، وبعبارة أخرى الدين يغذي الأخلاق وينميها وينعشها ، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه) .

● وقال القاضي البريطاني « دينج » معقباً على فضائح وزير بريطاني سابق في علاقة خلقية : (بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون !! .. الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها ، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يرنو إليه ، ويعمل له ، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد ، ويكفكف من طغيان غرائزه ، وسيطرة عاداته ، ويخضعها لأهدافه ومُثله ، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق ..) .

● وسبق أن ذكرنا تصريح الفيلسوف « كانت » الذي يقول : (لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت) .

* * *

فلا عجب بعد الذي ذكرناه أن تُولي شريعة الإسلام اهتمامها البالغ بتربية الأولاد من الناحية الخُلقية ، وأن تصدر توجيهاتها القيمة في تخليق الولد على الفضائل والمكارم ، وتأديبه على أفضل الأخلاق ، وأكرم العادات ؟ .

وإليكم أهم هذه التوصيات والتوجيهات في تربية الولد من الناحية الخلقية والسلوكية :

– روى الترمذي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مانَحَل[1] والد ولداً من نُحْلٍ أفضل من أدب حسن » .

– وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

وأخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه : « علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » .

– وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ، ويحسن اسمه » .

– وروى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الغلام يُعَقّ[2] عنه يوم السابع ، ويُسمّى ، ويماط عنه الأذى ، فإذا بلغ ست سنين أدِّب ، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، وأعوذ بالله من فتنتك في الدنيا ، وعذابك في الآخرة » .

---

(١) نحله : أي أعطاه .

(٢) يعق عنه : أي يذبح عنه .

فيؤخذ من مجموعة هذه الأحاديث التربوية أن على المربين – ولاسيما الآباء والأمهات – مسؤولية كبرى في تأديب الأولاد على الخير ، وتخليقهم على مبادىء الأخلاق ..

ومسؤوليتهم في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل مايتصل بإصلاح نفوسهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وترفعهم عن الدنايا ، وحسن معاملتهم للآخرين ..

فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق ، والأمانة ، والاستقامة ، والإيثار ، وإغاثة الملهوف ، واحترام الكبير ، وإكرام الضيف ، والإحسان إلى الجار ، والمحبة للآخرين ...

ومسؤولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب ، والشتائم والكلمات النابية القبيحة ، وعن كل ما ينبىء عن فساد الخلق ، وسوء التربية ...

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنايا الأمور ، وسفاسف العادات ، وقبائح الأخلاق ، وعن كل ما يحط بالمروءة والشرف والعفة ...

ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر إنسانية كريمة ، وإحساسات عاطفية نبيلة ، كالإحسان إلى اليتامى ، والبر بالفقراء ، والعطف على الأرامل والمساكين ....

إلى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب ، وترتبط بالأخلاق ...

* * *

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر الإسلام تعتمد في الدرجة الأولى على **قوة الملاحظة والمراقبة** ... فجدير بالآباء والأمهات والمعلمين ، وكل من يهمه أمر التربية والأخلاق .. أن يلحظوا في الأولاد ظواهر أربعة ، وأن يعيروها اهتمامهم لكونها من أقبح الأعمال ، وأحط الأخلاق ، وأرذل الصفات ..

وهذه الظواهر مرتبة كما يلي :

١ – ظاهرة الكذب .

٢ – ظاهرة السرقة .

٣ – ظاهرة السباب والشتائم .

٤ – ظاهرة الميوعة والانحلال .

أما ظاهرة الكذب فإنها من أقبح الظواهر في نظر الإسلام ، **فواجب** على المربين جميعاً أن يُعيروها اهتمامهم ، وأن يركزوا عليها جهودهم ، ليقنع الأولاد عنها ، وينفروا منها ، ويتجنبوا مزالق الكذب ، وقبائح النفاق ..

– ويكفي الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عدّه الإسلام من **خصائل النفاق** : روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » .

– ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن من يزاوله **يكون في سخط الله وعذابه** : روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولايزكيهم ، ولاينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، ومَلِك كذاب ، وعائل مستكبِر » .

- ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن من يعتاده **يكتب عند الله من الكاذبين** : روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ... إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ومايزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً » .

- ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن عدّه عليه الصلاة والسلام **خيانة كبيرة** : روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كبرتْ خيانة أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك مُصدّق ، وأنت له به كاذب » .

فإذا كان هذا شأن الكذب والكذابين فما على المربين إلا أن يُنفّروا أبناءهم منه ، وينهوهم عنه ، ويحذروهم عواقبه ، ويكشفوا لهم عن مضاره وأخطاره .. حتى لا يقعوا في حبائله ، ويتعثروا في أوحاله وينزلقوا في متاهاته ...

وإذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على **القدوة الصالحة** .. فجدير بكل مربٍّ مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء ، أو ترغيبهم في أمر ، أو تسكينهم من غضب .. فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عوّدوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات ، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب ... عدا عن أنهم يفقدون الثقة بأقوالهم ، ويضعف جانب التأثير بنصائحهم ومواعظهم ..

لهذا كله نرى المربي الأول ، والمرشد الكامل محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد حذر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم ولو بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة حتى لاتكتب عليهم عند الله كذبة .. روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله ابن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت

أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أما إنك لو لم تُعطيه شيئاً كُتبتْ عليك كَذْبة » .

وروى أحمد وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال لصبيّ هاك[1] ، ثم لم يعطه فهي كَذْبة » ..

ومن طرائف مايروى في تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة : يقول العالم الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « بنيْتُ أمري – من حين ما نشأت – على الصدق ، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة ، وعاهدتني على الصدق ، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص ، فأخذوا القافلة ، فمرّ واحد منهم وقال لي : ما معك ؟ قلت أربعون ديناراً ، فظن أني أهزأ به فتركني ، فرآني رجل آخر ، فقال مامعك ؟ فأخبرته بما معي ، فأخذني إلى كبيرهم ، فسألني فأخبرته ، قال : ما حملك على الصدق ؟ قلت : عاهدتني أمي على الصدق ، فأخاف أن أخون عهدها !!. فأخذت الخشية رئيس اللصوص ، فصاح ومزق ثيابه ، وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله ؟!!... ثم أمر بردّ ما أخذوه من القافلة ، وقال : أنا تائب لله على يديك ، فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق .

أما ظاهرة السرقة فهي لاتقل خطراً عن ظاهرة الكذب ، وهي متفشية في البيئات المتخلّفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام ، ولم تتربَّ على مبادىء التربية والإيمان ...

---

(١) هاك : أي أقبل وخذ شيئاً .

ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه ، وإن لم يتعود على الأمانة وأداء الحقوق .. فإن الولد - لاشك - سيدرج على الغش والسرقة والخيانة ، وأكل الأموال بغير حق ؛ بل يكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع : ويستعيذ من سوء فعاله الناس ...

لهذا كان لزاما على الآباء والمربين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه ؛ وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة ؛ وأن يبصروهم بماذا أعد الله للمجرمين المنحرفين من مصير فاضح ، وعذاب أليم يوم القيامة ...

ومن المؤلم أن كثيراً من الأمهات والآباء لم يراقبوا أولادهم مراقبة تامة فيما يرونه معهم من أمتعة وأشياء ونقود .. فبمجرد أن يدعي الأولاد أنهم التقطوها من الشارع ، أو أهداها لهم أحد الرفقاء .. صدّقوهم ، وأخذوا بأقوالهم الكاذبة ، دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة التدقيق والتحقيق!! .. ومن الطبيعي أن يبرّر الولد لسرقته مثل هذه الادعاءات الباطلة مخافة الاتهام والفضيحة ، ومن الطبيعي أن يتمادى الولد في الإجرام حين لم يجد من مربيه البحث الدقيق ، والاهتمام البالغ ...

والأقبح من ذلك أن يجد الولد من أحد أبويه من يدفعه إلى السرقة ، ويشجّعه عليها .. فإن الولد - ولاشك - سيكون عريقاً في الإجرام ، متمادياً في الانحراف واللصوصية ..

وهل يُرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثُديّ الناقصات

(حكمت إحدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع ، فلما جاء وقت التنفيذ ، قال لهم بأعلى صوته ، قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي .. فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني ، ولم تطلب إليّ إرجاعها إلى

الجيران ، بل زغردت وقالت : الحمد لله ، لقد أصبح ابني رجلا ، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقاً)[1] .

وإليكم – يامعشر الآباء والأمهات – **بعض النماذج في استقامة أبناء السلف الصالح** ، وفي حرصهم على أداء الحقوق ، والتزامهم خلق الأمانة ، ومراقبتهم لله عز وجل في المتقلب والمثوى ، والسر والعلانية .

– أصدر عمر رضي الله عنه قانوناً يمنع غش اللبن بخلط بالماء .. ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف وأن تقبض على كل خائن وغاشّ ؟ .

القانون أعجز من هذا .. الإيمان بالله والمراقبة له هو الذي يعمل عمله في هذا المجال ...

وهنا تحكي القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها : الأم تريد ان تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين .

وتردّ الابنة بالجواب المفحم : إن كان أمير المؤمنين لا يرانا ، فربّ أمير المؤمنين يرانا !! .

– وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة .. فانحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له عمر ممتحناً : يا راعي بعني شاة من هذه الغنم ، فقال : إني مملوك .

فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب .

---

(١) من كتاب أخلاقنا الاجتماعية للسباعي رحمه الله ص ١٦٣ .

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال له : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة .

* * *

أما ظاهرة السباب والشتائم فإنها من أقبح الظواهر المتفشية في محيط الأولاد ، والمنتشرة في البيئات المتخلفة عن هدي القرآن ، وتربية الإسلام .. والسبب في ذلك يعود إلى أمرين أساسيين :

الأول – القدوة السيئة :

فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب ، وألفاظ الشتيمة والمنكر ... فإن الولد – لا شك – سيحاكي كلماتهم ، ويتعود ترداد ألفاظهم ...

فلا يصدر منه في النهاية إلا كلام فاحش ، ولا يتلفظ إلا بمنكر القول وزوره .

الثاني – الخلطة الفاسدة :

فالولد الذي يُلقى للشارع ، ويترك لقرناء السوء ، ورفقاء الفساد ... فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب والشتيمة .. ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحطَّ الألفاظ ، وأقبح العادات والأخلاق ، وينشأ على أسوأ مايكون من التربية الفاسدة ، والخلق الأثيم .

لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً .. أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب ، وتهذيب اللسان ، وجمال اللفظ والتعبير .. كما يجب

عليهم أن يجنبوهم **لعب الشارع** ، **وصحبة الأشرار** ، **وقرناء السوء** حتى لايتأثروا من انحرافهم ، ويكتسبوا من عاداتهم ؛ ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان ، ونتيجة البذاءة ؛ في تحطيم الشخصية ، وسقوط المهابة ، وإثارة البغضاء ، والأحقاد بين أفراد المجتمع .

وأخيراً وجب على المربين أيضا أن **يلقنوا أولادهم** الأحاديث التي تُحذِّر من السباب والشتائم، والتي تبيّن ما أعد الله للفحّاشين واللعّانين من إثم كبير ، وعذاب أليم .. عسى أن ينزجروا بها ، ويتأثروا بتوجيهاتها ومواعظها ..

وإليكم بعض الأحاديث النبوية التي تنهى عن السباب ، وتحذر من الشتائم :

- « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » البخاري ومسلم وغيرهما .

- « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يارسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسبّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » البخاري وأحمد .

- « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » البخاري .

- « وهل يكُبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » أصحاب السنن وأحمد .

- « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء » رواه الترمذي .

فما أجمل الولد حين يتلفظ الألفاظ الجميلة ، والكلمات الحلوة الطريفة ، وما أحسنه حين يؤدب على المنطق الرصين ، والتعبير الظريف !!.. وما أكرمه حينا يستهجن ما يسمعه من لغة اللعن والسبّ والبذاءة !!.. فلا شك أنه يكون ريحانة في البيت ، وشامة في الناس .

وإليكم نموذجا يبين ما كان عليه أولاد السلف من أدب الكلام ، وحسن الخطاب ، وجمال القول ، لتعلموا – أيها الآباء – كيف كان الأولاد في الماضي يتحدثون ويتكلمون :

قَحَطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت القبائل إلى هشام ، ودخلوا عليه ، وفيهم « درواس بن حبيب » وعمره أربع عشرة سنة ، فأحجم القوم ، وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام على « درواس » فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إليّ إلا وصل ، حتى الصبيان ؟!. فعلم « درواس » أنه يريده ، فقال يا أمير المؤمنين : إن دخولي لم يُخلّ بك شيئاً ولقد شرّفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طيّ ، ولا يُعرف الكلام الا بنشره ، فقال هشام : فانشر لا أبا لك !!.. وأعجبه كلامه ، فقال يا أمير المؤمنين : أصابتنا ثلاث سنين : فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقّت العظم ؛ وفي أيديكم فضول أموال. إن كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها .

وإن كانت لعباد الله فعلامَ تحبسونها عنهم ؟

وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ، ولايضيع أجر المحسنين .

واعلم يا أمير المؤمنين : أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم . وأمر للدرواس بمائة ألف درهم .

فقال يا أمير المؤمنين : ارددها إلى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم ؛ فقال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين !.

* * *

أما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يُلقّب بالقرن العشرين ، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين والشباب والمراهقات والشابات .. قد انساقوا وراء التقليد الأعمى ، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين أو وازع من ضمير .. كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة وشهوة هابطة ولذة محرمة ... فإذا مافاتهم هذا فعلى الدنيا السلام !! ..

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن ، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن ، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى ، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم ، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإراداتهم قبل أن ينهزموا في ميادين الكفاح والجهاد .

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة الا أن يتخنفس في مظهره ، وأن يتخلّع في مشيته ، وأن يتميّع في منطقه ، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها ، ويقتل شخصيته في التودد إليها .. وهكذا يسير من فساد إلى فساد ، ومن ميوعة إلى ميوعة ... حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه .

ورحم الله من قال :

كل من أهمل ذاتيتــــه فهو أولى الناس طرًا بالفناء
لن يرى في الدهر شخصيته كل من قلّد عيش الغرباء

ولا شك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد وضع **للآباء والأولياء والمربين جميعاً المنهج العلمي ، والمبادىء الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم ، والشخصية الإسلامية المتميزة ...**

وإليكم أهم بنود هذا المنهج ، وأميز هاتيك المبادىء

١ – التحذير من التشبه والتقليد الأعمى :

– روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خالفوا المشركين : حفّوا الشارب ، واعفوا عن اللحى » ، وفي رواية لمسلم « جزّوا الشارب ، وارخوا اللحى ، وخالفوا المجوس » .

– وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ؛ لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى » .

– وفي رواية لأبي داود : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لايكن أحدكم إمّعةً يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنّوا أنفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وعليك – أيها القارىء – أن تميز بين أمرين فيما نأخذ من عند الأجانب وفيما ندع :

الأول - الجواز : وذلك استمداد العلم المفيد ، والحضارة النافعة كعلم الطب ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، ووسائل الحرب ، وحقائق المادة ، وأسرار الذرة .. وغيرها من الحضارات والعلوم النافعة لكونها تدخل في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ؛ وفي مضمون قوله ﷺ فيما رواه الترمذي والعسكري والقضاعي : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » ، وفي عموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ﴾ .

(سورة الانفال : ٦١)

الثاني - التحريم : وذلك في تقليد السلوك ، والأخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، وجميع المظاهر الأجنبية عنا ، والأوضاع المنافية لخصائص أمتنا ، ومقومات أخلاقنا .. لكونها تؤدي إلى فقدان الذات ، وذوبان الشخصية ، وهزيمة الروح والارادة ، ونكسة الفضيلة والأخلاق .

٢ - النهي عن الاستغراق في التنعم :

- في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى المسلمين المقيمين في بلاد فارس : « إياكم والتنعُّم وزيَّ أهل الشرك » .

- وفي رواية للإمام أحمد : « ذروا التنعم وزيّ أهل العجم » .

- وروى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

والمقصود بالتنعم هو الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات ، والتقلب الدائم في النعيم والترف .. ولا يخفى ما في هذه الظاهرة من إخلاد للراحة ، وتقاعس عن واجب

الدعوة والجهاد ، وانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال ، وسبب لتفشي الأسقام والأمراض ..

٣ - النهي عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع :

- روى الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث بن أبي أسامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي تعبد في الجاهلية » .

- وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه ﷺ قال : « ليكونَنّ في أمتي أقوام يستحلون الحِرّ[١] ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » .

- وروى ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْرى في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَنْ قعد إلى قَيْنَة يستمع منها صبّ الله في أذنيه الآنُك[٢] يوم القيامة » .

- وروى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع إلى صوت الروحانيين في الجنة » .

ولايخفى على كل ذي عقل وبصيرة ما في الاستماع إلى هذه المحرمات من أثر على أخلاق الولد ، ومن جرّه إلى الترهل والفجور والمنكر ، ومن انزلاقه في متاهات الشهوات والملذات !! ..

ولابد في المناسبة أن نذكر **كلمة عن حكم الإسلام في اقتناء الجهاز التلفزيوني** ، ليكون الآباء على بينة وهدى من أمرهم ، وعلى علم في أمر حِلّه أو تحريمه :

---

(١) الحِرّ : الفرج ، والمراد به استحلال الزنا .
(٢) الآنُك : الرصاص المذاب .

، مما لاشك فيه أن اختراع هذه الوسائل الإعلامية من مذياع ، وتلفزيون ، وآلة تسجيل .. وغيرها تعد من أرق ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في الوقت الحاضر ؛ وإنها سلاح ذو حدين : تستعمل للخير ، وتستعمل للشر ، ولايختلف اثنان أن هذه الاختراعات المذكورة إن استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الإسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة إلى مايصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في جواز اقتنائها واستعمالها ، والاستفادة منها ، والاستماع إليها .. أما إذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف ، ونشر الميوعة والانحلال ، وتحويل الجيل الحاضر إلى طريق غير الإسلام .. فلا يشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، وإثم اقتنائها ، ووزر من يستمع إليها .

ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا .. نجد أن أكثر هذه البرامج ترمي إلى هدر الشرف ، وتوجه نحو الخنا والزنى ، وتشجع على السفور والاختلاط والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية .. وقليل من برامجه مايهدف إلى العلم ، ويوجه إلى الخير .. وإذا كان الأمر كذلك فإن اقتناء التلفزيون ، والنظر اليه ، والاستماع إلى برامجه الحالية ، يعد من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم .

وإليكم الدليل على ذلك :

(أ) أجمع العلماء والأئمة المجتهدون في كل العصور على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة : حفظ الدين ، وحفظ العقل ، وحفظ النسب ، وحفظ النفس ، وحفظ المال ، وقالوا : إن كل ماجاء في الشريعة الإسلامية من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ترمي إلى حفظ هذه الكليّات الخمس ، وباعتبار أن أكثر برامج التليفزيون الحالية من أغان ماجنة ، وتمثيليات خليعة ، ودعايات مثيرة ، وأفلام فاسدة .. تستهدف هدر الشرف ، وضياع العرض ، والتشجيع على الزنى والفحشاء ... فإنه من المؤكد أن يحرّم الشرع النظر إليها ، والاستماع لها **حفظ النسب والعرض** ، وبالتالي أن يُحرّم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع .

(ب) روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لاضرر ولاضرار » ، وباعتبار التلفزيون ، يوجه في برامجه إلى الميوعة والانحلال ، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة – كما هو مشاهد فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ، ويدخله بيته ، حفاظا على عقيدة الأسرة وأخلاقها وصحتها وقطعاً لدابر الأضرار التي تنجم عنه ، وتطبيقا لحديث « لاضرر ولا ضرار » .

(ج) إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف ، والغناء الخليع ، والرقص المصحوب بالخلاعة والتكشف . وباعتبار أن هذه الأمور محرمة – كما سبق بيانها – فيتبين من أدلة ماذكرنا أن اقتناء التلفزيون محرم لما يصحب البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى ، وغناء ماجن متميع ، ورقصات فاجرة داعرة وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرما كذلك لما لها من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق .. »[١] .

٤ – النهي عن التخنث والتشبه بالنساء :

– في الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قدم معاوية المدينة ، فخطبنا ، وأخرج كُبّة[٢] من شعر فقال : ما كنت أرى أن أحداً يفعله إلا اليهود ، إنَّ رسول الله ﷺ بلغه فسماه الزور . وفي لفظ آخر لمسلم : إن معاوية رضي الله عنه قال ذات يوم : « إنكم قد أحدثتم زي سوء ، وإن النبي ﷺ نهى عن الزور » .

– وروى البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء » . وفي لفظ عند أحمد وأبي داود وابن ماجه : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

---

(١) من نشرة صدرت باسم العلماء في « حكم الإسلام في اقتناء التلفزيون » . ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى كتابنا « حكم الإسلام في وسائل الإعلام » فإن فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

(٢) كبة . هي الشعر المكفوف بعضه على بعض ، وهو الشعر المستعار الذي يضعه بعض الرجال والنساء على رؤوسهم ، وهو ما يسمى « بالبروكة » اليوم

- وروى أبو داود بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » .

وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حُرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأحِلَّ لإناثهم » .

فوضع الشعر المستعار ، ولبس الذهب والحرير ، وتشبه النساء بالرجال ، وتشبه الرجال بالنساء ، وخروج النساء كاسيات عاريات .. كل ذلك من مظاهر التخنث والميوعة ، وكل ذلك قتل للرجولة ، وامتهان للشخصية ، وطعنة نجلاء للفضيلة والأخلاق ، بل جرٌّ للأمة إلى انحلال فاجر ، وإباحية ممقوتة ، ودفع بالمراهقين والشباب نحو الفساد والميوعة ، ومساوىء الأخلاق ..

٥ النهي عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر إلى المحرمات :

- قال تعالى في سورة الأحزاب

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ .

(آية : ٥٩)

وقال في سورة النور :

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون ؛ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن[١] على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ... ﴾ .

(آيات : ٣٠ ـ ٣١)

ولكن هل المرأة مأمورة شرعاً بستر وجهها ؟

---

(١) الخمار : هو ما يستر الرأس والنحر والعنق

• فلنستمع أولا : إلى ماقاله علماء التفسير من الصحابة والسلف في تفسير قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ . (الأحزاب : ٥٩)

– يروي ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : [أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن ف حاجة أن يغطين وجوههن من فوق الجلابيب ويبدين عيناً واحدة] .

– ويروي ابن جرير عن ابن سيرين قوله : [سألت عبيدة بن الحارث الحضرمي عن قوله تعالى : **﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾** .. قال : « فقال بثوبه (أى مثل بثوبه) ، فغطى رأسه ووجهه ، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه »] .

– ويقول العلامة « ابن جرير الطبري » في تفسير هذه الآية :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن .. ﴾ . الآية :

[لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض فاسق إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول] .

– ويكتب العلامة « أبو بكر الجصاص » فيقول : [ف هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبين ، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب (الفساق) فيهن] .

– ويكتب القاضي « البيضاوي » في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ .... **يدنين عليهن من جلابيبهن** .. ﴾ [أي يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة] .

– وعن العلامة « النيسابوري » في تفسير الآية :

﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ ...

[كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية مبتذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرّة والأمة ، فأمرن بلبس الأردية ، وستر الرأس والوجوه] .

يتضح من هذه الأقوال أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وجميع أهل التفسير والعلم متفقون على أن المرأة المسلمة مأمورة بمقتضى آية : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ .. بارتداء الجلباب وستر وجهها عن الأجانب .

● ولنستمع ثانياً : إلى ما صح عن رسول الله ﷺ وعن نساء الصحابة في مسألة ستر المرأة المسلمة وجهها :

– جاء في سنن أبي داود والترمذي والموطأ للإمام مالك .. أن النبي ﷺ أمر المحرمة في الحج أن لا تنتقب ولا تلبس القفازين ، ويروى أبو داود : « ونهى النبي ﷺ النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب[1] » .

وهذا صريح الدلالة على أن النساء في عهد النبوة قد تعوّدن الانتقاب (الذي هو ستر الوجه) ، ولبس القفازين عامة ، فنهين عنه في الإحرام ؛ وهذا ليس على إطلاقه كما دلت عليه الأحاديث التي سنأتي ذكرها الآن .

---

(١) النقاب : ستر الوجه ، والقفازان : ستر اليدين بالكفوف .

- ففي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : [كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات ، فإذا جازوا بنا سَدَلَتْ إحدانا (أى غطّت) جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفناه] .

- وفي الموطأ للإمام مالك ، عن فاطمة بنت المنذر قالت : [كنا نخمر وجوهنا (أى نغطيها) ونحن محرمات ، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فلا تنكره علينا] .

- وقد ورد في فتح الباري عن عائشة رضى الله عنها : [تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها] .

- وثبت في الصحاح أن امرأة مسلمة كانت تقضي بعض شؤونها فى سوق بني قينقاع وكانت محجبة ، فاعترضها رجل من اليهود وسخر منها ومن حجابها ، ثم أراد منها اللعين أن يجبرها على كشف وجهها ، ولكنها رفضت واستغاثت ، فكرَّ على اليهودي رجل من المسلمين فقتله جزاء ما اقترفت يداه الآثمتان !! .

يتضح من هذه الأحاديث الصحيحة أن نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ... كن يسترن وجوههن إذا خرجن فى بعض حوائجهن ولو كن محرمات .. اعتقاداً منهن أن الستر واجب أمر به الشرع الحنيف .

● **ولنستمع ثالثاً : إلى ما قاله الأئمة المجتهدون الثقات فى قضية كشف وجه المرأة :**

ذهب جمهور الأئمة المجتهدين الأعلام ، وعلى رأسهم : **الشافعي** ، **وأحمد** ، **ومالك** .. إلى أن وجه المرأة عورة ، وأن ستره واجب ، وأن كشفه حرام ، وحجتهم فى ذلك ما ثبت عن الصحابة والسلف فى أن الآية : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ .. تأمر بستر الوجه ، ويؤكد ذلك فعل نساء الصحابة اللواتي كن

يخرجن لبعض شؤونهن وهن ساترات الوجوه ، وسادلات النقاب ؛ وتفسير الصحابة والتابعين الآية : ﴿ **يدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ .. التي سبق شرحها وتفسيرها .

وقد جاء ذلك بالأدلة التفصيلية القاطعة .

أما فقهاء الحنفية ومن رأى رأيهم فقد ذهبوا إلى أن وجه المرأة ليس بعورة ، وأن كشفه يجوز إذا لم يترتب على الكشف فتنة ، وأما إذا ترتب فتنة فان كشفه حرام سداً للذريعة ، ودرءاً للمفسدة .

ولعل أظهر الأدلة التي احتجوا بها على دعم مذهبهم هي :

– حديث الفضل بن عباس الذي كان رديف النبي ﷺ في حجة الوداع ، وقد مرَّ بجانبه نساء مُحْرِمات، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ..

والحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه ... ووجه استدلالهم : لو أن وجه المرأة عورة لما كشف النساء وجوههن ، ولما نظر الفضل إليهن ...

– وحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : « يا أسماء : إن المرأة إذا بلغت المحيض (أي سن البلوغ) لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا » وأشار عليه الصلاة والسلام إلى وجهه وكفيه .

ولكن جمهور الفقهاء أجابوا على الحديثين المذكورين بما يلي :

أولا : أن حديث « الفضل بن عباس » ليس فيه دليل على جواز كشف الوجه للمرأة أمام الأجنبي ، لأن النساء اللواتي نظر الفضل إليهن كن محرمات في

الحج ، ويجوز للمرأة المحرمة كشف وجهها ويديها للحديث الذي سبق ذكره : « لا تنتقب المرأة ، ولا تلبس القفازين » ومفاد الحديث أنها في حال غير الاحرام تنتقب ، وتلبس القفازين .

ثانيا : أن حديث أسماء الذي استدلوا به على جواز كشف الوجه مرسل ؛ ومعنى الإرسال : انقطاع السند .

يقول « ابن كثير » في تفسيره ج ٣ ص (٢٨٣) : [قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو (أي حديث أسماء) مرسل ؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضي الله عنهما] .

وكثير من أهل العلم يحكمون على الحديث المرسل بالضعف ، وإذا كان الحديث ضعيفاً لم ينهض حجة على الاستدلال ، ولم يعتبر بحال في استنباط الأحكام .

ويتضح مما قاله الأئمة المجتهدون أن وجه المرأة عورة ، وأن ستره واجب ، وأن كشفه حرام ، حتى فقهاء الحنفية الذين ذهبوا إلى جواز الكشف فإنهم قيدوه بأمن الفتنة .

وهل أحد من الناس ينكر إشاعة الفساد والفتنة في المجتمع الذي نتخبط فيه ، وفي المحيط الذي نتعايش معه ؟ فإذا كان الأمر كذلك فعلى الأب الغيور أن يأمر أهله وبناته بأن يسدلن على وجوههن امتثالا لأمر الله سبحانه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .. وتأسياً بنساء الصحابة الصينات الطاهرات ، واتباعاً لما قرره الأئمة المجتهدون الثقات .. والمسلم – أيها المربي – عليه أن يحتاط لدينه وعرضه ، وأن يأخذ دائماً بجانب الأتقى والأورع .. إن أراد أن يكون يوم القيامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أما ما ورد في النهي عن التبرج وإظهار محاسن المرأة فهو ما يلي :

– روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات[١] مميلات ، رؤوسهن كأسنمة[٢] البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

– قال تعالى :

﴿ وقَرْنَ في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ... ﴾ .
(الأحزاب : ٣٣)

– وقال سبحانه :

﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جُناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خيرٌ لهن والله سميع عليم ﴾ .
(سورة النور : ٥٩)

أما ما ثبت في النهي عن الاختلاط بين الجنسين فهو ما يلي :

قال الله تعالى :

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم .. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ... ﴾ .
(سورة النور : ٣٠)

---

(١) مائلات : أي مميلات في مشيتهن ، ومميلات لقلوب الرجال بإثارتهن وخلاعتهن .
(٢) المراد أنهن يصففن الشعور فوق الرأس حتى تبدو كأنها سنام الجمل .

فكيف نتصوَّر غض البصر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان ، في مكان واحد ، فالآية إذن في مدلولها تنهى عن الاختلاط وتحرمه .

– وقال أيضاً في آية أخرى :

﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ .

(سورة الأحزاب : ٥٣)

– وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لايخلُوَنَّ رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » .

– وجاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل يارسول الله : أفرأيت الحمو (أي قريب الزوج) ؟ قال : الحمو الموت » .

– وجاء فى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يخلُوَنَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » .

أما ما ورد في تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية فهو ما يلي :

– قال تعالى فى سورة النور :

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... ﴾ .

(آية : ٣٠)

وقال فى سورة الإسراء :

﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ .

(آية : ٣٦)

وروى مسلم عن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفَجْأة فقال : « اصرف بصرك » .

– وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب ، فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه ، فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى : لا يبصرنا ، ولا يعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه !؟ .

– وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والجلوس في الطرقات ! » قالو يارسول الله مالنا من مجالسنا بُدّ : نتحدث فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال «غضّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

فمن المعلوم بداهة أن المجتمعات الإنسانية بأسرها ، والأمم البشرية برمتها .. بشيبها وشبابها ، ورجالها ونسائها ، وحكامها ومحكوميها .. حينما تأخذ بهذه المبادىء الخالدة ، وتسير على هذه المفاهيم القيمة ، وتبتعد عن كل ما يؤذي الفضيلة والأخلاق من سفور ، وتبرج ، واختلاط ، ونظر إلى المحرمات .. فلا شك أن هذه المجتمعات والأمم ترفل في رياض الطهر والفضيلة ، وترتع في ظلال الأمن والاستقرار ، وتصل إلى ذروة المجد والسعادة .. لأنها سارت في الطريق الذي خطه الله لها ، وطبقت المنهج الذي فرضه الإسلام عليها ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

(سورة الأنعام : ١٥٣)

وهذا ما تحقق لأمتنا الإسلامية في كل العصور التاريخية عبر القرون .. وما ذاك إلا بفضل التعاليم القرآنية التي أنزلها الله لتكون للعالمين بشيراً ونذيراً وللأجيال المتعاقبة هدىً ونوراً ..

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ .

(سورة الإسراء : ٩)

* * *

تلكم – أيها الآباء والمربون – **أهم القواعد التربوية ، والمناهج العملية** التي وضعها الإسلام لسلامة أخلاق الولد ، وتنمية شخصيته المتميزة ، وتعويده على الجدِّية والرجولة ومكارم الأخلاق .. فما عليكم إلا أن تربوا أبناءكم عليها ، وتأخذوا بتوجيهاتها وإرشاداتها .. حتى ينشؤوا على الفضائل الخلقية ، والمكارم الذاتية ، والآداب الاجتماعية .. ويكونوا شامة في الناس : **وهل هناك مبادىء** تربوية في تربية شخصية الولد ، وإعداده لمسؤوليات الحياة مثل هذه المبادىء التي وضعها الإسلام ، وشرعها الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ومن الذي يقول إنّ الإغراق في التنعم ، والتقلب في الرفاهية لا يضر بشخصية الولد ؟ .

ومن الذي يقول إنّ الاسترسال وراء الشهوات والملذات لا يضر بشخصية الولد ؟ .

ومن الذي يقول إنّ الاستماع إلى الأغاني الخليعة ، والموسيقى الراقصة المثيرة لايضر بشخصية الولد ؟ .

ومن الذي يقول إن ظاهرة السفور والتبرج والاختلاط لا تضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ التخنث والتشبه بالنساء ، والتميع بالكلام لا يضر بشخصية الولد ؟

إن رجالات التربية ، وعلماء النفس والأخلاق كادوا يكونون مجمعين على أن هذه الظواهر من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة ، وتحطيم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف ..

– يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » : (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الانسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدّره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي) .

– وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » ما يلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بان مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية) .

– ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذى الرقم (٦٥٠) عن المربية الاجتماعية « مرغريت سميث » حديثاً قالت فيه : (ان الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن ...) .

فما على المسؤولين من آباء ومربين ! إلا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهر التميع والانحلال ، وأن يسعوا جهدهم لكي يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الكرامة والشخصية والخلق العظيم !! ..

* * *

وأخيراً علينا ألاّ نغفل دور المراقبة الدقيقة والمسؤولية الكبيرة في تقويم أخلاق الولد ، وإصلاح نفسه ، وتنمية شخصيته ..

ولو أردنا أن نفتش عن الأسباب التي تؤدي إلى انحلال الولد خلقياً ، وانحرافه سلوكياً لوجدناها متحققة في إغفال مراقبة الآباء لأبنائهم ، والتخلي عن تربيتهم وتوجيههم ..

وإليكم بعض الأسباب في انحراف الولد الخلقي ، وانحلاله السلوكي :

● فالأب الذي يرخي لأولاده العنان في أن يخالطوا من قرناء السوء ، ورفقاء الشر ما شاءوا وما أرادوا دونما سؤال ولا رقيب ، فلا شك أن الأولاد سيتأثرون بمخالطتهم ، ويكتسبون الكثير من انحرافاتهم ، وسوء أخلاقهم ..

● والأب الذي يسمح لأولاده أن يشاهدوا الأفلام الغرامية التي توجه إلى الميوعة والانحلال ، والأفلام البوليسية التي تحض على الانحراف والإجرام ، وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلا عن الصغار .. لاشك أن هذا الأب يقذف بأولاده – من حيث يشعر أو لا يشعر إلى هاوية سحيقة ستؤدي بهم حتماً إلى هلاك محقق ، ودمار محتوم .

● والأب الذي يترك المجال لأولاده ليروا من شاشة التلفزيون المناظر المثيرة ، والتمثيليات الماجنة ، والدعايات الفاجرة .. لاشك أن الأولاد سيتربون على الميوعة ، ويدرجون على الانحلال ، ويفقدون في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والنخوة ، والأدب الإسلامي الكريم .

● والأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة ، ومطالعة القصص الغرامية ، واقتناء الصور العارية .. لاشك أن الأولاد سيسيرون في طريق الفحشاء والمنكر ، ويتلقنون دروس الصداقات المشبوهة ، والارتباطات الجنسية الآثمة ..

● والأب الذي يتساهل في حجاب أهله وبناته ، ويتغاضى عن سفورهن وتبرجهن ، ويتغافل عن مصاحبتهن ومخالطتهن ، ويفسح لهن المجال في أن يخرجن

بالأزياء المغرية ، والعورات المكشوفة .. لاشك في أن هؤلاء البنات سيعتدن حياة الفجور والمنكر ، ويقعن في حبائل الغواية والفسوق .. وربما آل الأمر في نهاية المطاف إلى انتهاك العرض ، وتلويث الشرف ، وهدر العفاف ... وعندئذ لا ينفع الندم ولا البكاء .

أتبكي على لبنى وأنت قتلتها
لقد ذهبت لُبنى فما أنت صانع ؟

● والأب الذي لا يراقب أولاده وبناته وقت ذهابهم إلى المدرسة أو رجوعهم منها ، فلا شك أن الأولاد يجدون من الإهمال ما يدفعهم إلى ارتياد الأماكن الموبوءة بحجة المدرسة ، وكم سمعنا عن بنات وقعن في حبائل الفاحشة والزنى ، وأصبحن مدنسات السمعة والشرف ، والأسرة لم تعلم بهذا إلا بعد الافتضاح ، وظهور معالم الجريمة ؟! ..

● والأب الذي لا يلقي نظرة إلى مكتبة أولاده ، ولا يرقبهم وهم مكبّون على مكاتب الاجتهاد .. فلا شك أن الاولاد إن كانوا سائرين في طريق الانحراف سيجدون أنفسهم مسوقين إلى أن يقتنوا من الصور العارية ما شاءوا ، وان يقرؤوا من المجلات الماجنة ما أرادوا ، وأن يسطروا من الرسائل لعشيقاتهم ما أحبوا .. دونما سؤال من رقيب ، أو محاسبة من وليّ !! ..

فلا شك أن الأولاد – وهم على هذه الحالة – سيسيرون تدريجياً في طريق الميوعة والانحلال دونما وازع من دين ، أو محاسبة من ضمير .. فيصعب عندئذ ردّهم وإصلاحهم ومعالجتهم !! ..

* * *

ومن المبادىء الخلقية التي يجب على الآباء والمربين أن يهتموا لها ، ويحرصوا عليها . وينشئوا أبناءهم على التحقق بها والتزامها هي **تعويدهم على حسن الخلق ، وحسن الملاطفة والمعاملة للآخرين .**

وإليكم – أيها الآباء والأولياء – جملة من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه توجه إلى أفضل المكارم ، وأحسن الأخلاق ، وأقوم المعاملة :

– أخرج الإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

– وأخرج ابن مردويه بسند حسن أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

(سورة الأعراف : ١٩٩)

ثم قال ﷺ : « هو أن تصل من قطعك ، وتُعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

– وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أثقل مايوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

– وأخرج الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رجل لرسول الله ﷺ أوصني فقال : « اتق الله حيثما كنت ، قال : زدني ، قال : أتبع السيئة الحسنة تمحُها ، قال : زدني ، قال خالقِ الناسَ بخلُق حسن » .

وأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً » .

– وأخرج محمد بن نصر المروزي أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ من بين يديه ، فقال : يارسول الله ما الدين ؟ قال : « حُسْنُ الخُلق » فأتاه من قبل يمينه . فقال يارسول الله ما الدين ؟ قال : « حسن الخلق » ثم أتاه من قبل شماله ، فقال : ما الدين ؟ فقال : « حسن الخلق » ، ثم أتاه من ورائه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فالتفت اليه وقال : « أما تفقه ؟ هو أن لا تغضب » .

هذا غيض من فيض مما وجه إليه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في الملاطفة الاجتماعية ، والآداب السلوكية ، وحسن التعامل والخلق .. فما على الآباء والمربين إلا أن يتحققوا بها ، ويقيموا أنفسهم عليها ، ليعطوا القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة لكل من يلوذ بهم من أهل وولد ؛ ثم عليهم بالتالي أن يلقنوا أولادهم هذه الآداب السلوكية ، والملاطفة الاجتماعية .. حتى يعفوا عمن ظلمهم ، ويصلوا من قطعهم ، ويعطوا من حرمهم ، ويحسنوا إلى من أساء إليهم ، وحتى يكونوا كذلك شامة في الناس ، وملائكة يمشون على الأرض .. وما ذاك إلا تنفيذ قول الله تبارك وتعالى :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

(سورة الأعراف : ١٩٩)

وقوله :

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

(سورة فصلت : ٣٥)

وقوله :

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .

(سورة آل عمران : ١٣٤)

وإن شاء الله في بحثنا عن مسؤولية التربية النفسية ، والتربية الاجتماعية فسنفصل القول في الفضائل النفسية والخلقية التي يجب أن يتحلى بها الولد ، وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويروي الظمأ .

فيا أيها الآباء والأولياء والمربون :

بعد الذي علمتموه من اهتمام الرسول صلوات الله عليه وسلامه من الناحية الخلقية في تربية أولادكم .

وبعد الذي عرفتموه من أن الاخلاق ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ في تقويم اعوجاج أبنائكم .

وبعد الذي قرأتموه من الظواهر القبيحة التي يجب أن يبتعد عنها أفلاذ أكبادكم .

وبعد الذي سمعتموه من وصايا الرسول ﷺ في حسن الخلق ، وطيب المعاملة .

بعد كل هذا .. فليس أمامكم من سبيل إلا أن تعقدوا العزم وتشحذوا الهمة .. لتقوموا بواجبكم الأكمل تجاه من لهم عليكم حق التربية والتعليم والرعاية ..

واعلموا أنكم إن قصرتم في حق أولادكم وتلامذتكم **من الناحية الخلقية** ، فإن مَنْ لهم عليكم حق التربية سينشؤون – لا شك – على الميوعة والانحلال ويتربون على الفساد وسوء الخلق .. وعندئذ يصبحون خطراً على الأمن والاستقرار ، ويكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع .. بل أبناء المجتمع يستجيرون من أعمالهم الإجرامية ومفاسدهم الخلقية والاجتماعية ..

فراقبوا الله في أولادكم ، وأدوا ماعليكم من واجب ، وابذلوا ما استطعتم من جهد ، واضطلعوا بما حُملتم من مسؤولية ؛ فإن أديتم الأمانة على الوجه الصحيح فسوف ترون أولادكم رياحين في البيت لها عبق وأريج ، وبدوراً في المجتمع لها نور وضياء ، وملائكة على الأرض يمشون هادين مطمئنين .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

(سورة التوبة : ١٠٥)

الفصل الثالث

٣ ـ مسئولية التربية الجسمية

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ... مسؤولية التربية الجسمية ، لينشأ الأولاد على خير ماينشؤون عليه من قوة الجسم ، وسلامة البدن ، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط ..

وإليكم – أيها المربون – المنهج العلمي الذي رسمه الإسلام في تربية الأولاد الجسمية ، لتعلموا ضخامة الأمانة الملقاة على عاتقكم ، ومعالم هذه المسؤولية التي أوجبها الله عليكم :

١ – وجوب النفقة على الأهل والولد .

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ .

(سورة البقرة : ٢٣٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة [١] ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ... أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » .

وإذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل ، والإنفاق على العيال .. فإن عليه بالتالي الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق ، وقتر على الأهل والأولاد وهو مستطيع ؛ استمعوا إلى مايقوله عليه الصلاة والسلام في حق المضيّعين لعيالهم ، والمُمسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره : « كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت » ، وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته » .

---

(١) في رقبة : أي في إعتاق عبد أو أمة .

ومن النفقة على العيال تهيئة الأب لأهله وعياله الغذاء الصالح ، والمسكن الصالح ، والكساء الصالح .. حتى لاتتعرض أجسامهم لأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض .

٢ - اتباع القواعد الصحية في المآكل والمشرب والنوم :

لتصبح لدى الأولاد عادة وخلقا .

فمن هديه عليه الصلاة والسلام في **الطعام** الاحتماء من التخمة ، والنهي عن الزيادة في الأكل والشرب على قدر الحاجة .. روى الأمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه **في الشراب** : الشرب مثنى وثلاث ، والنهي عن التنفس في الإناء ، والشراب قائما ..

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم » .

وفي الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي ﷺ : « نهى أن يُتنفس في الإناء » . وفي رواية للترمذي : « نهي أن يُتنفس في الإناء أو ينفخ فيه » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لايشربن أحدكم قائما ، فمن نسي فليستقيء » .

ومن هديه ﷺ **في النوم** ، النوم على الجانب الأيمن ، لأن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ، ويعيق التنفس .. وروى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : « اللهم أسلمت نفسي إليك ،

ووجهت وجهي إليك ، وفوضتُ أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لاملجأ ولا منجا إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، واجعلهن آخر ماتقول » .

٣ – التحرز من الأمراض السارية المعدية :

للأحاديث التالية :

– روى مسلم وابن ماجه وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه النبي ﷺ : ارجع فقد بايعناك .

– ورورى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » .

– وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لايوردنّ ممرض على مُصحّ » .

لذا كان لزاماً على المربين – ولاسيما الأمهات – إذا أصيب أحد أولادهم بمرض مُعْدٍ أن يعزلوه عن بقية الأولاد، حتى لا ينتشر المرض ، ويستفحل الوباء .. فما أعظم هذا الهدي النبوي في تربية الأجسام ، والحفاظ على صحة الأبدان !! .

٤ – معالجة المرض بالتداوي :

لما للتداوي من أثر كبير في دفع البلاء ، وتحقيق الشفاء..

ولقد جاء الأمر بالتداوي في أحاديث كثيرة ، نجتزىء منها ما يلي :

– روى مسلم وأحمد وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

– وفي مسند الإمام أحمد ، وفي النسائي ، وغيرهما عن أسامة بن شريك قال : « كنت عند النبي ﷺ ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال : نعم ياعباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد ، قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم » .

– وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : « قلت : يارسول الله ، أرأيت رقيّ نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هي من قدر الله » .

فما على الآباء والمربين إلا أن يأخذوا بتوجيهات النبي ﷺ في شأن الاهتمام بأولادهم حين يصابون ، وبمعالجتهم حين يمرضون .. لأن الأخذ بالأسباب والمسببات من مقتضيات الفطرة ، ومن صميم مبادىء الإسلام !! ..

٥ – تطبيق مبدأ لا ضر ولا ضرار :

لما روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ضرر ولا ضرار » .

فهذا الحديث الشريف عدّه الفقهاء والأصوليون قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قررها الإسلام ، ويبنى عليها أمور كثيرة في الحفاظ على كيان الفرد والمجتمع ، وفي دفع الضرر عن الناس ...

وبناء على هذه القاعدة وجب على المربين ولاسيما الأمهات أن يرشدوا أولادهم إلى التقيد بالتعاليم الصحية ، والوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد ، وتنمية قوته الجسدية .. وعليهم كذلك أن يستعينوا بالمختصين فيما يجب اتخاذه لوقاية الجسم من الآفات المرضية ، والأمراض السارية ..

– فإذا كان أكْل الفواكه فجّة تؤذي الجسم ، وتسبب المرض .. فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا أكل الفواكه ناضجة .

– وإذا كان أكل الخضار والثمار قبل غسلها يؤدي إلى آفات مرضية .. فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا أكل الخضار والثمار بعد غسلها .

– وإذا كان إدخال الطعام على الطعام يسبب أمراضاً في المعدة وفي جهاز التنفس وجهاز الهضم .. فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا الطعام في أوقات مخصوصة .

– وإذا كان تناول الطعام باليدين قبل غسلهما يؤدي إلى انتشار المرض ، فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى تطبيق هدي الإسلام في غسل اليدين قبل الطعام وبعده .

– وإذا كان النفخ في الإناء وفي الملعقة يؤدي إلى أضرار جسمية ، فعلى المربين أن يمنعوا أولادهم عن هذه العادة المؤذية ..

وهكذا ، حينما يأخذ المربون بمثل هذه التعليمات الطبية ، ويعوّدوا أولادهم على التقيد بهذه الإرشادات الصحية .. فلا شك أن الأولاد ينشؤون على الصحة الكاملة ، ويترعرعون على سلامة الجسم ، وقوة البدن ، وظاهرة الحيوية والنشاط !! ..

٦ – تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية :

تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ﴾

(سورة الأنفال : ٦٠)

وتنفيذاً لأمره عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. » .

ومن أجل هذا دعا الإسلام إلى **تعليم السباحة والرمي وركوب الخيل** ، وذلك في التوجيهات النبوية التالية :

– روى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

– وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ : تلا قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ثم قال : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

– وروى البزار والطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « عليكم بالرمي فإنه من خير لهوكم » .

– وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : (ارموا وأنا معكم كلكم) .

– وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر اليهم ، وهو يقول لهم : (دونكم يابني أرفدة[1] ...) وبينما هم يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : (دعهم ياعمر)[2] .

---

(١) أرفدة : كنية ينادي بها أبناء الحبشة عند العرب .

(٢) وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام أن يقر مثل هذا التدريب في مسجده الشريف ، ليبين لكل ذي عينين أن المسجد في الإسلام يجمع بين العبادة والإعداد للجهاد ، ويحقق تربية الفرد ومصلحة الإسلام .

– وروى أصحاب السنن والإمام أحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « لا سَبَق (أي لا رهان) إلا في خُفّ أو حافر أو نصل (أي سهام) » لما لهذا الرهان[1] من أثر في إعداد وسيلة الحرب والجهاد .

٧ – تعويد الولد على التقشف وعدم الإغراق في التنعم :

ليقوم في سن الرشد والبلوغ بواجب الجهاد ، والدعوة إلى الله على أحسن وجه ، وأنبل معنى ..

ولقد جاءت الدعوة إلى التقشف ، والتربية على حياة الخشونة في أكثر من حديث :

– روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « اياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

– وروى الطبراني وابن شاهين وأبو نعيم عن القعقاع بن أبي حَدْرَد مرفوعاً « تمعددُوا ، واخشوشنوا ، وانتضلوا »[2] .

ويكفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه قدوة وأسوة في تقلّبه في حياة الخشونة والتقشف .. في المطعم ، في الملبس ، في المسكن .. لتتأسى الأجيال المسلمة به ، وتمشي على هديه وسنته . حتى تكون دائما في حال تهيؤ واستعداد واستنفار .. لكل مايعترضها من أحداث ، وما ينزل في ساحتها من نوازل ..

---

(١) الرهان المباح هو ما كان بدله من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط ، أما إذا كان الرهان من المتسابقين فهو يدخل في القمار المحرم ، وصورته : أن يقول أحد المتسابقين للآخر . إن سبقتني أعطيتك كذا من مال أو جائزة ، وإن سبقتك تعطيني كذا من مال أو جائزة .. فهذه الصورة محرمة .

(٢) تمعددوا . انتسبوا إلى جدكم معد بن عدنان في خشونة العيش والفصاحة
اخشوشنوا . تربوا على حياة الخشونة والتقشف .
انتضلوا - ارموا بالسهام للإعداد والتعويد .

ومن الملاحظ أن أمة الإسلام حينما تتقلب في النعيم ، وتسترسل في الملاذ والطيبات ، وتنام على الديباج والحرير ، وتغريها الحضارة المادية ببريقها ومظاهرها .. فسرعان ماتنهار ، وتستسلم لضربات الأعداء ، وسرعان ماتخمد في نفوس شبابها روح المصابرة والمرابطة والجهاد في سبيل الله .. وماسقوط الأندلس في التاريخ عن الأذهان ببعيد !! ..

٨ – تعويد الولد على حياة الجد والرجولة والابتعاد عن التراخي والميوعة والانحلال :

وذلك للإرشادات النبوية التالية :

– روى مسلم في صحيحه عن الرسول ﷺ أنه قال : « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز .. » .

– وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (أي الرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

– وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ، وزاد النسائي في روايته : (فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) .

– وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات .. رؤوسهن كأسنمة البُخت[1] المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

---

(١) البخت : الإبل الخراسانية .

فهذا غيض من فيض مما وجه إليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : وهي - كما رأيت - توجيهات قيمة تدعو إلى حياة الجد والرجولة ، وتحذر من الميوعة والانحلال .. ومن المعلوم بداهة أن الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال ، وتربى على الفجور والمنكر ، ودرج على الهزل وعدم الاكتراث .. فإن شخصيته تتحطم ، ونفسيته تتعقد ، وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض ..

لهذا كله كان لزاما على المربين - ولاسيما الأمهات - أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر ، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم ...

وعليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل مايحطم الرجولة والشخصية ، ويقتل الفضيلة والأخلاق ، ويوهن العقل والجسد .. فإن في ذلك - ولا شك - سلامة لتفكيرهم ، وقوة لأبدانهم ، وحفظاً لأخلاقهم ، وسمواً لأرواحهم ، وحافزاً قوياً لتحقيق آمالهم وأمانيهم ..

تلكم هي - أيها المربون - أهم الأسس التي رسمها الإسلام في تربية الأولاد الجسمية ..

فإن أعرتموها اهتمامكم ، وأوليتموها عنايتكم تمتع الجيل الذي تقومون على توجيهه وتربيته بالقوة والصحة والحيوية والنشاط ، وتكونون بالتالي قد قمتم بأداء الأمانة الملقاة على عاتقكم ، وحققتم المسؤولية التي أوجبها الله عليكم ، ولقيتم الله سبحانه يوم القيامة بوجه أبيض في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

* * *

وهناك ظواهر خطيرة نلمحها في محيط الصغار والكبار ، والمراهقين والشباب ، وجب على المربين - ولا سيما الآباء - أن ينتبهوا لها ، ويدركوا أضرارها وأخطارها ،

ويكشفوا لمن لهم عليهم حق التربية عن شرورها وآفاتها .. حتى لا يقعوا في حبائلها ، ويكتووا بنارها ، ويتيهوا في منعطفاتها ودروبها ..

وفي تقديري أن هذه الظواهر المتفشية في الصغار والمراهقين والشباب تتركز في الأمور التالية :

١ – ظاهرة التدخين .
٢ – ظاهرة العادة السرية .
٣ – ظاهرة المسكرات والمخدرات .
٤ – ظاهرة الزنى واللواط .

وسأتكلم – بعون الله – عن كل ظاهرة من هذه الظواهر الأربع بشيء من البيان والتفصيل .

١ – ظاهرة التدخين :

من المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم ان ظاهرة التدخين هي أكثر انتشاراً ، وأوسع تناولا من أية ظاهرة أخرى : فحيثما قلب الإنسان النظر يجد هذه العادة الذميمة متفشية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات ، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً ، رجالا ونساء ، شيباً وشباناً ، ولم يَنْجُ منها إلا مَنْ غلّب الإرادة على الهوى ، والعقل على العاطفة ، والمصلحة على المفسدة .. وقليل ماهم .

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها ، ونحيط بها من جميع جوانبها يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة :

١ – الأضرار التي تنجم عنها .
٢ – حكم الشرع فيها .
٣ – كيف نعالجها ؟ .

أما فيما يتعلق بالأضرار التي تنجم عنها فيمكن أن نحدد الضرر بشيئين هامين :

الأول – الضرر الصحي والنفسي :

فقد ثبت بشكل قاطع جازم لا يحتمل الشك أن الدخان – كما قرر أطباء الصحة – يورث السل ، وسرطان الرئة ، ويضعف الذاكرة ، ويقلل الشهية ، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ، ويعيق التنفس ، ويهيج الأعصاب ، ويحدث انحطاطاً عاماً في الجسم ، ويميّع الخلق ، ويحلّل الإرادة ، ويعوّد على الكسل والاسترخاء ..

وإليكم تقارير الأطباء المختصين في أضرار الدخان وتأثيره على الصحة :

– ذكرت مجلة (الشبيكل) الألمانية : (أنه اجتمع عشرة من العلماء الأمريكيين المختصين في مركز البحوث في مدينة (بيثيزدا) الواقعة في ولاية (ماري لاند) الأمريكية ، وبحثوا تأثير الدخان على الصحة الفردية فأجمعوا على الأضرار التالية :

١ – نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد (٦٨) بالمئة عنها من بين غير المدخنين .

٢ – نسبة الوفيات في صفوف المدخنين من الأمراض التالية بالمقارنة مع غير المدخنين : سرطان الرئة (١٠٫٨) ضعفاً ؛ التهابات الأغشية المخاطية ، ومجاري التنفس ، وتورّم وانتفاخ هذه المجاري (٦٫١) ضعفاً ؛ سرطان الحنجرة (٥٫٤) ضعفاً ؛ سرطان تجويف الفم (٤٫١) ضعفاً ؛ سرطان المريء (٣٫٤) ضعفاً ؛ أمراض المعدة (٢٫٤) ضعفاً ؛ أمراض دورية أخرى (٢٫٦) ضعفاً ؛ وأمراض الدسامات القلبية (١٫٧) ضعفاً .

٣ – وهذا يعني أن احتمال الإصابة بمرض الضفائر ، والدسّامات القلبية (وهو يؤدي في الولايات المتحدة غالباً إلى الموت) يزيد بمقدار (٧٠) بالمئة في صفوف

مدخني السجاير عن غير المدخنين ، والتهابات الأغشية المخاطية ، والمجاري التنفسية بمقدار (٥٠٠) بالمئة ؛ أما السرطان الرئوي وهو أكثر أنواع السرطان انتشاراً فتزيد نسبة احتمال الإصابة بين المدخنين (١٠٠٠) بالمئة عن غير المدخنين ...) اهـ[١] .

– وأصدرت الجمعية السورية لمكافحة السل نشرة تضمنت مايلي : (إن سنوات عديدة من البحث العلمي أثبتت الوقائع التالية : عندما يدخن شخص ما سيجارة فإنه يبتلع الدخان ويحتفظ الجسم بـ (٨٠ إلى ٩٠) في المئة منه ، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمع في الطرق التنفسية ، والقطران هو نوع من عدة مركبات كيماوية يستطيع بعضها إحداث السرطان ، بينما بقية العناصر الأخرى تحدث التخريش أيضاً ، وتجعل الرئة موطناً صالحاً لفتك عصيّات السل والجراثيم الممرضة الفتاكة ... المدخنون أشد تعرضاً للإصابة بالسل والسرطان من الذين لا يدخنون ، وبالتالي فإن عادة التدخين تسيء إلى الآفات الرئوية المزمنة : كالتهاب القصبات ، وانتفاخ الرئة والربو والسل ... ، إن التدخين يهيء لأمراض القلب ، فالنيكوتين يزيد ضربات القلب ، ويصيب الأوعية الدموية ؛ فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالياً بتقويض حياتهم ، فإياك والتدخين ، ولابد من الإقلاع عنه لكي تحفظ صحتك)[٢] اهـ .

إلى غير ذلك من هذه الأضرار ، والأمراض الخطيرة التي تنجم عند التدخين ..

الثاني – الضرر المالي :

من المؤكد أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربع دخله أو يزيد ، ولايخفى ما في ذلك من إضاعة للمال ، وخراب للبيوت ، وشتات للأسر .. ذلك لأن المدمن يقتطع من قوت نفسه ، وقوت عياله في سبيل شرائه وتحصيله ، وربما انحرف عن الطريق السويّ كالرشوة والسرقة .. لجلب ثمنه ، وتأمين وجوده ..

---

(١) أخذاً عن مجلة الحضارة ، السنة الثانية عشرة العدد : ٣ – ٤ ، ص ١٥٨ .

(٢) صفحة (١٥ – ١٦) من النشرة المذكورة التي هي بعنوان : (تعاونوا للقضاء على مرض السل) .

فهل هناك ضرر أضرّ على الصحة والأخلاق والمجتمع من موبقة التدخين .. ولكن – ويا للأسف – أكثر الناس لا يعلمون ؟!! .

* * *

أما فيما يتعلق بحكم الشرع في ظاهرة تناول الدخان فيتلخص بما يلي :

(أ) من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء والمجتهدين أن مايؤدي إلى الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب ، وفعله حرام للحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا ضر ولا ضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

(سورة البقرة : ١٩٥)

وقوله :

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾

(سورة النساء : ٢٩)

وباعتبار أن الدخان قد ثبت ضرره جسمياً ، وتحقّق خطره صحياً – كما مر فاجتنابه واجب ، وتناوله حرام .

(ب) ومن المسلّم به عند أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق السليمة أن الدخان يدخل في زمرة الخبائث لضرره على الجسم ، وتسببه الرائحة الكريهة للفم ، والله سبحانه قد أحل للإنسان الطيبات ، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه ، وسلامة خلقه وتفكيره ، وظهوره في المجتمع بمظهر محبّب جميل .. يقول الله سبحانه :

﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ .
(سورة النساء : ٢)

ويقول : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ .
(سورة الأعراف : ١٥٧)

ويقول :
﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ .
(سورة المائدة : ١٠٠)

(ج)- ثم إن الدخان بالتالي يخدر العقل ، ويفتّر الجسم ، وهذا أمر يشعر به المقدم على تناوله ، والمبتدىء بشربه ، والمتدرج بالاعتياد عليه ولا سيما إذا أفرط وأكثر .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن كل مفتّر ، كما نهى عن كل مسكر ومخدّر ، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتّر » أي مخدّر .

فهذه النصوص بمنطوقها ومدلولها تؤكد **أن تناول الدخان حرام** ، واجتنابه واجب ، لضرره البالغ ، وخبثه الظاهر .. هذا عدا عن أن الدخان يسبب إضاعة المال في أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع ، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال - كما جاء في صحيح البخاري - .

والذين قالوا بإباحة الدخان أو كراهته من الفقهاء في الماضي ، قد يكون لهم بعض العذر لكون الطب لم يكشف عن أضراره بعد ، مستندين على قاعدة أصل الأشياء الإباحة ؛ أما بعد أن كشف الطب عن أضراره

الجسمية والنفسية ، وأبان المختصون عن خطره البالغ في الفرد والمجتمع فلا مجال للتردد بحرمته أو إباحته ، **بل الحرمة بتناوله ظاهرة ، والإثم بالاعتياد عليه متحقق** والله أعلم .

* * *

أما معالجة هذه الظاهرة فتعود بالدرجة الأولى على الدولة ، وذلك بشن حملة إعلامية واسعة النطاق ، في الصحف والمجلات ، في الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون ، في كل مكان .. تحذر من الدخان ، وتكشف لأبناء هذه الأمة وشبابها بشكل مستمر دائم عن ضرره البالغ ، وخطره الكبير ، مستعينة بأهل الخبرة والاختصاص ، ورجال الفكر وأصحاب الأقلام . وعلى الدولة كذلك أن تزيد من ضرائبه ، وترفع من أسعاره ؛ وتمنعه منعاً باتاً في الأماكن العامة وازدحام الناس ..

وهذه الإجراءات كخطوة مرحلية لمنعه في المستقبل نهائياً كما يحدث الآن في الدول الكبرى كأمريكا وانكلترا وغيرهم ..

ثم على الكبار المعتادين شرب الدخان أن يكون عندهم من المراقبة لله عز وجل والخشية منه ما يردعهم عن تناول المحرمات والتي منها الدخان ، وأن يكون عندهم كذلك من الإرادة والعزم والتصميم ما يقويهم على مغالبة النفس والهوى ، وأن يكون عندهم أيضا من العقل والحكمة ما يدفعهم إلى أن يسيروا في الطريق السوي الذي لا عوج فيه ولا التواء . ولا شك أن الإنسان إذا تحلّى بالإيمان الذي يردع ، والإرادة التي تسيطر ، والعقل الذي يوجه .. فإنه سيتصف – لا محالة – بالكمال ، ويرفل في الحياة الهانئة الطيبة ..

أما الصغار

الذين اعتادوا عادة التدخين الخبيثة بغفلة عن مراقبة أهليهم ومربيهم فإهمال أمرهم خطير ، وشرهم على المجتمع – إن تركوا – كبير ومستطير .

فما على الآباء والمربين .. إلا أن يرقبوا أوضاع أولادهم ، ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم ، ويعالجوا انحرافهم ، حتى يردّوهم إلى الجادّة ، ويصلوا بهم إلى شاطىء السلامة .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الولد منذ نعومة أظفاره إذا اعتاد التدخين ، فإنه سيدرج شيئا فشيئا إلى ما هو أعظم منه قباحة ، وأشنع فساداً وانحرافاً .. لكون الدخان بريد الرذيلة ، والطريق إلى الفحشاء والمنكر .. ألا فليتذكّر أولو الألباب !! ..

* * *

٢ – ظاهرة العادة السرية :

هذه الظاهرة متفشية ومنتشرة في أوساط المراهقين والشباب ، والعامل الرئيسي في انتشارها وتفشيها هو ما يلحظه أولئك من مظاهر الفتنة والإغراء من أزياء النساء ، ومشيتهن الخليعة ، وتبرجهن المثير ، في الشوارع ، وفي المتنزهات ، وفي كل مكان ..

هذا في محيط المجتمع العام ، أما مايرونه في التمثيليات والأفلام فهو أدهى وأمر .. فماذا يرون ؟ يرون كل ما يهيّج الغريزة ويسقط العفاف والشرف ، ويقتل النخوة والغيرة والحمية ..

أما ما يقرؤونه في الكتب والمجلات من القصص الغرامية ، والإثارات الجنسية .. فهو من أشد المؤثرات على صحة الشباب النفسية والعقلية والخلقية ..

فهذه المثيرات وحدها تكفي في تدرج الشاب والشابة في طريق الزنى والفحشاء ، والانزلاق في متاهات الفساد والرذيلة ..

والمراهق الشاب إذا لم يكن عنده من مراقبة الله ما يردعه ، والخشية منه ما يعصمه ، والحسبان للعواقب ما يزجره فإنه سيقع بين أمرين لا ثالث لهما :

- إمّا أن يشبع غريزته الجنسية في الحرام .
- وإمّا أن يخفف من حدّتها بالعادة السرية .

وأخف الأمرين الضرر بالغ ومتحقق .. على الجسم والنسل والعقل والصحة النفسية ..

ولكي تكون الكتابة عن هذه الظاهرة شاملة يحسن التكلم عنها كذلك في أمور ثلاثة :

١ - الأضرار التي تنجم عنها .
٢ - حكم الشرع فيها .
٣ - كيف نعالجها ؟

أما الأضرار التي تنجم عنها فنحصرها في الأمور التالية :

(أ) أضرار جسمية :

ثبت طبياً أن الذي يدمن على هذه العادة يقع في الأمراض التالية

إنهاك في القوى ، نحول في الجسم ، ارتعاش بالأطراف ، خفقان بالقلب ، ضعف بالبصر والذاكرة ، إخلال بالجهاز الهضمي ، إصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي إلى السل في اغلب الأحيان ، وأخيراً تؤثر على الدورة الدموية وتسبب فقر الدم ..

(ب) أضرار جنسية :

من أهم هذه الأضرار **مرض العنة** ، ومعناها عدم قدرة الشاب على الزواج ، ولا شك أن هذا المرض يتسبب عنه نفور المرأة من الرجل ، ولايمكن والحال هذه أن تدوم الرابطة الزوجية لتعذر الاتصال .

ومن الأضرار **اشمئزاز كل جنس من الآخر** لاعتياد الرجل في إشباع الشهوة عن طريق هذه العادة الأثيمة ؛ ومعنى هذا أن المرأة لم تجد حصانتها بزواجها من هذا الرجل المريض .. وربما يؤدي الأمر في النهاية إلى الفراق ، أو اتخاذ المرأة الخلان سراً لإشباع غريزتها .

(ج) أضرار نفسية وعقلية :

قرر العلماء النفسانيون أن المدمن على هذه العادة يصاب بأمراض نفسية وعقلية خطيرة ، وهي مرتبة كما يلي :

الذهول والنسيان ، ضعف الإرادة ، ضعف الذاكرة ، الميل إلى العزلة والانكماش ، الاتصاف بالاستحياء والخجل ، الاستشعار بالخوف والكسل ، والظهور بمظهر الكآبة والحزن ، والتفكير بارتكاب الجرائم والانتحار .. إلى غير ذلك من هذه الأضرار التي تشل التفكير ، وتميع الإرادة ، وتحطم الشخصية ، وقد أشبعها المختصون دراسة وبحثاً ..

أما حكم الشرع في مزاولتها فإنه الحرمة وارتكاب الاثم ، وذلك للأدلة التالية :

(أ) يقول الله تعالى في سورة المؤمنين :

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ .

(المؤمنون : ٥ - ٧)

فيدخل في عموم هذه الآية :

﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ . (المؤمنون : ٧)

كل تفريغ للشهوة عن غير طريق الزواج ، وملك اليمين كالزنى ، واللواط ، والاستمناء باليد ..

وقد ثبت عن عطاء – وهو من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما – أنه قال : (سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى ، فأظنهم هؤلاء – أي الذين يستمنون بيدهم) ؛ وقال سعيد بن جبير – وهو من طبقة التابعين – : (عذّب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم) ، وورد كذلك : (سبعة لاينظر الله إليهم .. عدّ منهم : الناكح يده)[1] ، فهذه النصوص بجملتها تدل على أن مزاولة هذه العادة حرام .

(ب) سبق أن ذكرنا في مبحث حكم الشرع في التدخين أن ما يؤدي إلى الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب ، وفعله حرام لعموم الحديث الذي مر ذكره : « لا ضرر ولا ضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ . (البقرة : ١٩٥)

وبما أن مزاولة العادة السرية يترتب عليها أضرار جسمية وجنسية ونفسية وعقلية ..

فإنها محرمة لحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وللآية :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

سؤال وجيه :

إذا كان الاستمناء باليد حراماً ، فما رأى المشرع بإنسان تملكته شهوته ، وتحكمت فيه غريزته ، وترجح لديه أنه سيقع في الزنى والفاحشة ؟ .

---

(١) هذه النصوص منقولة من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم : الشيخ محمد الحامد ص ٤٠ .

لا شك أن الإنسان حين يوازن بين المقاصد ، ويقارن بينها ، سيختار في النهاية - إن أصبح محرجاً - أخفها ضرراً ، وأهونها شراً أخذاً بالقاعدة الأصولية التي تقول : (يختار أخف الضررين ، وأهون الشرين) .

فمن المعلوم أن الاستمناء باليد شر ، ولكن الأشد شراً منه فاحشة الزنى واللواط لتهديمها الكيان العام ، وقتلها فضيلة الشرف والعفة .. عدا عما ينجم عنها من اختلاط الأنساب ، وإراقة الدماء ، وإثارة الضغائن والأحقاد .. إذن يختار في هذه الحالة الاستمناء على ارتكاب الفاحشة باعتبار أنه أخف الضررين وأهون الشرين .

لهذا قال الفقهاء : (إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستمناء طريقاً لتسكينها فإن الأمر جائز ومكافىء بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولا يعاقب)[1] .

* * *

أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون في الوسائل التالية :

١ - الزواج في سن مبكرة :

لكونه أنجع الوسائل في استئصال هذه العادة الفتاكة ، بل هو السبيل الطبيعي الوحيد لتصريف هذه الشحنة العارمة من الشهوة ، هذا عدا ما للزواج من فوائد خلقية واجتماعية وصحية ونفسية لا يتسع المجال لذكرها الآن[2] .

---

(١) هذا النص الفقهي من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢

(٢) ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) تجد ما فيه الكفاية .

٢ – صوم النفل :

وإذا كانت هناك ظروف قاهرة تمنع من الزواج في سن مبكرة .. فالإسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحاً أن يصوموا صيام النفل لما للصيام من تخفيف لغلواء الشهوة ، وكسر حدّة الغريزة ، وتقوية لمعنى المراقبة لله ، والخشية منه .. وقد جاء هذا الإرشاد في الحديث النبوي الذي رواه الجماعة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي قاطع للشهوة) » .

وما أكثر صيام النفل الذي حض الشرع على صيامه ، ونذكر منه على سبيل المثال : صيام داود فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وصيام الاثنين والخميس ، وصيام الستة من شوال ، وصيام عاشوراء .. ومنه صيام تسكين الشهوة لقوله عليه الصلاة والسلام : « ... ومن لم يستطع فعليه بالصوم .. » .

٣ – الابتعاد عن المثيرات الجنسية :

مما لا يختلف فيه اثنان أن المجتمع الذي نعيش فيه يعجّ بالمفاسد والمغريات ، ويتخبط بالانحلال والفجور .. ولا شك أن الشاب حين يجري وراء هذه المثيرات والمفاتن ، ويتيه في حمأة الرذيلة والفاحشة .. فإنه يتأثر – ولا شك – خلقياً ، وينحرف سلوكياً ، ويكون كالحيوان الأعجم شهوة وانطلاقاً ..

فما على المربين إلا أن يقوموا بدور النصح ، وواجب التنبيه والتحذير تجاه من لهم في أعناقهم حق التوجيه والتربية حيث يهمسون في آذانهم **أن النظر** إلى النساء الكاسيات العاريات المتبرجات .. **وأن قراءة القصص** الغرامية ، والمجلات الخلاعية التي تقوم على ترويجها تجار الغرائز والأعراض .. **وأن السماع** إلى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان ..

إنّ كل هذا مما يخثر الغيرة ، ويلوّث الشرف ، ويميّع الخلق ، ويقتل الكرامة ، ويوهن الجسم ، ويخمل الفهم ، ويضعف الذاكرة ، ويثير الغريزة ، ويفقد الشخصية ، ويقبر المروءة والفضيلة والأخلاق !!.. عسى أن يعي شبابنا هذا النصح ، ويحسبوا كل الحساب لهاتيك النتائج .. فلا يجدون بداً – بعد هذا التذكير والتنبيه – الا أن يحافظوا على توازنهم الإرادي وانضباطهم النفسي والخلقي ، وصحتهم العقلية والجسدية .. فعندئذ يكونون في زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !! ..

٤ – ملء الفراغ بما ينفع :

يقرر علماء النفس والتربية أن الولد إذا اختلى إلى نفسه وقت فراغه تَرِدُ عليه الأفكار الحالمة ، والهواجس السارحة ، والتخيلات الجنسية المثيرة .. فلا يجد نفسه – إن كان مراهقاً أو شاباً – إلا وقد تحركت شهوته ، وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر .. فعندئذ لا يجد بداً إلا أن يلجأ إلى هذه العادة الخبيثة ليخفف من طغيان الشهوة ، ويحدّ من سلطانها .. إذن ما العلاج للتخلص من سوانح الخواطر ، وشرود الخيال ، حتى لا يقع في هذه النتائج الوخيمة ، والعواقب الأليمة ..؟

العلاج :

أن نُعرّف الشاب المراهق كيف يقضي وقته ، ويملأ فراغه ؟

وما أكثر هذه المجالات التي يقضي فيها الوقت ، ويملأ الفراغ !! ..

إمّا برياضة بدنية يقوي بها جسمه ؛ أو نزهة بريئة مع رفاق مأمونين يروّح بها عن نفسه ؛ أو مطالعة مفيدةيكمل بها علومه ، أو عمل يدوي ينمّي به ميوله ، أو حضور درس ديني توجيهي يهذب خلقه ، أو مباراة ثقافية يروّض بها عقله ، أو تمارين على الرمي ووسائل الجهاد يعد بها نفسه .. إلى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي تغذي الفكر ، وتهذب الروح ، وتقوي الجسم ، وتسمو بالخلق !! ..

٥ - الرفقة الصالحة :

من أهم ماينبغي أن يحرص عليه المربي تجاه ولده الشاب المراهق أن يختار له رفقاء صالحين مأمونين يذكّرونه إذا نسي ، وينصحونه إذا انحرف ، ويعينونه اذا انصلح ، ويواسونه إذا أصابته أحداث ونوازل !! ..

وقد يقال : إن هؤلاء الرفقاء المعنيين قليلون ، ولا سيما في هذا الزمان الذي عزّ فيه الصديق المخلص ، والرفيق المؤمن .. نعم نسلّم أنهم قلة ولكن هذه القلة متوفرة في كل مكان يعرفون بسيماهم من أثر السجود ، ويميزون بأخلاقهم العالية ، وبنهجهم المستقيم .. فما أجدر الشاب أن يبحث عنهم ، ويتمسك بأذيالهم إذا ظفر بهم .. ليكونوا له السند في الملمات ، والعون على مفاسد الحياة ومفاتنها ، والبطانة الخيّرة التي يثق بها ، ويأوي إليها ، ويعتمد عليها ..

ولا شك أن المرء على دين خليله ، وأن القرين بالمقارن يقتدي ، وأن الطيور على أشكالها تقع ، وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِل » .

ومن المعلوم يقيناً أن الذي يصاحب أهل المنكر والفسوق والعصيان فلا يقودونه إلا إلى ضلال ، ولا يدفعونه الا الى غواية ، ولا يصحبونه إلا إلى منافع شخصية ، وغايات دنيوية !! ..

فليحذر شبابنا من رفقاء السوء ، وقرناء الشر .. إن أرادوا لإيمانهم رسوخاً وتمكيناً ، ولأخلاقهم سمواً وتهذيباً ، ولأجسادهم سلامة وقوة ..

وليحرصوا على الرفقة الصالحة ، والجماعة المؤمنة ، لتتحقق لهم السعادة في الدارين : الكرامة في الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه :

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾
(سورة الزخرف : ٦٧)

٦ – الأخذ بالتعاليم الطبية :

إن مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة ، وجموح الشهوة هو ما يلي :

١ – الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف ، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في الفصول الأخرى .

٢ – الإكثار من الألعاب الرياضية ، والتمارين الجسمية .

٣ – تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل لكونها مثيرة ومهيّجة .

٤ – الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي .

٥ – عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض .

٦ – عدم النوم على الظهر أو البطن ، بل السنة أن ينام على شقه الأيمن مستقبلا بوجهه القبلة .

٧ – وأخيراً استشعار خوف الله تبارك وتعالى :

من المُسَلَّم به أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يراقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. وأنه سيحاسبه إن قصر وفرّط ، ويعاقبه إن انحرف وزلّ .. لا شك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح ، ويكفّ عن المنكرات والفواحش ..

ومن المعلوم يقيناً أن حضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على صلاة الفرض والنفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجّد في الليل والناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوّع ، والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين ، واختيار الرفقة الصالحة والارتباط بالجماعة المؤمنة . وذكر الموت وما بعده كل ذلك يقوي في المؤمن جانب الخشية من الله ، والمراقبة له ، والاستشعار لعظمته .

فحري بالشاب المؤمن أن ينهج هذه الوسائل التي **تقويّ في نفسه** عقيدة المراقبة لله والخشية منه .. حتى لا تتجاذبه المغريات ، ولا تفتنه زينة الحياة الدنيا ، ولا يقع في محظور أو محرم ، وأن يضع نصب عينيه قوله تبارك وتعالى :

﴿ فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

(سورة النازعات : ٣٧ — ٤٠)

أما ظاهرة المسكرات والمخدرات :

فهي ظاهرة خطيرة وأيمة نراها متفشية في البيئات التي لا تقيم للأخلاق الفاضلة وزناً ، ولا للتربية الإسلامية حرمة ..

هذه الظاهرة نراها أكثر ما نراها في الأطفال المشردين الذين فقدوا من يعيلهم ويشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وفي الأولاد الذين ساروا في طريق الفساد والانحراف بغفلة عن مراقبة آبائهم وأمهاتهم .. فخالطوا الأشرار ، وصاحبوا الفجار ، فاكتسبوا منهم كل مفسدة ورذيلة ..

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها من البحث يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة :

١ ـ الأضرار التي تنجم عنها .

٢ - حكم الإسلام فيها .

٣ - العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

أما الأضرار التي تنجم عن المخدرات والمسكرات فهي مرتبة كما يلي :

(أ) أضرار صحية وعقلية :

فمن المجمع عليه لدى الأطباء وعلماء الصحة أن تعاطي المسكرات والمخدرات تسبب الجنون ، وتضعف الذاكرة ، وتورث أمراضاً عصبية ومَعِدية ومَعَوِيّة ، وتشل حدة الفكر والذهن ، وتحدث آلاماً في الجهاز الهضمي ، وتفقد الشهية إلى الطعام ، وتسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي ، وتؤدي إلى تصلّب الأنسجة والشرايين .. الى غير ذلك من الأمراض الخطيرة . ويكفي أن نعلم عن أضرار هذه الظاهرة أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر : (أن الخمور تقتل من الفرنسيين أكثر ما يقتل مرض السل ، ففي عام (١٩٥٥) **مات سبعة عشر ألفاً** ، من الفرنسيين من تأثير الخمر ، بينما لم يمت من السل سوى اثني عشر ألفاً في السنة نفسها) .

(ب) أضرار اقتصادية :

من المعلوم أن الذي يتعاطى الخمور والمخدرات يبذل المال في سبيله سهلاً رخيصاً بدون حساب .. ولا يخفى ما في هذا البذل الرخيص من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت ، وإيراث للفقر ... عدا عن أن المدمن يسبب الضعف في الإنتاج ، والخلل في الاقتصاد ، والتخلّف في ميادين الحضارة .. لما يصاب به من هزال وخمول وأمراض جسمية ونفسية .. نتيجة الخمر والمخدر .

فقد ذكرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في ٣ /٥ /١٩٦٥ : « أن (٧٢) مليون أمريكي يتناولون الخمور ، منهم (٢٠) مليوناً يكلّفون الدولة بليوني دولار كل سنة ، لتسبب تغيبهم عن العمل .. » .

(ج) أضرار نفسية وخلقية واجتماعية :

ان المدمن على تعاطي المسكرات أو المخدرات يتصف بصفات ذميمة ، ويعتاد على عادات قبيحة كالكذب ، والجبن ، والاستهانة بالقيم الاخلاقية والمثل العليا .. ويندفع الى ارتكاب الجرائم كالسرقة وتعاطي الدعارة ، والاعتداء على الأنفس .. ويصاب بتمييع الخلق ، وتحلل الإرادة ، وضعف الشعور بالواجب .

هذا عدا عما يقضي وقته في أوكار سرية مع شراذم من الأشرار ، ورفاق من الفجار حيث يستبيح معهم كل موبقة ، وينتهك بخلطتهم كل حرمة !! ..

ومن المعلوم أن الدول الاستعمارية تتخذ من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب ، وتمييع أخلاق الأمة ، وإخماد جذوة روح الجهاد والمقاومة .. وإن مصر مازالت تعاني من حرب المخدرات التي روّج لها ، ووضع بذورها الاستعمار البريطاني منذ ربع قرن من الزمان ، كما أن انكلترا شنت حرباً على الصين التي حظرت تجارة الأفيون فسميت حرب الأفيون .

وأما حكم الإسلام في تعاطي المسكرات والمخدرات فإنه التحريم بالإجماع وذلك للأدلة التالية :

– يقول الله تعالى في تحريم الخمر :

﴿ يا أيها الذين آمنو إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾[١] .

(المائدة : ٩٠ ، ٩١)

---

(١) **الفائدة** : بعض الذين في قلوبهم مرض يقولون : ليس في لفظ (فاجتنبوه) دليل على التحريم ، ولو كانت الخمر محرمة لقال القرآن : فحرّموه ؛ بينما هناك سبعة أدلة على التحريم : ١ – مقارنة الخمر بالميسر والانصاب والأزلام ؛ ٢ – وصفها أنها رجس ؛ ٣ – وصفها أنها من عمل الشيطان ؛ ٤ – الامر الذي يدلّ على الكف في لفظ (فاجتنبوه) ؛ ٥ – إنها توقع في العداوة والبغضاء ؛ ٦ – إنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؛ ٧ – صيغة الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم منتهون ؟ ﴾ ، فهل هناك أدلة أقطع من هذه الأدلة التي تدل على التحريم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

– ويقول عليه الصلاة والسلام في تحريمها كما روى أبو داود : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » .

وأما تحريم المخدرات فالأدلة أكثر من أن تحصى :

وإليكم شيئاً منها :

(أ) اندراجها تحت عموم قوله تعالى :

﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ .
(سورة الأعراف : ١٥٧)

وقوله عليه الصلاة والسلام « **لا ضرر ولا ضرار** » ، رواه أحمد وابن ماجه .

(ب) تدخل في حديث النهي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتّر » . والمخدرات تدخل في النهي باعتبار أنها مفترة ..

(ج) أنها تندرج في أدلة تحريم الخمر باعتبار أنها تخامر العقل وتخرجه عن طبيعته المدركة الحاكمة ، فقدر روى البخاري ومسلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن على الناس من فوق منبر رسول الله ﷺ : (**الخمر ما خامر العقل**) ، وهذه الكلمة تحدّد مفهوم الخمر حتى لا تكثر أسئلة المشتبهين ، فكل ما لابسَ العقل ، وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو من الخمر المحرم إلى يوم القيامة .

ومن ذلك تلك المواد التي تعرف باسم المخدرات كالحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها ، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً على العقل ، فيرى من يتعاطاها البعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، ويتخيل ماليس بواقع ، ويسبح في بحر من الأوهام والأحلام ، ويهيم في أودية من الخيال حتى ينسى نفسه ودينه ودنياه ؛ وقد حكى القرافي وابن تيمية **الإجماع على تحريم الحشيشة** ، وقال ابن تيمية : (من استحلها فقد كفر) .

بقي هناك جانب قد يسأل عنه بعض الناس **وهو استعمال الخمر كدواء** ؛ والجواب ما أجاب عنه الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما حين سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : انما أصنعها للدواء قال عليه الصلاة والسلام : « **إنه ليس بدواء ولكنه داء** » وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولاتداووا بحرام » ؛ وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر أنه قال : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » .

فهذه النصوص بجملتها تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها .

أما ما خالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول – لضرورة – كحفظها من الفساد مثلا فإنه يجوز استعمالها اذا تعين الشفاء بها ، وكان الواصف للدواء طبيباً مسلماً ماهراً يخشى الله في السر والعلن ، لأن مبادىء الشريعة قائمة على اليسر ، ودفع الحرج ، وتحقيق مصالح الناس ، والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :
﴿ **فمن اضطرَّ غير باغٍ ولاعادٍ فلا إثم عليه** ﴾ .
(البقرة : ١٧٣)

* * *

أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون بالوسائل التالية :

(أ) بالتربية الصالحة .

(ب) بمنع أسبابها .

(ج) بمعاقبة مرتكبيها .

(أ) **أما التربية الصالحة** فتتركز بتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والخشية منه ، واستشعاره مراقبة الله في السر والعلن ، لما لهذه التربية القويمة من أثر كبير في تكوين ضميره ، وإصلاح نفسه ، وسمو خلقه .. ومن المعروف تاريخياً أن العرب الذين أدركوا الإسلام ، وآمنوا به ، ودخلوا فيه ... لما تربّت ضمائرهم على مراقبة الله ، وترسخت نفوسهم على الخشية منه ، والاستعانة به ، والاعتماد عليه ، تركوا كل العادات المرذولة التي كانوا عليها في الجاهلية عن طواعية واختيار .

فلنأخذ مثلا تعلق العرب الجاهليين بالخمر قبل الإسلام ، وتمدّحهم بشربها ، وتفننهم في وصفها .. اسمعوا إلى ما يقول شاعرهم في التعلق بها :

إذا متّ فادفنّي إلى جنب كرمة
تروّي عظامي بعد موتي عروقها

واسمعوا إلى ما اخترعوا لها من الأسماء والألقاب : (المدامة ، السلافة ، الراح ، الصهباء ، ابنة العنقود ، ابنة الكرم ، بنت الدنان ، بنت الحان ..) إلى آخر هذه الأسماء والألقاب التي زادت عن المئة .

ومع كل هذا لما بلغهم أن الخمر قد حرمت قالوا جميعاً : **انتهينا ربنا** ، بل أراقوا ما كان عندهم في القلال في سكك المدينة .. هكذا الإيمان يصنع العجائب حين

يخالط بشاشته القلوب ، وترسخ جذوره في الضمائر والنفوس .. بل يقوم بدوره الكبير في الإصلاح والتهذيب ، مما تعجز عنه دول ، وتفشل في تحقيقه أساطيل ..

فما أحوج المجتمعات الإنسانية إلى مثل هذا الإيمان ، وإلى مثل هذه التربية الصالحة !! ..

(ب) **أما منع أسباب هذه الظاهرة** فيرجع إلى من بيده السلطة والتنفيذ ، فالدولة حين تمنع في الأسواق وفي كل مكان جميع أنواع الخمر ، وتتخذ الأسباب لاستئصالها والقضاء عليها ، عندئذ توصد الأبواب في وجوه مدمنيها ، فلا يحتسيها شاب ، ولا يجد فاسق سبيلا إليها ..

(ج) **أما عقوبة مرتكبيها** فإن الإسلام وضع العقوبة الزاجرة لكل من يحتسيها ، وهي مقدرة مابين (٤٠ إلى ٨٠) جلدة ، وهذا لايمنع من وضع عقوبات تعزيرية من حبس ، وتغريم ومصادرة .. لكل من يبيعها أو يحملها أو يتاجر بها ..

وعلى الحكومات – إن كانت جادّة – أن تنتقي من المباحث الجنائية المعروفة بالنشاط والإخلاص والحزم والاستقامة .. لتزاول عملها على أحسن وجه عسى أن تصل في النهاية إلى تطهير المجتمع من موبقات الخمر ، وأخطار المخدرات ..

* * *

أما ظاهرة الزنى واللواط :

فهي أخطر الظواهر الاجتماعية عند الأطفال والمراهقين الشباب .. وكم سمعنا عن أطفال لم يبلغوا الحلم بعد ، سلكوا طريق الفاحشة والفساد بغفلة عن مراقبة آبائهم وذويهم .. حتى هووْا في مزالق الشذوذ والانحدار الخلقي ، فقبعوا في حضيض الهلاك والضياع ..

وما أشدّ فاجعة الآباء والأولياء حين يرون أولادهم ، ومن يقومون على أمرهم قد انتكست فطرتهم ، وانحطت أخلاقهم ، وانغمسوا في حمأة الرذيلة والشذوذ !! ..

وهل تنفع الآهات ، وتجدي الحسرات ، بعد أن رأوا أفلاذ أكبادهم وثمرات قلوبهم وهم يتخبطون في أوحال الخبائث ، ويتعثرون في مستنقعات الفساد ؟ .

ولو أنهم ربوهم على الأخلاق الفاضلة ، وراقبوا تحركاتهم مراقبة تامة ، وعرفوا من يصاحبون ، ومن يخالطون لما وصلت حالة أبنائهم إلى هذه النهاية المُفْجعة ، وإلى هذه النتيجة المخزية !! ..

من المسؤول الأول عن الشذوذ الخلقي ، والانحراف الاجتماعي لدى الأبناء والأولياء ؟

من الذي يوجههم إلى مبادىء الفضيلة والأخلاق ، ويقبّح لهم الفحشاء والمنكر غير الآباء والأولياء ؟

فالأب والأم هما المسؤولان أولا وآخراً عن تربية الولد ، ثم تأتي بالتالي مسؤولية الدولة ، ومسؤولية المجتمع ..

بعد هذه اللفتة التوجيهية نتكلم عن هذه الظاهرة في أمور ثلاثة :

١ – الأضرار التي تنجم عنها .

٢ – حكم الإسلام فيها .

٣ – العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

أما عن الأضرار التي تنجم عن ظاهرة الزنى واللواط فإنها بالغة الخطورة ، وهي مرتبة كما يلي :

(أ) أضرار صحية وجسمية :

يتسبب عن اقتراف جريمة الزنى واللواط الأمراض التالية :

١ - مرض الزهري :

الذي من أعراضه القرحة والتورّم على أعضاء التناسل أو الشفة أو اللسان أو الجفن .. وظهور البقع في أنحاء الجسم ، ويسبب هذا المرض الخطير الشلل ، والعمى ، وتصلّب الشرايين ، والذبحة الصّدريّة ، والتشوهات الجسمية ، وسرطان اللسان ، والسّل في بعض الأحيان ، وقد يتعدى هذا المرض إلى الزوجة والأولاد .. وهو من الأمراض السارية بالعدوى من لمس ولعاب ..

٢ - مرض السيلان أو التعقيبة :

من أعراض هذا المرض حدوث ألم وحرقة شديدة عند التبول ، وإفراز سائل صديدي (القيح) في مجرى البول عند الرجال ، ومن عنق الرحم ومجرى البول عند النساء ، ومن مضاعفات السيلان عند الذكور حدوث الالتهابات في الخصيّتين والمثانة ، وضيق مجرى البول .. أما عند النساء فيسبب التهاب الرحم والمبايض والكليتين .. ومرض التعقيبة قد يؤدي إلى العقم لدى الرجل والمرأة ، وإصابة القناة البولية عند الرجل بقروح تؤدّي في الغالب إلى انحباس البول الذي قد يؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان .

٣ - انتشار الأمراض المعدية :

ومن أمراض الزنى واللواط أنه يجلب أمراضاً خبيثة معدية بسبب انتقال الجراثيم الفتاكة من المريض إلى الصحيح ، وبسبب القذارة الحاصلة أثناء الجماع .

وما أكثر هذه الأمراض السارية التي استفحل خطرها، وتفاقم شرها في المجتمعات التي ينتشر فيها الزنى واللواط، ويعم في ربوعها الفساد والمنكر !!..

وما أصدق ما قاله الصادق المصدوق محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حين أخبر أن الفاحشة إذا ظهرت في قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والأمراض التي لم تكن في أسلافهم، وروى ابن ماجه والبزار والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: « يامعشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن – عدد منها: ... ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم »، ألا فليتذكر أولو الألباب !..

(ب) أضرار اجتماعية وخلقية ونفسية:

يكفي هذه الظاهرة ضرراً وخطراً أنها تؤدي إلى اختلاط الأنساب وضياع النسل، وهتك الأعراض والحرمات، وقتل الشهامة والمروءة، وتفسخ المجتمع، وفصم أواصر الزوجية، وتفكك وحدة الأسرة، والانطلاق في حمأة الرذيلة والفساد، وفقد الرجولة والكرامة..

ويكفيها شراً وفساداً أن المجتمع بسببها يعجّ بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب، وأن تيار الإباحية يجتاح شباب الأمة ونساءها... وإذا كان الأمر كذلك فلا ترى للأخلاق وزناً، ولا للفضيلة والشرف أي اعتبار ولا قيمة !!..

وما قيمة مجتمع اندثرت أخلاقه، وضاع حياؤه، وتهدم كيانه واعتباره ؟
وما قيمة مجتمع تشرد أطفاله، وتهتك نسائه، وفجر شبابه ؟
وما قيمة مجتمع استبدت به شهواته، واستحوذت عليه غرائزه، فلا يعرف هماً سوى الجنس واللذة المحرمة، ولا غاية سوى الغريزة والشهوة الهابطة..؟

لا شك أنه مجتمع منحل متفكك مهدد في كل لحظة بالزوال والدمار؛ وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله:

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾

(الإسراء : ١٦)

* * *

أما حكم الإسلام في الزنى واللواط فهو التحريم القطعي بإجماع الفقهاء والمجتهدين وذلك للأدلة التالية :

أما فيما يتعلق بحرمة الزنى فيقول الله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ (الإسراء : ٣٢) ؛ ويقول : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾

(الفرقان : ٦٨)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. » ؛ وروى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الزناة تشتعل وجوههم ناراً » ؛ وروى الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » ؛ وروى ابن أبي الدنيا والخرائطي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المزاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولا يزكيه ، ويقول : ادخل النار مع الداخلين » .

أما فيما يتعلق بحرمة اللواط فيقول الله تعالى : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ؟ بل أنتم قوم عادون ﴾ .

(الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦)

ويقول : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم

المنكر ، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ .

(العنكبوت : ٢٩)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ملعون من عَمِل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط .. » قالها ثلاثاً . وروى ابن ماجه والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف على أمتي من عَمِل عمل قوم لوط » .

وروى الطبراني والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله » ، قال أبو هريرة من هم يارسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الرجال » .

ولكل من الزنى واللواط عقوبات مقدرة في الشرع مبينة كما يلي :

١ - عقوبة الزنى :

للزنى عقوبتان مقدرتان فى الشرع :

(أ) عقوبة الجلد مع التغريب .

(ب) عقوبة الرجم .

أما عقوبة الجلد مع التغريب فتكون للزاني غير المحصن (أى غير المتزوج) سواء أكان الزاني رجلا أو امرأة ، فيجلد مائة جلدة لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ .

(النور : ٢)

والتغريب عند الحنفية من باب التعزير ، فإن رأى الإمام فيه فائدة غرّبه ، وعند باقي الأئمة يجب التغريب بعد الجلد إلى مكان لا تُقصَر فيه الصلاة ، وبالتغريب حكم الخلفاء الراشدون ، وبه قال كثير من الصحابة .

٢ – **أما عقوبة الرجم** فتكون للزاني المحصن (أي المتزوج) ، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب (أي المتزوج) الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ أمر برجم ماعز بن مالك ، والمرأة الغامدية لاعترافهما أمام رسول الله ﷺ بالزنى ، وكانا محصنين متزوجين .

٣ – **عقوبة اللواط** :

أجمع العلماء على أن اللواط زنى ، ولكن اختلفوا نسبياً في تحديد العقوبة ، قال البغوي : (اختلف أهل العلم في حد اللوطي ، فذهب قوم إلى أن حد الفاعل هو حد الزنى : إن كان محصناً يرجم ، وإن لم يكن محصناً يجلد مائة جلدة وهو أظهر قولي الشافعي ، وذهب قوم إلى أن اللوطي يرجم سواء كان محصناً أو غير محصن وهو قول مالك وأحمد ، والقول الثاني للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به)[1] ؛ وذهب الحنفية إلى وجوب التعزير حسب ما يراه الإمام رادعاً للمجرم ، فإذا تكرر منه الفعل ولم يرتدع أعدم بالسيف تعزيراً .

---

(١) النص المنقول من كتاب الترغيب والترهيب : ج ٤ ، صفحة ٣٢٥ ، باب الترهيب من اللواط

وإليكم النصوص التي تدل على قتل الفاعل والمفعول به كما ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء والمجتهدين :

– روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم أهل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

– وروى البيهقي وغيره عن مفضل بن فضالة عن ابن جريج عن عكرمة عن النبي ﷺ أنه قال : « اقتلوا الفاعل والمفعول به ، والذي يأتي البهيمة » .

* * *

أما العلاج في استئصال هذه الظاهرة فهو نفس العلاج الذي سبق ذكره في استئصال العادة السرية للحالة المتشابهة في علاج الظاهرتين ، فلا ضرورة لإعادة الكلام فيه مرة ثانية .

وأزيدك – أيها القارىء – علاجاً آخر وهو أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فإن صلح لأمتنا في الماضي رسالة الإسلام نظاماً وتشريعاً ، ووجدت العزة تحت ظلالها ، والقوة والتمكين والحضارة لما سارت على مبادئها وأحكامها .. فلا يصلح لأمتنا اليوم إلا ما صلح لها بالأمس ، فعندئذ تعود لأمتنا عزتها السليبة ، وقوتها المنيعة ، ودولتها العتيدة ، واستقرارها المنشود ؛ وترجع – كما كانت – خير أمة أخرجت للناس هدياً وقدوة وعطاء وقوة .. ورضي الله عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب القائل : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) رواه الحاكم .

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يُحيي دينا
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء له قرينا

* * *

انطلاقاً من المبدأ الذي وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **لا ضرر ولا ضرار** » ، وامتثالاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ، وأخذاً بواجب المسؤولية التي حتمها رسول الإسلام .. وجب على المربين – ولا سيما الآباء والأمهات منهم – أن يأخذوا بأسباب الوقاية لأولادهم ، وبوسائل الحيطة والحذر لأفلاذ أكبادهم .. حتى لا يتعرضوا للأخطار المحدقة التي تصيبهم ، ولا للحوادث الأليمة التي تفاجؤهم ، وربما تقضي بهم – في أغلب الأحيان – إلى الموت أو التشويه أو المرض أو الجروح ..

وإليكم – أيها المربون – أهم هذه الأسباب الوقائية في تقليل الحوادث :

وهي ملخصة مع بعض التصرف من كتاب (المشكلات السلوكية) للدكتور نبيه الغبرة صفحة : ١٧٧ : (إن النظام المنطقي المنسجم المعتدل الذي نضعه لأطفالنا ضروري لسلامتهم ، كما هو ضروري لشعورهم بالاطمئنان ، وإن حماية الطفل في **السنة الأولى** تقع على عاتق الأهل كاملة وهم مسؤولون عن أي تفريط ، وأما في **السنة الثانية** فيحسن البدء بتعليم الطفل الحذر من المخاطر ، وذلك بتلقينه بعض الدروس اللطيفة ، فحتى لا يلمس المدفأة أو النار أو الأواني الحارة .. بشكل اعتباطي ، أو أن يقع فيها ، فيحسن أن تقول له أو تنبهه بأنها حارة مؤلمة عند اللمس بل ومخيفة ، وأن نسمح له بلمسها لمساً لطيفاً سريعاً لا يؤذي ، وبذا يخافها ويحذرها .. وإذا ما رأينا طفلاً على وشك من أن يقع على كرسي ، وليس في يده شيء يؤذيه أو لا يوجد شيء على الأرض قد يؤذيه إن سقط عليه ، فلا بأس من تركه يسقط – مع أخذ الحيطة – وننتهز الفرصة لتعليمه الحذر ؛ وعلى العموم فيجب أن **يكون هناك توازن ما بين التعليم والحماية** ، على الأهل أن يفطنوا لما يمكن أن يتعرض له الطفل من مخاطر أثناء لعبه ، وأن يأخذوا الاحتياطات اللازمة) .

وفيما يلي بعض الخطوات العملية التي تساعد على الإقلال من الحوادث كما عرضها الدكتور غبرة :

١ – يجب وضع السموم في خزانة مغلقة ، وأن يوضع المفتاح في مكان أمين ، كما يجب أن يكتب اسم المادة السامة على الزجاجة بشكل واضح ، وأن لا توضع

الزجاجة حيث يوجد الطعام ، وهذه السموم تشمل أنواعاً عديدة لاستعمالات مختلفة ، وأهمها مبيدات الحشرات ، والقطرونة ..

٢ - يجب رمي الأدوية الفائضة عن الحاجة ، وعدم تركها في متناول الأطفال ، وعند استعمال الدواء يحسن ألا يستعمل بوجود الطفل ، لأن الأطفال يحبون التقليد والمحاكاة ، وحوادث تسمم الأطفال بالأدوية ليست بالقليلة ، وإذا ما أردنا أن نعطي طفلا دواء فيجب إفهامه أنه دواء وليس شرابا ، والأحسن وضعه في مكان بعيد عن متناول يده إن لم نكن على ثقة منه .

٣ - يجب وضع حاجز واق لكل مصادر الاحتراق كالمدافيء بمختلف أنواعها ، وأجهزة التسخين والطبخ والأفران إن كان هناك احتمال وصول الطفل الذي بدأ يحبو ويمشي إليها ، وإلا فلا بد من وقوع الحوادث ، فكم يحترق أطفال بالمدافيء ، ومواقد الحمامات ، وما شابه ذلك .

ويجب كذلك عدم السماح للطفل باللعب بالأشياء المشتعلة كعود الثقاب (الكبريت) ، بل علينا أن نجعلها في أماكن مرتفعة بعيدة عن متناول يده .

وأما أباريق الشاي ، وأواني أوعية الطبخ فهي مصدر خطر على الأطفال للأشياء الساخنة الموجودة فيها ، **فكم من أم جاهلة** غفلت عن آنية الطبخ أو القلي وفيها الأشياء المحرقة ، فوقع فيها فلذة كبدها ، فأصيب بالجروح المحرقة ، وسببت له التشوهات الدائمة ؟ .

وكم من أم حمقى وضعت إبريق الشاي على حافة الطاولة ، أو على الأرض ، أو على الكرسي ، فوقع طفلها على الإبريق ، أو وقع الإبريق عليه فنتج عن ذلك الإصابات الخطيرة ؟ .

ويجب الحذر من الألعاب النارية في المواسم والمناسبات خشية التأذي بها .

ويجب الاحتراس من أخطار الأدوات الكهربائية وأسلاكها مخافة الإصابة .

٤ - ويجب إبعاد كل الآلات الحادة كالمقصات ، والسكاكين ، والشفرات ، والدبابيس ، والأواني الزجاجية بحيث لا تصل إلى أيدي الأطفال .

٥ - ويجب عدم السماح للأطفال بممارسة الألعاب التي قد تكون خطرة كاللعب بالحبل وشده حول العنق ، أو اللعب بكيس من البلاستيك وإدخال الرأس فيه ، فهذا قد يؤدي إلى الاختناق ؛ ويجب كذلك تجنيب الطفل الركض وفي فمه طعام ، أو قذف بعض الموالح كالقضامة والفستق في الهواء ثم تلقيها بالفم مباشرة خوفاً من دخول الطعام إلى مجرى الهواء فيتسبب الاختناق .

٦ - ويجب على الأم ألا تنيم ابنها في سريرها إذ هناك خطر خنقه ؛ وكم سمعنا عن حوادث من هذا النوع ، فقد تنام الأم ، ثم ينام الطفل والثدي في فمه ، فبمجرد ميلان خفيف من الأم على الطفل يؤدي إلى موته بالاختناق ؟

٧ ويجب التأكد من سلامة نوافذ الطابق العلوي ، وكون الطفل لايستطيع اجتيازها ، ويجب ان تكون حواجز الشرفات من النوع الفني الحديث التي تسمح للطفل بالمشاهدة ولا تسمح له بتسلقها ، أو على الأقل لا يخشى عليه من الخطر إن تسلقها وكم من حوادث أليمة ذهب ضحيتها أطفال في أجمل العمر نتيجة التساهل في هذا الأمر ؟

٨ - ويجب الانتباه عند استعمال الآلات الميكانيكية ، والأجهزة الكهربائية ، ولا سيما الغسالات ومفارم اللحم والكبيبة .. فحوادث انسحاب أيدي الأطفال في الغسالة ، أو ذهاب أصابعهم بالمفرمة ليست قليلة !! .

٩ - ويجب الانتباه إلى كون الباب الخارجي للمنزل مغلقاً حتى لا يخرج الطفل على حين غرة بدون علم أمه خوفاً من وقوع حادث .

١٠ - ويجب الانتباه على الباب عند إغلاقه مخافة أن يضع الولد أصابعه في طرفه فيتسبب انضغاط على بعض أصابعه ، فيصاب بإصابات أليمة .

إلى غير ذلك من هذه الأسباب الوقائية التي لا تخفى على كل ذي عقل وبصيرة .

تلكم هي أهم الوسائل التي وضعها الإسلام في تربية الولد الجسمية ، وهي – كما علمت – وسائل إيجابية ، وأسباب وقائية لو أخذ بتعاليمها المربون ، ومشى على نهجها الآباء والمعلمون .. لرأينا أبناء هذا الجيل يرتعون في بحبوحة من الصحة ، ويتمتعون بنعمة القوة ، ويسيرون في طريق الأمن والهناءة والاستقرار ..

ومن المعلوم يقيناً أن أمة الإسلام إذا تمتعت بعقل سليم ، وجسم قوي ، وارادة متينة ، وعزيمة جبارة ، وشجاعة فائقة ، ووعي كامل .. فإنها ستكون المبرّزة في الإنتاج ، والمسابقة إلى الحضارة ، والآخذة بأسباب النصر والمجد ، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للإسلام والمسلمين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم .

فيا أيها المربون من آباء وأمهات ومعلمين ..

هذا هو وحده طريق الحياة .

هذا هو وحده طريق القوة .

هذا هو وحده طريق المجد .

هذا هو وحده طريق الخلود ...

فما أحوج الجيل اليوم – الذي هو أمانة في أيديكم – إلى تطبيق هذه التعاليم السامية ، والمبادىء الخالدة في إعداده جسمياً ، وتكوينه صحياً ونفسياً .. حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه ، ويضطلع بمسؤولياته في حمل الرسالة الإسلامية إلى الدنيا كما حملها من قبل جيل الصحابة ، وجيل التابعين ، والأجيال التي تلت من بعدهم ..

عسى أن ينقل جيلنا اليوم الأم من ظلمات الإلحاد والانحلال والجاهلية إلى نور الإيمان ، ومكارم الأخلاق ، وهداية الإسلام !! .. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

الفصل الرابع

٤ ـ مسؤوليّة التربيةِ العقليّة

المقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية ، والثقافة العلمية والعصرية ، والتوعية الفكرية والحضارية .. حتى ينضج الولد فكرياً ويتكوّن علمياً وثقافياً ..

وهذه المسؤولية لا تقل خطورة وأهمية عن المسؤوليات التي سبق ذكرها : الإيمانية ، والخلقية ، والجسمية : فالتربية الإيمانية **تأسيس** ، والتربية الجسمية **إعداد وتكوين** ، والتربية الخلقية **تخليق وتعويد** .. أما التربية العقلية فإنها **توعية وتثقيف وتعليم** ..

وهذه المسؤوليات الأربعة ، ومسؤوليات غيرها مما سيأتي على ذكره متضافرة مترابطة متساندة في تكوين الولد الشامل ، وتربيته المتكاملة ليكون إنساناً سوياً يقوم بواجب ، ويؤدي رسالة ، وينهض بمسؤولية .. فما أحسن الإيمان حين يؤاخي الفكر ، وما أجمل الأخلاق حين تواكب الصحة !! .. وما أعظم الولد حين ينطلق للحياة العملية وقد اعتنى به المربون من كل جانب ، وأحاطوا بتوجيهه وتربيته وإعداده من كل ناحية !! ..

وإذا كان لابد من بيان المراحل التي يجب أن يسلكها المربون في كل مسؤولية يقومون بها نحو الولد .. فأرى أن مسؤوليتهم في التربية العقلية تتركز في الأمور التالية :

١ – الواجب التعليمي .
٢ – التوعية الفكرية .
٣ – الصحة العقلية .

* * *

١ – مسؤولية الواجب التعليمي :

لا شك أن هذه المسؤولية بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام ، لأن الإسلام حمل الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد ، وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم ، وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب ، والمعرفة المجردة ، والمحاكمة المتزنة ، والإدراك الناضج الصحيح .. وبهذا تتفتح المواهب ، ويبرز النبوغ ، وتنضج العقول ، وتظهر العبقرية .. ومن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلب الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلَق ، خلَقَ الإنسان من علَق ، اقرأ وربك الأكرمُ الذي علَّمَ بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . (العلق : ١ ـ ٥)

وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم ، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل ، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه .

وإذا أردنا أن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على العلم ، وترفع من منزلة العلماء نجدها كثيرة ومستفيضة يستظهرها الصغير والكبير ، ويرويها العالم والمتعلم ..

فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩)

- وقوله : ﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾

(طه : ١١٤)

- وقوله : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلمَ درجات ﴾
(المجادلة : ١١)

- وقوله : ﴿ ن والقلم وما يَسطُرونَ ﴾

(القلم : ١ — ٢)

ومن هذه الأحاديث :
روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« ... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

- وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى ، وما والاه[١] وعالماً أو متعلماً » .

- وروى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » .

- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

انطلاقاً من هذا التوجيه القرآني والإرشاد النبوي انكبَّ المسلمون في عصر الرسالة ، والعصور التي تلت على مدارسة العلوم الكونية ، واعتبروا تعلم كل علم

---

(١) وما والاه : أي أطاع الله .

نافع من قبيل الفرض والواجب ، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم ، فجددوا فيها وهضموها ، وطبعوها بطابع الإسلام المتميز ؛ وظل العالم قروناً طويلة يقتبس من علومهم ، ويستفيد من حضارتهم .. وما تألقت الحضارة المادية في العصر الحديث شرقا وغربا إلا بفضل ما أخذوه من حضارة المسلمين وعلومهم **عن طريق صقلية ، والأندلس ، والحروب الصليبية** ... فكانت الدولة الإسلامية بحق أستاذاً وإماما للعالم الضال ، والإنسانية الحائرة ..

وإليكم شهادة المنصفين من فلاسفة الغرب على عظمة المجد العلمي والحضارى الذي أحرزه المسلمون في فترات طويلة من التاريخ :

– يقول(شريستي)في حديثه عن الفن الإسلامي : (ظلت أوربا نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الاسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب) .

– ويقول (دوزي) المستشرق الهولندي : (إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمّي بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس) .

– ويقول (لين بول) في كتابه (العرب وأسبانيا) : (فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة) .

ويقول (بريفولت) في كتابه (تكوين الإنسانية) (العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث ، ومع أنه لاتوجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوربي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذ ، إلا أن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث ، والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي والروح العلمية .. وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضاري) .

– ويقول (أبوشيكة) في كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤما على أسبانيا وأوروبا ، فالأندلس لم تعرف السعادة الا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب ..) .

– ويقول (هـ ، ر ، جب) في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) في معرض المذهب التجريبي الذي قام عليه كل العالم الأوروبي ، والذى هو تراث إسلامي أصيل ... يقول مانصه : (أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى) .

– ويقول (فكتور روبنصن) بعد كلام طويل في موازنته بين الحضارة الاسلامية في الأندلس ، وحضارة أوروبا في القرون الوسطى : (.... وكان أشراف أوروبا لايستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون إلى المدارس ؛ وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سِفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة ..) .

إن هذه الأقوال وأقوالا كثيرة غيرها تؤكد لنا بوضوح ما انطوى عليه الإسلام من قوة دفع حضارية ، ومن إشراقة نور علمية .. بينما كان العلماء في أوروبا – في القرون الوسطى – يقتلون في الساحات العامة جهارا نهاراً لجرأتهم العلمية والفكرية !!!..

* * *

ولكن ما هو السر في هذا الدفع الحضاري ، والإشراقة العلمية ؟

السر كامن في المبادىء التي انطوت عليها شريعة الإسلام الخالدة :

(أ) **ذلك لأن الإسلام روح ومادة ، ودين ودنيا فلعبادته ، ومعاملاته ،** وتشريعاته الاجتماعية ، وأحكامه الدنيوية .. آثار واضحة في بناء الحضارة الإنسانية ؛ وشعاره في ذلك قوله تعالى :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

(القصص : ٧٧)

وقوله : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ .

(الجمعة : ١٠)

(ب) **ولأنه يدعو إلى المساواة والإنسانية** ، ليساهم في بناء الحضارة الإنسانية كل من ينضوي تحت راية الإسلام بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ... وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

(الحجرات : ١٣)

(ج) **ولأنه دين الانفتاح والتعارف** إلى كل الأمم والشعوب ، وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ .

(الحجرات : ١٣)

وبناء على هذا النداء انفتح المسلمون على غيرهم ، واستفادوا من حضارات الأمم ، فتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والفنية .. فصهروها في بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة فيما بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمه .

(د) **ولأنه دين مستمر متجدد** على أرقى ما يكون من النظم والأحكام والمبادىء .. وحسبه شرفاً وخلوداً أنه تنزيل رب العالمين ، وتشريع أحكم الحاكمين ، وأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان ، ويمد الإنسانية بتشريعات حيوية راقية متكاملة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وشعاره في ذلك قوله تعالى :

﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

ويكفي هذا الإسلام فخراً وخلوداً أن يشهد عظماء الغرب على عظمته وحيوية تشريعه ، وإليكم ما قاله الفيلسوف الإنكليزي (**برناردشو**) : (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة .. أرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وإنّ رجلا كشاكلته لو تولّى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته) .

ويقول الدكتور (ايزكو انسباتو) : (إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً) .

ويقول العلامة (**شبرل**) عميد كلية الحقوق بجامعة (فينا) في مؤتمر الحقوق سنة (١٩٢٧) م : (إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (ﷺ) إليها ، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون ، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة) !! ..

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بجديد غير منصرم
آيـاتـه كلما طـال المـدى جُـدُد يزينهن جمال العِتق والقِدم

(هـ) ولأنه دين يجعل التعليم منذ الصغر إلزامياً ومجانياً دون أن يكون تمييز بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية إلا من ناحية الحاجة والكفاية والاختصاص .

أما أن الإسلام دين يجعل التعليم إجبارياً وإلزامياً فللأحاديث التالية :

– روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، ولفظ المسلم في الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء .

– وروى الطبراني في الكبير عن علقمة عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال : « ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتعظون ، والله ليعلمّن قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمّن قوم من جيرانهم ، ويتفقّهون ، ويتّعظون ؛ أو لأعاجلنّهم العقوبة » .

– وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كتم علماً ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

فإذا كان طلب العلم – في نظر الإسلام – فريضة على المسلم والمسلمة ، وإذا كان المستنكف عن تعلم العلم أو تعليمه مهدداً من قبل الشرع - بالعقوبة ، وإذا كان من يكتم العلم النافع ملجماً بلجام من نار يوم القيامة .. أفلا يدل كل هذا على أن الإسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجباً إلزامياً ؟! ..

أما أن الإسلام دين يجعل التعليم بكل اختصاصاته مجانياً فللمواقف التي وقفها النبي ﷺ في مجانية التعليم ، وتحذيره الشديد من أخذ الأجر على التعليم لأصحابه .

فقد ثبت تاريخياً أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتقاضى على دعوته وتعليمه من أحد أجراً ، ومبدؤه ومبدأ الرسل من قبله قوله تعالى :

﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ (الشعراء : ١٠٩)

وثبت تاريخياً كذلك أن مصعب بن عمير الذي أرسله عليه الصلاة والسلام داعياً ومعلماً إلى المدينة ، ومعاذ بن جبل الذي أرسله إلى اليمن ، وجعفر بن أبي طالب الذي أرسله إلى الحبشة .. وعشرات غيرهم كانوا لا يتقاضون من أحد أجراً .

ومن تحذيره عن أخذ الأجر أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه – كما روى أبو داود عن أبي شيبة – قال : « علّمتُ ناساً من أهل الصُفّة الكتاب والقرآن ، فأهدى لي رجل منهم قوساً ، فقلت : ليست بمال ، وأرمي عليها في سبيل الله ، لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه ، فأتيته ، فقلت يارسول الله ، رجل أهدى لي قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن ، وليست بمال ، وأرمي عليها في سبيل الله ، فقال ، إن كنت تحب أن تكون طوقاً من النار فاقبلها » .

وثبت تاريخياً أيضاً أن أبناء المسلمين الذين كانوا يؤمّون المساجد ، والمدارس .. للعلم والتعلم كانوا لايبذلون في سبيل تعلمهم أجراً !! ، بل كانوا يدرسون في بعض العصور على حساب الدولة . ولقد كان **علماء السلف** يحذرون من يتصدى للإرشاد والتعليم في أن يأخذ على تعليمه أجراً ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله : (على المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكوراً ، بل يُعلّمه لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه) ، قال سبحانه على لسان أحد أنبيائه :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله ﴾ (هود : ٢٩)

نستنتج من ذلك كله أن الإسلام سنّ مجانية التعليم سواء على صعيد الدولة ، أو على صعيد الأفراد حيث يقصد من يتصدى للتعليم في عمله وجه الله ، والتقرب إليه ، وابتغاء مرضاته .. وكان من نتيجة ذلك أن أقبل الناس على العلم والتعلم بشكل لا نظير له في تاريخ البشرية : يقول أحد المفكرين : (إن الدولة الإسلامية سبقت العالم كله في نشر التعليم مجاناً للمواطنين جميعا بلا تميز أو محاباة ، فكانت المدارس مفتوحة على مصاريعها للشعب جميعاً في المساجد ، ودور العلم ، والأماكن العامة .. في كل البلاد التي دخلت الإسلام ، ومن بقايا ذلك التعليم الحر المباح التعليم المجاني القائم بالأزهر الشريف ، وبكلية دار العلوم ، وجميع المدارس الشرعية .. فالطلاب يمنحون فيها إعانات مالية لتوفير الغذاء لهم مما تعمل الدول الآن على تعميمه في أرجائها)[١] .

بقي السؤال إذا كان المعلم متفرغاً للتعليم ، وليس عنده مورد آخر يتكسب منه هل يجوز له أن يأخذ أجرا على تعليمه ؟

لاشك أن المعلم حينا يكون متفرغا للعلم والتعليم ، وحينا لا تتيسر له الأسباب في الحصول على بُلغة العيش ، وحينا تتساهل الدولة ، أو يتساهل المجتمع في كفايته وكفالته .. فإنه يجوز أن يأخذ على تعليمه أجراً يحقق له كرامة النفس ، وبُلغة الحياة .. وإلى هذا يشير الإمام الغزالي رحمه الله في إحيائه : (وكذلك للمدرس أن يأخذ ما يكفيه ليفرّغ قلبه عن المعيشة ، وليتجرد لنشر العلم ، فيكون مقصوده نشر العلم ، وثواب الآخرة ، ويأخذ الرزق بُلغة ميسرة للمقصود) .

قال أبو الحسن – كما روى القابسي – : وقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال : كنت جالسا عند مالك فأقبل اليه معلم الكتّاب ، فقال له : يا أبا عبد الله ، إني رجل مؤدب الصبيان ، وانه بلغني شيء ، فكرهت أن أشارط (أي

(١) عن مجلة الهدي الاسلامي من مقال (التربية الإسلامية) للأستاذ محمود مهدي استانبولي ص ٤٢

على الأجر) وقد امتنع الناس عليّ ، وليسوا يعطونني كما كانوا يعطون ، وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة الا التعليم . فقال له مالك : إذهب وشارِطْ ، فانصرف الرجل ؛ فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، تأمره أن يشترط على التعليم ؟ فقال لهم مالك : نعم فَمَن يُمَخِّطُ (أي يصلح) لنا صبياننا ؟ ومن يؤدبهم لنا ؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن ؟ .

ويزيد الأمر تأكيداً ، هذا العصر الذي كثر شره ، وتضافرت المخططات الاستعمارية فيه لطمس معالم الإسلام !! . لذا وجب على الآباء والمربين أن يحرصوا على تعليم أولادهم ولا سيما علم التوحيد والعقيدة ، وتلاوة القرآن ، وسائر العلوم الشرعية لأنه مالا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب ؛ وإذا لم يختاروا لأولادهم المعلمين — ولو بالأجر — فإن الأولاد سينشؤون على الإلحاد والجهل والتحلل والإباحية ..

وقديماً قال ابن مسعود رضي الله عنه — كما روى ابن سحنون عن سفيان الثوري — « ثلاث لابد للناس منهم : من أمير يحكم بينهم ، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ؛ ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولا ذلك لبطل كتاب الله ؛ ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ، ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولا ذلك كان الناس أميين .. » .

ونضيف شيئاً آخر يتماشى مع هذا الزمن الذي نعيشه ؛ لابد للناس من معلم يعلم أولادهم مسائل العقيدة ، ومبادىء الأخلاق ، ووقائع التاريخ ، وتلاوة القرآن .. ولولا ذلك لكان الأولاد ملحدين ضالين ، سواء أكان هذا التعليم بأجر أم بغير أجر !! ..

ويشهد هذه الملابسة الضرورية في أخذ الأجر ملابسة وقعت لبعض الصحابة في سفرة سافروها ، فنزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلُدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا إليه بكل شيء فقال بعضهم : لو أتيتم هذا الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ؛ فأتوهم ،

فقالوا : يا أيها الرهط ، إن سيدنا لُدغ ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم ، فلم تضيفونا ، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلاً (أي أجراً) ، فصالحهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتْفُل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عِقال ، فانقلب يمشي وما به قَلَبَة (أي مرض) ، فقال : فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : أقسموا ؛ قال الذي رق : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له فقال : « وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم ، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً ، وضحك النبي ﷺ ، قال البخاري : وقال ابن عباس : قال النبي ﷺ : أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله »[1] .

فالملابسة على جواز أخذ الأجر في هذا الحديث تتعلق بعدة وجوه :

١ - الصحابة في سفرهم هذا كانوا جياعاً وبحاجة إلى الطعام ، بدليل أنهم استضافوا الحي من العرب فلم يضيفوهم .

٢ - سياق الحديث يدل على أن الحي من العرب لم يكن مسلماً بدليل أنهم لم يضيفوهم ، وأحكام دار الحرب[2] تختلف عن أحكام دار الإسلام .

٣ - الأجر الذي صالح عليه الصحابة هو مقابل ما طلبه رجال الحي لسيدهم من العلاج والاستشفاء لا أخذاً للأجرة على تعليم القرآن .

هذه الملابسات جميعها أجاز لهم رسول الله ﷺ أخذ الأجر ، وقد قال لهم تلطيفاً وتكريماً : « أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » أي أحق ما أخذتم عليه أجراً في معالجة الملدوغ هو الرقية بكتاب الله عز وجل .

---

(١) الحديث بطوله رواه البخاري .

(٢) فيجوز في دار الحرب أن يأخذ مال الكفار بأي وسيلة بشرط أن يكون برضاهم .

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن الشريعة الإسلامية **لا تجيز** في الأصل أخذ الأجرة على التعليم اللهم إلا إذا كانت هناك ملابسة ضرورية على أخذ الأجرة كأن يكون المعلم متفرغاً للعلم ، ولم يكن له مورد من الكسب سوى التعليم ، أو كانت حالة الأولاد تستدعي أن يُفرّغ لهم أولياؤهم مؤدبين يحفظونهم من عقائد الإلحاد والكفر ، وينشؤونهم على مبادىء الإسلام والتربية الفاضلة ؛ فلهذه الملابسات وغيرها أجازت الشريعة أخذ الأجرة على التعليم سواء أكان التعليم شرعياً أو كان كونياً والله أعلم .

(و) ولأنه دين يقسم فريضة التعليم إلى فريضة عينية وفريضة كفائية ، وفي ذلك تفصيل :

– **فإن كان** تحصيل العلم مما له علاقة في تكوين الفرد المسلم روحيا ، وعقليا ، وجسميا وخلقيا .. **فهو من قبيل فرض العين** بالمقدار الذي يحتاج إليه ، ويندرج تحت شعار هذه الفريضة المرأة والرجل ، والصغير والكبير ، والعامل والموظف ، وجميع طبقات الأمة المسلمة ...

وبناء على هذا فإن تعلم تلاوة القرآن ، وأحكام العبادات ، ومبادىء الأخلاق الأساسية ، ومسائل الحلال والحرام ، وقواعد الصحة العامة ، وكل مايحتاجه المسلم في أمر دينه ودنياه هو فرض عيني على كل مسلم ومسلمة في هذه الحياة .

وإن كان تحصيل العلم مما له علاقة بالزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والطب ، والهندسة ، والكهرباء ، والذرة ، ووسائل الدفاع ، وغيرها من العلوم النافعة .. **فهو من قبيل فرض الكفاية** إذا قام به البعض سقط الإثم عن الجميع ، وإذا لم يقم به أحد فالمجتمع الإسلامي كله آثم ومسؤول .

* * *

هذا هو السر في قوة الدفع الحضارية والعلمية في بناء الحضارة الإنسانية ، وهذا مما يؤكد عظمة الإسلام ، ومنافسته لروح العصر والتطور ، واختصاصه بمقومات الخلود والتجدد والاستمرار ..

وأما ما نراه اليوم من ضعف علمي وتخلف حضاري .. فيعود إلى جهل المسلمين بحقيقة الإسلام العظيم ، وإلى إبعاد الإسلام عن تطبيق أنظمته في كل مجالات الحياة ، وإلى تآمر أعداء الإسلام في طمس معالم الإسلام ، وفصل الدين عن الدولة ، وحصر النظام الإسلامي في أمور العبادة ، وقضايا الأخلاق !! ..

ويوم يفهم المسلمون حقيقة الإسلام ، ويوم يطبقون نظامه الشامل في شتى مجالات الحياة ، ويوم ينتبهون إلى المؤامرات التي يحيكها الأعداء والعملاء .. فعندئذ يستعيدون مكانتهم تحت الشمس ، ويرجعون هداة مرشدين ، بل خير أمة أخرجت للناس ..

﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبَلَ فتفرقَ بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

(الانعام : ١٥٣)

* * *

ومن الواجب التعليمي الذي يجب أن يحرص عليه المربون والمعلمون والآباء .. هو التركيز في الدرجة الأولى على تعليم الأولاد – وهم في سن التمييز – تلاوة القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، وكل مايحتاجون إليه من العلوم الشرعية ، وبعض القصائد الأدبية ، وأمثال العرب .. امتثالاً لأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظِلّه » .

فانطلاقاً من هذا الأمر النبوي حرص المسلمون في كل العصور عبر التاريخ على تعليم أبنائهم هذه العلوم الأساسية ، والمواد الضرورية ..

واليكم طرفاً من أقوالهم ، وطاقات تدلّ على حرصهم وعنايتهم :

– وصى عتبة بن أبي سفيان عبد الصمد مؤدب ولده بأن يعلمه كتاب الله ، ويروّيه من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه .

– وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي : (أما بعد فعلّموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروّوهم ما سار من المثل ، وحَسُنَ من الشعر) .

وذات مرة رأى المفضل بن زيد .. ابن أعرابية مسلمة ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : (إذا أتمّ خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدّب ، فحفّظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى إلى صوت الصارخ) .

– وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نُبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه) .

ـ وقد أوصى الإمام الغزالي في إحيائه : (بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، ثم بعض الأحكام الدينية ، والشعر الخالي من ذكر العشق وأهله) .

– وقد ذكر ابن سينا في كتاب السياسة آراء ثمينة في تربية الأولاد ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسميا وعقلياً للتعليم ، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ، ويدرس قواعد الدين ، ثم يروي الشعر ، ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة ..

– وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية تحفيظ القرآن الكريم ، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي إلى رسوخ الإيمان .

ومن طريف ما يروى كما جاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة : (أن رجلا من ثقيف دخل على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟

قال الأعرابي : لا يا أمير المؤمنين شغلتني عنه أمور وهنات .
قال الوليد : أفتعرف الفقه ؟
قال الأعرابي : لا .
قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئاً ؟
قال الأعرابي : لا .

فأعرض الوليد عن الأعرابي ، فقال أحد الجالسين – وهو عبد الله بن معاوية – : يا أمير المؤمنين – وأشار إلى الرجل –

قال الوليد – اسكت فما معنا أحد[١] .

ويقصد الوليد من كلامه (اسكت فما معنا أحد) أن الذي لم يقرأ القرآن ، ولم يعرف الفقه ، ولم يروِ الشعر ولم يدرس الدين .. يكون كالعدم لا وجود له ولا اعتبار ، وإن كان موجوداً بشخصه وحاضراً بذاته !! ..

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تعليم الولد ، **البدء بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى** حيث يكون الولد أصفى ذهناً ، وأقوى ذاكرة ، وأنشط تعليماً ..

---

(١) اختصرت القصة وتصرفت فيها بعض التصرف .

وإلى هذا أشار المعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه بقوله في الحديث الذي رواه البيهقي والطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء مرفوعا : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ، وقد أثبت علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها .

وما أحسن ما قال بعضهم :

أراني أنسى ما تعلمت في الكِبَرْ
ولست بناسٍ ما تعلّمتُ في الصغُر
ومـــا العلم إلا بـــالتعلّم في الصبـــا
وما الحلم إلا بالتحلّم في الكبر
ولو فُلق القلب المعلَّم في الصبا
لأصبح فيه العلم كالنقش على الحجر
وما العلم بعد الشيب الا تعسّف
إذا كَلَّ قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق
فمَنْ فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ

* * *

فما حظ المرأة من تعلم هذه العلوم ؟

لقد أجمع العلماء والفقهاء سلفاً وخلفاً أن ما يجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة به كالرجل على حد سواء وذلك لسببين :

الأول : المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية .

الثاني : المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي .

أما أن المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية فلأن الإسلام كلفها بكل التكاليف التي كلف بها الرجل من صلاة وصيام ، وزكاة وحج ، وبرّ وعدل وإحسان .. وبيع وشراء ورهن وتوكيل .. وأمر بمعروف ونهي عن منكر .. وغير ذلك من هذه الأعباء والمسؤوليات **اللهم إلا في بعض حالات خاصة أعفاها منها :**

– إما لوجود المشقة والإخلال بالصحة كإعفائها من الصوم والصلاة في أيام الحيض والنفاس .

– وإما لكون الأعباء والأعمال لا تتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة إنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة ..

– وإما أن يكون العمل الذي تزاوله يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كالقيام بمسؤوليات الأسرة ، وتربية الأولاد ، والإشراف على البيت ..

– وإما أن يترتب على عملها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في وظائف وأعمال يختلط فيها الرجال بالنساء ..

أما ما عدا ذلك من الأعمال والتكاليف والواجبات فهي كالرجل سواء بسواء .

وفي تقديري وتقدير ذوي البصائر النيرة أن هذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ورفع لكرامتها ومنزلتها .

وإلا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها تجاه زوجها وبيتها وأولادها ؟

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همّ الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمّاً تخلّت أو أباً مشغولا

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبب لها الأمراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزج المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلوث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل شيء أغلى على المرأة من العرض والشرف ، وكيف تكون تربية الأولاد إذا درجت المرأة في الفساد ، وسارت في طريق الفحشاء ؟ ورحم الله من قال :

وليس النبتُ ينبت في جنانٍ كمثل النبت ينبت في الفلاة
وهل يُرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثديّ الناقصات

وإليكم ما يقوله فلاسفة الغرب حول خروج المرأة ، وعملها خارج المنزل :

قال العلامة الإنكليزي (**سامويل سمايلس**) في كتابه (الأخلاق) : (إن النظام الذي يقضي بأن تشتغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لأنه هاجم هيكل المنزل ، وقوّض أركان العائلة ، ومزق الروابط الاجتماعية .. لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية : كترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات العائلية ؛ ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأضحى الأولاد يشبّون على غير التربية الحقيقية لكونهم يلقون في زوايا الإهمال ، وأطفئت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة ، والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت عرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والخلقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة ..) .

وجاء في مجلة (شجرة الدر) في الجز السادس من السنة الأولى عن الكاتبة الإنكليزية (مس أني رود) ما نصه : (إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو

كالخوادم فهو خير ، وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ؛ ياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهر .. وحيث المرأة تنعم بأرغد عيش ، وبصيانة العرض والشرف ..

نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مُثُلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية – كما قضت بذلك الديانات السماوية – من ملازمة البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال ، وفي ذلك سلامة لشرفها ..) .

أما أن المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي فحسبنا أن نتصفح القرآن العظيم لننظر الآيات المستفيضة التي تسوي المرأة بالرجل في نيل الأجر والثواب . وإليكم طرفاً من هذه الآيات :

– ﴿ فاستجاب لهم ربُّهم أني لا أُضيع عملَ عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى بعضُكم من بعض ، فالذين هاجروا وأُخرجوا من دِيارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأُكفرن عنهم سيئاتهم ولأُدخِلنهم جنات تجري من تحتها الأنهارُ ثواباً من عند الله والله عنده حُسْنُ الثواب ﴾ .

(آل عمران : ١٩٥)

– ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ .

(النساء : ١٢٤)

﴿ إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ .

(الأحزاب : ٣٥)

ومما يدل على أن المرأة كالرجل في نيل الأجر والمثوبة لا تتميز عنه بشيء مارواه عبد البر في الاستيعاب ومسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدّرات ، قواعد بيوت ، وان الرجال فُضّلوا بالجُمعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربَّينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ » ، فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « انصرفي يا أسماء ، وأعلمي مَن وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعّل إحداكنّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت » ، فانصرفت أسماء وهي تهلّل وتكبّر ، استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام .

فيتبين من هذا الحديث النبوي الشريف أن الأجر الذي تناله المرأة في ترتيب مسكنها ، وطاعة زوجها ، وتربية أولادها .. يعدل أجر الرجل في جهاده واختصاصه ..

* * *

ومما يدل على أن الإسلام اعتنى بالبنت من ناحية تعليمها هذه الأحاديث النبوية الصحيحة :

– روى الترمذي وأبو داود واللفظ له أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » ، وفي رواية ، « وأيما رجل كانت عنده وليدة (أي أمة) فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » .

وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ كان يخص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله ، وذلك لما جاءته امرأة فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتي فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : اجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فجاء رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله .

– وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد **امرأة** كاتبة تدعى (الشفاء العدوية) فلما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

والذي نخلص إليه من هذه النصوص أن الإسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع ، والثقافة المفيدة .. وإذا وجد من العلماء قديما من يمنع تعليم المرأة ، فيكون المنع منصبا على تعلم الشعر الفاحش ، والكلام المقذع ، والأدب الرخيص ، والعلم الضار .. أما أن تتعلم العلوم التي تنفعها في دينها ودنياها ، وأن تقول الشعر الحكيم الرصين ، والكلام المحكم المجيد .. فلا يوجد من ينهي عن ذلك ويمنعه !! ..

جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : (أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية (أسد بن الفرات) بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة .. وروى الخُشني أن مؤدبا كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب ، وكان يعلم الأطفال بالنهار ، والبنات في الليل ..) .

وقد ثبت تاريخيا أن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أسمى درجات العلم والثقافة ، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الإسلامية الأولى ..

فكان من النساء المسلمات **الكاتبة والشاعرة** كأمثال عُلَيَّة بنت المهدي ، وعائشة بنت أحمد بن قادم ، وولّادة بنت الخليفة المستكفي بالله ..

وكان منهن **الطبيبة** كأمثال زينب طبيبة بني أَوْد التي عرفت بعلاج أمراض العيون ، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي وقد كانت طبيبة شهيرة مبرزة في الطب ..

وكان منهن **المحدثات** كأمثال كريمة المروزية ، والسيدة نفيسة ابنة محمد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر - وهو أحد رواة الحديث - أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة .

وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة ، فكان منهن الأستاذات والمدرسات للإمام الشافعي ، والإمام البخاري ، وابن خلكان ، وابن حبان .. وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين .. وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري ، والثقافة الإسلامية المتنوعة ..

* * *

وإذا كان الشرع أذن للمرأة أن تتعلم ما ينفعها في أمر دينها ودنياها .. **فيجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور ، وبمنأى عنهم .. حتى يسلم للبنت عرضها وشرفها ، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة ، كريمة الخلق ، كثيرة الاحترام ..**

ولعل أول كاتب تربوي نادى بالفصل بين الجنسين في حقل التعليم وغيره هو الإمام القابسي ، فقد ذكر في رسالته عن التعليم (أن من حسن النظر ألاّ يخلط بين الذكران والإناث) ؛ ولما سئل (ابن سحنون) عن التعليم المختلط ذكوراً وإناثاً فقال (أكره أن يُعلّمَ الجواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن) . واذ كان ابن سحنون والقابسي يريان أن تفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد - فرأيهما هذا - في الحقيقة - مستمد من حكم الشرع ، وحكم الشرع مقدم على كل أمر وحكم في هذه الحياة لقوله تعالى :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ .
(الأحزاب : ٣٦)

أما أن رأيهما مستمد من حكم الشرع فللنصوص التالية :

قال تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهُنَّ من وراء حجاب ﴾ .
(الأحزاب : ٥٣)

وإذا كانت هذه الآية نزلت في أمهات المؤمنين .. فالعبرة – كما يقول الأصوليون – لعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإذا كانت أمهات المؤمنين المقطوع بعفتهن وطهارتهن مأمورات بالحجاب ، وعدم الظهور أمام الأجانب فالنساء المسلمات بشكل عام مأمورات بالستر وعدم الظهور من باب أولى ، وهذا ما يسمى بالمفهوم الأولوي عند الفقهاء وعلماء الأصول .

– وقال عز من قائل : ﴿ قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فُروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليَضْرِبنَ بخُمُرِهن على جُيُوبِهن ، ولا يُبدِيَن زِينتهُنَّ إلا لبُعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن ... ﴾ الآية .

(النور : ٣١)

فإذا كان الأمر – في هذه الآية – يشمل غضّ البصر ، ووضع الخمار على الرأس وفتحة الصدر ، وعدم إبداء الزينة والمفاتن الا للمحارم .. أفليس يدل هذا الشمول على أن المرأة المسلمة مأمورة بالستر والحشمة والعفة وعدم الاختلاط بالأجانب ؟

- وقال سبحانه : ﴿ يا أيها النبيُّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً ﴾ .

(الأحزاب : ٥٩)

فكيف نتصور اختلاط المرأة بالأجنبي ، والمرأة المسلمة في هذه الآية مأمورة بالحجاب ، وارتداء الجلباب ؟

- وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » .

- وروى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل : يارسول الله ، أفرأيت الحمو (أي أقارب الزوج) ؟ ، قال الحمو الموت » .

فهذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع جازم لا يحتمل الشك ولا الجدل !! ..

* * *

فالذين يبيحون الاختلاط ، ويبررونه بتعويدات اجتماعية ، ومعالجات نفسية وحجج شرعية ، فإنهم في الواقع يفترون على الشرع ، ويتجاهلون الفطرة الغريزية ،ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت اليه المجتمعات الإنسانية قاطبة ..

أما أنهم يفترون على الشرع - في دعواهم إلى الاختلاط - فللنصوص الكثيرة التي سبق ذكرها قبل قليل .

أما أنهم يتجاهلون الفطرة الغريزية

فلأن الله سبحانه لما خلق الرجل والمرأة ركّب في كل منهم الميل الجنسي إلى الآخر .

﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (الروم : ٣٠)

فهل يريد دعاة الاختلاط والسفور أن يغيّروا نواميس الكون ، وأن يبدلوا فطرة الإنسان ، وأن يحوّلوا سنن الحياة ، ولا سيما إذا كان كل من الرجل والمرأة – في حال اختلاطهما – جائعين جنسياً ، ومائعين خلقياً فإن الفتنة – لا شك – أشد ، والانجذاب إلى الفاحشة أبلغ وأقوى !! ..

ولو كان الاختلاط منذ الصغر ، وفي جميع مراحل العمر يجعل النظر الى المرأة أمراً مألوفاً عادياً لا يحرك في نفسيّ الرجل والمرأة غريزة ولا شهوة .. لانقلبت المودة بين الزوجين إلى عداوة ، والرحمة بينهما إلى ظلم ، والاتصال الجنسي إلى برود .. ولما رضي أحدهما البقاء مع الآخر في ظلال الزوجية ، وهذا خلاف المشاهد والواقع !! ..

أما أنهم يتجاهلون الواقع المرير الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية في تجربتها للاختلاط فليسألوا مجتمعات الدول الغربية والشرقية عما وصلت إليه المرأة من تحلل وفساد ، وإباحية وفجور .. علماً أن الاختلاط أمر شائع في كل الطبقات وعلى مختلف المستويات ، في الشارع ، في المدرسة ، في المتجر ، في الدائرة ، في الجامعة ، في المتنزّهات .. في كل مكان ...

وإليكم شيئاً من واقعهم ، ونتائج من تجاربهم بالوقائع والأرقام :

فمن هذه الوقائع :

● جاء في كتاب (الإسلام والسلام العالمي) للشهيد سيد قطب : (أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في إحدى المدن (٤٨) في المئة) .

● ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذى الرقم (٦٥٠) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية ما يلي :

– (الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام) .

– (الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها نريد فتيات .. نريد أن نرفه عن أنفسنا) .

– هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخلية) .

– وقال عميد الجامعة معقباً على الحدث : (إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً ، ولا شك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة) .

– ومما ذكرته الجريدة كذلك : (ودلت الاحصائيات في العام الماضي على أن (١٢٠) ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن على العشرين ، وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات ..) .

– واستطردت الجريدة قائلة : (وقال تقرير للشرطة في ولاية (بروفيدنس) أن (٦٦) طالباً وطالبة قضوا في أيار الماضي عطلة نهاية الأسبوع في (رودايلند) ولم يعد الطلاب إلى الجامعة ، بل إلى سجن الولاية ، حيث اعتقلوا وهم في أوضاع مريبة ، وبعضهم كان يتعاطى المخدرات ...) .

– ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية (مرغريت سميث) حديثاً قالت فيه : (إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن .. وان (١٠) بالمئة منهن فقط مازلن محافظات ..) .

● وذكر (جورج بالوشي) في كتابه (الثورة الجنسية) ما يلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح (كنيدي) بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية) . وفي سنة ١٩٦٢ صرّح (خروشوف) - كما صرح كنيدي - بأن مستقبل روسيا في خطر وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها ، لأنه مائع منحل غارق في الشهوات) .

● ويقول (ديل دورانت) في كتابه (منهاج الفلسفة) :

- (إننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أقلقت بال (سقراط) نعني كيف نهتدي إلى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس ؟ اننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن) .

- (واختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغير أخلاقنا ، فقد كان القانون الأخلاقي قديماً يقيد الصلة الجنسية بالزواج .. لأن النكاح يؤدي إلى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسؤولا عن ولده إلا بطريق الزواج .. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية وبين التناسل ، وخلقت موقفاً لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين النساء والرجال آخذة في التغير نتيجة هذا العامل ..) .

- (.. غير أنه من المخجل أن نرضى في سرور نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية ، وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف ، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من (حصن) الزواج ورعايته للصحة) .

- (... فكل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر ، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل ،

نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات ، ومنظماً بأسمى ضروب الإدارة العلمية ، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها ..) .

– (وأكبر الظن أن هذا التجدد في الإقبال على اللذة قد تعاون أكثر مما نظن مع هجوم دارون على المعتقدات الدينية ، وحين اكتشف الشبان والفتيات أن الدين يشهّر بملاذّهم التمسوا في العلم ألف سبب وسبب للتشهير بالدين ..) .

– (... ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة (الجنسية) ، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم ، وتطالب النساء بحقها في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ويصبح الاتصال قبل الزواج أمراً مألوفا ، وتختفي البغايا (أي الزانيات بأجر) من الشوارع بمنافسة الهاويات (أي الزانيات بدافع الهوى) لا برقابة البوليس ..)[1] .

* ونقلت أخبار اليوم القاهرية في ٢٤ /٤ /١٩٦٥ هذا الخبر : (خرجت النساء السويديات في مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجاً على إطلاق الحريات الجنسية في السويد ، اشتركت في المظاهرات مائة ألف امرأة) .

ونقلت كذلك أنه في شهر نيسان عام (١٩٦٤) (أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجه (١٤٠) طبيباً من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقاً حيوية الأمة وصحتها ، وطالب الأطباء بسن قوانين ضد الانحلال الجنسي ..) .

– يكتب القاضي (بن لندسي) في كتابه (تمرد النشء الجديد) : (أن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم

---

(١) الجزء الأول من كتاب (مباهج الفلسفة) : ص ٦ – ١٣٤ .

الشعور الجنسي) . وبحث هذا القاضي عن أحوال /٣١٢/ صبية على سبيل النموذج ، فعلم أن /٢٥٥/ صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة ، والثالثة عشرة من سني أعمارهن ، يوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية ، والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشر فما فوق .

- ويذكر الدكتور (أديث هوكر) في كتابه (القوانين الجنسية) : (أنه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثماني سنين يخادن الصبية ، وربما تلوثن معهم بالفاحشة ..) وذكر أمثلة كثيرة على دعواه !! .

- ومما نشرته الصحف البريطانية أن مدرسة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرس لمجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عمليا ، وقد شوهدت وهي تخلع ثيابها قطعة قطعة .. أمام طلابها .. وهكذا حتى انتهت من عمليتها الإباحية الفاجرة !! .

- ونشرت صحيفة (الشرق الأوسط) اللندنية في عددها الصادر ١٥ /٧ /١٩٧٩ أن (٧٥٪) من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوروبا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته ، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ، ومع هذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أي انفصام !! .

أما العلاقات قبل الزواج فإن (٨٠ - إلى ٨٥٪) من الرجال البالغين لهم خليلات ، وأن لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط .. وأن ما بقي من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم من الزناة فهم ينتقلون من امرأة لأخرى اشباعا لغرائزهم ووطرهم !! ..

- ومما نشرته مجلة (الأمان) اللبنانية في عددها ٣٠ /١١ /١٩٧٩ أن شاباً من شباب العرب المتفلتين ذهب إلى الدينمارك ، وفي أحد المسارح هناك فوجيء بالفنانة

(هكذا يسمونها) ، وهي تخلع ثيابها قطعة قطعة .. حتى وقفت عارية تماماً في وسط المسرح .. ثم دعت كلبها ليقارف معها الفاحشة أمام الناس، ثم لم تلبث بعد ذلك أن طلبت من الحاضرين متحدية إياهم أن يفعلوا بها مثل ما فعل الكلب أمام الأضواء الباهرة ، والموسيقى الصاخبة .. ورأى بأم عينيه أحد الأفارقة المخمورين وهو يصعد إلى خشبة المسرح يحاول دون جدوى أن يقلد الكلب في عمليته فلم يفلح !! .

— هل أتاكن حديث (لوتروكيه) رئيس الجمعية الوطنية في فرنسا ؟ الرجل العجوز الذي اقتحم الرابعة والسبعين من عمره ، فلم يمنعه وقار المشيخوخة أن يغوص إلى أذنيه في مستنقعات العهر ، والفوضى الجنسية .. لقد اعترف شرطيه الخاص أنه جند عدداً من الفتيات تتراوح أعمارهن بين ١٤ - ١٨ سنة لإحياء حفلات عارية في مسكن حكومي بباريس ، وفي بيوت أنيقة لشخصيات باريســية كبيرة .. وهي مشكلة لا تزال بين يدي القضاء الفرنسي !! ..

— وجاء في تقارير (البولي السرى الأمريكي بشيكاغو) ، وقد نشرت في ثلاثة عشر مجلداً ما يلي : (إن هذه الحرية الفاسدة، وحضارة الخنافس . لم تفسد فقط نظام الأسرة في أمريكا ، ولكنها أيضاً قد جلبت لأمريكا ثقافة لا يمكن معالجتها بالبوليس والقضاء ..) .

— ومما نشرته صحيفة (الهيرالدتريبون) الأمريكية في عددها ٢٩ /٦ /١٩٧٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الاختصاصـيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمعات الغربية بصورة عامة ، وفي المجتمع الأمريكي بصورة خاصة ، وهي ظاهرة اقتراف الفاحشة مع المحرمات كالبنت والأخت ..

ويقول الباحثون : (إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث ، وإنما هو لدرجة يصعب تصديقها ، فهناك عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ) !! ..

هذا مع المحارم فكيف إذا اجتمع الشاب والشابة مع بعضهما في دراسة أو عمل أو وظيفة .. ولم يكن بينهما رابطة من نسب ، ولا صلة من قرابة ..؟ فلا شك أن اقترافهما للفاحشة يكون من باب أولى !!؟

فهذه الوقائع التي سردناها عن واقع الأمم الغربية وتجربتهم للاختلاط ما هو إلا غيض من فيض ، ونقطة من بحر للانحرافات الجنسية ، والخلقية التي آلت إليها المجتمعات العالمية قاطبة كنتيجة أثمة للعنة التبرج والسفور والاختلاط في عصور الانتكاس والضلال .. علماً بأن الاختلاط عند الغربيين والشرقيين يبدأ من الروضة إلى الابتدائي إلى الإعدادي إلى الثانوي إلى الجامعي .. بل الاختلاط – كما نوهنا – شائع وموجود ومطبق في سائر حياتهم الاجتماعية على الإطلاق .

فهل يصدق عاقل ذو بصيرة – بعد الذي أوضحناه – أن الاختلاط بين الجنسين – كما يدعي دعاة الاختلاط اليوم – يحد من ثورة الغريزة ، ويخفف من هياج الشهوة ، ويجعل اجتماع الرجال بالنساء أمراً مألوفا وعادياً ؟.

ومن طرائف ما ذكره الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله في مقالاته : (أن سفير الدولة العثمانية في بلاد الإنجليز اجتمع مرة مع كبراء الدولة البريطانية ، فقال له أحد الكبراء الموجودين : لماذا تصرون أن تبقى المرأة المسلمة في الشرق متخلفة ، معزولة عن الرجال ، محجوبة عن النور ؟!! فقال له السفير العثماني : لأن نساءنا في الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن ، فخجل الرجل ولم يُحْر جواباً !!) .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟

* * *
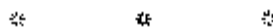
وفي الحديث عن الاختلاط ونتائجه أريد أن أضع بين يدي الآباء والمربين هذه الحقيقة : إن مخططات الاستعمار والصهيونية ، والمذاهب المادية والإباحية .. تستهدف أول ما تستهدف إفساد المجتمع المسلم ، وتهديم كيانه ، وفصم عراه ..

وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية ، والمفاهيم الدينية بين الشباب والشابات ، وإشاعة الميوعة والانحلال في كل ناحية من نواحي المجتمع المسلم .. فالمرأة عند **هؤلاء هي** أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر ، **فهي** العنصر الضعيف والعاطفي لتنفيذ أي مخطط لدعوة إباحية ، ومنهج استعماري ..

- يقول أحد أقطاب المستعمرين : (كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

- ويقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة : (يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت الينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين) .

- وجاء في (بروتوكولات حكماء صهيون) ما يلي : (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن (فرويد) منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لايبقى في نظر الشاب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو ارواء غريزته الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه) .

فالذين يدعون إلى اختلاط الأنثى بالذكر في بلاد الإسلام ، ويريدون أن يكون شائعاً مطبقاً في سائر حياتنا الاجتماعية .. **ما هم في الحقيقة إلا أداة دعاية وتنفيذ** لمخططات أعداء الإسلام من أصحاب مذاهب مادية وإلحادية وإباحية ، ودعاة أفكار استعمارية وصهيونة وماسونية .. من حيث يعلمون أولا يعلمون ، ومن حيث يشعرون أولا يشعرون .

فما على الآباء والمربين والمسؤولين اذن إلا أن يجنّبوا الإناث عن الذكور في التعليم وغير التعليم حتى ينشأ البنات على الفضيلة والعفاف ، ويسلم المجتمع من المفاسد والانحلال ، ويتحقق للشباب والشابات لياقاتهم الطبية والنفسية .. وحتى تتحرر الأمة الإسلامية كذلك من مخططات أعداء الإسلام في إفساد المرأة المسلمة ..

وما أحسن ما قالته عائشة التيمورية في الافتخار بعلمها وعفافها وحجابها :

بيد العفاف أصون عِزّ حجابي　　وبهمتي أسمو على أترابي
ما ضرّني أدبي وحسن تعلّمي　　إلا بكوني زهرة الألباب
ما عاقني خجلي عن العليا ولا　　سَدْل الخمار بلمّتي ونقابي

* * *

٢ مسؤولية التوعية الفكرية :

ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً توعية الولد فكرياً منذ حداثة سنه ، ونعومة أظفاره .. إلى أن يصل سن الرشد والنضج .. والمقصود بالتوعية الفكرية ارتباط الولد :

بالإسلام ديناً ودولة ..
بالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ..
وبالتاريخ الإسلامي عزاً ومجداً ..
وبالثقافة الإسلامية العامة روحاً وفكراً ..
وبالارتباط الحركي للدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماسة ..

إذن على المربين أن يُعرّفوا الولد منذ أن يعي ويميز على الحقائق التالية :

(أ) خلود هذا الإسلام ، وصلاحيته لكل الأزمنة ، والأمكنة لما يمتاز به من مقومات الشمول والخلود والتجدد والاستمرار .

(ب) آباؤنا الأولون ما وصلوا الى ما وصلوا اليه من عز وقوة وحضارة ..الا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام ، وتطبيقهم لأنظمة القرآن ..

(جـ) الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام :

المخططات الصهيونية الماكرة .
والمخططات الاستعمارية الغاشمة .
والمخططات الشيوعية الملحدة .
والمخططات الصليبية الحاقدة .

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محو العقيدة الإسلامية في الأرض ، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم ، وإشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم .. والهدف البعيد والقريب من ذلك إخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الإسلام ، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية لمصالحهم الذاتية ، ثم بالتالي طمس معالم الإسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها إلى الإسلام !! .

(د) الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ .

(هـ) وأخيراً يجب أن يعرف الولد (أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبي بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله عليه وأبي بكر وعمر ..

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك ..

ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ولكن حكمناها بالقرآن المجيد .

ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى ، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ، ومبادىء القرآن)[1] .

٢

والأصل في هذه التوعية الفكرية ما رواه الطبراني عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

---

(١) من خطبة للأستاذ عصام العطار حفظه الله وشفاه .

ولقد كان السلف الصالح يهتمون كل الاهتمام لهذه التوعية ، ويوجبون تلقين الولد منذ الصغر تعليم القرآن الكريم ، ومغازي الرسول ﷺ ، ومآثر الجدود والأمجاد ..

وإليكم ما قالوه وأوصوا به في هذا الصدد :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » .

● وأوصى الإمام الغزالي في إحيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

● وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي إلى رسوخ الإيمان ..

● وقد نصح هشام بن عبد الملك مؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله ، والشعر الجيد ، والخطابة ، وتاريخ الملاحم ، ويُعْنى بتعليمه الأخلاق ، ويروضه على مخالطة الناس ..

فهذه الأقوال وأقوال غيرها تعطينا صورة صادقة عن التوعية الكاملة التي كان عليها المجتمع المسلم في الماضي حكاماً ومحكومين ، علماء وعامة ، معلمين ومتعلمين !!..

ولكن ما السبيل الى هذه التوعية ؟

السبيل إليها يتصل بعدة وجوه :

١ - التلقين الواعي .

٢ - القدوة الواعية .

٣ – المطالعة الواعية .
٤ – الرفقة الواعية .

● والمقصود من التلقين الواعي أن يلقن الولد من قبل أبويه ومربيه حقيقة الإسلام وما ينطوي عليه من مبادىء وتشريعات وأحكام ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الخلود ، ومقومات البقاء ، وطبيعة الاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وعلى المربي – ولا سيما الأب – أن يحرص على إفهام الولد أنْ لا عز إلا بالإسلام ، ولا نصر إلا بتعاليم القرآن ، ولا قوة ولا حضارة ولا نهوض إلا بشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وعليه كذلك أن يبصره بكل المخططات اليهودية ، والاستعمارية ، والشيوعية ، والصليبية .. التي تستهدف القضاء على الإسلام ، وتشويه حقائقه الناصعة ، ومعالمه المشرقة .. وتستهدف كذلك اجتثاث روح المقاومة والجهاد في نفوس المسلمين ، وتربية الجيل الحاضر على الإلحاد والضلال والإباحية ..

كما عليه أن يلقنه حضارة الإسلام الزاهية التي بقيت مئات السنين تشع على الإنسانية نور الحق والمدنية والعرفان ، والتي ظلت أوروبا عبر القرون تستقي من معينها ، وتستهدي بنورها وضيائها !! ..

ولا شك أن الولد بفضل هذا التلقين الواعي المستمر يرتبط بالإسلام ديناً ودولة ، وبالقرآن الكريم نظاماً وتشريعاً ، وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً وقدوة ، وبالعمل الحركي والجهادي اندفاعاً وإقداماً !!..

فما أحوج الأولاد الى مثل هذا التوجيه السامي ، والتلقين الواعي ، والتربية الهادفة !!..

● والمقصود من القدوة الواعية أن يرتبط الولد بمرشد مخلص واعٍ فاهم للإسلام ، مندفع له ، مجاهد في سبيله ، مطبق لحدوده ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وآفة من يتصدون للإرشاد اليوم أنهم يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوهة عن الإسلام إلا من رحم ربك وقليل ماهم .

فمنهم من يركز توجيه وعنايته على إصلاح النفس وتزكيتها .. ويهمل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمناصحة للحكام ، والوقوف أمام الظلم والظالمين ..

ومنهم من يجعل جُلّ اهتمامه للمظاهر التي أمر الإسلام بها من لحية وجلباب ولباس رأس .. ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الإسلامي لإقامة حكم الله في الأرض ..

ومنهم من يولي كل عنايته بالعلم الشرعي ، ويهمل جانب التوجيه الدعوي ، والتحرك الجهادي .. وهو يظن أنه ينصر الإسلام .. ومنهم ... ومنهم ..

علماً بأن الإسلام كل لا يتجزأ فلا يجوز لمرشد ولا لعالم ، ولا لمن يتخذه الناس قدوة أن يكتموا واجباً أمر الله به ، وأن يتغاضوا عن منكر نهى الله عنه .. لعموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوبُ عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ .

(البقرة : ١٥٩ – ١٦٠)

ولإنذار ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري : « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

ومن ملامح انحراف بعض من يتصدون للإرشاد اليوم أنهم يدّعون العصمة لأنفسهم ويربطون الحق بأشخاصهم الفانية غير مكترثين بما يحكم الشرع لهم أو

عليهم ظناً منهم أنهم وصلوا المرتبة التي تنزههم عن الخطأ ، والمقام الذي يجنبهم الوقوع في الزلل .. فلا يجوز لأحد من الناس أن ينتقدهم إذا أخطأوا ، ولا يصح لمريد أن يراجعهم إذا أمروا .. لوصولهم إلى مرتبة الحفظ والعصمة .. علماً بأن العصمة خاصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فهذا الإمام مالك رحمه الله وقف مرة أمام قبر الرسول ﷺ وقال : « ما منا إلا من رَدّ ورُدّ عليه إلا صاحب هذا القبر » ، وأشار الى قبر النبي ﷺ ؛ .

ومن **المواقف الخالدة** التي كان يقفها العلماء الواعون المخلصون موقف عالم العصر ومرشده الشيخ (سعيد النورسي) التركي ، الملقب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ؛ هذا الموقف يتلخص أنه حين أحس ذات مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « إياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم إليه بشخصي المذنب الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنّة نبيه ﷺ ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلاّل على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، وقد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق (الذي ربطتموه بي) بذلك الذنب أو الانحراف ، فإما أن أكون بذلك قدوة للناس في هذا الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من انحرافي وآثامي » .

فما على المربين إذن إلا أن يربطوا أولادهم بمرشد عالم واع مخلص **يعطيهم الإسلام منهاجا شاملا عاما** سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع ، أو ما يتصل بالدين والدولة ، أو ما يرتبط بالتزكية والجهاد ، أو ما يختص بالعبادة والسياسة ..

ويعطيهم التلقين التربوي والإصلاح النفسي توجيهاً سليماً واعيا يربطهم بالحق والشرع وتوجيهات السلف .. لا بوجوده الفاني ، وشخصه المذنب ..

ولا شك أن الاولاد حين يرتبطون بالقدوة الواعية – بهذا الشكل الذي بيناه – فيتربون على التقوى والجهاد ، وينشؤون على الإخبات لله ، والجرأة في الحق ،

ويدرجون على التعبد في المحراب ، وعلى مقارعة الأعداء في ميادين القتال عندئذ يكونون من النمط الذي قال عنهم الشاعر الإسلامي :

شباب ذلّلوا سبل المعالي وماعرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتا كريماً طاب في الدنيا غصونا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكّون المعاقل والحصونا
وإن جنّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدينا
كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مخلصاً حراً أمينا
وعلّمه الكرامة كيف تُبنى فيأبى أن يُقيّد أو يهونا

وحين يكونون على هذه الشاكلة يتحقق على أيديهم كل عزة ونصر وسيادة للإسلام والمسلمين .

● والمقصود من **المطالعة الواعية** أن يضع المربي بين يدي الولد منذ أن يعقل ويميز مكتبة – ولو صغيرة – تشمل مجموعة من القصص الإسلامية تتكلم عن سيرة الأبطال ، وحكايات الأبرار ، وأخبار الصالحين ..

وتشمل كذلك مجموعة من الكتب الفكرية تتحدث عن كل ما يتعلق بالنظم الإسلامية سواء كانت عقديَّة أو أخلاقية أو اقتصادية أو سياسية ..

وعن كل ما يتعلق في توضيح المؤامرات التي تحيكها الصهيونية والماسونية والشيوعية والصليبية ، والمذاهب المادية ضد الإسلام والمسلمين .

وتشمل أيضاً مجموعة من المجلات الإسلامية الواعية التي تعرض الإسلام ، وتنقل الأخبار ، وتعالج المشكلات ، وتكتب المواضيع بعَرْض شيّق وأسلوب جذاب ..

وعلى المربي أن يختار للولد من هذه الكتب والمجلات والقصص ما يتناسب مع سنه وثقافته حتى تكون الفائدة أنفع ، والثمرة التي يجنيها أجدى وأحسن .. تحقيقاً

لإشارات الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري عن علي كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون .. » ، وفيما رواه الديلمي ، والحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ولا شك أن المربين حينما ينهجون بأولادهم هذا النهج ، ويسلكون معهم هذه السبيل فإنهم يثقفون بالثقافة الإسلامية الكاملة ، ويدرجون على الوعي الناضج الصحيح .

● والمقصود من **الرفقة الواعية** أن يختار المربون لأولادهم رفقاء صالحين مأمونين متميزين عن غيرهم بالفهم الإسلامي الناضج ، والوعي الفكري النابه ، والثقافة الإسلامية الشاملة .

ولا شك أن الولد منذ أن يعقل ويدرك ، حينما يصاحب البليدين ذهنياً وفكرياً فإنه يكتسب منهم البلادة ؛ وحينما يخالط القاصرين عن إدراك حقيقة الإسلام ونظرته الكلية إلى الكون والحياة والإنسان فإنه يكتسب منهم القصور والمحدودية ..

فلا يكفي أن يكون الرفيق صالحاً قانتاً مصلياً .. ولا أن يكون مثقفا ذكيا عبقريا .. بل ينبغي أن يجمع مع فضيلة الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي ، والوعي الاجتماعي والفهم الإسلامي .. حتى يكون رفيقاً سوياً ، وصاحباً ناضجا تقيا ..

وقد قالوا قديما : (الصاحب ساحب) .

وقال أهل المعرفة : لا تقل لي من أنا ؟ بل قل لي : من أصاحب ؟ فتعرف من أنا ؟

وما أحسن ما قاله الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

وما أصدق ما قاله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

فما على المربين إلا أن يهيئوا لأولادهم وهم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الإسلام ، وتعرفهم مبادئه الشاملة ، وتعاليمه الخالدة ، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمل لواءه أبطال كرام ، وجنود أمجاد .. فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ..

وأخيراً أريد أن أهمس في أذن المربين والأولياء والآباء بهذه الحقيقة !! ..

أليس من المؤسف المؤلم أن يصل شبابنا إلى سن التكليف ولم يعلموا أن الإسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وعبادة وسياسة .. وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الشمول والخلود والبقاء للزمن المتحضّر ، والحياة المتطورة ؟ ..

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أبناؤنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب ، وفلاسفة الشرق ، وعن أفكارهم وآرائهم ، وتاريخ حياتهم ، ومآثر أعمالهم .. ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ ، وأخبار الفاتحين .. سوى النذر القليل ؟؟ ..

ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات الأجنبية ، والمبادىء الغربية أو الشرقية .. حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم ؟

ثم بالتالي أليس مما يفتت القلب والكبد أن تساق الفئة المؤمنة من الشباب وراء أدعياء الإرشاد يعطلون لهم تفكيرهم ، ويقطعونهم من كل صلة ثقافية إسلامية واعية ، ويمنعونهم من كل مرشد عالم مخلص ، يوضح لهم حقيقة الإسلام ونظرته الكلية الشاملة ؟

وأخيراً أليس من الخزي المؤسف أن يقتني أبناء هذا الجيل الكتب الإلحادية ، والمجلات الخلاعية ، والقصص الغرامية .. ولم يكن عندهم أدنى اهتمام بالكتب الفكرية التي توضح نظم الإسلام ، وترد على شبهات الأعداء ، وتعرفهم بمفاخر التاريخ ؟!! .

فما عليكم - أيها المربون والآباء - إلا أن تقوموا بواجب المسؤولية تجاه أفلاذ أكبادكم ، وأن تسعوا جاهدين في تصحيح أفهامهم وأفكارهم إن كانت مشوبة بأفكار دخيلة ، وآراء ضالة !!.. كما عليكم أن تلقنوهم صباح مساء الرّد على دسائس الملحدين والمبشرين ، وافتراءات الماديين والمستشرقين ..

وفي هذا - لا شك - توعية لأفكارهم ، وصيانة لعقيدتهم من أن تتأثر بالدسائس المغرضة ، والمبادىء الهدامة ، والعقائد المنحرفة ..

فإن نهجتم هذا النهج ، وسلكتم هذه السبيل اعتز أبناؤكم بدينهم ، وافتخروا بأمجادهم وتاريخهم ، وما عرفوا سوى الإسلام عقيدة وشريعة ، ومصحفاً وسيفاً ، وديناً ودولة ، وعبادة وسياسة .. وكانوا من الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر :

خلّفت جيلا من الأصحاب سيرتهم
تضوع بين الورى روْحاً وريْحانا
كانت فتوحهُمو برًا ومرحمة
كانت سياستهم عدلا وإحسانا
لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحة
بل أُشْبِعُوا الدين محراباً وميدانا

* * *

٣ - الصحة العقلية :

ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم .. فما عليهم إلا أن يقدروها حق قدرها ، ويرعوها

حق رعايتها ، حتى يبقى تفكيرهم سليماً ، وذاكرتهم قوية ، وأذهانهم صافية وعقولهم ناضجة ..

ولكن ما هي حدود مسؤولية الآباء والمربين في صحة الأولاد العقلية ؟

المسؤولية تتركز في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع هنا وهناك لما لها من تأثير على العقل والذاكرة والجسم الإنساني بشكل عام .

وقد أفضنا في الحديث عنها في فصل (مسؤولية التربية الجسمية) من هذا الكتاب ، والآن نلخصها ، ونشير إليها ليكون - كل من له في عنقه حق التربية - على بينة وهدي وذكرى .

مما أجمع عليه الأطباء ، وحذر منه علماء الصحة أن **المفاسد** التي تؤثر على العقل والذاكرة ، وتخمل الذهن ، وتشلّ عملية التفكير في الإنسان ، وتحدث أضراراً بالغة في الجسم هي ما يلي :

١ - **مفسدة تناول الخمور** بشتى أشكالها وأنواعها ، فإنها تقتل الصحة ، وتورث الجنون ..

٢ - **مفسدة العادة السرية** فإن الإدمان عليها يورث السل ، ويضعف الذاكرة ، ويسبب الخمول الذهني ، والشرود العقلي ..

٣ - **مفسدة التدخين** فإن من تأثيره على العقل : أن يهيج الأعصاب ، ويؤثر على الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ..

٤ - **مفسدة الإثارات الجنسية** كمشاهدة الأفلام الخلاعية ، والتمثيليات الماجنة ، والصور العارية .. فإنها تعطل وظيفة العقل ، وتسبب الشرود ، وتقضي على ملكة الاستذكار الذهني .. فضلاً عن الإلهاء ، وإضاعة الوقت الثمين .

يقول الدكتور (ألكيس كارليل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) : (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الإنسان تفرز غدده نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي) .

إلى غير ذلك من هذه المفاسد الخطيرة الضارة التي تضر بعقول الأولاد ، وتسبب لهم الآفات والأخطار ..

* * *

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم من بحوث هذا الفصل أن :

- الواجب التعليمي
- والتوعية الفكرية
- والصحة العقلية

هي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية ؛ فإن قصر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات ، وفرطوا في هاتيك المسؤوليات .. فإن الله سبحانه سيحاسبهم على تقصيرهم ، ويسألهم عن نتائج إهمالهم .. **فياخجلهم من الله** إذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرّطين .

وياويلهم من مشهد يوم عظيم إذا كان جوابهم أمام رب العالمين :

﴿ ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾

(الأحزاب : ٦٧ - ٦٨)

وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه ابن حبان : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حَفِظَ أم ضيّعَ » .

اللهم اجعلنا ممّن يطيعون الله ورسوله ، وممّن تبيض وجوههم يوم الحساب ، وممّن أدّوا مسؤولية أولادهم وأهليهم خير أداء .. إنك خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

* * *

الفصل الخامس

٥ – مسؤولية التربية النفسية

المقصود بالتربية النفسية تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة ، والشجاعة ، والشعور بالكمال ، وحب الخير للآخرين ، والانضباط عند الغضب ، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق ..

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها .. حتى يستطيع – إذا بلغ سن التكليف – أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه ، وأنبل معنى .

وإذا كان الولد – منذ أن يولد – أمانة بيد مربّيه فالإسلام يأمرهم ويحتم عليهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج ، وتفكير سليم ، وتصرّف متّزن ، وإرادة مستعلية ..

وكذلك عليهم أن يحرروا الولد من كل العوامل التي تغض من كرامته ، واعتباره ، وتحطم من كيانه وشخصيته ، والتي تجعله ينظر إلى الحياة نظرة حقد وكراهية وتشاؤم ..

وأرى أن من أهم العوامل التي يجب على المربين أن يحرروا أولادهم وتلامذتهم منها هي الظواهر التالية :

١ – ظاهرة الخجل

٢ – ظاهرة الخوف

٣ – ظاهرة الشعور بالنقص

٤ – ظاهرة الحسد

٥ – ظاهرة الغضب[١] .

وإن شاء الله في هذا الفصل فسنستعرض كل ظاهرة على حدة بشيء من التفصيل ، ثم نتطرق للعلاج على ضوء ما جاء في الإسلام ، ثم نرشد إلى ظاهرة الفضيلة التي تحل محلها ، والله الموفق وهو المستعان .

* * *

١ – ظاهرة الخجل :

من المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال (ولعل أولى أماراته تبدأ في سن الأربعة أشهر ، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحاً في الطفل ، اذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب اليه)[٢] .

(وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة ، فهو قد يجلس هادئاً في حجر أمه أو الى جانبها طوال الوقت لا ينبس ببنت شفة)[٣] .

وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال ، ولا ينكر ما للبيئة من أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله ، فإن الأطفال الذين يخالطون غيرهم ، ويجتمعون معهم يكونون أقل خجلا من الأطفال الذين لا يخالطون ولا يجتمعون !! ..

---

(١) اقترح بعض الإخوة أن أضيف إلى هذه الظواهر (ظاهرة التسيب) « اللامبالاة » ، و(ظاهرة التهور) ، ولكن جاء الاقتراح أثناء تقديم هذا الكتاب للطبع ، وإن شاء الله فستكون الإضافة في الطبعات القادمة إن وفق الله .

(٢) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة ص ١٥٣ .

(٣) من كتاب (المشكلات السلوكية) .. ص ١٥٣ .

المعالجة لا تتم إلا أن نعوّد الأولاد على الاجتماع بالناس سواء جلب الأصدقاء إلى المنزل لهم بشكل دائم ، أو مصاحبتهم لآبائهم في زيارة الأصدقاء والأقارب ، أو الطلب منهم برفق ليتحدّثوا أمام غيرهم سواء كان المُتَحَدَّث إليهم كباراً أو صغاراً !! ..

وهذا التعويد – لا شك – يضعف في نفوسهم ظاهرة الخجل ، ويكسبهم الثقة بأنفسهم ، ويدفعهم دائما إلى أن يتكلموا بالحق لا يخشون في سبيل ذلك لومة لائم ..

وهذه بعض الأمثلة التاريخية والأحاديث النبوية التي تعطي للمربين جميعاً القدوة الصالحة في تربية السلف الصالح أبناءهم على الجرأة ، ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم :

(أ) روى البخاري وغيره من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – وكان دون الحلم – أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : هي النخلة » .

وفي رواية : فأردت أن أقول : « هي النخلة » فإذا أنا أصغر القوم .

وفي رواية : « ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لأن تكون قلتها أحبَّ اليّ من أن يكون لي حُمْرُ النَّعَم » .

(ب) وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب ، فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ (أي مسنّين) .

فقال للغلام : « أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ »
فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً .

(ج) وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما – وكان دون الحلم – أنه قال : كان عمر رضي الله عنه يدخلني – أي في أيام خلافته – مع أشياخ بدر (أي في المشورة) ، فكأنَّ بعضهم وجد في نفسه (أي غضب) ، فقال لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟

فقال عمر : إنه من حيث قد علمتم[1]!! ..

فدعاني ذات مرة ، فأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم .

قال : ما تقولون في قوله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ... ﴾ ؟
فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً .
فقال لي : أكذلك تقول : يا ابن عباس ؟
فقلت : لا .
قال : فما تقول ؟
قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ..﴾ ، وذلك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّابا ﴾ .

فقال عمر رضي الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول .

(د) ومرّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة في طريق من طرق المدينة ، وأطفال هناك يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير وهو طفل يلعب ، فهرب الأطفال هيبة من عمر ، ووقف ابن الزبير ساكتاً لم يهرب .

---

(١) أي ممن خصه عليه الصلاة والسلام بالدعاء له : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

فلما وصل إليه عمر قال له : لِمَ لم تهرب مع الصبيان ؟

فقال على الفور : لست جانياً فأفِرَّ منك ، وليس في الطريق ضيق فأوسِّعَ لك .

إنه جواب جريء وسديد .

(هـ) ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد ، وعليه ثوب خلق – أي قديم – فدمعت عيناه ، فرآه ولده ، فقال : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال : يا بني ، أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق ؟!! .

قال : يا أمير المؤمنين ، انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمه وأباه ، واني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك .

(و) ودخل على عمر بن العزيز رضي الله عنه في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة ، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنّه إحدى عشر سنة .

فقال له عمر : ارجع أنت ، وليتقدم من هو أسنّ منك !! .

فقال الغلام : أيّد الله أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر – يا أمير المؤمنين – بالسنّ لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا !! ..

فتعجب عمر من كلامه وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإنّ كبير القوم لا علم عنده صغير ، إذا التفّت عليه المحافل .

(ز) ومما تناقلته كتب الأدب أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب .

فقال له المأمون : ابن مَنْ أنت ؟

فقال الصبي : ابن الأدب يا أمير المؤمنين !! .

فقال المأمون : نعم النسب ، وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يُغنيك محمودُه عن النسب
إن الفتى من يقول : ها أنذا   ليس الفتى من يقول : كان أبي

(ح) ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم .

فقال له : من أنت ؟

قال : أنا الناشيء في دولتك ، المُتقلّب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك أنا الحسن بن رجاء .

فعجب المأمون من حسن إجابته ، وقال : بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

(ط) قحطت البادية في أيام (هشام بن عبد الملك) ، فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم (ورداس بن حبيب) وهو إذ ذاك صبي فوقعت عليه عين هشام ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان ؟ .

فقال الصبي : يا أمير المؤمنين : إنا أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقَت العظم (أي أخرجت مخه) وفي أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده ، وإن كانت لهم فعَلامَ تحبسونها عنهم ؟ ، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

فقال هشام : ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، فأمر للبوادي بمائة دينار ، وله بمائة ألف درهم .

فقال الصبي : اردها يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب ، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم .

فقال هشام : اما لك حاجة ؟
قال الصبي : ما لي حاجة فيّ خاصة دون عامة المسلمين !
فخرج الصبي وهو من أنبل القوم وأكرمهم .

فيؤخذ من هذه الأمثلة التي سردناها أن أبناء السلف كانوا يتربون على التحرر التام من ظاهرة الخجل ، ومن بوادر الانكماش والانطوائية ، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة ، ومصاحبة الآباء لهم لحضور المجالس العامة ، وزيارة الأصدقاء ، ثم بالتالي تشجيعهم على التحدث أمام الكبار ، ثم دفع ذوي النباهة والفصاحة منهم لمخاطبة الخلفاء والأمراء ، ثم استشارتهم في القضايا العامة ، والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء .

وهـذا كلـه ممـا ينمّي في الأولاد الجراءة الأدبيـة ويغرس في نفـوسهم أنبـل معاني الفهم والوعي ، ويهيب بهم في أن يتدرجوا في مدارج الكمال وتكوين الشخصية ، والنضج الفكري والاجتماعي ..

فما على المربين اليوم – ولا سيما الآباء – إلا أن يأخذوا بقواعد هذه التربية الفاضلة حتى ينشأ الأولاد على الصراحة التامة ، والجرأة الكاملة ضمن حدود الأدب والاحترام . ومراعاة شعور الآخرين ، وإنزال الناس منازلهم .. وإلاّ فإن الجرأة ستنقلب إلى وقاحة ، والصراحة إلى قلة أدب مع الآخرين .

* * *

وعلينا أن نميز بين الحياء والخجل للفرق الواضح بينهما :
فالخجل – كما مر – هو انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين .
أما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام .

فليس من الخجل في شيء أن نعوّد الولد منذ نشأته على الاستحياء من اقتراف المنكر ، وارتكاب المعصية .

وليس من الخجل في شيء حين نعود الولد على توقير الكبير ، وغض البصر عن المحرمات ، وكف الأذن أن تسترق سراً ، أو تكتشف خبئاً .

وليس من الخجل في شيء حين نعوده على تنزيه اللسان بأن يخوض في باطل ، وعلى قطم البطن عن تناول المحرمات ، وعلى صرف الوقت في طاعة الله ، وابتغاء مرضاته !! ..

وهذا المعنى من الحياء هو ما أوصى به رسول الله ﷺ حين قال : – فيما رواه الترمذي – « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انا نستحيي من الله يا رسول الله – والحمد لله – قال : ليس ذلك .. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة ، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء » .

وقال – فيما رواه الإمام أحمد – : « اللهم لا يدركني زمان لا يُتبَعُ فيه العليم ، ولا يُستحيا فيه من الحليم » .

وقال – فيما رواه الإمام مالك – : « إن لكل دين خُلُقاً ، وخُلُق الإسلام الحياء » .

٢ – ظاهرة الخوف :

ظاهرة الخوف حالة نفسية تعتري الصغار والكبار ، والذكور والإناث .. وقد تكون هذه الظاهرة مستحبة إن كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الأطفال ، لأنها تكون وسيلة في حماية الطفل من الحوادث ، وتجنّبه كثيراً من الأخطار ..

ولكن إذا ازداد الخوف عن الحد المعتاد ، وتجاوز حدود الطبيعة .. فإنه يسبب في الأطفال قلقاً نفسياً ، فعنده يعتبر مشكلة نفسية يجب معالجتها والنظر فيها .

يقول المختصون بعلم نفس الأطفال : (إنّ الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط شيء بشكل مفاجيء أو ما شابه ذلك ، ويخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً ؛ وأما الطفل في سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات والمنحدرات والمياه وما شابه هذا ..

وبوجه عام فإن الإناث أكثر اظهاراً للخوف من الذكور ؛ كما تختلف شدته تبعاً لشدة تخيل الطفل ، فكلما كان أكثر تخيلاً كان أكثر تخوفاً)[١] .

ولازدياد الخوف لدى الأطفال عوامل وأسباب ، نذكر أهمها :

- تخويف الأم وليدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة .
- دلال الأم المفرط ، وقلقها الزائد ، وتحسسها الشديد .
- تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتماء بجدران المنزل .
- سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت .

إلى غير ذلك من هذه العوامل والأسباب .

ولعلاج هذه الظاهرة في الأطفال يجب مراعاة الأمور التالية :

١ – تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والعبادة له ، والتسليم لجنابه في كل ما ينوب ويروع .. ولا شك أن الولد حين يُرَبّى على هذه المعاني الإيمانية ، ويعوَّد على هذه العبادات البدنية الروحية .. فإنه لا يخاف إذا ابتلي ، ولا يهلع إذا أصيب .. وإلى هذا أرشد القرآن الكريم حين قال :

---

(١) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة ص ١٥٠ .

﴿ إن الإنسان خُلق هلوعاً إذا مسَّهُ الشرُّ جزوعاً ، وإذا مسه الخيرُ منوعاً إلّا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ .

(المعارج : ٢٣)

٢ – إعطاؤه حرية التصرف ، وتحمل المسؤولية ، وممارسة الأمور على قدر نموّه ، ومراحل تطوره ، ليدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

٣ – عدم إخافة الولد – ولا سيما عند البكاء – بالغول والضبع ، والحرامي ، والجني ، والعفريت .. ليتحرر الولد من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام .. ويدخل في عموم الخيرية التي وجه إليها النبي ﷺ بقوله – فيما رواه مسلم – : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. » .

٤ – تمكين الطفل منذ أن يعقل بالخلطة العملية مع الآخرين ، وإتاحة المجال له للالتقاء بهم ، والتعرف عليهم ، ليشعر الطفل من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام .. مع كل من يجتمع به ، ويتعرف عليه ، ليكون من عداد من عناهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله : – فيما رواه الحاكم والبيهقي .. – : « المؤمن آلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس » .

ومما ينصح به علماء النفس والتربية : (ولا بأس بأن تجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه ، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه بإطفاء النور ثم إشعاله ؛ وإن كان يخاف الماء فلا بأس بأن نسمح له بأن يلعب بقليل من الماء في إناء صغير أو ما شابهه ؛ وإن كان يخاف من آلة كهربائية كمكنسة كهربائية مثلاً فلا بأس بأن نعطيه أجزائها ليلعب بها ثم نسمح له بأن يلعب بها كاملة ، وهكذا ...)(١) .

---

(١) من كتاب المشكلات .. ص ١٥٢ للدكتور تيه الغبرة .

٥ - تلقينهم مغازي رسول الله ﷺ ، ومواقف السلف البطولية ، وتأديبهم على التخلّق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين ، والصحابة والتابعين .. ليتطبّعوا على الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة وحب الجهاد ، وإعلاء كلمة الله .

ولنستمع إلى ما يقوله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في هذا المعنى : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن » .

وسبق أن ذكرنا وصية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للآباء في تعليم أولادهم مبادئ الفتوّة والفروسية ، ووسائل الحرب والجهاد – حين قال : « علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً » .

وسبق أن ذكرنا كذلك في مبحث (مسؤولية التربية الإيمانية) الحديث الذي رواه الطبراني : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » . وما هذه التوجيهات من رسول الله ﷺ ، وأصحابه الكرام من بعده .. إلا برهان قاطع على اهتمام الإسلام بتربية الأولاد على الشجاعة ، وحثّهم على الإقدام .. ليكونوا في المستقبل جيل الإسلام الصاعد في إشادة صرح الإسلام الشامخ ، ورفع منار العزة الإسلامية في العالمين ..

* * *

وفي المناسبة نقتطف من **سيرة أبناء الصحابة الكرام مواقف بطولية خالدة** كان لها في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال قدوة .. وما زالت أخبارهم مضرب الأمثال ، وسيرتهم مفخرة الأجيال ، ومواقفهم أعجوبة التاريخ :

(أ) لما خرج المسلمون إلى أُحد للقاء المشركين ، استعرض النبي ﷺ الجيش ، فرأى فيه صغاراً لم يبلغوا الحُلم حشروا أنفسهم مع الرجال ، ليكونوا مع المجاهدين في إعلاء كلمة الله ، فأشفق عليهم النبي ﷺ وردّ من استصغر منهم .

وكان فيمن ردّه عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج ، وسمُرة بن جُندب ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له : إنه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردّني مع أني أصرعه ؛ فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سُمرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

(ب) لما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة ، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما ، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها – وهو ما يشد به الوسط – فربطت به على فم وعاء الطعام الذي كانت تحمله ، فسميت لذلك : ذات النطاقين ، وعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل الأخبار ؛ فلا يسمع من قريش أمراً يبيّتونه من المكروه لهما إلا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسَّحَر ، ويصبح مع قريش بمكّة كأنه كان نائماً فيها ؛ ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

وهذه شجاعة نادرة لم يقو عليها كثير من الرجال !! ..

(ج) أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : إني لواقف يوم بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما .

فغمزني أحدهما فقال : يا عماه!! . أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ ؛ والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (أي شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ؛ فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس .

فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه ، فابتداره بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه ، فقال أيكما قتله ؟

قال كل منهما : أنا قتلته ، قال هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا .
قال : فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال : كلاكما قتله .

وقضى سلبه[1] لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ بن عفراء رضي الله عنهما .

(د) وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي : أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أُحد السيف فلم يُطق حمله ، فشدته على ساعده بسير مضفور ، ثم أتت به النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك ، فقال النبي ﷺ : أي بنيّ ، احمل ها هنا ، (أي اهجم ها هنا) ، فأصابته جراحة ، فصُرع ، فأُتي به النبي ﷺ فقال : أي بنيّ ، لعلك جزعت !! . قال الولد : لا يا رسول الله !! ..

(هـ)وأخرج ابن سعد في طبقاته ، والبزار وابن الأثير في الإصابة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت أخي عُمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى ، فقلت : مالك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردّني ، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ، قال : فعُرض على رسول الله ﷺ فردّه لصغره ، فبكى فأجازه عليه الصلاة والسلام .

فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه .

فيؤخذ من هذه الأمثلة التاريخية الخالدة وغيرها .. أن أبناء الصحابة رضي الله عنهم ، كانوا على جانب عظيم من الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والجهاد الجريء .. وما ذاك إلا بفضل التربية القويمة التي تلقوها من مدرسة النبوة ، والبيت المسلم ، والمجتمع المؤمن المجاهد الشجاع !!.. بل كانت الأمهات يدفعن بأولادهن

---

(١) السلب : ما يملكه المقتول كعدة الحرب ونحوها .

إلى ساحات الفداء والجهاد ، ويوم يسمعن خبر النعي ، ونبأ الاستشهاد تقول إحداهن قولتها الخالدة : (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني وإياهم يوم القيامة في مقر رحمته) .

وبالتالي كان الآباء يربّون أولادهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الأخطار والشدائد .. حتى إذا بلغوا سن الحركة والانطلاق – وهم لم يناهزوا الحلم بعد – مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين ، وأبطالاً مجاهدين ، وطلاباً للمكسب عاملين !!..

ونذكر على سبيل المثال موقفاً نبيلاً لغلام مؤمن يسأل أباه أن يمكنه ليجوب مناكب الأرض ويسعى في أرجائها عسى أن يفتح لنفسه طريق المجد ، ويصل إلى قمة السعادة والكرامة .. بل كان يخاطب أباه بأبيات من الشعر تفيض عزة وأنفة وإباء !! .

اقذف السرج على المُـ ـهـر وقرّطه اللجاما
ثم صبّ الدرع في رأ سي وناولني الحساما
فمتى أطلب إن لم أطلب الرزق غلاما
سأجوب الأرض أبغيـ ـه حلالاً لا حراما
فلعل الطعن ينفي الفـ ـقر أو يُدني الحماما

ونشأ هذا الجيل الفريد على هذه الخصال ، ودرجوا على هذه المكارم :

لأنهم تربوا منذ نعومة أظفارهم على الرماية والسباحة وركوب الخيل ..
لأنهم لم يتربوا على الدلال المفرط ، والانطوائية القاتلة .
لأنهم كانوا يشعرون بمسؤولياتهم ، والثقة بأنفسهم ..
لأنهم تعودوا على الاخشيشان ، وألعاب الفروسية ، وركوب متن الأسفار ..
لأنهم أدّبوا على أن يخالطوا من كان في سنهم من أبناء عمومتهم وعشيرتهم ..
لأنهم كانوا يتلقنون سيرة الأبطال والشجعان ، وأخبار الفاتحين والقواد ..
إلى غير ذلك من هذه المكارم التي رضعوها ، والتربية القويمة التي تلقنوها !! ..

وهل يُنبت الخطيَّ إلا وشيجُه
وتُغرس إلا في منابتها النخل

ويوم يمشي الآباء والمربون على هذا المنهج العظيم الذي مشى عليه جدودنا البواسل الأمجاد ..

ويوم يتربى أولادنا على هذه الخصال ، وهاتيك المكارم ..

ويوم يأخذون بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الأولاد من الخوف والجبن والخور ..

يوم يفعلون كل هذا ، يتحول الجيل يومئذ من القلق إلى الثقة ، ومن الخوف إلى الشجاعة ، ومن الخور إلى العزيمة ، ومن الخنوع والذلّة إلى حقيقة العزة والكرامة ...

ويكون متحققاً بقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

(المنافقون : ٨)

* * *

٣ - ظاهرة الشعور بالنقص :

الشعور بالنقص حالة نفسية تعتري الأولاد لأسباب خَلْقِيَّة ومرضية ، أو عوامل تربوية ، أو ظروف اقتصادية ..

وهذه الظاهرة هي من أخطر الظواهر النفسية في تعقيد الولد وانحرافه وتحوّله إلى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام ..

وإذا كنا نبحث في أسباب كل ظاهرة وعلاجها على ضوء الإسلام .. فعلينا أن نخصَّ هذه الظاهرة بالتفصيل أسباباً وعلاجاً لأهميتها وخطرها وآثارها ..

عسى أن يولي الآباء والأمهات والمربون جميعاً اهتمامهم في اتخاذ الأسباب الوقائية ، والوسائل العلاجية في تحرير الولد من كل مركبات النقص ، والعقد النفسية .. ليضمنوا لأولادهم تربية نفسية صحيحة ، وتكويناً خلقياً سليماً !! ..

والعوامل التي تسبب ظاهرة الشعور بالنقص في حياة الولد هي كما يأتي :

١ - التحقير والإهانة .
٢ - الدلال المفرط .
٣ - المفاضلة بين الأولاد .
٤ - العاهات الجسدية .
٥ - اليتم .
٦ - الفقـــر .

وإن شاء الله في هذا البحث فسنفند كل عامل بشيء من التفصيل ، ثم نعرّج إلى ذكر العلاج على ضوء الإسلام ، والله المستعان ، ومنه نستمد التأييد والسداد .

أما عامل التحقير والإهانة فهو من أقبح العوامل في انحرافات الولد النفسية ، بل هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص لدى الأطفال .. فكثيراً ما نسمع أن الأم أو الأب (شهّر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الأخلاق الكريمة ، فإذا كذب مرة ناديناه دائماً بالكذاب ، وإذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير ، وإذا احتال على أخته الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالمحتال ، وإذا أخذ من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق ، وإذا طلبنا منه كأس ماء للشرب فأبى ناديناه بالكسول ، وهكذا نشهر به أمام إخوته وأهله من الزلة الأولى ..)[1] .

ومن مظاهر التحقير والإهانة في بيئاتنا مناداة الولد بكلمات نابية ، وعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب ، وفي بعض الأحيان أمام أصدقاء الولد ، أو أمام غرباء

---

(١) من كتاب (أخلاقنا الاجتماعية) للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ص ١٥٩ .

ما سبق أن رآهم واجتمع بهم ؛ وهذا - لا شك - مما يجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير مهين ، ومن سقط المتاع لا قيمة له ولا اعتبار ، وهذا - أيضاً - مما يولّد في نفسه العُقَد النفسية التي تدفعه إلى أن ينظر إلى الآخرين نظرة حقد وكراهية .. وأن ينطوي على نفسه فاراً من أبناء الحياة ، منهزماً من تكاليفها ومسؤولياتها !! ..

ومن هنا نعلم أية جناية نجنيها على أبنائنا وبناتنا حين نزجّ بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الفاسدة المليئة بالأخطاء والمعاملة القاسية .

فكيف نرجو من الأولاد طاعة وبراً ، وتوقيراً واحتراماً ، واتزاناً واستقامة .. ونحن قد غرسنا في نفوسهم وهم صغار بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد .. ؟

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه عليه ؛ فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟

قال عمر : بلى !

قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي .. ، وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل ، وقال له : جئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عققْتَه قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك .

ومن طرائف ما ذكر أن أباً عيّر ولده يوماً بأمه ، وقال له : أتخالفني وأنت ابن أمة ؟ فقال الولد لأبيه : إن أمي والله خير منك يا أبي !! .

قال الأب : لِمَ ؟

قال الولد : لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة !!..

ونحن لا نشك أن الكلمات النابية القبيحة التي تنزلق من الأب للولد لم تصدر إلا عن غاية تأديبية إصلاحية .. لذنب كبير أو صغير وقع فيه وبدر منه !!..

ولكن المعالجة لارتكاب هذا الذنب لا تصلح بهذه الحالة الغضبية ، والطريقة التعنيفية .. التي تترك آثاراً خطيرة في نفسية الولد وسلوكه الشخصي .. وبالتالي تجعل منه انساناً ينطبع على لغة السبّ والشتائم ، ويتخلق بأخلاق المنحرفين الحمقى .. ونكون بهذه المعاملة القاسية قد جنينا على الولد ، وحطمناه نفسياً وخلقياً من حيث نعلم أو لا نعلم ، بدل أن نعدّه إنساناً متزناً عاقلاً سوياً يمشي في دروب الحياة على نور العقل والاتزان والاستقامة والحق المبين ..

ولكن ما هي معالجة الإسلام للولد إذا وقع منه خطأ أو صدرت هفوة ؟

المعالجة الصحيحة أن ننبهه على خطئه **برفق ولين** ، ونقنعه بالحجج الدامغة ، وأن الذي صدر منه لا يرضى به إنسان عاقل ذو فهم وبصيرة وفكر ناضج رزين ..

فإن فهم واقتنع وصلنا إلى ما نريد في إصلاح خطئه ، ومعالجة انحرافه .. وإلا فالمعالجة ستكون بأسلوب آخر كما سيأتي بيانه في بحث (التربية بالعقوبة) في القسم الثالث من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) إن شاء الله .

وهذه الطريقة الرفيعة اللينة في التأديب هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وإليكم بعض النماذج في معاملته ولينه ووصاياه :

(أ) روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ ، فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنى ؟ فصاح الناس به .. فقال النبي ﷺ قربوه ادنُ .. فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي ﷺ : أتحبه لأمك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم .
أتحبه لابنتك ؟
قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .
أتحبه لأختك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم .
ثم ذكر له العمة والخالة .. وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداك ..

فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ، وقال : « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » فقام من بين يدي رسول الله ﷺ وليس شيء أبغض عليه من الزنى .

(ب) وروى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت له : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثُكْلَ أمّياه !! ما شأنكم تنظرون اليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمّتونني سكتّ ، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من صلاته دعاني ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فو الله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني .. لكن قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن .

(ج) وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي ﷺ : « دعوه وأريقوا على بوله سجْلاً[1] من ماء ، فإنما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا معسّرين » .

---

(١) السجل : الدلو في الماء .

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين :

– روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

– وروى مسلم عن عائشة كذلك أن النبي ﷺ قال : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

– وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير كلّه » .

فالذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم – ولا سيما أمام الحاضرين – هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص .. ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية .. وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ ؛ وعلى المربي إن أراد زجر الولد وتوبيخه ألا يكون ذلك أمام الحاضرين ، كما يجب أن تسلك معه في بادىء الأمر الأسلوب الحسن في إصلاحه وتقويم اعوجاجه ؛ وهذه الطريقة هي طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في الإصلاح والتربية وتقويم الاعوجاج ..

* * *

أما عامل الدلال المفرط فهو أيضاً من العوامل الخطيرة في انحراف الولد النفسي والخلقي .. لما يؤول في الغالب إلى استشعاره بمركب النقص ، ونظرته الحاقدة إلى الحياة ..

ومن نتائجه في الأحوال العادية الخجل ، والخنوع ، وفقدان الرجولة والشجاعة ، وضعف الثقة بالنفس ، والتدرج نحو الميوعة ، والتخلف عن الأقران ..

أما كون الدلال المفرط يولد في نفس الطفل ظاهرة الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة إلى الحياة فللاعتبارات التالية :

يرى الناس يتقدمون وهو في ذيل القافلة .

يرى الناس في إقدام وشجاعة وهو في خوف وجبن .

يرى الناس في حركة وعراك ومجاهدة ... وهو في صمت وسكون وجمود ..

يرى الناس في تلاق واجتماع وهو في انطوائية وعزلة ..

يرى الناس يبسمون للمصاعب .. وهو في بكاء وجزع إذا أصابته أدنى مصيبة ..

فولد هذا شأنه ، وهذه حاله ... هل يكون إنساناً سوياً ؟ وهل يكون عضواً نافعاً للمجتمع ؟ وهل تكون نظرته الى الحياة نظرة أمل وتفاؤل ؟ وهل يكون إنساناً ذا شخصية استقلالية يثق بنفسه ، ويعتمد عليها ؟

فإذا كان الجواب لا !!..

فلماذا يغالي الأبوان في تدليل الولد ؟ ولماذا يدلّعانه هذا الدّلع ؟ ولماذا يتعلقان به هذا التعلق الزائد ؟ ولا سيما الأم ، فإن عندها من الرعاية المفرطة لوليدها أو من الوسوسة إذا صح التعبير .. ما يدفعها إلى أن تفرط في احتضان ابنها وتدليله بشكل يخرجها عن المألوف وحدود الاعتدال ..

وهذه ظاهرة خطيرة نراها في كثير من الأمهات اللواتي لا يعرفن قواعد التربية الإسلامية في تربية الولد :

● فمن مظاهر هذه التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح للولد بأن يقوم بالأعمال التي أصبح قادرا عليها اعتقاداً منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد .

● ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة احتضان الولد بشكل دائم ، فهي لا تسمح لنفسها – إن كانت فارغة – أن تتركه أبداً سواء أكان الاحتضان له مبرّراته أم لم يكن .

● ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة أن لا تترك الأم ولدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء .

● ومن مظاهرها أيضا عدم محاسبتها لولدها حينما يفسد أثاث المنزل ، أو عندما يتسلق المنضدة ، أو عندما يسوِّد الجدار بقلمه ..

وتزداد **مظاهر التدليل المفرط** في نفس الأبوين سوءاً عندما يرزقان الطفل بعد سنوات كثيرة ، أو أنجبت الأم هذا الطفل بعد عدة اجهاضات مستمرة ، أو كان الطفل ذكراً بعد عدة إناث ، أو أن شفي الطفل من مرض شديد هدد حياته بالخطر المحدق ..

ولكن ما العلاج الذي وضعه الإسلام للتخفيف من هذه الظاهرة ؟

١ - تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين ، حتى يعتقدا أن ما يصيب أولادهم من صحة أو مرض ، أو ما يعرض لهم من نعمة أو شقاء ، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم ، أو ما يبتليهم به من غنى أو فقر .. كل ذلك بمشيئته الله سبحانه ، وبقضائه وقدره ..

- قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يُحب كل مُختال فخور ﴾ .

(الحديد : ٢٣)

- وقال جل جلاله : ﴿ لله مُلك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهبُ لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذُكور ، أو يُزوجهم ذُكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير ﴾ .

(الشورى : ٥٠)

– وقال عز من قائل : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

(البقرة : ١٥٦)

٢ – **التدرج في تأديب الولد** ، فإن كان ينفع مع الولد النصح والوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر ، وان كان ينفع الهجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب .. وإذا عجز المربي عن إصلاح الولد وتقويم اعوجاجه بعد أن اتخذ كل الوسائل التاديبية والزجرية فعندئذ يلجأ إلى الضرب غير المبرّح .

وإن شاء الله فسيكون البحث وافياً مستفيضاً في مبحث (التربية بالعقوبة) في فصل (وسائل التربية المؤثرة في الطفل) في القسم الثالث من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) .

٣ – **تربية الولد منذ نعومة أظفاره على الاخشيشان ، والثقة بالنفس ، وتحمل المسؤولية ، والجرأة الأدبية** ... حتى يشعر الولد بكيانه ، ووجوده ، وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته ..

– اما أن تكون التربية للولد **قائمة على الاخشيشان** فللحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « إياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين » .

– واما أن تكون التربية قائمة على **الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية** فلعموم الحديث الذي سبق ذكره : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » ، فهو يشمل الصغير والكبير، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم ..

ولتوجيه عمر رضي الله عنه فيما رواه البيهقي : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » ؛ ومن المعلوم أن الولد – وهو

صغير – حين يتعلم كيف يسبح ؟ وكيف يرمي ؟ ، وكيف يركب الخيل ؟ يكون قد وثق بنفسه ، وشعر بوجوده وشخصيته ، وبالتالي تدرج على تحمل المشاق والمسؤوليات ..

– وأما أن تكون التربية قائمة **على الجرأة الأدبية** فلحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « بايعنا رسول الله ﷺ على الطاعة في المنشط والمكره في العسر واليسر .. وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم ... » . ولا شك أن هذه المبايعة تشمل الصغار والكبار ، والرجال والنساء ...

وسبق أن ذكرنا في فصل (مسؤولية التربية الجسمية) أهم الوصايا النبوية ، وأبرز التعاليم الإسلامية في تربية أجسام الأولاد .. وكلها – لا شك – تعويد لهم على الثقة بالنفس ، وتحمل الأمانة والمسؤولية وإشعار للواحد منهم أنه انسان ذو شخصية وكرامة وكيان !! ..

٤ – الاقتداء بالرسول ﷺ وهو صغير إلى أن ترعرع شاباً إلى أن بعثه الله نبياً لأن الله سبحانه أدّبه فأحسن تأديبه ، وشمله برعايته ، وصنعه على عينه ..

وها نحن أولاء سنسرد بعض النماذج في كل مراحل حياته – ولا سيما سن الطفولة والشباب – لتكون للمربين هداية ونبراساً ، وللأجيال المؤمنة قدوة وأسوة :

– كان عليه الصلاة والسلام في صغره **يرعى الغنم** ، يقول ﷺ عن نفسه فيما رواه البخاري : «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، نعم كنت أرعاها على قراريط[1] لأهل مكة » .

– وكان ﷺ في صغره **يلعب مع الغلمان** ؛ روى ابن كثير عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره ، وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم

(١) المراد بالقيراط جزء من الدرهم (عظمة عصر النبوة) .

كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم – ما أراه – لكمة وجيعة ثم قال : شدّ عليك إزارك ؛ قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزاري عليّ من بين أصحابي » .

– وكان ﷺ **يقوم بعملية البناء**؛ روى البخاري ومسلم : « ولما شبّ ﷺ وبنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة مع أشراف قريش لبنائها ، فقال العباس لرسول الله ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ، ففعل فخرّ إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام ، فقال : (إزاري ، إزاري) ، فشدّ عليه إزاره ، وقال (إني نهيتُ أن أمشي عرياناً) ، وهذا دليل عصمته قبل النبوة .

– وكان ﷺ **يخرج للسفر للتجارة** ، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام سافر مرتين : مرة قبل البلوغ مع عمه أبي طالب ، والمرة الثانية بعد البلوغ بتوجيه خديجة رضي الله عنها .

– وكان ﷺ **في صباه ذا جرأة متناهية** ذكرت كتب السِّيَر أنه عليه الصلاة والسلام استُحلف باللات والعزّى وهو صبيّ ، فقال للمستحلف : لا تسألني بهما شيئاً ، فو الله ما بغضت شيئاً بغضي لهما .

– وكان ﷺ **قد شارك في الحرب وهو دون الحلم** ، فمما ذكرته كتب السير أنه كان عليه الصلاة والسلام يُنبل على أعمامه في حرب الفجار .

– وكان ﷺ **ذا رأي وحصافة** ، فاحتكم إليه وهو شاب ؛ فمما تناقلته كتب السير أن قريشاً حكمته في وضع الحجر الأسود ، ولقد أعجبت برأيه وحكمه وحصافته !!..

ويكفيه صلوات الله وسلامه عليه فخراً وشرفاً أن يترقى – وهو اليتيم الصغير – على خير ما تتحلى به النفوس من كريم الخصال ، وحميد الصفات ، وجميل العادات .. فلم يسجد لصنم ولم يشارك الجاهلية في مفاسدها ، ولم يذق شيئاً من لحوم قرابينها .

ولا عجب أن ينسب ذلك إلى ربه الذي أحاطه بعنايته ، وصنعه على عينه ، وتولى تأديبه فقال عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » رواه العسكري .

فهذه اللمحات الخاطفة عن حياة الرسول ﷺ في طفولته . وعن عصمته وأخلاقه في شبابه .. مشاعل هداية في تبيان المنهج التربوي الذي يجب أن يسلكه المربون مع أبنائهم .. ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام قدوة صالحة في طفولته وشبابه ، وفي رجولته وكهولته ، فأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن ظاهرة الدلال المفرط هي من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي ، لكونها تؤدّي في كثير من الأحيان إلى مركب الشعور بالنقص في حياة الطفولة وبعدها .

فما على الأبوين – ولا سيما الأم – إلا أن يمشوا على السنن التي وضعها الإسلام في تربية الأولاد .

والتي منها الاعتدال في محبة الولد ، والتعلق به ، والتسليم لله في كل ما ينوب ويروع .

والتي منها أن يكون التأديب للولد في سن التمييز على حسب ما تقتضيه مصلحة التربية بالعقوبة .

والتي منها أن تكون التربية للولد قائمة على أسس الاخشيشان ، والاعتماد على النفس ، وتحمل المسؤولية ، وتنمية الجرأة الأدبية .

والتي منها التأسي بشخصية النبي ﷺ الطفل باعتبار أنه قدوة قبل النبوة وبعدها .

ويوم يسير المربون على هذه السنن ، ويلتزمون هذه القواعد يكونون قد حرّروا من لهم عليهم حق التربية من العوامل التي تؤدي إلى تحطيم الشخصية ، وهدر الكرامة الإنسانية ، ويكونون كذلك قد رفعوا من مستوى الولد النفسي والأخلاقي والعقلي ، وأصبح في الحياة إنساناً سوياً !!..

* * *

أما عامل المفاضلة بين الأولاد فهو كذلك من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة ؟ ..

وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية .. لأنها تولد الحسد والكراهية ، وتسبّب الخوف والحياء ، والانطواء والبكاء .. وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان .. وتؤدي إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص ..

وكم كان المربي الأوّل صلوات الله وسلامه عليه حكيماً ، ومربّياً اجتماعياً عظيماً حين أمر الآباء أن يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم ؟!.

- روى ابن حبّان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

- وروى الطبراني وغيره : « ساووا بين أولادكم في العطية » .

- وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلتُ ابني هذا - أي أعطيته - غلاماً كان لي .

فقال رسول الله ﷺ : أكُلّ ولدك نحلْته مثل هذا ؟
فقال لا .

فقال رسول الله ﷺ فارجعه .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ ، قال : لا .

قال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » .

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : « يا بشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

قال نعم .

قال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني إذن فإني لا أشهد على جور – أي ظلم – ثم قال أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟

قال : بلى .

قال : فلا إذن .

– وروى أنس أن رجلا كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا سويت بينهما ؟ » .

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة مبدأ **تحقيق العدل ، والمساواة ، والمحبة** .. فيما بين الأولاد .. دون أن يكون لعنصر التفريق أو التمييز مكان بينهم .

نعم !.. قد يكون لعدم محبة الطفل ، والعناية به أسباب ظاهرة :

كأن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه جهلاً لكونه أنثى .

أو يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء .

أو يكون مصاباً بعاهات جسمية ظاهرة . أو .. أو ..

ولكن كل هذه الأسباب الخَلْقية والخُلقية لا تعد مبررات – في نظر الشرع – لكراهية الولد ، وتفضيل إخوته عليه .

وكم يكون الأبوان ظالمين وجائرين حينما ينهجان مع الولد هذا النهج السيء ، ويعاملانه هذه المعاملة القاسية ؟

ما ذنب الطفل إن ولد في الحياة وهو أنثى ؟
وما جريمته إن كان دميم الوجه ؟
وما جريرته إن لم يخلق على ذكاء فارط ؟
وما الذي جناه إن كان بطبعه كثير الحركة والتنقل والمشاغبة ؟
وما مسؤوليته إذا قُدِّر له - وهو صغير - أن يصاب بعاهات جسدية ظاهرة ؟

فإذا كان المربون حريصين على سلامة أبنائهم من العقد النفسية ، ومركبات الشعور بالنقص ، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طويّة .. فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ القائل : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ؛ وأن يرضوا بما قسمه الله لهم من معطيات البنين أو البنات ؛ وعليهم كذلك أن يسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعاً روح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة .. حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل ، والنظرة الرحيمة ، والعطف الصادق ، والمعاملة العادلة ..

وصدق رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذي رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على بِرّه » .

* * *

أما عامل العاهات الجسدية فهو أيضاً من العوامل الكبيرة في انحراف الولد النفسي لما يؤول في الغالب إلى الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة إلى الحياة ..

فالولد حين يصاب - منذ الصغر - بعاهة جسدية كالعور ، أو الصمم ، أو العته ، أو التهتهة ونقص النطق .. فينبغي أن يلقى ممن يعيشون حوله من أب وأم وإخوة وأقرباء وجيران وأصدقاء وأهل .. كل رعاية وعطف ومحبة ، وأخلاق سمحة رضية ، وتعاطف حسن جميل .. تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه

الترمذي وأبو داود : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ؛ وقوله فيما رواه الترمذي وابن حبان : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً » .

ولكن حين يخاطب المصاب بعاهة العور يا أعور ، وبعاهة الصمم يا أطرش ، وبعاهة العته يا أحذب ، وبعاهة نقص النطق يا أخرس ..

فمن البديهي أن تتولّد لدى الولد الواعي المميز مركبات الشعور بالنقص ، وآفات العقد النفسية .. فلا عجب أن تراه في حالة يرثى لها من الصراع النفسي ، والحقد الاجتماعي ، والنظرة المتشائمة للحياة ..

لهذا وجب على المربين أن يعالجوا مشكلة عاهات أبنائهم بالأسلوب الحكيم ، والتربية الصالحة ، والمعاملة الرحيمة ، والمراقبة التامة .. على أساس أن قيمة الإنسان في دينه وأخلاقه لا في شكله ومظهره .

● **فأول خطوات هذه المعالجة** أن ينظروا إليهم نظرة حب ورحمة ، وأن يخصوهم بالعناية والرعاية ، وأن يشعروهم أنهم متميزون عن غيرهم بالذكاء والمواهب ، والعلم والخبرة ، والنشاط والحيوية .. فهذه النظرة إليهم ، والإشعار لهم يزيل في نفوسهم آفة الشعور بالنقص ، بل يندفعون بكليتهم - بكل ثقة واطمئنان - نحو العمل البناء ، والإنتاج المثمر .

● **وثاني خطوات هذه المعالجة** أن يقوم المربون بواجب النصح والتحذير لكل من كان حول المصاب من خلطاء سواء أكانوا أقارب أم أباعد ؟ حيث يحذرونهم مغبة التحقير والإهانة ، ونتائج الاستهزاء والسخرية ، وما تتركه من أثر سيء في نفوسهم ، وما تحدثه من مضاعفات أليمة في أعماق أحاسيسهم ومشاعرهم ..

وعلى المربين حين يوجهون وينصحون أن يبينوا لكل من يجتمع بالمصاب منهج المربي الأول صلوات الله عليه في دعوته الكبرى إلى وحدة اجتماعية متينة متراصة تقوم

دعائمها على الصفاء والمحبة ، وتركز أسسها على التوقير والاحترام ..

وهذه أسس منهجه عليه الصلاة والسلام في تحذيراته من كل ما يمس الكرامة الإنسانية ، ويحطم الشخصية المسلمة ، ويمزق الوحدة الاجتماعية المتراصة ..

– فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام **من آفات اللسان** قوله فيما رواه البخاري : « وإن العبد ليتكلم بالكلمة لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ؛ وقوله : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » .

– ومن تحذيراته ﷺ **من التحقير بالشماتة** قوله فيما رواه الترمذي : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك » .

– ومن تحذيراته ﷺ **من التحقير بالإشارة** توجيهه لعائشة رضي الله عنها فيما رواه أبو داود والترمذي ، قالت عائشة : قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفيّة كذا وكذا (تشير أنها قصيرة) فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمَزَجَتْه[1] » .

وتندرج هذه التحذيرات كلها تحت قوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزُوا أنفُسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسمُ الفسوقُ بعد بالإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

(الحجرات : ١١)

• **وثالث خطوات هذه المعالجة** أن يهيّيء المربون لأولادهم المصابين رفقة من الأصحاب حسنة آدبهم ، مرضية عاداتهم .. حيث يجتمعون بهم ، ويلعبون معهم ،

(١) أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها .

ويتبادلون أحاديث المحبة فيما بينهم .. ليشعروا في أعماق وجدانهم محبة الناس لهم ، واهتمامهم بهم وعطفهم عليهم ؛ يقول ابن سينا – في معرض تنمية شخصية الطفل ، وإشباع غريزة حب الاجتماع في نفسه – : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيّة حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي في نوادره : « عُرامة[1] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المربي لا يعدم وسيلة في معالجة مشكلة العاهة الجسدية في ولده المصاب سواء ما يتعلق بنظرة الحب والرحمة ، أو تخصيصه بالعناية والرعاية ، أو تحذير البيئة التي يعيش فيها من الهزء والتحقير والإهانة ، أو إعداد الرفقة الصالحة التي يجتمع بها ، ويلتقي معها .. وبهذا يكون قد أزال من نفسه عقدة الشعور بالنقص ، وهيّأه ليكون عضواً نافعاً في المجتمع ، يبني بساعديه صرح الحضارة ، ويشيد بعزمه مجد أمته ومستقبل بلاده ..

* * *

أما عامل اليتم فهو عامل خطير في انحراف الولد النفسي ، ولا سيما إذا وجد اليتيم في بيئة لا ترعاه ، ولا تكفكف أحزانه ، ولا تنظر إليه بعين العطف والرحمة والمحبة ...

والإسلام اهتم بشأن اليتم الاهتمام البالغ من ناحية تربيته ومعاملته ، وضمان معيشته .. حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع ، ينهض بواجباته ، ويقوم بمسؤولياته ، ويؤدي ماله وما عليه على أحسن وجه ، وأنبل معنى ...

---

(١) عرامة الصبي : أي انطلاقته وحيويته وقوة الاجتماع مع غيره .

فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم أمره بعدم قهره ، والحط من شأنه وكرامته ..

- ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ .

(الضحى : ٩)

- ﴿ أرأيت الذي يُكذّب بالدّين فذلك الذي يَدُعُّ[1] اليتيم ﴾ .

(الماعون : ١ - ٢)

ومن اهتمام الرسول ﷺ بشأنه حضه على كفالته ، وأمره بوجوب رعايته ، وبشارته الأوصياء - إن أحسنوا الوصاية - أنهم مع الرسول ﷺ في الجنة :

- روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أنا وكافل اليتم في الجنة كهاتين » ، وأشار بأصبعيه - يعني السبابه والوسطى - .

- روى الإمام أحمد وابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » .

- وروى النسائي بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهم إني أحرِّج حقّ الضعيفين : اليتيم والمرأة » ، ومعنى أحرّج : ألحق الحرج والإثم بمن ضيّع حقهما .

ورعاية اليتيم وكفالته واجبة في الأصل على ذوي الأرحام والأقرباء ، فعلى هؤلاء إن أرادوا أن يعالجوا أحوال اليتامى النفسية والخلقية .. فما عليهم إلا أن يخصوهم بمزيد من الرحمة والعطف والعناية ، وأن يشعروهم أنهم كأولادهم حباً ومعاملة وملاطفة ..

وفي حال عدم وجود الأوصياء من الأقارب والأرحام فعلى الدولة المسلمة أن ترعاهم وتتولى أمرهم ، وتشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وترفع من كيانهم وقدرهم في الحياة ..

---

(١) أي يزجره وينهره .

فهذا رسول الله ﷺ – باعتبار أنه الممثل الأول للدولة الإسلامية في المدينة – كان يخصّ اليتيم بمزيد من العطف والمعاملة والرحمة ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى يتيماً يوم عيد ، فلاطفه ، وبشّ له ، وأحسن إليه ، وأخذه إلى بيته ، وقال له :

« أما ترضى أن أكون لك أباً ، وتكون عائشة لك أماً ؟ »

وكذلك يجب على الدولة **أن ترعى اللقيط** ، وتقوم على أمره وكفالته في حين وجوده والعثور عليه ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه رجل بلقيط ، فقال له : « نفقته علينا وهو حرّ » .

وبهذه **المعاملة الحسنة** التي ينهجها الإسلام في معاملة كل من اللقيط واليتيم يكون قد قدّم للمجتمع الإسلامي مواطنين صالحين ينهضون بواجباتهم ، ويضطلعون بمسؤولياتهم ، فلا يشعرون بنقص ، ولا يتيهون في لجة الهواجس والأفكار والتصورات المنحرفة ..

أما عامل الفقر فهو عامل كبير في انحراف الولد النفسي ، ويقوي جانب هذا الانحراف فيه حين يفتح عينيه ، ويرى أباه في ضائقة ، وأسرته في بؤس وحرمان .. ويزداد الأمر لديه سوءاً حين يري بعض أقربائه أو أبناء جيرانه ، أو رفاقه في المدرسة .. وهم في أحسن حال ، وأبهى زينة ، وأكمل نعمة .. وهو كئيب حزين لا يكاد يجد اللقمة التي تشبعه ، والثوب الذي يستره ..

فولد هذه حاله ماذا ننتظر منه أن يكون نفسياً ؟ حتماً سينظر إلى المجتمع نظرات الحقد والكراهية ، وحتماً سيصاب بأمراض من مركبات النقص ، والعُقد النفسية ، وحتماً سيتبدل أمله إلى يأس ، وتفاؤله إلى تشاؤم .. وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه أحمد بن منيع والبيهقي .. : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، بل كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الفقر في دعائه ، فقد روى النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أنه ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » .

والإسلام عالج مشكلة الفقر بأمرين أساسيين :

الأول : احترامه الكرامة الإنسانية .
الثاني سنّه لمبادىء التكافل الاجتماعي .

أما احترامه الكرامة الإنسانية فلأنه سوّى بين جميع الأجناس والألوان والطبقات في الاعتبار والكرامة الإنسانية ، وإذا كان لابد من المفاضلة فلتكن بالتقوى والإنتاج والعمل الصالح ..

والمبدأ الذي طبعه الإسلام في ضمير الزمان إلى يوم القيامة قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذَكَر وأنثى وجعلناكم شعُوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . (الحجرات : ١٣)

ولأنه لم ينظر إلى الصور والأجسام ، وانما جعل النظرة إلى القلوب والأعمال ؛ فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة : « .. ان الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

ولأنه رفع من قدر الضعفاء والفقراء ، واعتبر إغضابهم وتحقيرهم إغضاباً للرب سبحانه ، فقد روى مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك » ، فأتاهم فقال : يا أخوتاه آأغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي ... ! » .

أما سنه لمبادىء التكافل الاجتماعي فلا شك أن الإسلام سن من مبادىء التكافل في حل مشكلة الفقر ما يعتبر من أرقى وأسمى ما وصل إليه الجهد البشري في العصر الحديث .

وإليكم بعض هذه اللمحات في معالجة الإسلام لمشكلة الفقر في المجتمع :

● أنه شرع بيت مال للزكاة تتولاه الدولة المسلمة ، وجعل مصارفه على المستحقين من الفقراء ، والمساكين وأبناء السبيل ، والمديونين ، وتحرير الأرقاء .. قال تعالى :

﴿ إنما الصدقاتُ للفقراءِ ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفةِ قُلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضةً من الله ، والله عليمٌ حكيمٌ ﴾ .

(التوبة : ٦٠)

وروى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليما » .

● أنه لم يعتبر المسلم مسلماً إذا بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به ، فقد روى البزار والطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما آمن بي مَن بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » ؛ بل اعتبر إسعافه وادخال السرور عليه من أحسن القربات ، وأفضل الأعمال .. فقد روى الطبراني في الأوسط عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن ، كسوتَ عورتَه ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة » .

● أنه جعل إسعاف الجائع والمحروم في وقت الشدة من أهم الواجبات ؛ فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ، وأن رسول الله ﷺ قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان معه فضل ظهر (أي مركوب) فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان

له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكره حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل » .

● أنه أوجب على الحاكم أن يهيء سبيل العمل لكل من كان قادراً عليه ، فقد روى أبو داود والنسائي والترمذي : « أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله عطاء ، فقال له : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى يا رسول الله ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما عليه الصلاة والسلام وقال : من يشتري مني هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : من يزيد على درهم : قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاء ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها طعاماً ، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من أن تجيء ، والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

● أنه سن **قانون التعويض العائلي** لكل مولود يولد في الإسلام سواء أكان المولود ابناً لحاكم أو موظف أم كان ابناً لعامل أو سوقة ... ، فقد روى أبو عبيد في كتابه (الأموال) (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يفرض لكل مولود عطاء إلى عطاء أبيه يقدر (بمائة درهم) ، وكلما نما الولد زاد العطاء ، وقد جرى عليه من بعده عثمان وعلي والخلفاء ..) .

هذا عدا عن التربية الوجدانية التي يغرس الإسلام جذورها في قلوب المسلمين ، وفي أعماق مشاعرهم ، وحنايا ضمائرهم .. ليندفع الجميع إلى تحقيق التعاون ، والتكافل ، والإيثار .. عن رغبة وإيمان ، وطواعية واختيار ..

والواقع التاريخي أكبر شاهد على ما نقول ، وإليكم بعض النماذج في تكافل المجتمع المسلم ، وفي تعاطفه وتراحمه وتعاونه :

١ – قال محمد بن اسحاق : « كان أناس بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب (أي الكيس) إلى بيوت الأرامل والمساكين » .

٢ – وكان الليث بن سعد ذا غلّة سنوية تزيد على سبعين ألف دينار يتصدق بها كلها حتى قالوا إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة داراً بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله يتسلمها فوجد فيها أيتاماً وأطفالا صغاراً ، سألوه بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل إليهم أن الدار لكم ، ومعها ما يصلحكم كل يوم .

٣ – وكان عبد الله بن المبارك الإمام الكبير المحدّث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة ألف دينار ، خرج مرة إلى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ، فلما سألها لم فعلت ذلك ، أخبرته أنها وأخاها فقيران لا يعلم بهما أحد ، ولا يجدان شيئاً ، فأمر ابن المبارك بردّ الاحمال وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال له : عُدّ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى « مرو » وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحج[١] .

ويوم تتضافر جهود الدولة ، وجهود المجتمع ، وجهود الأفراد في حل مشكلة الفقر ، لا يبقى في المجتمع الإسلامي فقير ، ولا محتاج ، وتنعم الأمة الإسلامية بظلال الأمن ، والرفاهية ، والتكافل والاستقرار .. ويتحرر أبناء المجتمع من كل العوامل الإجرامية ، والانحرافات النفسية .. ونرى بأم أعيننا راية العزة الإسلامية ترفرف في علياء المجد والكرامة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

* * *

---

(١) ومن أراد المزيد في معالجة الإسلام للفقر فليرجع إلى كتابنا (التكافل الاجتماعي في الإسلام) فإن فيه ما يشفي الغليل .

٤ - ظاهرة الحسد :

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير ، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة ان لم يعالجها المربون في أطفالهم ستؤدي حتماً إلى أسوأ النتائج ، وأخطر الآثار ..

وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل ، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع منهم الحسد ، ولا يشعرون به ، ولا يقعون فيه .. لذا وجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة ، والتربية القويمة حيث لا يؤدي إلى مشاكل صحية ، ونتائج وخيمة ، ومضاعفات نفسية أليمة .

وقبل أن أتعرض للوقاية والعلاج في استئصال هذه الظاهرة يحسن أن أتعرض **للأسباب التي تؤجج نار الغيرة والحسد** في نفوس الأطفال .

وأرى أن هذه الأسباب تتركز في الأمور التالية :

● خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف وكونه شخصاً مراداً ، ولا سيما عند مقدم مولود جديد يتصور أنه سيزاحمه في هذه المحبة والعطف .

● المقارنة السيئة بين الأولاد كوصف أحدهم بالذكاء ، والآخر بالغباوة ..

● الاهتمام بأحد الأولاد دون الآخرين ، كولد يُحمل ويُداعب ويُعطى .. وآخر يُزجر ويُهمل ويحرم ..

● الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يؤذي ويسيء ، والترصد بالعقاب لولد آخر تصدر منه أدنى إساءة .

● وجود الولد في بيئة غنية مترفة وهو في فقر شديد ، وحالة من العيش سيئة .

إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤدّي إلى أسوأ الآثار في شخصية الطفل ، وربما يصاب بآفة من مركب النقص ، أو الأنانية القاتلة ، أو الحقد الاجتماعي .. عدا عن إصابته بمضاعفات نفسية كالقلق والتمرد ، وعدم الثقة بالنفس .

والإسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمباديء تربوية حكيمة لو أخذ المربون بأسبابها اليوم لنشأ الأولاد على التوادد ، والإيثار ، والمحبة ، والصفاء ... ولأضمروا كل تعاون ، وخير ، وتعاطف .. بالنسبة للآخرين .

وأرى أن هذه المباديء التربوية لعلاج ظاهرة الحسد تتجسد في الأمور التالية :

١ - إشعار الطفل بالمحبة :

وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعله ، ويأمر أصحابه به ، ويحضهم عليه ، ويراقب تنفيذه هنا وهناك .

وإليكم بعض الأمثلة :

- روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال : رأيت النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران . فنزل النبي ﷺ فحملهما ، ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله عز وجل » :

(**إنما أموالكم وأولادكم فتنة ..**) (الأنفال . ٢٨) ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

- وكان عليه الصلاة والسلام يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ، ويقول : « نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدلان أنتما » .

- وروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ : « أو أملك ، أن نزع الله من قلبك الرحمة » ؟

- وروى البخاري في أدبه كذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبي لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيان التمرتين ، ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيّيها » !! ..

وينبغي ألا يغرب عن البال الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند مقدم طفل جديد من أهم ما ينبغي أن يعتني به المربون ولا سيما الأم .

هذه الاحتياطات يجب أن تبدأ قبل عدة أشهر من الولادة كتغيير سرير الطفل الأكبر ، أو إرساله إلى الروضة .. ولا بأس بالسماح للأخ الكبير بالمساعدة في شؤون الطفل الجديد عند إلباسه ، أو تغسيله ، أو إطعامه ؛ ولا بأس كذلك بالسماح له بأن يلاعب أو يداعب أخاه الصغير ولكن مع شيء من المراقبة مخافة إيذائه ؛ وعندما تحمل الأم الطفل الوليد لإرضاعه ، فيستحسن من الأب أن يداعب أخاه الأكبر ، أو يحادثه ويلاطفه ليشعره بالمحبة والعطف والاهتمام ..

والمقصود على العموم إشعار الأخ الأكبر بأنه محبوب ، وأنه المراد ، وأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء بسواء .

وهذا ما كان يوجه إليه المربي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في الأحاديث التي مر ذكرها ، وسبق تعدادها ..

ألا فلينهج المربون طريقة رسول الله ﷺ في إشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والايثار ، وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية .

٢ – تحقيق العدل بين الأولاد :

فمن المعروف بداهة أن المربين حين يسوّون بين الأولاد في المعاملة ، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم ، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم ، بل يعيش الأبناء مع إخوتهم ومربيهم في تفاهم تام ، ومحبة متبادلة ، بل ترفرف على البيت أجنحة المودة ، والإخلاص ، والصفاء ..

فلا عجب أن نرى المعلم الأول ، والمربي الأكبر صلوات الله وسلامه عليه وهو يحض الآباء والمربين جميعا على تحقيق مبدأ العدل بين الإخوة ، بل كان عليه الصلاة والسلام يستنكر كل الإنكار على الذين لا يحققون عدلا ولا رحمة بين أولادهم ، ولا يسوّون بينهم في القسمة والعطاء!! .. وإليكم طرفاً من توجيهاته واستنكاراته ، ليعرف من يريد أن يعرف حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على التربية القويمة ، والإصلاح الاجتماعي !! ..

سبق أن ذكرنا في معالجة ظاهرة الشعور بالنقص عند الأولاد هذه الأحاديث ، والآن نكرر إعادتها زيادة في الفائدة :

– « ساووا بين أولادكم في العطية » الطبراني .

– وروى أنس أن رجلا كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه ، فقال ﷺ للرجل : « ألا سوّيت بينهما ؟ » .

– وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا – أي أعطيته – غلاماً كان لي .

فقال رسول الله ﷺ : أكلّ ولدك نحلته مثل هذا ؟
فقال : لا .

فقال رسول الله ﷺ : فارجعه .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : يا بشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلّهم وهبت لهم مثل هذا ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور – أي ظلم – ثم قال : أيسرّك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟

قال بلى ،

قال : فلا إذن .

٣ – إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الحسد :

فعلى المربي أن يكون حكيماً في تربية الولد ، وذلك باتباع أنجع الوسائل في ازالة ظاهرة الحسد من نفسه :

فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره فقدان محبة أبويه وعطفهما .. فعلى الأبوين أن يسعيا جهدهما في إشعاره أن هذه المحبة باقية على مدى الأيام .

وإذا كان رمي الأبوين له بالغباوة ، والألفاظ القارعة .. يؤجج في صدره نيران الحقد والحسد .. فعلى الأبوين أن ينزّها ألسنتهما عن التقريع المؤلم ، والكلمات الجارحة ..

وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليه في معاملة أو عطاء .. يغيظه ويولد في نفسه ظاهرة الحسد .. فعلى الأبوين أن يحققا بين الأولاد العدل والمساواة ..

وهكذا يجب على المربين والآباء والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر من أن يتعرض الولد لآفة من هذه الآفات النفسية وعلى رأسها الحسد .. حتى تكتمل شخصيته ، وينشأ إنساناً سويا في ظلال التربية الصالحة ..

وبما أن للحسد آفات نفسية ، وآثاراً اجتماعية حذر عليه الصلاة والسلام منه ونهى عنه .. وإليكم طائفة من تحذيراته وأقواله :

– روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

– وأخرج الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » ، وأخرج كذلك : « ليس مني ذو حسد » .

– وأخرج الديلمي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر[1] العسل » .

فما أحوج الآباء والمربين إلى هذه المبادىء التربوية في معالجة الحسد عند الأولاد .. ولا شك أنهم إذا التزموها ، وأخذوا بتوجيهاتها .. نشأ الأولاد على خير ما ينشؤون من الصفاء والإخلاص !! ..

* * *

٥ – ظاهرة الغضب :

الغضب هو حالة نفسية ، وظاهرة انفعالية يحس بها الطفل في الأيام الأولى من حياته ، وتصحبه في جميع مراحل العمر إلى الممات .

وما دامت ظاهرة الغضب خلقاً متأصلاً في الإنسان منذ ولادته ، فمن الخطأ أن نعد الغضب من الظواهر المستقبحة ، والحالات الانفعالية السيئة .. لأن الله سبحانه لما خلق الإنسان ، وركب فيه الغرائز ، والميول ، والمشاعر .. كان ذلك لحكمة بالغة ، ومصلحة اجتماعية ظاهرة .

---

(١) الصبر : مادة مرّة المذاق كالعلقم .

فمن فائدة الغضب :

المحافظة علي النفس ، والمحافظة على الدين ، **والمحافظة على العرض** ، **والمحافظة على** الوطن الإسلامي من كيد المعتدين ، **ومؤامرات** المستعمرين ..

ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الإنسان لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله ، أو امتهن دينه ، أو أراد عدو أن يغتصب أرضه ، ويستولي علي بلاده ..

وهذا لا شك من الغضب المحمود الذي كان مصاحباً لفعله عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات :

فقد ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قد جاءه من يشفع في حدّ من حدود الله فغضب ، وظهرت على وجهه أسارير الغضب ، وقال قولته الخالدة : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « ما رأيت رسول الله ﷺ انتقم لنفسه من شيء إلا إذا انتهكت لله حرمة ، فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضباً ، وما عُرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه سخط الله ، فإن كان فيه لله سخط كان أبعد الناس منه » .

وإذا كان كثير من علماء الاجتماع والتربية عدّوا الغضب من الرذائل الممقوتة ، والعادات المذمومة .. فإنما يقصدون من وراء ذلك الغضب المذموم الذي يؤدي إلى أسوأ الآثار ، وأوخم العواقب .. وذلك حين الانفعال والغضب من أجل المصالح الشخصية ، والبواعث الأنانية .. ولا يخفى ما في هذا الغضب من تمزيق للوحدة ، وتصديع للجماعة ، واستئصال لمعاني الأخوة ، والمحبة والصفاء .. في ربوع المجتمع .

فلا عجب **أن** يهتمّ **رسول الإسلام** صلوات الله وسلامه عليه **لظاهرة الغضب** ، وأن يمتدح الذين يكظمون الغيظ ، ويملكون أنفسهم عند الغضب :

– أخرج البخاري أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : لا تغضب ، فردد مراراً ، قال : لا تغضب .

– وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ فقال له : ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : لا تغضب .

– وأخرج البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور العين شاء » .

– وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تعدّون الصُّرَعَةَ فيكم ؟ قالوا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ولا غرابة أيضاً أن يأمر القرآن العظيم المؤمنين والمؤمنات بكظم الغيظ ، والدفع بالتي هي أحسن ، والإعراض عن الجاهلين .. حتى يتحقق للمجتمع مودته ، ويتم للمسلمين تآلفهم :

– ﴿ ولا تستوي الحسنةُ ولا السيّئةُ ادفع بالتي هي أحسنُ ، فإذا الذي بينك وبينهُ عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم ﴾ .

(فصلت : ٣٤)

– ﴿ وعِبادُ الرحمنِ الذين يمشُونَ على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ .

(الفرقان : ٦٣)

– ﴿ الذين يُنفِقُون في السرّاء والضرّاء والكاظِمين الغيظَ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .

(آل عمران : ١٣٤)

- ﴿ وإذا ما غضبُوا هم يغفرون ﴾ .

(الشوري : ٣٧)

* * *

وإذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على شخصية الإنسان ، وعقله ، واتزانه .. وعواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه ، وتماسكه .. فما على المربين إلا أن يهتموا بعلاج هذه الظاهرة منذ نعومة أظفار الولد إلى أن يصل مرحلة التمييز ، إلى أن يتدرج إلى سن المراهقة .

وإن خير علاج تقدمه لمعالجة ظاهرة الغضب في الولد **تجنيبه دواعي الغضب وأسبابه** حتى لا يصبح له خلقاً وعادة ، وصدق من قال : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

● فإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الجوع** ، فعلى المربي أن يسعى إلى إطعام الولد في الوقت المخصص ، لأن إهمال غذائه يؤدي إلى أمراض جسمية ، وانفعالات نفسية .. وكم يكون المربي آثماً إذا ضيع من يعيل ؟ ، روى أبو داود وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت » .

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **المرض** ، فعلى المربي أن يسعى إلى معالجة الولد طبياً ، وإعداده صحياً .. امتثالا لتوجيهاته ﷺ فيما رواه مسلم وأحمد : « لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **تقريع الولد وإهانته** بدون موجب ، فعلى المربي أن ينزه لسانه عن كلمات التحقير والإهانة .. حتى لا تترسخ في نفس الولد الآفات النفسية ، والانفعالات الغضبية .. ولا شك أن هذا من حسن التربية ، والإعانة على البر .. فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ؛ ويقول أيضاً فيما رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **محاكاة الولد لأبويه في ظاهرة الغضب**، فعلى الأبوين أن يعطيا الولد القدوة الصالحة في الحِلْم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب .. تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس واللهُ يحبُّ المحسنين** ﴾ ، وتنفيذاً لوصية الرسول ﷺ القائل في الحديث الذي مر ذكره : « ... ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه لدى الولد **الدلال المفرط والتنعم البالغ** ، فعلى المربين أن يكونوا معتدلين في محبة الأولاد ، وأن يكونوا طبيعيين في الرحمة بهم والإنفاق عليهم تحقيقاً لما ينسب إلى علي كرم الله وجهه : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » ؛ وتطبيقاً لما حذر منه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد .. « إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الهزء والسخرية والتنابز بالألقاب** ، فعلى المربين أن يجتنبوا هذه المسببات الغضبية .. حتى لا تتأصل ظاهرة الغضب في نفسية الولد ..

وما أعظم تربية القرآن الكريم حين نهى عن السخرية ، وسوء الظن ، والتجسس ، والتنابز بالألقاب .. حين قال في سورة الحجرات :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزُوا بالألقاب بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان ، ومن لم يتُب فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

(الحجرات : ١١)

ومن **العلاج الناجع** في معالجة الغضب لدى الطفل تعويده على المنهج النبوي في تسكين الغضب ..

وإليكم مراحل هذا المنهج :

١ – تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان :

روى الإمام أحمد وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب .. وإلا فليضطجع » .

٢ – اللجوء إلى الوضوء في حالة الغضب :

أخرج أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

٣ – اللجوء إلى السكوت في حالة الغضب :

روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا غضب أحدكم فليسكت » .

٤ – التعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

جاء في الصحيحين أنه استبّ رجلان عند النبي ﷺ وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه ، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد » .

هذه هي أهم الوصايا التي وجه إليها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في تسكين الغضب ، والتخفيف من حدته .

فما على الآباء والمربين إلا أن يؤدبوا أولادهم وتلامذتهم عليها ، عسى أن يعتادوا الحلم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب .

وأخيراً على المربين أن يقبّحوا لأطفالهم ظاهرة الغضب ، كأن يُروهم حالة إنسان غضبان كيف تتسع عيناه ، وتنتفخ أوداجه ، وتتغير ملامحه ، ويحمرّ وجهه ، ويرتفع

صوته .. ولا شك أن إظهار هذه الصورة الحسية لدى الطفل أدعى للزجر والاعتبار ..

وكذلك عليهم أن يحذروهم آفات الغضب ، وأخطاره البالغة ، وعواقبه الوخيمة ..

فهذا التقبيح والتجسيد والتحذير لظاهرة الغضب هي الطريقة التي كان ينهجها رسول الله ﷺ في تربية المجتمع ، ومعالجة النفوس ؛ فقد روى الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إن الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه ، واحمرار عينيه ؟ فمن أحس من ذلك شيئاً فالأرضَ الأرضَ .. » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المربين حين يجنبون أولادهم منذ الصغر دواعي الغضب وأسبابه ، وحينما يأخذون بالمنهج النبوي في معالجة الغضب وتسكينه ، وحينما يقبّحون لأطفالهم ظاهرة الغضب تجسيداً وتحذيراً .. فإن الأولاد – لا شك – ينشؤون على الحلم ، والأناة ، والاتزان العقلي ، وضبط النفس .. بل يعطون الصورة الصادقة عن أخلاق المسلم ، وسلوكه السويّ في الحياة !! ..

* * *

وحين يحرر المربون أبناءهم وطلابهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

من ظاهرة الخجل

ومن ظاهرة الخوف

ومن ظاهرة الشعور بالنقص

ومن ظاهرة الحسد

ومن ظاهرة الغضب

يكونون قد غرسوا في أنفسهم الأصول النفسية النبيلة التي تتحقق :

بالثبات والجرأة الأدبية

وبالشجاعة والاقدام

وبالشعور بالواجب والكمال

وبالإيثار والمحبة

وبالحلم والأناة

بل يكونون بهذه التخلية والتحلية قد أعدوا أولاداً ليكونوا شباب الغد ، ورجال المستقبل .. يواجهون الحياة بابتسامة متفائلة ، وعزيمة جبارة ، وهمة قعساء ، وأخلاق سمحة كريمة ..

فما أحوجنا إلى مربين يعرفون طريقة الإسلام في التربية النفسية ، ومنهج الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الإصلاح .. ليؤدوا ما عليهم من واجب ومسؤوليات .. عسى أن نجد أبناء الجيل وقد اكتملت شخصياتهم ، وصلحت سريرتهم ، وسمت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية نفوسهم وقلوبهم .. وما ذلك على الله بعزيز إن جاهد المصلحون ، وقام بمسؤولياتهم المربون !! ..

* * *

الفصل السادس

٦ ـ مَسؤولية التربيةِ الاجتماعية

المقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وأصول نفسية نبيلة .. تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة ، والشعور الايماني العميق ، ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به من حسن التعامل ، والأدب ، والاتزان ، والعقل الناضج ، والتصرف الحكيم ...

ولا شك أن هذه المسؤولية من أهم المسؤوليات في إعداد الولد لدى المربين والآباء ، بل هي حصيلة كل تربية سبق ذكرها سواء أكانت التربية إيمانية أم خلقية أم نفسية ... لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء الحقوق ، والتزام الآداب ، والرقابة الاجتماعية ، والاتزان العقلي ، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين .

ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع ، وقوة بنيانه وتماسكه .. مرتبطتان بسلامة أفراده وإعدادهم .. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً .. حتى إذا تربوا وتكوّنوا وأصبحوا يتقلّبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان الانضباطي المُتزن العاقل الحكيم ..

فما على المربين إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعزيمة ، ليقوموا بمسؤوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح عسى أن يساهموا في مجتمع إسلامي أفضل تقوم ركائزه على الإيمان ، والأخلاق ، والتربية الاجتماعية الفاضلة ، والقيم الإسلامية الرفيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

وإذا كان لكل تربية وسائل يسير المربون عليها ، فما هي الوسائل العملية التي تؤدي إلى تربية اجتماعية فاضلة ؟

الوسائل-في نظري – تتركز في أمور أربعة :

١ – غرس الأصول النفسية النبيلة .

٢ ـ مراعاة حقوق الآخرين .

٣ – التزام الآداب الاجتماعية العامة .

٤ – المراقبة والنقد الاجتماعي .

* * *

١ – غرس الأصول النفسية

أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الأفراد صغاراً وكباراً . رجالا ونساء . شيباً وشباناً .. على أصول نفسيّة نبيلة ثابتة . وقواعد تربوية باقية .. لايتم تكوين الشخصية الإسلامية إلا بها ، ولا تتكامل إلا بتحقيقها . وهي في الوقت نفسه قيم إنسانية خالدة . ولغرس هذه الأصول النفسية في نفسيات الأفراد والجماعات أصدر الإسلام توجيهاته القيمة . ووصاياه الرشيدة .. لتتم التربية الاجتماعية على أنبل معنى . وأكمل غاية .. حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر . والترابط الوثيق . والأدب الرفيع . والمحبة المتبادلة . والنقد الذاتي البناء ..

وإليكم أهم هذه الأصول التي يسعى الإسلام لغرسها :

١ – التقوى :

هي نتيجة حتمية . وثمرة طبيعية للشعور الإيماني العميق الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل . والخشية منه . والخوف من غضبه وعقابه . والطمع بعفوه وثوابه .. وهي – كما عرفها العلماء – أن لايراك الله حيث نهاك . وأن لايفقدك حيث أمرك : أو هي – كما قال البعض –: « اتقاء عذاب الله سبحانه بصالح العمل ، والخشية من الله تعالى في السر والعلن .. » .

من هنا كان اهتمام القرآن الكريم بفضيلة التقوى والأمر بها ، والحض عليها في كثير من آياته البينات ، حتى أن القارىء لايمر على قراءة صفحة أو صفحات من القرآن الكريم إلا ويجد لفظة التقوى منسابة في الذكر الحكيم هنا وهناك .

ومن هنا كان اهتمام الصحابة الكرام ، والسلف الصالح بالتقوى . والتحقق بها ، والاجتهاد لها ، والسؤال عنها .. فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ ابن كعب عن التقوى ، فقال له : (أما سلكت طريقاً ذا شوك ، قال : بلى ! قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى) .

(فذلك التقوى حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوقٍّ لأشواك الطريق .. طريق الحياة .. الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لايملك رجاء ، والخوف الكاذب ممن لايملك نفعاً ولاضراً ، وعشرات غيرها من الأشواك ..)(١) .

وتقوى الله – فضلا عن أنها تملأ قلب المؤمن بخشية الله ، والمراقبة له – هي منبع الفضائل الاجتماعية كلها ، والسبيل الوحيد في اتقاء المفاسد والشرور والآثام والأشواك .. بل هي الوسيلة الأولى التي توجد في الفرد وعيه الكامل لمجتمعه ، ولكل من يلتقي معهم من أبناء الحياة .

ولعل في تكرار الرسول ﷺ قوله « التقوى ههنا » ثلاث مرات – كما سيأتي – مايؤكد أهمية هذا الأصل النفسي في التربية الاجتماعية ، ولاسيما في النهي عن مساس الكرامة ، والإضرار بالناس .

وهذه بعض النماذج عن أثر التقوى في سلوك الفرد ومعاملته :

(أ) يروي الغزالي في إحيائه أنه كان عند يونس بن عبيد حُلَل مختلفة الأثمان ، منها ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة درهم ، وضرب كل حلة مائتان ، فمر إلى الصلاة ، وخلّف ابن أخيه في الدكان ، فجاء أعرابي وطلب حلّة .

---

(١) من كتاب الظلال لسيد قطب رحمه الله ج ١ ص ٤٠ .

بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها — أي بأربعمائة درهم — فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس ، فعرف حلته ، فقال للأعرابي بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ؛ فقال : لاتساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن اخيه في ذلك وقاتله . وقال : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، قال : فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك !! ..

(ب) وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق ، فانحدر بنا راع من الجبل ، فقال له : ياراعي ، بعني شاة من هذا الغنم .

فقال : إني مملوك .

فقال له — اختباراً —: قل لسيدك أكلها الذئب .

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضى الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة .

(ج) وكثير من الناس يعرفون قصة الأم مع ابنتها : الأم تريد أن تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت تذكرها بمنع أمير المؤمنين .

الأم تقول : أين نحن من أمير المؤمنين ؟ إنه لا يرانا .. وترد الابنة بالجواب المفحم : إن كان أمير المؤمنين لايرانا فرب أمير المؤمنين يرانا !! ..

فعلى فضيلة التقوى والمراقبة لله يجب أن ننشىء أبناءنا !!

٢ - الأخوة :

هي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام .. مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية ،ووشائج الإيمان والتقوى .. فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون ، والإيثار ، والرحمة ، والعفو عند المقدرة ... واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكراماتهم .. ولقد حث الإسلام على هذه الأخوة في الله ، وبيّن مقتضياتها وملتزماتها في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية :

- **قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾**

(الحجرات : ١٠)

- **وقال أيضا : ﴿ سنشدُّ عضُدك بأخيك ﴾ .**

(القصص : ٣٥)

- **وقال كذلك : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ .**

(آل عمران : ١٠٣)

- **وقال عليه الصلاة والسلام** - فيما رواه مسلم -: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولايُسلمه ولايخذله ولايحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ؛ التقوى ههنا (ثلاث مرات) ، ويشير إلى صدره .. » .

- وأخرج البخاري ومسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

- وأخرج مسلم وأحمد : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

– وروى مسلم في صحيحه : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لاظلّ الا ظلّي » .

وكان من نتيجة هذه الأخوة والمحبة في الله أن تعامل أفراد المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ، وخلال العصور على أحسن ما تعامل الناس مواساة وإيثاراً وتعاوناً وتكافلا ..

واليكم بعض النماذج :

(أ) روى الحاكم في المستدرك أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة رضي الله عنها ، وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلق ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين .. ولم تبق منه شيئاً ، فقالت لها خادمتها : ياأم المؤمنين مااستطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم تفطرين عليه ، فقالت : يابنيّة لوذكرتني لفعلت .

(ب) وروى الطبراني في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ثم قال لغلامه : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تشاغل في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها الغلام إليه .. فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل الله عمر ورحمه ، ثم قال : تعاليْ يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان .. حتى أنفدها ؛ ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل ، فقال : اذهب بها إلى معاذ وتشاغل في البيت حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في حاجتك ،

فقال : رحمه الله ووصله ، تعالي ياجارية ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا .. فاطلعت امرأة هي امرأة معاذ وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا ، فلم يبق في الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها ، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ، فسرّ بذلك فقال : « إنهم إخوة بعضهم من بعض » .

(ج) وفي عهد عمر – رضي الله عنه – أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان رضي الله عنه ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فقال لهم : كم تعطونني ربحاً ؟ قالوا خمسة في المائة ، قال : اني وجدت من يعطيني أكثر ، فقالوا ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال لهم عثمان : إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، اني وجدت الله يقول :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ .
(البقرة : ٢٦١)

أشهدكم – يامعشر التجار – أن القافلة وما فيها من بر ، ودقيق ، وزيت ، وسمن .. وهبتها لفقراء المدينة ، وإنها صدقة على المسلمين .

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر رضي الله عنهما : « لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » .

فعلى خلق الأخوة والمحبة يجب أن تنشيء أبناءنا !!..

٣ – الرحمة :

هي رقة في القلب ، وحساسية في الضمير وإرهاف في الشعور .. تستهدف الرأفة بالآخرين ، والتألم لهم . والعطف عليهم ، وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم ..

وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء ، وينبو عن الجريمة ، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين .

ولقد جعل رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه رحمة الناس بعضهم بعضاً لرحمة الله إياهم ، فقد أخرج الترمذي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وحَكَمَ ﷺ على العارين من الرحمة بأنهم هم الأشقياء ، فقد روى الترمذي وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لاتُنْزَعُ الرحمة إلا من شقي » .

ورحمة المؤمن لاتقتصر على إخوانه المؤمنين ، وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً ، وقد قال رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه مرة — فيما رواه الطبراني —: « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يارسول الله ، كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » .

بل هي رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم :

فالمؤمن وحده هو الذي يرحمه ، ويتقي الله فيه ، ويعلم أن الله سبحانه سيحاسبه ويسأله إذا قصّر في حقّه أو تسبب في إيذائه ؛ وقد أعلن النبي ﷺ أن الجنة فتحت أبوابها لبغيٍّ سقت كلباً فغفر الله لها ؛ وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ورأى عمر رضي الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : (ويلك قُدْها إلى الموت قوداً جميلا) .

وإليكم بعض النماذج من آثار الرحمة في المجتمع الإسلامي :

(أ) يروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (أي خيمته) فاتخذت من أعلاه عشاً ، وحين أراد عمرو الرحيل رآها ،

فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه الفسطاط ، فتركه وتكاثر العمران من حوله ؛ فكانت مدينة « الفسطاط » .

(ب) وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان معروفاً في الجاهلية بالشدة والقسوة .. فلما فجر الإسلام ينابيع الرحمة في قلبه .. كان يرى نفسه مسؤولا أمام الله عن بغلة عثرت بأقصى العراق لأنه لم يعبّد لها الطريق .

(ج) وهذا أبو بكر رضي الله عنه يودعّ جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلا : (لاتقتلوا امرأة ولا شيخاً ولاطفلا ، ولاتعقروا نخلا ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، وستجدون رجالا فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وماأفرغوا أنفسهم له ..) .

(د) ومن الأمثلة « الوقف الخيري عند المسلمين » :

١ – **وقف الكلاب الضالة** حيث توضع في أماكن مخصوصة للرعاية استنقاذاً لها من عذاب الجوع ، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء .

٢ – **وقف الأعراس** : حيث يستعير الفقراء من وقف الحلي والزينة في مناسبات الأعراس والافراح . وبهذا يتيسر للفقير أن يظهر يوم الفرح بحلة رائقة ، وبمظهر جميل ، فيكتمل شعوره ، وينجبر خاطره ..

٣ – **وقف مؤنس المرضى والغرباء** : وذلك بتعيين من كان رخيم الصوت . حسن الأداء ، ليرتلوا الأناشيد الفكاهية ، والقصائد الشعرية طول الليل . بحيث يرتل كل منهم ساعة حتى مطلع الفجر سعياً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يخفف عنه ، وإيناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه .

٤ – **وقف الزبادي** : فكل خادم كسرت آنيته ، وتعرض لغضب مخدومه ، له أن يذهب إلى إدارة الوقف ، فيترك الإناء المكسور ، ويأخذ إناءً جديداً بدلا منه ، وبهذا ينجو من الغضب أو العقاب ...

هذا عدا عن وقف إطعام الجائع ، وسقاية الظمآن ، وكسوة العاري ، وإيواء الغريب ، ومعالجة المريض ، وتعليم الجاهل ، ودفن الميت ، وكفالة اليتيم ، وإغاثة الملهوف ، ومواساة العاجز ..

ولاشك أن هذه الأوقاف والمبرات ودور العلم وغيرها ما هي إلا أثر من آثار نوازع حب الخير ، وعاطفة الرحمة التي أودعها الله في قلوب المؤمنين الرحماء ، ونفوس المسلمين الأتقياء .. وهي مفخرة من مفاخر حضارتنا في التاريخ ! ..

فعلى هذه المعاني النبيلة من الرحمة يجب أن تنشىء أبناءنا !!..

٤ – الإيثار :

وهو شعور نفسي يترتب عليه تفضيل الإنسان غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية النافعة ..

والإيثار خلق نبيل إذا قصد به وجه الله تعالى كان من أول الأصول النفسية على صدق الإيمان ، وصفاء السريرة ، وطهارة النفس .. وهو في الوقت نفسه دعامة كبيرة من دعائم التكافل الاجتماعي ، وتحقيق الخير لبني الإنسان ..

وحسبنا أن القرآن الكريم سجل للأنصار – وهم جمهور المجتمع الإسلامي فيها – هذه الصور الراقية من صور الإخاء والمواساة والإيثار والبذل والتعاطف .. فقال :

﴿ والذين تبوّؤا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبون من هاجرَ إليهم ولايجدون في صُدُورهم حاجةً مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفُسِهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

(الحشر : ٩)

هذا الإيثار الطوعي ، والتعاطف الاجتماعي الذي تجلى في أخلاق الأنصار لن نجد له مثيلا في تاريخ البشرية ، وفي أخبار الأمم ..

لقد شارك الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين اضطهدوا في دينهم ، وأُخرجوا من ديارهم ، وأضحوا لايملكون شيئاً من متاع الحياة وزينتها .. لقد كان الأنصاريُّ يؤاخي المهاجر ويناصره ، بل ويؤثره على نفسه في كثير من حظوظ الحياة . وإذا مات أحدهما ورثه الآخر ..

وإليكم بعض الصور من مظاهر الإيثار في المجتمع الإسلامي الأول :

(أ) ذكر الغزالي في الإحياء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُهْدِيَ إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : فلان أحوج إليه مني ، فبعث به اليه ، فبعث هو أيضا إلى آخر يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

(ب) وهذه زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين التي كانت تلقّب « بأم المساكين » لإيثارها ومواساتها .

فقد روى ابن سعد في طبقاته أن برزة بنت رافع حدثت أنه لما خرج العطاء أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصيبها منه ، فلما دخل عليها حامل المال ، قالت : غفر الله لعمر ! غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني ، فقالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب ثم قالت : صبّوه واطرحوا عليه ثوباً .

قالت راوية القصة : ثم قالت لي : أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان ، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ، فقسمت حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، فقالت لها برزة بنت رافع : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ، فقالت : فلكم ماتحت الثوب .. قالت : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً .

وقبل قليل روينا خبر عائشة رضي الله عنها التي وزعت عطاءها الذي بلغ ثمانين ألف درهم على الفقراء والمساكين ولم تُبْقِ لنفسها درهما تفطر عليه ، ولو ذكرتها الخادمة لفعلت ؛ فنسيت نفسها في سبيل إسعاد غيرها .

(ج) ومن عجائب الإيثار ماذكره العدوي – كما روى القرطبي – حين قال : (انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي – ومعي شيء من الماء – وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أنْ نعم ، فإذا برجل يقول : آه .. آه ! فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أنْ : نعم ، فسمع آخر يقول : آه .. آه ! فأشار هشام أن انطلق إليه فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ، ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه .

فعلى هذه المعاني الكريمة من الإيثار والتضحية ونكران الذات يجب أن ننشىء أبناءنا ..

٥ – العفو :

هو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالماً وجائراً .. بشرط أن يكون المعتدى عليه قادراً على الانتقام ، وأن لايكون الاعتداء على كرامة الدين ، ومقدسات الإسلام .. وإلّا .. كان العفو ذلة ومهانة واستسلاماً وخضوعا .. والعفو بهذا المعنى وبهذه الشروط شيمة خلقية أصيلة تدل على إيمان راسخ ، وأدب إسلامي رفيع .. فلا عجب أن نرى القرآن العظيم يأمر به ، ويحض عليه في أكثر من آية في كتاب الله عز وجل :

– ﴿ **وأن تعفُوا أقربُ للتقوى ، ولاتنسُوا الفضلَ بينكم ..** ﴾ .
(البقرة : ٢٣٧)

– ﴿ ولاتستوي الحسنةُ ولاالسيئةُ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم ﴾

(فصلت : ٣٤)

– ﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشونَ على الأرضِ هوناً وإذا خاطبهم الجاهلونَ قالوا سلاماً ﴾ .

(الفرقان : ٦٣)

– ﴿ والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناسِ والله يحبُّ المحسنين ﴾ .

(آل عمران : ١٣٤)

ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح .. فإنه يكون مثلا يحتذى في الملاطفة وسموّ الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المعشر .. بل يكون كالملك يمشي على الأرض نبلا وطهراً وصفاء !!..

وإليكم بعض الصور والنماذج في الحلم والعفو والسماحة في سيرة السلف عبر التاريخ :

(أ) قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوماً ، فنادى بالخادم : ياغلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : ياغلام ، فدخل غلام تركي وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ، ياغلام ، إلى كم ياغلام !؟ .. فنكس المأمون رأسه طويلا – فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه – ثم نظر اليّ ، فقال : ياعبد الله ، إن الرجل إذا حسنتْ أخلاقه ، ساءت أخلاق خدمه ؛ وإنا لانستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا ..!!

(ب) ومما يروى أن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين فلم يجُبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائي ؟ فقال :

بلى ، قد سمعت ، قال : فما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : أمِنْت منك ، وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت ؛ فقال : الحمد لله الذي أمِنَ مني غلامي !..

ومما يروى عنه أيضاً أنه خرج مرة إلى المسجد فسبه رجل ، فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذونه ، فنهاهم زين العابدين وقال لهم : كفّوا أيديكم عنه ؛ ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال : ياهذا ، أنا أكثر مما تقول ، ومالا تعرفه مني أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة في ذكره ذكرته لك ؛ فخجل الرجل واستحيا ، فخلع زين العابدين قميصه ، وأمر له بألف درهم ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ .

ومما يروى عنه كذلك أن غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف (من طين) فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور - ياسيدي - يقول الله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ ، فقال زين العابدين : لقد كظمت غيظي ، ويقول : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ ، فقال : لقد عفوت عنك ، ويقول : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ ، فقال زين العابدين : أنت حر لوجه الله !!..

(ج) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم عُيَيْنَة بن حصين نزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر إذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين ومشاورته ، كهولا كانوا أو شباناً ..

فقال عيينة : استأذن لي على أمير المؤمنين ، فاستأذن له فلما دخل قال : هيه ياابن الخطاب ، فو الله ماتعطينا الجزل (أي الكثير) ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحرّ : ياأمير المؤمنين ، ان الله يقول لنبيه : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، وإن هذا من الجاهلين ، فو الله ما جاوزها

عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل !!.. (١)

(د) ومما جاء في أسباب النزول أن قريباً لأبي بكر رضي الله عنه اسمه (مسطح) كان يعيش على إحسان أبي بكر وكفالته ، لم يتورع عن الخبط في عرض السيدة عائشة لما شنّع عليها المنافقون ماشنّعوا في حادثة الأفك ، فنسي مسطح بذلك حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق التكافل .. مما أثار حفيظة أبي بكر رضي الله عنه ، وجعله يحلف أن يهجر قريبه هذا ، ولايصله ! فنزل قوله تعالى :

﴿ ولايأتل (٢) أولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبُّون أن يغفرَ الله لكم والله غفور رحيم ﴾ .

(النور : ٢٢)

فعفا أبو بكر رضي الله عنه وصفح ، وعاد إلى عطائه الأول قائلا : إني أحب أن يغفر الله لي ...!

وما هذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح والحلم .. إلا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعية الأول صلوات الله وسلامه عليه ، وبفضل ماامتثلوه من توجيهاته الكريمة عليه الصلاة والسلام .. حتى تسموا أخلاقهم على أخلاق السوقة والعبيد ، وتتميز مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة ..

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور العين شاء » .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) ولايأتل : ولايحلف .

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع الدرجات » ؟ ، قالوا : نعم يارسول الله ، قال : « تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

فعلى هذه الفضائل من الحلم والتسامح والعفو يجب أن تنشىء أبناءنا !!

٦ — الجرأة :

هي قوة نفسية رائعة يستمدها المؤمن من الإيمان بالواحد الأحد الذي يعتقده ، ومن الحق الذي يعتنقه ، ومن الخلود الذي يوقن به ، ومن القدر الذي يستسلم إليه ، ومن المسؤولية التي يستشعر بها ، ومن التربية التي يُنشَّأ عليها ..

وعلى قدر نصيب المؤمن من الإيمان بالله الذي لا يغلب ، وبالحق الذي لايخذل ، وبالقدر الذي لايتحول ، وبالمسؤولية التي لاتكل ، وبالتربية التي لاتمل .. بقدر هذا كله يكون نصيبه من قوة الشجاعة والجرأة ، وقول كلمة الحق ..

ونرى هذا بارزاً في شخصية أبي بكر رضي الله عنه الذي كان أرجح المؤمنين إيماناً بعد رسول الله ﷺ ، فقد تمثل إيمانه في مواقف جعلت عمر القوي الشديد يقول عنه : (والله لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر ..) .

موقفه : يوم توفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه فذهل المسلمون ، وأخرجتهم الفجيعة عن وعيهم ورشدهم ، حتى روي أن عمر قال : من قال إنّ محمداً مات ضربت عنقه بسيفي هذا ! . هناك وقف أبو بكر رضي الله عنه يؤذن في الناس بصوت جهير ويقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ،، وتلا قوله تبارك وتعالى :

﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾
(آل عمران : ١٤٤)

وموقفه : بعد ذلك يوم تردّد المسلمون في إنفاذ جيش أسامة الذي جهزه النبي ﷺ إلى الشام قبل مرض موته ، فقد طلبوا من أبي بكر أن يوقف مسير هذا الجيش ، بسبب أن الغد مليء بالأحداث والاحتمالات ، ولايدري أحد ماذا يفعل العرب في القبائل والقرى إذا علموا أن النبي ﷺ قد مات .. ولكن أبا بكر أجابهم في حزم عازم ، وقال : « والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ما كنت أحلّ عقدة عقدها رسول الله بيده ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته .. » .

وموقفه رضي الله عنه في حرب المرتدين ومانعي الزكاة في الوقت الذي برزت فيه قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين : وكان المسلمون — بعد موت الرسول ﷺ — كالغنم في الليلة المطيرة ، كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وحتى قال بعض المسلمين لأبي بكر : ياخليفة رسول الله ، لاطاقة لك بحرب العرب جميعاً .. إلزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الرقيق كالنسيم ، اللّين كالحرير ، الرحيم كقلب الأم ، ينقلب في لحظات إلى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر : أجبار في الجاهلية . وخوّار في الإسلام ؟ لقد تمّ الوحي واكتمل .. أفينقص الدين وأنا حي ؟ والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلنهم مااستمسك السيف بيدي ، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق(١) .

ومن هنا كانت فضيلة **الجرأة بالحق من أعظم الجهاد** لما روى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

---

(١) من كتاب (الايمان والحياة) للأستاذ يوسف القرضاوي ص ٢٧٤ مع شيء من التصرف .

ومن هنا كان الذي يستشهد في سبيل كلمة الحق سيد الشهداء لما روي عن الحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

ومن هنا كان ﷺ **يأخذ العهد من أصحابه على أن يقولوا بالحق أينما كانوا** : فقد روى مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمَنْشَط والمكْره ، وعلى أثَرَة علينا ، وعلى ألّا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَواحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم » .

ومن هنا كان امتداح الله سبحانه للذين يبلغون رسالات ربهم ولايخشون أحداً إلا الله ، قال تعالى : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً** ﴾ .

(الأحزاب : ٣٩)

ولو أردنا أن نتصفح سِفْر رجال الإسلام في التاريخ لرأيناه سفراً حافلا بالأمجاد والبطولات ، زاخراً بالجرأة الأدبية في سبيل الحق والإسلام ..

وإليكم بعض الأمثلة الحية من مواقفهم البطولية :

(أ) من مواقف **العز بن عبد السلام** أنه قال مرة لسلطان مصر (نجم الدين أيوب) ، وكان في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب !.. ماحجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوِّىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وتستباح فيها المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، فقال : هذا أنا ماعلمتُه هذا من زمان أبي ، فقال العز بن عبد السلام : أنت من الذين يقولون :

﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة (١) وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .

(الزخرف : ١٣)

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة وإغلاقها ..

(ب) كان سلمة بن دينار المكيّ بأبي حازم يدخل على معاوية ، فيقول : السلام عليك أيها الأجير ، فإذا حاولوا أن يقولوا لأبي حازم قل : السلام عليك أيها الأمير ، أبى عليهم ذلك ، ثم التفت إلى معاوية فقال له : (أنما أنت أجير هذه الأمة ، أستأجرك ربك لرعايتها) .

(ج) وإليكم هذه المحاورة التي جرت بينه وبين سليمان بن عبد الملك :

قال سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

قال سليمان : فكيف القدوم غداً على الله ؟

قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه .

قال سليمان : أي القول أعدل ؟

فقال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه .

قال سليمان : فأي المؤمنين أكْيَس ؟ (أي أعقل) .

قال : رجل عمل بطاعة الله ، ودلّ الناس عليها .

قال سليمان : فأيّ المؤمنين أحمق ؟

قال : رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره .

قال سليمان : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ، فتصيب منا ، ونصيب منك ،

قال : أعوذ بالله !..

---

(١) أمة : طريقة ودين .

قال سليمان : ولِمَ ذاك ؟
قال : أخشى أن أركن إليكم قليلا ، فيذيقني الله ضعف الحياة ، وضعف الممات .
قال له سليمان وقد قام ليذهب : أوصني يا أبا حازم ..
فقال : سأوصيك وأوجز : (عظِّم ربك ، ونزّهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك) !!..

فعلى هذه الفضيلة من الثبات والجرأة في الحق يجب أن ننشىء أولادنا !!..

* * *

تلكم هي أهم الأصول النفسية التي يسعى الإسلام جهده إلى غرسها في نفس المؤمن ، وكلها تتضافر في تكوين الشخصية المسلمة ، وكلها تشير إلى أن الاسلام في تحقيق التربية الاجتماعية لدى الأفراد يجب أن يبدأ من نقطة بناء الفرد بناء صحيحاً ، وأن أي تربية أو تكوين لايقوم على هذه الأصول النفسية التي وضع قواعدها الإسلام فإن التربية تكون فاشلة وأن ارتباط الفرد بالمجتمع يكون أوهن من بيت العنكبوت .

لذا وجب على الآباء والمربين جميعاً وعلى الأمهات بشكل خاص :

أن يرسخّوا في نفوس أطفالهم عقيدة الإيمان والتقوى ، وفضيلة الأخوة والمحبة ، ومعاني الرحمة والإيثار والحلم .. وخلق الإقدام والجرأة في الحق .. وغيرها من الأصول النفسية النبيلة .. حتى إذا شبَّ الأولاد عن الطوق ، وبلغوا السنّ التي تؤهلهم أن يخوضوا خضم الحياة .. أدوا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات دون تواكل أو تردد أو قنوط .. ثم بالتالي قاموا بكل الالتزامات نحو الآخرين دون إهمال لحق أو تقصير في الواجب .. بل كانت معاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم الاجتماعية على أحسن ما رأى الناس ، وأسمى مما يتصوره الخيال .

وأي نظام في التربية لايقوم على هذه الأصول النفسية ، والأسس التربوية ، يكون كمن رأى شجرة بدأ يدب فيها الاصفرار والذبول فأخذ يعالجها من أوراقها ، ولم يلتفت إلى إصلاح الجذر الذى إذا صلح صلحت الشجرة كلها ..

وبعبارة أوضح أن الذي يقوم بمسؤولية التربية الاجتماعية إذا لم يبْنِ تربيته على هذه الأصول النفسية الثابتة كان كمن يرقم على ماء ، وينفخ في رماد ، ويصرخ في واد دون فائدة أو جدوى ..

* * *

٢ - مُراعاة حُقوق الآخرين

سبق أن ذكرنا في مبحث « غرس الأصول النفسية النبيلة » أن الإسلام أقام قواعد التربية الفاضلة على أصول نفسية تتصل بالعقيدة ، وترتبط بالتقوى ... لتتم التربية الاجتماعية لدى الفرد على أنبل معنى ، وأكمل غاية ... حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر ، والترابط الوثيق ، والأدب العالي ، والمحبة المتبادلة ، والنقد الذاتي البناء ..

وكنا ألمحنا إلى أن من أميز الأصول التي يجب أن يقوم التعامل الاجتماعي على أساسها هي : عقيدة الإيمان والتقوى . وفضيلة الأخوة والمحبة . ومبادىء الرحمة والإيثار والحلم .. وخُلق الإقدام والجرأة في الحق ..

وكنا أكدنا أن المربين جميعاً إذا لم يرسخوا هذه الأصول النفسية في نفوس أطفالهم منذ الصغر .. فإنهم - ولاشك - سيسيرون في المجتمع في طريق الشذوذ والانحراف .. بل يكونون أداة هدم وإجرام وتخريب لكيان المجتمع وتماسكه .. وإذا شبّوا على هذا الفساد والانحراف .. لاينفع معهم توجيه ولا تربية ولا إصلاح !!..

فالذي نخلص إليه بعد هذه التقدمة أن مراعاة حقوق المجتمع متلازمة كل التلازم مع الأصول النفسية النبيلة ، بل بعبارة أوضح أن الأصول النفسية معنى ، وأن مراعاة حقوق المجتمع مظهر ، وإن شئت فقل : الأولى روح ، والثانية جسم ، فلا يمكن استغناء الأولى عن الثانية بحال .. وإلا كان الخلل والفوضى والاضطراب ..

ولكن ما هي أهم هذه الحقوق الاجتماعية التي يجب أن نرشد الولد إليها ، وننشئه عليها ، ونأمره بها .. حتى يعتاد عليها ويقوم بأدائها خير قيام ؟ ..

أهم هذه الحقوق هي :

١ – حق الأبوين

٢ – حق الأرحام .

٣ – حق المعلم .

٤ – حق الرفيق .

٥ – حق الكبير .

ولنتكلم عن كل حق من هذه الحقوق بشيء من التفصيل ، ليقوم المربي على غرسها وترسيخها في الولد منذ نشأته وعلى الله التكلان ، وهو المستعان :

١ – حق الأبوين :

إن من أهم ما يجب أن يحرص المربي عليه تعريف الولد بحق والديه عليه وذلك ببرّهما وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما ، ورعاية شيخوختهما ، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما ، والدعاء لهما بعد مماتهما .. إلى غير ذلك من هذه الحقوق الواجبة ، والآداب الأبوية اللازمة ..

وهذه طائفة **من وصايا النبي** ﷺ في برّ الوالدين ، فعلى الآباء والمربين أن يعلّموها أولادهم منذ الصغر حتى يأخذوا بها ، ويعملوا على إرشاداتها .

(أ) **رضي الله في رضاهما :** روى البخاري (في الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحداً فواحد . وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وإن ظلماه ؟ قال : وإن ظلماه » .

وجاء في سبل السلام عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال : « رضى الله في رضى الوالدين ، وسخط الله في سخط الوالدين » .

(ب) **برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله** : روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي ﷺ : أجاهد ، قال : لك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد .

وروى أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك ، فقال : هل لك من أم ؟ قال نعم ، قال : « الزمها فإن الجنة عند رجليها » .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله ، قال : فهل من والديك أحد حيّ ؟ قال : بل كلاهما قال : فتبتغي الأجر من الله ؟ قال : نعم ، قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » .

(ج) من البر الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما : امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى : ﴿ **واخفضْ لهما جَناح الذُّل من الرحمة وقل رَبِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ .
(الإسراء : ٢٤)

وروى البخاري في (الأدب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ترفع للميت بعد موته درجته فيقول : أيْ ربّ أي شيء هذا ؟ فيقول له : ولدك استغفر لك » .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن مالك بن ربيعة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يارسول الله هل بقي علي من برّ أبوي شيء أبرّهما به بعد وفاتهما ؟ قال : نعم ، « الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما » .

هذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضرب لنا المثل الصالح في الولد الصالح البار ؛ ويروي لنا عبد الله بن دينار ذلك فيقول : — كما روى مسلم في صحيحه — أن عبد الله بن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله إنهم الأعراب ، وإنهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : إن أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطاب ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه » .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من البر أن تصل صديق أبيك » .

(د) **تقديم الأم بالبرّ على الأب** : لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، من أحقّ بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك . قال : ثم مَنْ ؟ قال : أمك . قال : ثم من ، قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » .

وروى ابن كثير في تفسيره عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملًا أمه يطوف بها ، فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة[1] واحدة .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن بريدة أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة لو ألقيت فيها بضعة لحم لنضجت فهل أديت شكرها ؟ فقال : لعله أن يكون لطلقة واحدة .

والإسلام قدم الأم بالبر على الأب لسببين :

الأول : أن الأم تعاني بحمل الولد وولادته وإرضاعه والقيام على أمره وتربيته أكثر مما يعانيه الأب ، وجاء ذلك صريحاً في قوله تبارك وتعالى :

---

(١) يقصد التوجع الذي تلاقيه الأم أثناء الحمل والولادة

﴿ ووصينا الإنسانَ بوالديه حملته أُمُّه وَهْناً على وَهْنٍ وفصالُهُ في عامين أن اشكُرْ لي ولوالديك إليَّ المصير ﴾ . (لقمان : ١٤)

وقبل قليل سمعنا قول الرجل الذي قال للرسول ﷺ إنى حملت أمي على عنقي ... فهل أديت شكرها ؟ وسمعنا جوابه عليه الصلاة والسلام : « لعله أن يكون لطلقة واحدة » .

ومن طرائف مايذكر في هذا أن رجلا سمع أعرابيا حاملا أمه في الطواف وهو يقول :

إني لها مطيــــة لا أذعـــر (١) إذا الركاب (٢) نفرت لا أنفـر
ما حملَتْ وأرضعتني أكثــــرُ الله ربي ذو الجلال أكبـــرُ

ثم التفت الى ابن عباس وقال : أتراني قضيت حقَّها ؟ .

قال لا والله ولا طلقة من طلقاتها .

الثاني : أن الأم - بما جبلت عليه من عاطفة وحب وحنان - أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب .. فالولد قد يتساهل في حق أمه عليه لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها .. لهذا جاءت الشريعة الغراء موصية الولد بأن يكون أكثر براً بها ، وطاعة لها .. حتى لايتساهل في حقها ، ولايتغاضى عن برها واحترامها وإكرامها ..

وما يؤكد حنان الأم وشفقتها أن الولد مهما كان عاقاً لها ، مستهزئاً بها ، معرضاً عنها .. فإنها تنسى كل شيء حين يصاب بمصيبة ، أو تحل عليه كارثة ..

ذكر أبو الليث السمرقندي عن أنس رضي الله عنه : « أن شاباً كان على عهد رسول ﷺ يسمى علقمة ، فمرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله فلم

(١) لاأذعر : لاأفزع .
(٢) الركاب : الابل .

ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال : هل له أبوان ؟ فقيل : أما أبوه فقد مات ، وله أم كبيرة ، فأرسل إليها ، فجاءت ، فسألها عن حاله فقالت : يارسول الله كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بجملة دراهم ماندري ماوزنها وماعددها ؟ قال : فما حالك وحاله ؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطة واجدة ، قال لها : ولِمَ ذلك ؟ قالت : كان يؤثر عليّ امرأته ويطيعها في الأشياء ، فقال رسول الله ﷺ : « سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله » .

ثم قال : يابلال ، انطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار ، فقالت : يارسول الله ! ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار ، بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبي ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : يسرّك أن يغفر الله له فارضي عنه ؟ فوالذي نفسي بيده لاينتفع بصلاته ولابصدقته .. مادمت ساخطة ، فرفعت يدها وقالت : أشهد الله تعالى في سمائه ، وأنت يارسول الله ومن حضر أني قد رضيت عنه ، فقال رسول الله ﷺ : يابلال ، انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول : لا إله إلا الله فلعل أمه قد تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله ؛ فانطلق بلال ، فلما انتهى إلى الباب سمعه يقول : لا إله إلا الله ومات من يومه وغسل وكفن ، وصلّى النبيّ عليه الصلاة والسلام عليه ، ثم قام على شفير القبر ، وقال : يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ، ولايقبل منه صرف[1] ولاعدل[2] » وروى الحديث بلفظ آخر الطبراني وأحمد . لهذين السببين كان بر الأم مقدماً على بر الأب ..

ألا فليعلم المربون هذا ، ليقوموا بمهمتهم الكبرى في تلقين الولد حقيقة البر ، والعطف على الأم ، والعناية بها ، والقيام بحقها ..!!

(هـ) **آداب البر بالأبوين** : على المربين أن يلقنوا الأولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم وهي مرتبة كما يلي : ألا يمشوا أمامهم ، وألا ينادوهم بأسمائهم ،

---

(١) الصرف : التوبة

(٢) العدل : الفدية .

وألا يجلسوا قبلهم ، وألا يتضجروا من نصائحهم ، وألا يأكلوا من طعام ينظرون إليه ، وألا يرقوا مكاناً عالياً فوقهم ، وألا يخالفوا أمرهم ...

والأصل في مراعاة هذه الآداب قوله تبارك وتعالى :

﴿ وقضى ربُّك ألّا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ! إما يبلُغنّ عندك الكبَرَ أحدهما أو كِلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ[1] ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرحمةِ وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾
(الإسراء : ٢٣ - ٢٤)

وقوله عليه الصلاة و السلام :

- « ما برّ أباه من سدّد إليه الطرف بالغضب » (مجمع الزوائد) ج : ٨ .

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له : يا هذا : من هذا الذي معك ؟ قال : أبي ، قال : فلا تمش أمامه ، ولاتجلس قبله ، وتَدْعُهُ باسمه ، ولاتستسبب له (مجمع الزوائد) ج : ٨.

وهذه طائفة من أخبار السلف في التزام هذه الآداب مع آبائهم :

● ذكر صاحب عيون الأخبار هذا الخبر : قيل لعمر بن زيد : كيف برّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهاراً قط إلّا وهو خلفي ، ولا ليلا إلّا مشى أمامي ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

● وذكر صاحب (مجمعَ الزوائد) هذه القصة : عن أبي غسان الضبيّ قال : خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة ، فلقيني أبو هريرة فقال : من هذا ؟ قلت : أبي ،

(١) أُفٍّ : كلمة تضجر وتأفف .

قال : (لاتمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه أو إلى جانبه . ولاتدع أحداً يحول بينك وبينه ، ولاتمش فوق الجار (سطح) أبيك . ولا تأكل عَرْقاً[1] قد نظر أبوك إليه لعلّه اشتهاه .

● ومما جاء في (عيون الأخبار) : قال المأمون رحمه الله : لم أر أحداً أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره أن يحيى كان لايتوضأ الا بماء مسخن ، وهما في السجن ، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة . فقام الفضل — حيث أخذ أبوه يحيى مضجعه — إلى قمقم كان يسخن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح . فعل كل هذا براً بأبيه ليتوضأ بالماء الساخن .

● وحضر صالح العباسي مجلس المنصور مرة ، وكان يحدثه ، ويكثر من قوله : (أبي رحمه الله) ، فقال له حاجبه الربيع : لاتكثر من الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين ، فقال : لاألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء ، فتبسم المنصور وقال : هذا جزاء من تعرض لبني هاشم .

● وروى ابن حبان في صحيحه : أن رجلا أتى أبا الدرداء ، فقال : إن أبي لم يزل بي حتى زوّجني ، وإنه الآن يأمرني بطلاقها ؟ قال : ما أنا الذي آمرك أن تعُق والديك ، ولا بالذي آمرك أن تطلّق امرأتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فحافظ على ذلك الباب إن شئت أو دَعْ[2] » .
قال : فأحسب عطاء قال : فطلّقها .

وفي رواية ابن ماجه والترمذي أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : إن لي امرأة ، وإن أمي تأمرني بطلاقها ؟، فقال : : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضِعْ هذا الباب أو احفظه .

---

(١) العَرق : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم
(٢) دع : أي اترك وتجنب .

● وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان تحتي امرأة أحبها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لي : طلقها فأبيت ، فأتى عمر رسول الله ﷺ : فذكر ذلك له ، فقال لي رسول الله ﷺ :طلقها .

(و) **التحذير من العقوق** : العقوق معناه العصيان والمخالفة وعدم أداء الحقوق .. فمن العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب . ومن العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه .

ومن العقوق أن يتعاظم الولد عن تقبيل يديْ والديه ، أو لا ينهض لهما احتراماً وإجلالاً ..

ومن العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحيي أن يعرِّف بأبيه لاسيما إذا كان الولد في مركز اجتماعي مرموق .

ومن العقوق ألا يقوم الولد بحق النفقة على أبويه الفقيرين فيضطرهما إلى إقامة الدعوى عليه ليلزمه القاضي بالإنفاق عليهما .

ومن أكبر العقوق أن يتأفف الولد من أبويه ويتضجر منهما ويعلو صوته عليهما ، ويقرّعهما بكلمات مؤذية جارحة ، ويجلب الإهانة لهما ، والمسبة لشخصهما ..

فلا عجب أن يحذّر عليه الصلاة والسلام من العقوق ، وأن يبين ما للعاق من الإثم والوزر وحبوط العمل ، والانتقام في العاجلة والآجلة :

– روى البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (رحمة به وإشفاقاً عليه) » .

– وروى أحمد والنسائي والبزار والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : « مدمنُ الخمر ، والعاق لوالديه ، والديّوث الذي يقر الخبث في أهله » .

– وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه ، قال : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ، قال : نعم يسبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

– وروى أحمد وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات ، قال : « لاتشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرّقت ، ولاتعُقّنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ... » .

– وروى الحاكم والأصبهاني عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كل الذنوب يؤخر الله ماشاء إلى يوم القيامة إلاعقوق الوالدين ، فإن الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات » .

– وسبق أن ذكرنا حديث علقمة في بحث (تقديم الأم على الأب في البر) فارجع إليه لترى نتيجة من يَعق والديه .

– وروى الاصبهاني وغيره عن أبي العباس الأصم عن العوّام بن حوشب رضي الله عنه قال : نزلت مرة حيًّا ، وإلى جانب ذلك الحي مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار ، وجسده جسد إنسان ، فنهق ثلاث نهقات ، ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً ، فقالت امرأة : ترى تلك العجوز ؟ قلت : مالها ؟ قالت : تلك أم هذا ، قلت : وماكانت قصته ؟ قالت كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه : يابنيّ اتق الله إلى متى تشرب هذه الخمر ، فيقول لها : انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار ، قالت : فمات بعد العصر ، قالت : فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم ، فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر .

* * *

هذه هي أهم الأسس التي يجب على المربي أن ينشيء ولده عليها ، ويلقنه اياها حتى يتدرج الولد على البر ، ويفهم منذ نعومة أظفاره حق الابوين ..

وإذا كان الولد منذ الصغر يقوم بهذا الحق على الوجه الصحيح الذي يريده الاسلام فان قيامه بالحقوق الاخرى من أرحام وجيران ومعلمين .. يكون أرغب وآكد .. لأن فضيلة بر الوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية جميعاً ، فمن السهل على الولد الذي تربى على البر واحترام الأبوين .. أن يتربى على احترام الجار ، واحترام الكبير ، واحترام المعلّم ، واحترام الناس جميعاً ...

لهذا كله - كان تركيزي في البحث على الوالدين أكثر من أي حق من الحقوق الاجتماعية التي سيأتي التفصيل عنها ، ذلك لأن فضيلة البر بالأبوين هي أمّ الفضائل جميعاً ، بل هي منطلق لكل حق في هذا الوجود !!..

فاستنتاجاً مماذكر نضع بين يدي المربي أهم التوجيهات التي يجب أن يلقن عليها الولد :

١ - إطاعة الأم والأب في كل ما يأمران به الولد إلا المعصية .

٢ - مخاطبتهما بلطف وأدب .

٣ - النهوض لهما إذا دخلا عليه .

٤ - تقبيل يديهما صباحاً ومساء وفي المناسبات .

٥ - المحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما .

٦ - إكرامهما وإعطاؤهما كل ما يطلبان .

٧ - مشاورتهما في كل الأعمال والأمور .

٨ - الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما .

٩ - إذا كان عندهما ضيف فالجلوس بقرب الباب ، ومراقبة نظراتهما لعلهما يأمران بشيء خفية .

١٠ - العمل على مايسرهما من غير أن يأمرا الولد به .

١١ - عدم رفع الصوت عالياً أمامهما .

١٢ - عدم مقاطعتهما أثناء الكلام .

١٣ - عدم الخروج من الدار إذا لم يأذنا .

١٤ – عدم ازعاجهما إذا كانا نائمين .

١٥ – عدم تفضيل الزوجة والولد عليهما .

١٦ - عدم لومهما إذا عملا عملاً لا يعجبك .

١٧ – عدم الضحك بحضرتهما إذا لم يكن ثمّة موجب للضحك .

١٨ – عدم تناول الطعام مما يليهما .

١٩ – عدم مد اليد إلى الطعام قبلهما .

٢٠ – عدم النوم والاضطجاع وهما جالسان إلا إذا أذنا بذلك .

٢١ – عدم مد الرجلين أمامهما .

٢٢ – عدم الدخول قبلهما ، أو المشي أمامهما .

٢٣ – تلبية ندائهما بسرعة في حال ندائهما .

٢٤ – إكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما .

٢٥ – عدم مصاحبة إنسان غير بارّ بوالديه .

٢٦ – الدعاء لهما ولاسيما بعد الموت فإنهما ينتفعان به ، والإكثار من قوله تعالى : ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ .

حق الأرحام :

الأرحام هم من ترتبط بهم – أيها الإنسان – بصلة القرابة والنسب ، وهم على الترتيب التالي : الآباء والأمهات ، والأجداد والجدات ، والإخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، وأولاد الأخ ، وأولاد الأخت ، والأخوال والخالات ، ثم من يليهم من الأقرباء ، الأقرب فالأقرب ..

وهؤلاء سمّوا في الشرع أرحاماً لسببين :

الأول : لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن ؛ وهذا ماأكده النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول

الله ﷺ يقول : عن الله عز وجل (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته) .

ولايخفى ما في الاشتقاق من باعث إلى الرحمة ، ومن دافع إلى العطف والحنان نحو من له حق الصلة من ذوي القرابة والنسب .

الثاني : لانحدار القرابة من الأصل الذي ينتمي إليه الإنسان ، وهذا ماعناه النبي ﷺ في توجيهاته الكريمة في وجوب الصلة ، والتحذير من القطيعة ..

وهذا – لاشك – مما يحرك عاطفة القرابة من أعماقها ، ويثير في الحنايا مشاعر أخوية ما أسماها !!..

فما على المربين إذن – بعد تبيان هذه الحقائق – إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، ليُبَصِّروا الولد منذ سن الوعي والتمييز بحقوق القرابة والرحم .. لتنمو في نفسية الولد نزعة التطلع إلى الاجتماع بالآخرين ، وتتأصل في ذاتيته محبة من تربطه وإياهم رابطة النسب .. حتى إذا بلغ الولد سن الرشد والنُضج العقلي قام بواجب العطف والإحسان لهم ، واحترم كبيرهم ، ورحم صغيرهم ، وكفكف دموع الحزن عن مصابهم ، ومدّ يد العون والإحسان إلى مكروبهم وفقيرهم .. وهذا لايتأتى إلا بتأديب الولد على هذه الخصال ، وتعويده على هاتيك الفضائل والمكارم .

فلا عجب حين نتلو كتاب الله عز وجل أن نمرّ على الآيات التي تحض على صلة الرحم ، وتأمر بالإحسان إلى ذوي القربى ..

واليكم – أيها المربون – طائفة من هذه الآيات :

– ﴿ واتقوا الله الذي تساءلونَ به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾
(النساء : ١)

- ﴿ وآتِ ذا القربى حقَّهُ والمسكينَ وابن السبيلِ ولاتبذِّر تبذيراً ﴾ .

(الإسراء : ٢٦)

- ﴿ واعبُدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القُربى واليتامى والمساكينِ والجارِ ذي القربى ... ﴾

(النساء : ٣٦)

وبالمقابل القرآن الكريم يحذر من قطيعة الرحم ، ويعتبر هذه القطيعة بغياً وإفساداً في الأرض يستحق صاحبها اللعنة وسوء الدار ، قال تعالى :

- ﴿ والذين ينقُضُون عهدَ الله من بعد ميثاقِهِ ، ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصل ويُفسِدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .

(الرعد : ٢٥)

- وقال أيضاً : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تُفسِدوا في الأرضِ وتُقطِّعُوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

(محمد : ٢٢ - ٢٣)

فإذا كانت هذه نهاية ومصير من يقف من رحمه هذا الموقف الظالم المعادي .. فما على المربين إلا أن يبينوا لمن كان لهم عليهم حق التربية مغبة القطيعة ، ومايترتب عليها من نتائج وخيمة لاتحمد عقباها ، كما عليهم أن يبصروهم بالثمرات التي يجنونها من صلتهم للرحم ، وقيامهم بحق القرابة ..

وإليكم - أيها المربون - أفضل الثمرات في صلة الرحم ، أرشد إليها المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه عسى أن تعلموها أولادكم ، وتلقنوها لمن كان له حق التربية عليكم :

● **صلة الرحم شعار الايمان بالله واليوم الآخر** لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

● **صلة الرحم تزيد في العمر ، وتوسع في الرزق** لما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحبَّ أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره (يزاد في عمره) فليصل رحمه » .

● **صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء** لما روى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ سمعه يقول : « إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ، ويدفع بهما ميتة المكروه والمحذور » .

● **صلة الرحم تعمر الديار وتثمر الأموال** لما روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعمِّر بالقوم الديار ، ويثمِّر لهم الأموال ، ومانظر اليهم منذ خلقهم بغضاً لهم ، قيل وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : بصلتهم الرحم » .

● **صلة الرحم تغفر الذنب وتكفر الخطايا** لما روى ابن حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا ، قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم ، قال : فبرَّها .

● **صلة الرحم تيسر سبيل الحساب وتدخل صاحبها الجنة** لما روى البزار والطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته ، قالوا : وما هي يارسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة » .

وروى الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لايدخل الجنة قاطع رحم » .

● **صلة الرحم ترفع الواصل إلى الدرجات العلى يوم القيامة** لما روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على مايرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : تحلُم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

فحينما يضع المربي بين يدي الولد هذه الفضائل التي يحظى بها من رحمه .. فلاشك أن الولد يندفع بكليته إلى محبة أقربائه ، وصلة أرحامه ، فيعرف لهم فضلهم ، ويؤدي إليهم حقهم ، ويشاركهم في آلامهم وأفراحهم ، ويفرّج عن مكروبهم وفقيرهم .. وهذا لعمري غاية البر ، ومنتهى الصلة ..

فما أحوجنا إلى مربين يعلّمون الأولاد هذه الحقائق ، ويرشدونهم إلى هاتيك المكارم والخصال ؟!..

٣ - حق الجار :

ومن الحقوق التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها حق الجار ولكن من هو الجار ؟ هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال ، والفوق والتحت .. إلى أربعين داراً .. فكل هؤلاء جيرانك ، لهم عليك حقوق . وعليهم لك واجبات .. وهذا المعنى للجوار مستفاد من الحديث الذي رواه الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : يارسول الله إني نزلت في محلّة بني فلان ، وإن أشدهم إليّ أذى أقربهم لي جواراً ، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم يأتون المسجد ، فيقومون على بابه ، فيصيحون : ألا إن أربعين دارا جار ، ولايدخل الجنة من خاف جاره بوائقه (شروره) .

وحقوق الجار – في نظر الإسلام – ترجع إلى أربعة أصول : هي ألا يلحق الرجل بجاره أذى ، وأن يحميه ممن يريده بسوء ، وأن يعامله بإحسان ، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح ..

(أ) كف الأذى عن الجار :

والأذى أنواع منها : الزنى ، والسرقة ، والسباب ، والشتائم ، ورمي الأوساخ .. وأخطرها الزنى ، والسرقة ، وانتهاك الحرمة ، وهذا مما أكده رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه لما كان يوجه أصحابه إلى أكرم الخصال وينهاهم عن أقبح الفعال .. روى الإمام أحمد والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : ماتقولون في الزني ؟ قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة ، قال : فقال رسول الله ﷺ : لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ، قال : ماتقولون في السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام إلى يوم القيامة . قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره .

أما أذى اليد وأذى اللسان فيدخل في مضمون قوله عليه الصلاة والسلام : (والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، قيل مَنْ يارسول الله ؟ قال الذي لايأمن جاره بوائقه (شروره) رواه الشيخان .

ويروى عن عبد الملك بن مروان قال : لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول (العُجير السلولي) :

يبين الجار حين يبين عني ولم تأنس إليّ كلاب جاري
وتظعن جارتي من جنب بيتي ولم تستر بستر من جدار
وتأمن أن أطالع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار
كذلك هدي آبائي قديماً توارثه النجار عن النجار

ويشبه قول حاتم الطائي في الحفاظ على عرض الجار :

إذا ما بتّ أختل (١) عرس جاري
ليخفيني الظلام فما خفيتُ

أأفضح جارتي وأخون جاري
فلا والله أفعل ما حييتُ

وكذلك قول عنترة :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي .
حتى يُواري جارتي مأواها

ومما يؤذي الجار النظر إليه بعين الاحتقار ، مثلما يفعل من لم يتربوا تربية فاضلة إذ يزرون جارهم الفقير ، ويحتقرون ابن حيّهم المسكين ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

فما أحد منا بمُهدٍ لجاره أذاة ولا مُزرٍ به وهو عائد
لأنا نرى حقَّ الجوار أمانة ويحفظه منا الكريم المعاهد

(ب) حماية الجار :

حماية الجار ، وكف الظلم عنه ، أثر من آثار طهارة النفس ، بل مكرمة من أنبل المكارم الخلقية في نظر الإسلام ، ومما ينبه لشرف همة الرجل نهوضه لإنقاذ جاره من مصيبة نالته ، أو بلاء حلّ به ، وكانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم ، وسطرتها دواوينهم .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

---

(١) أختل : أرقب العرس من حيث لايشعرون .

ولا ضيفنا عند القرى بمدفَّع
وماجارنا في النائبات بمُسْلَم

وقال أيضاً :

يواسون مولاهُمْ في الغِنا
ويحمون جارهم إنْ ظُلِمْ

وقال حسان بن نشبة :

أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوّهم
وقد ثار نقعُ الموتِ حتى تكوثرا

وكان لأبي حنيفة جار بالكوفة إذا انصرف من عمله يرفع صوته في بيته منشداً :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسِداد ثَغْرِ

فيسمع أبو حنيفة غناءه بهذا البيت ، فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، وسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه ، فركب إلى (الأمير عيسى بن موسى) وطلب منه إطلاق الجار ، فأطلقه في الحال ، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة ، وقاله له سراً : فهل أضعناك يافتى ؟ قال : لا ، ولكن أحسنتَ وتكرمتَ ، أحسن الله جزاءك ، وأنشد :

وماضرّنا أنّا قليل وجارُنا
عزيز وجارُ الأكثرين ذليل

والأصل في حماية الجار ، ودفع الظلم عنه ، وعدم خذلانه مارواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ، ولايسْلمه (يخذله) ؛ من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن

مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

(ج) الإحسان إلى الجار :

لايكفي المرء في حسن الجوار أن يكف أذاه عن الجار ، أو يدفع عنه بيده أو جاهه يداً طاغية ، بل يدخل في حسن الجوار أن يجامله بنحو التعزية عند المصيبة ، والتهنئة عند الفرح ، والعيادة عند المرض ، والبداءة بالسلام ، وإرشاده إلى ماينفعه بعلمه ونصحه من أمر دينه ودنياه .. وعلى العموم أن يواصله بما استطاع من إكرام ..

والأصل في هذا الإحسان مارواه الخرائطي والطبراني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أتدري ما حق الجار ؟ : اذا استعانك أعنته ، وإذا استقرضك أقرضته ، وإذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإذا أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات اتبعت جنازته ، ولاتستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولاتؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلهاسراً ، ولايخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

وقد عدّ رسول الله ﷺ إكرام الجار في خصال الإيمان فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . الشيخان .

وقال تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنُب [١] والصَّاحِبِ بالجَنْبِ [٢] وابن السبيل ﴾
(النساء : ٣٦)

---

(١) الجار البعيد الذى لايمت إليك بقرابة .
(٢) من يرافقك في نحو سفر أو تعلم أو صناعة .

وما يؤكد هذه الحقوق للجار القريب ، والجار البعيد ... ما رواه الطبراني عن جابر رضي الله عنه : « الجيران ثلاثة : جار له حق : وهو المشرك ؛ وجار له حقان : وهو المسلم ، له حق الجوار ، وحق الإسلام ؛ وجار له ثلاثة حقوق : مسلم له رحم ، فله حق الجوار ، وحق الإسلام والرحم »

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، وغلام له يسلخ شاة ، فقال : ياغلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مراراً ، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » البخاري ومسلم .

والمتأدبون بأدب القرآن يحافظون على حقوق الجار حق الرعاية ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : « لاتبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين إلا أن تنزل بين أبويها » .

ومن الإحسان إلى الجار بذل ما يطلبه من نحو النار والملح والماء ، وإعارته مااعتاد الناس استعارته من أمتعة البيت ، وحاجات المنزل .. كالقدر ، والصفحة ، والسكين ، والقدوم ، والغربال .. وحمل كثير من المفسرين الماعون في قوله تعالى : « ويمنعون الماعون » . على هذه الأدوات ونحوها ، ذلك أن منعها دليل لؤم الطبيعة ، ودناءة النفس ؛ قال مهيار :

لجارهم من دراهم مثل مالهم
على راحة من عيشهم ولغوب

وكان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بأبي دؤاد ، وهو كعب بن أمامة فيقولون : « جار كجار أبي دؤاد » وكان أبو دؤاد هذا إن هلك لجاره بعير أو شاة أخلفها عليه ، وإذا مات الجار أعطى أهله مقدار ديته من ماله .

قال الخوارزمي في (مفيد العلوم) : كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي ، فأراد أن يبيع داره فقيل له : بكم تبيع ؟ قال : بألفين ، فقيل له : لاتساوي إلا ألفاً ،

قال : صدقتم ، ولكن ألف للدار ، وألف لجوار عبد الله بن المبارك ، فأخبر ابن المبارك بذلك فدعاه فأعطاه ثمن الدار ، وقال : لاتبعها . ولولا ما لقيه اليهودي من ابن المبارك من حسن الخلق ، وكريم المعاملة لما وقف من بيع الدار هذا الموقف !!.

(د) احتمال أذى الجار :

للمرء فضل في أن يكف عن جاره الأذى ، وله الفضل في أن يجيره ويدفع عنه يد السوء ، وله فضل في أن يواصله بالإحسان جهده ، وهناك فضل رابع هو أن يتجاوز عن أخطائه ، ويتغاضى عن هفواته ، ويتلقى كثيراً من إساءاته بالصفح والحلم ، ولاسيما إساءة صدرت من غير قصد ، أو إساءة ندم عليها ، وجاء معتذراً منها ؛ قال الحريري في مقاماته : (وأراعي الجار ولو جار) .

ولاشك أن الذي يحلم على من جهل عليه ، ويحسن إلى من أساء اليه . ويعفو عمن ظلمه يكون في أعلى مراتب الكرامة ، وفي أرفع منازل السعادة يوم القيامة .. روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على مايرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

وكثيراً ما يكون الصفح عن المذنب ، والعفو عن المسيء ، دواء لسوء خُلُقه ، وتقويماً لانحرافه واعوجاجه ، فيعود الجفاء إلى إِلْفَة ، والمناوأة إلى مسالمة ، والبغضاء إلى محبة .. ، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ ولاتستوي الحسنةُ ولا السيِّئةُ ادفع بالتي هي أحسَنُ ، فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ ﴾

(فصلت : ٣٤)

ومن المسلّم به عند علماء التربية والأخلاق أن التسرع إلى دفع السيئة بمثلها أو بأشد منها دون نظر إلى مايترتب عليها من الأثر السيء ، والنتائج الوخيمة دليل واضح على ضيق الصدر ، والعجز عن كبح جماح الغضب ، وإنما يتفاضل الناس في الأخلاق والسيادة .. على قدر تدبّرهم للعواقب ، وتبصرهم للنتائج ، وإسكاتهم لثورة الانفعال إذ طغت .. ومن هنا كان الذي يملك نفسه عند الغضب من أقوى الأقوياء ، ومن أعظم الأبطال في نظر النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه (١) .

تلكم أهم الأصول في حقوق الجوار ، وأميز الأسس في معاملة الجار .. فما على المربين إلا أن يسعوا جهدهم في تخليق الولد - منذ التمييز - على فضيلة حسن الجوار ، ومراعاة حقوق الجار .. حتى إذا بلغ السن التي تؤهله لأن يتعامل مع الآخرين ، ويساكنهم ، ويكون بجوارهم .. كف الأذى عنهم ، وحماهم من كل ظلم واعتداء ، وواصلهم بالبر والإحسان ، واحتمل منهم كل مايلقاه من إساءة وأذى ..

وتخليق الولد على هذه الأصول الأربعة في حقوق الجوار لايتم إلا بشيئين :

الأول : تلقينها شفوياً في المناسبات وغير المناسبات ..

الثاني : تطبيقها عملياً مع من كان من سنه من أبناء الجيران ..

ولاشك أن الولد حينما يتخلق على هذه الخصال الكريمة منذ الصغر تنمو في نفسه نزعة التطلع إلى الاجتماع بالآخرين ، بل يصبح إنساناً اجتماعياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، بل تتلاشى من نفسيته آفات العزلة والانكماش والانطوائية .. فيثبت وجوده حيثما كان ، ويبرز شخصيته أينما وجد .. وماذاك إلا بفضل التربية الاجتماعية التي تخلّق بها ، وتدرّج عليها ، وسلك وسائلها وأسبابها ..

---

(١) في الحديث : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ألا فليتنبه المربون إلى الأسس التي تنمي شخصية الولد . وتجعله من أماجد الناس وفضلائهم !!

٤ – حق المعلم :

ومن الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتنبه المربون لها ، ويذكّروا بها ، ويلحوا عليها تربية الولد على احترام المعلم ، وتوقيره ، والقيام بحقه .. حتى يتنشأ الولد على الأدب الاجتماعي الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم والتوجيه والتربية ولاسيما إن كان المعلم يتصف بالصلاح . ويتّسم بالتقوى ، ويتميز بمكارم الأخلاق ..

ولقد وضع نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أمام المربين وصايا كريمة ، وتوجيهات سامية في إكرام العلماء ، وإجلال المعلمين ، ليعلم الناس لهم فضلهم ، وليقوم من كان له شرف التلمذة بحقهم ، ويلتزم التلاميذ الأدب معهم ..

وإليكم هذه الطاقة العطرة من الوصايا والتوجيهات :

روى أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من أمتي من لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا (حقه) » .

– وروى الطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلّمون منه » .

– وروى الطبراني في (الكبير) عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ : « ثلاث لايستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مُقْسط » .

– روى الإمام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال :

« اللهم لا يدركني زمان ، لايتّبع فيه العليم [1] ، ولايستحيا فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب » .

– وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ « كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد (يعني في القبر) ، ثم يقول : أيهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد » .

ونستخلص من مجموعة هذه الوصايا الأمور التالية :

● على المتعلم **أن يتواضع لمعلمه** ، ولايخرج عن رأيه وتوجيهه ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرى رضاه فيما يعتمده ، بل عليه أن يعلم أن ذله لمعلمه عزّ وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعة .

ومما يقال : إن الشافعي رضي الله عنه عوتب على تواضعه للعلماء ، فقال :

أهين لهم نفسي فهمْ يُكرمونها
ولن تُكْرَمَ النفس التي لاتهينُها

وأخذ ابن عباس رضي الله عنه مع جلالة قدره ، وعلو منزلته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري وقال : « هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل لخلف الأحمر : « لاأقعد إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه » .

وقال الإمام الغزالي : « لاينال العلم إلا بالتواضع ، وإلقاء السمع .. » .

● وعلى المتعلم أن **ينظر إلى معلمه بعين الإجلال ، ويعتقد فيه درجة الكمال** فإن ذلك أقرب إلى الاستفادة منه ، والنفع به .

---

(١) يتعوذ من زمن يعرض فيه الناس عن العالم الفقيه .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : (كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها) .

وقال الربيع : (والله ماجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له) .

وحضر أحد أولاد الخليفة المهدي عند شُريك ، فاستند إلى الحائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شُريك ، ثم عاد ، فعاد شريك بمثل ذلك ، قال ابن الخليفة : تستخف بأولاد الخلفاء هذا الاستخفاف ؟ قال : لا ، ولكن العلم أجلّ عند الله من أن أضيعه(١) .

وينبغي ألا يخاطب معلمه بتاء الخطاب أو كافه ، بل يناديه بقوله : ياسيدي ، ويامعلمي ، وياأستاذي ... وكذلك لايذكر اسم معلمه في غيبته إلا مقروناً بما يشعر السامع بإجلاله وتوقيره كقوله : قال : معلمنا الفاضل كذا ، أو قال : أستاذنا فلان كذا .. أو قال مرشدنا الفلاني كذا ..

● وعلى المتعلم ان يعرف **لمعلمه حقه ، ولاينسى له فضله** ، قال شعبة : (كنت اذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً مايحيا) ، وقال : (ما سمعت من أحد شيئاً إلا واختلفت(٢) إليه أكثر مما سمعت منه) .

ورحم الله شوقي قال :

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجلّ من الذي
يبني وينشيء أنفساً وعقولا

---

(١) لكونه مستندا غير متأدب بجلسته في حلقة العلم .

(٢) ترددت إليه للخدمة .

وينبغي للولد المتعلم أن يدعو لأستاذه مدة حياته ، ويرعى ذريته وأقاربه وأهل ودّه بعد وفاته ، ويعتمد زيارة قبره ، والاستغفار له ، والصدقة عنه في كل فرصة سانحة ، ويراعي في العلم والدين والأخلاق عادته ، ويقتدي بحركاته وسكناته ، ويتأدب بآدابه باعتباره الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ..

● وعلى المتعلم أن يصبر على سوء خلق معلمه وجفوته .. ولايصده عن ذلك ملازمته ، والاستفادة منه ، ويبدأ هو عند جفوة المعلم وغضبه بالاعتذار والتوبة مما وقع منه ، وينسب موجب الغضب إليه ، ويجعل العتب عليه ، فإن ذلك أبقى لمودة أستاذه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دينه ودنياه وآخرته ..

ومما ينقل عن بعض السلف : (من لم يصبر على التعليم ، بقي عمره في عماية الجهالة ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ذَلَلْت طالباً فعززتُ مطلوباً » .

وقال الشافعي رحمه الله : قيل لسفيان بن عيينة : إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك ، فقال للقائل : (هم حمقى إذا هم تركوا ماينفعهم لسوء خلقي) .

ولبعضهم قوله :

إن المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان(١) إذا هما لم يُكرَما
فاصبرْ لدائك إن جفوتَ طبيبه
واصبرْ لجهلك إن جفوتَ معلماً

---

(١) ليس ذلك على إطلاقه لأن بعض المعلمين والأطباء يعملون لوجه الله ، لا يريدون من وراء عملهم جزاء ولا شكوراً .

● وعلى المتعلم **أن يجلس بين يدي معلمه جلسة الأدب** بسكون وتواضع واحترام .. مصغياً إلى أستاذه ، ناظراً إليه ،مقبلا بكليته عليه ، غير ناظر إلى يمينه أوشماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ...

وعلى المتعلم كذلك أن يكون متجنباً في حضرة معلمه كل ما يخل بالوقار ، وينافي الأدب والحياء . فلاينبغي أن ينظر إليه ، ولايضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت إليها ولاسيما عند إلقاء درسه .. ولايعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ، ولايعبث بيده في أنفه أو يستخرج منه شيئاً ، ولايفتح فاه ولايقرع سنه ولايضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه ، ولايشبك بيديه أو يلعب بإزاره ، ولايكثر كلامه من غير حاجة ، ولا يحكي ما يضحك لغير عجب ولالعجب رافعاً صوته في الضحك ، فإن غلبه تبسم تبسماً بغير صوت البتة ، ولايكثر التنحنح من غير حاجة إليه ، ولايبصق ولايتنخم ما أمكنه ، فإن اضطر إلى إخراج النخامة من فيه يأخذ بمنديل أو ورقة تستعمل لذلك ، وإذا اضطر للعطاس خفض صوت عطاسه جهده ، وستر وجهه بمنديل أو نحوه ، وإذا تثاءب ستر فاه بيده بعد ردة جهده ؛ ومما قاله علي كرم الله وجهه في تبيان حق العالم على المتعلم :

(من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة ، وتخصه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولاتشيرنّ عنده بيديك ، ولاتغمز بعينك غيره ولاتقولنّ : قال فلان خلاف قوله ، ولاتغتابنّ عنده أحداً ، ولاتطلبنّ عثرته ، وإن زلّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ، ولاتسارر أحداً في مجلسه ، ولاتأخذ بثوبه ، ولاتلح عليه إذا كسل ، ولاتشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء ..) .

ولقد جمع رضي الله عنه في هذه الوصية ما فيه الكفاية ، ومايشفي الغليل !..

● **وعلى المتعلم ألا يدخل على معلمه في الفصل أو البيت أو المكان المخصص له إلا باستئذان** سواء كان المعلم وحده أو كان مع غيره ، فإن استأذن ولم يأذن له انصرف ولايكرر الاستئذان ، وإن شك في علم المعلم به فلا يزيد في الاستئذان فوق

ثلاث مرات ، وليكن طرق الباب خفيفاً بأدب بأظفار الأصابع ثم بالحلقة ثم بالجرس قليلا .. فإن كان الموضع بعيداً عن الباب فلا بأس برفع مايُسْمِع لضرورة الأمر .

وينبغي أن يدخل على المعلم كامل الهيئة ، متطهر البدن ، نظيف الثياب ... لاسيما إن كان يقصد مجلس العلم ، فإنه مجلس ذكر ، واجتماع عبادة ..

وينبغي أن يدخل على المعلم ، وقلبه فارغ من الشواغل ، ونفسه صافية من الأحوال النفسية .. ليعي مايقول ، وينشرح صدره لما يسمعه ؛ وإذا حضر مكان المعلم فلم يجده جالساً انتظره كيلا يفوّت على نفسه درسه ، ولايطرق عليه ليخرج إليه ، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ أو ينصرف ثم يعود ..

فقد روى أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يجلس في طلب العلم على باب زيد ابن ثابت حتى يستيقظ ، فيقال له : ألا نوقظه لك ؟ ، فيقول : لا ، وربما طال مقامه وقرعته الشمس ، وكذلك كان السلف يفعلون .

● وعلى المتعلم إذا سمع المعلم يذكر دليلا لحكم ، أو فائدة مستغربة ، أو يحكي حكاية أو ينشد شعراً .. وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال ، متعطش إليه فرح به كأنه لم يسمعه قط .

قال عطاء : (إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه من نفسي أني لاأحسن منه شيئا) ؛ وعنه قال : (ان الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ، ولقد سمعته قبل أن يولد) .

وقال أبو تمام في صفات الصديق وآداب الصداقة :

مَنْ لي بإنسان إذا أغضبتُه
وجهلتُ كان الحلم ردَّ جوابه

وإذا طربتُ إلى المدام شربت من
أخلاقه وسكرتُ من آدابه

وتراه يصغي للحديث بسمعه
وبقلبـه ولعلـه أدرى به

هذا مما يستحب في معاملة الصديق للصديق ، ومعاملة المعلم أولى وأوجب .

ولاينبغي لطالب العلم أن يكرر سؤال مايعلمه ، ولااستفهام مايفهمه فإنه يضيع الوقت، وربما أضجر المعلم ؛ قال الزهري : (إعادة الحديث أشد من نقل الصخر) .

وينبغي ألّا يقصر في الإصغاء والفهم أو يشتغل ذهنه بفكر أو بحديث ثم يستعيد المعلم ما قاله لأن ذلك إساءة أدب ، بل يكون مصغياً لكلامه ، حاضر الذهن من أول مرة .

وإذا لم يسمع كلام المعلم لبعده أو لم يفهمه بعد الإصغاء إليه ، فله أن يسأل المعلم إعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف .

* * *

تلكم أهم الآداب التي يجب أن يتلقنها الولد من معلميه ومربيه ، وهي آداب تربوية نبيلة ، وحقوق اجتماعية كريمة ..

ومن المعلوم أن الولد حينما يفتح عينيه على تلقين هذه الآداب ، ويتربى منذ نعومة أظفاره على التخلق بهاتيك الحقوق .. فلا شك أن الولد أدى ما عليه من حقوق تجاه من كانوا له سبباً في العلم ، والتربية ، والأخلاق ، وتكوين الشخصية ...

ومما لاجدال فيه أن التركيز من قبل المعلمين والمربين في إعداد الولد خلقياً يجب أن يكون مقدماً على تكوينه العلمي والثقافي ، لأن التحلي بالمكارم – كما يقولون – مقدم على تعليم المسائل ..

لهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهتمون بأدب أطفالهم وتلامذتهم أكثر مما يهتمون في تلقينهم العلم ، وتزويدهم المعرفة ..

قال الحبيب بن الشهيد لابنه : (يابني اصحب الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم ، فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث) .

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : (نحن إلى كثير من الأدب أحوج إلى كثير من الأحاديث) .

وقال بعض السلف لابنه : (يا بني لأن تعلم باباً من الأدب أحب إليّ من أن تعلم سبعين باباً من أبواب العلم) .

وقال سفيان بن عيينة : (إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر ، وعليه تعرض الأشياء على خُلُقه وسيرته وهديه .. فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل) .

وقال ابن سيرين : (كانوا يتعلمون الهدى[1] كما يتعلمون العلم) .
ومما يجب التنبيه له أن هذه الآداب التي يجب التزامها هي في حق المعلمين ، الأتقياء في أنفسهم ، الأوفياء لدينهم ، الذين يرجون لله وقارا ، ويؤمنون بالإسلام عقيدة وشريعة ، وبالقرآن منهاجاً ودستوراً .. هؤلاء يجب أن يلقن الولد احترامهم ، وأن يعرف فضلهم ، وأن يؤدي لهم حقهم .. ماداموا على الهدى والصراط المستقيم ..

أما المعلمون الملحدون ، والمربون اللادينيون فهؤلاء ليس لهم في القلوب إجلال ، ولا في النفوس احترام .. لكونهم أهدروا إنسانيتهم بالإلحاد ، وأسقطوا اعتبارهم ومهابتهم بالكفر والضلال ..

---

(١) الهدى : أي هدي محمد ﷺ ، وسيرة السلف .

فعلى الأب أن يغضب لله ، حين يعلم أن معلماً ملحداً يلقن ولده مبادىء الكفر ، ومفاهيم الزيغ والإلحاد .. بل عليه أن يقيم الدنيا ويقعدها ، وأن تغلي في عروقه حمية الإسلام .. تجاه هذه الشراذم الباغية ، والحثالات العميلة الخائنة .. حتى يرى هذه الجراثيم البشرية قبعت في جحورها ، وتوارت في أوكارها .. فما عاد يرتفع لهم رأس ، أو ينطق لهم لسان !!..

﴿ بل نقذِفُ بالحقِّ على الباطِلِ فيدمغه فإذا هو زاهقٌ ولكم الويل مما تصفون ﴾ .

(الأنبياء : ١٨)

ورحم الله من قال :

إن عادت العقرب عُدْنا لها
وكانتِ النعــلُ لها حاضرة

ولا يكفي الأب أن يغضب لله في الوقوف أمام معلم ملحد ، ومربٍّ ضال خائن .. بل عليه أن يغرس في ولده خلق الجرأة الأدبية ، والمجاهرة بالحق .. لينشأ الولد على مقاومة أعداء الإسلام مهما كان لهم من القوة والتسلط والنفوذ ..

وحينما يعلم أعداء الله والاسلام من معلمين وغير معلمين .. أن الأمة لهم بالمرصاد ، وأن الاستنكار والمواجهة لأفعالهم وأقوالهم منبعث من الكبار والصغار !!..

هل يتجرأ أحد منهم على أن يجهر بالحاد ؟
هل يستطيع مجرم من هؤلاء أن يتهجم على الإسلام ؟
هل نسمع أو نرى أن عدواً تطاول على ذات الله ، أو طعن بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ حتماً الجواب ، لا !!..

إذن فما على الآباء إلا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يؤدوا ماعليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقفوا في وجه كل عميل خائن وأن يُخلّقوا أولادهم بخلق الجرأة والمجابهة .. حتى لايتمادى العملاء ، ولايخرج من جحورهم الأعداء والجبناء ، وحتى تبقى دائماً العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ..

ورحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة ، ومن جهاده عزة ، ومن جرأته قولة حق !!..

٥ – حق الرفيق :

من الأمور الهامة التي يجب أن يلحظها المربون في الولد اختيار الرفيق المؤمن ، والجليس الصالح .. لما له من تأثير كبير في استقامة الولد ، وصلاح أمره ، وتقويم أخلاقه .. وقد صدق من قال : (الصاحب ساحب) ، وصدق من مثّل : (لاتقل لي من أنا ؟ بل قل لي من تصاحب ، تعرفني مَن أنا !!) .

ورحم الله الشاعر الذي يقول :

عن المرء لا تســـأل وسـل عن قرينـــه
فكل قرين بالمُقارِن يقتدي

ولنستمع إلى المربي الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم كيف يوجه الآباء والمربين في اختيار الرفقة الصالحة لأولادهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

– روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذِيَك[1] ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

---

(١) يحذيك : يعطيك .

– وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لاتصاحب إلا مؤمناً ولايأكل طعامك إلا تقي » .

– وروى ابن عساكر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرَف » .

– وروى الترمذي وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

من هذا كله وجب على المربي أن ينتقي للولد – ولاسيما بعد أن يبلغ سن التمييز – أن ينتقي له الزمرة الصالحة من الرفقاء من سنه ، يختلط بهم ، ويلهو معهم ، ويدرس وإياهم ، ويتفقدهم بالزيارة ، ويعودهم إذا مرضوا ، ويقدم لهم الهدية إذا نجحوا ، ويذكرهم إذا نسوا ، ويعينهم إذا احتاجوا .. وهذا – لاشك – ينمي في الولد النزعة الاجتماعية التي فطر عليها ، ويجعل منه في المستقبل رجلا متوازناً سوياً يؤدي حق المجتمع على الوجه الصحيح الذي يرضي الله عز وجل ، ويأمر به الإسلام !!..

ولكن ماهي أهم حقوق المصاحبة التي يجب على المربين أن يرسخوها في الولد ؟

الحقوق هي كما يلي :

(أ) السلام[1] إذا لقيه :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لاتدخلوا

---

(١) وكيفية السلام وآدابه ستأتي في مبحث « التزام الآداب الاجتماعية » إن شاء الله .

الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

(ب) عيادته إذا مرض :

لما روى البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العاني (الأسير) » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

(ج) تشميته إذا عطس :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أوصاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(د) زيارته في الله :

لما روى ابن ماجه والترمذي .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه منادٍ بأن طبْتَ وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » .

وروى مسلم عن النبي ﷺ : « أن رجلا زار أخا له في الله في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى له على مدرجته (الطريق) ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربُّها عليه (تقوم بها) ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

(هـ) إعانته وقت الشدة :

لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايُسْلِمهُ (لايترك نصرته) ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

(و) إجابة دعوته إذا دعاه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

(ز) التهنئة بالشهور والأعياد مما اعتاده الناس :

لما روى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « من لقي أخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك » .

وروى صاحب المقاصد عن خالد بن معد أنه لقي واثلة بن الأسقع في يوم العيد فقال له : تقبل الله منا ومنك ، فقال له واثلة : مثل ذلك .

وجاء في الصحيحين أن طلحة قام لكعب بن مالك وهنأه بتوبة الله عليه .

وروى صاحب (الجامع الكبير) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً إلى النبي ﷺ : « أتدرون ماحق الجار (ويدخل الرفيق) ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ..» .

(ح) المهاداة في المواسم والمناسبات :

لما روى الطبراني في (الأوسط) عن النبي ﷺ أنه قال : « تهادوا تحابوا » ؛ وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يانساء المؤمنين تهادين ولو فرسن[1] شاة فإنه ينبت المودة ، ويذهب الضغائن » ؛ وللديلمي عن أنس مرفوعاً : (عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة ، وتذهب بالضغائن » ؛ وأخرج الإمام مالك في الموطأ (تصافحوا يذهب الغِلّ (الحقد) ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) .

ومما يتفرع عن حق الرفيق المؤمن الدائم حق الرفيق المؤقت ، وهو الذي يصحبك في سفر أو دراسة أو وظيفة .. وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم حين قال : ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ . هذا الرفيق ينبغي أن ينال ممن جاوره كل عطف ورعاية وإكرام ، وتعاون وإيثار ، ولين جانب . وكرم أخلاق . وهذا هو رسول الله ﷺ - وهو القدوة الصالحة - كان يعطي لأمته الأسوة الحسنة في ملاطفة أصحابه في السفر والحضر ، والسلم والحرب ، والحل والترحال ..

أسند الطبري أن رسول الله ﷺ كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل رسول الله ﷺ غيضة (مجتمع شجر) ، فقطع قضيبين أحدهما معوج ، فخرج وأعطى لصاحبه القويم (أي الجيد منه) ؛ فقال الرجل : كنت يارسول الله أحق بهذا ! فقال : كلا يافلان إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار » .

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : (للسفر مروءة وللحضر مروءة ؛ فأما المروءة في السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله ؛ وأما المروءة في الحضر فالإدمان إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل » .

---

(١) فرسن : ظلف الشاة (أي المقدم) .

وبما ينسب لبعض بني أسد قولهم :

إذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي
له مركب فضلا فلا حملت رجلي
ولم يك من زادي له شطرُ مزودي
فلا كنتُ ذا زادٍ ولا كنتُ ذا فضلِ
شريكانِ فيما نحن فيه وقد أرى
عليّ له فضلا بما نال من فضلي

* * *

تلكم – أيها المربون – أهم الأسس والقواعد في تلقين الولد – منذ أن يفتح عينيه – حق الرفيق ، واحترام الصديق .. وهي من أعظم العوامل في تنمية النزعة الاجتماعية ، وتقوية ظاهرة المحبة في الله لدى الولد ؛ هذه النزعة حينما تقوم على أسس المحبة والإخلاص ، والوفاء والإيثار ، والبذل والتعاون .. فإن دعائم التكافل والسلام والاستقرار تترسخ في المجتمع المسلم ، وإن مبادىء العدل والإخاء والمساواة .. تنتشر في ربوع الأرض ، وأطراف المعمورة .. لماذا ؟ لأن الفرد المسلم أعطى لكل ذي بصيرة النموذج الحي عن الإسلام في سلوكه وأخلاقه ، وملاطفته ومعاملته ..

فما أحوج المجتمع الإسلامي إلى مربين أفاضل ، وآباء أكارم ... يغرسون في الولد منذ نشأته هذه الأسس من التربية الفاضلة ، والأخلاق القويمة .. حتى ينشأ الولد على كريم الخصال ، ويترعرع على أفضل المكارم ، وإنكار الذات !!..

٦ – حق الكبير :

الكبير هو من كان أكبر منك سناً ، وأكثر منك علماً ، وأرفع تقوى وديناً ، وأسمى جاهاً وكرامة ومنزلة ..

فهؤلاء إن كانوا مخلصين لدينهم ، معتزين بشريعة ربهم .. فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ، ويؤدوا لهم حقهم ، ويقوموا بواجب احترامهم ... امتثالا لأمر النبي ﷺ الذي عرَّف المجتمع فضلهم ، وأوجب على الناس حقهم ...

وإليكم طاقة عطرة من توجيهاته الكريمة في توقير الكبير :

– روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلا قيّض الله (أي قدّر) له من يكرمه عند سنّه » .

– وروى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : « ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » .

– وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه (أي التارك له) ، وإكرام ذي السلطان المقسط (العادل) » .

– وروى أبو داود عن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل فأعطته كِسْرة (قطعة خبز) ، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك ؟ فقالت قال رسول الله ﷺ : « أنزلوا الناس منازلهم » وفي رواية : (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم) .

– روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أراني في المنام أتسوَّك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر (منهما) ، فقيل لي كبّر فدفعته إلى الأكبر منهما » .

ونستخلص من مجموعة هذه الأحاديث الصحيحة الأمور التالية :

(أ) إنزال الكبير منزلته اللائقة به :

كان يستشار في الأمور ، ويقدم في المجلس ، ويبدأ به بالضيافة .. تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » . ومما يؤكد هذا مارواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عبّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون : قدمنا على رسول الله ﷺ ، فاشتدّ فرحهم ، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا ، فقعدنا ، فرحب بنا النبي ﷺ ، ودعانا ، ثم نظر إلينا ، فقال : من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا جميعنا الى المنذر بن عائذ ... فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي ﷺ .. فقعد عن يمين رسول الله ﷺ ، فرحب به وألطفه ، وسأله عن بلادهم ... إلى آخر الحديث .

ومن الأمور المسلم بها والمجمع عليها لدى أهل الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبدؤون بالضيافة الرسول ﷺ ، ثم من كان على يمينه ، فظل هذا الفعل سنة متبعة من هديه عليه الصلاة والسلام .

(ب) البدء بالكبير بالأمور كلها :

كان يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة ، وفي التحدث إلى الناس ، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ... لما روى مسلم عن أبي مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : (استووا ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم لِيَلِيني منكم أولو الأحلام والنُّهى (هم الرجال البالغون) ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وروى الشيخان عن أبي يحيى الأنصاري قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحيّصة ابن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صُلح ، فتفرقا فأتى محيّصة إلى عبد الله وهو يتشحّط في دمه قتيلا ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويّصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ ، فذهب عبد الرحمن يتكلم ، فقال عليه الصلاة

والسلام : « كبِّر كبِّر » (أي يتكلم الأكبر سناً) ، وهو – أي عبد الرحمن – أحدث[1] القوم .. إلى آخر الحديث وسبق أن ذكرنا قبل قليل حديث السواك ، وأنه عليه الصلاة والسلام أُمر في المنام أن يناوله إلى الرجل الأكبر .

(ج) الترهيب من استخفاف الصغير من الكبير :

كأن يهزأ منه ، ويسخر عليه ، ويوجه كلاماً سيئاً إليه ، ويسيء الأدب في حضرته ، وينهر في وجهه ... لما روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم وإمام مقسط » .

ويتفرع عن هذه المعاني في توقير الكبير فضائل اجتماعية شرعية ترتبط بالاحترام ، فعلى المربين أن يُخلّقوا أولادهم عليها ، ويأمروهم بها :

(أ) الحياء :

وهو خُلُق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق الكبير ، ويدفع إلى إعطاء ذي الحق حقه ...

لهذا (كان الحياء خيرا كله) كما روى الشيخان عن عمران بن حصين .
ومما يدل على فضيلة الحياء مارواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ياعائشة « لو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحاً ، ولو كان الفحش رجلا لكان رجل سَوْء » .
وروى ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وماكان الحياء في شيء إلا زانه » .

---

(١) أي أصغرهم سناً .

وروى مالك وابن ماجه عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء » .

وروى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « .. والحياء شعبة من الإيمان » .

فلا عجب بعد هذه التوجيه النبوي في فضيلة الحياء أن يتخلق أبناء الصحابة بهذا الخلق الرفيع ، وأن تظهر بوادره أمام من يكبرهم سناً ، ويعلوهم منزلة ..

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : (لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالا هم أسنّ مني) .

(ب) القيام للقادم :

القيام للقادم كالضيف أو المسافر أو العالم أو الكبير .. أدب اجتماعي نبيل يجب أن يؤمر الولد به ، ويتخلق عليه للأدلة التالية :

(أ) روى البخاري وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « مارأيت أحد أشبه سمتاً ودلاً وهديا برسول الله ﷺ – في قيامها وقعودها – من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال : وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها » .

ب) وروى النسائي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه دخل إلى بعض أزواجه » .

(ج) وروى أبو داود عن عمر بن السائب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه .

(د) وروى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا إلى المسجد قال النبي ﷺ للأنصار : « قوموا إلى سيدكم أو خيركم » .

(هـ) ومن الأحاديث الصحيحة الثابتة الدالة على جواز القيام ما جاء في حديث ابن مالك المتفق عليه ، وهو يقص خبر تخلّفه عن غزوة تبوك قال : فانطلقت أتأمّم رسول الله ﷺ ،فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، ويقولون : لتهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني ..

وقد استدل أهل العلم والاجتهاد من مجموع هذه الأحاديث وغيرها على جواز القيام لأهل العلم والفضل في المواسم والمناسبات .

وأما ما ثبت أنه ﷺ نهى عن القيام فمحمول على من قصد القيام لذاته ، واستشرفه وتطلّع إليه ، ومحمول كذلك على تقليد صفة خاصة من القيام ، فيها معنى الكبْر والتعظيم كان ينتهجها الأعاجم في تعظيم بعضهم بعضاً كأن يقعد المعظَّم مكرماً مبجلاً والناس حوله واقفون .

(ج) تقبيل يد الكبير :

ومن الآداب الاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها الولد ، ويحرص المربي على تلقينها والتخلق بها أدب تقبيل يد الكبير ، لما لهذا الأدب الاجتماعي من أثر كبير في تعليم الولد التواضع والاحترام وخفض الجناح وإنزال الناس منازلهم ..

ومما يدل على هذا حديث الرسول ﷺ ، وعمل الصحابة ، واجتهاد الأئمة :

(أ) أخرج أحمد والبخاري في (الأدب الصغير) ، وأبو داود ، وابن الأعرابي عن زارع وكان في وفد (عبد القيس) قال : لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا ، فنقبل يد النبي ﷺ ورجله .

(ب) وروى البخاري في الأدب المفرد عن الوازع بن عامر قال : قدمنا ، فقيل ذلك رسول الله ، فأخذنا بيده ورجليه نقبلها .

(ج) وأخرج ابن عساكر عن أبي عمار : أن زيد بن ثابت قُرِّبت له دابة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابها ، فقال زيد : تنحّ ياابن عمّ رسول الله ﷺ فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا ، فقال زيد : أرني يدك ! فأخرج يده فقبلها فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا !!.

(د) وروى البخاري في الأدب المفرد عن صهيب قال : رأيت علياً يقبل يد العباس ورجليه .

(هـ) وأخرج الحافظ أبو بكر المقرّي عن أبي مالك الأشجعي قال : قلت لابن أبي أوفى ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ ، فناولنيها فقبّلتها .

هذا غيض من فيض مما ثبت في تقبيل يد أهل العلم والفضل .. فما على المربين إلا أن يعوّدوا أطفالهم على هذا الخلق الكريم ، والأدب الرفيع .. حتى ينشؤوا على التواضع الجمّ ، والأخلاق العالية الندية .. في احترامهم الكبار ، وتوقيرهم العلماء ، وتعاملهم مع الآخرين ..

ولكن على المربين أن ينتبهوا في تخليق الولد على القيام والتقبيل إلى أمرين هامين :

الأول : ألا يُغالوا(١) في ذلك ، لما للمغالاة من تغاض عن المساوىء ، ومجافاة للحق ، وانتكاس لحقيقة الاحترام ، وتحطيم لشخصية الولد النفسية .

الثاني : ألا يزيدوا عن الحد الذي أمر به الشرع الإسلامي كالانحناء أثناء القيام ، أو الركوع أثناء التقبيل .

* * *

تلكم أهم الأسس التي وضعها الإسلام في مراعاة حقوق الآخرين ؛ فما على المربين إلا أن ينشئوا الأولاد عليها ، ويلقنوهم إياها ، ويرشدوهم إليها ، حتى يتدرج الولد على احترام الكبير ، وإكرام ذي الشيبة .. وحتى يفهم منذ نعومة أظفاره حق من يكبره سناً ، وأدب من يفوقه علماً وفضلا ومنزلة ..

ولاشك أن المربي حين يضع بين يدي الجيل هذه القواعد في تخليق الولد على احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، والإحسان إليهم .. فالولد يندفع بكليته إلى توقير ذوي الفضل . وإجلال ذي الشيبة .. وهذا لعمري غاية الأدب . ومنتهى التوقير والاحترام . فما أحوجنا إلى مربين أكارم . ومعلمين أفاضل .. يفهمون حقائق التربية في الإسلام ، ثم ينطلقون جادين عازمين إلى تعويد هذا الجيل هاتيك المكارم ، وتخليقهم على هذه الفضائل ، وتأديبهم على هذه الخصال !!..

فإن هم انطلقوا في هذه السبيل . وصمموا على تنفيذ هذا المنهج وصلت الأمة الإسلامية إلى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل . والأدب الإسلامي الرفيع .. وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل الناشيء . والمجتمع الفاضل . والاستقرار المنشود .

* * *

---

(١) المغالاة : هو الإفراط في القيام والتقبيل عن الحد المعتاد المتعارف عليه .

٣ – التزام الآداب الاجتماعية العامة

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الولد اجتماعياً تعويده منذ نعومة أظفاره على آداب اجتماعية عامة ، وتخليقه على مبادىء تربوية هامة .. حتى اذا شب الولد عن الطوق . وتدرّج في سني الطفولة . وأصبح يدرك حقائق الأشياء .. كان تعامله مع الآخرين في غاية البر والإحسان . وكان سلوكه في المجتمع في منتهى المحبة والملاطفة ، ومكارم الأخلاق ..

ولاشك أن هذه الآداب الاجتماعية التي سأفصل عنها في هذا البحث . مرتبطة كل الارتباط ببحث (غرس الأصول النفسية) الذي فصلنا عنه في أول هذه الفصل . لأن التعامل الاجتماعي . أوالتزام الآداب العامة حينما يقوم على عقيدة الإيمان والتقوى . ومبادىء الأخوة والرحمة . ومكارم الإيثار والحلم .. فإن تربية الولد الاجتماعية تبلغ مراتبها العالية ، وغاياتها المثلى .. بل يظهر الولد في سلوكه وأخلاقه وتعامله في المجتمع على أحسن ما يظهر به إنسان سويّ ، وعاقل ذكي ، وامرؤ حكيم ، ورجل متوازن ..

وهذا ما حرص عليه الإسلام في وضع المناهج التربوية لتكوين الولد خلقياً . وإعداده سلوكياً واجتماعياً ..

وإذا كنا نضع لكل مبحث في التربية الاجتماعية خطوطاً عريضة توضح للمربين السبيل ، وتنير لهم الطريق .

فإن الخطوط العريضة الهامة لهذا المبحث هي كما يلي :

١ - أدب الطعام والشراب .
٢ - أدب السلام .
٣ - أدب الاستئذان .
٤ - أدب المجلس .
٥ - أدب الحديث .
٦ - أدب المزاح .
٧ - أدب التهنئة .
٨ - أدب عيادة المريض .
٩ - أدب التعزية .
١٠- أدب العطاس والتثاؤب .

وإن شاء الله فسأتكلم عن كل أدب من هذه الآداب الاجتماعية بشيء من التفصيل ، ليقوم المربي على غرسها وتعميقها في الولد ، وعلى الله التكلان ، وهو المستعان :

١ - أدب الطعام والشراب :

للطعام آداب على المربي أن يعلمها الولد ، ويرشده إليها ، ويلاحظه في أمر تطبيقها ، وهي على الترتيب التالي :

(أ) غسل اليدين قبل الطعام وبعده :

لما روى أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » .

وروى ابن ماجه والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤه وإذا رفع » .

(ب) التسمية في أوله والحمد في آخره :

لما روى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :
قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

وروى الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ كان إذا أكل وشرب قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) .

(ج) ألا يعيب طعاماً قدم إليه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط : إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه » .

(د) أن يأكل بيمينه ومما يليه :
لماروى مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حجر[١] رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (تتحرك في الأناء) ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

(هـ) ألا يأكل متكئاً :

لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكبر ، روى البخاري عن أبي جحيفة وهب ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا آكل متكئاً » .

وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ جالساً مُقْعِياً[٢] يأكل تمراً » .

---

(٢) أي تحت نظره
(١) المقعي : هو الذي يلصق إليتيه بالأرض وينصب ساقيه .

(و) يستحب التحدث على الطعام :

لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه « أن النبي ﷺ سأل أهله الأُدْم ، فقالوا : ماعندنا إلا خلّ ، فدعا به فجعل يأكل منه ويقول : نعم الأُدْم الخل ، نعم الأدم الخل » . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يتحدث إلى أصحابه وهو يأكل على المائدة في أكثر من مناسبة .

(ز) يستحب أن يدعو لمضيفه إذا فرغ من الطعام :

لما روى أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد ابن عبادة ، فجاء بخبز وزيت[١] فأكل ، ثم قال النبي ﷺ : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

(ح) ألا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه :

لما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : « كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده » .

(ط) ألا يستهتر بالنعمة :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعه الثلاث . وقال إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليُمِطْ عنها الأذى وليأكلها ولايدعها للشيطان . وأمرنا أن نسلُتَ القصعة ، وقال : (إنكم لاتدرون في أي طعامكم البركة) .

---

(١) عند أحمد والطبراني : فقرب اليه زبيباً وهو الصواب ، قال الحافظ : وما الزيت الا تصحيفاً عن الزبيب .

أما آداب الشراب فهو كما يلي :

(أ) استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير . ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم » . أي انتهيتم من الشرب .

(ب) كراهية الشرب من فم السقاء :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يُشْرب مِنْ فيّ السقاء أو القربة (أي فمها) » . لمنافاة الشرب للذوق الاجتماعي ، ومخافة أن يكون قد وقع في الماء ما يضر بالصحة .

(ج) كراهية النفخ في الشراب :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه » . ولايخفى مافي هذا النفخ والتنفس من الأضرار الصحية ، والمنافاة للآداب الاجتماعية ..

(د) استحباب الشرب والأكل في حال الجلوس :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ « أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشر » . وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لايشربن أحد منكم قائماً ، فمن نسيَ فليستقيء » (أي يتقيأ) .

وما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه شرب قائماً فلبيان الجواز ، كأن يكون الشارب في حالة يكون الشرب فيها قائماً أفضل من الشرب جالساً كشربه عليه الصلاة والسلام من ماء زمزم قائماً تحقيقاً لمبدأ « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

(هـ) النهي عن الشرب من آنية الذهب والفضة :

لما روى الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « الذي يشرب في آنية الفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم » . وفي رواية لمسلم : « من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم لما لاستعمال هذه الآنية من مظهر الكبر والاستعلاء ، وجرح كرامة الفقير .

(و) النهي عن امتلاء المعدة في الأكل والشرب :

لما روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه » .

فعلى المربين أن يتقيدوا بهذه الآداب ، وأن يعلموها أولادهم .. ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٢ - أدب السلام :

للسلام آداب ، فعلى المربي أن يرسخها في الولد ، ويعوده إياها ، وهي مرتبة كما يلي :

(أ) أن يعلمه أن الشرع أمر بالسلام :

أمر الله به في قرآنه حين قال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ .

(النور : ٢٧)

﴿ فإذا دَخلتم بُيوتاً فسلموا على أنفُسِكُم تحيةً من عند الله مباركة طيبة ﴾ .
(النور : ٦١)

وأمر به عليه الصلاة والسلام في تأديبه لأمته : روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولاتؤمنوا حتى تحابّوا . أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

(ب) أن يعلمه كيفية السلام :

وهو أن يقول المبتدىء بالسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ، ويقول المجيب بصيغة الجمع : « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » ولو كان المسلَّم عليه واحداً .

وهذا التعليم لكيفية السلام مستفاد من الأحاديث الصحيحة : روى أبو داود والترمذي عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم . فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي ﷺ « عشر » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال « عشرون » ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال « ثلاثون » .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « هذا جبريل يقرأ عليك السلام » ، قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

(ج) أن يعلمه أدب السلام :

وهو تسليم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير . والصغير على الكبير . لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد . والقليل على الكثير » ؛ وفي رواية البخاري : « يسلم الصغير على الكبير » .

(د) أن ينهاه عن السلام الذي فيه تشبه بالأجانب :

لما روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا . لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكفّ » ، وفي هذا النهي تمييز لخصائص هذه الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم الأخرى في آدابها الاجتماعية ، ومزاياها السلوكية والأخلاقية .

(هـ) على المربي أن يبدأ الأولاد بالسلام :

تعليماً منه وتعويداً ، اقتداء بالمربي الأول عليه الصلاة والسلام حيث كان يسلم على الصبيان إذا مر بهم ؛ روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه « أنه مرّ على الصبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعله » ، وفي رواية لمسلم : « أن رسول الله ﷺ مرّ على غلمان فسلم عليهم » . وفي رواية أبي داود « أن النبي ﷺ مرّ على غلمان يلعبون فسلم عليهم » . وفي رواية ابن السنّي قال لهم : « السلام عليكم ياصبيان » .

(و) أن يعلمه أن يرد على غير المسلم بلفظ « وعليكم » :

لما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا

سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم » . كما عليه أن يعلمه ألا يبدأ أهل الكفر بالسلام لحديث مسلم « لاتبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ... » .

(ز) أن يعلمه أن الابتداء بالسلام سنة ، والرد واجب :

لما روى ابن السني عن النبي ﷺ أنه قال : « من أجاب السلام فهو له ، ومن لم يُجب فليس منا » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة قيل : يارسول الله ، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال : « أولاهما بالله تعالى » ، وفي رواية أبي داود : « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » .

وعلى المربي أن يعلم الولد أن هناك أحوالا خاصة يكره فيها السلام : من هذه الأحوال : المتوضيء ، ومَن في الحمام ، ومن يأكل ، ومن يقاتل . وعلى تالٍ للقرآن ، وذاكر لله ، وملبٍّ في الحج ، وخطيب في الجمعة أو غيرها ،وواعظ في مسجد أو غيره ، ومقرر فقه ، ومشتغل في درس ، وباحث في علم ، ومؤذن أو مقيم للصلاة ، ومن على حاجته ، أو مشتغل بالقضاء أو ما شاكل ذلك .. فمن سلّم في حالة لايُستَحبّ فيها السلام لم يستحق المسَلّمْ جواباً .

فعلى المربين أن يتقيدوا بآداب السلام ويعلموها أولادهم . ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٣ - أدب الاستئذان :

وللاستئذان آداب فعلى المربي أن يرسخها في الولد ، ويعلمها إياه امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين مَلَكَتْ أيمانكم والذين لم يبلُغوا الحُلُمَ منكم ثلاثَ مراتٍ من قبلِ صلاة الفجرِ وحين تضعُون ثيابَكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العِشاء ثلاثُ عوراتٍ لكم ليس عليكم ولاعليهم جناحٌ بعدهُنَّ طوَّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يُبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بَلَغَ الأطفالُ منكم الحُلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. ﴾ .

(النور : ٥٨ — ٥٩)

يأمر الله سبحانه المربين في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ إلى أن يستأذنوا على أهليهم في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم .

الثاني : وقت الظهيرة (أي القيلولة) لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

الثالث : من بعد صلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة .

وشرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل أو المرأة في حالة لايحب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار .

أما إذا بلغ الأطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وإذا بلغ الأطفالُ منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. ﴾

(النور : ٥٩)

ولا يخفى ما في هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الإسلام في تربية الولد اجتماعياً وتكوينه سلوكياً وخلقياً .. حتى إذا بلغ سن الشباب كان النموذج الحي عن الإنسان الكامل في أدبه وخلقه . وتصرفه واتزانه ..

وللاستئذان آداب أخرى وهي مرتبة كما يلي :

(أ) أن يسلم ثم يستأذن :

لما روى أبو داود أن رجلا من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال : أألج ؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه : « أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان . فقل له : قل : السلام عليكم . أأدخل ؟ فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم . أأدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل » .

(ب) أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته :

لما جاء في الصحيحين في حديث الإسراء المشهور قال رسول الله ﷺ : « ثم صعد جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح (قرع الباب) ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . ثم صعد بي إلى السماء الثانية والثالثة وسائرهن . ويقال في باب كل سماء مَنْ هذا ؟ فيقول : جبريل » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى لما جلس النبي ﷺ على بئر البستان ، وجاء أبو بكر فاستأذن ، فقال أبو موسى من ؟ قال : أبو بكر ثم جاء عمر فأستأذن ، فقال : من ؟ قال : عمر ، ثم عثمان كذلك .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : « أتيت النبي ﷺ فدققت الباب فقال : مَنْ ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أنا ؟ كأنه كرهها » .

(ج) أن يستأذن ثلاث مرات :

لما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع » .

ويحسن أن يكون بين استئذان المرة الأولى والثانية انتظار مقدار صلاة أربع ركعات مظنّة أن يكون المستأذن عليه في صلاة أو في قضاء حاجة ...

(د) أن لايدق الباب بعنف :

ولاسيما إن كان رب المنزل أباه أو أستاذه أو ذا فضل .. أخرج البخاري في (الأدب المفرد) عن أنس رضي الله عنه « أن أبواب رسول الله ﷺ كانت تقرع بالأصابع » . وكان السلف يقرعون أبواب أشياخهم بالأظافر . وهذا يدل على مبالغتهم في الاحترام والأدب . وهو حسن لمن قرُب محله من بابه ، وأما من بعد عن الباب فيقرع بحسب ما يحصل به المقصود . وأما إذا كان على الباب جرس كما جرى العرف اليوم . فيقرع المستأذن بقرعة خفيفة لطيفة لتدل على لطفه وكرم أخلاقه وحسن معاملته .

(هـ) أن يتحول عن الباب عند الاستئذان :

مظنة وقوف امرأة أجنبية أثناء فتح الباب ، والاستئذان شرع من أجل النظر ، وهذا ما أكده عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قال :- كما روى الشيخان - « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وروى الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لاتأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا . فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا » ؛ وروى أبو داود « كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم

يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : السلام عليكم ، السلام عليكم » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اطلع في بيت قوم فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه » . وفي رواية للنسائي أنه ﷺ قال : « من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية ولاقصاص » .

(و) أن يرجع إذ قال له رب المنزل ارجع :

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بُيوتكم حتى تستأنسوا وتُسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجِعُوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ .

(النور : ٢٧ – ٢٨)

وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك حرجاً ولاغضاضة لامتثاله أمر الله سبحانه في الرجوع .

قال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية ، فما أدركتها أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط .

هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في آداب الاستئذان ، فما على المربين إلا أن يتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٤ – أدب المجلس :

للمجلس آداب ، فعلى المربي أن يعلمها الولد ، ويرشده إليها ، ويلاحظه عند تطبيقها ، وهي مرتبة كما يلي :

(أ) أن يصافح من يلتقي بهم في المجلس :

لما روى ابن السني وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اذا التقى المسلمان ، فتصافحا وحمدا الله تعالى ، واستغفرا غفر الله عز وجل لهما » .

وروى الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » .

وفي الموطأ للإمام مالك عن عطاء الخرساني قال : « قال لي رسول الله ﷺ : تصافحوا يذهب الغِلّ (الحقد) ، وتهادوا تحابّوا وتذهب الشحناء » .

(ب) أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل :

لكون رب المنزل أعرف بالمكان الذي يجلس فيه ضيفه . وهو صاحب الحق في ذلك ، وقد قيل قديماً « أهل مكة أدرى بشعابها » وقيل حديثاً : « وربّ البيت أدرى بالذي فيه » ، وهذا يتفق مع قوله تبارك وتعالى :

﴿ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذَن لكم ، وإن قِيلَ لكم ارجعُوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ .

(النور : ٢٨)

فالضيف – كما قررت الآية – رهن إشارة مضيفه في كل شيء حتى الرجوع ، ويتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه فإن القوم أعلم بعورة دارهم » . مجمع الزوائد .

(ج) أن يجلس في محاذاة الناس لا في وسطهم :

وهذا أدب اجتماعي كريم لأنه إذا جلس في الوسط استدبر بعض الناس بظهره فيؤذيهم بذلك ويسبونه ويلعنونه .

روى أبو داود بإسناد حسن عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (لعن من جلس في وسط الحَلْقة) ؛ وروى الترمذي عن أبي مِجْلَز « أن رجلا قعد وسط حلقة فقال حذيفة : ملعون على لسان محمد ﷺ من جلس وسط الحلقة » .

وهذا محمول إن كان في المجلس سعة ، وأما إن كان في المجلس ضيق واضطر الناس أن يجلسوا في الوسط فلا إثم ولا حرج لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حَرَج ﴾ .

(د) أن لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما :

لما رواه الترمذي وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ، وفي رواية لأبي داود : (لايجلس بين رجلين إلا بإذنهما) .

(هـ) أن يجلس القادم حيث ينتهي به المجلس :

لما روى أبو داود والترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : « كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي » .

وهذا محمول إن كان القادم رجلا عادياً ، أما إن كان ذا قدر من علم . أو من منزلة من جاه .. فلا بأس من الحاضرين أو ربّ المنزل أن يضعوه في المكان المناسب لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » ، وسبق أن ذكرنا(١) أن وفد عبد القيس حينما قدموا على النبي ﷺ كيف رحب بهم ، وأوسع لهم ، وقرب زعيمهم المنذر بن عائذ إليه ، وأقعده عليه الصلاة والسلام على يمينه بعد أن رحّب به وألطفه .

---

(١) ذكرنا ذلك في مبحث « حق الكبير » فارجع إليه ص ٤٦٢ .

(و) ألا يتسارّ اثنان في حضرة ثالث في المجلس :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى[1] اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه » .. والعلة في النهي أن الثالث يظن الظنون ، ويحزن لعدم الاكتراث به ؛ أما إذا تناجى اثنان دون اثنين أو أكثر فإنه يجوز إن لم يورث ذلك شبهة .

(ز) من خرج من مجلسه لحاجة ثم رجع إليه فهو أحق به :

لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به » .

(ح) أن يستأذن قبل انصرافه من المجلس :

لقوله عليه الصلاة والسلام – كما روى الشيخان –: « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » ، وهذا يشمل استئذان الدخول ، واستئذان الانصراف .. وهذا غاية ما حرص عليه الإسلام في الحفاظ على حرمة البيوت . وصيانة الأعراض والحرمات ..

(ط) أن يقرأ دعاء كفارة المجلس :

لما روى الحاكم عن أبي برزة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يقوم من المجلس قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ، فقال رجل يارسول الله إنك لتقول قولا ماكنت تقوله فيما مضى ؟ قال : « ذلك كفارة لما يكون في المجلس » .

هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في آداب المجلس ، فما على المربين إلا أن يلتزموها ، ويتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

(١) يتناجى اثنان : يتكلمان سرا .

٥ - أدب الحديث :

ومن الآداب الاجتماعية الهامة التي ينبغي على المربين أن يعيروها اهتمامهم تعويد الولد منذ الصغر على أدب الكلام ، وأسلوب الحديث . وأصول الحوار .. حتى إذا ترعرع الولد ، وبلغ سن البلوغ عرف كيف يحدث الناس ، وكيف يستمع منهم ، وعلم كيف يحاورهم ويدخل السرور عليهم .

وهذه جملة آداب من أدب الحديث نسردها لتكون للمربين تبصرة وذكرى :

(أ) التكلم باللغة العربية الفصحى :

لكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ولغة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولغة الرعيل الأول من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، ولغة من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فمن الجحود لهذه اللغة أن نعدل عنها ، ونتكلم بلغة عامية لا تمت إلى العربية بصلة ولا بسبب ، وزينة الإنسان فصاحة لسانه ، وجمال الرجل حلاوة منطقه ..

روى الحاكم في مستدركه عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : أقبل العباس رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وعليه حلّتان ، وله ضفيرتان ، وهو أبيض ، فلما رآه تبسّم ، فقال العباس : يا رسول الله ما أضحكك ؟ أضحك الله سنّك ، فقال : « أعجبني جمال عمّ النبي » ﷺ ، فقال العباس : ما الجمال ؟ قال : « اللسان » ؛ وعند العسكري : ما الجمال في الرجل ؟ قال : « فصاحة لسانه » .

روى الشيرازي والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله ما رأينا أفصح منك ؟ قال : « إن الله تعالى لم يخلقني لحّاناً ، اختار لي خير الكلام : كتابه القرآن » .

(ب) التمهل بالكلام أثناء الحديث :

ومن أدب الحديث التمهل في الكلام حتى يفهم المستمع المراد منه ، ويعقل مَن في المجلس مغزى الحديث ويتدبروه ، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ تعليماً لأمته ؛ روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسردكم هذا ، يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه » وزاد الإسماعيلي في روايته « إنما كان حديث رسول الله ﷺ فهما تفهمه القلوب » .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان كلامه ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه » .

(ج) النهي عن التكلف في الفصاحة :

ومن أدب الحديث الابتعاد عن التنطّع في الكلام ، والتكلف في فصاحة اللسان . لما روى أبو داود والترمذي بالسند الجيد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل يُبغض البليغ من الرجال : الذي يتخلل بلسانه كما تتخلّل البقر بلسانها »[1] .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ﷺ « كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم سلّم عليهم .. وكان ﷺ يتكلم بكلام فصل لاهَزْرَ[2] ولا نَزر ، ويكره الثرثرة في الكلام والتشدّق به (أي التكلف) » .

(د) المخاطبة على قدر الفهم :

ومن أدب الحديث أن يتحدث المتكلم بأسلوب يناسب ثقافة القوم ويتفق مع عقولهم وأفهامهم وأعمارهم لقوله عليه الصلاة والسلام : « أُمرنا معاشر الأنبياء أن نُحدث الناس على قدر عقولهم »[3] .

---

(١) قال في النهاية : « هو الذي يتشدق في الكلام ، ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا » أ هـ .

(٢) الهزر والنزر : الكثير والقليل .

(٣) رواه الديلمي بسند ضعيف وله شواهد كثيرة مما رفع الحديث إلى مرتبة الحسن لغيره ، ارجع إلى كتاب « كشف الخفاء » للعجلوني لفظ « أمرنا » .

وفي صحيح البخاري عن عليٍّ موقوفاً : « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله » .

وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » .

وللديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « لاتحدثوا أمتي من أحاديثي إلا ماتحمله عقولهم ، فيكون فتنة عليهم » .

(هـ) التحدث بما لا يُخل ولا يُمل :

ومن أدب الحديث إعطاء الحديث حقه حيث لايصل الأمر إلى الاختصار المخلّ ، ولاإلى التطوال المملّ ، ليكون الحديث أوقع في نفوس السامعين . وأشوق إلى قلوبهم .. روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع النبي ﷺ ، فكانت صلاته قصداً ، وخطبته قصداً . (أي وسطاً) . وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الجمعة ، فقام متوكئاً على عصا - أو قوس - فحمد الله وأثنى عليه ، فكانت كلمات خفيفات طيبات مباركات .

وفي الصحيحين : (كان ابن مسعود يذكرنا في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم ، فقال إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم ، وإني أتخوّلكم (أتعهدكم) بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا مخافة السآمة علينا) .

ولا بأس بالاستشهاد بشواهد الشعر ، وطرائف الحكمة ، لقول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : (إنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة) .

(و) الإصغاء التام إلى المتحدث :

ومن أدب الحديث الإصغاء التام إلى المتحدث ، ليَعي السامع ما يقول ، ويستوعب ما يحدث .. فكان الصحابة حينما يحدثهم النبي ﷺ بحديث كأنّ على رؤوسهم الطير من فرط المهابة ، وشدة الاهتمام ..

وفي مقابل هذا كان النبي ﷺ يُصغي كل الإصغاء الى من يحدثه أو يسأله ، بل يقبل عليه بكليته ويلاطفه ، روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيت رجلاً التقم أُذُنَ النبي ﷺ - يعني يكلّمه سراً - فينحيّ رأسه عنه (أي يرفعه عنه) حتى يكون الرجل هو الذي يُنحّي رأسه . وما رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد رجل فترك يده ، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده .

(ز) إقبال المتحدث على الجلساء جميعا :

ومن أدب الحديث أن يقبل المتحدث بنظراته وتوجيهاته على الجلساء جميعاً ، حيث يشعر كل فرد منهم أنه يريده ويخصّه .

روى الطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على شرّ القوم ، يتألفه بذلك . وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت : يارسول الله أنا خير أم أبو بكر ، فقال : أبو بكر ، قلت يارسول الله أنا خير أم عمر ؟ قال : عمر ، قلت يارسول الله أنا خير أم عثمان ؟ قال : عثمان ، فلما سألت رسول الله ﷺ صدّ عني ، فوددْت أني لم أكن سألته .

(ح) مباسطة الجلساء أثناء التحدث وبعده :

ومن أدب الحديث مباسطة المتحدث جلساءه أثناء الحديث وبعده ، حتى لايشعروا بالسأم ، ولا ينتابهم الملل أثناء الحديث .

روى الإمام أحمد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : كان أبو الدرداء إذا حدّث حديثاً تبسّم ، فقلت : لا ، يقول الناس : إنك أحمق - أي بسبب تبسمك في كلامك - فقال أبو الدرداء : مارأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً إلا تبسّم ، فكان أبو الدرداء اذا حدث حديثاً تبسم اتباعاً لرسول الله ﷺ في ذلك .

وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ فقال جابر : نعم كثيراً . كان رسول الله ﷺ لايقوم من مصلّاه الذي فيه يصلي الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون - والرسول جالس - فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ، ويتبسم ﷺ .

هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في آداب الحديث ، فما على المربين إلا أن يأخذوا بها ، ويعلموها أبناءهم ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس .

٦ - أدب المزاح :

ما أجمل المسلم في الحياة حينما يجمع مع الجدّ - الذي يسعى إليه - روح الدعابة ، وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكمة !!..

وما أحسنه وأكرمه حينما يملك القلوب بجاذبية حديثة ، ويأسر النفوس بلطيف معشره ، وكريم مداعبته !! .. ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة يأمر المسلم أن يكون آلفاً بسّاماً مرحاً خلوقاً ، كريم الخصال ، حميد الفعال ، حسن المعشر .. حتى إذا خالط الناس ، واجتمع بهم ، رغبوا به ، وانجذبوا إليه ، والتفوا حوله .. وهذا غاية ما يحرص عليه الإسلام في تربية الأفراد ، وتكوين المجتمعات ، وهداية الناس ..

ولكن هل للمسلم أن ينطلق في المرح والمداعبة والمزاح كما يشاء وحيث أراد أم لهذا آداب وضوابط ؟

نعم للمزاح والمداعبة آداب وضوابط وهي مرتبة كما يلي :

(أ) عدم الإكثار منه والإفراط فيه :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لست من دَدٍ ، ولا الدَدُ مني » أي : لست من أهل اللعب واللهو . ولا هما مني .

لأن الإكثار من المزاح . والإفراط في المرح والمداعبة يخرج المسلم عن مهمته الأساسية التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله . وإقامة حكم الله في الأرض ، وتكوين المجتمع الصالح .. والصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة كانوا يتمازحون فيما بينهم ولكن إذا جدّ الجد كانوا هم الرجال ؛ روى البخاري في (الأدب المفرد) : (كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون (يترامون) بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال) .

وفي الإكثار من المزاح كذلك إماتة للقلب ، وتوريث للعداوة ، وتجريء للصغير على الكبير ، وقد قال عمر رضي الله عنه : (من كثر ضحكه قلّت هيبته ، ومن مزح استُخِفَّ به) .

(ب) عدم الأذى فيه والإساءة لأحد :

فالمزاح مندوب إليه بين الأهل والأقرباء ، والإخوان والأصدقاء بشرط ألا يكون فيه أذى لأحد ، أو استخفاف بمخلوق ، أو حزن للغير ..

وإليكم طرفا من هديه عليه الصلاة والسلام في نهيه الأصحاب عن المزاح الذي فيه إساءة :

– في (سنن أبي داود) (والترمذي) : عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يأخذنّ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ، ومن أخذ عصا أخيه فليردّها » .

– وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ، ففزع ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً » .

– وفي يوم الخندق كان زيد بن ثابت رضي الله عنه ينقل التراب مع المسلمين فنعس ، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه ، وهو لا يشعر ، فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك .

– وروى البزار والطبراني وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رجلا أخذ نعل رجل ، فغيّبها وهو يمزح ، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « لاتروّعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم » .

فما بالك بالذي يستهزيء مازحاً ، ويغتاب مازحاً ، ويحقّر مازحاً . وينتهك حرمة الدين مازحاً ، فإنه آثم وواقع في الحرام من حيث يعلم أو لا يعلم ؟!!..

(ج) تجنب الكذب وقول الزور :

كثير ممن يتصدرون المجالس ويمزحون يلفقون القصص المضحكة . والحكايات المثيرة لإضحاك الناس ، ومباسطتهم ، وإدخال السرور عليهم .. ولاشك أن هذه التلفيقات من الكذب أو الزور .. وهي مما نهى الإسلام عنه . وهدّد الرسول عليه الصلاة والسلام من يفعلها ؛ روى أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي عن بُهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذبَ ويل له ، ويل له » .

– وروى أحمد وأبو داود عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كبُرتْ خيانة أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك مصدِّق ، وأنت له كاذب » .

– وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن العبدُ الإيمان كله حتى يترك الكذِب في المَزاحة ، والمِراء (الجدال) وإن كان صادقاً » .

ومن البدع الشائعة في بلادنا بدعة العادة الفاشية بين الناس المسماة بـ (كذبة نيسان) .. وهي بدعة قبيحة ممقوتة ذميمة أخذناها عن الغربيين وليست من أخلاقنا الإسلامية ، وتقاليدنا الصالحة .. ولاشك أنها من الكذب المحرم ، والزور السافر ، والمزاح الباطل ..

وإذا كان عليه الصلاة والسلام يعطي أصحابه القدوة الصالحة في كل شيء **فإليكم نماذج من مزاحه ﷺ ، لنعرف كيف كان يمزح ولا يقول إلا حقاً :**

– روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية ، فيجهّزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى البادية ، فقال النبي ﷺ « إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه » . وكان النبي يحبه . وكان زاهر رجلا دميماً ، فأتاه النبي ﷺ يوما وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه وهو لايبصره . فقال زاهر : مَنْ هذا ؟ أرسلني ، فالتفت زاهر فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه ، فجعل النبي ﷺ يقول : « من يشتري هذا العبد ؟ » ، فقال : يارسول الله والله تجدني كاسداً ، فقال النبي ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غالٍ » .

– وفي (سنن أبي داود) عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم (من جلد) – صغيرة – فسلّمت فردّ ، وقال : (أدخلْ) فقلت : أكلّي يارسول الله ؟ قال : « كلُّك » فدخلت .

– وروى الترمذي وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ يستحمله – أي يطلب منه دابة – فقال له ﷺ : « اني حاملك على ولد الناقة » (ظن الصغير) فقال : يارسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال : (وهل يلد الإبل إلا النوق) ؟

– وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية ، جاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : إنّ زوجي يدعوك ، فقال : (من هو ؟ أهو الذي بعينيه بياض ؟) فقالت : مابعينيه بياض ، فقال : (بلى بعينيه بياض) ، فقالت : لا والله ، فقال ﷺ : « ما من أحد إلاّ بعينيه بياض » . ويقصد البياض المحيط بحدقة العين) .

– وروى الترمذي عن الحسن البصري رضي الله عنه قال : أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت : يارسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة ، فقال : « يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » قال : فولتْ – أي ذهبت – وهي تبكي ، فقال ﷺ : « أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، ان الله تعالى يقول :

﴿ إنّا إنشأناهن إنشاءً ، فجعلناهُنّ أبكاراً ، عُرُباً أتْراباً[1] ﴾

(الواقعة : ٣٥ – ٣٧)

ويقصد أنها تدخل الجنة وهي شابة .

فما على المربين الا أن يأخذوا بهدي النبي عليه الصلاة والسلام في أدب المزاح ، ويعلّموه أبناءهم ، ليعتادوا عليها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

---

(١) والمراد أنهن مستويات في سن واحد ، العُرُب : المفصحة عن محبة زوجها ، والأتراب : الفئة التي يكون أفرادها في سن واحدة .

٧ - أدب التهنئة :

ومن الآداب الاجتماعية التي يجب مراعاتها في إعداد الولد تربوياً . وتكوينه اجتماعياً .. تعويده على أدب التهنئة ، وتعريفه على كيفيتها وأصولها . لتنمو في شخصيته نزعة حب الاجتماع ، وتتوثق روابط المحبة والأخوة مع من يصلهم ، ويلتقي معهم ، ويرتبط بهم .. وإذا كانت المناسبات التي يعتادها الناس في التهاني كثيرة .. فعلى المربين بشكل عام ، والآباء بشكل خاص أن يصحبوا تلامذتهم وأولادهم إلى من يقدمون اليه أحرّ التهاني بمناسبة سعيدة ، أو فرح ميمون .. حتى تنطبع الحالة والكيفية في قلوبهم وذاكرتهم .. فتصبح في نفوسهم مع الأيام خلقاً وعادة ..

وإذا كان لابد من أي عمل صالح يقوم به المسلم في الحياة ، ومن ثمرة يجنيها ، ومن مثوبة عند الله يناها .. فإن تهنئة المسلم ، وملاطفته ، وإدخال السرور عليه هو من أعظم القربات في نظر الإسلام ، وأحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض ، بل هو من موجبات المغفرة ، والطريق إلى الجنة .

- روى الطبراني في (الصغير) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقي أخاه بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة » .

- وروى الطبراني في (الكبير) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم » .

- وروى الطبراني في (الأوسط والكبير) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم » .

- وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرض الله له ثواباً دون الجنة » .

وللتهنئة آداب نلخصها فيما يلي :

(أ) إظهار الفرح والاهتمام في مناسبة التهنئة :

لما جاء في الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال كعب : « سمعت صوت صارخ يقول : بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فذهب الناس يبشروننا ، وانطلقت أتأمم (أقصد) رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً يهنئونني بالتوبة ، ويقولون : (ليهْنِك توبة الله تعالى عليك » حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، وكان كعب لاينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال – وهو يبرق وجهه من السرور –: « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك »[١] .

(ب) التلفظ في المناسبة بعبارات لطيفة وأدعية مأثورة :

السنة النبوية أرشدتنا إلى كلمات بالتهنئة لطيفة ، وجمل من الدعاء رقيقة وطريفة ، على المسلم أن يتعلمها ، ويحسن أداءها ، ليقوم على تطبيقها في الوقت المناسب ، ولابأس أن نأتي على بعض هذه الطرائف والكلمات التي أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إليها ، وأثرت عن أصحابه الكرام والسلف الصالح :

١ – تهنئة من وُلد له مولود :

يستحب أن يقال له : « بورك لك بالموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه » .

ويستحب أن يرّد المهنىء فيقول : « بارك الله لك ، وبارك عليك ، ورزقك الله مثله » .

---

(١) تتلخص قصة كعب أنه تخلف عن غزوة تبوك من غير عذر ، فأمر النبي ﷺ بمقاطعته خمسين يوما ، وبعد الخمسين نزلت الآيات في توبته وتوبة صاحبيه ، وكان ما كان من أمر التهنئة . أرجع إلى رياض الصالحين تجد القصة بتمامها في باب « التوبة » .

وهذه العبارات مروية عن سيدنا الحسين بن علي ، والأمام الحسن البصري رضي الله عنهم .

٢ – تهنئة لمن قَدِم من سفر :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك » ، مروي عن السلف .

٣ – تهنئة لمن قدم من الجهاد :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك وأكرمك » . لما روى مسلم والنسائيّ وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ في غزو ، فلما دخل استقبلته فأخذت بيده فقلت : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك وأكرمك » ؛ ولا بأس أن يقال له كذلك : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك » .

٤ – تهنئة لمن قدم من حج :

يستحب أن يقال له : « قبل الله حجّك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » ؛ لما روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال : إني أريد الحج ، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال : « ياغلام ، زوّدك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهمّ » ، فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال : « ياغلام قبل الله حجك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » .

٥ – تهنئة عقد النكاح :

يستحب أن يقال لكل من الزوجين بعد النكاح : (بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير) ؛ لما روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة

رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان (أي إذا تزوج) ، قال : بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير » .

ويكره أن يقال له : (بالرِّفاء[1] والبنين) ، لأن ذلك من تهاني الجاهلية ، روى أحمد والنسائي وغيرهما عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة من جشم ، فدخل عليه القوم ، فقالوا : بالرفاء والبنين ، فقال : لاتفعلوا ذلك ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك ، قالوا : فما نقول يا أبا زيد ؟ قال : قولوا : بارك الله لكم ، وبارك عليكم ، إنا كذلك كنا نؤمر .

٦ – التهنئة بالعيد :

يستحب أن يقول المسلم للمسلم بعد صلاة العيد : « تقبل الله منا ومنك » .

قال في (المقاصد) مروي في العيد : أن خالد بن معدان لقي واثلة بن الأسقع في يوم عيد فقال له : « تقبل الله منا ومنك » ، فقال له مثل ذلك ، وأسنده إلى النبي ﷺ .

٧ – تهنئة من صنع إليه معروفا :

يستحب أن يقال لمن صنع إليه معروفاً : « بارك الله لك في أهلك ومالك ، وجزاك الله خيراً » ؛ لما روى النسائي وابن ماجه عن عبد الله بن أبي ربيعة قال : استقرض النبي ﷺ مني أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إليّ وقال : « بارك الله في أهلك ومالك ، إنما جزاء المُسْلِف (المقرض) الحمد والثناء » .

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ صُنع إليه معروف فقال لفاعله : (جزاك الله خيراً) ، فقد بلغ في الثناء » .

---

(١) الرفاء : بكسر الراء وبالمد : وهو الالتحام .

والأفضل في حق المهنِّيء أن يتقيد بالمأثور . وإذا أحب أن يزيد بتعابير من عنده فيها رقة ولطافة ، ودعاء .. فله ذلك بشرط ألا تكون هذه التعابير مقتبسة من أصل أجنبي ، ومأخوذة من تقليد جاهلي لتتّسم بالتميّز العقيدي . والأصالة الإسلامية ..

(ج) تستحب المهاداة مع التهنئة :

ومن الأمور المستحبة في التهنئة تقديم الهدية لأهل المولود أو القادم من سفر أو الذي دخل ليلة الزفاف أو غيرها من المناسبات للأحاديث التي تحض على المهاداة وترغب فيها :

– روى الطبراني والعسكري عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تهادوا وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً ، وأقيلوا الكرام عثراتهم » .

– وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (يا نساء المؤمنين تهادين ولو فرسن [1] شاة فإنه ينبت المودة ، ويذهب الضغائن) .

– وروى البخاري في (الأدب المفرد) وأحمد .. عن أبي هريرة مرفوعاً : « تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَرَ[2] الصدر » .

– وللديلمي عن أنس مرفوعاً : « عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة . وتذهب الضغائن » .

– وروى الطبراني في (الأوسط) عن عائشة مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » .

---

(١) فرسن شاة : ظلف شاة (أي المقدم) .

(٢) وحر الصدر : غشه وحقده .

فإذا كانت هذه الأحاديث تؤكد ظاهرة المهاداة بين أبناء المجتمع في غير المناسبات .. فتأكيدها المهاداة في مناسبات التهنئة والأفراح أظهر وأبلغ .. لما لهذه المهاداة من أثر بالغ في تماسك الأمة ، ووحدة الجماعة ، وزرع بذور المحبة أو الإخاء والصفاء في تربية المجتمع المسلم ، والشعب المؤمن ..

فما على المربين إلا أن يرسخوا أدب التهنئة في أسرهم وأولادهم ، حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس ..

٨ - أدب عيادة المريض :

ومن الآداب الاجتماعية العامة التي على المربين أن يعيروها اهتمامهم ، ويعودوها أطفالهم أدب عيادة المريض ، لتتأصل في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره ظاهرة المشاركة الواجدنية ، وظاهرة التحسس بآلام الآخرين ، ولايخفى أن هذه الظاهرة إذا نمت وتعمقت في نفوس الصغار منذ نشأتهم درجوا على الحب والإيثار والتعاطف .. بل تصبح هذه المعاني في نفوسهم خلقاً وعادة .. فلايقصرون في حق ولايتقاعسون عن واجب .. بل يشاركون أبناء المجتمع في سرائهم وضرائهم ، ويتحسسون آمالهم وآلامهم ، ويقاسمونهم أفراحهم وأحزانهم .. وهذا لعمري غاية مايحرص عليه الإسلام في تكوين المجتمع ، وتربية الأفراد .. على خصال الخير ، ومبادىء الفضيلة والأخلاق ..

من أجل هذا كله أمر الإسلام بعيادة المريض . بل جعل هذه العيادة من حق المسلم على المسلم .

— روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : « أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس . وابرار المقسم ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

ومن أجل هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون إلى الخيرات والتي منها عيادة المريض ليحظوا بالجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ؛ روى البخاري في (الأدب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال من شهد منكم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من أطعم اليوم منكم مسكيناً ؟ قال أبا بكر : أنا » ، قال (مروان) أحد رواة الحديث : بلغني أن النبي ﷺ قال : « ما اجتمعت هذه الخصال في رجل إلا دخل الجنة » .

ولعيادة المريض آداب نرتبها فيما يلي :

(أ) المسارعة إلى عيادته :

لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا مرض فعده » ، فينبغي أن تكون العيادة – كما دل عليه الحديث – من أول المرض .

ولكن هناك أحاديث تدل على أن العيادة بعد ثلاثة أيام ، فمن هذه الأحاديث :

ما رواه ابن ماجه والبيهقي قال : « كان النبي ﷺ لايعود مريضاً إلا بعد ثلاث » .

وروى الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما : « العيادة بعد ثلاث سنّة » .

ومما يروى عن الأعمش : « كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضاً عدناه » ؛ وللتوفيق بين هذه الأحاديث أقول : إذا كان المرض خطيراً فالمسارعة مطلوبة ، وأما إذا كان عادياً فبعد ثلاثة أيام لما ورد .

(ب) تخفيف العيادة أو إطالتها على حسب المريض :

فإن كان المريض في حالة خطيرة،يحتاج إلى من يتعهده ويقوم على أمره ولاسيما النساء فالعيادة ينبغي أن تكون خفيفة للغاية ؟ وإن كان المريض في حالة مرضية ، يستأنس بالذين يجلسون معه ، ويتحدثون إليه فلا بأس بالإطالة المعتدلة .. أما الدخول على المريض فالأفضل أن يكون يوماً بعد يوم إن كانت حالة المريض حسنة ، للحديث الذي رواه البزار والبيهقي والطبراني والحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : « زُرْ غِبًّا[1] تزدد حباً » .

وما أحسن قول ابن دريد :

عليك بإغباب[2] الزيارة إنها
إذا كثرتْ كانت إلى الهجر مسلكا

فإني رأيت الغيث يُسأم دائباً
ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

(ج) الدعاء للمريض عند الدخول عليه :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم ربَّ الناس ، أذهب البأس (المرض) ، اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً ».

---

(١) غبا : الغب الزيارة فترة بعد فترة ، وقيل أسبوعا بعد أسبوع .

(٢) بإغباب : بإقلال .

وروى أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي عنهما عن النبي ﷺ انه قال « من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : « أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يشفيك » إلا عافاه الله من هذا المرض » .

(د) تذكير المريض بوضع يده على موضع الألم والدعاء لنفسه بالمأثور :

لما روى مسلم عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده ، فقال له رسول الله ﷺ : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله – ثلاثاً – وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر » .

(هـ) استحباب سؤال أهل المريض عن حاله :

لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟ قال : « أصبح بحمد الله بارئاً » .

(و) استحباب قعود العائد عند رأس المريض :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه .

(ز) استحباب تطييب نفس المريض بالشفاء والعمر الطويل :

لما روى الترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخلتم على مريض فنفّسوا له في أجله (بطول العمر) ،

فإن ذلك لا يردّ شيئا ، ويطيّب نفسه » ، ويقال له :(لا بأس طهور ان شاء الله) كما جاء في حديث ابن عباس .

(ح) استحباب طلب العُوّاد الدعاء من المريض :

لما روى ابن ماجه وابن السني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة » .

(ط) تذكيره بلا إله إلا الله إن كان في حال الاحتضار :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

وروى أبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

هذه أهم الآداب التي شرعها الإسلام في عيادة المريض ، فعلى المربين أن يقوموا على تنفيذها ، ويعلّموها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس !!..

٩ – أدب التعزية :

من الآداب الاجتماعية التي يجب على المربين أن يعتنوا بها ويهتموا لها أدب التعزية لمن مات لهم ميت أو فقدوا عزيزاً غالياً .. ومعنى التعزية تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة أو بعبارات مأثورة تسلي المصاب ، وتخفف حزنه . وتهوّن عليه المصيبة ، والتعزية مستحبة ولو كان ذمياً لما روى ابن ماجه والبيهقي عن عمرو بن حزم رضي الله

عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل من حُلل الكرامة » .

وروى الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ عزّى مصاباً فله مثل أجره » .

وينبغي أن تكون التعزية لجميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار ، والرجال والنساء[١] .. سواء أكان ذلك قبل الدفن أو بعده إلى ثلاثة أيام ، إلا إذا كان المعزّي أو المعزّى غائباً فلا بأس بالتعزية بعد الثلاث .

وللتعزية آداب أهمها :

(أ) التلفظ بالمأثور إن أمكن :

يقول الإمام النووي في كتابه (الأذكار) : وأحسن ما يعزّى به ، مارويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت ، فقال لمن أرسلته : ارجع إليها فأخبرها « أن لله ما أخذ ، وله ما أعطى . وكل شيء عنده بأجل مسمى) ، فمرها فلتصبر ولتحتسب .. » .

ويقول الإمام النووي : وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه ، فبأي لفظ عزاه حصلت ، واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم للمسلم : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك » ؛ وفي تعزية المسلم بالكافر : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك » ؛ وفي تعزية الكافر بالمسلم « أحسن الله عزاءك ، وغفر لميتك » ؛ وفي تعزية الكافر بالكافر : « أخلف الله عليك » .

---

(١) استثنى العلماء المرأة الشابة فقالوا : لايعزيها إلا محارمها .

(ب) استحباب صنع الطعام لأهل الميت :

استحب الشرع الإسلامي صنع الطعام لأهل الميت لأنه من البر والإحسان وتقوية الصلات الاجتماعية ، ولأن أهل الميت مشغولون بصاحبهم . ومكلومون بمصابهم ، روى أبو داود وابن ماجه والترمذي عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً[١] ، فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم » . واتفق الأئمة على كراهة صنع أهل الميت طعاماً للناس يجتمعون عليه لحديث جرير قال : « كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة »[٢] .

وأما ما يفعله بعض الناس اليوم من صنع طعام ، أو تقديم ضيافة أثناء التعزية فمن البدع السيئة التي ماأنزل الله بها من سلطان ، وعلى المعزّي أن يرفض أي ضيافة تقدم إليه لكونها تتنافى مع الهدي النبوي ، والأدب الإسلامي .

(ج) إظهار التأسي لمن يواسيهم ويعزيهم :

وذلك بالتخشع عند الإنصات إلى القرآن الكريم ، والتحدث بأحاديث تتفق مع المصيبة ، والتلفظ بألفاظ التعزية المأثورة ، والمروية عن السلف ، إلى غير ذلك مما يتفق مع هول المناسبة ، وترتبط بالتعزية ..

أما أن يتبسم ، أو يضحك ، أو يلغو بكلام باطل ، أو يخوض في أحاديث غير مناسبة ، أو يأتي بنكات مضحكة .. فيكون قد أساء الأدب في حضرة من يُعزّيه ، ووقع في الإثم من حيث يعلم أو لايعلم .

فالترحم على الميت ، وإظهار الحزن عليه ، وتعداد مآثره .. هو أفضل ما يعزّى به أهل الميت ، وهكذا كان السلف يفعلون ، وعلى هذا المنهج يواسون ويُعزّون : روى

---

(١) أمر النبي ﷺ بهذا بعد أن أُعلم آل جعفر بمقتل جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة .

(٢) استثنى الفقهاء من يحضر من أماكن بعيدة للتعزية ، ولايمكن لأهل الميت الا أن يضيفوه .

أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حديثاً طويلا قال فيه : أن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها « ما أخرجك يافاطمة من بيتك ، قالت : أتيت أهل هذا الميت ، فترحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به » .

(د) النصح بالمعروف عند رؤية المنكر :

قد يفاجأ المعزي بوجود بدع ومنكرات في المكان الذي تكون فيه التعزية ، كتصدير صورة الميت ، أو تدخين الناس والقارىء يقرأ ، أو عزف موسيقى حزينة ، أو تقديم ضيافة إلى المعزين ، أو غير ذلك من المنكرات المنهيّ عنها في الدين ، فما هو موقفه منها ، بل ما هو الواجب الذي يحتمه عليه الإسلام ؟

الواجب عليه أن يكون جريئا بالحق ناصحاً بالمعروف لاتأخذه في الله لومة لائم .. ولايمنعه هول المناسبة في أن يتكلم الحق ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ولايمنعه خشية الناس أن ينصح ويقول ، ويأمر وينهى ، فالله سبحانه أحق أن يخشاه .

روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لايحقرنّ أحدكم نفسه ، قالوا : يارسول الله : وكيف يحقِّر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لايقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيامة : مامنعك أن تقول فيّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنتَ أحقَّ أن تخشى .

والنبي ﷺ لما كان يبايع أصحابه يبايعهم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم ، روى الشيخان عن جرير رضي الله عنه قال : « بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم » .

وقد أنذر النبي ﷺ الذين يقدرون أن يغيروا المنكر ولايغيرونه أنذرهم بعقاب من الله قبل أن يموتوا ، روى أبو داود عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يكون في قوم يعمَل فيهم بالمعاصي يقدرون أن يُغيروا عليه ، ولايُغيرن إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » .

ولاشك أن الأمر بالمعروف ينبغي أن يكون بالرفق واللين ، والموعظة الحسنة والأسلوب المناسب الحكيم .. عسى أن تفتح للموعظة قلوب ، وتتأثر بها نفوس .. وربّ كلمة لينة رقيقة حكيمة مخلصة بدلت السامع إلى إنسان آخر ، فأصبح من زمرة عباد الله الصالحين المؤمنين ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في أدب التعزية ، فما على المربين إلا أن يرشدوا إليها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس !!

١٠ – أدب العطاس والتثاؤب :

ومن الآداب الاجتماعية التي أمر الإسلام بها وحض عليها أدب العطاس ، وأدب التثاؤب ، فعلى المربين أن يعوّدوها أبناءهم ، ويعيروها اهتمامهم ... ليظهر الأولاد في المجتمع بمظهر لائق كريم بالتزامهم هذه الآداب ، وتخلقهم بهاتيك الأخلاق .

ولكن ما هو أدب العطاس الذي أرشد إليه نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ؟

(أ) التقيد بألفاظ الحمد والرحمة والهداية كما ثبت في السنة :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له ، يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » ؛ وفي رواية أبي داود والترمذي فليقل : (يغفر الله لنا ولكم) .

فنستنتج من هذه الأحاديث الأمور التالية :

يقـول العـاطس : (الحمـد لله) أو (الحمـد لله رب العـالمين) أو (الحمـد لله على كل حال)[١] .

ويقول له صاحبه : « يرحمك الله » .

ويجيب العاطس : (يهديكم الله ويصلح بالكم) . أو (يغفر الله لنا ولكم) .
وعلى المسلم أن يتقيد بهذه الكلمات لأنها مأثورة عن النبي ﷺ .

(ب) لايشمت العاطس إذا لم يحمد الله :

لما روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإذا لم يحمد الله فلاتشمتوه » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : « عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمّت أحدهما ولم يُشمِّت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا حمد الله ، وأنت لم تحمد الله » .

ولا بأس أن يُذكر بعض الحاضرين بالحمد ، ليتذكر العاطس حمد الله بعد عطاسه .

(ج) وضع اليد أو المنديل على الفم والتخفيض من الصوت ما أمكن :

لما روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه ، وخفض - أو غضّ - بها صوته » .

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » .

---

(١) كما جاء في بعض الروايات عن النبي ﷺ ارجع إلى كتاب « الأذكار » للنووي « تشميت العاطس وحكم التثاؤب » .

(د) التشميت إلى ثلاث مرات :

إذا تكرر العطاس من إنسان بشكل متابع ، فمن السنة أن يشمته إلى أن يبلغ ثلاث مرات . لما روى مسلم وأبو داود والترمذى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : « عطس رجل عند رسول الله ﷺ ، وأنا شاهد ، فقال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ، ثم عطس الثانية أو الثالثة ، فقال رسول الله ﷺ يرحمك الله ، هذا رجل مزكوم » أى مصاب بالزكام (الرشح) .

ولايشمّت بعد ثلاث مرات لما روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه ، وإذا زاد عن ثلاثة فهو مزكوم ، ولايشمت بعد ثلاث » .

واستحب كثير من العلماء أن يدعو له جليسه بالعافية والسلامة بعد ثلاث مرات ، ولا يكون من باب التشميت .

(هـ) يشمت غير المسلم بيهديكم الله :

لما روى أبو داود والترمذى عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم : « يرحمكم الله » ، فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(و) لا تشمّت المرأة الشابة الأجنبية :

ذهب أكثر أهل العلم والاجتهاد أنه « يكره كراهة تحريم أن يشمّت الرجل المرأة الأجنبية إذا عطست ولا يكره ذلك للعجوز » .

كرهوا ذلك للشابة سداً للذريعة ، وقطعاً لدابر الفتنة .

قال ابن الجوزي : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه « أنه كان عنده

رجل من العبّاد ، فعطست امرأة الإمام أحمد ، فقال لها العابد : يرحمك الله ، فقال الإمام أحمد : عابد جاهل » . ويقصد أنه جاهل بكراهية تشميت المرأة الأجنبية .

أما أدب التثاؤب فهو كما يلي :

(أ) ردّ التثاؤب ما استطاع :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى ، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » .

(ب) وضع اليد على الفم إذا ملكه التثاؤب :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه (فمه) فإن الشيطان يدخل » ، وذهب كثير من أهل العلم والاجتهاد إلى استحباب وضع اليد على الفم عند التثاؤب في الصلاة أو خارجها .

(ج) يكره رفع الصوت عند التثاؤب :

لما روى مسلم وأحمد والترمذي ... عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا تثاءب أحدكم فلا يقل : هاه هاه ، فإن ذلك من الشيطان يضحك منه » .

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » .

فائدة : مما يروى عن السلف أن من ملكه التثاؤب وتخيّل بذاكرته أنه عليه الصلاة والسلام لم يتثاءب قط يذهب عنه التثاؤب بإذن الله .

هذه أهم القواعد التي وضعها الإسلام في أدب العطاس والتثاؤب فما على المربين إلا أن يحرصوا على تطبيقها في أسرهم وبين أولادهم وأهليهم ، حتى يحاذوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس !!..

* * *

تلكم أظهر القواعد والأسس في أدب الاجتماع ، وفي أصول التعامل واللقاء ... وكم يحظى المسلم بالاحترام ، ويكون محل تقدير وإجلال ، حينما يطبق هذه الآداب عملياً ، ويظهر فيها اجتماعياً ، ويحققها سلوكياً ..

وكم تبلغ قمة المثل والأخلاق حينما يعرف المسلم الأدب في طعامه و شرابه ، وفي سلامه واستئذانه ، وفي مجالسته وحديثه ، وفي طرائفه ومزاحه ، وفي تهنئته وتعزيته ، وفي عطاسه وتثاؤبه ..؟ وهي آداب أوجبها الإسلام على الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم ، والأمير والسوقة ، والعالم والعامي .. لتظهر في الوجود الإنساني معالم المجتمع الفاضل متجسدة في المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، وتباين ألوانهم وثقافاتهم ..

وقد تجسدت هذه الآداب في المجتمع الإسلامي حقبة من الزمن لمّا كان للمسلمين دولة وكيان ، وحكومة وسلطان .. ولمّا كان الخليفة المسلم يفرض هذه الآداب فرضاً ، ويراقب من يقوم على تطبيقها أو يقصر فيها .. ولمّا كان المجتمع الإسلامي متكافلا متضامناً في النصح والتناصح ، والرقابة والنقد الاجتماعي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وكان الناس في هذه الحقبة يدخلون في الإسلام أفواجاً وجماعات .. لأنهم كانوا حينما ينظرون إلى المسلمين يرون الإسلام متجسداً في أدبهم وأخلاقهم ، متمثلا في سلوكهم ومعاملتهم ، متحققاً في أخذهم وعطائهم .. فمن

الطبيعي أن يدخل الناس في عدل الإسلام ، وأن يؤمنوا برسالته عن طواعية واختيار ، وهذه هي أخلاق المسلمين وآدابهم الاجتماعية !!..

وأنه لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ عليه أولها .. فما على المربين اليوم إلا أن يشحذوا هممهم ، ويجمّعوا قواهم ، ويطلقوا نشاطهم وعزائمهم في تربية هذا الجيل المسلم الناشيء على هذه الآداب الاجتماعية الفاضلة ، وأن يبدؤوا معهم منذ الصغر ، لتكون الثمرات أفضل ، والنتائج أحسن ، والله سبحانه سيثيبهم خيراً ، ويدّخر لهم يوم القيامة أجراً إذا هم قاموا بهذه المسؤولية ، وأدوا ماعليهم من واجب ، والله يجزي العاملين الصادقين المخلصين ، ولايضيع أجر من أحسن عملا .

وفي الختام أحب أن أشير إلى مسألتين هامتين :

(أ) هذه الآداب الاجتماعية - التي سبق ذكرها - لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالإسلام والمسلمين .

(ب) هذه الآداب تدل على أن الاسلام دين اجتماعي جاء لإصلاح المجتمعات الإنسانية لا ديناً فرديا ، ولا تشريعا كهنوتيا .. كما أنه ليس حبراً على ورق أو كتاباً على الرف .

﴿ هَذا خَلْقُ اللهِ فأَرُوني ماذا خَلَقَ الذين من دُونِه بل الظّالمونَ في ضلالٍ مبين ﴾ .

(لقمان : ١١)

٤ - المراقبة والنقد الاجتماعي

ومن المبادىء الاجتماعية الهامة في تكوين الولد سلوكيا ، وتربيته اجتماعياً .. تعويد الولد منذ نعومة أظفاره على رقابة المجتمع ، والنقد الاجتماعي البناء لكل من يعايشهم ، وينتمي إليهم ، ويلتقي معهم ، والنصح لكل إنسان يُرى منه شذوذا أو انحرافا ..

وبالاختصار تعويد الولد منذ نشأته على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من قواعد الإسلام الأساسية في حراسة الرأي العام ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي الحفاظ على قيم الأمة الإسلامية ومثلها وأخلاقها ..

فما أحوجنا إلى مربين جادين وواعين يغرسون في الطفل منذ أن يفتح عينيه خلق الجرأة والشجاعة وقولة الحق .. حتى إذا بلغ الولد السن التي تؤهله في أن ينقد ، وأن ينصح ، وأن يقول .. قام بواجب النصح ، ومسؤولية النقد خير قيام ، بل انطلق في مضمار الدعوة إلى الله ، وفي تبليغ رسالة الإسلام ، وفي تقويم الاعوجاج والانحراف .. دون أن يأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن يصده عن إعلان كلمة الحق مستبد أو ظالم .

ولكن ما هي الأصول والمراحل في تكوين الولد على النقد الاجتماعي ، وحراسة الرأي العام ؟

الآن أضع بين يدي المربين جميعاً أهم هذه الأصول والمراحل حتى يقوموا بمسؤوليتهم بواجب التربية والإعداد والتكوين :

١ – حراسة الرأى العام وظيفة اجتماعية :

فرض الإسلام حراسة الرأى العام الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مجموع الأمة على اختلاف أصنافها وأنواعها دون أن يكون بينها تفريق أو تمييز ، فرضها على الحكام والعلماء ، على الخاصة والعامة ، على الرجال والنساء ، على الشيب والشباب ، على الصغار والكبار ، على الموظفين والعمال . على الكل على حد سواء ، واعتبر هذه المهمة وظيفة اجتماعية لا يعفى منها أي إنسان ، كل على حسب حاله ، وحسب طاقته ، وحسب إيمانه ..

والأصل في هذا قوله تبارك وتعالى : ﴿ **كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للناسِ تأمُرونَ بالمعرُوفِ وتنهَونَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله** ﴾ .

(آل عمران : ١١٠)

وقوله تعالى في وظيفة المؤمنين الاجتماعية : ﴿ **والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهم أولياءُ بعضٍ يأمُرون بالمعروفِ وينهَون عن المنكرِ ويقيمونَ الصلاةَ ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

(التوبة : ٧١)

والنبي صلوات الله وسلامه عليه حين كان يأخذ البيعة من أصحابه ، ومن كل من ينتمي إلى جماعة المسلمين .. كان عليه الصلاة والسلام يعاهدهم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ... وعلى أن يقولوا بالحق أينما كانوا ولايخافون في الله لومة لائم ..

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا (الإيثار) ، وألّا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كُنّا ، لانخاف في الله لومة لائم » .

وقد مثّل لهم عليه الصلاة والسلام رقابة المجتمع للفرد ، ورقابة الفرد للمجتمع بمثال السفينة ، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والنقد الاجتماعي ، والأخذ على يد الظالم ، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها ، ويتحقق لها كيانها ووجودها ، وتكون دائماً في مأمن من عبث العابثين ، واستبداد الطغاة الظالمين .
روى البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوْا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا على أيدهم نجوْا ونجوا جميعاً » .

– ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أبناء الأمة الإسلامية ، وأنه وظيفة اجتماعية على كل فرد مسلم استحقاق بني اسرائيل لعنة الله لعدم تناهيهم عن المنكر ، ولايستحق الإنسان لعنة الله إلا إذا ترك أمراً واجباً في عنقه ، فدلت آية : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل ... ﴾ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم رجالا ونساء ، شيباً وشباناً ، صغاراً وكباراً .. ويدل على هذا الوجوب أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً ، فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم (تُلزموهم) على الحقّ أطراً » .

– ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك شمول الهلاك لكل متقاعس عن حق الإسلام والمجتمع في التقويم والإصلاح ، والضرب على يد العابثين المفسدين .. روى الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل علينا فَزِعاً يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب ، فتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلّق بين أصبعيه : الإبهام والتي تليها ، فقلت : يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخَبَث (الفسوق والمنكر) .

– ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك أن الله سبحانه لايستجيب إلى دعاء أحد من الأمة حتى الخيار منهم لكونهم تقاعسوا عن واجب مجاهدة الضالين ، ومقاومة الظالمين . روى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ، ولتنهَوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشِكَنَّ الله يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

وروى ابن ماجه وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل النبي ﷺ فعرفت في وجهه أنه حضره شيء فتوضأ ، وما كلَّم أحداً ، فلصِقْتُ بالحجرة استمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : يا أيها الناس : إنّ الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، فما زاد عليهم حتى نزل » .

وأما مايحتج به البعض من حديث النبي ﷺ – فيما رواه مسلم .. – : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » أن الأمر بالمعروف باليد على الأمراء . وباللسان على العلماء ، وبالقلب على عوام الناس .. فهذا الاحتجاج لاينهض على دليل ، ولايستند على حجة لأن لفظ « من » في قوله عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم ... » هو لفظ يدل على العموم . ويشمل كل من استطاع تغيير المنكر باليد أو اللسان أو الإنكار بالقلب سواء أكان المنكر من الأمراء أو العلماء أو عامة الناس إذافقهوا الخطر الذي يترتب عليه تفشّي المنكر ، وذلك للعموم الذي يدل عليه الحديث الذي سبق ، ولعموم كلمة « أمة » الواردة في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ، فإن كلمة « أمة » تشمل الأمة بأسرها على اختلاف طبقاتها ومستوياتها سواء أكانوا حكاماً أم علماء أم عامة .. ؟ وإلا فكيف يتأتى للأمة أن تكون واقفة بالمرصاد للذين يتآمرون على دينها وأخلاقها ، ويعبثون بعقائدها ومقدساتها . ويعيثون في الأرض ظلماً وفساداً ، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .. كيف يتأتى لهم الوقوف إذا لم تتضافر الأمة بأسرها على مقاومة المنكر . وتقف صفاً واحداً أمام العابثين والظالمين ؟!!

ألا فليغرس المربون في نفوس الناشئة بذور الجرأة الأدبية ، والشجاعة النفسية في القول والعمل .. حتى ينشأ الولد منذ نعومة أظفاره على حراسة الرأي العام ، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنقد الاجتماعي البناء الحكيم لكل إنسان ..

٢ – الأصول المتبعة في هذه الحراسة :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصول متبعة ، وشروط لازمة ؛ فعلى المربين أن يأخذوا أنفسهم بها ، ويعلموها أبناءهم ، ويلقنوها صغارهم .. حتى يعقل الولد هذه الأصول ، ويسير على هذه القواعد ، فإذا قام بمهمة الدعوة إلى الله وأمر غيره بالمعروف ، ونهاه عن المنكر كانت الاستجابة له أكثر ، والتأثير به أقوى ..

والأصول المتبعة – كما يراها كثير من العلماء والدعاة – هي ممايلي :

(أ) أن يكون فعله مطابقا لقوله :

لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقُولون مالا تفعَلون كَبُرَ مَقْتاً عِند الله أن تقُولوا مالا تفعلون ﴾ .

(الصف : ٣)

ويقول ﴿ أتأمُرونَ الناسَ بالبِرّ وتنسون أنفُسَكُم وأنتم تتلُونَ الكتابَ أفلا تعقلون ﴾

(البقرة : ٤٤)

ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان عن أسامة – قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار . فيقولون :

يافلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر المعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمرُ بالمعروف ولاآتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

ولقوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي : أتيت ليلة أسريَ بي على قوم تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ، ويقرؤون كتاب الله ولايعملون به » .

وكان السلف رضوان الله عليهم يتحرجون من الدعوة إلى الله ، وتعليم الغير قبل أن يحاسبوا أنفسهم وأولادهم وأهليهم . ويأمروهم بالبر والتقوى والعمل الصالح !! ..

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يأمر الناس بأمر ، وينهاهم عن نهي يجمع أهل بيته ويقول لهم « أما بعد ، فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا وأنهاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لايبلغني عن أحد منكم أنه فعل مانهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالا شديداً » ثم يخرج رضي الله عنه ، فيدعو الناس إلى مايريد فما يتأخر أحد عن السمع والطاعة .

وهذا مالك بن دينار إذا حدث الناس بهذا الحديث : « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أردْت بها »[١] بكى ، ثم قال : أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ؛ قال : ماأردت به ، فأقول أنت الشهيدعلى قلبي لو لم أعلم أنه أحبَّ إليك لم أقرأ على اثنين أبداً .

ألا فليتأدب الدعاة بهذا الأدب الإسلامي الرفيع ، ليقبل الناس قولهم . ويستجيبوا إلى موعظتهم وإرشادهم !!..

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا .

(ب) أن يكون المنكر الذي ينهي عنه مجمعاً على إنكاره :

من الأمور التي لايختلف فيها اثنان من رجال العلم والإصلاح أن المنكر الذي ينهى عنه المسلم يجب أن يكون مما أجمع على إنكاره لدى أهل الفقه . وأئمة الاجتهاد .. أما ما كان من خلاف بين المجتهدين الثقاة فلا يعد في الشرع منكراً ، فلا يجوز لمن كان متمذهباً على مذهب الإمام أحمد أن ينكر من كان متمذهباً على المذهب الإمام مالك ، لأن كل واحد من هؤلاء الأئمة قد بذل أقصى ما في وسعه ليصل إلى الحكم الصحيح عن طريق الدليل ،وكل إمام من هؤلاء يستقي مذهبه من المصادر التشريعية المعروفة : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والاجماع .. فلماذا الإنكار على متبع المذهب وهو يقلد إماما جبلا في العلم ، وقدوة في الصلاح والورع ، وآية في الذكاء والفهم والنبوغ .. ؟ وقد قالوا قديماً : (من قلد عالماً لقي الله سالماً) .

أما هؤلاء الذين ينكرون على غيرهم لكونهم مقلدين بدعوى أنهم مجتهدو هذا الزمان ، فهؤلاء في موقفهم المتعنت هذا مفرقون لوحدة الأمة . ومعوقون لمسيرة الجماعة الإسلامية نحو العز والنصر ..

فنصيحتنا إلى هؤلاء أن يعدلوا من موقفهم ، ويخففوا من غلوائهم وحدتهم ، وأن يقدّروا ظرف المسلمين العصيب الذي يتهددهم ، والأخطار الأليمة التي تحيط بهم ، وأن يأخذوا بالمبدأ الذي يقول : « نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، فإذا هم أخذوا بهذه النصيحة بعين الاعتبار فيكونون ممن ساهموا في وحدة الأمة وتماسكها ، بل أصبحوا ردءاً وسنداً لمسيرة جماعة المسلمين نحو النصر . بل وحدوا جهودهم مع العاملين المخلصين لإقامة دولة الإسلام .. وماذلك على الله بعزيز .

(ج) أن يكون متدرّجاً في إنكار المنكر :

فعلى المنكِر أن يتدرج بإزالة المنكر على مراحل : (فيبدأ بالتعرف على المنكر ابتداء من غير تجسس ، ثم تعريف فاعل المنكر بأنه منكر ، ثم النهي بالوعظ

والإرشاد والنصح والتخويف بالله تعالى ، ثم التعنيف بالقول الغليظ لمن لاينفع فيه النصح والإرشاد ، ثم التهديد والتخويف بقول المنكر لأفعلن كذا وكذا ، ثم التغيير باليد ككسر الملاهي ، وخرق زقاق الخمر ، ومنع الاعتداء على الناس .. ، ثم تغيير المنكر بالجماعة وغيرها من غير سلاح ، وهذا جائز للآحاد للضرورة والاقتصار على الحاجة ، وشرط أن لايترتب عليه فتنة بين الناس ، ثم تغيير المنكر بالجماعة أي قيام الشعب أو جزء منه بالسلاح . ولايستقل به الأفراد لأنه يؤدى إلى مزيد الفتن ، وهيجان الفساد ، وخراب البلاد ..)(١) .

والمبدأ المتبع في تغيير المنكر – كما ذكر الفقهاء – أنه لايجوز أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف ، فإذا وصل المنكِر إلى التغيير مثلا بالملاطفة والنصح فلايجوز له أن يلجأ إلى التعنيف بالقول الغليظ ، وإذا كان ينفع التعنيف فلايجوز له أن يلجأ إلى التغيير باليد ، وهكذا ..

فعلى المُنكِرِ أن يكون حكيماً عالماً بالأصول المتبعة فى إنكار المنكر حتى لايقع في عثرات قد تؤدي إلى نتائج لاتحمد عقباها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

(د) أن يكون لطيفاً رفيقاً حسن الخلق :

من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى لدعوة الناس إلى الخير ، ونهيهم عن الشر لين الجانب وحسن الخلق ، ليكون التأثير أبلغ ، والاستجابة أقوى ؛ وهذه الصفة من اللطف والرفق واللّين هي من أميز ما يجب أن يظهر به الداعية في طريق الإصلاح والتبليغ والدعوة إلى الله .. بل كان عليه الصلاة والسلام يأمر بها ، ويعطي لأصحابه القدوة فيها ..

---

(١) إحياء العلوم للغزالي ٢ : ٣٩٢ مع بعض التصرف .

– روى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أمر بمعروف فليكن بمعروف » .

– وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه ، ولاينزع من شيء إلا شانه » .

– وفي رواية لمسلم : « إنّ الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » .

أما قدوته عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين فتجسد في الأمثلة التالية :

– روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي ﷺ : دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلا (دلوا) من ماء ، فإنما بعثتم مُيسِّرين ، ولم تبعثوا مُعسِّرين » .

ـ روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي إمامة رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : « يانبي الله أتأذن لي في الزني » ، فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : « قربوه ، أُدْنُ » ، فدنى حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : « كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم » . « أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : « فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم » ، « أتحبّه لأختك ؟ قال : لا جعلني الله فداك ، قال : « فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم » ، وزاد الراوي ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداك ، والنبي ﷺ يقول : « كذلك الناس لا يحبونه » ، ثم وضع الرسول ﷺ يده على صدره ، وقال : « اللهم طَهِّر قلبه ، واغفر ذنبه ، حصِّن فرجه » ، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنى .

– روى مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي حدث يوماً فقال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذا عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم

بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه !.. ماشأنكم تنظرون الي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني سكتُّ ، فلما صلى عليه الصلاة والسلام ، فبأبي هو وأمي ، مارأيت معلماً قبله ولابعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني .. وإنما قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ..

دخل واعظ إلى أبي جعفر المنصور ، فأغلظ عليه في الكلام ، فقال أبو جعفر : يا هذا ارفق بي ، أرسل الله سبحانه من هو خير منك إلى من هو شر مني ، أرسل الله موسى إلى فرعون ، فقال له :

- ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ .

فخجل الرجل على مابدر منه ، وعرف أنه لم يكن أفضل من موسى عليه السلام ، وأن أبا جعفر لم يكن أشرّ من فرعون ؛ وصدق الله العظيم حين أدّب نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنْتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا مِنْ حولِكَ ، فاعفُ عنهم ، واستغفرْ لهم وشاوِرْهُم في الأمر ، فإذا عزمْتَ فتوكل على الله إن الله يحبُّ المتوكلين ﴾ .

(آل عمران : ١٥٩)

(هـ) أن يكون صابراً على الأذى :

من البديهي أن يتعرض الناقد للمجتمع ، أو الداعية إلى الله .. لأصناف الأذى ، وأنواع الألم لما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ، واستهزاء الساخرين .. وهذا – لاشك – سنة الله في الأنبياء والدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان .

﴿ ألَم أحَسِبَ الناسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايُفتَنُون ، ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليَعْلَمَنّ الله الذين صدقُوا وليَعْلَمَنّ الكاذبين ﴾ .

(العنكبوت : ٣)

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب ﴾ .

(البقرة : ٢١٤)

ومن هنا كانت وصية لقمان لابنه وهو يعظه :

﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

(لقمان : ١٧)

ومن هنا كان الابتلاء في سبيل الله سبيلا الى الجنة ، وتكفيراً للخطايا الماضية :

﴿ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ .

(آل عمران : ١٩٥)

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال : قلنا يارسول الله : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » .

وروى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حُفت الجنة بالمكاره ، وحُفت النار بالشهوات » . وحسب الداعية الناصح ، والمجاهد الناقد .. أن يتأسى بسيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه الذي أصابه من الأذى والمكروه والاتهام مالم يُصب داعية قبله ولابعده : سلك معه المشركون طريق الإغراء والإغواء ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وماخضع ؛ وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره

ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع .. وظل عليه الصلاة والسلام مثابراً في طريق الدعوة ، محتملا أصناف الأذى ، صامدا ثابتاً راسخاً .. إلى أن جاء نصر الله والفتح .

فما أجدر الذين يحملون بأيدهم لواء الرسالة الإسلامية ، ويهدفون إلى إقامة حكم الله في الأرض !. ما أجدرهم أن يوطنّوا نفوسهم على الصبر ، وأن يتحملوا المشاق والأذى في سبيل الله !!. إن أرادوا نجاحاً على الأيام مضموناً .. ونصراً في المستقبل محققاً موجودا .

وهنا قد يعترض سؤال : هل يجوز لمنكِر المنكَر إذا خاف على نفسه الضرر ولم يرجُ زواله هل يجوز له التغيير ؟

الظاهر أنه يجوز له تغيير المنكر لقوله تبارك وتعالى على لسان لقمان الحكيم :
﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور ﴾ .

(لقمان : ١٧)

فالنص القرآني لم يقيد الأمر الإلهي في تغيير المنكر بخوف نفس أو رجاء إزالة ..، وهذا يدل على أن النية إذا خلصت لله ، فليقتحم المسلم تغيير المنكر كيف كان ولايبالي لأن هذا الاقتحام والإقدام من عزم الأمور . ومن منطلقات الإيمان ..

يقول أبو بكر بن العربي : (إن من رجا زواله (أى المنكر) وخاف على نفسه من تغيره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الضرر ، وان لم يرْجُ زواله فأي فائدة عنده ؟) ويعلق ابن العربي على ماأورده عن العلماء بقوله : (والذى عندي أن النية إذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي) .[1] .

---

(١) شرح شرعة الإسلام للشيخ علي زادة ص ٤٩٧ ، وأبو بكر بن العربي من علماء المالكية .

وجاء في شرح شرعة الإسلام للشيخ على زاده : (ولايتحبب إلى الناس بالمداهنة ، ولايخاف لوماً ولا شتماً ولا ضرباً بل ولا يخاف قتلا ، فإن السلف كانوا ينكرون على الأمة والأمراء .. ولا يبالون أصلا ..) .

هذا عدا عن **العلم** الذي يجب أن يتصف به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حتى يكون نقده ونصحه وأمره ونهيه .. على وفق أحكام الشريعة ومبادئها العامة الشاملة ..

تلكم أهم الأصول المتبعة في حراسةالرأي العام ، والنقد الذاتي لأفراد المجتمع ، فعلى المربين أن يحققوها في أنفسهم ، ويعلموها أبناءهم .. حتى يلتزم الولد هذه الآداب حين يدخل مدرسة الحياة ، ويخوض معاركها ، ويقوم بمهامها ومسؤولياتها !..

٣ - التذكير الدائم بمواقف السلف :

ومن العوامل التي تُرسِّخُ في المسلم خلق الجرأة والشجاعة ، وتهيب به في حراسة الرأي العام ، واتخاذ مواقف حاسمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرض المواقف التاريخية التي وقفها السلف الصالح والجدود الأمجاد في تغيير المنكر ، وتقويم المعوج .. وهي لاشك – إن أحسن عرضها – تركت أفضل الأثر في نفوس الناشئة . وفي عزائم الشباب . بل تدفعهم دفعاً إلى أن يقفوا ببسالة وإقدام في وجه المنحرفين والمفسدين والملحدين .. الذين لايقيمون للإسلام حرمة ، ولا للأخلاق الفاضلة وزناً أو قيمة .. وما أكثرهم في هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ونتطلع إليه !!..

وإليكم نماذج من مواقفهم الحاسمة لتكون للشباب ذكرى وعبرة :

(أ) رُوي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى ، فدخل المدينة ليزور أخاً له ، وكان غلمان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره ، وكان يوم ضيافة الأمير ، فلما رآهم الزاهد . قال (يا نفس وقع أمر ، إن سكتِّ فأنت شريكة) . فرفع رأسه إلى السماء ، واستعان

بالله ، وأخذ العصا ، فحمل عليهم حملة واحدة ، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان ، وقصّوا على الأمير . فدعا به وقال له : « أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدّى في السجن ؟ » فقال له أبو غياث : « أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران ؟ » ، فقال له : (من ولاك الحِسبة[١]؟) ، فقال : (الذى ولاك الإمارة) ، فقال الأمير : (ولاني الخليفة) ، فقال أبو غياث : (ولاني الحسبة ربّ الخليفة) ، فقال الأمير : (وليتُك الحسبة بسمرقند) ، فقال : (عزلت نفسي عنها) ، قال الأمير : (العجب في أمرك تحتسب حين لم تؤمر ، وتمتنع حيث تؤمر) . قال : (لأنك إن وليتني عزلتني ، وإذا ولاني ربي لم يعزلني أحد) ، فقال الأمير (سل حاجتك) ، فقال : (حاجتي أن ترد عليّ شبابي) ، فقال : (ليس ذلك إليّ) ، قال : (هل لك حاجة أخرى ؟) ، قال : (أن تكتب إلى مالك خازن النار أن لايعذبني) ، قال : (ليس لي ذلك أيضاً) ، قال : (هل لك حاجة أخرى ؟) قال : (أن تكتب إلى رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة) ، قال : (ليس ذلك إليّ أيضا) ، قال أبو غياث : فإنها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابني إليها) ، فخلي الأمير سبيله[١] .

(ب) وذكر الغزالي في إحيائه : عن الأصمعي قال : (دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على سريره ، وحوله الأشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به قام إليه ، وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله ، فتعاهده بالعمارة ؛ واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ، فإنك بهم جلست هذا المجلس ؛ واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم ؛ واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ، ولاتغلق بابك دونهم ، فقال : أجل ، أفعل ؛ ثم نهض -

---

(١) أي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقام ، فقبض عليه عبد الملك فقال : يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالي إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف) .

(ج) وقد جاء في كتاب الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية ، أن السلطان سليم خان أمر بقتل مائة وخمسين رجلا من حفاظ الخزائن ، فتنبه لذلك المفتي العالم (علاء الدين علي بن أحمد المفتي) ، فذهب الى الديوان العالي ، ولم يكن من عادتهم أن يذهب المفتي إلى الديوان العالي إلا لحادث عظيم ، فتحيّر أهل الديوان ، ولما دخل الديوان سلّم على الوزراء فاستقبلوه وأجلسوه في صدر المجلس ، ثم قالوا له : أي شيء دعا المولى إلى المجيء إلى الديوان العالي ؟ فقال : أريد أن أدخل على السلطان ، ولي معه كلام ، فعرضوه على السلطان خان ، فأذن له وحده ، فدخل وسلم عليه وجلس ، ثم قال : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلا لايجوز قتلهم شرعاً ، فعليك بالعفو عنهم ، فغضب السلطان وكان صاحب حدة ، وقال : إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، قال : لا ، بل أتعرض لأمر آخرتك وإنه من وظيفتي ، فإن عفوت فلك النجاة ، وإلاعليك عقاب عظيم ، فانكسرت عند ذلك ثورة غضبه ، وعفا عن الكل ، ثم تحدث معه ساعة ، ولما أراد أن يقوم ، قال له : تكلمت في أمر آخرتك ، وبقي لي كلام يتعلق بالمروءة ، قال السلطان وما هو ؟ قال : إن هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق بعرض السلطنة أن يتكففوا الناس ؟ قال : لا ، قال : فقررهم في مناصبهم ، فقبله السلطان ، وقال : ألا إني أعذبهم لتقصيرهم في خدمتهم ، قال المفتي : هذا جائز ، لأن التعزير مفوض إلى السلطان ، ثم سلم عليه وانصرف وهو مشكور .

(د) وروى الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية بمصر رحمه الله قال : (حدثني صديقي الكريم محمد فهمي الناضوري باشا عن أحمد

أفندي بدوي عن أبيه عن جده ، وكان من الشيوخ بالأزهر في زمن الخديوي إسماعيل قال : لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ، ضاق صدر الخديوي بذلك ، فركب يوما مع شريف باشا وهو محرج ، فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف باشا : ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة ، تريد أن تدفعها ؟ فقال : يا أفندينا إن الله عودني إذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ إلى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرج الله عني ، قال : نكلم شيخ الأزهر ، وكان الشيخ العروسي ، فجمع له من صلحاء العلماء جمعا أخذوا يتلون في البخاري أمام القِبْلَة القديمة في الأزهر ، قال : ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى ، فذهب الخديوي ، ومعه شريف باشا إلى العلماء ، وقال لهم غاضباً : إما هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري ، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح ؛ فإن الله لم يدفع بكم ولابتلاوتكم شيئا فوجم العلماء لذلك وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له : منك ياإسماعيل ، فإننا روينا عن النبي ﷺ أنه قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » أو كما قال ، فزاد وجوم المشايخ ، وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم يتكلما بكلمة ؛ وأخذ العلماء يلومونه ويؤنبونه ، فبينما هم إذا بشريف باشا عاد يسأل : أين الشيخ القائل للخديوي ما قال ؟ ، فقال : (أنا) ، فأخذه وقام ، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومونه يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع ، وسار شريف باشا إلى أن دخلا على الخديوي في قصره ، فإذا به قاعد في البهو ، وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ ، وقال له : أعد ماقلته لي في الأزهر ، فأعاد الشيخ كلمته ، وردد الحديث وشرحه ، فقال له الخديوي : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء ؟ ، قال له : يا أفندينا ، أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا ؟ أليس الزنى برخصة ؟ أليس الخمر مباحاً ؟ .. أليس .. أليس .. ؟ ، وعدّد له منكرات تجري بلا إنكار ، وقال : كيف ننتظر النصر من السماء ؟ فقال الخديوي : ماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب

وهذه مدنيتهم ؟ قال : إذن فما ذنب البخاري ، وما حيلة العلماء ؟ ففكر الخديوى ملياً ، وأطرق طويلا ثم قال : صدقت .. صدقت وعاد الشيخ بعد هذا إلى الأزهر ، وإخوانه قد يئسوا منه ، فكأنما قد ولد جديداً)[١] .

(هـ) وذكر صاحب (كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) أنه في (١٢٠٩) هـ (حضر إلى الشيخ الشرقاوى شيخ جامع الأزهر أهل قرية (بشرقية بلبيس) .. وذكروا أن أتباع (محمد بك الألفي) ظلموهم ، وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه ، فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب (مراد بك ، وإبراهيم بك) وهما صاحبا الأمر والنهي ، ولكنهما لم يبديا شيئاً ، ولم يحركا ساكناً في هذا الأمر الهام ..

وكان من نتيجة ذلك أن أمر المشايخ الناس بغلق الأسواق والحوانيت احتجاجاً على هذا الظلم ، ثم ركبوا ثاني يوم إلى بيت (مراد بك ، وإبراهيم بك) وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبركة ، بحيث يراهم (إبراهيم بك) ، فأرسل إليهم سكرتيره الخاص (أيوب بك) ، فوقف بين أيديهم وسألهم عن مرادهم ، فقالوا : (نريد العدل ، وإبطال الحوادث ، والمكوسات (الضرائب الكثيرة) التي ابتدعتموها) ؛ فقال : (لايمكن الإجابة إلى كل هذا ، فإنا إن فعلنا ذلك لضاقت علينا المعايش) ، فقالوا : (ليس هذا بعذر عند الحال ، وما الباعث على الإكثار من النفقات والمماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ) ، فقال : حتى أبلغ ، وانصرف . وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر ، واجتمع أهل الأطراف ، فبعث (مراد بك) يقول : (أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المتأخر في الجامكية) ، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم ، فذهبوا إليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي في الصلح ، وفي اليوم الثالث اجتمع الأمراء والمشايخ في بيت (إبراهيم بك) ، وفيهم الشرقاوي ، وانعقد الصلح على رفع المظالم ، وأن يسيروا في الناس سيرة حسنة ، وكتب القاضي كتابا في ذلك ، وقّع عليه الباشا والأمراء ، وانجلت الفتنة) .

---

(١) من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان ص ٩٧ .

والأمثلة[1] على مواقف السلف كثيرة ، وتدل كلها على قيام الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للمجتمع من أن يتطرق إليه عبث أو فوضى ، وتثبيتاً لترابط الأمة وتماسكها ؛ وما الفرد في المجتمع إلا لبنة من لبناته ، فعليه أن يوجه الرأي العام إلى ما فيه جلب للمصالح ، ودرء للمفاسد .. وأن يتفاعل مع الناس في إقامة الصرح الاجتماعي على أساس من العقيدة الإسلامية الخالصة ، والمبادىء الخلقية الفاضلة ، وإعلان كلمة الحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، والإسلام – بتوجيهاته الكريمة – جعل أي مسلم رقيباً على نفسه ، ورقيباً على غيره ، ليقوم بالدور الكبير ، والمهمة العظمى في البناء والإصلاح ، والتواصي بالصبر .. وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ والعصرِ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعمِلُوا الصَّالِحاتِ وتواصَوا بالحقِ وتواصَوا بالصَّبرِ ﴾

(سورة العصر)

* * *

تلكم أهم الأسس التي وضعها الإسلام في النقد الاجتماعي ، ورقابة المجتمع ، وحراسة الرأي العام المتجسدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

وأضيف أمراً أضعه بين يدي المربي ، ليوجّهوا إليه ، ويذكروا فيه ، ويركزوا عليه ألا وهو تصحيح مفهوم التصور عن شمولية الإسلام لأنظمة الحياة ، هذه الشمولية التي توفق بين مطالب الفرد ومصالح الجماعة ، وتؤمن سيادة الأمة وسلامة العالم .. هذه الشمولية التي تجمع بين الدين والدنيا ، والروح والمادة ، والمصحف والسيف ، والعبادة والجهاد ...

---

(١) من اراد المزيد من هذه المواقف فليرجع الى كتابنا « إلى ورثة الأنبياء » والى كتاب « الاسلام بين العلماء والحكام » للشيخ المجاهد الشهيد « عبد العزيز البدري » ، والى كتاب « من أخلاق العلماء » للشيخ محمد سليمان ، والى ما كتبه الامام الغزالي في الأحياء .. يجد فيها من المواقف البطولية ما يشفي الغليل .

هذه الشمولية التي تتجسد في العقيدة والإيمان ، والتقوى والاحسان ، والصلاة والصوم ، والخير والبر ، والصبر على الضر ، والصدق والوفاء ، والحب والإخاء ، والبذل والسخاء ، والعهد والوعد ، والعزم والقصد . والحرب والسلم ، والعقوبة والقصاص ..

وهذه آيات الله تنطق بالحق ، وتصحح المفهوم ، وترشد إلى خصيصة الشمول والعموم :

﴿ ليسَ البرَّ أن تولوا وُجُوهكُم قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائِكة والكتابِ والنبيين ، وآتى المالَ على حُبِّهِ ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرِّقابِ ، وأقامَ الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدِهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساءِ والضرَّاءِ وحين البأس ، أولئك الذين صَدقوا وأولئك هُم المتَّقون . يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم القِصَاصُ في القتلى الحرُّ بالحرِّ ، والعبدُ بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتباعٌ بالمعروفِ وأداءٌ إليه بإحسانٍ ، ذلك تخفيفٌ من ربكُم ورحمةٌ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم . ولكم في القِصاصِ حياة يا أولي الألبابِ لعلكُم تتقُون ﴾

(البقرة : ١٧٧ - ١٧٩)

وكم يكون المسلم جاهلا حين يظن أن الإسلام دين عبادة ، وليس دين جهاد ؟

وكم يكون الإنسان واهماً حين يتصور أن الإسلام لا يدعو إلى نظام حكم ، ولاينظم شؤون الحياة ؟

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتابِ وتكفُرون ببعض ، فما جَزاءُ من يفعَلُ ذلك منكُم إلَّا خِزْيٌ في الحياة الدنيا ، ويوم القِيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشدِّ العذاب ﴾

(البقرة : ٨٥)

وأخيراً : أريد أن ألفت نظر المربين إلى أن الولد لايتربى على المراقبة والنقد الاجتماعي إلا أن نعالج فيه ظاهرة الخجل والخوف .. وقد عالجناها في مبحث (مسؤولية التربية النفسية)[1] ، فارجع إليه - أخي المربي - لتعرف منهج الإسلام في تربية الولد على الجرأة والشجاعة ، وتحرره من ظواهر الخجل والخوف والانطوائية .. وعلى الله قصد السبيل !!.

* * *

---

(١) ارجع إلى صفحة ٢٠٢ - ٢١٥ من هذا الجزء تجد البحث وافياً إن شاء الله .

فهرس القسم الأول

الموضـــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

الموضـــــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

الموضوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

الموضـــوع **الصفحة**

فهرس القسم الأول

الموضـــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

الموضـــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

الموضـــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

الموضـــــوع	الصفحة

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

الموضـــــوع	الصفحة

تم المجلد الأول بحمد الله وتوفيقه ويليه المجلد الثاني
مبدوءاً بمسؤلية التربية الجنسية

بعونه تعالى

تم الجزء الأول من كتاب تربية الأولاد في الإسـلام

ويليه الجزء الثاني بإذن الله .

الجزء الثاني

عبد الله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع

٧ - مسؤوليّة التربيةِ الجنسيّة [١]

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة ، وتتصل بالزواج .. حتى إذا شب الولد وترعرع وتفهّم أمور الحياة عرف مايحل ، وعرف مايحرم ، وأصبح السلوك الإسلامي المتميز خلقاً له وعادة ، فلا يجري وراء شهوة ، ولايتخبط في طريق تحلل ..

وأرى أن هذه التربية الجنسية التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويركزوا عليها .

تقوم على المراحل التالية :

- في سن مابين (٧ - ١٠) سنوات الذي يسمى بسن التمييز يُلقن الولد فيه آداب الاستئذان ، وآداب النظر .

- وفي سن مابين (١٠ - ١٤) سنة الذي يسمى بسن المراهقة يُجنّب الولد فيه كل الاستثارات الجنسية .

- وفي سن مابين (١٤ - ١٦) سنة الذي يسمى بسن البلوغ يعلّم الولد فيه آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيئاً للزواج .

- وفي سن مابعد البلوغ الذي يسمى بسن الشباب يعلّم الولد فيه آداب الاستعفاف إذا كان لايقدر على الزواج .

---

(١) تتمة المجلد الأول إضطررنا لإلحاقه بالمجلد الثاني للفارق الكبير في عدد الصفحات بين المجلدين وللزيادة التي طرأت على المجلد الأول .

● وأخيراً : (هل يجوز مصارحة الولد جنسياً) وهو في سن التمييز ؟

والآن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه البحوث مرتبة مفصلة . لتعرف كيف تأمر ولدك بها . وتوجهه إليها ؟ ولتعلم أيضاً أن هذا الإسلام العظيم لم يترك جانباً من جوانب التربية إلا وقد أرشد المربين إليه . ودلهم عليه !! . لتقوم بمسؤولياتك كاملة تجاه من جعل الله في عنقك حق التربية والتوجيه ...

وإليك هذه البحوث مرتبة في مراحلها وعلى الله قصد السبيل :

١ – آداب الاستئذان :

لاأريد أن أبحث معك – أخي المربي – أدب الاستئذان في هذا الفصل الذي بين يديك لكوني بحثته مفصلاً في الفصل الذي قبله .

ولكن الذى أريد أن أتعرّض له هو تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل فى أوقات يكون الرجل أو المرأة في حالة لايحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار .

والقرآن الكريم قد فصل هذا الأدب الأسري بأوضح بيان حين قال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين مَلَكَتْ أيمانُكم والذين لم يبلُغوا الحُلُمَ منكم ثلاث مراتٍ : من قبل صلاةِ الفجرِ ، وحين تضعُونَ ثيابَكم من الظهيرة ، ومن بعدِ صلاةِ العشاء ثلاثُ عوراتٍ لكم ليسَ عليكم ولاعليهم جناحٌ بعدهن طوّافُون عليكم بعضكُم على بعضٍ كذلك يُبيِّنُ الله لكم الآياتِ والله عليم حكيم ، وإذا بَلَغَ الأطفالُ منكُمُ الحُلُمَ فليستأذنوا كما استأذنَ الذين من قبلهم .. ﴾ .

(النور : ٥٨ – ٥٩)

فالله سبحانه يرشد المربين في هذا النص إلى أصول التربية المنزلية في استئذان الصغار على أهليهم حينما يكونون في سن ماقبل البلوغ .

وهذا الاستئذان يكون في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم .
الثاني : وقت الظهيرة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .
الثالث : من بعد صلاة العشاء لكون الوقت وقت نوم وراحة .

ولايخفى مافي الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة من تعليم الولد أصول الأدب مع الأهل حتى لايفاجأ الولد إذا دخل باطلاع على حالة لايحسن أن يرى أهله فيها ..

أما إذا بلغ الأولاد سن الرشد والبلوغ فعلى المربين أن يعلموهم آداب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وإذا بلَغ الأطفال منكم الحُلُمَ فليستأذِنوا كما استأذن الذين من قبلهم ﴾
والذي عنده دراية في أصول التربية وقواعدها يعلم بيقين أن هذه اللفتات القرآنية تدل دلالة واضحة على أن الإسلام اهتم اهتماما بالغا في تربية الولد منذ أن يعقل على الحياء الممدوح ، والسلوكية الاجتماعية الخيّرة ، والأدب الإسلامي الرفيع .. حتى إذا بلغ الولد سن الشباب كان النموذج الحي في كريم أخلاقه ، وحميد فعاله !! .

وكم تكون الفضيحة بالغة حين يدخل الولد إلى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في اتصال جنسي ، ثم يخرج ويحدث أصدقاءه الصغار بما رأى ؟ وكم يكون الولد منذهلا كلما عادت الصورة إلى ذهنه ، وتخيل المشهد في خاطره .؟ .

وكم ينحرف الولد اذا تحسس الميل إلى الجنس الآخر وسبق أن رأى كيف يكون الاتصال ، وتتم اللذة ؟ .

فما على المربين إلا أن يأخذوا بأدب القرآن الكريم في تلقين الولد منذ أن يعقل آداب الاستئذان إذا أرادوا لأولادهم الخلق الفاضل ، والشخصية الإسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير !! ..

٢ - آداب النظر :

ومن القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها ، ويهتم لها أن يعود الولد في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم الولد مايحل من النظر إليه ومايحرم .. وفي ذلك صلاح أمره ، واستقامة أخلاقه إذا شارف على البلوغ ، وبلغ سن التكليف ..

وهذه الآداب من النظر التي يجب أن يُلقَنها ويعود عليها مرتبة كما يلي :

(أ) أدب النظر إلى المحارم :

كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبدة فهي من ذوات محارمه .
وكل رجل حرم على المرأة الزواج منه حرمة مؤبدة فهو من ذوي محارمها .

وعلى هذا يدخل في المحارم :

● **المحرمات بسبب النسب** : وهن سبع نسوة ذكرهن الله تعالى بقوله :

﴿ حُرِّمَتْ عليكم أمهاتُكُم وبَناتُكم وأخواتُكم وعمَّاتُكم وخالاتُكم وبناتُ الأخِ وبناتُ الأختِ ﴾

(النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب المصاهرة** : وهن أربع من النسوة :

١ - زوجة الأب لقوله تعالى : **﴿ ولَاتنكِحوا مَانكَحَ آباؤكُم من النساء .. ﴾**
(النساء : ٢٢)

٢ - زوجة الابن الذى من صلبه **﴿ وحلائِلُ أبنائِكُم الذين من أصلَابِكُم ﴾**
(النساء : ٢٣)

٣ ـ أم الزوجة لقوله تعالى : ﴿ وأمهاتُ نِسائِكُم ﴾

(النساء : ٢٣)

٤ ـ بنت الزوجة لقوله تعالى : ﴿ ورَبائِبكُم اللاتي في حُجُورِكُمْ من نسائكم اللاتي دخلتُم بِهِنَّ فإنْ لم تكُونوا دَخلتُم بهِنَّ فلا جُنَاح عليكم ﴾

(النساء : ٢٣)

● المحرمات بسبب الرضاع [١] لقوله تعالى : ﴿ وأمهاتُكُم اللاتِي أرضَعنكُم وأخواتُكُم من الرضاعة ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام : ـ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ـ « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » .

فما حُرِم عن طريق النسب من أم وبنت وأخت وعمة وخالة وبنت الأخ وبنت الأخت حرم نظيره عن طريق الرضاع كالأم من الرضاع ، والبنت من الرضاع ، والأخت من الرضاع .. وهلمّ جرا .

فالمَحْرَم الذكر ـ كما جاء في الكتاب والسنة ـ يجوز له أن ينظر من ذوات محارمه إلى مايظهر منهن غالباً كالرقبة ، والرأس ، والكفين ، والقدمين ، ونحو ذلك ، وليس له النظر إلى مايستتر غالباً كالصدر ، والظهر ، والبطن .. ونحو ذلك .

أما الكتاب : فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن [٢] إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن .. ﴾

(النور : ٣١)

ويستثنى من الآية « البعولة » وهم الأزواج ، فيجوز للزوج ، ويجوز للزوجة ـ كما سيأتي ـ أن يرى من بعضهما كل شيء بشهوة أو بغير شهوة للنصوص التي سيأتي ذكرها في أدب النظر إلى الزوجة .

---

(١) الرضاع المحرم ولو مصة عند فقهاء الحنفية ، وخمس رضعات معلومات عند فقهاء الشافعية ، والأحوط ماذهب إليه الحنفية .

(٢) المقصود من إبداء الزينة إلى ما يظهر غالباً من النساء المحارم كالرقبة ، والرأس ،والكفين ، والقدمين .. ونحو ذلك .

وأما في السنة : فلما روى أبو داود وغيره أن سهلة بنت سهيل قالت : يارسول الله إنا كنا نرى « سالماً » ولداً ، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ، ويراني فضلاً (أي في ثياب البذلة بلا حجاب) ، ولقد أنزل فيهم ماعلمت فكيف ترى فيه ؟ فقال لها النبي ﷺ : « أرضعيه خمس رضعات » فكان سالم بعد الرضاع بمنزلة ولدها ، وهذا دليل على أنه كان ينظر منها بعدما كبر إلى ما يظهر غالباً كالرأس ، والعنق ، والكفين ، والقدمين ، ونحو ذلك ..

والإسلام لم يجوّز النظر إلى المحارم إلى مايستر غالباً ، لأن الحاجة لاتدعو إلى النظر إليه ، ولا تؤمَن معه الشهوة ، ولا تليق بشهامة الرجولة ، ولا تتفق مع عفاف الأنوثة .. بل يعتبر ذلك درءاً للفتنة ، وسداً للذريعة .. لأن مَنْ حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ..

فيحرم على المحرم الذكر - ولا سيما إذا بلغ سن المراهقة - أن يرى أحد محارمه من النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت إلى مافوق الركبتين ، وكشفت عن الفخذين .. أو ارتدت ثوباً يصف أو يشفّ ماتحته وبدت العورة التي يحرم النظر إليها ، كما يحرم على البنت أو المرأة أن ترى ذلك - بين السرة والركبة - من أحد محارمها ولو كان ابنها ، أو أخاها ، أو أباها .. وإن أمنت الفتنة ولم تخف الشهوة ولو من أجل التغسيل والتدليك في الحمام .

﴿ تلك حُدُودُ الله فلا تعتَدُوها ومن يتعدَّ حُدُودَ الله فأُولئك هم الظَّالمون ﴾

(البقرة : ٢٢٩)

(ب) أدب النظر إلى المخطوبة :

الشريعة الإسلامية أجازت للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته ، كما أجازت للمخطوبة أن تنظر إلى خاطبها ليكون كل من الاثنين على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة . والأصل في ذلك قول النبي ﷺ - فيما رواه مسلم .. للمغيرة بن شعبة : « أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أي هذا النظر أدعى لدوام المحبة والألفة .

وروى مسلم والنسائي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ أنظرت إليها ؟

قال : لا ، قال : « أنظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً » (يعني الصغر) ولكن لهذا النظر آداب فعلى الخاطب أن يراعيها .

١ - لايجوز أن ينظر الخاطب إلا إلى الوجه والكفين بعد أن يعزم على الزواج منها .

٢ - يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسية في الذهن .

٣ - يجوز أن تحدثه ، ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة والنظر .

٤ - لايجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية قبل إجراء العقد ، والأجنبية يحرم مصافحتها لما روى البخاري عن عائشة : مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة في المبايعة قط ، وإنما مبايعتها كانت كلاماً .

٥ - لايجوز أن يجتمعا الا بوجود أحد محارم المخطوبة لأن الاسلام يحرم الخلوة بالأجنبية ، لما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « ألا لايخلونّ رجل بامرأة ، ولاتسافرنّ إلا ومعها ذو محرم » .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن ما انتشر في بعض الأوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولاقيود بدعوى التعرف على أخلاقه وأخلاقها .. إنّ هذه الدعوى يرفضها الإسلام ، بل يحاربها .. لكونها تتنافى مع أبسط مبادىء الفضيلة والأخلاق .. لأن هذه الخلطة تسيء إلى سمعة المخطوبة أكثر من أن تسيء إلى سمعة الخاطب ، فقد لايتم الزواج فتصبح الفتاة عرضة للتهمة ، ومثاراً للشبهة .. مما يجعل الكثير من الناس في إعراض تام عن الزواج منها .. ومعنى هذا أنها أصبحت عانساً في سوق الكساد . ومن ناحية أخرى فإن هذه الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلّف الظاهر الذي يبديه كل واحد منهما إلى الآخر،وكم سمعنا عن رجال ونساء بقوا في الخطوبة سنين ، فلم تمض فترة زمنية على الزواج من بعضهم بعضاً وإذ تحدث الفرقة ، ويقع الطلاق !! .. فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة ؟ ألا فليتذكر أولو الألباب ..

(ج) أدب النظر إلى الزوجة :

فيجوز للزوج أن يرى من زوجته كل شيء بشهوة أو بغير شهوة .. لأنه لما جاز المس والجماع فلأن يجوز مادونهما وهو النظر إلى جميع بدنها من باب أولى ، وإن كان

الأفضل ألا ينظر أحدهما إلى عورة صاحبه لحديث عائشة رضي الله عنها : « قُبِضَ رسول الله ﷺ ولم ير مني ولم أر منه » (١) ، والأصل في جواز الرؤية لكل شيء مارواه أبو داود والترمذي والنسائي عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله : عوراتنا مانأتي منها ومانذر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وقال تعالى : ﴿ والذين هُم لفُرُوجِهم حافِظُون إلّا على أزواجِهم أو ماملكَتْ أيمانُهم فإنهم غيرُ ملُومين ﴾ .

المؤمنون (٥ - ٦)

(د) أدب النظر إلى المرأة الأجنبية :

لايجوز للرجل البالغ أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهاة ولكن ماهي المرأة الأجنبية وماهو الرجل الأجنبي ؟ .

الرجل الأجنبي : هو من يحل للمرأة الزواج منه كابن عمها . وابن عمتها ، وابن خالها ، وابن خالتها ، وزوج أختها ، وزوج خالتها ..

والمرأة الأجنبية : هي من يحلّ للرجل الزواج منها كابنة عمه . وابنة عمته . وابنة خاله ، وابنة خالته ، وزوجة أخيه ، وزوجة عمه ، وزوجة خاله ، وأخت زوجته وعمتها وخالتها ...

ويلحق بالرجل الصبيّ إنْ كان مراهقاً أو مميزاً يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، فلا يجوز لأحدهما النظر إلى المرأة الأجنبية ..

---

(١) انظر فتح القدير ج ٨ (كتاب الحظر ، فصل النظر) .

والأصل في تحريم النظر قوله تبارك وتعالى : ﴿ **قُل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظُوا فُرُوجَهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمُؤمنَاتِ يغضُضْنَ من أبصارِهن ويحفظنَ فُرُوجَهُن ...** ﴾

(النور : ٣١)

أما الأحاديث :

– فقد روى الطبراني والحاكم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « النظرة سهم من سهام ابليس ، من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه » .

– وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه » .

– وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

– وروى الشيخان .. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لامحالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

– وروى مسلم والترمذي .. عن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال : « اصرف بصرك» .

- وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة . فأقبل ابن أم مكتوم . وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب . فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه » . فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » .

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً تاماً بما لايقبل الجدل أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية حرام ، وأن نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي حرام أيضا إذا كانا في مجلس واحد وترتب من النظر فتنة .

(ولاشك أن الغاية التي يهدف إليها الإسلام من غض البصر — كما يقول صاحب الظلال — هو اقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تستثار فيه الغرائز في كل حين) .

فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لاينطفيء ولايرتوي ، والنظرة الخائنة . والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري .. كلها لاتصنع شيئا إلا ان تهيج ذلك السعار الشهواني المجنون واحدى وسائل الإسلام إلى انشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة وابقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوة الطبيعة دون استثارة مصطنعة .

لقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة البريئة ، والحديث الطلق ، والاختلاط الميسور . والدعابة المرحة بين الجنسين ، والإطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة ... شاع أن هذا تنفيس وترويح ، واطلاق للرغبات الحبيسة .

ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية . وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي وماوراءه من اندفاع غير مأمون ... ولكن نسي هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي ، لأن الله سبحانه قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا

الإنسان فيها ، فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود ، واثارته في كل حين تزيد من عرامته ، وتدفع إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة . فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة .

فالنظرة تثير ، والحركة تثير ، والضحكة تثير ، والدعابة تثير ، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير ... (والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يلبي تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع ، وهذا هو المنهاج الذي اختاره الإسلام وارتضاه للجنس البشري ليتم له هدوؤه النفسي . واستقراره الفكري . وراحته العصبية ، ورباطه السليم الذي يربط بين سائر أبناء الإنسان ...) ! - أهـ .

وما أحسن ماقال بعضهم في استثارة النظر :

كل الحوادث مبْداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلاقوس ولاوتر
والمرء مادام ذا عَينٍ يقلّبها في أعين الغيد موقوف على خطر
يسرّ مقلته ماضرّ مهجته لامرحباً بسرور عاد بالضُرر

وصدق رسول الله ﷺ القائل :- فيما رواه الطبراني « ثلاثة لاترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله » .

(هـ) أدب نظر الرجل إلى الرجل :

لايجوز أن ينظر الرجل إلى الرجل فيما بين سرّته إلى ركبته سواء أكان الرجل المنظور اليه قريبا أم بعيدا وسواء أكان مسلما أو كافرا .. ؟

أما ما عدا ذلك كالبطن والظهر والصدر .. فانه يجوز إذا أمن الناظر الشهوة ..

والأصل في حرمة هذا ما رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ..»

وما رواه أحمد وأصحاب السنن .. « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وأخرج الحاكم عنه عليه الصلاة والسلام : « ما بين السرة والركبة عورة » .

وروى الحاكم أن النبي ﷺ رأى رجلا مكشوف الفخذ ، فقال له موجهاً ومرشداً : « غط فخذك فان الفخذ عورة » ، وفي رواية الترمذي (الفخذ عورة) .

فمن هذه النصوص يتبين :

أنه لايجوز للرجل أن يكشف جزءاً من سرته إلى ركبته لا في رياضة ، ولا في سباحة ، ولا في تدريب ، ولا في حمام .. وإن أمن الشهوة .. وإذا أمره أحد في كشف جزء من عورته فعليه ألا يطيعه للحديث : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

أما مانسب إلى المالكية بأن العورة هي السوأتان فقط ، وماعدا السوأتان يجوز كشفه .. فهذا الادعاء غير صحيح بل هو من الجهل والتضليل .

ان العورة عند المالكية تقسم إلى قسمين :

١ — عورة بالنسبة للصلاة .
٢ — وعورة بالنسبة للنظر .

أما العورة بالنسبة للصلاة فتنقسم إلى قسمين :
عورة مغلظة : وهي السوأتان (القبل والدبر) .
عورة مخففة : وهي مابين السرة إلى الركبة .

– فالعورة المغلظة إذا كشفت في الصلاة تعاد مطلقاً سواء أخرج وقتها أم لم يخرج .؟

– والعورة المخففة إذا كشفت في الصلاة تعاد في الوقت فقط ، أما إذا خرج وقتها فلا تعاد .

أما العورة بالنسبة للنظر : فيحرم كشفها سواء أكانت مغلظة أم كانت مخففة .
– فعورة الرجل مع رجل آخر مابين سرته إلى ركبته .
– وعورة المرأة مع المرأة إذا كانتا مسلمتين مابين السرة والركبة .
– وعورة المرأة المسلمة مع المرأة الكافرة كلها عورة ماعدا الوجه والكفان في قول ، وجميع بدنها في قول آخر .
–وعورة المرأة مع محارمها هي غير الوجه وغير اليدين وغير الرأس وغير العنق وغير ظهر القدمين .. أما ماعدا ذلك فهو عورة لاتحل النظر إليه (١) ...

فيتبين من هذا النص الفقهي المالكي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم متفقون على أن عورة الرجل مع الرجل هي مابين السرة والركبة ، وبناء على هذا يحرم النظر فيما بينهما ، ويحل النظر فيما عدا ذلك (٢) .

---

(١) هذا هو مذهب المالكية ، انتهى ملخصاً من (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير) .

(٢) ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ غزا خيبر ، قال (أي أنس) فصلينا عندها صلاة الغداة ، فركب نبي الله ﷺ ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر ، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ، وانحسر الإزار عن فخذ نبي الله ﷺ وإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ ...

حديث أنس هذا محمول – كما قال الإمام النووي في شرح مسلم :-
(على أن فخذه عليه الصلاة والسلام انحسر (أي انكشف) بغير اختياره لضرورة الإغارة والإجراء .. وليس فيه أنه استدام كشف الفخذ مع امكان الستر ، وأما قول أنس فإني لأرى فخذه ﷺ فمحمول على أنه وقع بصره عليه فجاة لاأنه تعمده) أهـ .

واحتج ابن حزم الظاهري بحديث أنس على أن فخذ الرجل ليس بعورة ولكن الفقهاء ردوا عليه بوجوه : ←

(و) أدب نظر المرأة إلى المرأة :

لايجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة مابين سرتها إلى ركبتها سواء أكانت المرأة المنظورة إليها قريبة أم بعيدة ؟ وسواء أكانت مسلمة أم كافرة ؟

والأصل في ذلك الحديث الذي سبق ذكره : « لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة » والحديث الذى رواه الحاكم : « مابين السرة والركبة عورة » ، وحديث « الفخذ عورة » .

فمن هذه النصوص تبين :

يحرم على المرأة أن تنظر إلى فخذ ابنتها أو أختها أو أمها أو جارتها أو صديقتها .. لافي حمام ولافي غيره ..

---

١ – ثبت من عدة أحاديث أن فخذ الرجل عورة ، أقواها مارواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وذكره البخاري في صحيحه معلقاً عن جرهد قال : مرّ عليّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذي ، فقال : (غطّ فخذيك فإن الفخذ عورة) ..

٢ – قال علماء الأصول : إذا تعارض حديثان . فإذا أمكن التوفيق بينهما وفق . وقد وفق النووي بين حديث أنس وحديث جرهد حيث حمل حديث أنس على كشف النبي ﷺ فخذه بغير اختياره لضرورة الإغارة على يهود خيبر كما سبق ذكره ..

٣ – على فرض أنه ماأمكن التوفيق بين الحديثين المتعارضين قال علماء الأصول : (**إذا تعارض المحرم والمبيح رجح المحرم**) . فبناء على هذه القاعدة المعتبرة لدى علماء الأصول أخذ العلماء بجانب حرمة كشف الفخذ من غير ماضرورة .

٤ – ثبت في الصحيحين أن الله سبحانه عصم نبيه عليه الصلاة والسلام من كشف العورة قبل النبوة في حال الصبا . فكيف يقر كشف فخذه بعد النبوة بقصد منه واختيار ؟ .

٥ – الأئمة المجتهدون مجمعون على أن فخذ الرجل عورة . وأن النظر إليه حرام ولم يشذ سوى الظاهرية ومن ذهب مذهبهم .. والأئمة الأعلام ـ كما رأيت ـ ردوا مزاعمهم . وفندوا آراءهم ..

٦ – كشف الفخذين من غير ماضرورة لايتفق مع الذوق السليم ، بل يصطدم مع الحياء الإسلامي النبيل . ويتنافى مع أدب الاحتشام ، وأخلاقية الإسلام ..

والحكمة في هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزة وتوقدها حين ترى منظراً مثيراً . أو مشهدا فيه فتنة .. وقد تؤدي هذه الاستثارة الجنسية بالمرأة إلى (السّحاق) الذي هو اتصال المرأة بالمرأة إطفاء لثورة الغريزة فيها . وإخمادا لعرامها ..

ومن علامات الساعة – كما صح في الأحاديث – : « اكتفاء الرجال بالرجال (أى اللواط) . واكتفاء النساء بالنساء (أي السحاق) .

فعلى المسلمات الغيورات أن يتجنبن النظر إلى عورات نساء مثلهن سواء أكان ذلك أثناء خلع الثياب للاستحمام ، أو التدليك في الحمام ، أو في حفلات الأعراس حيث العري السافل والتكشف الممقوت الذي يندى له جبين الحياء !! .

وعلى الرجال الغيورين أن لايأذنوا لزوجاتهم ولالبناتهم في دخول الحمامات العامة لاشتمالها على التكشف والعري والمفاسد كما هو شائع في أوساطنا الاجتماعية اليوم .

والرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك :

– روى النسائي والترمذي وحسنه والحاكم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته (زوجته) الحمام » .

– وروي الطبراني أن نساء حمص أو الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها » .

– وروى ابن ماجه وأبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ستفتح عليكم أرض العجم ، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار ، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء » .

(ز) أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة :

يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئا من مفاتنها أمام امرأة كافرة إلا ما يبدو عند المهنة - أي الخدمة - كاليدين والوجه والرجلين لعموم قوله تعالى كما جاء في سورة النور : ﴿ **ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن ... أو نسائهن ...** ﴾ .

(النور : ٣١)

فمن قوله تعالى : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ يفهم أن المرأة المسلمة لايجوز أن تبدى زينتها إلا إذا كان بحضرتها نساء مسلمات صالحات ، أما إذا كان في المجلس نساء غير مسلمات أو نساء مسلمات فاجرات فلا يجوز لها إبداء الزينة .

والحكمة في هذا التحريم هو ماجاء في حاشية الدسوقي : (فعورة الحرة المسلمة مع الحرة الكافرة ماعدا الوجه واليدان على المعتمد ، (والحكمة) : لئلا تصفها لزوجها الكافر ، فالتحريم لعارض لالكونها عورة) .

ويحرم كذلك على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتن جسمها أمام امرأة مسلمة فاجرة أيضا حتى لاتصف محاسنها عند الرجال .. جاء « في الهدية العلائية » مايلي : (...ولاينبغى للمرأة الصالحة أن تنظر إليها الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال فلا تضع (أى المرأة الصالحة) جلبابها ولا خمارها » أهـ .

وللشيخ الوقور العلامة **أبي الأعلى المودودي فهم** خاص فى قوله تعالى : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ نذكره كما ورد في كتابه (تفسير سورة النور) : (ان المراد بقوله تعالى : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة الأجنبيات اللاتي لايعرف شيء عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن ، أو تكون أحواهن الظاهرة مشتبهة لايوثق بها . فليست العبرة فى هذا الشأن بالاختلاف الديني . بل هي بالاختلاف الخلقي . فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولاتحرج للنساء الكريمات المتميات إلى البيوت المعروفة الجديرة بالاعتياد على أخلاق أهلها سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات .

وأما الفاسقات اللاتي لاحياء عندهن ولايعتمد على اخلاقهن وآدابهن فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كنّ مسلمات لأن صحبتهن لاتقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها ..) أهـ .

ولكن أين هؤلاء النساء الكريمات غير المسلمات ذوات الأخلاق والفضل في هذا العصر ؟ في تقديري أن هذا لايوجد إلا في بيئات محدودة فعلى المرأة المسلمة أن تحتاط لدينها وسمعتها مخافة التأثر بأخلاق غير دينها . أو بأخلاق مسلمات مستهترات لايرعين شرفاً ولاحرمة !! ..

(ح) أدب النظر إلى الأمرد :

الأمرد هو الشاب الذى لم تنبت لحيته بعد ، وهو الذي يتراوح عمره مابين (١٠ – ١٥) سنة .

والنظر إلى الأمرد جائز إذا كان لضرورة كالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء والتطبيب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة .

أما إذا كان النظر من أجل الالتذاذ بالجمال فهو حرام لكونه يجر إلى الشهوة ويؤدي إلى الفتنة .

ودليل الحرمة قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ..** ﴾
(النور : ٣٠)

ولقد بالغ السلف الصالح في الإعراض عن المرد الحِسان والنظر اليهم ومجالستهم :

– قال الحسن بن ذكوان : (لاتجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء) .

- ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : (أخرجوه عني فإني أرى مع كل أمرأة شيطاناً . ومع كل أمرد سبعة عشر شيطاناً) .

- وجاء رجل إلى الامام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له :

مَنْ هذا منك ؟

قال : ابن اختي .

قال : (لاتجيء به إلينا مرة أخرى . ولا تمش معه بطريق لئلا يظن بك من لايعرفك ويعرفه سوء) .

- وقال سعيد بن المسيب : (إذا رأيتم الرجل يحدّ النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه) .

والحكمة في تحريم النظر إلى الأمرد من غير ماضرورة هي مخافة الوقوع في الفاحشة سداً للذرائع ، وحسما للفساد ..

والمسلم التقي الورع هو الذي يحتاط دائما لدينه وخلقه وسمعته ، ويتقي بحذر مواطن التهم ..

(ط) أدب نظر المرأة إلى الأجنبي :

يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر إلى الرجال وهم يمشون في الطرقات أو هم يلعبون ألعابا غير محرمة ، أو هم يتعاطون البيع والشراء ، أو غير ذلك . والدليل على هذا ماثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون في حرابهم في المسجد يوم العيد ، وعائشة رضي الله عنها تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت وذلك سنة سبع هجرية .

وأما حديث « احتجبا منه » ... « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » فمحمول على اجتماع أم سلمة وميمونة مع ابن أم مكتوم فى مجلس واحد ، وتحديق بصرهن إليه مقابلة ومواجهة !! .

يقول العلامة أبو الأعلى المودودي فى كتابه (الحجاب) : (إن هناك فرقا دقيقا بين نظر المرأة إلى الرجال) . ونظر الرجال إلى النساء من حيث الخصائص النفسية للصنفين ، وذلك أن في طبيعة الرجل الإقدام فهو إذا أحب شيئا يسعى فى إحرازه والوصول إليه ، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار (لحيائها) ، وهي مادامت على فطرتها ولم تنسلخ منها ، لايمكن أن يكون فيها من الجرأة والوقاحة والإقدام ماتتقدم به بنفسها الى شيء تحبه وتعجب به ، وقد راعى الشارع عليه الصلاة والسلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة إلى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ، وقد اشتهر حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ أراها لعب الحبشة بحرابهم في المسجد مما يفيد أنه ليس في نظر النساء إلى الرجال بمحظور على الإطلاق ، وإنما المكروه اجتماع النساء والرجال فى مجلس واحد وتحديق بعضهم إلى بعض ، كنهي أم سلمة وميمونة أن يحتجبا من ابن أم مكتوم – وأيضا لايجوز من النظر مايخاف منه الفتنة) .

ويقول العلامة ابن حجر القسطلاني فى شرح البخاري : (واستدل بهذا الحديث – أي حديث نظر عائشة إلى الحبشة - على جواز رؤية المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي دون العكس ، ويدل له استمرار العمل على خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منقبات لئلا يراهن الرجال ، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء ، فدل على اختلاف الحكم بين الفريقين .

وبهذا احتج الإمام الغزالي للجواز فقال : لسنا نقول إن وجه الرجل في حق المرأة عورة كوجه المرأة فى حق الرجل ، فيحرم نظر المرأة إلى الرجل عند خوف الفتنة ، وإن لم تكن فتنة فلا ، إذ لم تزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه ، والنساء يخرجن منتقبات .. فلو استووا لأمر الرجال بالتنقب أو منعن من الخروج ...

والذي أخلص إليه بعد ماتقدم أن نظر المرأة إلى الأجنبي جائز بشرطين :
الأول : أن لايترتب على النظر مما يخشى منه الفتنة .
الثاني : أن لايكون التحديق في مجلس واحد مواجهة ومقابلة .

(ي) أدب النظر إلى عورة الصغير [١] :

قال الفقهاء : الصغير سواء أكان ذكرا أو أنثى لاعورة له إذا كان ابن أربع سنين فما دونها ، ثم إذ زاد على الأربع فعورته القبل والدبر وماحولهما .. حتى إذا بلغ حدّ الشهوة صارت عورته كعورة البالغ على التفصيل الذي سبق ذكره وكلما عودناه الستر وهو صغير كان أفضل .

(ك) حالات ضرورية يباح فيها النظر :

سبق أن ذكرنا أنه لايجوز للرجل أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت دميمة غير مشتهاة .. سواء أكان النظر بشهوة أو بغير شهوة ؟ .

لعموم قوله تعالى : **﴿ قُل للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارِهم ويحفَظُوا فُرُوجَهم ﴾** ولشمول قوله عليه الصلاة والسلام : « اصرف بصرك » [٢] .

ولكن يستثنى من هذا النظر حالات ضرورية ، وأمور طارئة .. نذكرها على الترتيب التالي :

١ - **النظر بقصد الخطبة** : سبق الكلام عليه بشكل مفصل في بحث (أدب النظر إلى المخطوبة) .

---

(١) انظر (رد المحتار) لابن عابدين ج١ باب شروط الصلاة .
(٢) روى مسلم أنه عليه الصلاة والسلام حين سئل عن نظر الفجاءة قال « اصرف بصرك » .

٢ - **النظر بقصد التعليم** : يجوز النظر إلى وجه المرأة الأجنبية من غير زينة بقصد التعليم بشرط :

- أن يكون العلم الذي تتعلمه معتبرا شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا .

- وأن يكون في حدود اختصاصها كتعليمها أصول التمريض ، وفن الولادة..
- وأن لايخشى من النظر إلى وجهها فتنة .
- وأن لايترتب على التعليم خلوة .
- وأن لايوجد نساء يقمن بالتعليم مقام الرجال .

ولاشك أن الإسلام حين وضع هذه القيود .. أراد تكوين مجتمع نظيف طاهر .. لاتحوم حوله الشبه ، ولاتوجه إليه التهم .. حتى تبقى الفتاة صيّنة طاهرة ، لاتمتد اليها يد بإثم ، ولاتنظر إليها عين بخيانة !! .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **ذلك أدنى أنْ يُعرَفنَ فلا يُؤذَين** ﴾
(الأحزاب : ٥٩)

٣ - **النظر بقصد المداواة** : يجوز أن ينظر الطبيب من الأجنبية إلى المواضع التي يقوم على علاجها ، لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة فأمر النبي ﷺ أبا طيبة أن يحجمها .

ومعالجة الطبيب للمرأة الأجنبية لاتجوز إلا بشروط :

١ - أن يكون الطبيب تقياً أميناً عدلا ذا اختصاص وعلم .
٢ - أن لايكشف من أعضاء المرأة إلا قدر الحاجة إذا تعين النظر .
٣ - أن لاتكون هناك امرأة مختصة تقوم مقام الطبيب في علمه واختصاصه .
٤ - أن تكون المعالجة بوجود محرم ، أو زوج ، أو امرأة ثقة كأمها أو أختها أو جارتها .
٥ - أن لايكون الطبيب كافرا مع وجود مسلم .

فإذا توفرت هذه الشروط فيجوز للطبيب أن ينظر أو يلمس موضع العورة بالنسبة للمرأة لأن الإسلام دين يدفع عن الناس الحرج . ويجلب لهم المصلحة والتيسير .. فمبدؤه في ذلك ﴿ وماجَعَلَ عليكُم في الدِّينِ من حَرَجٍ ﴾ .

(الحج : ٧٨)

﴿ يريدُ الله بكم اليسرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ ﴾

(البقرة : ١٨٥)

٤ – النظر بقصد المحاكمة والشهادة : يجوز للقاضي والشاهد أن ينظر من المرأة إلى الوجه والكفين وإن خافا الفتنة .. لما يترتب من النظر إحقاق حق ، ودفع ظلم .. وإنما جاز النظر لكون المتنقبة غير معروفة لدى القاضي ، ولدى الشاهد .. فتكشف عن وجهها في هذه اللحظات لتُعْرَف أنها هي المعنيّة حتى لاتلتبس الأمور ، وتضيع فى المجتمع الحقوق ..

وما ذاك إلا لأن الإسلام دين الواقع والحياة ، يحقق للناس مصالحهم ، ويحفظ لهم حقوقهم ﴿ ومَن أحسَنُ من الله حُكماً لقومٍ يُوقِنون ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

وفي هذا المقام أسوق هذه القصة التاريخية الخالدة ، ليعرف أهل الحمية والغيرة من الرجال والنساء كيف كان السلف الصالح يتحرجون فى أن تكشف المرأة وجهها أمام الرجال ، ولو كان الكشف جائزا شرعاً ؟ .

جلس موسى بن إسحاق قاضي الريّ والأهواز في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس ، وكان بين المتقاضيَين امرأة ادعت على زوجها أن عليه خمسمائة دينار مهرا لها ، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئاً .

فقال له القاضي : هات شهودك .

فقال : قد أحضرتهم .

فاستدعى القاضي أحدهم وقال له : أنظر إلى الزوجة لتشير إليها فى شهادتك ، فقام الشاهد وقال للزوجة : قومي .

فقال الزوج : ماذا تريدون منها ؟ .
فقيل له : لابد أن ينظر الشاهد إلى امرأتك وهي مُسْفِرة لتصح عنده معرفته بها .

فكره الرجل أن تضطر زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس .

فصاح : إني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدعيه ولاتسفر عن وجهها .

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أنه يضن بوجهها على رؤية الشهود ، وأنه يصونها من أعين الناس !! .

فصاحت تقول للقاضي : إني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة !! .

فقال القاضي لمن حوله : (اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق) !!.

فما على المربين إلا أن يأخذوا بآداب الإسلام في النظر سواء مايتعلق : في أدب النظر إلى المحارم ، أو في أدب النظر إلى المخطوبة ، أو في أدب نظر الزوج إلى زوجته ، أو في أدب نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ، أو في أدب نظر الرجل إلى الرجل ، أو في أدب نظر المرأة إلى المرأة ، وفي أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة ، أو في أدب نظر الرجل إلى الأمرد ، أو في نظر المرأة إلى الأجنبي ، أو في أدب النظر إلى عورة الصغير ، أو في أدب النظر بقصد التعليم ، أو في أدب النظر بقصد المداواة ، أو في أدب النظر بقصد المحاكمة أو الشهادة .

كل هذه الآداب من النظر يجب على الآباء والأمهات والمربين جميعا أن يعطوا لأبنائهم القدوة العملية فيها ، ثم يلقنوها أبناءهم تعليما وتوعية .. إن أرادوا هم الخلق الفاضل ، والشخصية الإسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير ،

والتربية الإسلامية السامية .. والله سبحانه لن يترهم أعمالهم ، ولن ينقصهم أجورهم وثوابهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !! ..

* * *

٣ - تجنيب الولد الإثارات الجنسية :

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده كل مايثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا .. وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة ، وهو السن الذي يتراوح مابين العاشرة إلى البلوغ .

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان ، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد ؟ وكيف ينتشله من أوحال الفساد ، وبيئات الانحلال ؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل ؟ فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل ، والأدب الرفيع ، والتربية الإسلامية السامية .

ومما يدل على أن الإسلام أمر الأولياء والمربين في أن يجنّبوا أولادهم إثارة الجنس وهياج الغريزة هذه النصوص التالية :

- قال تعالى في سورة النور : ﴿ **وليضربن بخُمُرهنّ على جُيوبهن ولا يُبدين زينتهنّ إلا لبُعولتهنّ أو آبائهنّ ... أو الطّفل الذين لم يَظهَرُوا على عوراتِ النساءِ ...** ﴾
« آية : ٣١ »

فيؤخذ من هذا النص أن الولد إذا كان صغيرا لايفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثاراتهن فلا بأس بدخوله على النساء ، وأما إن كان مراهقا أو قريبا منه - وهو السن الذي بعد التاسعة - فلا يمكن من الدخول على النساء لكونه يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، وتتحرك الشهوة في نفسه إذا رأى منظراً مثيراً .

يقول الإمام ابن كثير في تفسير آية : ﴿ **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ (يعني لصغرهم لايفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم ، وتعطفهن في المشية ، وحركاتهن وسكناتهن .. فإذا كان الطفل صغيرا لايفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم والدخول على النساء » قيل يارسول الله : أفرأيت الحمو ؟ (أي قريب الزوج) قال : « الحمو الموت » .

– روى الحاكم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرقوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سنّ العاشرة ، مخافة – إذا اختلطوا في فراش واحد ، وهم في سن المراهقة أو مايقاربها – أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة .. مايثيرهم جنسياً ، أو يفسدهم خلقياً ..

وهذا دليل قاطع على أن الإسلام يأمر الأولياء بأن يتخذوا التدابير الإيجابية ، والأسباب الوقائية .. في تجنيب الولد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية .. حتى ينشأ على الصلاح ، ويتربّى على الفضيلة والخلق الفاضل !!

– روى البخاري أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النحر خلفه – وكان الفضل قد ناهز البلوغ – فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبي ﷺ عن أمور دينها ، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل ، فحوّل وجهه عن النظر إليها .

وفي رواية للترمذي : أن العباس قال للرسول ﷺ : لويْت عنق ابن عمك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رأيتُ شاباً وشابة فلم آمَنْ عليهما الفتنة » .

يؤخذ من فعل النبي ﷺ في تحويل وجه الفضل عن النظر إلى المرأة ، ومن قوله : « .. فلم آمن عليهما الفتنة » .

يؤخذ من هذا كله أن النبي ﷺ كان يهتم في توجيه الولد المراهق ، أو البالغ الشاب .. في كل مايصلحه خلقياً ، ويضبطه غريزياً .. مخافة أن يقع في الفتنة أو يتردّى في الفساد والانحلال !! ..

وهذه لفتة تربوية كريمة من نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في إصلاح الجيل وتربية الأولاد . وتقويم اعوجاج المجتمع ..

وما أكثر مواقفه الإصلاحية ، ولفتاته التربوية عليه الصلاة والسلام !! .

فنستخلص من هذه النصوص التي أوردناها آنفاً أنه يجب على المربي أن يجنّب ولده كل مايثيره غريزيا ، ويهيّجه جنسيا .. حتى لايقع في حبائل الفاحشة ، ويتردّى في مهاوي الرذيلة ، ويتقلّب في حمأة الفساد والانحلال .. ومسؤولية المربي في تجنيب الولد الإثارات الجنسية تتحقق في جانبين :

الأول : مسؤولية الرقابة الداخلية .

الثاني : مسؤولية الرقابة الخارجية .

- **أما الرقابة الداخلية** :

فيجب أن يتبع المربّي قواعد الإسلام في منع كل مايهيّج الولد غريزيّاً ، ويثيره جنسياً :

● فدخوله على أهله وهو في سن التمييز في أوقات الراحة والنوم : من قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء بدون استئذان .. مما يثيره

جنسياً .. لأن الولد - على الغالب - يفاجأ بالاطلاع على حالة من تكشّف العورات لايحسن أن يرى أهله فيها .

لذا وجب على المربّي - كما مرّ - أن يعلّم ولده الصغير أدب الاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة .

أما إذا بلغ الولد سنّ البلوغ فعلى المربي أن يعلمه أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها ..

● ودخوله على النساء الأجنبيات وهنّ في أجمل زينة وهو في سن المراهقة - وهو السن مابعد التاسعة - مما يثير الولد جنسياً .

لذا وجب على المربيّ - كما مرّ - أن يمنع ولده المراهق من الدخول على النساء الأجنبيات .

● ونومه مع إخوته البنين أو البنات في مضجع واحد وهو في سن العاشرة ومابعدها .. مما يثير الولد جنسياً ولاسيما حينما يضمّه وإيّاهم لحاف واحد .

ولذا وجب على المربّي - كما مرّ - أن يفرّق بينهم في المضاجع .

● وتحديق نظره إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة وهو في سن التمييز ومابعده .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربيّ - كما مرّ - أن يعلم الولد منذ نشأته آداب النظر .

● وإفساح المجال له ليرى فى البيت من شاشة التليفزيون المناظر المثيرة ، والتمثيليات الماجنة والدعايات الفاجرة .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربي – كما مرّ – أن يمنع من البيت وجود التلفزيون لخطره الكبير على الفضيلة والأخلاق .

●وترك الحبل له غاربه في أن يقتني ماشاء من الصور العارية ، والمجلات الماجنة ، والقصص الغرامية المهيجة والتسجيلات الغنائية المثيرة .. دونما سؤال ولا رقيب . مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يراقب الولد ، وأن يلقي نظرة إلى مكتبه ، ليعرف كيف يرشده ، وكيف يوجهه إذا رآه اقتنى شيئاً محرّماً .

●وإتاحة المجال له في أن يصادق من قريباته أو من بنات الجيران وهو في سن المراهقة من شاء بحجة الدراسة والاجتهاد .. مما يثير الولد جنسياً .. لذا وجب على المربيّ أن لايفسح المجال لولده ولا لابنته في توثيق العلاقة بين الذكور والإناث ، لما لهذه العلاقات من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق ، إلى غير ذلك من هذه المثيرات التي تفسد أخلاق الولد ، وترمي به في متاهات الانحلال والميوعة والإباحية ..

فعلى المربي أن يجنّبها الولد بتوجيهه الزكي ، وإرشاده السديد ، وحكمته الرشيدة . ولايعدم وسيلة في إصلاح الولد ، وتربيته التربية الفاضلة .

– **أما الرقابة الخارجية :**

فهي لاتقل عناية واهتماما عن الرقابة الداخلية ، ذلك لأن وسائل إفساد الولد خلقيا أكثر من أن تحصى ، ولابأس في أن أضع بين يديك – أخي المربي – أخطر هذه الوسائل التي تثير الولد جنسياً ، وتهيّجه غريزياً .. لتكون على رؤية تامة في كل مايسبب إفساد الولد ، ويوقعه في مهاوي الهلاك :

١ – مفسدة السينما أو المسرح :

لما يعرض فيهما من مفاتن الجنس ، واستثارات الشهوة ، ومظاهر الفساد والإباحية ..

حتى أن السينما أو المسرح اليوم أصبحتا – وباللأسف – وسيلة للتحلل ، ومرتعاً للمجون والميوعة .. بل صارت التجارة بالأعراض والجنس – عن طريق السينما أو المسرح – بابا للرزق ، وميداناً للسبق .. عند أصحاب المطامع الخسيسة ، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة .. من يهود وغير يهود ، من مسلمين ينتسبون ظلماً وزوراً إلى الإسلام ومن غير المسلمين ..

٢ – مفسدة أزياء النساء الفاضحة :

لما تستلفت نظر المراهقين والشباب ، فلا يملك أحدهم أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة ، وأمام هذه الأزياء الفاضحة .. إنه لايستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلا عما يندفع بغريزته إلى ماوراء ذلك .

فماذا يفعل المراهق أو الشاب أمام هذا التيار الجارف من المفاسد ؟

إن ذلك يرهق الأعصاب ، ويفسد الأخلاق ، ويصرف عن الجد والعمل البنّاء .

من الذي يخترع هذه الأزياء ؟

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمّ الفوضى كل الأنحاء ، وأن يجتثّوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات .. لتنحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها !! ..

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا ، وأخلاق غير أخلاقنا .

إن شعور التبعية النفسية ، والإحساس بالنقص .. والانخراط في بوتقةالتقليد الأعمى .. هو الذي يحمل النساء غير الواعيات في بلدنا أن ينسقن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء ..

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها ، ويحيلها إلى مسْخ شائه باسم الرقيّ والتحضر والتقدمية .. ومما يجسِّم الخطر أن تيار العبث بالأزياء لايقف عند حد ، بل إنه يولع بكل غريب ، ويتجه إلى كل مايلفت الأنظار ويثير العجب !! .

لقد تفنّنَت الأزياء في إبراز الفتنة والإغراء بالانحراف فلم تدع لذلك وسيلة إلا اتجهت إليها مهما بدت معيبة ممجوجة ، ومهما امتهنت كرامة الإنسان ، وأحالته إلى سلعة أقل من الحيوان !! ..

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل مايختاره لها العابثون ، وقد وقر في أذهان النساء أن التخلف عن هذه (الأزياء العالمية) كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن موكب المدنية والتقدم ..

ولئن كانت المرأة الأوربية والأميركية ... لاترى بأساً في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء ، فإن المرأة المسلمة لابد أن ترى في هذا التيار بأساً وأي بأس !! ..

أن ترى فيه بأساً لما يصيب العزّاب من كَبْت ، وما يجرّهم الى الفوضى الجنسية والانحلال . أن ترى فيه بأساً لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سرّاً لتحصل على المال ، حتى تظهر بمظهر فاتن جميل حين ترتدي هذه الأزياء !! ..

أن ترى فيه بأسا لما يقع بين الأزواج والزوجات من مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد .

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية ، وأن تحافظ على استقامة المجتمع ، وطمأنينته ، وأن ترحم المراهقين والعزّاب بما تظهر به من مظهر الحشمة والكمال .. وبما ترتديه من زي الجلاليب والحجاب .. وإلا .. فإنها تعتبر شرعاً حائدة عن مبادىء الإسلام . ومسترسلة في متاهات الفسوق والعصيان ، خاضعة للهوى ، منقادة للضلال ..

﴿ وما كانَ لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ إذا قضَى اللهُ ورسولُهُ أمراً أنْ يكونَ لهم الخِيرَةُ من أمرِهِم ﴾

(الأحزاب : ٣٦)

٣ - مفسدة المواخير السرية والعلنية :

لما تحتويه من رجال فقدوا في رؤوسهم معاني النخوة والشرف والغيرة .. ونساء فقدن في نفوسهن رباط الكرامة والحياء والعفاف .. يجتمعون معاً في هذه الأوكار الآثمة لينطلقوا في حلبة الإباحية كالخنازير في الخسة والدناءة ، وكالبهائم في السّفاد وهياج الغريزة ..

إنها ساحات للإباحية والمفاسد ، إنها أماكن للدعارة والخنا ... يغشاها في كل آن طلّاب المتعة والجسد ، وعشّاق الميوعة والانحلال ..

وهي عدوى أصابتنا من جرائم التقليد الجاهل للحضارة الغربية ، أو رؤية قشورها دون جوهرها ، وهي دلالة على قتل الوقت بالعبث . وضياع قيمة الحياة ..

وإلا .. فما معنى أن يبدّد الإنسان الأحمق .. وقته وماله فى سبيل الاطلاع على العورات ، وارتكاب المآثم ، والتدرّج نحو الإباحية ، واقتراف المنكرات .. وكلّها لاتستقيم معها أولى أو أخرى ؟ !! .

وهذه المواخير سواء أكانت سرية أم علنية باب واسع لفوضى الغريزة ، والاتصال بالجنس .. فهي بيئات آسنة قذرة تنمو فيها جراثيم الخطيئة والإثم وتتعدد ألوانها . وفي مشاهدها المثيرة يفقد الإنسان زمام نفسه ، ويفسق عن أمر ربه . ويتدرّج على سلّم الإباحية .. حين يرى الوجوه الآثمة ، والأجساد العارية ، والمفاتن المغرية ..

وفي ظلال المسكرات والمخدّرات تفتح الأبواب المغلقة ، وتوقظ الفتن النائمة ، وينصرف الناس عن الجد والاستقامة وأداء الرسالة .. إلى ألوان النزوات واللهو الحقير . والاتصال الحرام ..

وفي العلاقات المنحرفة التي تنبت جذورها في هذه البيئات الفاسدة والمواخير الآثمة تتهدم أسَر ، وتتقوّض بيوت ، وتنحرف نساء ، وتُقبر مروءات ، وتنتهك حرمات ، وتبدّد أموال !!.

ولايقف خطر هذه المواخير عند هذا الحدّ ، بل إنها تمتد بيد الفساد إلى كثير من البنات اللائي تنزلق أقدامهن إلى هذه الهاوية ، استجابة لإغراء المال ، وإشباع الوطر ، والتمتع باللذة العارضة التي يعقبها المصائب والآلام : وأريد فى هذا المجال أن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه الصور من انزلاق البنات فى هاوية الرذيلة ، لتكون الرؤية لديك ظاهرة واضحة :

(أ) بينما كانت معلمة الرياضة تعطي درس الرياضة لطالبات الصف العاشر في إحدى المدارس الثانوية للبنات وإذ بطالبة تقع على الأرض فجأة لدوار أصابها . وفوراً تنقل إلى المستشفى لإسعافها ، وبعد فحص طبّي لجسمها تبيّن أن الطالبة حبلى من الزنى .

ولما أخذ التحقيق مجراه تبين أن الطالبة هذه مرتبطة بوكر من أوكار الدعارة السرية في البلد مع خمس طالبات من سنها ، والأهل والمدرسة لايعلمون من أمرهن شيئا !! .

وتبيّن أيضاً من نتيجة التحقيق أن طالبة من هذه الطالبات كانت ممتهنة الدعارة السرية قبل دخولها إلى المدرسة بوحي من أمها الداعرة .. واستطاعت بأساليبها المغرية أن تزين لرفيقاتها طريق الفحشاء والمنكر حتى أوقعتهن في هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

والمسؤولون في التعليم لفّوا الموضوع ، وطمسوا على الحادثة مخافة الفضيحة .

ولاشك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإفساد والإغواء ..

(ب) أب ماجن متحلل ليس له من هم سوى أن يجري وراء اللذة والجنس إشباعا لشهوته الآثمة .. ساقته نزوته الحيوانية يوماً إلى وكر من أوكار الدعارة السرية ، فدخله وإذ بالقوّاد المشرف على الوكر يعرض على زبائنه صور البغايا الزانيات ، فخطفت عينه صورة ابنة من بناته المتعلّمات فانذهل لجسامة المفاجأة ولكن ضبط أعصابه ريثما يتبيّن الأمر على حقيقته ..

فقال للقوّاد : أرغب صاحبة هذه الصورة .

فقال له : أدخل غرفة (كذا) سوف تراها حاضرة مهيّأة لك .

فدخل وإذ بابنته على أتم استعداد لاستقبال الزبائن !! ..

ولكن الفتاة حين رأت أباها ماثلا أمامها سيطر عليها الذعر ، وملكها الخوف ، وصُدمت صدمة شديدة .. فما كان منها إلا أن أسرعت نحو الباب وهي في ذعر أليم ، وصياح هائج .. تريد إنقاذ نفسها من أبيها ..

أما الأب فقد تفجّرت في رأسه ينابيع النخوة والغيرة ، وسرى في عروقه دم الانتصار للعرض والشرف .. فهجم على ابنته – بدون وعي – كالأسد الكاسر يريد خنقها .. ولكن تواجُد الناس السريع حال دون ذلك .. وحتى هنا انسدل الستار ، وماعرف ماذا تم في مصير الفتاة ؟ .

والذين عندهم دراية في ملابسات الحادثة قالوا : إن سبب انزلاق هذه الفتاة هو الرفقة الفاسدة .. فابنة الجيران التي كانت ترافقها إلى المدرسة هي التي زينت لها طريق الشر . وصيّرتها هذا المصير الآثم ..

ولم يَدُر بخلد أحد من أهلها أن ابنتهم استعاضت عن المدرسة وكراً للدعارة قبرت فيه شرفها وعفافها !! ..

ولاشك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

(ج)حدثني من أثق به من المدرسين المخلصين الغيورين أنه دخل إحدى المقاهي في البلد ، ليبحث عن صديق له هناك ، وفي أثناء دخوله لفت نظره دخول طلاب وطالبات يصعدون تباعاً إلى الطابق العلوي في المقهى الذي تواجد فيه ، فدفعه حب الاطلاع لأن يعرف لماذا وإلى أين ؟

وما أن وصل بهو الطابق حتى انذهل من هول مارأى .. رأى أكثر من يؤمّون الطابق طلاباً وطالبات ، رآهم في عناق ، في غزل . في ضحكات فاجرة ، في إثارات داعرة ..

فتساءل كيف وصل هؤلاء إلى بعضهم بعضاً ؟ كيف تمت العلاقات ؟ من الذي أتى بهم إلى هذا المكان ؟ .

. دروس من العهر والانحلال يتلقونها من التلفاز ، ويتلقونها من السينما . ويتلقونها من المجلة المائعة ، ويتلقونها من القصة المثيرة ، ويتلقونها من الأغاني الرقيعة .. ويتلقونها

من الشارع .. فكان من نتيجة ذلك هذا المصير المحزن ، والنهاية الأليمة . والأهل لايعلمون من أمر أولادهم وبناتهم شيئاً !! .

ولا شك ان للبيئة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

(د) حدثني أكثر من واحد من مديرين ومديرات وإداريين وإداريات .. أنهم اطلعوا وهم في أعمالهم الإدارية على رسائل كثيرة تأتي إلى المدرسة بواسطة البريد . تحمل في طيّاتها عبارات الغزل والعشق والغرام ... تدبجها أقلام طلاب أو طالبات قتلوا من دراستهم الوقت الكثير في سبيل ماذا ؟ في سبيل رسالة يكتبها عاشق لعشيقته ، أو تكتبها عشيقة لعشيقها .. وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المنزلية من الأبوين . أو لإهمال التوجيه التربوي الواعي من المدرسة .. أو لتأثيرات الفساد الاجتماعي الذي استشرى في المجتمع في كل مكان .

فالولد سواء أكان ذ كراً أم أنثى إذا كان خاوي العقيدة . فارغ الخلق . ميت الضمير .. يخالط الأشرار ، ويصاحب الفجار .. فلابد أن ينتهي إلى هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

ولاشك أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الاغواء والإفساد .

٤ – مفسدة المظاهر الخليعة في المجتمع :

يلتفت الشاب أو المراهق في الشارع وفي الساحات العامة فماذا يرى ؟

يرى الصور العارية التي تملأ السينما والصحف والمجلات والإعلانات والشوارع والمنازل والنوادي والمسارح ..

يرى النساء الكاسيات العاريات وهن في أبهى زينة . وأفتن منظر .. يرى الأزياء الفاضحة من نساء لايرعين للشرف حرمة ، ولا للأخلاق وزناً ..

يرى الطلاب والطالبات عند ذهابهم إلى المدرسة وعند انصرافهم منها كأنهم جراد منتشر في اختلاطهم وازدحامهم .. وكم سمعنا كلمات قذرة وجهها طالب ماجن وضيع إلى طالبة ماجنة مستهترة وهي سائرة في الطريق ؟

يرى المراهقين والمراهقات متجمعين على باب السينما ينظرون إلى صور العُهر والتحلل ، وقد يغري المراهق المراهقة – على موعد أو غير موعد – بدفع ثمن البطاقة ، حتى يشهدا معاً فيلما ماجناً ، أو مسرحية مائعة ..

يرى كل ذلك وأكثر من ذلك وهو في سن المراهقة ، وثورة الشباب !! .

ولاشك أن للبيئة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

٥ – مفسدة الصحبة السيئة :

سبق أن ذكرنا في القسم الأول في فصل : (أسباب الانحراف عند الأولاد ..) مايلي : (ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما إذا كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان مايتأثر بمصاحبة الفجار ، ومرافقة الأشرار .. وسرعان مايكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم والإنحراف عادة متأصلة من عاداتهم ، ويصعب بعد ذلك ردّه إلى الجادّة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء ..) .

ولقد رأيت – أخي المربي – حين تكلمنا عن (مفسدة المواخير ..) ماللصحبة الفاسدة من خطر كبير في جر المراهق أو المراهقة .. إلى الفاحشة ، ومسوقهما إلى

بيئة الفساد والإنحلال .. لأن الصاحب كما يقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام :- فيما رواه ابن حبان - « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يخالل » ، وكما قال أيضاً :- فيما رواه ابن عساكر - « إيّاك وقرين السوء فإنك به تُعرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

٦ - مفسدة الاختلاط بين الجنسين :

لما لاختلاط البنين والبنات وهم في سن التمييز والمراهقة من أثر كبير على الفضيلة والأخلاق والعلم والاقتصاد والجسم والأعصاب .

وقد قامت بدعة الاختلاط بين الجنسين في المدارس ومكاتب الوظائف .. في بعض البيئات الإسلامية اليوم بحجة أن الاختلاط مابين الجنسين يهذب الغريزة ، ويصرف كوامن الشهوة ويجعل اجتماع النساء بالرجال أمرا مألوفا وعادياً ..

وسبق أن ذكرنا في فصل (مسؤولية التربية العقلية) الردّ المقنع المدعوم بالحجة والدليل على كلّ مَنْ يزعم أن الاختلاط مابين الجنسين يهذّب الغريزة . ويحدّ الشهوة ، ويجعل اللقاء بين الرجل والمرأة أمراً طبيعيا مألوفاً ..

ارجع - أخي المربي - إلى الفصل المذكور ، واقرأ فيه بحث (الردّ على دعاة الاختلاط) تجد مايشفي الغليل إن شاء الله .

تلكم - أيها المربون - أهم وسائل الإفساد في تميع الولد خلقياً ، وإثارته جنسياً ، وهي وسائل مدمّرة ، وأسباب مهلكة كما رأيتم !! ..

فما عليكم – إذن – إلا أن تقوموا بمسؤولياتكم كاملة في رقابة الولد وملاحظته سواء أكانت الرقابة داخلية أو خارجية ..

ولكن هل الرقابة وحدها تجدي أم هناك وسائل إيجابية أخرى يجب أن ينتهجها المربون في إصلاح الولد ؟

في تقديري أن هناك ثلاث وسائل إيجابية إذا انتهجها المربون أنصلح الولد خلقياً، وانضبط غريزيا .. وكان كالملك في طهره وصفائه، وكالنبي في قدوته وأخلاقه، وكالمرشد الرباني في روحانيته وتقواه .. وهذه الوسائل مرتبة كما يلي :

١ – وسيلة التوعية .

٢ – وسيلة التحذير .

٣ – وسيلة الربط .

١ – وسيلة التوعية :

مما لايختلف فيه اثنان أن الولد إذا لقن منذ نعومة أظفاره أن هذا الفساد الاجتماعي، والانحلال الأخلاقي .. الذي عم المجتمعات الإسلامية في كل مكان هو من مخططات اليهودية والشيوعية والصليبية والاستعمارية .. فإن الولد – إذا ماكبر – يصبح عنده من النضج والفهم والوعي مايردعه عن الاسترسال في الشهوات، ومايرده عن كثير من المفاتن والمفاسد .. ولاشك أن وسائل هذا الإفساد عندهم هو **الجنس، والسينما، والمسرح، والمجلة، والصحيفة، وبرامج التلفزيون والإذاعة، والأزياء، ونشر الصور العارية، ومواخير الدعارة السرية والعلنية .. وماشابه ذلك .. وسوف تجد – أخي المربي – هذه المخططات موسعة مع شواهدها .. في بحث (الاستشعار بالمسؤولية) من هذا الكتاب .**

وسبق أن ألمحنا عن هذه المخططات في فصل (مسؤولية التربية العقلية) في آخر الفصل المذكور) .

فارجع – أخي المربي – إلى هذين البحثين تجد مايشفي الغليل ان شاء الله . ولابأس في هذا المقام أن أعرض لك باختصار – أخي المربي – عن الخطوط العريضة لهذه المخططات لترسخ في ذاكرتك مكائد أعداء الإسلام في افساد المجتمع الإسلامي .

●اليهود والماسونية :

– إنهم تبنوا آراء « **فرويد** » الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية ، والاسترسال في طريق الشهوة واللذة ..

– انهم تبنوا آراء اليهودي (**كارل ماركس**) الذي أفسد على الكثير عقائدهم وأخلاقهم ، وألغى الأديان وهاجم عقيدة الألوهية . ولما قيل لكارل ماركس : ماهو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح . أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح .

– إنهم تبنوا آراء (**نيتشه**) الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل مايؤدي إلى استمتاعه ..

– إنهم يعملون لتنهار الأخلاق في كل مكان .. عن طريق الجنس والمرأة .. فمن أقوالهم وأقوال الماسونيين : (يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين) .

●الاستعمار والصليبية :

– يقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار (كأس وغانية ، تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

– ومما قاله (القس زويمر) في مؤتمر المبشرين في القدس : (إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله .. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم . ويحب الراحة والكسل ، ولايصرف همه في دنياه الا في الشهوات . فإذا تعلم فللشهوات . وإذا جمع المال فللشهوات ، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود في كل شيء).

●الشيوعية والمذاهب المادية :

سوف تجد – أخي المربي – ماقاله الشيوعيون في وثيقتهم السرية مفصلاً في بحث (الاستشعار بالمسؤولية) . ولكننا نجتزيء هذا القول لارتباطه بموضوعنا :

(ونجحنا في تعميم مايهدم الدين من القصص ، والمسرحيات ، والمحاضرات ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلفات التي تروج للإلحاد وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر) .

(فمن هذه الأقوال والمخططات يتبين : أن اليهودية ، والماسونية ، والشيوعية والصليبية . والتبشير . والاستعمار .. متضافرون متفاهمون متعاونون .. على إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر . والجنس ، والمسرح . والمجلات . والصحف . والبرامج التلفزيونية والإذاعية ، ونشر الكتب والمؤلفات اللادينية .. وترويج القصص والمسرحيات اللا أخلاقية ..

وقد وصلوا – وياللأسف – إلى هدفهم الخبيث . وغايتهم الدنيئة .. حتى رأينا شبابا وشابات من جلدتنا . ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون إلى إسلامنا .. قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات ، وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة والتقليد الأعمى .. وأصبحوا في حالة يرثى لها لاهمّ لهم ولاغاية سوى التقلب في حمأة الرذيلة والشهوة . والانصراف إلى مشاهدة فيلم داعر . أو مسرحية فاجرة ، أو تمثلية ماجنة . أو ارتياد صالة يذبحون على أعتابها معاني النخوة والرجولة والشرف !! .. وهكذا يفعلون .. [1]

---

(١) من كتابنا « حكم الاسلام في وسائل الإعلام » ص ٥٨-٥٩ .

فما عليك - أخي المربي - إلا أن تقوم بدور التوعية تجاه أولادك وأفلاذ أكبادك .. حتى يعرفوا مايخطط لهم الأعداء ، وما يبيته المتآمرون .. ولا بأس أن تلقي في روعهم أنهم إذا تقلبوا في حمأة الفساد ، وانساقوا وراء التحلل والإباحية .. فيكونون منفذين من حيث يعلمون أو لايعلمون مؤمرات اليهودية والصليبية والشيوعية .. ومخططات الماسونية والتبشير والاستعمار .. في أرض الإسلام ، وبلاد المسلمين .. وفي تقديري أن هذا التلقين الواعي يلعب دوراً كبيراً في إقناعهم العقلي والوجداني ، وبالتالي في كفهم عن الفواحش والمحرمات !!

٢ - وسيلة التحذير :

هذه الوسيلة - في نظري - إذا انتهجها المربون في توجيههم وتوعيتهم تعد من أعظم الوسائل الإيجابية في كف الولد عن المحرم . وزجره عن الفاحشة .. هذه الوسيلة تصور للولد حقيقة الأخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في متاهات التحلل والإباحية .

وها أنا ذا أضع بين يديك - أخي المربي - أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى والاتصال الحرام والعلاقات المشبوهة لتكون الرؤية لديك واضحة .. عسى أن تقوم بواجب التوعية والتحذير لولدك فيكفّ تلقائياً عن الفاحشة المحرمة ، والتحلل الممقوت ..

واليكم - أيها المربون - أخطار الفاحشة(١) :

(أ) الخطر الصحي :

● مرض السيلان :

ينتقل بعملية الزنى .. ويسبب التهاباً حاداً أو مزمناً في الرحم والخصيتين ، وقد يؤدي إلى العقم ، وإلى التهابات في المفاصل ، وقد يؤثر على المولود ، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي إلى العمى ..

---

(١) من كتاب (خطر الاختلاط والتبرج) للمؤلف عبد الغني رمضون مع بعض التصرف .

● مرض الزهري :

وسمي عاميا بداء الإفرنجي لصدوره عن المجتمعات الإفرنجية التي يكثر فيها الزنى ، وتفشو بين أبنائها الفاحشة .

● مرض التقرّحات الجنسية :

ينتقل بالمرض الجنسي المحرم ، ويسبب التهابات في العُقَد البلغمية ، قد تؤدي إلى خرّاجات قيحيّة مزمنة ، والتهابات في المجاري البوليّة ، وآلاماً مفصلية ، وتورّمات في الأطراف ..

● مرض القرح اللين :

ينتقل عن طريق الزّنى ، ويسبب تقرّحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

● مرض النضج الجنسي المبكر :

يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها .. ويسبب تشوهات بدنية ، وأمراضاً عصبية ونفسية ..

إلى غير ذلك من هذه الأمراض الصحية والجسمية ..

(ب) الخطر النفسي والخلقي :

قد يصاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمية بالأمراض التالية :

● مرض الشذوذ الجنسي (اللواط أو السحاق) ، وهو مرض خطير ، من نتائجه : اكتفاء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات

كثيرة تدعي التقدم والحضارة كأمريكا وانكلترا .. فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة (نيويورك) بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون ..

اما المستترون المستخفون فحدث عن كثرة عددهم ولاحرج .

● **بمرض الهوس الجنسي** حيث ترى المريض مشغولا في جميع أوقاته بتخيلات شهوانية غريبة .. من نكاح ، وتقبيل ، وضم ، وعناق ، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه ، وعينين ، وعنق ، وشفتين ، ونهدين ، وسوأة ، وفخذين .. وتراه منصرفاً عن كل شئ .. فيكثر نسيانه ، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ، ويضعف انتباهه .. وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون ... وتسبب هذه الظاهرة الأثيمة نحولا في الجسم ، وضعفاً في الذاكرة ، وقلقاً في النفس ..

ومن أخطار الزنى الخلقية في المجتمعات الإنسانية بشكل عام :

– الشباب الشارد السادر في الشهوة ، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون ..

– عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي .

– الجيل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً ..

– عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش .

– تجار الشهوات والغرائز ، وبيع الفتيات ، وتأجير البغايا ..

– عصابات من الأطباء والمحامين والحكام ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس والمال .

– نوادي العراة العلنية .. يتعرى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل ..

– مواخير مرخصة منتشرة هنا وهناك لتأجير العاهرات ..

- أفواج من المومسات يحترفن الزنى للعيش الكفاف ..

– الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة المثيرة ، والمسرحيات الآثمة المهيجة .

– كتب الجنس ، ومجلات العري ، وكباريهات الرقص والمجون ..

– أفواج (الهيبيين) الإباحيين المتشبهين بالحيوانات والخنافس .

أفواج (البوب) اللامنتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة ..

إباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويستبيحون كل رذيلة ، ويسيرون مع الأهواء والنزوات ..

إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والإباحية التي لايمكن حصرها ولاتعدادها ..

وكان من نتيجة ذلك : أن صرح (خروتشوف) سنة (١٩٦٢) بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات .

وفي الوقت نفسه صرح (كنيدي) أيضاً بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية ..

وقد سرى عدوى هذه الموجات الإباحية في المجتمعات الغربية والشرقية على المجتمعات الإسلامية – وبالأسف – حتى أصبحنا نسمع عن كثير من أقبية الزنى ، ومواخير الفاحشة ، وأندية القمار ، ومسارح المجون ، وأوكار الخمر والحشيش ، وصالات العري والرقص .. منتشرة هنا وهناك تحت سمع وبصر المسؤولين ورجالات الحكم في أكثر البلاد الإسلامية ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وأصبحنا نسمع – والأسى يحزّ في نفوسنا – عن تجار للغرائز والشهوات لشراء الفتيات وتأجير البغايا .. وهذا منتشر في طول البلاد وعرضها دونما نكير ولانذير !! .

وأقبل كثير من شبابنا نحو اللذة والجنس والخمر دونما سائل ولا رقيب ! .

وهذا يعرفه القاصي والداني من المسلمين والناس أجمعين .

(ج) الخطر الاجتماعي :

من القضايا المسلم بها أن الاسترسال في الفاحشة يضر بمصلحة الفرد والأسرة على حد سواء ، بل خطر على المجتمع بشكل عام .

● من هذه الأخطار تهديده الأسرة بالزوال ، لأن الشباب العَزَب حين يشبع نهمه الحيواني بالحرام لايمكنه بحال أن يفكر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد .. وكذلك الزانية ، فإنها لاترغب بالحمل ، ولاترضى بالولد لضرر الحمل الجسمي والنفسي عليها ، فهي تحاول التخلص منه بأية وسيلة !! ..

● من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال ، لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج ، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والإباحية .. يعج بأولاد لاكرامة لهم ولا أنساب .. وفي ذلك ظلم للأولاد وأي ظلم ؟!

- ظلم لهم لأن الولد حين يحي ويستشعر بأنه ابن الزنى والعار ، وتربية المحاضن والمستشفيات فإنه يتعقد نفسياً ،وينحرف سلوكيّاً ، وعلى الغالب يكون أداة إجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار !!..

● من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء ، ذلك لأن المرأة والرجل لايجدان الحياة الهانئة السعيدة ، والعيش المستقر الكريم إلا في ظلال الزوجية القائمة على المودة والرحمة .. وهذا الأمر تراه معدوماً في المجتمع الذي لايروج فيه سوق الزواج . وفي الأمة التي تسير وراء التميع والانحلال !! .

● من هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرابة لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذات والمحرمات .. تراه منبوذاً محتقراً لدى الصلحاء من قرابته وَرَحِمِه .. وهذا ولاشك مما يؤصل في نفسيته روح التمرد والعقوق ، ويؤجج بينه وبينهم نيران العداوة والبغضاء ..

وليس هناك ثمة من ذنب – بعد الاشراك بالله – يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الاسلام ؟ .

إلى غير ذلك من الأخطار والمضار التي لاتخفى على كل ذي عقل وبصيرة ..

(د) الخطر الاقتصادي :

مما لايختلف فيه اثنان أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع ، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة .. فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك :

لضعف القوى .
وقلة الإنتاج .
واتخاذ الكسب غير المشروع .

● **أما ضعف القوى :**

فلأن العزب الذي يساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقلياً ، ويمرض جسمياً ، ويمرض خلقياً ، ويمرض نفسياً ...

ولاشك أن المريض حين يمرض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار عزيمته .. فلايستطيع أن ينهض بمسؤولية على وجهها الأكمل ، ولا أن يضطلع بواجب على النهج الصحيح !! .

وفي ذلك تعطيل للاقتصاد ، وانهيار للحضارة ..

● **أما قلة الإنتاج :**

فلأن الأموال تبدد في طريق الميوعة والشهوات ، وإشباع نهم الغريزة والجنس .. لافي طريق الإنتاج ، ومصلحة الاقتصاد .. ولأن المتحلل الماجن لايخلص في عمله . ولاينهض بمسؤوليته .. لانعدام الرادع الديني ، والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره .. وفي ذلك فساد للأخلاق ، وطعنة للاقتصاد ..

● **أما اتخاذ الكسب غير المشروع :**

فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق .. طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف . طريق الرشوة والاختلاس ، طريق الاتجار بالأعراض ، والاتجار بالمصورات العارية ، والاتجار بالمجلات الماجنة ، والاتجار بالأفلام الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الفاحشة والقصص الغرامية ..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لاتعود على المجتمع إلا بالخسران والضرر ، والفقر والبطالة ، وقتل القيم ومكارم الأخلاق .. إذ بها

تهدر الطاقات المنتجة ، وتتعطل المكاسب المشروعة ، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية ، وسجين الأنانية والمحسوبية ، وعبد الشهوة واللذة والهوى !! .

وفي ذلك تحطيم لتقدم الأمة ، وتضعيف لاقتصادها وإنتاجها ..

(هـ) الخطر الديني والأخروي :

وأخيرا فإن العزب الذي لايستعفف عن محارم الله ، ولايصون نفسه عن مزالق الشهوة والفتنة .. فإنه يصاب بأربع خصال ذميمة عدد معالمها النبي عليه الصلاة والسلام .

روى الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ **أنه قال : « إياكم والزنى فإن فيه أربع** خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار » .

ومن خطره الأخروي : أن الزاني حين يزني ينسلخ من ربقة الإيمان ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « **لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** .. »

ومن خطره الأخروي : أن الزاني إذا بقي مصرا على المعصية من غير توبة حتى ادركه الموت فالله سبحانه يضاعف له العذاب يوم القيامة . قال تعالى في سورة الفرقان :

﴿ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلْقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ . [الفرقان : ٦٨ ، ٦٩]

تلكم - أيها المربون - أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى وارتكاب الفاحشة .. وهي أخطار أليمة - كما رأيتم - تضر بالصحة ، وتضر بالأخلاق ، وتضر بالنفس ، وتضر بالعقل ، وتضر بالدين ، وتضر بالأسرة ، وتضر بالمجتمع ، وتضر بالاقتصاد ..

فالولد حينما يحذر – منذ نعومة أظفاره – من هذه الأخطار ، ويبصر هذه الأضرار .. فإنه ينشأ حين ينشأ على الحصّان والعفاف ، ويكف عن الفواحش والمحرمات ، ويتبع سبيل الإسلام في سلوكه وأخلاقه ، ولايفكر في إشباع الغريزة إلا بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال امتثالا لأمر النبي ﷺ القائل : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. » رواه الجماعة .

ومن التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ممن يشرفون على تربيته وتوجيهه :

تحذيره من الردة .
وتحذيره من الإلحاد .
وتحذيره من اللهو والمحرم .
وتحذيره من التقليد الأعمى .
وتحذيره من رفقة السوء .
وتحذيره من مفاسد الأخلاق .
وتحذيره من الحرام بشكل عام .

وسوف تجد – أخي المربي – تفاصيل من التحذيرات في (قاعدة التحذير) في القسم الثالث من هذا الكتاب فارجع إليه تجد فيه مايبل الصدى إن شاء الله .

ولاشك أن التحذير من الردة والإلحاد يجنب الولد الانخراط في بوتقة الكفر والضلال والإباحية .

وأن التحذير من اللهو المحرم يجنب الولد الاسترسال في حمأة الشهوات والملذات .

وأن التحذير من التقليد الأعمى يجنب الولد تميع الشخصية وانتهاك الكرامة .

وأن التحذير من رفقة السوء يجنب الولد الانحراف النفسي والشذوذ الخلقي ..

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنب الولد التقلب في أوحال الرذيلة ومستنقع الفحشاء ..

---

(١) ترجع إلى صفحة : ٨٢٩ من هذا المجلد تجد البحث فيه وافياً إن شاء الله .

وأن التحذير من الحرام يجنب الولد التعرض للمفاسد والأمراض والآفات النفسية .. وفي هذا إصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونضج لعقله ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

٣ – وسيلة الربط :

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضية .. منذ سن التعقل والتمييز إلى أن يتدرج يافعاً إلى أن يترعرع شابا .. فإن الولد – ولاشك – ينشأ على الإيمان ، ويتربى على التقوى .. بل يصبح عنده من مناعة العقيدة الربانية مايستعلي بها على الجاهلية ، وينتصر على الهوى ، ويستقيم على الحق والهدى ..

وهل من ارتباط أعظم من ارتباط العقيدة والفكر والروح ؟

وهل من صحبة أفضل من صحبة المرشد الرباني ، والرفيق الصالح ؟

وهل من سلوك أسمى من سلوكية الأنبياء والصحابة والسلف ؟

إذن فما على المربي إلا أن يربط الولد بالعقيدة ، وأن يربطه بالعبادة ، وأن يربطه بالمرشد ، وأن يربطه بالصحبة الصالحة ، وأن يربطه بالدعوة والداعية ، وأن يربطه بالمسجد والذكر والمراقبة والقرآن الكريم ، وأن يربطه بالتاريخ والأمجاد وسيرة الأنبياء والصحابة والصالحين ...

وإذا أردت – أخي المربي – أن تقوم بمسؤولية الربط على وجهها الأكمل فاقرأ تفاصيل هذا كله في (**قاعدة الربط**) في القسم الثالث من هذا الكتاب تجد فيها مايوصلك إلى المنهج الأقوم في تربية الولد إيمانيا ، وإعداده خلقياً .. إن شاء الله .

ومما ألفت نظرك إليه أن للتربية الإيمانية [1] الأثر الأكبر في إصلاح الولد ، وتقويم خلقه وسلوكه .. ذلك أن الولد إذا تربى على الإيمان بالله سبحانه ، ومراقبته في السر والعلن ، وخشيته في المتقلب والمثوى .. فإنه يصبح إنسانا سويا ، وينشأ شابا

---

(١) يرجع إلى فصل (مسؤولية التربية والإيمان) تجد فيه مايشفي الغليل إن شاء الله .

تقيا ... لاتستهويه مادة ، ولاتستعبده شهوة ، ولايتسلط عليه شيطان ، ولاتلعج في أعماقه وساوس النفس الأمارة .. فإذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال : اني أخاف الله رب العالمين . وإذا وسوس له شيطان قال : ليس لك علي سلطان ، وإذا زين له قرناء السوء طريق الفحشاء والمنكر .. قال : لا أبتغي الجاهلين !! .

هذا هو منهج الإسلام في الإصلاح والتربية ، فإنه يبدأ بإصلاح الفرد من داخل النفس الإنسانية لا من خارجها ، يبدأ الإصلاح والتربية بطهارة الضمير ، وتهذيب الوجدان ، وإرهاف الشعور .. والتدرج على مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، والتحسس من أعماق القلب بأن الله سبحانه مع الإنسان يراقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .. وعلى مثل هذا فلينهج المربون ، وليعمل العاملون ..

والذي أخلص إليه بعد ماتقدم :

أن المربين جميعاً من آباء وأمهات ومصلحين ومعلمين .. إذ أخذوا بوسائل الإسلام الإيجابية : من توعية وتحذير وربط .. في إصلاح الولد وتربيته وإعداده .. فإن الولد يتجنب كل مايثيره جنسياً ، ويفسده خلقياً .. ويبتعد عن أسباب الزيغ والفساد ، وعن عوامل الميوعة والانحراف .. بل يكون في المجتمع قمر هداية ، وشمس إصلاح ، وملكا يمشي على الأرض .. لصفاء نفسه ، وطهارة قلبه ، وكريم أخلاقه ، وجميل معاملته ، ولطف معاشرته ومظهر تقواه ..

اللهم وفق المربين جميعاً لأن يأخذوا بمنهج الإسلام في تربية الأولاد .. حتى ينجوا من المسؤولية بين يديك في يوم لاينفع فيه مال ولابنون .. وحتى يروا الجيل المسلم في تطبيق للإسلام شامل ، وفي التزام لمبادىء القرآن كامل ، وفي جهاد في سبيل الله دائم ، وفي عزة من المجد والكيان سامقة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

٤ - تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ :

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين .. تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي ، ونضجه الجنسي .. والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً ، ومسؤولين عن عملهما أمام الله عز وجل ، وأمام المربين ، وأمام المجتمع .. لذا وجب على المربي أن يصارح الصبي إذا بلغ سن المراهقة وهو السن الذي يتراوح مابين ١٢ إلى ١٥ سنة أن يصارحه أنه إذا نزل منه منيٌّ [١] ذو دفق وذو شهوة .. أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً ، يجب عليه مايجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

ووجب على المربي أيضا أن يصارح البنت إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً [٢] ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف .

وكذلك وجب على المربي أيضاً أن يصارح البنت أيضاً أنها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

فالإسلام يحمل الأبوين أولا وآخراً مسؤولية مصارحة الأولاد في هذه الأمور الهامة .. حتى يكونوا على توعية كاملة ، وفهم عميق في كل مايتصل بحياتهم الجنسية ، وميولهم الغريزية .. وكل مايترتب على ذلك من واجبات دينية ، وتكاليف شرعية ..

---

(١) المني من الرجل يوصف أنه غليظ أبيض كرائحة الطلع أي طلع النخلة وهي قريبة من رائحة العجين ، أما عند يبسه كرائحة بياض البيض .

(٢) الاحتلام : هو مايراه النائم في نومه والمراد به الجماع .

وكم سمعنا عن بنات بقين سنين عدة وهن غير طاهرات لكونهن لايعلمن ماذا يترتب على الجنابة والحيض من أحكام ؟

وكم سمعنا عن بنين بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لايعلمون ماذا يترتب على الاحتلام والجنابة من أحكام ؟

وربما تصلي البنت ، ويصلي الولد وهما في جنابة أو في حال عذر ويظنان أنهما يؤديان حق الله في الطاعة والعبادة ..

إذن فمن المسؤول عن مصارحة الولد جنسياً ، وتوعيته غريزيا قبل أن يناهز الولد سن الاحتلام ، ويشارف على البلوغ ؟

لاشك أن الأبوين مسؤولان أولا ، ثم من يشرفون على تعليمه وتربيته من المعلمين والمرشدين .. مسؤولون ثانيا ..

وإلّا .. فالولد يكون أجهل مايكون في الأحكام التي تتصل بحق ربه ، وحق نفسه ، وحق دينه ، وهو يظن أنه يحسن صنعاً !! .

والآن أضع بين يديك – أخي المربي – أهم الأحكام الشرعية التي تتصل ببلوغ الولد ، ودخوله سن الاحتلام .. لتعلمها الصبي قبل أن يصل إلى مقام الرجال ، وتعلمها البنت قبل أن تصل إلى مقام النساء .

وإليك هذه الأحكام :

١ – الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى إذا ذكر احتلاماً ولم يجد على ثوبه بعد استيقاظه بللا لايجب عليه الغسل ، لما روى أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة ترى في منامها مايرى الرجل ، فقال : « ليس عليها غسل حتى تُنزل ، كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل » .

وفي رواية النسائي : أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة تحتلم في منامها ، فقال : « إذا رأت الماء فلتغتسل » .

٢ – الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى إذا رأى على ثوبه بعد استيقاظه بللا ولم يذكر احتلاما وجب عليه الغسل ، لما روى الخمسة إلا النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما فقال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولايجد البلل ، فقال : « لاغسل عليه » ، فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك عليها الغسل ؟ قال : « نعم ، إنما النساء شقائق الرجال » .

٣ – نزول المني من الرجل أو المرأة على سبيل الدفق والشهوة بالعادة السرية أو غيرها .. يوجب الغسل ، لما روى أحمد وابن ماجه والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : (كنت رجلا مذاء ، فسألت النبي ﷺ فقال : « في المذي [١] الوضوء ، وفي المني الغسل » .

وفي رواية لأحمد : (إذا حذفت الماء [٢] فاغتسل من الجنابة ، فإذا لم تكن حاذفا فلا تغتسل) .

والحذف هو قذف المني من الذكر بشهوة ، وفي الحديث تنبيه أن مايخرج لغير شهوة إمّا لمرض أو بردة أو ضرب على الظهر أو حمل شيء ثقيل لايوجب الغسل .

٤ – وغيبة رأس الذكر (وهو مافوق موضع الختان ويسمى بالحشفة) في قُبُل أو دُبُر على الفاعل والمفعول به يوجب الغسل سواء أنزل أم لم ينزل .. لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جلس بين شُعَبِها الأربع (هي اليدان والرجلان) ومس الخِتانُ الخِتانَ فقد وجب الغسل » .

---

(١) المذي : مايخرج من الرجل عند الملاعبة مع أهله أو يخرج عند رؤية مايثير من النساء .
(٢) الماء : المني .

وفي مسند عبد الله بن وهب أنه قال عليه الصلاة والسلام : « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة وجب الغسل أنزل أو لم ينزل » .

٥ – وانقطاع مدة الحيض [١] والنفاس [٢] يوجب الغُسل على المرأة ، لقوله تبارك وتعالى على قراءة : ﴿ ولاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتى يَطَّهَّرْنَ ﴾ بتشديد الطاء أي يغتسلن . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت حُبَيْش كانت تستحاض [٣] . فسألت النبي ﷺ فقال : « ذلك عِرْقٌ وليست بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلّي » .

وثبتَ الغسل من النفاس بالإجماع ، وبالقياس على الحيض .

٦ – فمن البديهي بعد أن تعلم الولد موجبات الغسل وجب أن يتعلم فرائضه وسننه وكيفيته ، حتى إذا وقع الولد في الجنابة عرف كيف يغتسل حتى يصبح طاهراً ؟ وإليك – أخي المربي – فرائض الغسل ، وسننه ، وكيفيته حتى تعلمها ولدك :

أما الفرائض فغسل فمه وأنفه وجميع بدنه .

لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن كنتم جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾ فما في غَسْلِهِ حرج كداخل العين يسقط ، ومالاحرج فيه يجب غسله ، وغسل داخل الفم والأنف مما لاحرج فيه .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « تحت كل شعرة جنابة ، فبلّوا الشعر ، وأنقوا البشرة » أي أنقوا بالماء جميع أجزاء البدن .

---

(١) الحيض : هو الدم الذي ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا إياس (بنت خمسين سنة) وأقل الحيض ثلاثة أيام ولياليها ، وأكثره عشرة ، وأقل الطهر خمسة عشر يوماً ، ولا حد لأكثره .

(٢) النفاس : هو دم رحم امرأة يعقب ولادة الولد ، ولا حد لأقله ، وأكثره أربعون يوماً .

(٣) الاستحاضة : هو الدم الذي تراه المرأة قبل ثلاثة أيام أو بعد عشرة أيام في الحيض ، وبعد أربعين يوما في النفاس .

هذه الأحكام على فقه أبي حنيفه رحمه الله .

فبناءً على هذه الأوامر الشرعية يجب غسل كل جزء من أجزاء البدن بما لاحرج في غسله كالسرة ، وفرج المرأة الظاهرى ، وتحت مافي الخاتم الضيق ، وظاهر الأذنين ، وماتحت الإبطين ..

أما السنن والكيفية : فيبدأ بغسل يديه ، وفرجه ، ويزيل النجاسة ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، إلا رجليه فإنه يؤخرهما إلى آخر الغسل ، ثم يفيض الماء على بدنه ثلاثا ، ثم يغسل الرجلين في مكان لايجتمع فيه الماء ..

وأصل ذلك ماروى أصحاب (الكتب الستة) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني خالتي ميمونة قالت : أدنيت (أي قربت) لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة (أي مايغتسل به) فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ، ثم أدخل يده في الإناء ، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً (لنقائها من النجاسة) ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ، كل حفنة ملء كفيه ، ثم غسل سائر جسده ، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ، ثم أتيته بالمنديل فرده) .

والرجل إذا كان له ضفائر من الشعر فيجب عليه حلّها حتى يصل الماء أثناء الشعر . أما المرأة فلا يجب عليها حل ضفائرها بل يكفيها أن يصل الماء إلى أصول شعرها لما روي أبو داود من أنهم استفتوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « أما الرجل فلينثر رأسه (أي ينثر شعره) فليغسل حتى يبلغ أصول الشعر ، وأما المرأة فلا عليها أن تنقضه . فلتغرف على رأسها ثلاث غرفات بكفيها » وفي رواية لمسلم : « أفأنقضه ، للحيضة والجنابة ؟ قال : لا إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك الماء فتطهري » .

ومن سنن الغسل : البداءة بالنية ، والتسمية ، والسواك ، وتخليل اللحية والأصابع ، وَدَلْك ما أمكن دلكه من الجسم ..

وإذا لم يجد من يجب عليه الغسل الماء لبعده نصف ساعة ، أو خاف زيادة المرض باستعمال الماء ، أو ماوجد مايسخن به الماء في البرد ، أو خاف عدواً أو عطشاً ...

فإنه يجوز له في مثل هذه الأحوال التيمم وكيفيته : ضربتان على كل طاهر من جنس الأرض كالرمل والحجر والتراب .. ضربة لمسح وجهه ، وضربة ليديه مع مرفقيه ، لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿ **فلم تجِدُوا ماءً فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيباً فامسحُوا بوجُوهِكم وأيديكم منه** ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الدارقطني والحاكم وصححه :– « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة للذراعين إلى المرفقين » .

ويشترط في التيمم النية من أجل أداء عبادة مقصودة لاتصح إلا بالطهارة ، وكيفيته واحدة لرفع الحدثين : الأصغر والأكبر أي للوضوء وللغسل .

٧ – ومن البديهي أن يتعلم الولد أيضاً مايحرم عليه إذا كان في حال جنابة حتى لا يقع في المحرم .

وإليك – أخي المربي – أهم هذه المحظورات التي حظرها الإسلام على الجنب وذوات الأعذار من النساء :

– يحرم على الحائض والنفساء الصوم والصلاة بإجماع المسلمين .

وبالنسبة للقضاء فإنها تقضي الصوم ولاتقضي الصلاة ، لما روى الستة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولانؤمر بقضاء الصلاة » .

– ويحرم عليهما دخول المسجد ، لما روى أبو داود .. « فإني لا أحل المسجد لجنب ولا حائض » .

– ويحرم عليهما الطواف بالكعبة لأنه من المسجد للحديث الذي سبق ذكره .

– ويحرم على الازواج الاستمتاع من الحائض والنفساء ماتحت الإزار فيما بين السرة والركبة .

لقوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

ولما روى أبو داود عن عبد الله بن سعد قال : سألت رسول الله ﷺ مايحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ فقال : « لك مافوق الازار » ، وفي المتفق عليه « أنه ﷺ كان لايباشر إحداهن حتى يأمرها أن تأتزر » .

– ويحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة شيء من القرآن الكريم ، لما روي الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « لاتقرأ الحائض والجنب شيئاً من القرآن » .

هذا إذا كانت القراءة على قصد التلاوة ، أما إذا كانت القراءة على قصد الذكر والثناء نحو : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، (الحمد لله رب العالمين) ، (هو الله أحد ..) أو علمت الحائض أو الجنب حرفا حرفا بقصد التعليم فلا بأس به بالاتفاق لأجل العذر والضرورة .

هل يجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن وتمسّ المصحف إذا كانت مُعَلّمة أو مُتعلّمة ؟ .

في مذهب الإمام أحمد قول ورواية عنه أن الحائض والنفساء يجوز لها قراءة القرآن ، واختاره الشيخ ابن تيمية كما في (الانصاف) .

وعند الإمام مالك يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن الكريم ، ومس المصحف إذا كانت عالمة أو متعلمة كما في (الشرح الصغير) للدردير بحاشية الصاوي

(ج١ : ٦٥ و ٩٢ - ٩٣) وفي ذلك يسر كبير على الطالبات والمعلمات .

ويجوز عند مالك أيضاً للجنب - ومن باب أولى الحائض والنفساء - قراءة اليسير من القرآن للتعوذ عند النوم ، أو خوف ، أو للتبرك ، أو للرقيا (من ألم أو إصابة عين) ، أو للاستدلال على حكم شرعي [١] .

- ويحرم على غير المتوضىء والجنب والحائض والنفساء من مسّ المصحف إلاّ بغلاف منفصل ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ لايمسّهُ إلا المطهرُون ﴾ ولما روى الحاكم في المستدرك وصححه عن حكيم بن حزام قال : لما بعثني رسول الله ﷺ الى اليمن قال : « لاتمس القرآن إلّا وأنت طاهر ، وفي البخاري عن أبي وائل أنه كان يرسل جاريته وهي حائض إلى أبي رَزين لتأتيه بالمصحف فتمسك بعلاقته (أي بالخيط الذي يعلق به كيس المصحف) وأبو وائل ، وأبو رزين من كبار التابعين رضي الله عنهم وعن الصحابة .

- ويحرم على الجنب الصلاة لما فيها من قراءة القرآن كما سبق ذكره قبل قليل ، ويحرم عليه دخول المسجد ، ويحرم عليه الطواف ، للحديث الذي سبق : (لا أحل المسجد لجنب ولاحائض) .

أما صوم الجنب فإنه صحيح ولكن يأثم صاحبه إذا كانت الجنابة سبباً في تأخير الصلاة .

- المحتلم الذى استيقظ ورأى على ثوبه منياً ، فان كان رطبا فلا يطهر إلا بالغسل ، وان كان يابساً فيطهر بالفرك ، لما روى الدارقطني في (سننه) والبزار في (مسنده) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً ، واغسله إذا كان رَطْباً » ، وفي رواية : « فيخرج إلى الصلاة وإنّ بُقَع الماء لفي ثوبه »

---

(١) ارجع إلى ماكتبه العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لكتاب (فتح باب العناية) بشرح كتاب النقاية ج١ ص : ٢١٧ - ٢١٨ .

فاحرص – أخي المربي – على تعليم هذه الأحكام لأولادك وهم في سن التمييز والتعقل حتى إذا بلغوا سن التكليف وأصبحت العبادة فرضاً عليهم .. عرفوا مايجوز فعله ومايحرم ، وعرفوا حكم الشريعة في كل مايتعلق بالغريزة ، ويتصل بالبلوغ ، بل تشملهم خيرية التفقه بالدين ، ويحظون بفضيلة العلم والتعليم .. وصدق رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذي رواه الشيخان : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

* * *

٥ – الزواج والاتصال الجنسي :

الله سبحانه خلق الإنسان وأودع فيه عدة ميول وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه ، وبقاء نوعه .. وأنزل من التشريعات والأحكام ما يلبي حاجات هذه الميول والغرائز ، ومايكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء ..

وما الزواج الذي شرعه الإسلام إلّا تلبية لغريزة الميل إلى الجنس الآخر .. ليسير الإنسان مع فطرته الجنسية ، وميله الغريزي بكل تلاؤم وتجاوب واتساق . دون أن يتأثر من فتنة الحياة ، وهياج الغريزة ، وأشواق الفطرة ... والآن أريد أن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه الحقائق التي تتصل بالغريزة الجنسية ، وترتبط بحكمة الزواج .. وهذه الحقائق تتعلق بشيئين :

أ – نظرة الإسلام إلى الجنس .

ب – لماذا شرع الله الزواج ؟ .

أما نظرة الإسلام إلى الجنس :

١ – فقائمة – كما ذكرنا في القسم الأول – على إدراك فطرة الإنسان [١] ، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله .. حتى لايتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته ، ولايسلك سبيلا منحرفاً يصطدم مع غريزته .. بل يسير على مقتضى المنهج القويم السوي الذي رسمه الإسلام ألا وهو الزواج .. وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ ومن آياتِهِ أنْ خلَقَ لكُم مِن أنفُسِكُم أزواجاً لتسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينكم مودةً ورحمةً ﴾ .

(الروم : ٢١)

ومن هنا يجب أن نعلم أن الإسلام حرّم العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله .. ولاسيما إذا كان المسلم قادراً على الزواج متيسراً له أسبابه ووسائله .. بل نجد في شريعة الإسلام أن الشريعة حاربت بشدة لاهوادة فيها كل دعوة إلى رهبانية بغيضة ، وعزوبة ذميمة لكونها تتعارض مع فطرة الإنسان ، وتصطدم مع غرائزه وميوله .

فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السمحة) .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ كَانَ موسِراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منّي » .

---

(١) ارجع إلى ماكتبناه في كتابنا (عقبات الزواج) في فصل (لارهبانية في الإسلام) ص١٩ الطبعة الثانية ، وارجع إلى ماكتبناه أيضا في القسم الأول من كتاب التربية تحت عنوان (الزواج فطرة إنسانية) تجد البحث فيهما وافيا .

ومن مواقف الرسول ﷺ في تربية المجتمع ، ومعالجة آفات النفوس هذا الموقف : روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ..

قال أحدهم : أمّا أنا فإني أصلّي الليل أبداً !! ..

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر !! ..

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً !! ..

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أمّا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنّي أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ أعظم برهان على أن هذا الإسلام دين الفطرة ، وشريعة الحياة ، ورسالة الخلود .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ .

٢ – ومن نظرات الإسلام الصائبة إلى الجنس اعتباره تصريف الشهوة بالحلال ، وإشباع الغريزة بالزواج .. من الأعمال الصالحة التي يستأهل صاحبها رضوان الله ، ويستحق الأجر والثواب ..

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبيّ : يارسول الله ذهب أهل الدّثور (الغني) بالأجور ، يصلّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون بفضول أموالهم ..

قال عليه الصلاة والسلام : أو ليس الله قد جعل لكم ماتصدّقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضْع أحدكم صدقة (أي الجماع) .

قالوا يارسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ .

قال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟

قالوا : بلى .

قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر .

ألا فليفهم من يتهمون الإسلام بالكبت الجنسي هذه الحقائق في نظرة الإسلام إلى الجنس ، وموقفه الصريح من الزواج ؟!! .

٣ - ومن الأمور التي يجب أن يعرفها الأزواج ألا يجعلوا من مفهوم « وفي بُضْع أحدكم صدقة » ميلا كليا إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر . والتقلب في مضاجعة الزوجات حيث يقعدهم ذلك عن واجبات دعوية ، ومهمات جهادية فى سبيل الله ، ونصرة الإسلام .. ذلك لأن الإسلام أنتج لنا الإنسان القوي المتوازن الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، دون أن يغلب حقاً على حق ، أو واجباً على واجب .. بل إذا تعارضت مصلحة الإسلام والجهاد والدعوة إلى الله مع مصلحة المعاش والزوجة والولد والمال .. فينبغي على المسلم أن يغلب مصلحة الجهاد والدعوة على كل مصلحة دنيوية ، ومنفعة شخصية ، ومشاعر نسبية ووطنية وأسرية .. لأن إقامة المجتمع الإسلامي ، وتثبيت دعائم الدولة المسلمة ، وهداية الإنسانية التائهة إلى الإسلام .. هي غاية الغايات ، بل هي أسمى الأهداف والأمنيات في نظر المسلم .. وهذا صريح فى موقف ربعي بن عامر حين وقف أمام رستم في حرب القادسية ليقول له : (ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) .

وإليك أخي المربي بعض النماذج في تغليب السلف الصالح مصلحة الإسلام والجهاد على كل مصلحة ذاتية ، ومنفعة شخصية ، ومشاعر أسرية ونسبية .. ولاسيما مشاعر الركون إلى الأهل والزوجات :

(أ) هذا الصحابي المؤمن حنظلة بن أبي عامر الذي تزوج جميلة بنت أُبيّ ليلة الجمعة ، وفي صباح ذلك اليوم نادى المنادي (حي على الجهاد) ، فما أن سمعها حنظلة حتى تقلد سيفه ، ولبس درعه ، وامتطى جواده ، ثم سار إلى القتال في غزوة أحد ، فلما بدأت الحرب قاتل قتال الأبطال ، ثم انكشف المسلمون . فأخذ حنظلة يقاتل وهو يمر بعينيه بين صفوف المشركين في أحد حتى يجد أبا سفيان ، فلما وجده هجم عليه ، فوقع أبو سفيان ، وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فصاح أبو سفيان مستنجداً بقريش ، فسمع الصوت رجال ، فهجموا على حنظلة وضربوه ضربة قاتلة حتى استشهد رضي الله عنه .

وهاهو ذا النبي ﷺ يطلعه الله سبحانه على عالم الغيب فيقول لأصحابه : « إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة »[١] ، ويسرع الصحابة إلى حنظلة ينظرون إليه فإذا رأسه يقطر ماء .. فأرسلوا إلى امرأته يسألونها فأخبرتهم أنه ماسمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة !! .

(ب) تزوج عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما (عاتكة بنت زيد) ، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بالغ ، وأدب رفيع ، فشغلته عن مغازيه وجهاده ، فأمره أبوه الصديق رضي الله عنه بطلاقها ، وقال معللا : (إنها شغلتك عن مغازيك فطلقها) ، فطلقها ، فمر به أبوه وهو ينشد :

فلم أر مثلي طلّق اليوم مثلها	ولامثلها في غير ذنب تطلّق
لها خلقٌ جزل ورأي ومنصب	على كبر مني واني لوامق[٢]

---

(١) حديث حنظلة رواه الترمذي والإمام أحمد .

(٢) لوامق : محب .

فرق له أبوه ، فأمره أن يراجعها فراجعها ، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة بالطائف فأصابه سهم ، فمات بعده بالمدينة رضي الله عنه .

(ج) روى الطبراني وابن اسحق .. أن أبا خيثمة رجع من سفر : بعد أن سار مع رسول الله ﷺ بعدة أيام - إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتيه في عريشين (أي خيمتين) لهما في بستان له ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء فيه ، وهيأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وماصنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟!! . ماهذا بالنَّصَف ؟ .

ثم قال : والله لاأدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ .. فهيأتا له زاداً ، ثم قدّم ناضحه (أي بعيره) فارتحله وخرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ..

ولاشك أن أمة الإسلام ، وشباب الإسلام حين يقدمون حب الله سبحانه ، وحب رسوله عليه الصلاة والسلام وحب الجهاد في سبيل الله ، وحب الدعوة إلى الله على كل غالٍ ورخيص في الحياة .. فالله سبحانه يمكن لهم في الأرض ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا . ومن بعد ضعفهم قوة .. وتصبح الدنيا تحت سلطانهم ، والإنسانية كلها منقادة لأمرهم أو نهيهم ... وإلا فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، وينزل بهم نقمته وعذابه ، والله لايهدي القوم الخارجين عن طاعته ، الحائدين عن هديه وصراطه !! .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ قُل إن كَانَ آباؤكُم وأبناؤكُم وإخوانكُم وأزواجُكُم وعشيرتُكُم وأموالٌ اقترفتُمُوها وتجارةٌ تخشَون كسادَها ومساكنُ ترضَونها أحبَّ إليكم من الله

ورسُولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصُوا حتى يأتيَ اللهُ بأمرِهِ واللهُ لايهدي القومَ الفاسقين ﴾ .

(التوبة : ٢٤)

وعلينا ألّا نغفل دور المرأة في واجب الدعوة والجهاد .. فالإسلام كلّفها بمهمة الخروج إلى الجهاد كلما سنحت الحاجة ، ودعت الضرورة .

وقد وقفت المرأة المسلمة فيما مضى إلى جانب رسول الله ﷺ وصحابته تقاتل بالسيف دونهم ، وتسعف الجرحى ، وترعى المرضى ، وتنقل القتلى ، وتصنع الطعام ..

وإليكم الشواهد :

(أ) روى مسلم عن الربيع بنت معوِّذ قالت : (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) ، وفي رواية أم عطية الأنصارية قالت : (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على الزمنى « أي المرضى ») .

(ب) وروى ابن هشام في سيرته أن أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على أم عمارة فقالت لها : ياخالة أخبريني خبرك – أي في غزوة أحد فقالت : خرجت أول النهار ، وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة للمسلمين (أي النصر) . فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ ..

(ج) وروى ابن هشام .. أن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حين رأت يهودياً يطوف في الحصن شدت وسطها وأخذت عموداً ثم نزلت من الحصن فضربته حتى قتلته .

والأمثلة على ذلك كثير أعظم من أن تحصى ، وأكبر من أن نستقصى !! .

أما واجبها في تبليغ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فإنها كالرجل سواء بسواء قال تعالى :

﴿ والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ يأمُرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكَرِ ويقيمونَ الصلاةَ ويؤتون الزكاةَ ويطيعونَ الله ورَسُوله أولئك سيرَحمُهُم الله إن الله عزيزٌ حكيم ﴾ . (التوبة : ٧١)

تلكم – أخي المربي – أهم النظرات الإسلامية التي يجب أن يتلقنها الولد وهو في سن التمييز حتى إذا تم أمر الخطوبة ، ودخل عتبة الزواج عرف أن الاتصال بالجنس هو وسيلة لتحقيق غاية نبيلة ألا وهي اقامة دولة الإسلام ، وعندئذ يتوازن بعد الزواج ليؤدي كل ذي حق حقه في الحياة دون أن يتساهل في مسؤولية أو يتقاعس عن واجب ..

وهذا هو الإسلام في حقيقته وصفائه ومفاهيمه !! .

أما لماذا شرع الله الزواج ؟ (١)

فسبق أن ذكرنا في القسم الأول من هذا الكتاب تحت عنوان (الزواج مصلحة اجتماعية) والحكمة في مشروعية الزواج ، وهانحن أولاء نأتي على أهم الفوائد التي يجنيها المتزوج من الزواج باختصار للاستذكار والعبرة :

– من الفوائد المحافظة على الأنساب ، قال تعالى :

﴿ والله جعَلَ لكم مِن أنفسِكُم أزوَاجاً ، وجعَلَ لكُم من أزواجِكُم بنينَ وحَفَدَة ﴾ (النحل : ٧٢)

---

(١) ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) تجد فيه البحث مفصلا وعلاجه إن شاء الله .

– ومن الفوائد سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ، قال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ..» (رواه الجماعة) .

– ومن الفوائد تعاون الزوجين على مسؤولية الأسرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ..» (رواه الشيخان) .

– ومن الفوائد سلامة المجتمع من الأمراض والآفات ، قال عليه الصلاة والسلام : « لاضرر ولاضرار » (رواه مالك وابن ماجه ..) .

– ومن الفوائد السكن الروحي والنفسي ، قال تعالى :

﴿ وَمِن آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أنفُسِكُم أزوَاجاً لتَسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينَكُمْ مودَّةً ورحمةً .. ﴾ .

(الروم : ٢١)

– ومن الفوائد إنجاب ذرية الإسلام الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة » (رواه عبد الرزاق والبيهقي) .

فالولد – أخي المربي – حين يفهم هذه الحقائق عن الزواج فإنه يندفع اليه بكليته ، ويسعى إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ..

وأريد أن أهمس في أذنك – أخي المربي – هذه النصيحة :

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج .

إن كنت ميسورا – أيها الأب – من الناحية المادية (فينبغي أن تساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب الزواج لولدك لتنقذه من الهواجس النفسية ، والتأملات الجنسية .. التي تسيطر على عقله وتفكيره ، وتقف عائقاً في طريق غايته أو تعليمه .. وتنقذه أيضا من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ، ويسيء إلى سمعته .. ولايتأتى هذا إلا بتيسير أسباب الزواج من ناحية ، وإمداده بالنفقة من ناحية أخرى ، وكل تهاون أو تقصير في هذه السبيل يُعرّض ولدك الشاب إلى أوخم النتائج ، وأخطر العواقب !! .

وكثيرا مانسمع عن آباء أغنياء ميسورين يبخلون في تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم ، متذرعين بأن أبناءهم بلغوا السن التي تسقط عنهم تقديم المعونة ، ووجوب النفقة .. ولكنهم لو دروا أن المال الذي يقدمونه هو بمثابة قوارب انقاذ مما يعانونه من اضطراب بالتفكير ، وفساد في الخلق ، وقلق في النفس .. لما بخلوا وتقاعسوا في تقديم أقصى المؤازرة ، وتيسير أسباب الزواج !! .

ولماذا يبخل الأب الميسور على ولده ، ولماذا لا ييسر له طريق الزواج ؟

هل سيخلد في الحياة ؟

هل هذا المال الذي بحوزته سيأخذه معه إلى الآخرة ؟

إنه سيموت لامحالة ، وسيوضع في حفرة صغيرة ليس فيها أثاث ولارياش ولازينة .. وسيؤول المال إلى ورثته لامحالة ..

إذن فليَجُدْ الأب الموسر بماله ، ولْينفق مماجعله الله مستخلفاً فيه وليبدأ بمن يعول ، وليسع جهده في تسهيل أسباب الزواج لولده ، وليستمع إلى مايقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على رقبة (اعتاق عبد) ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا ما أنفقته على أهلك » .

(والله سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا .) (١)

وإذا أردت - أخي المربي - أن تعرف منهج الإسلام في اختيار الزوجة فارجع إلى ماكتبناه في القسم الأول من هذا الكتاب تحت عنوان (الزواج انتقاء واختيار) تجد فيه إن شاء الله البحث وافيا كاملا .. فلا تجد بدّاً إلا أن تختار لولدك الزوجة الصالحة التي إذا نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه ، فإذا رزقه الله منها غلاما دعا ربه بهذا الدعاء (**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**) ، وأعانته على تربيته وإعداده ليكون عضوا نافعاً في الحياة ..

بعد هذا كله نوضح **المراحل التي يجب أن يسير عليها المتزوج ليلة الزفاف من** حين أن يخلو بعروسه إلى أن تتم العملية الجنسية .. ليعلم من يريد أن يعلم أن الإسلام بتشريعه الشامل قد علمنا كل شيء حتى آداب الزفاف ، وأصول المعاشرة الزوجية !! .

والمراحل هي اتباع الخطوات التالية :

يستحب **أن يضع اليد على رأس العروس ويسمي الله سبحانه ويدعو لها بالبركة ،** لما أخرج البخاري وأبو داود وغيرهما عن النبي ﷺ قال : « إذا تزوج أحدكم امرأة .. فليأخذ بناصيتها ، وليسم الله عز وجل ، وليدع بالبركة وليقل : اللهم إني أسالك من خيرها وخير ماجبلتها عليه - أي خلقتها وطبعتها عليه - ، وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه » .

٢ - ويستحب للعروسين **أن يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة ،** لما أخرج ابن أبي شيبة بسند جيد عن شقيق قال : (جاء رجل يقال له : أبو حريز

---

(١) من كتاب « عقبات الزواج » ص ٦٤ للمؤلف .

انصح كل أب أن يقرأ كتاب « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الإسلام ، ليعرف الحلول العملية التي وضعها الإسلام في تذليل عقبات الزواج .

فقال : إني تزوجت جارية شابة (أي بكرا) وإني اخاف أن تفركني (أي تبغضني) ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن الإلْف من الله ، والفِرْك من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره إليكم ما أحل الله لكم ، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين ، وقل : (اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم في ، اللهم اجمع بيننا ماجمعت بخير ، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير » .

٣ – ويستحب للزوج **أن يلاطف عروسه ويقدم لها شيئاً تشربه أو تأكله ...** لما أخرج أحمد في مسنده أن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : (قَيَّنتُ (زيّنت) عائشة رضي الله عنها لجَلْوَتِها (للنظر اليها مجلوة مكشوفة) فجاء عليه الصلاة والسلام إلى جنبها فأتى بعُس لبن (قدح كبير) فشرب ، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت ...) .

وروى الترمذي والنسائي بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

ولاشك أن في هذه الملاطفة إيناسا لها وزوالا لوحشتها ، وتمتيناً لأواصر المودة والمحبة بينهما .. لأنه – كما يقولون – لكل داخل دهشة ، ولكل غريب وحشة .

٤ – من آداب المباشرة **أن ينخلعا من ثيابهما** ، لما للتجريد من الثياب من الراحة للبدن ، والسهولة في التقلب ، والزيادة في المتعة ، والأنس للزوجة ..

والأفضل أن يكون التعري الكامل تحت لحاف واحد ، لما روى أحمد والترمذي وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى حَيِيٌّ سِتّير يحب الحياء والسِّتر » .

وأخرج الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إياكم والتعري فإن معكم من لايفارقكم إلا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضي الرجل إلى أهله (أي الجماع) فاستحيوهم وأكرموهم » .

وسبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : (قُبض رسول الله ﷺ ولم يرَ مني ولم أرَ منه) .

ومما يؤكد أفضلية الستر ، مارواه الترمذي بسند ضعيف : « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العَيْرَيْن » أي الحمارين .

٥ – ومن آداب المباشرة **الملاعبة والعناق والقبلة قبل أن يأتيها** ، لما روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عنه عليه الصلاة والسلام : « لايقعنّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، ليكن بينهما رسول » ، قيل : وما الرسول ؟ قال : « القُبْلة والكلام » وروى أبو منصور أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة من العجز : ... وعدد منها : وأن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها » [١] .

من هذا الحديث نستدل : أن على الزوج أن يلاحظ أثناء العملية الجنسية توافق زوجته معه في الحصول على اللذة والإنزال .

يقول الإمام الغزالي في إحيائه : (.. ثم إذا قضى وطره (أي الزوج) فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها ، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال ، والتوافق في الإنزال ألذ عندها .. » [٢] .

---

(١) الحديثان وإن كان فيهما ضعف فمعناهما صحيح ، لما للملاعبة من الملاطفة للزوجة ، والاستثارة للغريزة ، وتهيئة نفسية للمباشرة ، وتلذذ في الجماع ..

(٢) من كتاب (احياء علوم الدين) ج٢ ص : ٥٠ باب أدب المعاشرة .

٦ – ومن آداب الجماع **أن يدعو الزوج بهذا الدعاء**، وذلك ماروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لو أن أحدكم أتى أهله قال : (بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا) ، فإن قُضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً) .

٧ – **يجوز أن يأتي أهله في أية كيفية شاء مادام الإتيان في الفرج** ، لقوله تبارك وتعالى « **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** » ، والمعنى أئتوا نساءكم في موضع الحرث وهو الفرج كيف شئتم سواء أتيتموهن من أمام أو من خلف أو على جنب ..

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : (كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قُبُلها (أي الفرج) كان الولد أحول !! .

فنزلت : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم** ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : « مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج » .

وأفضل هيئات الجماع أن يعلو الرجل المرأة ، وهذه الهيئة مستوحاة من حديث المصطفى ﷺ الذي روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : اختلف رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو الماء (أي المني) ، وقال المهاجرون : بل إذا خلط فقد وجب الغسل ، وقال أبو موسى : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : فاستأذنت على عائشة فأذن لي ، فقلت : يا أماه إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك قالت : لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك فإنما أنا أمك ، قلت : فما يوجب الغسل ؟ .

قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع (أي بين يديها ورجليها) ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

٨ – **وإذا أراد العود في الجماع فيستحب له الوضوء لكونه أنشط** ، لما روى مسلم وأبو داود .. عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءا فإنه أنشط للعود » .

والغُسْلُ أفضل ، لما روى أبو داود والنسائي عن النبي ﷺ أنه طاف ذات يوم على نسائه ، يغتسل عند هذه . وعند هذه ، قال أبو رافع – راوي الحديث – : يارسول الله ألا تجعله غسلا واحداً ؟ قال : « هذا أزكى وأطيب وأطهر » .

٩ – **الأفضل في حقهما المسارعة إلى الاغتسال .. وإذا تكاسلا فيستحب أن يتوضئا قبل النوم** ، لما روى مسلم عن عبد الله بن قيس قال : سألت عائشة رضي الله عنها قلت : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ في الجنابة ، أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل ؟ .

قالت : كل ذلكم قد كان يفعل ، ربما اغتسل فنام ، وربما توضأ فنام .

قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة .

وانما كان الغسل أفضل لأن أحدهما إذا استيقظ سارع إلى صلاة الفجر دون تكاسل أو فوات أو مشقة .. ولاسيما في فصل الشتاء حيث البرد والزكام ..

١٠ – ويجوز للزوجين أن يغتسلا معاً في مكان واحد ، لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه ، فيبادرني حتى أقول : دَعْ لي ، دَعْ لي ، قالت : وهما جنبان » .

ويجوز أن يغتسلا عريانين مع بعضهما ، ولكن الستر أفضل لحديث « الله أحق أن يستحيا منه » رواه أصحاب السنن إلا النسائي ..

على الزوجين أن يتنبها للمحظورات التالية :

١ - **يحرم على الزوجين التحدث إلى الناس بما مارسا من عملية الوقاع إشارة أو كلاما** » ، لما روى مسلم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي [1] إلى المرأة ، وتفضي إليه ثم ينشر سرها » .

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلّم (انتهى من صلاته) أقبل علينا فقال : « مجالسكم ، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا ، فعلت بأهلي كذا ، فسكتوا .. فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فجثت فتاة كَعَابٌ (شابة) على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها .

فقالت : إي والله ، إنهم يتحدثون وإنهن يتحدثن ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل تدرون مامثل من فعل ذلك ؟

إن مثل مع فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهم صاحبه بالسكة (بالطريق) ، فقضى حاجته منها والناس ينظرون اليه » .

٢ - **يحرم على الزوج أن يأتي أهله في الدُّبر** ، لما أخرج النسائي وابن حبان بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « لاينظر الله إلى رجل يأتي امرأته في دبرها » .

وروى ابن عدي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « ملعون من يأتي النساء في محاشهنّ » يعني أدبارهن .

---

(١) يفضي : كناية عن الجماع .

وروى أصحاب السنن إلا النسائي وسنده صحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ..

وروى النسائي عن طاووس قال : « سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال : هذا يسألني عن الكفر » ، وسنده صحيح .

ولاشك أن إتيان الدبر مضر بالصحة والجسم ، ومناف لمبادىء الفضيلة والأخلاق ، وشارة فارقة من شارات الشذوذ والانحراف .. وقد فصلنا القول عن هذه الظاهرة الخبيثة في مسؤولية التربية الجسمية فارجع إليه - أخي المربي - تجد البحث وافياً كافياً مقنعاً إن شاء الله .

٣ - **يحرم على الزوج أن يأتي أهله أيام الحيض والنفاس** ، لقوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ ، وسبق أن ذكرنا حديث « من أتى حائضاً ... فقد كفر بما أنزل على محمد » .

أما تحريم إتيان المرأة في النفاس فقد ثبت في القياس ، وذلك قياس النفاس على الحيض لاشتراكهما في العلة والسبب ، وثبت في الإجماع أيضاً .

ولقد ذكرنا في البحث السابق أنه يجوز للزوج أن يستمتع من المرأة مافوق الإزار بين السرة والركبة في حالتي الحيض والنفاس ، ويحرم عليه الاستمتاع ماتحت الإزار ، والحكمة في هذا التحريم الحد من انطلاقة النفس الأمارة من أن تقع فيما هو محظور شرعاً ومضر جسماً .. ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، والمسلم عليه أن يحتاط لدينه وصحته ، ويأخذ بجانب الأتقى والأورع في سلوكه وتصرفاته ومعاملته ..

وقد ثبت طبياً أن الوقاع في زمن الحيض والنفاس يحدث الأضرار الآتية :

١ - آلام أعضاء التناسل في الأنثى : وربما أحدثت التهابات في الرحم في المبيض أو في الحوض حيث تضر صحتها ضرراً بالغاً ، وربما أدى ذلك إلى تلف المبيض وأحدث العقم ..

٢ - إنّ دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل ، قد يحدث التهاباً صديدياً يشبه السيلان ، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما ، ونشأ من ذلك عقم الرجل ، وقد يصاب (بالزهري) إذا كانت جراثيمه في دم المرأة .

وعلى الجملة فقربانها في هذه المدة قد يحدث العقم في الذكر أو في الأنثى ، ويؤدي إلى التهاب أعضاء التناسل ، وإضعاف الصحة ، وكفى في ذلك ضرر وأي ضرر !! .

ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير :

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المحيض .. ﴾ [١]
أهـ .

ومن أبتلي بوقاع زوجته وهي حائض أو نفساء فليكفر عن ذنبه بالتوبة الصادقة النصوح ، واستغفار الله عز وجل والندم على مافعل وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء . وفي مذهب ابن عباس ، وقتادة والأوزاعي ، وإسحق ، وأحمد في الرواية الثانية ، والشافعي في قوله القديم .. يتصدق مايعادل ديناراً أو نصف دينار [٢] على حسب حاله من اليسر أو العسر ، أو على حسب حال الدم أحمر أو أصفر .. للحديث الذي رواه أصحاب السنن والطبراني .. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال : « يتصدق بدينار أو نصف دينار » ، وفي لفظ للترمذي : « إذا كان دماً أحمر فدينار ، وإن كان دماً أصفر فنصف دينار » .

---

(١) تفسير (المراغي) من تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً ... ﴾ (البقرة : ٢٢٢) ، ينقل الشيخ المراغي هذه الأضرار عن كبار الأطباء المحدثين .

(٢) الدينار يقدر بـ /١٢/ درهما من فضة ، والدرهم يساوي /٣/ غرامات وغرام الفضة يساوي بالعملة السورية بـ (١٦٠) ق . س تقريباً .

ومما ينصح به الأطباء وأهل العلم والاختصاص :

١ – أن يكون معتدلًا في قضاء الشهوة ، وإشباع الوطر .. وحدود الاعتدال مرتان في كل أسبوع ، وله أن يزيد أو ينقص بحسب حاجته وحاجتها في الإعفاف والإحصان .. ولكن عليه ألا يُفرط ، لأن الكثرة تؤدي إلى الإضرار بالجسم ، وانهيار في العقل ، وتعطيل عن العمل ، والانصراف عن حمل مسؤولية الإسلام ..

٢ – المداعبة أولا ثم قضاء الشهوة وقد سبق ذكر ذلك .

٣ – أن يتحين الزوج الوقت المناسب للوقاع ، لأن مزاج المرأة حساس . فإذا أتاها في وقت لايتفق مع مزاجها كأن تكون مريضة أو متعبة .. فربما آل الأمر إلى الكره ، وزرع البغضاء والشحناء ، وأحيانا الفراق ..

٤ – على الزوج قبل أن ينزع أن يراعي حال زوجته في الحصول على اللذة ، واشباع الشهوة ، وقد سبق ذكر ذلك أيضاً .

٥ – الجماع جائز في كل الشهور والأوقات والأيام ، وفي كل ساعة من ليل أو نهار إلا ماحرمته الشريعة كأن يكونا صائمين صيام الفرض مثلا ، أو كانت الزوجة في حالة الحيض أو النفاس ..

ولكن من السنة الوقاع يوم الجمعة وليلته .. للحديث الذي رواه البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بَدَنَةً (جملا) ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة كأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي .. « من غَسَّل (١) يوم الجمعة واغتسل . وبكر وابتكر (أي إلى الصلاة) ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة : أجر صيامها وقيامها » .

٦ – على الزوجة أن تراعي مزاج زوجها فيما يرغب من تزين ، وملاطفة . ووقاع في أوقات مخصوصة ، فلا يحل لها أن تقف دون رغبته ، أو تصوم نفلا بدون أذنه .. روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفي رواية : « حتى يرضى عنها » .

وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم (أي نفلا) وزوجها شاهد (أي) حاضر مقيم في البلد إلا بإذنه » .

تلكم أهم النظرات إلى الجنس من وجهة نظر الإسلام ..

وتلكم أميز الآداب في الاتصال الجنسي من زاوية الشريعة الربانية وكيف يتم الزواج؟ .

الله أسأل أن يهيىء لشبابنا الزوجات الصالحات ، إذا نظر أحدهم إلى زوجته سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته بنفسها وماله .. اللهم آمين .

* * *

---

(١) من غسل : أي جامع امرأته فأحوجها إلى الغسل .

٦ – **وليستعفف الذين لايجدون نكاحا** [١] مما لايختلف فيه اثنان أن المال أساس السعادة ، وعصب الحياة .. إذا تيسر للإنسان فإنه يحل له كل عقدة ، ويذلل في طريقه كل عقبة ، ويوصله إلى كل غاية ..

وصدق من قال :

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

وربما يوجد إنسان ذو علم وخلق .. في بيئة اجتماعية متغطرسة ، تعتبر المال كل شيء ، فتراه غير مكترث به ، وغير مأبوه له .. لكونه فقير الحال ، ضيق اليد .. ولو كان إمام الحرمين ، وعالم الثقلين .. ورحم الله من قال :

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لايباع بدرهم

ولقد صدق الشاعر حين صور لنا اعتبار المال في بيئته الجهل والغنى هو الاعتبار الأول حين قال :

تموت الأسد جوعا في البرايا ولحم الطير ملقي للكلاب
وذو جهل ينام على حرير وذو علم ينام على التراب

فالمال إذن – كما هو مشاهد – هو العصب الحساس لارتقاء سلم الحياة ، وهو الوسيلة الأساسية للوصول إلى أي غاية ، وهو الاعتبار الأول لدى أهل الجهل والضلال !! .

ولكن ماذا يفعل الشباب إذا رغبوا في الزواج ، والمال غير متيسر لديهم . وماذا يصنعون إذا لم يروا ممن يعايشونهم تكافلا ولاعطفاً ؟

---

(١) هذا البحث منقول طبق الأصل مع بعض التصرف والاختصار من كتابنا (عقبات الزواج) ... الطبعة الثانية من ص ١٥٣ إلى آخر الفصل ، وقد آثرت نقله لارتباطه ببحث (التربية الجنسية) الذي نحن بصدده الآن ، وستحفظ أخي المربي – عند الانتهاء من قراءته وجه هذا الارتباط .

إنهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لايجدون السبيل إليه !

إنهم يريدون أن يستجيبوا لدواعي الغريزة بالرباط المقدس ولكن تحول دونهم عقبات وعقبات [١] !! .

إنهم يريدون أن يلبوا نداء الرسول ﷺ في دعوة الشباب إلى الزواج ولكن لم يجدوا المال . ولم يجدوا من البيئة التي يعايشونها عطف الإنسان على أخيه الانسان !! ..

إذن ما السبيل إلى إحصان نفوسهم ، والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ،

السبيل إلى ذلك هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بحبل الإعفاف والتسامي ، وهذا هو الطريق الوحيد في إصلاح نفوسهم ، وإحصان فروجهم ، والترفع عن هواجس نفوسهم الأمارة بالسوء .

قال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ .

(النور : ٣٣)

هذه الدعوة القرآنية إلى العفة تربية نفسية كريمة . تقوي في نفوس الشباب الإرادة ، وترسخ في قلوبهم العزيمة ، وتجعل منهم أناسي كالملائكة ، وتمنحهم دائما الطمأنينة والاستقرار !! ..

ولكن ماهو المنهج الذى وضعه الإسلام فى وصول الشاب إلى قمة العفة والتسامى :

---

(١) ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) وطرق معالجتها على ضوء الاسلام تجد – أخي المربي – العلاج الإسلامي الناجع لكل عقبة تقف في طريق الزواج ولعلك تستأنس بها وتستمر على نهجها .

كنا تعرضنا لأصول هذا المنهج – أخي المربي – في (علاج ظاهرة العادة السرية واستئصالها) [١] في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

وها أنا ذا أستعرض معك العناوين العريضة لأصول هذا المنهج مع ما جد لي من إضافات جديدة لاستكمال البحث ، وعلى الله قصد السبيل .

أما العناوين العريضة فهي على الترتيب التالي :

١ - الزواج في سن مبكرة .
٢ – الاستمرار في صوم النفل .
٣ – الابتعاد عن المثيرات الجنسية .
٤ – ملء الفراغ بما ينفع .
٥ – الرفقة الصالحة .
٦ – الأخذ بالتعاليم الطبية .
٧ – استشعار خوف الله تبارك وتعالى .

اما الإضافات الجديدة لاستكمال المنهج فتتركز في نقطتين :

الأولى : غض البصر عن المحرمات .
الثانية : تقوية الوازع الديني :

أما غض البصر عن المحرمات فكنا أفضنا القول عنه في بحث (أدب النظر) .

وها أنا ذا ألفت ذهن القارىء مرة ثانية إلى الخطر الذي يترتب عليه النظر باختصار ، ليكون المربي دائما على توعية واستذكار .

---

(١) ارجع إلى البحث ص ٢٣٢ من هذا الكتاب .

مما لاجدال فيه أن النظرة إلى المرأة الأجنبية سهم من سهام ابليس ، فمن تركها مخافة الله بدله الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه ..

ومما لاشك فيه أن النظرة التي تتبعها النظرة تؤدي إلى الانجذاب الشهواني نحو المرأة أو نحو الرجل ، وهذا الانجذاب يتبعه الابتسامة ، والابتسامة يتبعها السلام ، والسلام يتبعه الكلام ، والكلام قد يتبعه الموعد واللقاء ، واللقاء يؤدي لامحالة إلى نتائج وخيمة لاتحمد عقباها !! ..

فقديما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثا قال :

نظـــرة فابتسامــــة فسلام فكـــلام فموعـــد فلقـــــاء

ويكفي النظرات الخائنة إلى المرأة ضررا أنها تسد في الإنسان منافذ التفكير الصافي ، وتشغله عن كثير من الواجبات . وتؤدي إلى تفسخ الأمة وانحلالها ، وتجعل من الشباب المتفسخ المتميع .. شباب لهو وعبث .. يسيرون في الحياة بلا هدف ولاغاية !! .. (١) بل هم أخطر مايكونون على الأمن والاستقرار ، وأضر مايكونون على الفضيلة والأخلاق !! .

من أجل هذا أمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنات بأن يغضّوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ..

قال تعالى في سورة النور : ﴿ **قُل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارِهم ويحفَظُوا فُرُوجَهُم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبيرٌ بما يصنعُونَ ، وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارِهنّ ويحفَظنَ فُرُوجَهُنّ** ﴾ (النور : ٣٠ ، ٣١)

(١) إرجع إلى رسالتنا (إلى كل أب غيور يؤمن بالله) تجد مايشفي الغليل في الحكمة من تحريم النظر والاختلاط .

فالعلاج الوحيد إذن في الوصول إلى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن المحرمات . ألا فليتذكر أولو الألباب !! .

أما تقوية الوازع الديني : فإنا عرضنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب عن الوسائل في غرس العقيدة الربانية في نفس الولد ، وعن المراحل المتدرجة التي تؤدي إلى ترسيخ التربية الإيمانية في الطفل حتى إذا درج نحو المراهقة ، وشارف سن البلوغ ، ودخل عتبة الشباب .. انصلح حاله ، وازدانت أخلاقه .. وكان كالملك يمشي على الأرض . وكالعابد المتبتل يسير في الناس .

ومن المعلوم أن ربط الولد بالعقيدة الربانية ، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن ، وحضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على الفروض وصلاة النفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل والناس نيام ، والإستمرار على صيام المندوب والتطوع ، والاستماع إلى أخبار الصحابة والسلف ، واستذكار الموت ومابعده ، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة ..

كل ذلك إذا فعله الشاب قوي في نفسه الوازع الديني ، وتجنب مواطن الفساد ، وابتعد عن الميوعة والتحلل ، ووصل إلى قمة العفة والتسامي .

واليكم – ياشباب – نموذجين عظيمين من العفة والتسامي للتأسي والاقتداء :

الأول : (يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ، يانع الفتوة ، تدعوه إلى نفسه امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة والسبل ميسرة كما حكى القرآن الكريم .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ .

[يوسف : ٢٣]

ماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار ؟

ألانت قناته فاستسلم وخان عرضا اؤتمن عليه ؟ كلا إنما قال (**معاذ الله إنه ربّي أحْسَنَ مثواي إنه لايُفلِحُ الظالمون**) .
(يوسف : ٢٣)

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضعضع من شموخه ، وأعلنت ذلك نسوة في ضيق وغيظ :

(**ولقد راودتُه عن نفسه فاستعصَمَ ولئن لم يفعل ماآمُرُه ليُسجَننّ وليكونَنْ من الصَّاغِرين**) .
(يوسف : ٣٢)

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكلية إلى الله يسأله المعونة والعصمة :

(**ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه ، وإلَّا تصرِفْ عني كَيدَهُنَّ أصبُ إليهن وأكُن من الجاهِلين**) .
(يوسف : ٣٣)

كان فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية .. ومغريات الإثم ، ففشلت المغريات ، وانتصر الإيمان !!) (١) .

الثاني : وهذه امرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد ، وغاب عنها كثيرا ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها هواجس الوحدة ، ويثور في عرقها دم الأنوثة ، وتتأجج فيها نار الغريزة .. فلا يصدها عن ارتكاب الحرم إلا حاجز الإيمان ، ووازع المراقبة لله .. وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه	وأرقني ألا حبيب ألاعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه	لحرك من هذا السرير جوانبه

---

(١) من كتاب « الإسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد .

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين وقال لها : ماتصبر الزوجة على زوجها إذا غاب ؟

قالت : أربعة أشهر .

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم ألا يحبسوا جندياً عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله .. وبين الدافع إلى الإثم والفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان .

* * *

تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم إلى قمة العفة والتسامي .. ولاشك أن الشاب أذا اتبع أصول هذا المنهج ، وسار على بنوده بدقة وإحكام وتطبيق ومثابرة .. فإنه ينتصر في الحياة على كل الوساوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه ، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التى تتوهج فى أعماق كيانه .. بل يكون كالأنبياء في الأخلاق ، وكالملائكة في الطهر ، وكالسلف الصالح في العفة ، حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش .. والله سبحانه دائما يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً . لأنه القائل في محكم تنزيله :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ الله يجعَلْ له مَخْرَجاً وَيرزُقهُ من حيثُ لايَحتسِب ﴾
(الطلاق : ٢ ، ٣)

والقائل أيضا : **﴿ وليستَعْفِفِ الذينَ لايجِدُونَ نِكَاحاً حتَّى يُغنِيهُم الله من فضلِه ﴾** .

(النور: ٣٣)

وهذه العفة والتسامي ليس من الكبت في شيء – كما يتوهم البعض – لأن الكبت كما عرفه علماء النفس والتربية « هو استقذار العملية الجنسية ، والاستشعار بالاثم لمن يزاولها ولو كان مزاولتها عن طريق الزواج) .. وهذا معناه هو الترهبن ، ولقد عقدنا بحثاً خاصاً في بحث (الزواج والاتصال الجنسي) ولقد رأيت – أخي المربي – كيف أن الإسلام ذم العزوبة ، ونفر من الرهبانية .. ؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة ، واستجابة للغريزة .. فأين الكبت وهذا هو الإسلام في مبادئه وواقعيته ؟ .

(وبناء على هذا فان الفتى الشاب حين يحس بالرغبة الغريزية فانه لايحتاج – في الإسلام – أن يستعيذ بالله من هذا الإحساس المجرد ، لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لانكران له ولا خلاف عليه .

وعلى ذلك لايحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة ، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه .. ولايحتاج كذلك أن يستشعر بالإثم من مجرد هذا الاحساس ، ومن ثم تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالإثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الإسلام لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزى حسبما اتفق .. وانما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحاً في داخلها ، محرما فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر .. فهذا التحريم لما وراءها تعليق ينظم النشاط ولكن لايقطعه من منبته ، ولايحرم الإحساس به في أية لحظة بين الإنسان ونفسه ..) [1] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الإسلامية أن إنسانا ما – وهو في حياة العزوبة – إذا تملكته الشهوة – وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أن سيرتمي في أحضان الفاحشة .. فيجوز له شرعا أن يلجأ إلى العادة السرية لتسكين

---

(١) من كتاب (الإسلام والمشكلة الجنسية) للدكتور مصطفى عبد الواحد .

غريزته والتخفيف من حدة شهوته .. أخذا بالقاعدة الأصولية التي تقول : « يختار أخف الضررين ، وأهون الشرّين » .

لهذا قال الفقهاء : « إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة واثارتها وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستمناء طريقا لتسكينها فان الأمر جائز ومكافىء بعضه بعضا ، وينجو صاحبه رأسا برأس أى لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولايعاقب) [1] .

ألا فلتخرس ألسنة الذين يقولون إن الإسلام دين الكبت والرهبانية ، وإن نظرته إلى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية !! ..

ولقد رأيت – أخي القارىء – أن هذا الادعاء ليس له أصل في مبادىء الإسلام الخالدة ..

* * *

وفي مسك الختام :

أثبت كلمة طريفة للكاتب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي تمثل لونا من الوعي الإسلامي المعاصر للشباب ، فهي نموذج فريد للفهم البصير ، والاقناع الهادىء الذي يدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

يقول حفظه الله في رسالة له (يا ابني) :

(لماذا تكتب الي على تردد واستحياء ؟ .

---

(١) هذا النص الفقهي من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ وسبق أن ذكرناه في بحث (حكم العادة السرية) من هذا الكتاب .

تحسب أنك أنت وحدك الذي يحس هذه الوقدة في اعصابه من ضرم الشهوة ، وانك انت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين ؟! .

لا يابني ، هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك ، ولكنه داء الشباب . ولئن أرقك هذا الذي تجد ، وأنت في السابعة عشرة ، فلطالما أرق كثيرين غيرك ، صغاراً وكباراً ، ولطالما نفى من عيونهم لذيذ الكرى ، ولطالما صرف عن درسه التلميذ ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر ..

فماذا يصنع الفتى في هذه السنوات ، وهي أشد سني العمر اضطرام شهوة ، واضطراب جسد ، وهياجا وغليانا ؟ .

ماذا يصنع ؟

هذه هي المشكلة ! .

أما سنة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولكن اياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير ، وهي الزواج ! .

١ — إما أن تنطوي على نفسك ، على أوهام غريزتك ، وأحلام شهوتك ، تدأب على التفكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، والأفلام الفاجرة ، والصورة العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك ، وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلاترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن ، تراهن في الكتاب إن فتحته ، وفي طلعة البدر إن لمحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سواد الليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام ..

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ثم لاتنتهي بك الحال إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب .

٢ – وإما أن تعمد إلى مايسمونه (الاستمناء) (العادة السرية) .. وقد تكلم في حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ... وهو إنْ كان أقل الثلاثة شراً وأخفها ضرراً ، لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما ، كئيباً مستوحشاً ، يفرّ من الناس ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣ – وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة ، وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التى تسعى إليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذى أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ماتضرب به في لُجّ العمل الحر .

ولاتحسب بعد أنك تشبع .. كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهما ، كشارب الماء الملح لايزداد شربا إلا ازداد عطشاً ، ولو أنك عرفت منهن آلافاً ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط .

وهبك وجدت منهن كل ماطلبت ، ووسعك السلطان والمال ، فهل يسعك الجسد ، وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟ .

دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعجايب في القوة ، وكانوا أبطالا في الرّبع والصّرع والرمي والسّبق ، ماهي إلا أن استجابوا إلى شهواتهم ، وانقادوا إلى غرائزهم حتى أمسوا حطاماً ..

ان من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط .. وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض .. ولرب رجل ماجاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين .

ومن أمثال الإفرنج التي سمعناها وهي حق وصدق (من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته) (١) .

وكأني أسمعك تقول : هذا الداء فما الدواء ؟ .

الدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء التي طبعها الله عليها ، إن الله ماحرم شيئا إلا أحل شيئا مكانه ، حرم المراباة وأحل التجارة ، وحرم الزنى وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج .

فإذا لم يتيسر لك الزواج .. فليس إلا التسامي ، وأنا لاأريد أن أعقد هذا الفصل الذي كتبته ليكون مفهوماً واضحاً ، بمصطلحات علم النفس لذلك أعمد إلى مثال أمثله لك .

أترى إلى إبريق الشاى الذي يغلي على النار ؟!

إنك إن سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه ، فجره البخار المحبوس ، وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة . أدار لك المصنع ، وسير القطار ، وعمل الأعاجيب ..

فالأولى حالة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويعكف عليها .

والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

والثالثة حالة المتسامي (المستعفّ) .

---

(١) يذكرني هذا المثل ماروى عن أحد السلف الصالح قوله : « هذه أعضاء حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر » .

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي .. يستنفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة .. بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة ، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس في البحث ، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التي تصورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعراً ، أو بالألوان لوحة ، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية .. والإنسان - يا ابني - محب لنفسه لا يقدم أحدا عليها ، فإذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومتانة صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي .. أحب اليه من كل جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحي به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلداً على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولامن أجل زرقتهما ..

هذا هو الدواء : الزواج وهو العلاج الكامل ، فإن لم يكن فالتسامي وهو مسكن مؤقت ، ولكنه مسكن قوي ينفع ولايؤذي ..

أما ما يقوله المغفلون أو المفسدون :

من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة ، وفتح (المحلات العمومية) حتى يقضي بها على البغاء السري ، فكلام فارغ .. وقد جربت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفساداً .. أما المحلات العمومية فاننا إذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعاً ، وإذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي ، لأن في القاهرة مائة ألف شاب [1] على الأقل ..

وإذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ؟ هل نفتح لهن أيضاً محلات عمومية فيها (بغايا) من الذكور ؟! كلام فارغ يابني والله .

---

(١) هذا الاحصاء منذ / ٣٥ / سنة في الحين الذي نشر المؤلف رسالته (يا ابني) .

وماتقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، ومايريدون إصلاح الأخلاق . ولاتقدم المرأة ، ولانشر المدنية ، ولاالروح الرياضية ، ولا الحياة الجامعية ، انما هي ألفاظ يتلمظون بها ، ويبتدعون كل يوم جديداً منها ، يهولون بها على الناس ، ويروجون به لدعوتهم ، ومايريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن ، ويصاحبونهن منفردات في الأسفار ، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراضهم ليقال أنهم من المتمدنين ..

وبعد ، فيا ابني عليك بالزواج ، ولو أنك طالب لاتزال ، فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس في العبادة والدرس ، والاشتغال بالفن وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج) أهـ .

ايها الشباب والشابات :

هذا هو الحل الوحيد لمشكلتكم الجنسية ، فإياكم أن تسمعوا الي أدعياء التقدمية الذين يزينون لكم المنكر ، ويحسنون الفجور بقولهم:إنّ حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر (١) أو إشباع الغريزة بالحرام .. فهؤلاء الهارفون بما لايفهمون ، والمتبجّحون بما لايعقلون .. ماهم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لايعلمون مخططات اليهودية والصليبية ، ومؤامرات الماسونية والشيوعية .. لجر الشباب والشابات في المجتمعات الإسلامية إلى وجودية فاجرة ، وإباحية داعرة ..

أتدرون من أجل ماذا ؟

من أجل أن ينصرف شباب الإسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد

من أجل أن يطأطئوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدين ..

---

(١) ارجع إلى رسالتنا (إلى كل أب غيور يؤمن بالله) فإنها فيها الرد القاطع على هذا الافتراء بشكل لا يترك شبهة لمرتاب .

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق ، ويقبلوا حكم كل ملحد ..

من أجل أن يكونوا قطعانا تسوقها عصا الجبّارين ..

فحذار – ياشباب – من هذه الادعاءات الكاذبة .. فتحصنوا بالصبر . واربطوا قلوبكم بالله ، وتوجوا رؤوسكم بعزة الإسلام .. وارفضوا بكليتكم دعوة كل إباحي فاجر ، وتبجح كل وجودي ملحد .. واسمعوا إلى مايقوله سبحانه في محكم تنزيله :

﴿ **ولا تتبعُوا أهواءَ قومٍ قد ضلُّوا من قبلُ ، وأضلُّوا كثيرا ، وضلُّوا عن سواءِ السبيل** ﴾ .

(المائدة : ٧٧)

* * *

٧ – هل يجوز مصارحة الولد جنسياً ؟

يتساءل الكثير من المربين من آباء وأمهات .. هل يجوز للمربي أن يصارح الولد في كل ماسيطرأ عليه من ارهاصات المراهقة ، وظواهر البلوغ ؟

وهل لـه أن يحدثـه عن العضو التناسلي ووظيفتـه ، وعن الحمل والولادة وكيفيتها ؟ .

وهل له أن يعرفه بكيفية الاتصال الجنسي إذا دخل عتبة الزواج ؟

كل هذه التساؤلات يتوقف الكثير عن الإجابة عليها لتحيرهم بين الجواز وعدمه .

الذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها فيما بعد أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة .. بل أحيانا تكون المصارحة واجبة إذا ترتب عليها حكم شرعي كما سيأتي بيانه .

واليكم هذه الأدلة مرتبة :

١ - آيات كثيرة تتحدث عن الاتصال بالجنس ، وعن خلق الانسان ، وعن الفاحشة :

- ﴿ والذينَ هُم لفُرُوجِهم حافِظُونَ إلّا على أزواجِهم أو ماملَكَتْ أيمانُهُم فإنهم غيرُ مَلُومِين ، فمن ابتغى وراءَ ذلك فأُولئِكَ هُم العادُونَ ﴾ .

(المؤمنون : ٥ - ٧)

- ﴿ أُحِلّ لكم ليلةَ الصِّيام الرفَثُ إلى نِسَائِكم ﴾ .

(البقرة : ١٨٧)

- ﴿ ويسألونكَ عن المحيض قُل هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المحيضِ ، ولا تقربُوهُن حتى يطهُرن فإذا تطهَّرنَ فأتوهُنَّ من حيثُ أمرَكُم الله .. ﴾

(البقرة : ٢٢٢)

- ﴿ نِساؤكُم حَرثٌ لكم فأتُوا حَرثَكُم أنّى شِئتُم ﴾ .

(البقرة : ٢٢٣)

- ﴿ وإنْ طَلَّقتُموهنَّ من قَبلِ أن تمسُّوهُنَّ وقد فَرضتُم لَهُنَّ فريضةً فنصفُ مافرضتم ﴾ .

(البقرة : ٢٣٧)

- ﴿ ولَقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ ثم جعلناهُ نُطفةً في قرارٍ مكينٍ .. ﴾ .

(المؤمنون : ١٣)

- ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نُطفَةٍ امشاجٍ نبتليهِ فجعلناهُ سميعاً بصيراً ﴾

(الدهــر : ٢)

- ﴿ ووصينا الإنسانَ بوالدَيهِ إحسَاناً حملتهُ أُمُّهُ كُرهاً وَوضعتهُ كُرهاً وحملُهُ وفِصَالُه ثلاثُونَ شهراً ﴾ .

(الأحقاف : ١٥)

- ﴿ ولاتقربُوا الزِّنى إنه كانَ فاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً ﴾ .

(الاسرا : ٣٢)

- ﴿ الزَّاني لاينكِحُ إلا زانيةً أو مشركة ، والزانيةُ لاينكِحُها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين ﴾ .

(النور : ٣)

- ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرِّجال شهوةً من دُونِ النِّساءِ بل أنتم قومٌ مُسرفون ﴾ .

(الأعراف : ٨٠ - ٨١)

فهذه الآيات القرآنية تتحدث بوضوح عمن يحفظ الإنسان فرجه وعمن لايحفظه ، وعن الرفث (الجماع) ليلة الصيام ، وعن المحيض واعتزال النساء فيه ، وعن الموضع الذي يكون فيه منبت الولد ، وعن طلاق المرأة قبل مسها ، وعن النطفة وتكوينها في رحم المرأة ، وعن خلق الإنسان من أخلاط النطفتين الرجل والمرأة ، وعن حمل الولد في بطن أمه ومدة إرضاعه وعن الزنى وكونه فاحشة وساء سبيلا ، وعمن يأتون الرجال شهوة من دون النساء .. إلى آخر هذه المعاني التي تتصل بالجنس ، وترتبط بالغريزة ..

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيات وأمثالها إذا لم توضح لديه من قبل معلمه أو مربيه حقائقها ومايراد منها ؟ .

ولايمكن أن يقول متبصر عاقل : إنّ على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لاتمت إلى المعنى المراد بصلة ، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها ، أو تفسير لمضمونها .. لأن هذا المسلك غير سليم يتنافى مع قواعد التربية الاسلامية الأصيلة ، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم إلى فهمه وتدبره .

قال تعالى : ﴿ كِتابٌ أنزلناهُ إليك مُباركٌ ليدَّبّروا آياتِه وَليتذكّرَ أُولوا الألباب ﴾ .

(ص : ٢٩)

بل نجد القرآن الكريم ينكر على من يقرؤون القرآن ولايتدبرون آياته .. ويعتبر من يفعل ذلك خاوي الروح ، مقفل القلب ، قاسي النفس ..

قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبّرون القرآنَ أم على قلوبٍ أقفالُها ﴾ .

(محمد : ٢٤)

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم اشتمل على جملة ما اشتمل على ثقافة جنسية لابأس بها بما فتح من آفاق ، ووضح من معالم ..

وهذه الثقافة ينبغي أن يتفهمها الصغار والكبار ، والشيب والشبان ، والنساء والرجال ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يعلم مايحل ومايحرم ، ويعرف مايأتي ومايذر .. حينما يريد إشباع الوطر ، وقضاء الشهوة ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يزداد قناعة وإيمانا بالابداع الإلهي حينما يمر على الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان وتكوينه وعن تطوره وهو في رحم أمه من نطفة ثم إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى بشر سوي ...

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يؤمن إيمانا جازما يوما بعد يوم بصلاحية هذا الإسلام ، وخلود مبادئه الشاملة على مدى الزمان والأيام .. وإنه الدين الوحيد الذي يلبي حاجات النفس الإنسانية ، ويواكب أطوار الحضارة والمدنية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !! .

٢ – ومن الأدلة القوية التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر ضروري للولد تعليم الولد وهو في سن التمييز أحكام البلوغ ، وإرهاصات المراهقة .. حتى إذا ظهرت عليه الظواهر عرف ماوجب عليه فعله ، وماوجب عليه تركه .. بل عرف الحلال والحرام ..

ولقد فصلنا القول فيه – في بحث سبق ذكره – تحت عنوان : (تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ) .

ارجع إليه – أخي المربي – تجد فيه مايبلّ الصدى .

٣ – ومن الأدلة القوية أيضا التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر لازم للولد تعليمه حينما يشارف على البلوغ ويدخل عتبة الزواج (أصول الاتصال الجنسي ، وآداب الإشباع الغريزي) .

ولقد فصلنا القول في هذه المسائل في بحث سبق ذكره قبل قليل تحت عنوان : (الزواج والاتصال الجنسي) .

ارجع إليه – أخي المربي – تجد مايشفي الغليل .

تلكم أظهر الأدلة في جواز مصارحة الولد وهو في سن التمييز عن قضايا الجنس ، ومسائل الغريزة .

فبعد هذا البيان قم – أخي المربي – بواجب التوعية الجنسية لأولادك . لأن الشرع يحتم عليك أن توضح لهم هذه الحقائق حتى لايقعوا في حبائل الجهل ، وموبقات الإثم ، ومتاهات الفوضى ..

ولكن أذكرك بشيئين هامين :

١ – أعط لكل مرحلة من مراحل السن حكمها في التعليم ، فلا يعقل أبدا أن تعلمه مثلا أصول الاتصال الجنسي ، وهو في سن العاشرة ، وتهمل تعليمه أحكام المراهقة والبلوغ .

٢ – من الأفضل أن تشرف الأم على تعليم البنت في هذه القضايا الجنسية لأن أخذ البنت عن الأم آخذ وألقن وأوعى .. وفي حال عدم وجود الأم تقوم بالمهمة أية مرشدة أخرى تقوم مقامها .

* * *

تلكم – أيها المربون – أهم الخطوط الرئيسية التي وضعها الإسلام في تربية الولد جنسياً ، وتكوينه سلوكيا ، وضبطه غريزتا ..

فما أحوج أهل الفكر والتربية والإصلاح أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التربية ، وأن يسيروا على هدى القرآن في الانضباط الغريزي .. عسى أن نجد أبناء الجيل الإسلامي وقد اكتملت شخصيتهم ، وصلحت سريرتهم ، وتقومت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية والمفاسد الاجتماعية نفوسهم وقلوبهم .. وعندئذ يستطيعون أن ينهضوا برسالة ، ويقوموا بمسؤولية ، ويرفعوا في سماء الوجود الإنساني راية التوحيد ، وشعار الإسلام ..

وأريد أن يفهم كل ذي عقل وبصيرة أن هذا الإسلام العظيم حين عالج مشاكل الانسان وآفات المجتمع كان العلاج شاملا لكل الجوانب ، ومهيمنا على كل النواحي .. لأن الاسلام شرع الله الخالد أنزله الله سبحانه ليكون للعالمين هاديا ومبشرا ونذيرا .. فمن حكم به عدل ، ومن اهتدى به سعد ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

ولن ينقذ العالم من فوضى الغريزة المتفلتة ، والانحدار الخلقي الجارف .. إلا النظرة الإسلامية إلى الجنس ، لكونها تضع كل شيء موضعه . وتتيح للإنسان الحياة المتوازنة المتكاملة التي تحقق معنى الإنسانية وترضي وتلبّي أشواق الإنسان .

ولعل المسلمين يفقهون دينهم ، ويعيشون تحت ظلاله آمنين مطمئنين . عسى أن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ، وكرامتهم تحت الشمس وماذلك على الله بعزيز .

وبعد فيا أيها المربون :

أعرفتم مدى المسؤولية الشاقة الثقيلة الملقاة على عاتقكم ؟ .

أعرفتم أن مسئولية التربية الإيمانية هي الركيزة الأساسية التي يجب أن توجهوا إليها اهتمامكم . ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الخلقية هي من المسؤوليات الهامة التي يجب أن تعيروها نظرتكم ورعايتكم ؟ .

أعرفتم : أن مسئولية التربية الجسمية هي من وسائل القوة التي يجب أن تركزوا عليها جهودكم وعزائمكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية العقلية هي من ركائز المجد والمدنية والحضارة في أمتكم ووطنكم ؟ .

أعرفتم أن مسؤولية التربية النفسية هي من دعائم النضج والاتزان في إعداد أولادكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الاجتماعية هي من أميز هذه المسؤوليات التي يجب أن تلقّنوها أفلاذ أكبادكم ؟ .

أعرفتم أن مسؤولية التربية الجنسية هي من القضايا الهامة الكبرى التي يجب أن تنشؤوا عليها من هم حق التربية في أعناقكم ؟ .

إذا عرفتم هذا كله فعليكم أن تنطلقوا في مضمار التربية ، وتحمل المسؤولية .. غير متوانين ولامتواكلين ، حتى تروا زهرات حياتكم ، وثمرات قلوبكم كالملائكة طهراً ، وكالصحابة عزائم ، وكالأسود شجاعة ، وكالبدور نوراً وإشراقاً ..

وبقدر العطاء الذي تعطونه ، والجهد الذي تبذلونه ، والعزيمة التي تطلقونها ، والمسؤولية التي تستشعرونها .. يتحقق الخير لأمتكم ، والصلاح لأبنائكم ، والتربية المثلى لذراريكم وأجيالكم !! ..

ثم أتدرون – يامعشر المربين – كيف يتحقق هذا كله ؟، وكيف يتم الوصول إلى قمة التربية الفاضلة ؟

بتقديري أن هذا يتحقق بأمرين أساسيين هامين :

الأول : بظاهرة المراقبة والملاحظة .

الثاني : بالاستفادة من الفراغ .

فبالمراقبة والملاحظة يترقى الولد ايمانياً ، ويتكون خلقياً ، ويقوى جسمياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويكتمل نفسياً واجتماعياً ..

وبالمراقبة والملاحظة ينجو الولد من رفاق السوء ، والخلطة الفاسدة ، وقرناء الفتنة والانحراف ..

وبالمراقبة والملاحظة يتحرر الولد من كل العوامل التي تؤدي إلى انحرافه وشقائه : يتحرر من مشاهدات السينما ، والرائي (التلفزيون) لما يعرضانه من أفلام جنسية خليعة ، وروايات بوليسية محرِّضة ، وتمثيليات موجهة ماجنة .. ويتحرر من قراءة المجلات الخلاعية المثيرة ، والقصص الجنسية المهيجة ، والمسرحيات اللاأخلاقية الهابطة .. التي تفتك بالفضيلة ، وتطعن الأخلاق الإسلامية في الصميم .

وبالمراقبة والملاحظة يصل الولد إلى قمة التربية الإسلامية الفاضلة ، ويكتمل روحاً وعقلاً وأخلاقاً وعلماً .. فيعطي لغيره القدوة الصالحة في الأخلاق ، والأسوة الحسنة في المعاملة .. بل يكون كتألق البدر في السماء ، وكالملك حين يمشي على الأرض .

أما الاستفادة من الفراغ فيتركز في بذل الجهد ، وتوجيه الطاقة حين يأوي المربي الي بيته ، ويجلس بين أهله وأولاده ، ففي هذه الأوقات من الفراغ يجب على المربي أن يضع البرنامج المناسب في إعداد الولد علمياً ، وتكوينه عقيدياً ، وتوجيهه خلقياً ..

فما أحسن الأب ، وما أجمل الأم ! .. حين يقضيان سهرتهما عند المساء مع أولادهما ، وينظمان البرامج الهادفة في تلقين أفلاذ أكبادهما .. بل ماأعظم أجرهما عند الله عز وجل حين يجلسان مع الأولاد لسماع درس يحفظونه أو تفهيم مسألة يكتبونها ، أو عرض قصة يتعلمونها ، أو تلقين فضيلة يتوجهونها ، أو تحسين تلاوة يتلقّنونها ، أو إثارة مداعبة أدبية أو ممازحة ترفيهية يمرحون بها ويضحكون منها ...

وهذا المسلك الحق – والله – يحقق الخير كل الخير للولد ، ويرتفع به نحو مدارج العز ، ومكارم الأخلاق ، بل يجعل منه إنسانا سوياً ، ورجلا حكيما ، ومسلما فاضلا كريماً ...

وهذا هو في الحقيقة سبيل التربية المثلى في إعداد الولد للحياة ، وتهيئته ليكون اللبنة الصلبة المتينة في بناء المجتمع الفاضل ، وتكوين الأجيال الصالحة المؤمنة .. وكم يكون الأب أو الأم أو المربي .. ظالماً للولد ، مستهتراً في حقه ، قاتلا لإنسانيته ، حين يقضي أوقات فراغه في سهرة عابثة مع اصدقائه ، أو في مقهى لاغية مع اللاهين والفارغين من أبناء حيه وجيرانه ، أو في مسرح آثم خليع .. مع المنحرفين والمتحللين من أبناء بلده وأقرانه .. ؟ .

من لتربية الولد على الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة الثابتة غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على الخلق الفاضل والأدب الرفيع غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على العقل السليم والجسم السليم والقوة المتينة غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على تحصيل العلم ، والثقافات النافعة غير الأب والأم ؟

ومن لتربية الولد على الأصول النفسية ومبادىء التعقل والاتزان .. غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على مراعاة حقوق الآخرين والتزام آداب المجتمع .. غير الأب والأم ؟ .

فمن يربي الولد على هذه الخصال ، ويغرس في نفسه هاتيك الفضائل إذا كان الأب لاهياً ، والأم عابثة ؟ ..

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هَمّ الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تخلّت أو أباً مشغولا

فالأبوان إذن هما المسؤولان أولا وآخرا في إعداد الولد على الإيمان والخلق ، وتكوينه على النضج العقلي ، والاتزان النفسي .. وتوجيهه إلى التزود بالعلوم النافعة ، والثقافات المفيدة المتنوعة ..

وصدق رسول الله ﷺ القائل : « والرجل راعٍ فى بيت أهله ومسؤول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » . (البخاري ومسلم) .

والقائل : « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ... »
(ابن حبان)

والقائل : « مانحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » .
(الترمذي)

فما على الأبوين إلا أن يستشعرا بمسؤوليتهما الكاملة ، وأن يستفيدا من أوقات فراغهما للنهوض بهذه الواجبات ، والقيام بهاتيك المسؤوليات ..

وعليهما أن يعلما أن أي تقصير في مسؤولية من هذه المسؤوليات التي سبق الحديث عنها ، والتفصيل فيها .. يعرضهما للعقوبة بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وحسب الأبوين أن يضعا نصب أعينهما قوله تبارك وتعالى :

﴿ ياأيها الذينَ آمنوا قُوا أنفُسَكُم وأهليكُم ناراً وقُودُها النّاسُ والحِجارة عليها ملائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لايعصُونَ اللهَ ما أمرهُم ويفعَلُونَ مايُؤمَرُونَ ﴾ .

(التحريم : ٦)

ولاشك أنهما إذا استذكرا هذه الآية ، واستشعرا مراقبة الله في نفسيهما .. يكون اندفاعهما للتربية أقوى ، ونهوضهما بهذه المسؤوليات أكبر .. ألا فليعلم المربون واجبهم ، وليستفيدوا من أوقات الفراغ في تربية أولادهم ، وعليهم أن يعلموا أن لوقت كالسيف إن لم يقطعوه قطعهم ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن العمر ينقضي بالسرعة الفائقة .. فإذا لم يقدروا الأمانة الملقاة على عاتقهم حق قدرها ، وان لم يرعوا هذه المسؤوليات حق رعايتها .. فقد يفاجؤهم الموت بغتة وهم لايشعرون ، بل يأتيهم العذاب فجأة ثم لاينصرون . وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل :

﴿ وأنيبُوا إلى ربكُم وأسلِمُوا له من قبلِ أن يأتِيكُم العَذابُ ثُم لاتنصرُون ، واتبعوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من رَبكُم من قبل أن يأتِيكُم العَذابُ بغتةً وأنتم لاتشعُرُونَ ﴾

(الزمر : ٥٥)

وأخيرا أريد أن ألفت نظر المربين جميعاً على اختلاف درجاتهم . وتباين مسؤولياتهم . ولاسيما الآباء والأمهات منهم أن هذه المناهج التي وضعتها في التربية ولاسيما التربية الاجتماعية تصلح للكبار والصغار ، والشيب والشباب ، والرجال والنساء ..

فاحرصوا – أيها المربون – على التزام مناهج الإسلام في التربية لأنفسكم قبل أن تلقنوها أولادكم ، لتعطوا في ذلك القدوة الحسنة لمن لهم في أعناقكم حق التربية والمسؤولية ، ثم بالتالي ابذلوا الجهد في تعليمها أولادكم ، وتلقينها أفلاذ أكبادكم .. حتى ينشؤوا على العقيدة الصحيحة والإسلام الكامل . والخلق الرفيع .. وبذلك تكونون قد أعددتموهم لخوض غمار الحياة . وتحمل أشق المسؤوليات بقلوب مؤمنة ، ونفوس صابرة ، وأرواح طاهرة زكية ، وعقول ناضجة متزنة ، وأجسام جلدة قوية ...

فابذلوا جهدكم . واجمعوا أمركم ، وسيروا على بركة الله ، فعين الله ترعاكم ، والأجيال المقبلة تبارك لكم جهودكم وأعمالكم ، والله عز وجل يثيبكم خيراً ، ويدخر لكم في القيامة أجراً .

﴿ وقُلِ اعمَلوا فسيرى اللهُ عملَكُم وَرسُولُه والمؤمنونَ وستُرَدُّونَ إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ فينبِّئُكُم بما كنتم تعملُون ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

القِسْمُ الثَّالِث

ويشمل ثلاثة فصول

الفصل الأول: وَسَائِل التَّربِيةِ المؤثِّرة في الوَلَد.

الفصل الثاني: القَواعِد الأساسِيَة في تَرْبِيةِ الوَلَد.

الفصل الثالث: اقْتراحات تَرْبَوِيَّة لَابُدَّ مِنْهَا.

الفصل الأول

الأول : وَسائِل التربية المؤثرة في الولد

مر بك – أيها القارىء الكريم – في المجلد الأول من كتاب (تربية الأولاد) مسؤوليات المربين الكبرى في تربية الولد . سواء أكانت إيمانية أم أخلاقية . عقلية أم جسدية . نفسية أم اجتماعية . ولاشك أن هذه المسؤوليات التي سبق الكلام عنها . والتفصيل فيها هي من أضخم المسؤوليات في مجال التربية . وإعداد الولد . وكم يكون الآباء في سعادة ، والمربون في سرور .. حين يحصدون في المستقبل ثمرات سعيهم . ويستظلون في ظلال غرسهم ؟ .

وكم تكون نفوسهم هنيئة ، وأعينهم قريرة . حين يرون أفلاذ أكبادهم ملائكة يمشون على الأرض . وثمرات فؤادهم مصاحف متحركة تسير في الناس ؟ .

ولكن هل يكفي المربي أن ينهض بهذه المسؤوليات . ويضطلع بهذه الواجبات .. وهو يظن أنه برأ الذمة . وأدّى المهمة . واستنفد الجهد .. أم عليه أن يستزيد في الوسائل . ويبحث دائماً عن الكمال والأفضل ؟

لاشك أن المربي الواعي المنصف يستزيد دائماً في الوسائل المجدية . والقواعد التربوية المؤثرة في إعداد الولد عقيدياً وخلقياً ، وفي تكوينه علمياً ونفسياً واجتماعياً .. حتى يبلغ الولد أسمى آيات الكمال . وأعلى ذرى النضج ، وأزهى مظاهر التعقل والاتزان !!..

ولكن ما هي هذه الوسائل المجدية ، والقواعد التربوية المؤثرة في تكوين الولد وإعداده ؟

في تقديري أنها تتركز في أمور خمسة :

١ – التربية بالقدوة .

٢ – التربية بالعادة .

٣ – التربية بالموعظة .

٤ – التربية بالملاحظة .

٥ – التربية بالعقوبة .

١ – التربيــة بالقُــدْوَة

القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً ، وتكوينه نفسياً واجتماعياً .. ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل . والأسوة الصالحة في عين الولد . يقلده سلوكياً . ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لايشعر .. بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري !!..

ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الولد أو فساده : فإن كان المربي صادقاً أميناً كريماً عفيفاً .. نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة .. وإن كان المربي كاذباً خائناً متحللاً بخيلا جبانا نذلا .. نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة ..

إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيماً . ومهما كانت فطرته نقيَّةً سليمة .. فإنه لا يستجيب لمبادىء الخير . وأصول التربية الفاضلة مالم ير المربي في ذروة الأخلاق . وقمة القيم ، والمُثل العليا .. ومن السهل على المربي أن يلقِّن الولد منهجاً من مناهج التربية ، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته . ويقوم على توجيهه غير متحقِّق بهذا المنهج ، وغير مطبِّق لأصوله ومبادئه !..

ومن هنا كان تقريع شاعرنا العربي أليماً في المعلم الذى يخالف فعلهُ قولَه :

يا أيها الرجُل المعلِّم غيرَه
هلَّا لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيمُ

ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبَل ما وعظت ويُقتدى
بالعلم منك ويَنفع التعليم

ولقد علم الله سبحانه – وهو يضع لعباده المنهج السماوي المعجز – أن الرسول المبعوث من قبله بأداء الرسالة السماوية لأمة من الأمم . ينبغي أن يكون متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخُلقية والعقلية .. حتى يأخذ الناس عنه . ويقتدوا به . ويتعلموا منه . ويستجيبوا إليه . وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم ..

ومن أجل هذا كانت النبوة تكليفية ولم تكن اكتسابية . لأن الله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته . وهو أدرى بمن يصطفي من البشر ليكونوا رسلا مبشرين ومنذرين !.

لذلك بعث الله محمداً (ﷺ) ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة . وللبشرية في كل زمان ومكان السراج المنير . والقمر الهادي ..

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .. ﴾

(الأحزاب : ٢١) .

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾

(الأحزاب : ٤٥ – ٤٦)

ووضع الله سبحانه في شخص محمد عليه الصلاة والسلام الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي ، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلُقه وشمول عظمته ..

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن خُلق رسول الله (ﷺ) ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

إنها لإجابة دقيقة مختصرة شاملة ، ضمّت في معانيها منهج القرآن الشامل ، ومبادىء الأخلاق الفاضلة .. حقاً إن النبي (ﷺ) كان الترجمان الحي لفضائل القرآن ، والصورة المتحركة لتوجيهاته الخالدة !..

من يستطع أن يحوم حول حماه ، أو يصل إلى نقطة من بحره العظيم ؟

يكفيه عليه الصلاة والسلام فخرا وشرفاً وخلوداً أن يعلن عن نفسه أن الله سبحانه صنعه على عينه ، وأدّبه فأحسن تأديبه ليكون دائماً كالعافية للأبدان ، والشمس للأكوان ، والبدر المتألق في بحار الظلمات .

روى العسكري وابن السمعاني عن النبي (ﷺ) أنه قال : « أدّبني ربي فأحسن تأديبي »[1] .

ومما يدل على تأديب الله له ، وأنه ﷺ محوط بالعناية الربانية اتصافه بصفات النبوة الأساسية قبل النبوة وبعدها .

فمن المعلوم يقيناً أنه ﷺ لم يقترف إثماً من آثام الجاهلية بل كان معروفاً بالمتعفف الطاهر .

أما من ناحية صدقه وأمانته فكانت الجاهلية تناديه بالصادق الأمين . وهي التي قالت له في مجمع كبير من الناس : ما جرّبنا عليك كذباً .

أما من ناحية ذكائه وفطانته فكان لا يدانيه أحد . ويكفيه عليه الصلاة والسلام شرفاً وفخراً وخلوداً أن استطاع بتدبيره وحكمته أن يضع لقومه الحل المناسب في وضع الحجر الأسود . وأن يخلّص الناس من حرب طاحنة مدمّرة لا يعلم مداها إلا الله وحده .

أما من ناحية تبليغ الدعوة فكان عليه الصلاة والسلام لا يطيب له نوم ، ولا يهنأ له عيش ، ولا يرتاح له بال .. حتى يرى الأمة قد استجابت لدعوة الإسلام .

---

(١) الحديث في سنده ضعف ولكن معناه صحيح .

ودخلت في دين الله . وكثيراً ما كانت الآيات تنزل خاصة النبي ﷺ على أن يخفف من همه وحزنه . ويهدىء من حركته وتبليغه حتى لا تذهب نفسه حسرات . وحتى لا يتعرض جسمه للهلاك . فمن هذه الآيات :

- ﴿ **فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾
(الكهف : ٦) .
- ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾
(القصص : ٥٥)
- ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾
(فاطر : ٨)

ومع كل هذا كان عليه الصلاة والسلام مضرب المثل في صموده وثباته وصبره واحتماله ومثابرته وجهاده . وهكذا الرسل من أولي العزم يجهدون ويجاهدون حتى يروا أقوامهم دخلوا في دين الله أفواجاً !..

* * *

أما القدوة التي أعطاها النبي ﷺ في مجال العبادة والأخلاق فقد بلغت في مراتبها أعلاها . وكلما توالت الدهور . وتعاقبت العصور . وجد الناس في عبادة النبي ﷺ وأخلاقه الشاملة المثل الكامل ، والأسوة الصالحة ، والمنار الهادي .

أما عن **قدوة العبادة** فقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورّم قدماه . ولما قيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » .

وأخرج الشيخان عن علقمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأيام (يقصد الزيادة في العبادة) قالت : لا ، كان عمله دِيْمَة (أي دائماً مستمراً) . وأيُّكم يطيق ما كان رسول الله (ﷺ) يطيق ..

وهكذا فقد تعلق قلب النبي (ﷺ) بالله . وشغف بالعبادة والمناجاة .. فهو يقوم الليل ، ويصرف فيها جزءاً من النهار . ويجد في الصلاة لذته . وفي العبادة قرّة عينه .. وينهى أصحابه أن يقلدوه ويتأسّوا به فيما لا طاقة لهم به .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله (ﷺ) يدع العمل وهو يحب أن يعمل به . خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم .

ويروي أنس أن النبي (ﷺ) واصَلَ : أي صام مواصلا الليل بالنهار . والنهار بالليل يومين أو ثلاثة . وكان ذلك في آخر رمضان . فواصل الناس معه فبلغه ذلك . فقال : لو مُدَّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمّقون (أي المبالغون) تعمّقهم . إني لست مثلكم . إني أظلّ يطعمني ربي ويسقيني (أى يعينني ويقويني) .

وكيف لا يكون (ﷺ) في أعلى مراتب العبادة وهو المنفّذ لكل ما أمره الله به من تهجّد وعبادة وتسبيح وذكر ودعاء ..

- **﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلّا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زِدْ عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيلا ﴾**

(المزمل : ١ - ٦)

- **﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾**
(الإسراء : ٧٩)

- **﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾**
(الدهر : ٢٦)

أما عن قدوة[١] الأخلاق الفاضلة : فحسبي أن أذكر ولو أنموذجاً واحدا عن كل ما يتصل بأخلاقه الشريفة ، وجوانب عظمته الشاملة سواء ما يتعلق بالكرم

---

(١) بحث القدوة في الأخلاق مقتبس معظمه من كتابنا « حتى يعلم الشباب » مع بعض التصرف .

والزهد ، أو ما يرتبط بالتواضع والحلم ، أو ما يختص بالقوة والشجاعة . أو ما يتصل بحسن السياسة والثبات على المبدأ ..

أما عن قدوة الكرم فكان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان .

روى الحافظ أبو الشيخ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لم يُسأل رسول الله ﷺ شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه . وإن رجلاً أتاه فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين . فرجع إلى قومه . فقال : أسلموا ، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

وعن أنس : « ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط . قال : لا » .

أما عن قدوة الزهد : فيقول عبد الله بن مسعود : دخلت على الرسول ﷺ وقد قام على حصير ، وقد أثّر في جنبه الشريف ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! ، فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . وهو القائل : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً » .

وروى ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله (ﷺ) من خبز بُرّ (حنطة) ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله » .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كسرة من خبز الشعير ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب الزهد ، وهو المنفّذ لما أراده الله منه ، وما خاطبه به :

﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متّعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾

(طه : ١٣١)

وعلينا ألا نفهم أنه ﷺ كان زاهدا لفقر أو ضيق يد أو قلة طعام .. ولو أراد عليه الصلاة والسلام مباهج الحياة ، والإكثار من الطيبات ، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا لجاءته الدنيا طائعة صاغرة راغمة .. ولكن أراد من زهده وتعففه عليه الصلاة والسلام أمورا وأمورا أذكر أظهرها وأهمها :

● أراد أن يعلم الأجيال المسلمة بزهده معنى التعاون والبذل والإيثار ..

روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا ولكنه يُؤْثِر على نفسه » وسبق أن ذكرنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

● أراد أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع .. مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله . ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم .

● أراد أن يُفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفار .. أنه ما أراد من دعوته التي كان يدعو الناس اليها جمع المال . ولا المظاهر الفانية . ولا الدنيا الزائلة . ولا النعيم . ولا الترف . ولا أن يصطاد الدنيا باسم الدين .. وإنما أراد التماس الأجر من الله وحده . وأن يلقى الله عز وجل وليس عنده من حطام الدنيا شيء . وشعاره وشعار الأنبياء من قبل :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله ﴾

(هود : ٢٩)

أما عن قدوة التواضع : فقد أجمع من عاصر النبي (ﷺ) واجتمع به أنه صلوات الله عليه كان يبدأ أصحابه بالسلام . وينصرف بكليته إلى محدثه صغيرا كان أو كبيرا ، وكان آخر من يسحب يده إذا صافح . وإذا أقبل جلس حيث ينتهي بأصحابه المجلس . وكان يذهب إلى السوق ، ويحمل بضاعته ويقول : أنا أولى بحملها . ولم يتكبر عن عمل الأجير والصانع سواء كان في بناء مسجده الشريف أو في حفر الخندق .. وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة . ويقبل عذر المعتذر ، وكان

يرقع ثوبه ، ويخصف نعله . ويخدم في مهنة أهله . وكان يَعْقِل بعيره . ويأكل مع الخادم . ويقضي حاجة الضعيف والبائس . ويجلس على الأرض ...

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام بهذا التواضع الجمّ وقد أنزل الله عليه قوله :

﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾

(الشعراء : ٢١٥)

أما عن قدوة الحلم : فقد بلغ عليه الصلاة والسلام أعلاها سواء عن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب أم فيما عامل به – بعد النصر غطرسة الأعداء ..

أما عن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب فحسبي أن أذكر هذا المثل من أمثلة كثيرة لها في السيرة ذكر : روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق[1] النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وأما عن حلمه فيما عامل به الأعداء بعد النّصر فحسبنا أن ننظر إلى معاملته لأهل مكة الذين أسرفوا في إيذائه ،وأمعنوا في اضطهاده ، وأخرجوه من بلده ، وتآمروا على قتله ، وقذفوه بكل بهتان من القول والزور .. لتتجلى لكل ذي عينين نفسه الكريمة في مرآة عفوه وصفحه الجميل .. (انظروا إليه فاتحاً في جيش كبير لم تر جزيرة العرب مثله يكتسح مكة ، وتطؤها خيله .. انظروا إليه والبلاد في رحمته يشملها عفوه ، والسادة والزعماء الذين عتوا في الأرض ، وفعلوا مع الرسول ﷺ الأفاعيل يجزون بالبر والإحسان ، ويعاملون بالعفو والصفح الجميل ، وحكام الأرض لا تعرف لأمثالهم غير قطع الرؤوس)[2] . فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن جمعهم ومنّاهم وأمّنهم .. وقال لهم قولته الخالدة : « ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

---

(١) العاتق : ما بين العنق والكتف .

(٢) من كتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ص ٥٥ .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في هذه المنزلة العالية من الحلم . وقد أنزل الله عليه في محكم تنزيله :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾

(الحجر : ٨٥)

أما عن قدوة القوة الجسدية : فقد أعطى لأبطال المصارعة ، وأصحاب العزائم المتينة المثل الأعلى في القوة والبأس ومضاء العزم ..

وكيف لا . وقد صرع عليه الصلاة والسلام سيد المصارعين ركانة ثلاث مرات . وقال له بعد الثالثة أشهد أنك رسول الله ؟

وكيف لا . وقد تصدّى عليه الصلاة والسلام لأبي بن خلف في معركة أحد بحربة سددها على صدره . فسقط عن الفرس وهو يغالب الألم ويقول : لو بصق علي محمد – ﷺ لقتلني ؟ وكيف لا ، وقد كان الصحابة رضوان الله عنهم يلجؤون إليه عند حفر الخندق لتفتيت صخرة كبيرة لم تعمل فيها السواعد ولا الفؤوس ؟

وكيف لا . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلوذون به ﷺ لما كانوا يعلمون من رباطة جأشه ، وقوة جسمه ، ومتانة أعصابه ..؟

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب القوة وهو القائل : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ... » رواه مسلم .

وكيف لا يعطى عليه الصلاة والسلام لغيره جانب القدوة في قوة الجسم ورسوخ العزيمة ، وقد أنزل الله عليه في صريح آياته :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾

(الأنفال : ٦٠)

أما عن قدوة الشجاعة : فقد كان لا يضاهيه أحد ، (وهاكم حادثتين هما عندي المثل الأعلى في شجاعة المحارب :

(أ) فزع أهل المدينة ليلة . فانطلق ناس قِبَل صوتٍ ، فتلقاهم رسول الله ﷺ ، وقد سبقهم الى ذلك الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس عُرْيٍ لأبي طلحة ، والسيف في عنقه وهو يقول لن تُرَاعُوا ..

(ب) ويوم حُنَيْن وقف عليه الصلاة والسلام على بغلته ، والناس يفرّون عنه وهو يقول :

أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابن عبد المطلب

فما رُئِيَ أحد يومئذ كان أثبت منه ولا أقرب للعدو .

ولقد اخترت هاتين الحادثتين من تاريخ طويل لأن الأولى منهما هبَّ فيها رسول الله ﷺ إلى مكان الخطر قبل أن يتحرك الناس ، وفي الثانية ثبت عليه الصلاة والسلام في مكان الخطر وقد فرّ عنه الناس ، والذين لهم علم بالحرب يعرفون أن بهذين الموقفين تمتحن الشجاعة ، ويعرف الأبطال ، فليس أصعب على النفس من السبق إلى الخطر ، ولا من الصبر عليه ، وقد استولى الخوف ، وغلب الرعب)[1] ...

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام شجاعاً مقداماً في أخطر المواقف وقد أنزل الله عليه في محكم آياته :

﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين ... ﴾

(النساء : ٨٤)

﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ .

(التوبة : ١٣)

أما عن قدوة حسن السياسة : فقد كان فيها مضرب المثل للناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، عامتهم وخاصتهم .. ولقد أُوتي عليه الصلاة

---

(١) من كتاب بطل الابطال « شجاعته » عليه الصلاة والسلام لعزام .

والسلام النجاح في كل شيء لما فُطر عليه من أخلاق كريمة ، وما أعطيه من حسن السياسة ، ووضع الأمور في نصابها .

وإليكم هذا المثل العظيم من أمثلة دوّنها التاريخ في ثناياه لتعرفوا السياسة الحكيمة التي كانت تنساب من فطانته وخلقه العظيم عليه الصلاة والسلام :

لما أعطى النبي ﷺ بعد حنين قريشاً وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً كثرت من الأنصار القالة (الكلام) حتى قال بعضهم : لقي والله الرسول قومه ! فجمعهم النبي (ﷺ) ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني ، وَجِدة وجدتموها على أنفسكم ، ألم آتِكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة (فقراء) فأغناكم الله ، وأعداء فألّف بين قلوبكم ؟ قالوا : بل الله ورسوله أمَنُّ وأفضل .. ثم قال : ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ فقالوا : بماذا نجيب؟ لله ورسوله المنّ والفضل !.. قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقتُم وصُدّقتم : أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوَجدتُم يا معشر الأنصار من لعاعة (من بقية) من الدنيا ، تألّفتُ بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟! فوالذي نفس محمد بيده !، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شِعباً ، وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار !. فبكى القوم حتى أخضَلُوا لِحاهم (أي ابتلّت بالدموع) وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً !..

هذه الكلمات الصادقة المخلصة التي انبعثت من قلب رسول الله ﷺ وترجمها لسانه أخذت بمجامع قلوب الأنصار ، وصعدت بنفوسهم إلى مرتبة الملائكة ، وقتلت الفتنة في مهدها ، وحركت نفوسهم لمعرفة الحق ، وتبيان الحكمة .. تفسّر لنا هذه الكلمات كيف كان رسول الله ﷺ يجمع الناس إلى مصلحة الإسلام العليا ، وغرض نصر الإسلام وعزه ، وغاية تأليف القلوب ..، لتتحقق للمسلمين وحدتهم الكبرى تحت ظلال التوحيد وراية الإسلام .

ولو لم يتصف النبي ﷺ بهذه الصفات الفاضلة ، ولو لم يَهَبْه الله هذه الفطانة وحسن الذوق السياسي المؤلِّف لما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يقيم في المدينة دولة الإسلام ، ولما دانت له الجزيرة العربية بالحب والولاء ..

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام قدوة طيبة في حسن سياسته ، وفي كريم معاملته .. وهو الممتثل لأمر ربه في هذه السياسة التي انتهجها ، وتلك المعاملة التي تميّز بها ...

اسمعوا إلى تذكير ربه له ومخاطبته إياه :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

أما عن قدوة الثبات على المبدأ : فإنها كانت صفة بارزة من صفاته عليه الصلاة والسلام ، وخلقاً أصيلا من أخلاقه ﷺ ، ويكفي في هذا المجال أن نذكر موقفه العظيم مع عمه أبي طالب حين ظنّ عليه الصلاة والسلام أن عمه مُسْلِمُهُ ، وخاذله ، ومتخلٍ عن نصرته .. وهنا نقف لحظة لنستمع إلى كلمات الحق والإيمان والثبات على المبدأ تتردد على لسان صاحب الرسالة الإسلامية الخالدة لتعلن إلى الدنيا كيف يكون اليقين والثبات ، وكيف تكون التضحية والفداء ، وكيف يجب أن يكون الدعاة إلى الله ؟ : (والله ياعم : لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ، ثم قام عليه الصلاة والسلام واستعبر باكياً ، فلما رأى عمه عزمه الصادق ، وثباته الراسخ في المضيّ في طريق الدعوة غير مكترث بأحد ولا عابىء بإنسان ، ناداه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسَّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر بذاك وقرّ منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مَسبّة
لوجدتني سمْحاً بذاك مُبينا

فأي ثبات على العقيدة والمبدأ أعظم من هذا الثبات ؟ وأي امتحان للإيمان أكبر من هذا الامتحان ؟ لو لم يكن لنبينا عليه الصلاة والسلام إلا هذا الموقف لكفاه على مدى الزمان وتعاقب الأجيال فخراً وشرفاً وخلوداً !.

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام متصفاً بهذه الصفة البارزة المتميزة من الصمود والثبات وقد أنزل الله عليه في محكم الآيات :

﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾

(الأحقاف : ٣٥)

وأنزل : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

(البقرة : ٢١٤)

هذا الذي ذكرناه عن أخلاق النبي ﷺ وصفاته ، ما هو في الحقيقة إلا رشفة قليلة من فيض عظمته صلوات الله وسلامه عليه ، وغرفة يسيرة من بحر كمالاته عليه الصلاة والسلام !.

هل يستطيع أحد أن يحصي فضائل هذا النبي العظيم ، وأن يحيط بمزاياه الكريمة بعد أن وصفه الله سبحانه بهذا الوصف الرائع ، وخصّه بهذا النعت الخالد :

(وإنك لعلى خلق عظيم) .

ولله درّ من قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيِّهم
واحكُمْ بما شئت مدحاً فيه واحتكِم
وانسُب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدْره ما شئت من عِظَمِ
فإن فضْلَ رسول الله ليس له
حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطق بفم
فمبلغُ العلم فيه أنه بَشَر
وأنه خير خَلْق الله كلِّهم

* * *

وإذا كان الله سبحانه قد خصّ نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخُلق العظيم ، وميّزه بهذه الأسوة الحسنة .. فمن الطبيعي أن تنجذب القلوب له ، وأن تتأسى النفوس به ، وأن يجد الناس في شخصية النبي ﷺ القدوة الكاملة ، والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية والاجتماعية .. بل كان الذين عاينوا عصر النبي ﷺ واجتمعوا بالرسول عليه الصلاة والسلام من أقوى الذين شغفوا به إيماناً وحباً ، بل لا صبر لهم إذا لم يشهدوا مُحيّاه ولا تطيب نفوسهم اذا لم تكتحل عيونهم برؤياه ، لشدة شغفهم به ، ومحبتهم إياه ، روى الإمام البغوي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحبّ لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، فقال له رسول الله ﷺ : ما غيَّر لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرتُ الآخرة فأخاف أن لا أراك ، لأنك ترفع مع النبيّين ، وإني إن دخلت الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك ، وإنْ لم أدخل الجنة لا أراك أبداً ، فنزلت الآية :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

(النساء : ٦٩)

وكان من نتيجة هذه المحبة القلبية المخلصة أن آثروا محبة النبي ﷺ على محبتهم لأنفسهم ، ومن ذلك : قصة زيد بن الدَّثِنة كما رواها البيهقي عن عروة قال : لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم ، وقد اجتمع في الطريق خبيب بن عديّ الأنصاري ، وزيد بن الدثنة ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ، قال أبو سفيان – وهو يومئذ مشرك – قال لزيد بن الدثنة : أنشدك بالله يا زيد : أتحبّ أن محمداً الآن مكانك ، تُضْرَبُ عنقه ، وأنك في أهلك ، فقال له زيد : والله ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! فقال أبو سفيان :

(ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)!.

فقد آثر زيد أن يُقتَل ، ولا يُصاب رسول الله ﷺ بأقل شيء من الأذى .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا خُبيباً ، فقال : والله ما أحبّ أن يفديني رسول الله ﷺ بشوكة في قدمه !.

ومن ذلك : ما رواه البيهقي وابن إسحق أن امرأة من الأنصار قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تُحبين ! فقالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته قالت : (كلُّ مصيبة بعدك جلل) أي بعد سلامتك هيّنة .

من هذا المنطلق الوجداني من الحب والولاء والتفاني .. تأسّى أصحاب رسول الله ﷺ بنبيهم لأنهم وجدوا فيه المثل الأعلى في العبادة والأخلاق ، وحسن القدوة في الملاطفة والمعاملة .. وهكذا تعمل الأسوة الحسنة عملها في النفوس ، وتترك أثرها الطيب في التكوين والتربية والإعداد ..

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تأسي أصحاب رسول الله ﷺ بنبيهم ، وعن أثره صلوات الله وسلامه عليه في نفوسهم ، وعن التحوّل الذى أحدثه في واقعهم .. فليستقرِ التاريخ ليسمع الكثير عن جميل مآثرهم ، وكريم فضائلهم .. (فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجلّ أو أعظم ، أو أرق أو أعلم ؟

يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾
(الفتح : ٢٩)

ويقول : ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾
(الذاريات : ١٧)

ويقول : ﴿ تراهم ركعاً سجداً يبغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

(الفتح : ٢٩)

ويقول : ﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. ﴾

(الحشر : ٩)

ويقول : ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

(الأحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم .. وكيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ؟ ولماذا يتباغضون والرسول ﷺ أمرهم بالمحبة والإخاء ، وحضهم على التعاطف والإيثار ؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم الكريمة ..: « من كان متأسّياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا .. اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

ومازالت الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان يرون من صحابة رسول الله ﷺ القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق ، والشجاعة والثبات ، والعزم والمضاء ، والتعاطف والإيثار ، والجهاد ونيل الشهادة .. ومازال شباب الإسلام في كل عصر يستقون من معين فضائلهم ، ويستضيئون بنور مكارمهم ، وينهجون في التربية نهجهم ، ويسيرون في بناء المجد سيرهم .. لكونهم خير القرون هدياً ، وأفضل العصور قدوة ..)[١]

وصدق رسول الله ﷺ القائل — فيما رواه البيهقي والديلمي — : « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم »[٢] .

* * *

(من هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله ﷺ ومَنْ تبعهم بإحسان .. انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية ، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها ..

والتاريخ يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان ، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي ، وإلى التيبت وإلى سواحل الصين ، وإلى الفيليبين ، وجزر أندنوسيا ، وشبه جزيرة الملايو .. ووصل

---

(١) من مقدمة كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » القسم الأول مع بعض التصرف .

(٢) الحديث وإن كان في سنده ضعف إلا أن معناه صحيح لأن الصحابة-كما أجمع العلماء - كلهم عدول ، فبأيهم اقتدى المسلم اهتدى .

إلى أواسط أفريقيا في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار ، وغيرها من البلاد ..

وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين ، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وأمانتهم ، وصدقهم ووفائهم .. ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، فدخل الناس في دين الإسلام أفواجاً ، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة .. ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ، ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم ، ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام ، ولما دخلوا في هديه ورحمته !!..

ونخلص مما تقدم إلى أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس .. ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام في البلاد البعيدة ، والأصقاع المعمورة ، وفي هداية البشرية إلى سبيل الايمان ، وطريق الإسلام ..

فما أجدر الجيل الإسلامي اليوم برجاله ونسائه ، وشيبه وشبّانه ، وكباره وصغاره ، أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الحسنة ، والمعاملة الطيبة ، والصفات الإسلامية النبيلة .. ليكونوا دائماً في العالمين أقمار هداية ، وشموس إصلاح ، ودعاة خير وحق ، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الإسلام الخالدة !..)[1] .

إذن لا بد من قدوة صالحة لنجاح التربية ، ونشر الفكرة !..

ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين ، وتنجذب لجماله النفوس !..

ولا بد من أخلاق فاضلة يستمد المجتمع منها الخير ، وتترك في الجيل أفضل الأثر !..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١١٩ مع بعض التصرف .

ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء حتى يتطبع الولد منذ نشأته على الخير ، ويتخلق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة النبيلة ..

وإليكم نماذج من هديه عليه الصلاة والسلام في تنبيه المربي بإعطاء القدوة :

● روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : يا عبد الله تعالَ حتى أُعْطِيكَ .

فقال لها عليه الصلاة والسلام : ما أردتِ أن تعطيه ؟

قالت : أردت أن أعطيه تمراً .

فقال : أما أنك لو لم تعطه شيئاً ، كُتِبتْ عليك كذبة .

وعنه عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أحمد وغيره – : « من قال لصبي تعال هاك (أي خذ) ثم لم يعطه فهي كذبة ! » .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام من له في عنقه حق التربية بمظهر الصدق ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟!

● وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا – أي أعطيته – غلاماً كان لي .

فقال رسول الله ﷺ : أكلّ ولد نحلته مثل هذا ؟

فقال : لا .

فقال رسول الله ﷺ : فارجعه .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟

قال : لا .

قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم .

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : يا بشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلّهم وهبتَ له مثل ذلك ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور (أي ظلم) .

وفي رواية : أشهد على هذا غيري .

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا إليك في البرّ سواء ؟

قال : بلى .

قال : فلا إذن .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام من له في عنقه حق التربية بمظهر العدل ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

● وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة ما قبّلت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابيّ إلى رسول ﷺ فقال : إنكم تقبّلون الصبيان ، وما نقبّلهم ! فقال رسول الله ﷺ : « أوَ أمْلِكُ أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! »

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام مَنْ له في عنقه حق التربية بمظهر الرحمة ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

وإذا نُزعت الرحمة من قلب المربي فهل تنفع التربية مع الولد ؟ وهل تجدي معه وسائل التربية المؤثرة ؟ وهل يتقبل الموعظة ، وينشأ على مكارم الأخلاق ؟

الجواب : حتماً . لا .

إذن فما على المربين إلا أن يسلكوا مع أبنائهم سبيل الرحمة ، وأن يتحققوا بها في حياتهم اليومية ، وواجباتهم الدعوية والتربوية ، لينشأ الولد على الأخلاق ، ويتربى على المكارم ، ويرضع لبان الأمجاد والبطولات ..

وفي تركيز نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه على خُلق الرحمة للأطفال أعطى للأجيال الإسلامية في كل زمان ومكان منها قدوة ، ليتأسى بها الدعاة إلى الله والآباء والمربون في كل مِصْرٍ وعَصْرٍ !..

وإليكم نماذج من رحمته (ﷺ) بالأطفال :

(أ) روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال : رأيت النبي ﷺ يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران . فنزل النبي ﷺ ، فحملهما ، ووضعهما بين يديه ثم قال « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ، ورفعتهما .

(ب) روى النسائي والحاكم : بينما كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس ، إذ جاءه الحسين ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر . فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننّا أنه قد حدث أمر . فقال : إن ابني قد ارتَحَلَني – أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري – فكرهتُ أن أُعجله حتى يقضي حاجته .

(ج) وجاء في الإصابة : أنه ﷺ كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلّقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ويقول :

« نعم الجملُ جملكُما ، ونعم العدلان أنتما » .

(د) وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوزّ في صلاتي (أي أختصر) مما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه .

(هـ) وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم ، وقال : كان رسول الله ﷺ يفعله .

(و) وروى مسلم أن الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أخذه قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدّنا » .

ثم يدعو أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر .

● وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار .

فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم : قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لا أغبِق أي لا أقدِّم في الشرب – قبلهما أهلاً ولا مالاً .

فنأى بي طلب الشجر يوماً ، فلم أرُحْ عليهما أي لم أرجع إليهما حتى ناما ، فكرهتُ أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - أي ظهر ضوؤه – ، والصبْيَةُ يتضاغَوْن (أي يصيحون من الجوع) عند قدميّ . فاستيقظا فشربا غبوقهما .

« اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة » ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه[1] ..

---

(١) النفر الثاني : صفته أنه عف عن الزنى ، والنفر الثالث : صفته أنه عف عن أكل أجرة الأجير ، فبفضل صالح أعمال النفر الثلاثة فرج الله عنهم الصخرة ، فخرجوا يمشون ، والحديث بتمامه موجود في « رياض الصالحين » باب الإخلاص وإحضار النية .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام مَن له في عنقه حق التربية بمظهر البر للوالدين ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟.

وما معنى أن الصبية يتضاغون والقدح في يديه ؟ أليس معناه أن الأب صاحب قدوة في البر لأبويه أمام أولاده ؟

● وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ .

فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً.

أليس يدل هذا الهدى النبوي على أن النبي ﷺ كان يعطي من نفسه القدوة في الملاطفة مع الصغار ، والتزام منهج الإسلام في أدب الشراب .. حتى يتأسى بهديه صلوات الله وسلامه عليه جيل الإسلام ؟! .

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يُعلِّم من كان في عنقه حق التربية القدوة الصالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ، ويُتأسى بهم ، ويتأثر الأولاد بأفعالهم الحميدة ، ومواعظهم المؤثرة ، وملاحظاتهم السديدة ، وتأديبهم الحكيم الشامل !...

* * *

والذى نخلص إليه بعدما تقدم أن القدوة – في نظر الإسلام – هي من أعظم وسائل التربية ترسيخاً وتأثيراً .

فالطفل حين يجد من أبويه ومربّيه القدوة الصالحة في كل شيء فإنه يتشرب مبادىء الخير ، ويتطبع على أخلاق الإسلام ...

وحين يريد الأبوان أن يتدرج طفلهما على خلق الصدق والأمانة والعفة والرحمة ومجانبة الباطل .. فعليهما أن يعطيا من أنفسهما القدوة الصالحة في فعل الخير ، والابتعاد عن الشر ، في التحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل ، في اتباع الحق ومجانبة الباطل ، في الإقدام نحو معالي الأمور والترفع عن سفاسفها ..

إن الولد الذى يرى أبويه يكذبان .. لا يمكن أن يتعلم الصدق !.. وإن الولد الذي يرى أبويه يغشّان أو يخونان .. لا يمكن أن يتعلم الأمانة !

والولد الذي يري أبويه في ميوعة واستهتار .. لا يمكن أن يتعلم الفضيلة !

والولد الذي يسمع من أبويه كلمات الكفر والسب والشتيمة لا يمكن أن يتعلم حلاوة اللسان !

والولد الذي يرى من أبويه الغضب والعصبية والانفعال .. لا يمكن أن يتعلم الاتزان !.

والولد الذي يرى من أبويه القسوة والجفاء .. لا يمكن أن يتعلم الرحمة والمودة !..

وهكذا ينشأ الولد على الخير ، ويتربى على الفضيلة والأخلاق .. إذا وجد من أبويه القدوة الصالحة .. وبالتالي فإن الولد يتدرّج نحو الانحراف ، ويمشي في طريق الكفر والفسوق والعصيان .. إذا وجد من أبويه القدوة الفاسقة ..

وهـل يُرجى لأطفـالٍ كمالٌ
إذا ارتضعوا ثُديَّ الناقصاتِ ؟

ولا يكفي أن يعطي الأبوان للولد القدوة الصالحة ، وهما يظنان أنهما أدّيا ما عليهما ، وقاما بواجبهما .. بل ينبغي أن يربطا ولدهما بصاحب القدوة عليه الصلاة والسلام ، وذلك بتعليم الولد مغازي النبي ﷺ ، وسيرته العطرة ، وأخلاقه الكريمة تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الطبراني – : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : – منها – حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ... » .

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّمهم السورة من القرآن » . ليتطبع الولد بصفات المكارم والكمال ، ويشبّ على خلق الشجاعة والإقدام .. حتى إذا تعقل وبلغ سن الرشد ما عرف قائداً ولا قدوة ولا زعيماً ولا مثلا أعلى .. سوى محمد عليه الصلاة والسلام .

وينبغي على الابوين كذلك أن يربطا ولدهما بقدوة الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، والسلف الصالح ، ومن تبعهم بإحسان تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

(الأنعام : ٩٠)

وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام — فيما رواه البيهقي والديلمي : « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وسبق أن ذكرنا كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القائل : « من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ... » .

ليتخلّق الولد بأخلاق هذه الصفوة المختارة (الذين كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلّفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا ..) حتى يعرف لهم فضلهم ، ويتّبعهم في آثارهم ، ويتعلق قلبه بمحبتهم ..

- وينبغي على الأبوين أيضا أن يهيئا لولدهما المدرسة الصالحة ، والرفقة الصالحة ، والجماعة الصالحة ، ليكتسب الولد التربية الإيمانية ، والتربية الخلقية ، والتربية الجسمية ، والتربية النفسية ، والتربية العقلية .. فلا يعقل — وهو في هذه الأجواء الصالحة — أن ينحرف الولد عقيدياً ، وأن يتحلل خلقياً ، وأن يتعقد نفسياً ، وأن يضعف جسمياً ، وأن يتخلف علمياً وثقافياً !.. بل يصل إلى ذروة الكمال في رسوخ عقيدته ، وسمو أخلاقه ، ومتانة أعصابه ، وقوة بدنه ، ونضج عقله وعلمه !..

ونحن مع الأب في أن المجتمع فاسد ، والبيئة جاهلية ، ومن الصعوبة بمكان تهيئة الأجواء الصالحة للولد .. هذا حق ، ولكن إذا بذل الأب أقصى الجهد ، وأخذ بالأسباب الكاملة في إعداد الولد إيمانيا وخلقياً .. وتكوينه فكرياً ونفسياً واجتماعيا .. يكون الأب — ولا شك — معذوراً أمام الله عز وجل إذا انحرف الولد ، وسار في متاهات الفسوق والضلال !..

وفي تقديري أن التربية بالقدوة : قدوة الأبوين ، وقدوة الرفقة الصالحة ، وقدوة المعلم ، وقدوة الأخ الأكبر .. هذه التربية من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح الولد ، وهدايته ، وإعداده لعضوية المجتمع والحياة .. وهذا كله يمكن أن يوفره الأبوان للولد ، ويمكن كذلك أن يهيئا له الأجواء الصالحة إذا صمّما على التحرك في إصلاح فلذة الكبد ، وعقدا العزم على أن يكون ولدهما مَلَكاً يمشي في الناس !.

وينبغي إلا يغرب عن بال الأبوين أن التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد ، لأن الولد الأصغر يحاكي عادة ما يفعله الأكبر ، بل ينظر إليه أنه المثل الأعلى في كل شيء ، ويقتبس الكثير والكثير من صفاته الخلقية . وعاداته الاجتماعية .

وهنا تكون الطامة أكبر إذا وجد الولد من يكبره سناً في تميّع وانحلال . واذا رأى من ولدَ قبله يتقلب في متاهات الرذيلة والفساد .. فلا شك أن الأولاد به يتأثرون ، وعلى طريقته يمشون .. وعنه يأخذون !..

ولهذا كله وجب على الأبوين أن يركزوا جهودهم على الولد الأكبر ثم من يليه .. ليكونوا لمن بعدهم قدوة ، وللباقين من الأولاد أسوة ، والله يتولى الصالحين .

وفي ختام بحثنا هذا نستعرض استنكار القرآن الكريم للذين يخالف أفعالهم أقوالهم ، ويشمل ذلك الآباء والأمهات وجميع المربّين ، وجميع من لهم في أعناقهم حق التربية :

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾

(الصف : ٠٢ – ٤)

– ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ ؟

(البقرة : ٤٤)

هل رأيتم في آيات الله زجراً واستنكاراً أعظم من هذا الزجر والاستنكار في حق من ؟ ، في حق أولئك الذين يعطون لغيرهم القدوة السيئة ، والفعل القبيح ؟ .

« وما أعظم موقف عمر رضي الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم : (أما بعد ، فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا ، وأنهاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحدا منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلتُ به نكالا شديداً) ، ثم يخرج رضي الله عنه ويدعو إلى الخير فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة ، لإعطائهم القدوة بفعله ، قبل إعطائهم إياها بقوله .

ومن هنا كان التنكيل بالذي يأمر غيره بالمعروف ولا يأتيه شديداً وعظيماً يوم القيامة ، ومن هنا كانت الفضيحة في جهنم مخزية أمام الأشهاد !! .

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى في النار ، فتندلق أقتابه[1] ،فيدور بها كما يدور الحمار برحاه ، فتجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ، ما شأنك ؟ ألست كنت تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن الشر وآتيه . قال : وإني سمعته يقول : - يعني النبي ﷺ - مررت ليلة أُسريَ بي بأقوام تُقرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ، قلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون .

أما الفضيحة المخزية أمام الأشهاد فلما روى أحمد والبيهقي عن منصور بن زازان قال : نُبئت (أخبرت) أن بعض من يُلقى في النار تتأذى أهل النار بريحه ، فيقال له ويلك ! ما كنت تعمل ؟ ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك ؟ ، فيقول : كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي))[2] .

---

(١) أقتابه : أمعاؤه تخرج من بطنه .

(٢) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١١٧ - ١١٨ بحث « الحيز في الأعلاق » .

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعا أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد ، بل هي الأساس في ترقّيه نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة ..

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم تأديب ، ولا تؤثر بهم موعظة !. فاتقوا الله - أيها المربون - بأولادكم ، وكونوا معهم على مستوى المسؤولية لتروا أفلاذ الأكباد شموس إصلاح ، وأقمار هداية .. يستضيء أبناء المجتمع بنورهم ، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم ، ويرتشفون من معين آدابهم .. ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

(الأنعام : ٩٠)

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..

٢ – التربية بالعــادة

من الأمور المقررة في شريعة الإسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص ، والدين القيّم ، والإيمان بالله ..

مصداقاً لقولة تبارك وتعالى : « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

ومصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري :

(كل مولود يولد على الفطرة ...) أي يولد على فطرة التوحيد والإيمان بالله ..

. **ومن هنا يأتي دور التعويد والتلقين والتأديب** في نشأة الولد ، وترعرعه على التوحيد الخالص ، والمكارم الخلقية ، والفضائل النفسية وآداب الشرع الحنيف ..

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الولد اذا تيسر له عاملان : **عامل التربية الإسلامية الفاضلة ، وعامل البيئة الصالحة فإن الولد – لا شك – ينشأ على الإيمان الحق ، ويتخلّق بأخلاق الإسلام ، ويصل إلى قمة الفضائل النفسية ، والمكارم الذاتية ...**

أما عامل التربية الإسلامية الفاضلة فالرسول صلوات الله وسلامه عليه أكده في أكثر من حديث :

– « لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي .

– « ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدب حسن » . رواه الترمذي .

– « علمّوا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » .

رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

- « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .. » رواه الطبراني .

وأما عامل البيئة الصالحة فالرسول (ﷺ) قد وجه إليه في أكثر من مناسبة :

- « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . رواه البخاري .

ويفهم من هذا الحديث أن الولد إذا تيسر له أبوان مسلمان صالحان ، لقناه مبادىء الإيمان والإسلام نشأ الولد على عقيدة الإيمان والإسلام ، وهذا هو معناه عامل البيئة المنزلية .

- « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » رواه الترمذي .

ويفهم من هذا الحديث أن الصديق للصديق إن كان صالحاً تقياً فيكتسب منه الصلاح والتقوى ، وهذا هو معناه عامل البيئة الاجتماعية سواء أكانت مدرسية أم محلية ..

ومما يؤكد أن للبيئة الصالحة أكبر الأثر في تربية المسلم على الصلاح والتقوى ، وتكوينه على أسس الإيمان والعقيدة والأخلاق الفاضلة حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين قتيلا كما رواه البخاري ومسلم ، وإليكم الحديث بكامله :

(عن أبي سعيد بن سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على راهب (أي عابد) ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، **انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء** ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ،

وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم – أي حكماً – فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضتهُ ملائكة الرحمة) .

وفي رواية : « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقرّبي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغُفر له » .

فيؤخذ من هذه النصوص التي أوردناها أن الولد حينما تتوفر له تربية صالحة من قبَل آباء صالحين ، ومعلمين مخلصين .. وتتوفّر له بيئة صالحة من قبل أصدقاء صالحين ، ورفقاء مؤمنين مخلصين .. فإن الولد – ولا شك – يتربى على الفضيلة والإيمان والتقوى ، ويعتاد كل أدب رفيع ، وخُلق جميل وعادة كريمة ..

وعلى هذه الأسس وهاتيك المبادىء درج السلف الصالح في انتقاء المربين لأولادهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة في تنشئتهم على الخير ، وتعليمهم بأكمل الأخلاق ، وأجمل الصفات ..

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : « ليكُنْ أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِيَّ إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنتَ ، والقبيح عندهم ما استقبحت وعلّمهم سيرَ الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهدّدهم بي ، وأدّبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلنّ على عذر مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وذكر الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث إلى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ » ، فقالوا : « **ما فقدنا من تربية أبنائنا** » .

● ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيْة حسنة آدابهم ، مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

ومن أراد المزيد من الشواهد في اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة لهم فليرجع إلى ما استشهدنا به في (مقدمة البحث) من « القسم الثاني » من « كتاب تربية الأولاد » ، فإنه يجد ما يبل الصدى ، ويشفي الغليل !..

* * *

ومن الخطأ الفادح أن يتوهم البعض أن الناس يولدون أخياراً أو أشراراً ، كما يولد الحَمَل (أي الخروف) وديعاً ، والنمر مفترساً ، وأنه لا يمكن تغيير الشر الكامل في الإنسان ، كما أنه لا يمكن تغيير الخير المتأصل فيه[١] ..

وهذه الدعوة الباطلة منقوضة شرعاً ، ومنقوضة عقلاً ، ومنقوضة تجربة ..

أما إنها منقوضة شرعاً فلقوله تعالى : « **وهديناه النجدين** » .

(البلد : ١٠)

أي عرّفناه طريق الخير والشر .

وقوله كذلك : « **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » .

(الشمس : ٦ — ١٠)

- وقوله أيضا : « **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** » .

(الدهر : ٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي سبق ذكره : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » .

أما انها منقوضة عقلا فلأن الله سبحانه لما أنزل الكتب وأرسل الرسل .. لأجل ماذا ، أليس في سبيل إصلاح الإنسان وسعادته في دنياه وآخرته ؟ ثم لماذا تهتم

---

(١) الذي قال بهذا الرأي « شوبنهاور » الفيلسوف الألماني ، و « وسبينوزا » الفيلسوف الهندي ، و « نيفي ربن » العربي ... ولكن أكثر الفلاسفة الأخلاقيين في الشرق والغرب قد ردوا هذا الرأي ، واعتبروه من شذوذ الأقاويل والآراء ..

الحكومات في وضع المناهج والقوانين ؟ ولماذا تشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات ؟ ولماذا تقوم على تعيين المعلمين والمختصين من علماء التربية والأخلاق والاجتماع ؟ أليس ذلك لأجل التعليم والتأديب والتخليق ، وقمع الفاسد ، وتأسيس الصالح ، وتقويم الاعوجاج ؟ وإلا .. ففيم إذن كان إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ؟ وفيم إذن وضعت الشرائع والقوانين ؟ وفيم كان ويكون عمل المؤدّبين ؟ ألا يكون ذلك عناء ومشقة بغير جدوى ؟ أولا يكون دراسة الأخلاق نفسها ملهاة وعبثاً ؟

فنستنتج بعد هذه التساؤلات والمحاكمات العقلية أن الإنسان خلق مستعداً للخير والشر جميعاً ، فإذا تيسرت له التربية الصالحة ، والبيئة الصالحة نشأ على خير ما ينشأ من الإيمان الخالص ، والأخلاق الفاضلة ، وحب الفضيلة والخير .. وكان في المجتمع إنساناً مؤمناً فاضلا كريماً !..

أما إنها منقوضة تجربة ومشاهدة فللأمور التالية :

١ – من الملاحظ في عالم الإنسان أن إنساناً ما ، عاش طويلا في بيئة الضلال والفساد ، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ .. وقد أذاق المجتمع من وبال شروره وآثامه ، وأقضّ مضجعه من ويلات شقائه وإجرامه .. وإذ برفيق صالح ، أو مربّ مؤثر ، أو داعية مخلص .. نقله من وهدة الشقاء إلى روضة السعادة ، ومن بيئة الإجرام إلى عالم البررة .. فيصبح بعد هذا الشقاء الطويل والإجرام العريق من كبار الأتقياء ، ومن أعلام الأبرار السعداء ...

وهذا كثير وكثير في عالمنا اليوم الذي يموج بالفتن ، ويزخر بالآثام ، ويتخبط بالفجور والمنكر .. ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر أو في عينيه غشاوة ! ..

٢ – ومن الملاحظ في عالم الحيوان أن الإنسان وُفّق في كل عصوره إلى نقل طباع الحيوان من النفور إلى الإلف ، ومن الصعوبة والحُرونة إلى السلاسة والانقياد ، ومن اعوجاج السير واضطرابه إلى اعتداله وانتظامه .. حتى إن الإنسان ليرقّص الخيل ، ويلاعب الطير ، ويعلّم الجوارح .. فإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات ، فكيف بالغرائز الإنسانية التي أثبت (علم النفس المقارن) أنها أسلس قياداً ، وأعظم مرونة بسبب تعارضها وتنوعها ، وقبولها للمزج والتعديل والتقويم ..

٣ – ومن الملاحظ في عالم النبات أن البذرة حين يضعها الزارع في أرض خصبة ، ويتعهدها بالماء والسماد ، ويحميها من الحشرات والطفيليات .. ثم لا يزال يلاحقها في تهذيب أشواكها ، وتقويم أغصانها ، فإن هذه البذرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويقطف الإنسان من ثمارها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستغل خيراتها على مدى الزمان والأيام ..

أما إذا كتب لهذه البذرة نصيبها من التقصير والإهمال ، لاتُغذّيها تربة ، ولا يُرويها ماء ، ولا تلاحق بالتهذيب لأشواكها ، والتقويم لأغصانها .. فإنها لا تؤتي أُكُلاً ، ولا تعطي زهراً ولا ثمراً .. بل تصبح عما قليل هشيماً تذروه الرياح ، وتتقاذفه الأعاصير ...

فكذلك النفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات ، وسجايا وجِبِلّات ، حينما تتعهدها بالأخلاق الفاضلة ، وتمدّها بماء العلوم والمعارف ، وترفدها بالعمل الصالح .. فإنها تنشأ على الخير ، وتدرج على الكمال ، ويكون صاحبها كالملك يمشي في الناس .

أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صدأ الجهل ، وغشيها عدوى خلطاء السوء ، وتراكم عليها أنقاض العادات الذميمة .. فإنها – ولاشك – تنشأ على الشر والفساد ، وتتقلب في مستنقع التحلّل والإباحية .. ويكون صاحبها كالوحش الأعجم يمشي في الناس ، ويظن نفسه من الأناسيّ الكرام .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن دعوى الذين يقولون إن الطباع الإنسانية من شر أو خير لا يمكن تغييرها ولا تعديلها هي في الحقيقة دعوى باطلة ينقضها الشرع ، ويردها العقل ، وتكذبها التجربة والمشاهدة ، ويبطلها الجمهرة الغالبة من علماء النفس والتربية والأخلاق !..

ونجتزيء في هذا المجال بعض ما قاله الغزالي ـ في إحيائه ـ في تعويد الولد خصال الخير أو مبادىء الشر باعتبار قابليته وفطرته . يقول رحمه الله : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عوّد الخير وعلّمه نشأ عليه ، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة ، وإن عوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ... ».

وذهب ابن خلدون – في مقدمته – مذهب الغزالي في قابلية الولد واستعداده ، وإمكانية إصلاحه بعد فساده .. بل كثير من فلاسفة الغرب أو الشرق ذهبوا هذا المذهب ، وسلكوا ذلك الاتجاه .

ورحم الله من قال :

وينشأ ناشئُ الفتيان فينا
على ما كان عوّده أبوهْ
وما دان الفتى بحجى ولكنْ
يعــوّده التديّــن أقربــوهُ

* * *

وعلى المربي أن يميّز في إصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه بين عُمْرَين ، وأن يفرق في تعويده وتأديبه بين سنّين :

فالكبار لهم منهجهم وطريقتهم ..

والصغار كذلك لهم منهجهم وطريقتهم ..

فمنهج الإسلام وطريقته في إصلاح الكبار – وهم سنّ ما بعد البلوغ – يعتمد على ثلاثة أمور أساسية :

١ – الربط بالعقيدة .

٢ – تعرية الشرّ .

٣ – تغيير البيئة .

أما الربط بالعقيدة فهو من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى ، واستشعاره عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال ، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية ، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن ، فلا يكون عبداً لشهوته ، ولا أسيراً لأطماعه وأهوائه .. بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله وكما أوحى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام .. دون تردّد أو حرج ، وشعاره في هذا قوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

﴿ وماآتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

(الحشر : ٧)

لأن من مقتضيات هذا الإيمان الأخذ بالشريعة بلا حرج ، والاستسلام الكامل لتعاليم الإسلام :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .

(النساء : ٦٥)

ولا شك أن العبادات بكليتها ، والأذكار والأوراد بجملتها ، وتلاوة القرآن الكريم وتدبّره في آناء الليل ، وأطراف النهار ، واستشعار العظمة الإلهية في كل الظروف والأحوال ، والإيقان بالموت وما بعده ، والإيمان بعذاب القبر وسؤال ملكين ، والاعتقاد بعوالم الآخرة ، وأهوال يوم القيامة ... كل ذلك يولّد في المؤمن استمرارية المراقبة لله عز وجل ، وتجعل منه الإنسان المستقيم المتوازن الذي يبني توازنه في الحياة على التوفيق بين مطالب الروح ، ومطالب الجسد ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة .. فيؤدي كل ذي حق حقه بلا إهمال ولا تقصير .. وشعاره في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « إن لله عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً .. فأعط كل ذي حقٍّ حقه » .

ومن الأمور المسلّمة أن الفرد المؤمن حين يقوى في نفسه جانب المراقبة لله عز وجل ، وحين تتولد لديه الإرادة الذاتية للسيطرة على النفس الأمارة ونزعات الهوى .. فإن هذا الفرد ينصلح من داخله ، ويقيم لأموره ميزاناً من عقيدته وضميره .. فلا يضل ولا يفسق ، ولا ينحرف ولا يشقى .. لاعتقاده الجازم أن عين الله الساهرة ترقبه وتراه ، وتعلم سرّه ونجواه ، وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

ومن هنا كان السر حين وقف الصحابة الكرام هذا الموقف العظيم المشرف من تحريم الخمر لما قالوا بصوت واحد (انتهينا ربّنا) ، وأتبعوا هذا القول بالفعل لمّا أراقوا دِنان الخمر وقِلالها في طُرُق المدينة ..

ومن هنا كان السر في انصلاح المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه حتى أن القاضي عمر بن الخطاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما ظل سنتين في مجلس القضاء ولم يختصم إليه اثنان ، وقد قيل : إن عمر جاء الى الخليفة أبي بكر ليعفيه من منصبه لكونه قاعداً في هذه السنوات بلا عمل ولا فصل فى الخصومات !..

ولا شك أن السر فى هذا استشعار الصحابة رضوان الله عليهم رقابة الله في كل أمورهم وأحوالهم ، فلماذا يختصمون والمنهج الرباني بين أيديهم ؟ ولماذا يختلفون وخشية الله ملأت قلوبهم وجوارحهم ؟ ولماذا ينحرفون وهم يؤدون كلّ ذي حق حقه في الحياة ... ؟

ألا فليعتبر أولو الأبصار !..

أما تعرية الشر فهو من أعظم السبل في إقناع الكبار على ترك المنكر ، والنفور من الفساد والإثم ..

وهذه التعرية للشر ، والانفضاح للباطل هي الطريقة التي اتبعها القرآن الكريم في إقناع الجاهلية بنبذ تقاليدها وعاداتها ، وهجر شرورها وآثامها ، ولنضرب على ذلك مثلاً : الإسلام حين حرم الخمر كان التحريم بآيات قرآنية تتنزل بين كل فترة وفترة تكشف عن آثام الخمرة ، وعن أثرها السيىء في الإنسان ، وعن مضارها الخلقية والاجتماعية والدينية ..

- فأول ما نزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ .

(النحل : ٦٧)

فقابل بين السكر وبين الرزق الحسن ليشعر أهل العقول الراجحة أن الخمر شيء ، والرزق الحسن شيء آخر حتى تتنبّه أحاسيسهم على التحريم فيما بعد .

– وثاني ما نزل :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ ، وإثمُهما أكبر من نفعهما ﴾

(البقرة : ٢١٩)

فرجّح جانب الإثم على جانب النفع التجاري .. لتتزحزح النفس عن إلفها المتأصل ، وتتحول عن عادتها المستحكمة .

– وثالث ما نزل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ .

(النساء : ٤٣)

فذكر أثرها السيىء على العقول ، وما تحدثه من تشويشات وأخلاط عدا عن الامتناع عن تناول الخمر وتعاطيها في أوقات الصلاة .

- ورابع ما نزل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ .

(المائدة : ٩٠ – ٩١)

فما معنى أن القرآن أشرك الخمر بالميسر والأصنام ، ثم وصفها بأنها رجس ، ثم نبّه أنها من عمل الشيطان ، ثم ذكر مضارها الخلقية بكونها توقع بين الناس العداوة والبغضاء ، وأعقب ذلك مضارها الدينية بكونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ فما معنى كل هذا ؟ أليس معناه أن الخمر قد تعرّت على حقيقتها ، وبان لأهل الحجى

والعقول مساؤوها وخطرها ؟فهل يستنكف ـ بعد هذا البيان والتعرية ـ أحد عن تحريمها والابتعاد عنها ؟ فلا شك أن المؤمن العاقل المنصف يقول : انتهيتُ يا رب بعد أن بيّنت وفصّلتَ وحرّمتَ .. وهذا ما فعله الصحابة رضوان الله عنهم بعد أن انفضحت الخمر ، ونزلت آية التحريم !..

وقس على ذلك تحريم القرآن الكريم لكل المعتقدات الجاهلية ، والمفاسد الاجتماعية كالإشراك بالله ، والزنى ، والربا ، والميسر ، وقتل النفس ، ووأد البنات ، وأكل مال اليتيم .. وغيرها ، فإن القرآن الكريم لم يحرمها إلا بعد أن عرّاها على حقيقتها ، وذكر الكثير من مساوئها ، وأهاب بأصحاب العقول الراجحة أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها لكونها تؤدي بالفرد والمجتمع إلى أسوأ النتائج ، وأفدح الأخطار !..

أما تغيير البيئة فهو لا يقل أهمية عن الأسس الأخرى في إصلاح الفرد وهدايته ، وتربيته وإعداده ..

وإلا .. فلماذا أذِنَ الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة المنورة ؟ ولماذا أمر النبي (ﷺ) أصحابه بأن يهاجروا ؟ .

أليس من أجل التكوين والإعداد في بيئة صالحة لا يباح في نواديها المنكر ، ولا تُقترف في ربوعها الآثام والمحرمات ؟

أليس من أجل إقامة دولة تحت ظل التشريع المنزّل ، وتحت راية الوحدة الشاملة ؟

أليس من أجل إصلاح الفرد المسلم في مجتمع يحكمه الإسلام ، ويتنزل عليه القرآن ؟.

وسبق أن ذكرنا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، وجاء يسأل أعلم أهل الأرض هل له من توبة ؟ فكان جواب السائل :

« انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء ... » .

أليس يدل هذا الحديث على أن للبيئة الصالحة سلطاناً كبيراً في إصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه ، وتخليصه من أرذل العادات ، وأقبح الصفات ؟

وسبق أن ذكرنا أيضاً حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فيما تتركه الصحبة من أثر حسن أو سيء في نفس الفرد المصاحب لكون المرء على دين خليله .. ولكون الخلطة لها أكبر الأثر في الصلاح أو الفساد !..

ومن هنا نعلم أن نقطة بدء إصلاح الفرد – ولو كان كبيراً هو تغيير البيئة الفاسدة من محيط متحلل ، وخلطاء أشقياء ، وعشيرة جاهلة ..

والذي نخلص إليه بعدما تقدم :

أن منهج الإسلام في إصلاح الكبار يقوم على أسس ثلاثة لها أكبر الأثر في تعديل الأخلاق ، وتقويم الاعوجاج :

فالربط بالعقيدة يتولد عند الكبير الشعور بالمراقبة ، والخشية من الله في السر والعلن ، وهذا ما يقوي في نفسه الإرادة الذاتية ليكف عن المحرمات ، ويتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات ..

وبتعرية المنكر والشر يقتنع الكبير بترك المفاسد ، ويعزم كل العزم على التخلي عن الرذائل .. بل يكون عنده الطمأنينة النفسية والقلبية لهجر كل ما هو آثم وفاجر ..

وبتغيير البيئة الاجتماعية يتهيأ لإصلاح الكبير الوسط الخيّر ، والجو الصالح ، وحياة الشرف والكرامة .. بل تتصلح مع الأيام أحواله ، وتزدان مع الزمن أفعاله وأخلاقه ..

فما على المربين الاجتماعيين إلا أن يأخذوا بمنهج الإسلام في إصلاح الكبار إن أرادوا لأفراد الأمة أمناً وخيراً ، ولأبناء المجتمع سلامة واستقراراً ..

. ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

(يوسف : ١٠٨)

أما منهج الإسلام في إصلاح الصغار فيعتمد على شيئين أساسيين :

١ – التلقين .

٢ – التعويد . .

ونقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية .

ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد .

ولما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى .. كان لزاماً على المربين من آباء وأمهات ومعلمين .. أن يركّزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة ..

وسبق أن ذكرنا ما قاله الإمام الغزالي : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ... » .

وأريد في هذا المجال أن أضرب للمربين بعض الأمثلة في تلقين الصغار وتعويدهم مبادىء الخير عسى أن تكون لهم نبراساً وبصائر :

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم كلمة « لا إله إلا الله » لِما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » وهذا هو الجانب النظري ..

أما الجانب العملي لهذا التلقين فهو تهيئة الولد وتعويده أن يؤمن بقرارة نفسه وأعماق وجدانه أن لا خالق ولا مبدع ولا إله إلا الله سبحانه .. ولا يكون ذلك إلا عن طريق الآثار التي يراها الطفل كالزهرة ، والسماء ، والأرض ، والبحر ، والإنسان .. وغيرها من المخلوقات ليستنتج ذهنياً ، ويستدل عقلياً على المؤثّر وهو الله سبحانه ..

إذن فالحقيقة التي يصل إليها المربي مع الطفل أن هذا الكون مليء بالموجودات التي تقع تحت نطاق السمع والبصر وأن هذه الموجودات لا يمكنها أن توجد نفسها

باعتبار أنها جامدة وباعتبار أنها لا تتصف بعقل ولا تدبير ، ولا علم ولا إرادة .. إذن لابد لها من مُوجِد أوجدها وهو الله سبحانه .

وهكذا يمكن أن يصل المربي بالطفل إلى الإيمان بالله الواحد المبدع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض .. وعن طريق التدرج معه من المحسوس إلى المعقول .. ومن الجزئي الى الكلي .. ومن البسيط إلى المركب .. حتى يقتنع الولد وجدانياً وعقلياً في قضية الإيمان بالله عز وجل عن حجة وبرهان[1] ..

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لما روى الحاكم وأبو دواد عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » ، وهذا هو الجانب النظري ..

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة ، وأدائها في المسجد بجماعة .. حتى تصبح الصلاة في حقه خُلقاً وعادة .

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم أحكام الحلال والحرام ، لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : « ... ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

وهذا هو الجانب النظري .

أما الجانب العملي فهو ترويض الولد وتدريبه على امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، فإذا وجد المربي الولد فعل منكراً أو اقترف إثماً .. من سرقة أو شتيمة .. يحذره ويقول له : إن هذا منكر وهو حرام ..

---

(١) وسبق أن فصلنا القول عن قضية الإيمان بالله في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » فارجع إليه .

وإذا وجده فعل خيراً أو صنع معروفاً .. من صدقة أو تعاون .. يرغّبه ويقول له : إن هذا معروف وهو حلال .. وهكذا يلاحظه ويلاحقه حتى يصبح الخير في حقه خُلقاً وعادة ..

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم محبة نبيهم ، ومحبة آل بيته وأصحابه وتلاوة القرآن الكريم ، لما روى الطبراني عن عليٍّ كرم الله وجهه أنه (ﷺ) قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبِّ نبيكم وحبِّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

وهذا هو الجانب النظري .

أما الجانب العملي فهو أن يجمع المربي أولاده ويقرأ عليهم مغازي رسول الله (ﷺ) وسيرة آل بيته وأصحابه ، وشخصيات القادة والعظماء في التاريخ .. ويعلمهم تلاوة القرآن .

حتى يتأسى الأولاد بسير الأولين بطولة وجهاداً ..

وحتى يرتبطوا بالتاريخ الإسلامي شعوراً ووجداناً ..

وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم دستوراً ومنهاجاً ..

وسبق أن ذكرنا ما روته كتب التاريخ والأدب أن المفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتم خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدب ، فحفظ القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورُغِّب في مفاخر قومه ، ولُقِّن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحُلم حملتهُ على أعناق الخيل ، فتمرس وتفرس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى إلى صوت الصارخ .. » .

وهذا هو التلقين والتعويد بمعناهما المراذين ، أو إن شئت فقل هذان هما الجانبان : النظري والعملي في تكوين الولد وإعداده وتأديبه ، وتهيئته ليكون رجل العقيدة والعمل والجهاد ..

هذه بعض الصور والنماذج في تلقين الولد وتعويده ، وضع أصولها ومبادئها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وهي تدخل في إطار المنهج العام الذي رسمه الإسلام في تكوين الولد عقيدياً ، وإعداده إيمانياً .. ولا شك أن المربي حين يسعى جهده ، ويبذل كل ما في وسعه في تربية الصغير وتأديبه ، وتلقينه وتعويده .. فإنه سيكون على الغالب من جنود الإسلام ، ومن رجال العقيدة والدعوة والجهاد .. تفتخر الأمة بوجوده ، ويسعد المجتمع باتزانه وأخلاقه ..

ومن الأمور الهامة التي ينبغي أن يعلمها المربون في تأديب الولد على خصال الخير ، وتعويده على مكارم الأخلاق :

هو اتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حيناً ، وبمنح الهدايا أحياناً ، وانتهاج أسلوب الترغيب تارة ، واستعمال طريقة الترهيب تارة أخرى ، وقد يضطر المربي في بعض الحالات أن يلجأ الى العقوبة الزاجرة إذا رأى فيها مصلحة الولد في تقويم الانحراف والاعوجاج ..

كل هذه الأساليب تنفع في تعويد الولد على الفضائل النفسية ، والمكارم الخلقية ، والآداب الاجتماعية .. وتجعل منه إنساناً فاضلا كريماً متوازناً مستقيماً .. له في القلوب محبة ، وفي النفوس إجلال واحترام ..

* * *

وأخيراً أقول : إن المربين على اختلاف أشكالهم وأحوالهم إذا أخذوا بمنهج الإسلام في تربية العادة ، وبأسلوبه في تكوين العقيدة والخلق .. فإن الأولاد على الأغلب سينشئون على العقيدة الإسلامية الراسخة ، والخلق القرآني الرفيع .. بل يعطون لغيرهم القدوة الصالحة ، في كريم فعالهم ، وجميل صفاتهم ..

فما على المربين إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، ويعطوا لتربية أولادهم حقها من التلقين والتعويد ، والتهذيب .. فإذا فعلوا ذلك .. فيكونون قد اضطلعوا بمسؤلياتهم وقاموا بواجباتهم ، وبرّؤوا ذمّتهم أمام الله ، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام ، ورسخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار ، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن ، والمجتمع المسلم ، والأمة الصالحة .. وما ذلك على الله بعزيز !!..

وفي تقديري أن التربية بالعادة والتأديب هي من أقوم دعائم التربية ، ومن أمتن وسائلها في تنشئة الولد إيمانياً ، وتقويمه خلقياً .. ذلك لأنها تعتمد على الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على الترغيب والترهيب ، وتنطلق من منطلقات إرشادية وتوجيهية ، فما أحوجنا الى مربين يؤدون رسالتهم على الوجه الأكمل ، ويعطون للتربية الإسلامية حقها من الاهتمام والعمل ، والدأب والمصابرة ، والتلقين والتأديب .. ليروا أفلاذ أكبادهم في المستقبل القريب ، دعاة رسالة ، ورجال إصلاح ، وشباب دعوة ، وجنود جهاد ..

ولا شك أن تأديب الولد وملاحقته منذ الصغر هي التي تعطي أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات .. بينما التأديب في الكبر فيه من المشقة لمن يريد الكمال والأثر .. ورحم الله من قال :

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلتْ
ولا تلين – ولو ليّنته – الخشبُ

* * *

٣ - التربيـــة بالمَوعِظَـــة

من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانياً ، وإعداده خلقياً ونفسياً واجتماعياً .. تربيته بالموعظة ، وتذكيره بالنصيحة ، لما للموعظة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء ، ودفعه إلى معالي الأمور ، وتحليه بمكارم الأخلاق ، وتوعيته بمبادىء الإسلام .. فلا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهجها ، وخاطب النفوس بها ، وكررها في كثير من آياته ، وفي مواطن عدّة من توجيهاته وعظاته ..

وإليكم بعض النماذج في تكرار القرآن العظيم لكلمات الوعظ والنصيحة والانتفاع بالذكر :

– قال الله تعالى في سورة لقمان :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور .. ﴾ .

(١٢ - ١٩)

وقال تعالى في سورة سبأ على لسان الأنبياء عليهم السلام :

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجْرِيَ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ، قل إن ربي يقذف بالحق علّام الغيوب ، قل جاء الحق وما يُبْدِىء الباطل وما يُعيد ... ﴾ .

(٤٥ - ٤٩)

- وقال الله تعالى في سورة هود على لسان نوح عليه السلام :

﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تَعِدُنا إن كنت من الصادقين ، قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحي إن أردتُ أن انصحَ لكم إن كان الله يريد أن يُغويَكُم هو ربكم وإليه تُرجعون .. ﴾

(٣٢ - ٣٤)

- وقال الله تعالى في سورة الأعراف على لسان هود عليه السلام :

﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ، قال الملأُ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين ، أبلغكُمْ رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين ... ﴾

(٦٥ - ٦٨)

وأسلوب القرآن الكريم متنوع في الدعوة إلى الله ، وفي التذكير بالله ، وفي إلقاء الموعظة ، والإرشاد بالنصيحة .. حيث جرى ذلك كله على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتردّد على أفواه الدعاة من جماعتهم وأتباعهم ..

ولا يختلف اثنان أن الموعظة المخلصة ، والنصيحة المؤثرة إذا وجدت لها نفساً صافية ، وقلباً متفتحاً ، وعقلا حكيماً متدبّراً .. فإنها أسرع للاستجابة ، وأبلغ في التأثير ..

والقرآن الكريم قد أكد هذا المعنى في كثير من آياته ، وكرر الانتفاع بالذكرى ، والتأثر بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة :

- ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .
(ق : ٣٧)

- ﴿ وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .
(الذاريات : ٥٥)

﴿ وما يدريك لعله يزكّى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ .
(عبس : ٢ — ٣)

- ﴿ (تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ﴾ .
(ق : ٨)

- ﴿ ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ .
(هود : ١١٤)

- ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ .
(الطلاق : ٢)

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتخذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهج الدعوة ، وطريقاً إلى الوصول لإصلاح الأفراد ، وهداية الجماعات .. ومن استعرض صفحات القرآن الكريم يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة في كثير من آياته .. تارة بالتذكير بالتقوى ، وأخرى بالتنويه بالتذكرة ، وثالثة بالتعبير بالموعظة ، ورابعة بالحض على النصح ، وخامسة باتباع سبيل الرشاد ، وسادسة بالإغراء بالترغيب ، وسابعة باستعمال أسلوب التهديد .. وهكذا يجد القارىء ظاهرة الوعظ متناسبة في ألفاظ

القرآن الكريم ومعانيه بقوالب متعددة ، وأساليب متنوعة .. مما يؤكد لكل ذي بصر وبصيرة أن للوعظ في القرآن الكريم أهمية بالغة في تربية النفوس على الخير ، وحملها على الحق ، واستجابتها للهدى ..

وسبق أن ذكرنا جملة من الاستشهادات القرآنية التي تُفصح بشكل قاطع لا يقبل الشك أن النفوس الصافية ، والقلوب ، المتفتحة ، والعقول الواعية المتدبِّرة .. إذا تراءى لها الحق منساباً بالكلمة المؤثرة ، والموعظة البليغة ، والنصيحة الرشيدة ، والتذكرة المخلصة .. فإنها سرعان ما تستجيب في غير تردّد ، وتتأثر من غير توقف .. بل سرعان ما تخضع للحق ، وتتقبل هدى الله الذي أنزله !..

هذا في الكبير .. **فكيف بالمولود الصغير** الذي ولد على الفطرة وقلبه الطاهر البريء لم يتلوث بعد ، ونفسه البيضاء الصافية لم تتدنس بمفاسد الجاهلية ، ولم تتقلبّ في مدارج الإثم والعدوان .. ؟

فلا شك أن تأثره بالموعظة أبلغ ، وقبوله للتذكرة أقوى !..

فما على المربين إلا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعداد أولادهم الصغار – قبل سن التمييز وبعده – إيمانياً وخلقياً ، وتكوينهم نفسياً واجتماعياً .. إذا أرادوا لأولادهم الخير والكمال ، والنضج الخلقي والعقلي والاتزان !..

* * *

ولابد في هذا المضمار إلا أن نلمح طريقة القرآن الكريم في الموعظة والنصح عسى أن ينتهجها من كان له في عنقه حق التربية ، ليصلوا بأولادهم أو تلامذتهم إلى الغاية المثلى في الإعداد والتكوين ، والتهذيب والتعليم ..

وفي تقديري أن طريقة القرآن في الموعظة تتميز بالأساليب التالية :

١ – النداء الإقناعي : مصحوباً بالاستعطاف أو الاستنكار :

وهذا الأسلوب له إيحاءاته المؤثرة على المشاعر ، وتأثيره البالغ في القلوب ..

وهذا الأسلوب من الإقناع الاستنكاري أو الاستعطافي ظاهر واضح في مخاطبة القرآن الكريم لقلوب الناس وعقولهم على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وطبقاتهم على ألسنة الأنبياء والدعاة ..

وإليكم نماذج من هذه النداءات بأساليبها المتنوعة :

● نداؤه للأبناء :

- **﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله ... ﴾ .**

وعلى لسان نوح عليه السلام :

﴿ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ... ﴾ .

(هود : ٤٢)

- وعلى لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ .

(يوسف : ٥)

- وعلى لسان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام :

﴿ يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

(البقرة : ١٣٢)

● نداؤه للنساء :

على لسان الملائكة لمريم عليها السلام :

﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .. ﴾ .

(آل عمران : ٤٢ — ٤٣)

– ﴿ يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً ﴾ .

(الاحزاب : ٣٢)

● نداؤه للأقوام :

– على لسان موسى عليه السلام :

﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

(البقرة : ٥٤)

– وعلى لسان موسى عليه السلام كذلك :

﴿ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين ﴾ .

(المائدة : ٢٠)

– وعلى لسان الداعية الذي آمن من قوم موسى :

﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار .. ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ... ﴾ .

(المؤمن : ٣٨ – ٤١)

– وعلى لسان الجن الدعاة :

﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ .

(الأحقاف : ٣٠ – ٣١)

• ندؤاه للمؤمنين :

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين .. ﴾ .

(البقرة : ١٥٣)

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. ﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم .. ﴾ .

(الأنفال : ٢٤)

• نداؤه لأهل الكتاب :

- ﴿ ... يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعْبُدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

(آل عمران : ٦٤)

- ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ... ﴾ .

(المائدة : ٦٨)

• نداؤه للناس أجمعين :

- ﴿ يا أيها الناس اعبدو ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ .

(البقرة : ٢٠ - ٢٢)

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً .. ﴾ .
(النساء : ١٧٤)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .. ﴾ .
(الحج : ١ - ٢)

وهذا النداء كثير في القرآن الكريم .

٢ - الأسلوب القصصي مصحوبا بالعبرة والموعظة :

وهذا الأسلوب له تأثيراته النفسية ، وانطباعاته الذهنية ، وحججه المنطقية والعقلية .. وقد استعمله القرآن الكريم في كثير من المواطن ولاسيما في أخبار الرسل مع أقوامهم ، وقد منَّ الله سبحانه على رسوله عليه الصلاة والسلام بأن قصَّ عليه أحسن القصص ، ونزّل عليه أحسن الحديث .. ليكون للناس آية وعبرة ، وللرسول عليه الصلاة والسلام عزماً وتثبيتاً :

- ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ... ﴾ .
(يوسف : ٣)

﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ... ﴾ .
(الأعراف : ١٠١)

- ﴿ وكلًّا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... ﴾ .
(هود : ١٢٠)

- ﴿ فاقصص القصصَ لعلهم يتفكرون ... ﴾ .
(الاعراف : ١٧٦)

- ﴿ هل أتاك حديث موسى ... ﴾ .

(النازعات : ١٥)

- ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين .. ﴾ .

(الذاريات : ٢٤)

- ﴿ هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ... ﴾ .

(البروج : ١٧ - ١٨)

والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ، وأحياناً تكون القصة مكررة في سور عدّة من القرآن ، لإظهار القصة في كل مرة بأسلوب جديد يختلف عن أسلوبها في المرات السابقة ، لتذوّق الإعجاز القرآني في أسلوبه الرائع ، وبيانه الفريد من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإظهار عبرة أخرى تكمن وراء الآيات ، وتتراءى خلال الألفاظ والمعاني التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم ، والمتذوقون لبلاغة القرآن الكريم !..

ولنضرب على ذلك مثلا :

قصة موسى عليه السلام مع فرعون مذكورة مرات ومرات في القرآن ، فلنختر قصتين من هذه القصص ، ثم نقارن بينهما ليعلم القارىء سر هذا التكرار :

القصة الأولى في سورة الأعراف

﴿ .. وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ، حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحقَّ قد جئتكم ببينةٍ من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل ، قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ... ﴾ . (١٠٤ ـ ١٠٧) وانظر ما بعدها ....

القصة الثانية من سورة النازعات

﴿ هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالوادِ المقدس طوى ، اذهب الى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلىٰ أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ .

من المقارنه بين القصتين يتبين الأمور التالية :

١ – الأولى مفصلة وطويلة ، والثانية مختصرة وقصيرة .

٢ – فرق كبير بين الأسلوبين ، سواء ما يتعلق بالآيات وفواصلها في طولها وقصرها ، أو معانيها وتراكيبها ، أو صيغ الأمر والنهي فيها ...

٣ – التركيز على العبرة في سورة الأعراف يتناول :

(أ) إقامة الحجة على فرعون .

(ب) إظهار المعجزات الدالة على صدق موسى عليه السلام .

(ج) الحوار الذي جرى بين موسى والسحرة .

(د) إيمان السحرة بعد قيام الحجة .

(هـ) تهديد فرعون ووعيده .

(و) عدم اكتراث السحرة بالتهديد بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلوبهم .

(ز) أخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ..

(ح) انتقام الله منهم بالغرق .

أما التركيز في سورة النازعات فيتناول :

(أ) إهلاك الله لفرعون لادعائه الألوهية .

(ب) أخذ العبرة لمن يريد أن يتذكر أو يخشى .

بعد هذا البيان تبين لك الفرق الكبير ما بين القصتين ، سواء ما يتعلق بالتذوق البلاغي ، أو بأخذ العبرة والعظة ، إذن لا يجوز أن نرى في القصص المعادة مجرد تكرار ، لأن القصص التي كررها القرآن الكريم ليست كذلك كما رأيت من الفارق الكبير من عرض القصتين !..

٣ – التوجيه القرآني مصحوباً بالوصايا والمواعظ :

القرآن الكريم مليء بالآيات المصحوبة بالوصايا ، وبالنصوص المقرونة بالمواعظ لتوجيه القارىء إلى ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته ، وتكوينه في روحه وعقله وجسمه ، وإعداده ليكون رجل دعوة ، وبطل جهاد ..

وللقرآن الكريم تأثيره البالغ على الأرواح والقلوب ، فحينما يسمع المسلم آيات الله تتلى ، يتخشّع لها قلبه ، وتتوق إليها نفسه ، وتتحرك لجَرْسِها روحه .. فيعاهد الله سبحانه على أن يعمل بمواعظها ، ويستجيب لوصاياها ، ويمتثل أوامرها ، ويجتنب نواهيها .. لأنها تنزيل من حكم حميد ، فيها البلسم الشافي لأسقامه . والعلاج الواقي لأمراض الأجسام ، وآفات القلوب ..

وإليكم بعض هذه النماذج التوجيهية من القرآن الكريم :

(أ) **من سورة لقمان : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ... »** (آية ١٣)

(ب) **﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومُقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومَن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومَن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ، والذين لا يشهدون الزورَ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يَخروا عليها صُمًّا وعمياناً ، والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسُنت مستقراً ومُقاماً ، قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً ﴾ .**

(الفرقان : ٦٣ – ٧٧)

(ج) ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارِ ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب مَن كان مختالا فخوراً ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً ، والذين ينفقون أموالهم رِئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساءَ قريناً ﴾ .

(النساء : ٣٦ – ٣٨)

(د) ﴿ ليس البر : أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمنَ بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حُبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

(البقرة : ١٧٧)

هـ) ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذُل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ، وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطانُ لربه كفوراً ، وإما تُعرِضَنَّ عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِرُ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ومَن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً

فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلُغ أشدَّهُ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ، وأوفوا الكيل إذا كِلتُم وزِنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به عِلم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ، ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئهُ عند ربك مكروهاً ﴾ .

(الأسراء : ٢٣ – ٣٨)

إلى غير ذلك من هذه الوصايا ، والمواعظ ، والتوجيهات ، والأوامر ، والنواهي .. التي تفيض فيها آيات الله ، ويدعو إليها قرآنه المجيد !!..

ويتفرع من هذا :

(أ) التوجيه القرآني المصحوب بادوات التوكيد : كقوله تعالى :

﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ، وقوله : ﴿ إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون ﴾ ، وقوله : ﴿ إن في ذلك لايات لقوم يسمعون ﴾ وقوله : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ...

(ب) التوجيه القرآني المصحوب بأدوات الاستفهام الإنكاري :

كقوله تعالى :

﴿ أم يقولون شاعر نتربصُ به ريب المنون ؟ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ .

﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ؟ ﴾

﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ؟ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . ﴾

﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ ﴾

﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ؟ ﴾

﴿ أم عندهم خزائن ربِّك أم هم المصيطرون ؟ ﴾

﴿ أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ؟. ﴾
﴿ أم له البنات ولكم البنون ؟ ﴾
﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ؟. ﴾
﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟. ﴾
﴿ أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ؟. ﴾
﴿ أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ؟. ﴾

« الطور : ٣٠ – ٤٣ »

(هـ) التوجيه القرآني المصحوب بالأدلة العقلية : كقوله تعالى :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

(البقرة : ١٦٤)

- ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾.
(الأنبياء : ٢٢)

- ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ ﴾.

(الطور : ٣٦)

- ﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ ﴾ .
(الذاريات : ٢٠ – ٢١)

(د) التوجيه القرآني المصحوب بشمولية الإسلام : كقوله تعالى :

- ﴿ ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام

الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .
(البقرة : ١٧٧)

- في سورة النحل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ .
(النحل : ٨٩)

- في سورة الأنعام : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ .
(الأنعام : ٣٨)

(هـ) التوجيه القرآني المصحوب بقواعد التشريع : كقوله تعالى :
- في قاعدة العدل القضائية : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نِعِمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ .
(النساء : ٥٨)

- وكقوله في قاعدة الشورى الدستورية : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ .
(آل عمران : ١٥٩)

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾
(الشورى : ٣٨)

- وكقوله في قاعدة المساواة الإنسانية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .
(الحجرات : ١٣)

تلكم أهم الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في نصائحه ومواعظه .. وهي أساليب متنوعة لها إيحاءاتها المؤثرة ، وحساسياتها البالغة ، واهتزازاتها الضاربة على أوتار القلوب !.. ومن بدهيّات القول أن المربين جميعاً لو سلكوا هذه الأساليب

التي انتهجها القرآن الكريم في تأديب أولادهم ، وتهذيب أفلاذ أكبادهم .. لنشأ الأولاد – ولا شك – على خير ما ينشؤون من التربية الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، والسلوك الإنساني القويم ، والوعي الإسلامي الشامل ..

* * *

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم للنصيحة ، ووجه المربين والدعاة .. إلى إلقاء الموعظة ، وأهاب بكلّ مسلم في الحياة أن يكون الداعية إلى الله في كل مكان يحل فيه ، وفي كل بيئة يوجد فيها .. عسى أن يتأثر بمواعظه وإرشاداته من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعسى أن يقوم بمهمة الإنقاذ – عن طريق الدعوة والموعظة – لرجال توحّلوا في مستنقع الجاهلية ، وتعثروا في دروب الانحلال ، وضاعوا في متاهات الزيغ والضلال ..

وإليكم أهم توجيهاته عليه الصلاة والسلام في بث النصيحة ، وإلقاء الموعظة ، والدعوة إلى الله :

– روى مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمَنْ ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

– وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله (ﷺ) على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

– وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » .

– وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ دعا الى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تَبعهُ لا ينقُص ذلك من أجورهم شيئاً ... » .

– وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال لعليّ كرم الله وجهه لما وجهه الى فتح خيبر : انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، فوالله لأَنْ يهديَ الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمرِ النَّعَمِ[1] » .

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة ومستفيضة ، فعلى المربين أن يأخذوا بتوجيهاتها ، وأن يكونوا محققين لما جاء فيها .. ولا سيما الأمور التي تخص أولادهم وتلامذتهم ومريديهم ..

* * *

ومعلمنا الأول : عليه الصلاة والسلام له منهجه الأفضل ، وطريقته المثلى في إلقاء الموعظة ، وتجدد أسلوبها ، وتنوع عرضها ..

وإليكم أهم ما في هذا المنهج وهذه الطريقة[2]:

(**أ**) **انتهاج أسلوب القصة** : ولنذكر بعض الأمثلة :

١ – قصة الأبرص والأقرع والأعمى :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : إن ثلاثة من بني إسرائيل : « أبرص ، وأقرع ، وأعمى » ، أراد الله أن يبتليهم (يختبرهم) ، فبعث إليهم ملكاً ، **فأتى الأبرص** :

الملك : أيّ شيء أحب إليك ؟

الأبرص : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا .

---

(١) أي خير من أن تكون لك حمر النعم ، والنعم : الإبل ، والحمر منها أنفسها .

(٢) استفدت كثيراً من بحث « الرسول المعلم » لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، المنشور في « محاضرات الموسم الثقافي العاشر » للكليات والمعاهد ص٣ .

الملك : فأي المال أحب إليك ؟
الأبرص : الإبل ، فأعطي ناقة عُشَراء (حاملًا) .
الملك : بارك الله لك فيها ..

فأتى الأقرع :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟
الأقرع : شعر حسن ، ويذهب عني هذا الذي قَذِرني الناس . فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ...
الملك : فأي المال أحب إليك ؟
الأقرع : البقر ، فأعطي بقرة حاملًا .
الملك : بارك الله لك فيها ..

فأتى الأعمى :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟
الأعمى : أن يردّ الله بصري ، فأبصِرَ الناس ، فردّ إليه بصره .
الملك : فأي المال أحب إليك ؟
الأعمى : الغنم ، فأعطي شاة والداً (حاملًا) .

فأنتجَ هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته :

الملَك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم (أي معونة من مال) إلا بالله ثمّ بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ، بعيراً أتبلّغ به في سفري .
الأبرص : الحقوق كثيرة !!..
الملك : كأني أعرفك ألم تكن أبرص تقذرك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟.

الأبـــرص : إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر (أباً عن جد) !!
المـــلك : إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته :

المـــلك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن ، والمنظر الحسن ، والمال ، بقرة أتبلَّغ بها في سفري .
الأقـــرع : الحقوق كثيرة !!..
المـــلك : كأني أعرفك ، ألم تكن أقرع يقذرك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟
الأقـــرع : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر !!.
المـــلك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته :

المـــلك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردّ عليك بَصرك ، شاة أتبلَّغ بها في سفري .
الأعمـــى : قد كنتُ أعمى فرد الله إليّ بصري ، فخذ ما شئت ، ودعْ ما شئت ، فوالله لا أُجهدك (لا أعارضك) بشيء أخذتَه لله عز وجل .
المـــلك : أمسك مالَك فإنما ابْتُليتُم (اختبرتُم) ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك) ..

٢ – قصة الخشبة العجيبة :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلِفَه (يُقرضه) ألف دينار .

المقـــرِض : ائتني بالشهداء أُشهدهم .

المقتــرِض : كفى بالله شهيداً !.

المقــرِض : فائتني بالكفيل .

المقتــرِض : كفى بالله كفيلا !

المقــرِض : صدقت !، فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج فى البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يركبها يقدمُ عليه للأجل الذى أجّله ، فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار ... وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زَجّجَ موضعها (أي سدّه) ثم أتى بها البحر .

المقتــرِض : « اللهم إنك تعلم أني كنت تسلّفتُ فلاناً (اقترضت منه) ألف دينار ، فسألني كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضي بك ، وسألني شهيداً ، فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضي بك ، وإني جَهدْتُ (بذلت جهدي) أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له ، فلم أقدر ، وإني أستودِعُكها (أي أجعلها في أمانتك) ، فرمى بها في البحر !!. حتى ولجَتْ فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه (أقرضه) ينظر : لعل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال !!! فأخذها لأهله حطباً ! فلما نشرها وجد المال والصحيفة !!!.. ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه ، فأتى بألف الدينار .

المقتــرِض : والله مازلتُ جاهداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالك ، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه .

المقــرِض : هل كنت بعثت إلي بشيء ؟ .

المقتــرِض : أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه .

المقــرِض : فإن الله أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بألف الدينار راشداً » .

٣ - قصة هاجر وإسماعيل :

روى البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل (هاجر) ، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دَوحَة (شجرة) فوق زمزم من أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جراباً (كيساً) فيه تمر ، وسقاء فيه ماء .

ثم قفّى (رجع) إبراهيم عليه السلام منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادي الذى ليس فيه أنيس ولا شيء !!..

قالت له ذلك مراراً ، وهو لا يلتفت إليها !!.

هاجر : آلله أمرك بهذا ؟

إبراهيم : نعمْ .

هاجر : إذاً لا يضيّعنا !!..

ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثَّنيَّة (مكان بمكة) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات ، فرفع يديه فقال : ﴿ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ، ربنا ليقيموا الصّلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون﴾ .

(إبراهيم : ٣٧)

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نَفِدَ ما في السقاء عطشت وعطش ولدها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت (الصفا) أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم ترَ أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ دِرعِها (ثوبها) ثم سعَت سعي الإنسان المجهود (المتعب) حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما إنّ رسول الله ﷺ قال :
« **فلذلك سعى الناس بينهما** » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صهٍ !!– تريد نفسها – ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غُواث (إغاثة) فأغِثْ .

إذا هي بملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه أو قال : بجناحه حتى فجر الماء ، فجعلت تُحوّضهُ (تجعله حوضاً) ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرفُ بسقائها وهو يفور بعدما تغرف ، فشربت وأرضعتْ ولدها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ :
« **رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم عيناً مَعيناً** » .

فقال لها الملك : « لا تخافوا ضيعةً (هلاكاً) ، فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله .

فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفقة من جُرْهُم (اسم قبيلة) مقبلين من طريق كَداء (اسم موضع) ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً (حائماً) فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء !!. لعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء !، فأرسلوا جَرِيّاً (رائداً) فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم ، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء .

جرهم : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟
هاجر : نعم ، ولكن لا حقّ لكم بالماء .
جرهم : نعم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ :

« **فألفى ذلك (وجد الحيّ) أم إسماعيل وهي تحب الأنس** » .

فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشبّ الغلام ، وتعلم العربية منهم وأنْفَسَهُمْ (أي سبقهم) ، وأعجبهم حين شبّ ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل .

فجاء إبراهيم عليه السلام بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركتَهُ (يتفقّد أسرته) فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه .

الكنّـــة : خرج يصيد لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم .
الكنّـــة : نحن بشرٍّ !! نحن في ضيق وشدة ، وشكت إليه !!.
إبـــراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغيِّر عتبة بابه (كناية عن الطلاق) .
إسماعيـــل : هل جاءكم من أحد ؟
زوجتـــه : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا (وصفته له) ، فسألنا عنك ، فأخبرتُه ، فسألني كيف عيشُنا ؟ فأخبرته إنّا في جهد وشدة .
إسماعيـــل : فهل أوصاك بشيء ؟
زوجتـــه : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول « غيِّرْ عتبة بابك » .
إسماعيـــل : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك ، فطلقها . وتزوج إسماعيل منهم مرة أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم عليه السلام ما شاء الله ، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده ، فدخل على امرأته فسأل عنه :
إبـــراهيم : أين إسماعيل ؟ وكيف أنتم ؟
الكنّـــة : ذهب يصيد لنا ونحن بخير وسعة ، ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟
إبـــراهيم : وما طعامكم وشرابكم ؟
الكنّـــة : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء .
إبـــراهيم : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم ..

فقال أبو القاسم ﷺ .

« بركة دعوة إبراهيم » .

إبــــراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه « يثبِّت عتبة بابه » .

جاء إسماعيل وهو يقول : هل أتاكم من أحد ؟

الزوجــــة : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، (وأثنت عليه) ، فسألني عنك فأخبرته أنا بخير .

إسماعيـــل : فأوصاك بشيء ؟

الزوجــــة : نعم : يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

إسماعيـــل : ذاك أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلًا له (قوساً) تحت دوحة (شجرة) قريبة من زمزم . فلما رآه قام إليه ، وصنع كما يصنع الوالد بالولد (أي تعانقا) .

إبــــراهيم : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .

إسماعيـــل : فاصنع ما أمرك ربُّك .

إبــــراهيم : وتعينني ؟

إسماعيـــل : وأعينك .

إبــــراهيم : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ههنا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة إلى ما حولها .

فعند ذلك رفع القواعد من البيت .

فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (المقام) فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان :

﴿ ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم ﴾

(البقرة : ١٢٧)

إلى غير ذلك من هذه القصص الواردة ..

فالواعظ البارع ، والمربي الحكيم ، والداعية الموفق .. يستطيعون أن يكيفوا عرض القصة بالأسلوب الملائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين ، كما أنهم يستطيعون أن يستخرجوا من القصة أهم مواطن العبرة والعظة .. ليكون التأثير أبلغ ، والاستجابة أقوى ..

إذاً فما على المربي إلا أن يستغل انفعال العاطفة ، ومثار الانتباه في عرض القصة لدى السامع حتى إذا تفاعل روحياً ، وتفتح ذهنياً .. صبّ في مشاعره وأحاسيسه وأعماق قلبه من معين العبرة ، وسلسبيل العظة .. وإذا هو مذعن ملتزم خاشع مُخْبِتٌ لله رب العالمين .. وعندئذ يأخذ المربي عليه العهد ليلتزم الإسلام منهاجاً وتشريعاً . ويتخلق بمبادىء هذا الدين سلوكاً ومعاملة ..

وهكذا يستطيع المربي الواعظ أن يُضفي – بأسلوبه الشيِّق واستجلائه مواطن العبرة – على القصة جلالها ، وأن يترك في النفوس أثرها ، وأن ينقل السامع الى أجواء الطهر والروحانية والخشوع ..

(ب) انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب :

وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ، ليثير انتباههم ، ويحرك ذكاءهم ، ويقدح فطنتهم ، ويسقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجاة ..

ولنضرب على ذلك أمثلة :

١ – روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أتدرون من المسلم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

قال : أتدرون من المؤمن ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم .

ثم ذكر المهاجر فقال : والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه .

٢ - وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء »؟

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

٣ - وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار .

(ج) بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى :

وذلك لتنبيه السامع على أهمية المقسم عليه لفعله أو اجتنابه :

- روى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا .. أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

- وروى البخاري من حديث أبي شريح رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال :

الذي لا يأمن جاره بوائقه » أي شروره ، وهذا كثير في توجيهاته عليه الصلاة والسلام .

(د) دمج الموعظة بالمداعبة :

وذلك لتحريك الذهن ، وإذهاب الملل ، وتشويق النفس ..

من هذا :

ما رواه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يستحمله بعيراً من الصدقة ليحمل عليه متاع بيته ، فقال رسول الله ﷺ : إني حاملك على ولد الناقة ، فقال الرجل : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟

فأفهمه ﷺ عن طريق هذه المداعبة أن الجمل ولو كان كبيراً يحمل الأثقال ما يزال ولد الناقة .

وهذا كثير في مداعباته عليه الصلاة والسلام .

(هـ) الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة :

– روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً » أي وسطاً .

– وروى أبو داود عن جابر بن سمرة : كان رسول الله ﷺ لا يُطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هي كلمات يسيرات » .

– ومما يُروى عنه عليه الصلاة والسلام « أنه إذا خطب لا يُخلّ ولا يمل » . وأيضا : « كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة » .

(و) الهيمنة بالتأثير الوعظي على الحاضرين :

روى الترمذي عن العرباض بن سارية أنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة مضَت – احترقت منها الجلود ، وذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ،

فقلنا : كأن هذه موعظة مودّع يا رسول الله ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « أن اتقوا الله وأن تتبعوا سنّتي وسنة الخلفاء الهادية المهدية من بعدي ، وعضّوا عليها بالنواجذ ، فإن كل بدعة ضلالة » .

– جاء في المسند ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : « وما قدروا الله حقّ قدرة ، والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة ، والسموات مطويّات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » ، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده : يحركها ، يقبل بها ويدبر : يمجّد الربُّ نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر ، حتى قلنا ليخرّن به ، أساقطٌ هو برسول الله ﷺ ؟

ولا يتصف الواعظ الداعية بهذه الهيمنة والتأثير إلا ان يكون مخلص النية ، رقيق القلب ، خاشع النفس ، طاهر السريرة ، مشرق الروح .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة عند رب العالمين ..

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلا بإرسال جيد عن مالك بن دينار عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها ؟» ، فكان مالك إذا حدَّث بهذا الحديث بكى ثم يقول : تحسبون أن عيني تقَرّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلي عنه يوم القيامة : ما أرَدْتَ به ؟ فأقول : أنت الشهيد على قلبي ، لو لم أعلم أنه أحبّ إليك ، لم أقرأ به على اثنين أبداً .

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنّع بالكلام ليسبيَ به قلوب الرجال ، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه ، ولواعج حزنه وأساه ، لما آل إليه حال المسلمين !.. فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ ، والاستجابة إليه أقوى ، والاتعاظ بكلامه أعظم !!..

قال عمر بن ذرّ لأبيه : يا أبت : مالك إذا تكلمتَ أبكيتَ الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟، فقال : يا بني ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة .

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلّم صرْف الكلام ليَسْبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرْفاً ولا عدْلاً[1] » .

(ز) الموعظة بضرب المثل :

كان عليه الصلاة والسلام يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم ، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد ، وفي الذهن أرسخ !!..

- روى النسائي في سننه عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأتْرُجّة (فاكهة تشبه البرتقال) ريحها طيّب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل جليس السوء كصاحب الكير (كمثل الحداد النافخ في النار) إن لم يصبْك من سواده أصابك من دخانه » .

وفي هذه التشبيهات النبوية أبلغ ترغيب في الخير ، وأزجر تحذير عن الشر ، بأوضح أسلوب يدركه المخاطبون ..

(ح) الموعظة بالتمثيل باليد :

وكان ﷺ إذا أراد أن يؤكد أمراً هاماً يمثل بكلتي يديه إشارة منه إلى الأمر الهام الذي يجب أن يهتموا به ويمتثلوه ..

- روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك رسول الله بين أصابعه » .

---

(١) الصرف : التوبة ، والعدْل : الفدية .

روى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى (رضى الله عنهم) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » ، وإشار بالسبابة والوسطى

– وروى الترمذي في سننه عن سفيان بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : « قل ربي الله ثم استقم » « قلتُ : يارسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ ؟ فأخذ عليه الصلاة والسلام بلسان نفسه ثم قال : (هذا) .

والأمثلة على هذا – في السنة – كثيرة ومستفيضة .

(ط) **الموعظة بالرسم والإيضاح :**

وكان صلى الله عليه وسلم يخط أمام أصحابه خطوطاً ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة ، ويقرّب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة ..

– روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً ، وخط خطاً خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : « هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي خارج (أي عن الخط) أمله ، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة ، فإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه كلها أصابه الهرم) ، وهذا هو المخطط الذي خطه عليه الصلاة والسلام :

أجله

أجله — الانسان — أجله

الحوادث والنوائب

أجله

أمله
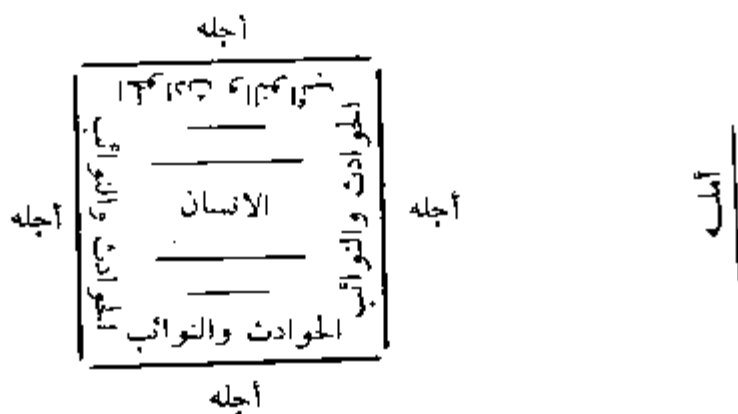
فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه على الأرض كيف يحال بين الإنسان والآمال الواسعة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة ، أو الهرم المضني المقعد ... وهذا توضيح جميل من المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .

– وروى الإمام أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخطّ بيده في الأرض خطاً – هكذا – فقال : هذا سبيل الله وخط خطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سُبُل الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبُل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ ، وأنموذج الخطوط كما يلي :
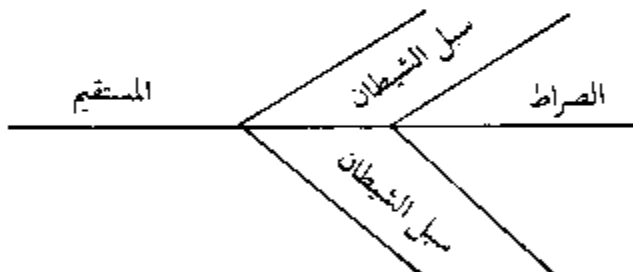
فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه لهم على الأرض أن منهج الإسلام هو الصراط المستقيم الموصل الى العزّة والجنة ، وأن ما عداه من المبادىء والنظم والأفكار .. هي سُبُل الشيطان ، وطُرُقه الموصلة إلى الدمار والنار ..

(ى) الموعظة بالفعل التطبيقي :

وكان ﷺ يُعطي لأصحابه الأنموذج الحي في أسلوب التعليم والتربية والتكوين .. وإليكم بعض الأمثلة :

– روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف الطهور ؟ (أي الوضوء) ، فدعا رسول الله ﷺ بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً حتى استوفى ثم قال : « فمن زاد عن هذا أو نقص فقد تعدى وظلم » .

– وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ توضأ أمام جمع من الناس ثم قال : « مَن توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

– وروى البخاري حديثاً ذكر فيه أنه ﷺ صلى مرة بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم ، وليتعلموها من أفعاله ومشاهداته .. فلما فرغ أقبل الناس فقال : « يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتمّوا بي ، ولتعلمّوا صلاتي » .

(ك) الموعظة بانتهاز المناسبة :

وكان ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم ، لتكون أبلغ في التأثير ، وأفضل للفهم والمعرفة ، **ومن ذلك :**

– روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كَنَفَتَيْه (أي عن جانبيه) ، فمر بجدي أسَكّ (أي صغير الأذنين) ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ قالوا : ما نحب أنه بشيء أو مَا نصنع به ؟ قال : أتحبّون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً كان هذا السَّك عيباً فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله ، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم !!..

– وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم رسول الله بسبي فإذا امرأة من السبي (الأسرى) قد تحلبَ ثديها إذ وجدت صبياً في السبي ، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ – وهي تقدر على أن لا تطرحه – قلنا : لا والله ، قال : « فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » .

(ل) الموعظة بالالتفات إلى الأهم :

وكان ﷺ يلفت السؤال عن سؤال إلى شيء أهم ، **من ذلك** :

ما روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ماذا أعددت لها ؟ قال : حبّ الله ورسوله ، فقال : أنت مع من أحببت .

فلفته ﷺ عن سؤاله عن قيام الساعة – التي اختص الله بعلمها – إلى شيء آخر هو أحوج ما يكون إليه ، وهو إعداد العمل الصالح لهذا اليوم الذي يقوم فيه الناس لله رب العالمين .

(م) الموعظة بإظهار المحرم الذي ينهى عنه :

وكان ﷺ يحمل بيده الشيء المحرم الذي ينهى عنه ، ويرفعه أمام المخاطبين ، ليقرّر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة ، ليكون ذلك أزجر للنفوس ، وأقطع في الدلالة على التحريم ، من ذلك :

ما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه في « سننهم » عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أخذ رسول الله ﷺ حريراً بشماله ، وذهباً بيمينه ، ثم رفع بهما يديه ، فقال : إن هذين حرام على ذكور أمتي ، حلّ لإناثهم » .

تلكم أهم الأساليب التي كان يتبعها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام في توجيه الكبار ، وتعليم الصغار ، وإرشاد الخاصة ، وهداية العامة ، وتثبيت الفضائل ، وتقويم الاعوجاج .. وهي – كما رأيتم أيها المربون – طرائق متنوعة ، ووسائل مختلفة .. بل كان عليه الصلاة والسلام – كما أخبرنا – لا يختص بأسلوب واحد في إرشاد الناس وهدايتهم ، وإصلاحهم وتوجيههم .. وإنما كان ينتقل بهم من القصة إلى الحوار والاستجواب ، ومن التأثير الخاشع إلى المداعبة اللطيفة ، ومن ضرب الأمثال إلى التوضيح بالرسم أو التمثيل باليد ... ومن الموعظة بالكلمة إلى الاقتداء بالفعل ، ومن التذكير بالقرآن الكريم إلى استجلاء العبرة بانتهاز المناسبة ... ومن السؤال المهم إلى السؤال الأهم ، ومن النهي بالقول إلى النهي بالمشاهدة ..

ولا يخفى ما في هذا التنوع من الأساليب من أثر كبير في ترسيخ المعلومات ، وإثارة الفهم وتحريك الذكاء ، وقبول الموعظة ، وقدح الفطنة والانتباه لدى المخاطب والولد ..

فالمربي حين يحسن عرض هذه الأساليب في إلقاء مواعظه وإرشاداته على من يقوم بإعدادهم وتربيتهم من أهل وولد وتلاميذ .. فإنهم - لا شك - يتعلمون ويطبقون ويتأثرون .. ويكونون دعاة خير وأئمة هدى ، وجنود رسالة ، وأبطال جهاد .. بل يكونون القاعدة الصلبة في بناء المجتمع الفاضل ، وإقامة دولة الإسلام ..

فما على المربين إلا أن يأخذوا بطُرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه في التوجيه ، وأساليبه في الموعظة لكونها أحسن الطرق وأفضل الأساليب .. لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ، وقد أدّبه ربه فأحسن تأديبه ، وهو مصنوع على عين الله ، ومشمول دائماً برعايته وعنايته .. وإذا كان الأمر كذلك فكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتقريرات .. فهي تشريع للإنسانية وهداية لها على مدى الزمان والأيام ..

ويكفيه عليه الصلاة والسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله سبحانه فيه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾
(الأحزاب : ٢١)

وأن يقول أيضاً : ﴿ مَنْ يطع الرسولَ فقد أطاع الله .. ﴾
(النساء : ٨٠)

* * *

وعلينا أن نعلم أن المربي إن لم يتحقق بما يقول ، وإن لم يطبق ما يعظ الناس به .. فلا أحد يقبل كلامه ، ولا إنسان يتأثر بموعظته ، ولا مخاطب يستجيب لندائه .. بل يكون محل نقد العامة ، واستهزاء الخاصة ، واستهجان الناس أجمعين ..

لأن الكلمة التي لا تنبعث من القلب ، لا تنفذ إلى القلب .. والموعظة التي لا تمتزج بالروح لا تؤثر في النفس .. ولقد سمعتُم قبل قليل ما أجاب الأب ولده حين سأله : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ أجاب : (يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة) .

ويقصد : ليس الداعية المكلوم على الاسلام ، والمتحقق بالايمان .. مثل الواعظ المنافق المهرّج !!..

وسبق أن فصلنا القول عن الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وتتناقض مواعظهم مع أعمالهم في مبحث (**التربية بالقدوة**) ، **فارجع إليه – أخي القارىء – تجد فيه ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل بعونه تعالى .**

* * *

وأخيراً أخي المربي :

بعد أن علمتَ منهجية الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة في طرائق الموعظة ، وأساليب النصح ، ووسائل الإرشاد ..

فما عليك إلا أن تشحذ الهمة ، وتضاعف العزم في تنفيذ ما استوعبته من منهجية ، وتطبيق ما استفدته من طرائق .. حتى ترى ولدك أو تلميذك أو مريدك .. قد فتح قلبه للموعظة ، وخضع بكليته إلى سنن الهدى والرشاد .. واستجاب للحق والإسلام ..

فما أحسن الأب المربي ، والأم المربية حين يجتمعون مع أولادهم في كل أمسية .. وقد ملؤوا سهرتهم بأنواع الطرائف ، وأصناف الحكمة ، ولطائف الموعظة .. فحيناً بعرض قصة ، وأحياناً بتوجيه موعظة ، وتارة بإنشاد شعر ، وأخرى بسماع تلاوة .. ورابعة بإلقاء طرفة ، وخامسة بإجراء مسابقة .. وهكذا يعددون في الأساليب ، ويتوّعون بالبرامج .. حتى تؤدي السهرة غرضها في تكوينهم روحياً ، وإعدادهم نفسياً وخلقياً .. على ألّا ينسوا الوقت المخصص لمراجعة دروسهم ، وكتابة وظائفهم .. وهكذا يستطيع المربي أن يجمع ما بين الجد والمرح ، ويمزج ما بين

الموعظة والطرفة ، ويوازن ما بين الحقيقة والتسلية .. حتى يطمئن قلبيا ، ويقتنع وجدانياً بأن الاولاد قضوا جل وقتهم في الأمور النافعة ، والأشياء المفيدة ..

وإذا سار المربي كل يوم على هذا المضمار .. فلم يمض عليه وقت غير طويل حتى يرى الأولاد الذين اهتم بهم ، وأشرف عليهم في إعداد الهادين المهديين ، وفي زمرة عباد الله الصالحين .. الذين بهم تعقد الآمال . وعلى أيديهم يتحقق نصر الإسلام !!..

وكم يكون المربي موفقاً حين ينهج مع أولاده طريقة القرآن الكريم في ظاهرة أسلوبه الوعظي ؟ فيذكر تارة بالتقوى ، وينوّه أخرى بالموعظة ويحضّ حيناً على النصح ، ويغري أحياناً بالترغيب . ويستعمل في موطن آخر أسلوب التهديد .. وهكذا يتجدد الأسلوب على حسب الظروف ، ومقتضيات الأحوال ..

هذا عدا عن النداءات المتكررة للولد المبدوءة بياء كقول المربي : يا بنّي ، يا ولدي .. لكونها عاملا كبيراً في تحريك العاطفة ، وإثارة الوجدان !!.. وكم بدأ بها القرآن ؟ .

وعـــدا عن الأسلوب القصصي المقرون بمواطن العبرة والعظة . وكم استعمله القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه الخلقي المصحوب بالوصايا والمواعظ .. وكم أتى به القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه الإسلامي المبدوء بأدوات التوكيد .. وكم كرّره القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه الاجتماعي المقرون بأدوات الاستفهام الإنكاري .. وكم جاء على ذكره القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه الإقناعي المدعوم بالأدلة العقلية ، وكم استطرده القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه التصوري الشمولي المقرون بالشواهد .. وكم نوّه به القرآن ؟

وعـــدا عن التوجيه المنهجي المدلّل بقواعد التشريع ، وكم ذكره القرآن ؟

إلى غير ذلك من هذه التوجيهات المتنوعة ، والأساليب المتجددة .. وكلها مستفادة من القرآن !!..

وكم يكون المربي موفقاً كذلك حين ينهج نهج الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظه ، ويتبع أسلوبه في نصائحه وإرشاداته ؟

وكم يكون موفقاً حين يستخرج بعد عرض القصة عِبَرها ، ويشير الى مواطن العظة فيها ؟

وكم يكون موفقاً حين ينتهج مع أولاده أسلوب الحوار والاستجواب كطرح سؤال ، أو إلقاء استفهام .. ليشربوا من معين الهدى بقالب الإقناع والمحاججة ؟

وكم يكون موفقاً حين يقتصد موعظته في الجلسة . ويقصرها على الأهم مخافة السآمة والملل ؟

وكم يكون موفقاً حين يبدأ موعظته بالقسم تأكيداً . ويمزجها بالمداعبة تشويقاً وتحبيباً ؟ .

وكم يكون موفقاً حين يبذل الجهد في الهيمنة بالوعظ على أولاده ، ليتأثر الجميع بكلامه ؟

وكم يكون موفقا حين يستعين على توضيح الموعظة بالتمثيل ، والرسم . وضرب المثل .. وبكل ما يشهده الناس بأمّ أعينهم . ويقع تحت حواسهم .. ليكون للتفهيم أوضح .. وللتثبيت في الذهن أرسخ ؟.

وكم يكون موفقاً حين يعطيهم من نفسه الأنموذج العملي في التعليم والمشهد الفعلي في التطبيق ؟

وكم يكون موفقاً حين ينتهز وقوع الحادثة في الوعظ ، أو وجود المناسبة في النصح .. ليكون التأثير أفضل ، والاستجابة أقوى ؟

إلى غير ذلك من أساليب الوعظ التي ينتهجها ، وطرائق الإرشاد التي يتعلمها !!..

حيث يجدها مبثوثة في رياض القرآن الكريم ، ومنشورة في دوحات الحديث الشريف ..

فما على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس ، ودعوتهم إلى الخير .. لأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. كما عليهم ان يتأسوا بصاحب الرسالة الخالدة صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظه ، وأساليب إرشاداته .. لأنه النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا يمكن أن يصل إلى كماله بشر ، ولا يبلغ مرتبته إنسان ..

ويكفيه فخراً على مدى الزمان والأيام أن يخاطبه الله سبحانه بهذا الخطاب الخالد ، وأن يصفه بهذا الوصف الرائع حين قال :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . (القلم : ٤)

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . (الأنبياء : ١٠٧)

ويكفيه عليه الصلاة والسلام تكريماً وشرفاً أن يقول عن نفسه « أدّبني ربي فأحسن تأديبي » .

* * *

٤ - التربيـة بالملاحظـة

المقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي ، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي ، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي ...

ولا شك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ، ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى ، والذي تجعل منه مسلماً حقيقياً يكون الحجر الأساس لبناء القاعدة الإسلامية الصلبة التي بها يتحقق عز الإسلام ، وبالاعتماد عليها تقوم الدولة الاسلامية قوية عتيدة ، تضاهي الأمم بحضارتها ومكانتها وكيانها ..

والإسلام بمبادئه الشاملة ، وأنظمته الخالدة .. حض الآباء والأمهات والمربين جميعاً الى أن يهتموا بملازمة أولادهم ، ومراقبة أفلاذ أكبادهم .. في كل ناحية من نواحي الحياة ، وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة ..

وإليك - أخي المربي - أهم هذه النصوص في هذه الملازمة والملاحظة .

- قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

(التحريم : ٦)

وكيف يقي المربي أهله وأولاده ناراً إذا هو لم يأمرهم وينهاهم ، ولم يراقبهم ويلاحظهم ..؟

قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (قوا أنفسكم ..) أدبوهم وعلموهم ، وقال عمر رضي الله عنه : « تنهونهم عما نهاكم الله عنه ، وتأمرونهم بما أمركم الله به ، فيكون بذلك وقاية بينهم وبين النار » .

– وقال عز من قائل : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ .

« طه : ١٣٢)

وهل يكون الأمر بالصلاة إلا في حالة التقصير والإهمال في حق الله تعالى ؟

– وقال سبحانه : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ .

(البقرة : ٢٢٣)

وكيف يقوم الأب برزق الأهل والأولاد وكسوتهم إذا لم يراقب أحوالهم من الناحية الجسمية والصحية ؟

والأحاديث التي تحض على الملازمة والملاحظة أكثر من أن تحصى :

– من هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما « ... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو داود والترمذي عن أبي سَبْرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « علموا الصبيّ الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين » .

– ومن هذه الأحاديث ماروا الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه الطبراني عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظنّ أنا اشتهينا أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم ومروهم . وصلّوا كما رأيتموني أصلي . فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » .

ما معنى الرجل مسؤول ؟ وما معنى المرأة مسؤولة ، وما معنى علّموا واضربوا ؟ وما معنى التأديب في الحديثين ؟، وما معنى ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ؟.

أليس معنى هذا كله ؟ أن يلحظ المربّي الولد ، ويلاحقه ، ويلزم أدبه ، ويراقب حركاته وسكناته .. حتى إذا أهمل حقاً أرشده إليه ، وإذا قصر في واجب حضّه عليه ، وإذا رأى منكراً نهاه عنه ، وإذا فعل معروفاً شكر له صنيعه .. ؟ .

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها .. ذلك لأن الولد دائماً موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته .. فإن رأى خيراً أكرمه وشجعه عليه ، وإن رأى منه شراً نهاه عنه ، وحذّره منه ، وبين له عواقبه الوخيمة ، ونتائجه الخطيرة .. وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد ، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف ، ويتوجه – ولا شك – نحو الزيغ والانحلال .. فعندئذ يكون هلاكه المحقق ، ودماره المحتوم !!..

* * *

ومعلمنا الأول ، وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم كان يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه ، وتفقده لهم ، وسؤاله عنهم ، ومراقبة أحوالهم ، ومحاذرة مقصّريهم ، وتشجيع محسنيهم ، والعطف على فقرائهم ومساكينهم ، وتأديب الصغار منهم ، وتعليم الجَهلة فيهم ..

وإليكم نماذج من ملاحظاته وتفقداته .. عليه الصلاة والسلام :

• **من ملاحظاته في التربية الاجتماعية** ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » ، فقالوا يا رسول الله : مالنا من مجالسنا بُدّ نتحدث فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه » ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غضّ البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

• **من ملاحظاته في التحذير من الحرام** ما رواه النووي في رياض الصالحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال : « يَعْمِدُ أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ! » فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمَك وانتفع به ، قال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ .

• **من ملاحظاته في تأديب الصغار** ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلامًا في حِجْرِ رسول الله ﷺ (أي تحت نظره) ، وكانت يدي تطيش (تتحرك) في الصحْفَة (في وعاء الطعام) ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غُلام سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

• **من ملاحظاته في إرشاد الكبار** ، ما رواه أبو داود والبيهقي عند عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعالَ أعطك ، فقال رسول الله ﷺ : ما أردتِ أن تعطيه ؟ قالت : أردتُ أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله ﷺ :

« أما إنكِ لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كَذِبه »

• **من ملاحظاته في التربية الخلقية** ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً ، فقال النبي ﷺ : « وَيْحَك ! قَطَعْتَ عنق صاحبك » يقوله مراراً : « إن كان أحدكم مادحاً

لا محالة فليقل : أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يُزكّى على الله أحد »[١].

● **من ملاحظاته في التربية النفسية** ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلتُ (أعطيتُ) ابني غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ﷺ : « أكُلَّ ولدك نحلته مثل هذا ؟ » فقال : لا ، فقال : فأرجعه .. وفي رواية : فقال رسول الله : « أفعلتَ هذا بولدك كلهم ؟ » قال : لا ، قال : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .. وفي رواية : قال عليه الصلاة والسلام : « فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور » .

● **من ملاحظاته في التربية الجسمية** حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب شرباً واحداً كشرب البعير (الجمل) فقال لهم :- كما روى الترمذي - « لا تشربوا شرباً واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا إذا أنتم شربتم ، واحمَدوا اذا أنتم رفعتم » .

وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

● **من ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق** ، ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : مشيتُ مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ (أي ثوب) نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبَذه (أي جذب الثوب) جَبذةً شديدة حتى نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثّر فيه حاشية البُرد من شدة جبذته ، ثم قال الأعرابي يا محمد : مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ، ثم أمر له بعطاء !!..

---

(١) الحديث محمول على كراهية المدح في الوجه إذا خيف منه مفسدة العجب ، أما إذا لم يخف فلا بأس في ذلك ، لمدحه عليه الصلاة أصحابه في وجوههم ، كقوله لعمر رضي الله عنه : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجّك » .

تلكم بعض النماذج في مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه ، وهي نماذج حيه واقعية تؤكد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام في تربية الناس ، ومعالجة أمورهم وإصلاح أحوالهم ، والرفع من مستواهم ..

ولقد رأيت – أخي القارىء – أن هذه الملاحظات والتوجيهات لم تقتصر على الكبار وإنما كانت تتعدى الصغار ، ولم تختص بجانب معين في إصلاح النفس الإنسانية ، وإنما كانت تشمل جميع جوانبها من إيمانية ، وعلمية ، ونفسية واجتماعية ، وجسمية ..

وإليكم بعض ملاحظاته وتوجيهاته في الرفع من مستوى النساء وإعطاء حقوقهن :

١ – روى النسائي وابن ماجه أن فتاةً جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : « إن أبي زوّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته (ليغطي نقصه) وإنا كارهة ، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها وأمره أن يجعل الأمر إليها ، فقالت الفتاة : قد أجزتُ ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء » .

٢ – وروى البخاري أن زوجة ثابت بن قيس – وكان مسلماً صالحاً أسود دميما – جاءت إلى رسول الله ﷺ تقول له : إن ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خُلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر[1] في الإسلام ، قال ﷺ : « أتردّين ، عليه حديقته ؟ » – أي ما كان أمهرها من حديقة – فقالت : نعم ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه فقال له : « طلّقها طلقة » ، فطلقها ثابت[2] .

٣ – وروى البزار والطبراني أن امرأة – اسمها زينب وكانت تلقب بخطيبة النساء – جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن أصيبوا أثيبوا (أجروا) ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم

---

(١) أي أكره كفران نعمة الزوج وعدم إعطائه حقه لشدة بغضي له .

(٢) وهذه هي المخالعة : وهي تنازل من المرأة عن بعض مالها مقابل تطليق زوجها لها ولا تكون إلا باتفاق الطرفين .

يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم !!.. فمالنا من ذلك الأجر ؟ فقال ﷺ : « أبلغي مَن لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك – أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله –، وقليل منكنّ من يفعله » .

وهذه الظاهرة من الملاحظة والمراقبة من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لأفراد المجتمع .. تخطّ للمربين جميعاً المنهج العملي في التربية ، والطريقة المجدية المؤثرة في الإصلاح .. وتهيب بكل مَن كان في عنقه حق التربية ، ومسؤولية التوجيه .. أن يبذل قصارى جهده ، وأن يوجه غاية اهتمامه في سبيل إسعاد الولد وإصلاحه ، والرفع من مستواه العقلي والنفسي والأخلاقي ..

وإذا كانت ظاهرة الملاحظة والمراقبة مجدية ونافعة في حق الكبار – كما مرّ – فإنها في الصغار أجدى وأنفع ، لأن الولد الصغير عنده قابلية الخير ، واستعداد الفطرة ، وصفاء النفس ، وبراءة الطفولة .. ماليس عند الكبير ، فمن السهولة بمكان أن ينصلح الولد ، وأن يتكوّن إيمانياً وخلقياً ونفسياً .. إذا تيسرت له عوامل البيئة الصالحة ، والتربية الفاضلة سواء أكانت منزلية أم مدرسية أم اجتماعية .. بينما يجد المربي في إصلاح الكبير صعوبة وأيه صعوبة إن كان من المتعنّتين والسادرين في الغواية !!.. وهذا ما عناه الشاعر بقوله حين قال :

وينفع الأدب الأحداث في صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت
ولن يلين إذا قومتها الخشبُ

* * *

ومن هذا المنطلق الذي وضع أصوله عليه الصلاة والسلام في ملاحظة الفرد في المجتمع ، والمرأة في الأمة ، والولد في الأسرة .. وجب على المربين جميعاً من آباء وأمهات ومعلمين .. أن يحرّكوا هممهم ، ويثيروا عزائمهم ، ويضاعفوا من جهودهم .. ليقوموا بمهمة المراقبة والملاحظة والملاحقة في سبيل إعداد الجيل المسلم ، وتكوين المجتمع الفاضل ، وإيجاد الدولة المسلمة !!.

ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعلمها المربي أن التربية بالملاحظة لم تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب الإصلاح في تكوين النفس الإنسانية ، وإنما ينبغي أن تشمل جميع الجوانب من إيمانية ، وعقلية ، وخلقية ، وجسمية ، ونفسية ، واجتماعية .. حتى تعطي هذه التربية ثمارها في إيجاد الفرد المسلم المتوازن المتكامل السوي الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ..

● **فمن ملاحظة الجانب الإيماني في الولد** :

– **أن يلاحظ** المربي ما يتلقنه الولد من مبادىء وأفكار واعتقادات .. على يد من يشرفون على توجيهه وتعليمه في المدرسة أو غير المدرسة ، فإن وجد خيرا فليحمد الله ، وإن وجد غير ذلك فليقم بمهمته الكبيرة في غرس مبادىء التوحيد ، وترسيخ قواعد الإيمان .. ليكون الولد بمنجاة من التلقين الإلحادى الآثم ، والتوجيه العلماني الخطير ..

– **وأن يلاحظ** ما يطالعه الولد من كتب ومجلات ونشرات فإن وجد أنها تحوي في طياتها أفكار الزيغ ، ومبادىء الإلحاد ، ودسائس التبشير .. فليقم بمهمة المصادرة ، ثم إقناع الولد أن هذه الكتب وغيرها .. تفسد عليه إيمانه الصافي ، وإسلامه العظيم !!..

وأن يلاحظ من يصاحب الولد من رفقاء وقرناء .. فإن وجد أن الرفقة التي يصحبها هي رفقة إلحاد ، وقرناء زيغ وضلال .. فعلى المربي أن يقطع الصلة بينه وبينهم ، وأن يهيىء له من رفاق الخير ، وأخلاء التقوى .. ما بهم ينصلح . وما بصحبتهم يتثبّت ويُسعد ..

– **وأن يلاحظ** إلى ما ينتمي إليه من أحزاب ومنظمات فإن وجد أن هذه الأحزاب إلحادية في مبادئها وتوجيهها ، وأن هذه المنظمات لا دينية في أهدافها واتجاهاتها .. فعلى المربي أن يحزم في منعه ، وأن يكثر من مراقبته ، وأن ينتهز الفرصة تلو الفرصة في إقناعه وتوجيهه .. حتى يراه قد مال إلى الحق ، ورجع إلى الهدى ، ومشى على الصراط المستقيم ..

● **ومن ملاحظة الجانب الأخلاقي في الولد :**

– **أن يلاحظ** المربي ظاهرة **الصدق** فيه ، فإن وجد الولد ينتحل الكذب في أقواله ووعوده ، ويتلاعب بالألفاظ والكلمات ، ويظهر في المجتمع بمظهر المنافقين والكذّابين .. فعليه أن يتولى أمر الولد في أول كذبة كذبها ، وأن يبصِّره طريق الحق والهدى ، وأن يبيّن بشيء من الإسهاب مغبة الكذب والكذابين والنفاق والمنافقين .. حتى لا يعود لمثلها أبداً ، أما إذا ترك حبله على غاربه ، **وأهمل** ملاحظته وتوجيهه ، فلا شك أن الولد درج على الكذب ، وأصبح عند الله وعند الناس كذاباً !!..

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك ظاهرة **الأمانة في الولد** ، **فإن وجد الولد يمشي في** طريق السرقة – ولو في الأشياء التافهة كسرقة القروش لأخوته ، أو القلم لرفيقه – فعليه أن يعالج ذلك بسرعة زائدة ، وأن يفهمه أن هذا حرام ، وهو من أخذ الأموال بغير حق .. كما عليه أن يغرس بذور المراقبة لله ، والخشية منه .. عسى أن يرعوي ، وينصلح حاله ، وتستقيم أخلاقه .. وإلا .. فان الولد – لا شك – سيدرج على الخيانة ، ويعتاد على الغش والسرقة ، بل يصبح شقياً خائناً مجرماً ، يستجير من سوء فعاله الناس والمجتمع !!.

– **وأن يلاحظ** المربي أيضا ظاهرة **حفظ اللسان في** الولد ، **فإن** وجده يتلفظ بالسباب ، ويتفوه بالشتائم ، وتصدر من لسانه الكلمات الشنيعة ، والألفاظ القبيحة .. فعليه أن يعالج هذه الظاهرة بحكمته ، وأن يعيرها جهده واهتمامه ، وأن يتعرف على الأسباب التي جعلت من ولده سليط اللسان ، بذيء الألفاظ .. ليقطع بينه وبينها ، ثم يبين له بأسلوب جذاب صفات الولد الخلوق ، ومزايا الإنسان الأديب .. عسى أن ينجذب إلى فضائل النفوس ، ومكارم الأخلاق ..

وأهم ما ينبغي أن يهتم له المربي في تهذيب لسان ولده إبعاد رفقة السوء عنه ، لأن منهم يأخذ ، ومن طباعهم يتأثر ويكتسب !!..

– **وأن يلاحظ** المربي أيضا ظاهرة **الخلق النفسي والإرادي** في الولد .. فإن وجد الولد يقلد غيره تقليداً أعمى ويُمعن في التنعّم والترف ، ويستمع إلى الموسيقى والغناء

الخليع ، ويتخنث في مظهره ، ويقف مواقف التهم ، ويخالط غير المحارم من النساء ويجلس إلى سهرات الرائي (التلفزيون) الداعرة ، ويذهب إلى دور السينما ، ويقرأ المجلات الخلاعية ، ويقتني الصور الجنسية والقصص الغرامية .. إذا وجد الولد يفعل شيئاً من هذا فعليه أن يعالج فيه هذه الظاهرة من التميع والانحلال : بالموعظة الحسنة حيناً ، وبالتهديد أحياناً ، وبالترغيب تارة ، وبالعقوبة تارة أخرى .. وعليه أن يتبع كل سبيل في إنقاذه وإصلاحه ، حتى يرى ولده في مصاف الأتقياء الأبرار ، وفي زمرة الصالحين الأخيار !!..

وكم يكون الأب مهتماً وحكيماً حين يدخل مكتب ولده فجأة على حين غرة منه ، لينظر ماذا يدرس ؟ وماذا يكتب ؟ ، وماذا يطالع ، أو بالأحرى ماذا يُفاجأ ؟... فقد يدخل ويرى ولده ينظر إلى صورة عارية ، أو يقلبّ صفحات مجلة خلاعية ، أو يقرأ في قصة مثيرة ، أو يدبج رسالة لفتاة أحبها ، أو غير ذلك من المفاجآت غير المستحسنة ؟

وكم يكون الأب مهتماً وحكيماً حين يتأكد من ذهاب ابنه إلى المدرسة والرجوع منها ، فربما يتبيّن له أن ابنته تذهب الى أماكن موبوءة فيها سلب العرض ، وضياع الشرف .. أو لها علاقات غير شريفة مع شاب منحل مائع ؟!!.

وكم طالما سمعنا عن حوادث خلقية مؤسفة ، وعلاقات ذميمة مؤلمة .. يندى لها الجبين ، وتترك في النفس آهات مسعورة ما أقساها !!..

فظاهرة الملاحظة إذن من أعظم الظواهر في كشف الحقائق المستورة عن الولد ، وفي إزاحة الستار عما كان يفعله من شر ، ويقترفه من منكر .. بل تعطي للمربي الصورة الحقيقية الكاملة عن أخلاقية الولد وسلوكيته في الحياة ..

وبعد هذا كله يستطيع المربي أن يعالج انحراف الولد بالأسلوب المجدي ، والطريقة الملائمة .. ولا بد أن يصل في نهاية المطاف إلى حل تربوي حاسم ، فيه صلاح الولد ، وفيه إنقاذه وتوازنه وهدايته !!..

• **ومن ملاحظة الجانب العقلي والعلمي بالولد :**

– **ان يلاحظ** المربي ظاهرة **تحصيل الولد العلمي** ، وتكوينه الثقافي .. سواء أكان هذا التعليم في حقه فرض عين ، أو كان فرض كفاية ؟

فعلى المربي أن يلاحظ الولد هل تعلم ما كان في حقه فرض عين ؟ هل تعلم تلاوة القرآن الكريم ؟ هل تعلم ما يلزمه من أحكام العبادات ؟ هل تعلم أمور الحلال والحرام ؟ هل تعلم مغازي رسول الله ﷺ ؟ هل تعلم ما يجب تعلمه من أمور دينه ودنياه وآداب الإسلام ؟

فهذه الأمور مسؤول عن تعليمها ، وأن الله سبحانه سيسأله إن قصر فيها ..

ولن يعدم المربي الوسائل التي توصل الولد إلى هذا الإعداد الشرعي والتكوين الإسلامي ..

أما إذا كان الولد يتعلم ما كان تعلمه من قبيل الكفاية كأن يتعلم علم الطب أو الهندسة مثلاً فعلى المربي أن يلاحظ مثابرته وتفوّقه ونضجه .. حتى إذا تخرج أفاد أمة الإسلام باختصاصه ، وأقام دعائم الحضارة في المجتمع المسلم بعلمه وموهبته ..

ولن يعدم المربي أيضاً الوسائل التي تجعل منه آيه في العلم والنبوغ والاختصاص !!. ونلفت نظر المربي في هذا الصدد أن لا يتهاون في فرض العين على حساب فرض الكفاية ، بل يجب التركيز على الأولى ثم الاهتمام بالثانية أو على الأقل الموازنة بين الفرضين ، ليتعلم الاثنين معاً .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة .

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك **توعية الولد الفكرية** من ناحية ارتباطه بالإسلام ديناً ودولة .. وبالقرآن الكريم ديناً وتشريعاً ، وبالرسول ﷺ إماماً وقدوة ، وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً وافتخاراً ، وبالثقافة الإسلامية روحاً وفكراً ، وبالتحرك الدعوي اندفاعاً وحماساً .. ولا يتأتى هذا إلا بملازمة الولد وتوجيهه وتشويقه إلى قراءة الكتب الفكرية ، والمجلات الدعوية ، والنشرات الإسلامية .. بين كل فترة وفترة .. ثم بتوجيهه إلى سماع المحاضرات الاسلامية المفيدة ، والخطب الحماسية المؤثرة .. ولا بأس أن

يضع بين يدي الولد مكتبة تجمع بين طياتها كل ما كتب عن الإسلام ، والدفاع عنه ، والرد على أعداء الله ..

ولا شك أن هذه الوسائل تجعل الولد في مناعة حصينة من كل ما يكتبه المبشرون وشراذم الكفر والإلحاد .. بل تدفعه لينطلق للعمل الإسلامي بكل بسالة وإيمان ، وجرأة وشجاعة .. ليكون عضواً نافعاً في بناء المجتمع المسلم ، وإقامة دولة الإسلام !!..

وكم يتفطر قلب المربي ألماً حين يجد ولده يحفظ في المدرسة سِيَرَ أولئك الفلاسفة الغربيين ، ويعلم الكثير عن شخصيات العظماء الشرقيين وآرائهم ونظرياتهم .. ولا يعلم عن تاريخ المسلمين ، وحياة العظماء ، وأخبار الفاتحين ، ونوابغ العلماء الإسلاميين .. سوى النزر القليل ؟

وكم يتألم المربي ويحزن حين يجد الولد قبل التخرج وبعده ، وقد مسخته الثقافات الأجنبية ، والأفكار الغربية أو الشرقية ، والمذاهب الاجتماعية والإلحادية .. حتى جعلت منه عدواً لدينه وتاريخه وأمجاده ؟!!..

فالتوعية الفكرية إذاً لها أهميتها ، وأثرها البالغ في تثبيت العقيدة الإسلامية ، وفي تكوين المسلم الحقيقي ، وفي إعطاء التصور الكامل عن الإسلام على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وباعث عزة ، ورائد مجد وقوة ..

وأن يلاحظ المربي أيضاً **الصحة العقلية** في الولد ، فكل ما يؤثر على عقل الولد وذاكرته واتزانه فعليه أن يجنّبه إياه ، وأن ينهاه عنه ، وأن يبين له خطره المحدق على الجسم والعقل والنفس ..

وبناء على هذا وَجَبَ على المربي أن يلاحظ في الولد **مفسدة تناول الخمور والمخدرات** .. لكونها تفتك بالجسم ، وتورث الهستريا أو الجنون !!..

وعليه أن يلاحظ أيضاً **مفسدة العادة السرية** لكونها تورث السل ، وتضعف الذاكرة ، وتسبب الخمول الذهني ، والشرود العقلي ، والقلق ، والانطوائية ، والخوف !!..

ويمكن أن يلاحظ كذلك مفسدة التدخين لكونه **يهيّج الأعصاب** ، **ويؤثر** على الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ..

وعليه أن يلاحظ أخيراً **مفسدة النظر إلى مشاهد الخلاعة** من أفلام وتمثيليات وصور عارية .. لكونها تعطل وظيفة العقل ، وتقضي بشكل تدريجي على ملكة الاستذكار ، والتفكير الصافي .. فالصحة العقلية للولد هي من أهم ما يجب على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويؤكد عليها .. لأن العقل هو زينة الإنسان ، وتصرفاته الحكيمة المتزنة .. هي من أظهر ما يتميز بها .. وبقدر العناية والملاحظة والاهتمام .. يتحقق للولد الوقار والتعقل والاتزان !!!..

● **ومن ملاحظة الجانب الجسمي بالولد :**

أن يلاحظ المربي في الولد **النفقة الواجبة عليه** من غذاء صالح ، ومسكن صالح ، وكساء صالح .. حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض ..

- **وأن يلاحظ القواعد الصحية** التي أمر بها الإسلام من مأكل ومشرب ومنام ..

فبالنسبة **للمأكل** فعلى المربي أن يلحظ في الولد احتماءه من التخمة وتناوله من الطعام والشراب فوق الاعتياد والحاجة ، وإدخاله الطعام على الطعام ..

وبالنسبة للمشرب فعليه أن يلحظ في الولد الشرب مثنى وثلاث .. ونهيه عن التنفس في الإناء ، ونهيه عن الشراب قائماً ...

وبالنسبة **للمنام** فعليه أن يلحظ في الولد النوم على الجانب الأيمن ، وعدم النوم بعد الطعام مباشرة ..

- **وأن يلاحظ** المربي - ولاسيما الأم - **التحرز من المرض الساري المعدي** في حالة الإصابة ، وذلك بعزل المريض المصاب عن بقية الأولاد حتى لا ينتشر المرض ويستفحل الوباء ..

وأن يلاحظ المربي **الوسائل الوقائية** في الحفاظ على صحة الولد ، وذلك بإرشاده ألا يأكل الفواكه فجّة ، والخضار قبل غسلها ، وأن يغسل يديه قبل الطعام ، وألا ينفخ في الإناء .. إلى غير ذلك من هذه التعاليم الصحية التي أمر بها الإسلام !!.

– وأن يلاحظ تعويده على ممارسة الرياضة ، وألعاب الفروسية ، وعلى الأخذ بأسباب التقشف ، وعلى حياة الجد والرجولة ، وعدم الإغراق في التنعم .. لينشأ الولد على القوة في الجسم ، والقوة في الإرادة ، والقوة في العدة والاستعداد ..

– **وأن يلاحظ** المربي أخيراً جميع الظواهر التي تفتك بالجسم ، وتضر بالصحة ، وتسبب الأمراض .. كظاهرة المسكرات والمخدرات ، وظاهرة التدخين ، وظاهرة العادة السرية ، وظاهرة الزنى واللواط .. فإنها في مجموعها تسبب أمراض السرطان ، وأمراض القلب ، وأمراض القرحة ، وأمراض تشمع الكبد ، وأمراض العقم ، وأمراض تصلّب الشرايين .. وأمراض خطيرة أخرى أبان عنها الأطباء ، وحذر منها المختصون !!..

وفي حين ملاحظة أن المرض بدأ يظهر في الولد ، وتبدو للأعين أعراضه وآثاره .. على المربي أن يسارع إلى طبيب مختص لمعالجته امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الإمام أحمد والنسائي : –

« يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء » .

وفي هذا يكون المربي قد أخذ بأوامر الإسلام في المعالجة والاستشفاء ، ووسائل الوقاية ، واتباع الإرشادات الصحية والطبية .. وبهذا يسلم الجسم من الأمراض ، ويكون في مأمن من كل خطر طارىء ، ومرض عارض !!..

● ومن ملاحظة الجانب النفسي بالولد :

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **ظاهرة الخجل** ، فإن وجد فيه الانكماش والانطوائية ، والابتعاد عن مواجهة الناس والمجتمع .. فعليه أن ينمّي فيه الجرأة وحب الاجتماع بالآخرين ، وأنبل معاني الفهم والوعي والنضج الفكري والاجتماعي !!..

– **وأن يلاحظ** في الولد ظاهرة الخوف ، فإن وجد فيه الجبن والخوف ، والانهزام من الأحداث ، والهروب من الشدائد .. فعليه أن ينمي فيه جانب الثقة والثبات ، وناحية الإقدام والشجاعة .. حتى يستطيع أن يواجه الحياة بمشاكلها وأخطارها بنفس رضيّة ، ووجه بسّام ..

وواجب الأم على الخصوص ألّا تخوّف ولدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة ، وذكر الجنّ والعفاريت .. حتى لا يعتاد الولد الخوف ، ولا يجد إلى نفسه سبيلا !!..

– **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الشعور بالنقص** ، فإن وجد في الولد بعض هذا الشعور فعليه أن يعالجه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبإزالة الأسباب التي أدت إليه ..

فإن كان من أسباب هذا الشعور **التحقير والإهانة فعلى** المربي أن يخاطب الولد بالنداء الطيب ، والخطاب الجميل ..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **اليُتم** فعلى المربي أن ينفخ في نفسية الولد روح الصبر والمصابرة والاعتماد على النفس في بناء الشخصية الإسلامية ، حتى يشق الولد طريقه ، ويحقق ما حققه غيره من الرجال الكبار ، والأغنياء العظام !!..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **الحسد** فعلى المربي أن يعالج هذه الظاهرة بمحبة الولد ، وتحقيق عدل المعاملة بينه وبين إخوته ، وإزالة كل سبب يؤدي إلى الحسد ..

– **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الغضب** ، فإن وجد المربي أن الولد يغضب لأتفه سبب فعليه أن يعالج ذلك بإزالة أسبابه :

فإن كان من أسباب الغضب **المرض** فعلى المربي أن يسارع إلى معالجته طبياً ..

وإن كان من أسباب الغضب **الجوع** فعلى المربي أن يسارع إلى إطعامه في الوقت المناسب .

وإن كان من أسبابه **التقريع** من غير حق فعليه أن ينزه لسانه عن كلمات الإهانة والتوبيخ .

وإن كان من أسبابه **الدلال والتنعم** فعليه أن يعامله بالمعاملة العادية ، ويعوّده على التقشف ..

وإن كان من أسبابه الهزء والسخرية .. فعليه تجنيب الولد كل انفعال وإثارة ..

كما على المربين جميعاً أن يأخذوا بقواعد الإسلام في تسكين الغضب(١) ، وأن يعلّموه أولادهم حتى يسكن غضبهم إذا غضبوا ، وتخفّ حدّتهم إذا ثاروا !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الاجتماعي بالولد :**

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **أداء حقوقه للآخرين** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في حق نفسه أو أمه ، أو في حق إخوته وأقربائه ، أو في حق جاره ، أو في حق معلمه ، أو في حق الكبير .. فعليه أن يبين له مغبة هذا التقصير ، ونتائج هذه المعاملة .. لعله يفهم ويسمع ويرعوي ، ويكف عما هو فيه من إخلال في الحقوق ، وتهاون في الآداب ، وتقصير في المسؤوليات .. ولا شك أن الملازمة التامة ، والملاحظة ، والتنبيه الدائم .. تجعل من الولد إنساناً يقظاً فطناً أديباً خلوقا يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة من غير تهاون أو تواكل أو تقصير !!.

– **وأن يلاحظ** المربي في الولد أيضاً **آداب الاجتماع مع الآخرين** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في أدب الطعام ، أو أدب المزاح ، أو أدب الحديث ، أو أدب العطاس ، أو أدب التعزية .. أو غيرها من الآداب الاجتماعية الأخرى .. فعلى المربي أن يبذل أقصى جهده ، وكل ما في وسعه ليؤدّب الولد بأدب الإسلام ، ويعوّده على أفضل العادات ، وأكرم الخصال ..

---

(١) وقد سبق بيانه في بحث « ظاهرة الغضب » في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » فارجع إليه في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » .

ولا شك أن هذا التأديب المستمر ، والتعويد الدائم .. يجعل من الولد انساناً يقوم بواجبه الأكمل في احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، وإعطائهم حقهم من غير تواكل ولا تقصير !!..

– **وأن يلاحظ** المربي في الولد كذلك **المشاعر النبيلة مع الآخرين** فإذا وجد الولد يتصف بالأنانية أرشده إلى الإيثار ، وإذا وجده يميل الى نزعة التباغض غرس فيه بذور المحبة والصفاء ، وإذا وجده لا يحل حلالاً ، ولا يحرم حراماً .. أمره بالتقوى ، وذكّره بعذاب الله والآخرة .. حتى تتأصل في نفسه عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه .. وإذا وجد الولد قد ناله أذىً من مكروه أو مرض رسّخ في جنانه وأعماق قلبه عقيدة الرضى بالقضاء والقدر .. وهكذا يستطيع المربي أن يغرس في نفسيه الولد هذه الأصول النفسية من الإيمان والتقوى والمراقبة ، وأن يزرع في قلبه الطاهر مشاعر الإيثار والمحبة والتعاطف والصفاء .. حتى إذا شبّ وترعرع وبلغ سن التكليف أدى حق الله ، وحق نفسه ، وحق العباد .. وأصبح إنساناً سوياً ، ورجلاً عاقلاً حكيماً .. يُشار إليه بالبنان ، بل يكون له في القلوب احترام ، وفي النفوس إعزاز وإجلال !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الروحي بالولد :**

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **جانب المراقبة لله سبحانه** وذلك بإشعاره دائماً أن الله سبحانه يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

وبإشعاره أن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية من أمر السموات والأرض .. ولا يتأتى هذا إلا بإرشاده الى الإيمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وإبداعه الرائع ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. فعندئذ يستشعر هذه المراقبة وهو يعمل ، ويستشعرها وهو يفكر ، ويستشعرها وهو يحس .. بل تصبح المراقبة أصلاً مترسخاً في كيانه ، ودعامة مستولية على قلبه وأحاسيسه ومشاعره .. وما أحوج الولد وهو صغير إلى مثل هذا التوجيه الهادف ، والتربية الإيمانية النافعة !!..

– **وأن يلاحظ** المربي أيضاً جانب **الخشوع والتقوى والعبودية** لله ربّ العالمين ، وذلك بتفتيح بصيرة الولد على عظمة الله الشاملة .. في الصغير والكبير ، في الجامد والحي ، في النبتة النابتة ، والشجرة النامية ، في الزهرة الفوّاحة الزاهية الألوان ، في ملايين الملايين من الخلائق المتنوعة العجيبة الصنع ، البديعة الخلق .. فما يملك القلب إزاء هذا .. إلا أن يخشع لعظمة الله ، وما تملك النفس الإنسانية تجاه هذا .. إلا أن تستشعر تقوى الله وعبوديته .. بل تجد في ذلك لذة الطاعة ، وحلاوة العبادة لله رب العالمين .

ومما يقوّي في الولد جانب هذا الخشوع ، ويرسّخ في كيانه حقيقة هذه التقوى ترويضه وهو في سن التعقّل والتمييز على التخشّع في الصلاة ، والتحزّن والبكاء أو التباكي عند السماع لآيات القرآن .. وهذه الصفات إذا درج عليها ، وقام على تطبيقها .. أصبح لا شك من الربانيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. بل دخل روضة الصالحين ، وأصبح من الذين قال الله عنهم .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .

[يونس : ٦٢ - ٦٣]

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك جانب **التطبيق للعبادة** وذلك بأمره بالصلاة وهو في سن السابعة امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ...** » . ويقاس على الصلاة ترويضه وهو صغير على صيام بعض الأيام في رمضان إذا كان الولد يطيقه ، وأخذه لأداء مناسك الحج إذا كان المربي يستطيعه ، وكذلك تعويده على الإنفاق في سبيل الله ولو دراهم معدودات بين كل فترة وفترة .. ليعتاد فريضة الزكاة حين يصبح في نظر الشريعة مكلفاً ، وفي أعين المسلمين مسؤولا .. ومع هذا وهذا وجب على المربي أن يصحب الولد إلى مجالس العبادة والذكر ، وأن يحضر معه حلقات العلم والفقه ، وأن يهيء له من يعلمه التلاوة وتفسير القرآن الكريم ، وأن يسمعه كلام العلماء الربانيين المخلصين .. يفعل المربي

كل هذا .. حتى تصفو نفس الولد بالعبادة ، وينجلي قلبه بذكر الله ، ويرق فؤاده بأخبار العارفين الصالحين ، ويتحرك وجدانه بسير الرعيل الأول من أصحاب رسول الله أجمعين ..

وعلى المربي أن يركز في الولد **ظاهرة المجاهدة النفسية والروحية** ، وأن يلاحظ الولد إلى أية حالة يصل ، وإلى أي مدى يتأثر .. كما أن عليه أن يوازن في تربية الولد بين المجاهدة الروحية والمجاهدة الدعوية والسياسية .. حيث يهتم لجهاد الظلم والكفر كما يهتم لجهاد النفس الأمارة .. لأن المربي إذا أهمل في الولد واجب الدعوة الى الله ، وواجب الجهاد السياسي والقتالي .. وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فإن الولد - لا شك - يتربى على العزلة والانطوائية والتواكل .. والرضى بالأمر الواقع ، والفرار يوم الزحف ، والخضوع لسلطان المستبدين والظالمين !!..

فهذه الموازنة بين جهاد النفس ، وجهاد السياسة هي التي تدفع الولد الى أن يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، يؤدي حق الله في المراقبة والعبادة .. ويؤدي حق الإسلام في إقامة حكمه في الأرض ، والإطاحة بالطواغيت الذين يناهضون حكم الإسلام .. وفي هذا يكون الولد قد جمع بين المصحف والسيف ، والدين والدولة ، والعبادة والسياسة .. وصدق في حقه قول القائل :

شبابٌ ذلّلوا سبل المعالي
وما عرفوا سوى الإسلام دينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماةً
يدكّون المعاقل والحصونا
وإن جنّ الظلام فلا تراهُمْ
من الإشفاق إلا ساجدينا
كذلك أخرج الإسلام قومي
شباباً طاهراً حرّاً أمينا

وأن **يلاحظ** المربي أخيراً **جانب التطبيق للأدعية المأثورة**[١] .. وذلك بتحفيظ الولد أهم ما ينبغي أن يحفظه من أدعية الصباح والمساء ، والنوم واليقظة ، والطعام والشبع ، والدخول الى البيت والخروج منه ، ولبس الثوب وخلعه ، وكذلك أدعية السفر ، والاستخارة ، والمطر ، والهلال ، والأرق ، والمرض ، والحزن .. الى غير ذلك من هذه الأدعية الواردة ، والمأثورات الثابتة الصحيحة ..

ولا شك أن المربي إذا لاحظ تعليم الولد لهذه المأثورات ، وراقب جانب حفظه لها ، وتطبيقه إياها .. فإن الولد يزداد خشية من الله ، وتقوى في نفسه ظاهرة التقوى والمراقبة .. وهذا من العوامل المؤثرة في تربية الولد إيمانيا وخلقيا ، وفي تكوينه روحيا ونفسيا واجتماعيا .. وعندئذ يستقيم أمر الولد ، وتنصلح أقواله وأفعاله ، ويصبح كالملك يمشي على الأرض طهرا وبراءة وصفاء ..

وما أحسن ما قال بعضهم في إيقاظ الضمير ، ومراقبة الله عز وجل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوتُ ولكن قل : عليّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

* * *

تلك – أخي المربي – منهج الإسلام في التربية بالملاحظة ، وإنه – كما رأيت – لمنهج قويم .. لو أخذت بأسسه وتعاليمه ، وسرت على هديه وقواعده .. لأصبح ولدك قرة عين لك ، ولبنة صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هاماً نافعاً في جسم الأمة الإسلامية الواحدة .. فاحرص – أيها المربي – على ملاحظة ولدك ، وكن معه أينما توجه ، كن معه بنفسك ، وكن معه بفكرك ، وكن معه باهتمامك ، وكن معه بملازمتك ومراقبتك ...

---

(١) يرجع إلى كتاب « الأذكار » للامام النووي ، وكتاب « الأدعية والأذكار » للشيخ العالم عبد الله سراج الدين ، وكتاب « المأثورات » للامام الشهيد حسن البنا فإن فيها كل ما يريد تعليمه المربي من أدعية ومأثورات .

لاحظه في إيمانه ، لا حظه في روحه ، لاحظه في أخلاقه ، لاحظه في عمله ، لاحظه في اجتماعه مع غيره ، لاحظه في وضعه النفسي ، وفي مزاجه العصبي .. لاحظه في كل شيء ...، ليكون ولدك رجلا ، مؤمناً تقياً .. له في القلوب احترام ، وفي النفوس إجلال ، وبين الناس مقام محمود .. وما ذلك ببعيد ، إن أحسنت تربيته ، وقمت على أمره ، وأديت ما عليك نحوه من حقوق ومسؤوليات !!..

* * *

٥ – التربيـة بالعُقوبـة

إن أحكام الشريعة الإسلامية الغراء بعدلها القويم ، ومبادئها الشاملة تدور حول صيانة الضرورات الأساسية التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها ، ويعيش بدونها .. وقد حصرها أئمة الاجتهاد ، وعلماء أصول الفقه بخمسة أمور ، وسمّوها (الضروريات الخمس) ، أو الكليات الخمس وهي : (حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العرض ، وحفظ العقل ، وحفظ المال) ، وقالوا : إن كل ما جاء في نظام الإسلام من أحكام ومبادىء وتشريعات .. ترمي إلى صيانة هذا الكليات ، وتهدف إلى رعايتها وحفظها ..

ووضعت الشريعة في سبيل المحافظة على هذه الكليات عقوبات زاجرة وأليمة لكل من يتعدّى عليها ، وينتهك حرمتها ..

وهذه العقوبات تعرف بالشريعة **باسم الحدود** ، **وباسم التعزيرات** .

أما الحدود :

فإنها عقوبات مقدّرة بتقدير الشرع تجب حقاً لله تعالى ، وهي :

١ – حد الارتداد : القتل إن أصرّ على ترك الدين أو الإلحاد بعد الاستتابة ، وإذا قُتل لا يغسل ولا يكفَّن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين .

والأصل في هذه العقوبة ما رواه الستة والإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيبّ الزاني (المتزوج الزاني) ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، والمفارق للجماعة » ، وعنه أيضاً : « منْ بدّل دينه فاقتلوه » .

٢ - **حد قتل النفس** : القتل إن كان القتل عمداً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ..** ﴾

(البقرة : ١٧٨)

٣ ـ **حد السرقة** : قطع يد السارق من الرسغ إن كانت من غير حاجة أو اضطراب لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم** ﴾

(المائدة : ٣٦)

٤ - **حد القذف** : الجلد ثمانون جلدة ، وعدم قبول الشهادة لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

(النور : ٤)

٥ ـ **حد الزنى** : الجلد مئة جلدة إذا كان الزاني غير محصن (أي غير متزوج) ، والرجم حتى الموت إن كان الزاني محصناً[1] .

أما الجلد مئة فلقوله تبارك تعالى :

﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ .

(النور : ٢)

وعند الإمام الشافعي يجب التغريب لمدة عام لكل من الزاني والزانية بلا تفرقة ، لما ثبت في السنة . وعند الإمام أبي حنيفة التغريب لمدة عام غير واجب وهو عنده من باب السياسة الشرعية إذا رأى الامام ذلك .

---

(١) المحصن . وهو الذي أصاب زوجته بعقد نكاح .

أما الرجم حتى الموت فلحديث ما عز بن مالك ، والمرأة الغامدية ، فإن الرسول ﷺ أمر برجمهما لكونهما محصنين .

٦ – **حد الإفساد في الأرض** : القتل ، أو الصلب ، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفي من الأرض . عند جمهور الفقهاء : - منهم الشافعي والإمام أحمد – أن قُطّاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا ولم يُصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتُلوا قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف[1] . وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض ، وهذا القول قريب من قول أبي حنيفة ، وقال البعض : إن الامام مخير بالعقوبة التي يراها زاجرة ومحققة للمصلحة . والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقتلوا أو يُصلبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

(المائدة : ٣٣)

٧ – **حد شرب الخمر** : وحدُّه من الأربعين إلى الثمانين جلدة .

لما روي أن الصحابة رضوان الله عليهم قدّروا ضرب الخمر على عهد رسول الله ﷺ بأربعين ، وروى الشوكاني : أن النبي ﷺ جلد شارب الخمر بجريدتين نحو أربعين ، وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ضرب في الخمر أربعين ..

أما الثمانون جلدة فهي من اقتراح عمر ، وقد استشار الصحابة فأشاروا إليه بأن يجعلها ثمانين لما رأوا البعض قد تمادوا في شرب الخمر ، ولهم في ذلك حجة ، فقد أثر عن علي كرم الله وجهه قوله : « إنه إذا شرب الخمر سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى » ، فقاسوا ذلك على حد القذف ، فجعل عمر رضي الله عنه – بعد هذه الاستشارة – الحدّ بقية أيامه ثمانين بعد أن كان يجلد أربعين .

---

(١) القطع من خلاف : قطع يد أيمن مع رجل الشمال .

فحدّ الخمر إذن أربعون جلدة ، وللإمام أن يزيد إلى الثمانين إذا لم تكن الأربعون رادعة للبعض كما فعل عمر رضي الله عنه .

أما التعزيرات :

فهي عقوبات غير مقدّرة تجب حقاً لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة وهي كالحدود في الزجر والتأديب الاستصلاحي للأمة ..

وإذا كانت العقوبة التعزيرية غير مقدرة فللحاكم أن يفرض العقوبة التي يراها مناسبة فقد تكون توبيخاً ، وقد تكون ضرباً ، وقد تكون حبساً ، وقد تكون مصادرة .. على ألّا تبلغ حداً من الحدود .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الإسلام شرع هذه العقوبات من الحدود والتعزيرات لأجل تحقيق حياة هانئة رضية من الأمن والاستقرار .. فلا يتعدى ظالم على مظلوم ، ولا يستبد قوي بضعيف ، ولا يتحكم غني بفقير .. وإنما الكل أمام الحق سواء لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ، وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ .

(البقرة : ١٧٩)

وهذا هو المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ..

■ ■ ■

والعقوبة مهما كانت سواء أكانت عقوبة قصاص أو عقوبة تعزير .. فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة الشعوب ، وإصلاح الأمم ، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في ربوع الإنسانية جمعاء .. والأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها فهي أمة منحلة متميّعة مفككة الكيان ، متقطعة الروابط والأوصال ، تعيش في فوضى اجتماعية دائمة ، وفي تخبط من الإجرام مستمر ، وأكبر مثل تضربه على هذا

أمريكا ، فإن علماء التربية الحديثة عند معظمهم ينفّرون من العقوبة ، ويكرهون ذكرها على اللسان ! بل نشروا من التوعية ، ووضعوا من النظم ما يكفل هذا الاتجاه ، وما يحقق هذه الرغبة .. فكان من نتيجة ذلك أن نشأ عندهم جيل منحل مائع متفلّت من المسؤولية ، متعطّش للفساد والإجرام .. وهذا ما حدا بالرئيس السابق « **كنيدي** » بأن يصرح عام /١٩٦٢/ : (بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات . لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه . وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات والتفلت من قيود المسؤولية والأخلاق أفسدت عليهم لياقتهم الطبية والنفسية)[١] .

وقد صرحت المربية الاجتماعية الأمريكية (مرغريت سميث) مثل هذا التصريح في جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم /٦٥٠/ : (إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس ، وتعاطي المخدرات .. أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن . وإن /١٠/ بالمئة منهن فقط مازلن محافظات ..) .

هذا عدا عن العصابات الإجرامية المنتشرة في أمريكا هنا وهناك ، وكلها خطر على الأنفس ، وخطر على الأموال ، وخطر على الأعراض ، وخطر بشكل عام على الأمن والاستقرار .. كل ذلك للتهاون في العقاب ، والاتجاه في التربية نحو اللين والتسامح ، وعدم أخذ المجرمين بالعلاج الحاسم ، والعقوبة الرادعة ، والشدة الزاجرة الصارمة !!..

فالله سبحانه حين سنّ لعباده قانون العقوبات هو أعلم بما سنّ لهم ، فلولا أنه يعلم أن العقوبة تحقق للفرد الأمن ، وللمجتمع الاستقرار لما شرع لهم هذه الحدود .. ولما وضع في تشريعه الخالد هذه العقوبات الزاجرة .. وما هي في الحقيقة إلا علاج

---

(١) عن كتاب « الثورة الجنسية » لجورج بالوشي .

ناجع ، وبلسم شاف لتطهير المجتمع من إجرام المفسدين ، ومن غدر الخائنين ، ومن ظلم المستبدين !!..

وفي تطبيقات الخلفاء لقانون العقوبات الإسلامية عبر العصور أكبر شاهد على انحسار الجرائم الاجتماعية عن المجتمع الإسلامي ، ونادر جداً أن تسمع عن حادثة قتل ، أو وقوع سرقة ، أو انتهاك عرض ، أو تجرع خمرة . أو الدعوة الصريحة السافرة إلى عقيدة باطنية أو مبدأ هدّام .. لماذا ؟ لأن عين الدولة ساهرة ، والحدود الشرعية مطبقة ، والتعاون على إزالة المنكر قائم ، والأخذ على يد المفسدين متحقق .. بل كان القاضي في هذه العصور – ولاسيما عصر الراشدين – يجلس على منصة القضاء سنتين ولم يحتكم إليه اثنان ، لأن المجرم الذي يريد أن يرتكب الجريمة إذا لم يكن عنده من الايمان الذي يردع ، والخشية من الله التي تزجر .. فإنه كان يحسب ألف حساب للعقوبة الزاجرة التي فرضها الإسلام .. فكان يكف عن القتل لعلمه أنه سيُقتل ، ويكف عن السرقة لعلمه أن سيُقطع ، ويكف عن الفاحشة لعلمه أنه سيُرجم أو يجلد . ويكف عن الدعوة إلى الإلحاد وعقائد الكفر لعلمه أنه سيبتر ويُعدم .. وهكذا يكف عن جميع الجرائم الاجتماعية لما يتحسّبه من عقوبة رادعة ، وأخذ بالذنب كبير !!..

وعلينا أن نميز بين العقوبات التي هي من اختصاص الدولة ، وبين العقوبات التي يجب أن ينتهجها الأبوان في الأسرة ، أو المربون في المدرسة ..

فالعقوبة التي يصل خبرها للدولة ان كانت من قبيل الحدود ، لا يجوز للحاكم أن يتغاضى عنها ، ولا يتساهل فيها ، ولا يقبل أيه شفاعة أو وساطة للحيلولة دون تنفيذها .. والدليل على هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام ردّ بحزم شفاعة أسامة ابن زيد حين جاءه ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت ، ثم خطب في الناس ونبههم الى أن طريق انحطاط الأمم وانقراضها إنما هو سلوك سبيل الظلم ، وعدم تطبيق مبدأ العدل ، فمما قاله عليه الصلاة والسلام : « أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » ، ثم أمر بقطع يدها فقطعت .

وإن كانت من قبيل التعزيرات فالعقوبة واجبة لابد منها ، وأمر تقديرها يرجع إلى رأي الحاكم يفعل ما يراه المصلحة ، وهي تتراوح ما بين التحذير إلى التوبيخ إلى الضرب إلى الحبس إلى المصادرة ...

وهي تتفاوت على حسب الشخص سناً وثقافة ومنزلة ..، فمنهم من تكفيهم الموعظة الرقيقة ، ومنهم من يكفيهم التوبيخ ، ومنهم لا يصلح ردعهم إلا بالعصا ، ومنهم لا ينحجب شرهم إلا بالسجن .. ومنهم .. ومنهم ... وصدق من قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

أما العقوبات التي ينتهجها المربون في البيت أو المدرسة فإنها تختلف كمّاً وكيفية وطريقة عن عقوبات عامة للناس .

وإليك – أخي المربي – الطريقة التي انتهجها الإسلام في عقوبة الولد :

١ – معاملة الولد باللين والرحمة هي الأصل :

– روى البخاري في الأدب المفرد : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » .

– وروى الآجري : « عرّفوا ولا تعنّفوا » .

– وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن وقال لهما : « يسّرا ولا تعسّرا وعلّما ولا تنفّرا » .

– وروى الحارث والطيالسي والبيهقي : « علّموا ولا تعنّفوا فإن المعلم خير من المعنّف » .

فيدخل الولد بهذه التوجيهات النبوية دخولاً أولياً باعتبار أنه محط الرعاية ، ومحل العطف ..

ومما يؤكد أن المعاملة بالرفق واللين هي الأصل ملاطفة الرسول ﷺ للأولاد ، وسبق أن ذكرنا الكثير من الأمثلة والشواهد في مبحث « التربية بالقدوة » عن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بالأطفال ، ورحمته بهم ، وملاطفته لهم ، وممازحته إياهم ، فارجع اليه تجد ما يشبع الفكر ، ويشفي الغليل !!..

٢ – مراعاة طبيعة الطفل المخطىء في استعمال العقوبة :

الأولاد يتفاوتون فيما بينهم ذكاء ، ومرونة واستجابة .. كما أن أمزجتهم تختلف على حسب الأشخاص ، فمنهم صاحب المزاج الهادىء المسالم ، ومنهم صاحب المزاج المعتدل ، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد .. وكل ذلك يعود إلى الوراثة ، وإلى مؤثرات البيئة ، وإلى عوامل النشأة والتربية ..

فبعض الأطفال ينفع معهم النظرة العابسة للزجر والإصلاح ، وقد يحتاج طفل آخر إلى استعمال التوبيخ في عقوبته ، وقد يلجأ المربي الى استعمال العصا في حالة اليأس من نجاح الموعظة ، واستعمال طريقة التوبيخ والتأنيب ..

وعند كثير من علماء التربية الإسلاميين – ومنهم ابن سينا والعبدري وابن خلدون – أنه لا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى ، وأن لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء .. لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل ، وتكوينه خلقياً ونفسياً ..

وقد قرر ابن خلدون في مقدمته أن القسوة المتناهية مع الطفل تعوّده الخور ، والجبن ، والهروب عن تكاليف الحياة .. فمما قاله : (من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم .. سطا به القهر ، وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له) .

وقد أسهب ابن خلدون في توضيح ما ينشأ من الأثر السيء ، والنتائج الوخيمة .. بسبب القهر واستعمال الشدة والعنف في الولد فقال : (إن من يعامل

بالقهر يصبح جملاً على غيره ، إذ هو يصبح عاجزاً عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوّه من الحماسة والحميّة على حين يقعد عن اكتساب الفضائل ، والخلق الجميل .. وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى إنسانيتها) . وهذا الذي ذكره ابن خلدون يتفق كل الاتفاق مع التوجيه النبوي الذي سبق ذكره في الملاطفة والرفق واللين ، وينسجم تماماً مع المعاملة الرفيقة الرحيمة التي كان النبي ﷺ يعامل عليها الأولاد جميعاً ، ويتلاءم أيضاً مع المعالجة الحكيمة التي كان عليه الصلاة والسلام يعالج بأسلوبها مشاكل الناس ، وأبناء المجتمع على اختلاف أعمارهم ، وتباين طبقاتهم .. بل كان رجال السلف وأصحاب المناصب العالية يأخذون أولادهم بالحكمة والرفق واللين .. ولا يلجؤون الى العقوبة الشديدة إلا بعد اليأس من استعمال أسلوب الموعظة والتأنيب . ومما ترويه كتب التاريخ أن الخليفة الرشيد طلب إلى « الأحمر » مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمرّ دون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، وألّا يمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، ويقوّمه ما استطاع بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة .. والأمثلة على **ذلك كثيرة ومستفيضة قد نثرناها في ثنايا كتاب التربية في أقسامه الثلاثة** .

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن على المربي أن يكون حكيماً في استعمال العقوبة الملائمة التي تتفق مع ذكاء الطفل وثقافته ومزاجه ، كما عليه ألاّ يلجأ إلى العقوبة إلا في مرحلتها الأخيرة .

٣ – التدرج في المعالجة من الأخف إلى الأشد :

مما نوهنا عنه قبل قليل أن العقوبة التي يجريها المربي للولد يجب أن تكون في مرحلتها الأخيرة ، ومعنى هذا أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يمر عليها المربي قبل اللجوء إلى الضرب لعلها تؤدي الغرض في تقويم اعوجاج الطفل ، ولعلها تصلح من شأنه ، وترفع من مستواه الأخلاقي والاجتماعي . وتجعله إنساناً سوياً !!..

لأن المربي كالطبيب – كما يقول الإمام الغزالي –، كما أن الطبيب لا يجوز أن يعالج المرضى بعلاج واحد مخافة الضرر . كذلك المربي لا يجوز أن يعالج مشاكل الأولاد ،

ويقوّم اعوجاجهم بعلاج التوبيخ وحده مثلًا مخافة ازدياد الانحراف عند البعض ، أو الشذوذ عند الآخرين .. ومعنى هذا أن يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمه ، ويبحث عن الباعث الذي أدى إلى الخطأ وعن عُمُر المخطىء ، وثقافته ، والبيئة التي يكتسب منها .. كل ذلك مما يساعد المربي على فحص علة الانحراف في الولد ، وتشخيص مرضه .. ليصف له العلاج الذي يناسبه . ومتى عرف المربي مكمن الداء ، وشخّص موضع العلّة يستطيع أن يصف له العلاج الملائم ، ويسلك معه الأسلوب الأفضل .. حتى يصل بالولد في نهاية الشوط إلى روضة الأصحاء ، وشاطىء المتقين .

والرسول عليه الصلاة والسلام قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة انحراف الولد ، وتأديبه ، وتقويم اعوجاجه ، وتكوينه الخلقي والنفسي .. حتى يأخذ المربون بأحسنها ، ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة ، ولابدّ أن يصلوا في نهاية المطاف إلى إصلاح الولد وتهذيبه ، وجعله إنساناً مؤمناً تقياً !!.

والطرق التي فتح معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام هي :

١ – الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه :

روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حِجْر رسول الله ﷺ (إي تحت رعايته) ، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَة (أي تتحرك هنا وهناك في القصعة) ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلامُ سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أرشد عمر بن أبي سلمة إلى الخطأ بالموعظة الحسنة ، والتوجيه المؤثر المختصر البليغ ..

٢ – الإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه :

أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول ﷺ للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ – وهذه هي

الملاطفة وأسلوب التوجيه -- ، فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتلّه رسول الله ﷺ في يده (أي وضع الشراب في يده) ، وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلّم الغلام التأدب مع الكبار في إيثار حقه في الشراب لهم ، وهذا هو أفضل ، وقد قال له مستأذناً وملاطفاً وموجهاً : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

٣ - الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة :

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان الفضل رديف رسول الله ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل رسول الله ﷺ ، يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يارسول الله ، إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحجّ عنه ؟، قال نعم ، وذلك في حجة الوداع .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ النظر إلى الأجنبيات بتحويل الوجه إلى الشق الآخر ، وقد أثر ذلك في الفضل .

٤ - الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ :

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سابَبْتُ رجلًا ، فعيّرتُه بأمّه (قال له يا ابن السوداء) ، فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر : « أعيّرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، وإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ أبي ذر حين عيّر الرجل بسواده بالتوبيخ والتأنيب : وذلك في قوله : يا أبا ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية) . ثم وعظه بما يلائم المقام ، وما يناسب التوجيه !!.

٥ - الإرشاد إلى الخطأ بالهجر :

- روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الخَذْف (أي رمي الحصى بالسبّابة والإبهام) ، وقال : « إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدوّ ، وإنه يفقأ العين ويكسر السنّ » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مُغفّل خَذَف ، فنهاه وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، وقال « إنها لا تصيد صيداً ... » ، ثم عاد ، فقال : أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟ لا أكلمك أبداً !!.

وروى البخاري أن كعب بن مالك حين تخلّف عن النبي ﷺ في تبوك قال : « نهى النبي ﷺ عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة .. » حتى أنزل الله توبتهم في القرآن الكريم .

وروى السيوطي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم يَنْقد لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ : « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد » .

لقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام والرعيل الأول من أصحابه كانوا يعاقبون بالهجر في إصلاح الخطأ ، وتقويم الاعوجاج ، حتى يرجع المنحرف إلى جادة الصواب ..

٦ - الإرشاد إلى الخطأ بالضرب :

- روى أبو داود والحاكم عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » .

- وفي سورة النساء :

﴿ واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾

(آية : ٣٤)

لقد رأيت أن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام ، وهو يأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر ، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف ، ليكون الضرب هو أقسى العقوبات على الإطلاق ، ولا يجوز اللجوء إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والإصلاح !!.. علماً أنه عليه الصلاة والسلام ما ضرب امرأة من نسائه قط .

٧ - الإرشاد إلى الخطأ بالعقوبة الواعظة :

القرآن الكريم قرر مبدأ العقوبة الواعظة في قوله تبارك وتعالى :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ... ﴾ إلى قوله : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

(النور : ٢)

وجه هذه العقوبة أن العذاب حين يكون أمام مشهد من الناس ، وبمحضر من أبناء المجتمع .. فإن العبرة تكون أبلغ ، والعظة تكون أقوى .. ذلك أن الطائفة التي ترى العذاب تتصور في خيالها كأن العذاب واقع بها ، فهي تتألم كما لو كان التأثير حقيقياً .. وهي بالتالي تخشى العقاب وترهبه خشية أن يصيبها ما أصاب هؤلاء المعذبين المعاقبين !!.. فانطلاقاً من هذا المبدأ القرآني (وليشهد عذابهما ...) كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بتنفيذ الحدود الشرعية أمام مجتمعات الناس ، وتحت سمعهم وبصرهم ..

وقديماً قيل : (السعيد من اتعظ بغيره) .

وهذا هو المراد من قوله تبارك وتعالى :

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) .

(البقرة : ١٧٩)

لأن في هذا القصاص انتشاراً للأمن والسلام ، وتحقيقاً لمعنى الطمأنينة والاستقرار ، وزجراً للنفوس الشريرة عن أن تتمادى في الظلم ، وتتوغل في الإجرام ..

ولا شك أن المربي حين يعاقب الولد المسيء أمام إخوته أو أقرانه .. فإن هذه العقوبة تترك الأثر الأكبر في نفوس الأولاد جميعاً ، ويحسبون ألف حساب لعقوبات تنالهم ، أو إساءات يفعلونها !!.. وبهذا يعتبرون ويتّعظون ..

* * *

فانطلاقاً من هذه الطُرق والأساليب التي خط معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .. يستطيع المربي أن يختار منها ما يلائم تأديب الولد ، وما يعالج انحرافه .. وقد تكفي المعالجة في بعض الأحيان موعظة بليغة ، أو نظرة خاطفة ، أو ملاطفة رقيقة ، أو إشارة عابرة ، أو كلمة زاجرة ..

وإذا عرف المربي أن الإرشاد إلى الخطأ بواحدة من هذه الأساليب لا تُجدي فتيلًا في إصلاح الولد ، واستقامة أمره .. فعندئذ يتدرج معه إلى الأشد ، ويأتي دور التوبيخ ، فإذا لم يُجْدِ فيأتي دور الضرب غير المبرّح .. فإذا لم يُجْدِ فيأتي دور الضرب المؤلم الموجع .. ومن الأفضل أن تكون العقوبة الأخيرة أمام طائفة من الأهل أو الزملاء ، عسى أن تكون لهم زاجرة وواعظة !!..

وإذا رأى المربي أن الولد – بعد إنزال العقوبة – قد انصلح أمره ، واستقام خُلُقه .. **فعليه أن ينبسط له ، ويتلطف معه ، ويبش في وجهه** ، ويشعره أنه ما قصد من العقوبة إلّا خيره وسعادته ، وصلاح أمره في دينه وآخرته .. وهذه هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تأديبه لأصحابه ، ومعاملته لهم بعد إنزال العقوبة بهم .. روى البخاري ومسلم أن كعب بن مالك لما تخلّف عن غزوة تبوك من غير عذر أمر النبي ﷺ بمقاطعته خمسين يوماً ، وبقي في هذه الفترة في مقاطعة تامة .. فلا أحد يجالسه ولا يسلم عليه .. حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبعد أن أعلن النبي ﷺ توبة الله عليه ، قال كعب : « وانطلقت أتأمم (أقصد) رسول الله ﷺ ، يتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة . **ويقولون لي : لِتَهنِكَ توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله** ﷺ جالس حوله الناس ، فقام طلحةُ بن عُبَيْد رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنّأني .. قال كعب : فلما سلمْتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرُق وجهه من

السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك مُذ ولدتك أمُّك ، فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله عز وجل ، وكان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنّا نعرف منه ..

والولد حين يستشعر أن المربي – بعد إجراء العقوبة – يحن إليه ، ويعطف عليه ، وينبسط له ، ويتلطف معه ، وأنه ما أراد من ذلك إلا تربيته وإصلاحه .. فلا يمكنه بحال أن يتعقّد نفسياً ، وأن ينحرف خلقياً .. وأن يتخبط في ردود الفعل ، وأن يسبح في خضمّ من مركبات النقص .. بل يقدّر لهذه المعاملة الرحيمة قدرها ، ويؤديها حقها ، ويسير في مواكب المتقين الأبرار ، ويكون دائماً في مجمع من المصطفين الأخيار ..

* * *

ولكنّ الاسلام حين أقر عقوبة الضرب – كما سبق بيانه – فإنه أحاط هذه العقوبة بدائرة من الحدود ، وبسياج من الشروط .. حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفّي والانتقام !!..

وهذه الشروط في عقوبة الضرب نرتبها فيما يلي :

١ – ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها .

٢ – ألا يضرب وهو في حالة غضبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد ، أخذاً بوصية النبي ﷺ : « لا تغضب » كما روى البخاري .

٣ – أن يتجنب في الضرب الأماكن المؤذية كالرأس ، والوجه ، والصدر ، والبطن .. لقوله عليه الصلاة والسلام – كما روى أبو داود – : « .. ولا تضرب الوجه .. » ، ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ لما أمر برجم الغامديّة .. أخذ حصاة كالحمصة ورماها بها ، ثم قال للناس : « ارموها واتقوا الوجه .. » ، وإذا كان عليه الصلاة والسلام منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها .. فإن ضرب الوجه على حالة ليس فيها إتلاف للنفس – كالتعزير

والتأديب – يكون ممنوعاً من باب أولى ، ولأن الوجه أو الرأس موضع الحواس ، وفي الضرب عليه إذهاب لبعض الحواس ، وهو يعتبر إيذاءً وإتلافاً ..

أما الضرب على الصدر أو البطن فإنه ممنوع أيضاً لكونه يؤدي إلى أضرار بالغة قد تفضي إلى الوفاة أحياناً ، ويدخل المنع تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » .

٤ – أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم ، وأن يكون على اليدين أو الرجلين بعصا غير غليظة .. وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحُلُمْ . وإذا شارف الولد على البلوغ ورأى المربي أن الضربات الثلاثة لا تردع .. فله أن يزيد حتى العشرة لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يَجْلِدُ أحدٌ فوق عشرة أسواط إلا في حدٍّ من حدود الله تعالى »[١] .

٥ – ألّا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن أخذاً بالحديث الذي سبق بيانه « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ... » .

٦ – إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة .. فيُعطى له الفرصة أن يتوب عما اقترف ، ويعتذر عما فعل ، ويُتاح له المجال لتوسط الشفعاء ليحولوا – ظاهراً – دون العقوبة مع أخذ العهد عليه .. حتى لا يعود للخطأ مرة ثانية ، وهذا أولى من الالتجاء إلى الضرب أو التشهير به أمام الناس .

٧ – أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه ، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الإخوة ، أو من الرفقاء .. حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات ..

٨ – إذا ناهز الولد سن البلوغ والاحتلام ، ورأى المربي أن العشر ضربات غير كافية في الردع فله أن يزيد ، وله أن يوجع ، وله أن يكرر .. حتى يرى الولد قد استقام على الجادة ، ومشى في الحياة على هدىً وصراط مستقيم ..

---

(١) رواه ابن تيمية ، وذكره صاحب الإقناع والمغني .

ومن هذا يتضح أن التربية الإسلامية قد عنيت بموضوع العقوبة عناية فائقة سواء أكانت عقوبة معنوية أم عقوبة مادية .. وقد أحاطت هذه العقوبة بسياج من الشروط والقيود ، فعلى المربين ألا يتجاوزها وألا يتغاضوا عنها .. إن أرادوا لأولادهم التربية المثلى ، ولأجيالهم الإصلاح العظيم ..

وكم يكون المربي موفقاً وحكيماً حينما يضع العقوبة موضعها المناسب ، كما يضع الملاطفة واللين في المكان الملائم ..؟

وكم يكون المربي أحمق جاهلاً حينما يحلُم في موضع الشدة والحزم ، ويقسو في مواطن الرحمة والعفو ؟

ورحم الله من قال :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضرّ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهمو
ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟

وجزى الله الأستاذ العالم الشيخ كامل بدر بما أوصى به المربين : من ملاطفة ولين في معاملة الولد حين قال :

إن المربيّ في شرع الهدى رَحِمٌ
بَرّ بمرعيّه لا عاتيَ الخُلُقِ
يدمي بسوط الأذى القطعان وهو يرى
في نفسه ضيغماً قد صال في غَسَقِ
أطفالنا يا رعاة الجيل عندكمُ
وديعة لا دمى حَطِّم لدى النَّزَقِ

والولد منذ الصغر حين يتربّى على العقيدة الربانية محاسبة ومراقبة ، ويتكوّن على الإيمان بالله ، والاستعانه به ، واللجوء إليه ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .. في كل مراحل الحياة ، وأطوارها المختلفة .. وحين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه معه يرقبه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. فالولد حين يتكوّن على هاتيك المعاني .. فإن التخويف الأخروي ، والتهديد الدنيوي .. يبلغ من قلبه كل مبلغ ، واللمسات الترهيبية والزجرية تترك أثرها في نفسه ، وفي سلوكه ، وفي معاملته .. وعندئذ ينصلح أمره ، وتستقيم أخلاقه !!.

والقرآن الكريم قد استعمل **هذه العقوبة التخويفية والرهيبة في** كثير من الآيات البيّنات ، واستخدمها في إصلاح النفوس المؤمنه ، وفي إعدادها الخلقي والنفسي .. وكم تركت أثراً في النفوس ، ونتائج حسنة في السلوك ، وعواقب حميدة في التربية والأخلاق ؟..

– **فهو مرة** يهدد ويخوّف بقساوة القلوب .. إذا ظلت النفوس سادرة في غيّها :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ .

(الحديد : ١٦)

– ومرّة يهدد بغضب الله وعذابه صراحة (كما جاء في حديث الإفك » وتلك درجة أشد :

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ؛ سبحانك هذا بهتان عظيم ؟ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾

(النور : ١٤ — ١٧)

- ومرة يهدّد بحرب الله ورسوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ... ﴾

(البقرة : ٢٧٩)

- ومرّة يهدّد بعقاب الآخرة :

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذابُ يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ .

(الفرقان : ٦٨ ٦٩)

- وتارة يهدد بالعقاب في الدنيا :

﴿ إلّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوما غيركم ﴾ .

(التوبة : ٢٩)

﴿ وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ .

(الفتح : ١٦)

﴿ وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ﴾ .

(التوبة : ٧٤)

﴿ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ .

(التوبة : ٥٥)

وفي تقديري أن المربي إذا اعتنى بتربية الولد إيمانياً ، وكوّنه على مراقبة الله والخشية منه .. فإن تهديدات القرآن الكريم ، وتخويفات السنة المطهرة .. لها أكبر الأثر في إصلاح الولد وكفه عن كثير من المحرمات .. وقد ألمحنا في (مسؤولية التربية الإيمانية) عن الدور الذي يجب أن يقوم به المربي في تربية الولد عقيدياً ، وتكوينه إيمانياً .. حتى ينشأ على الاستقامة ، ويتربى على الأخلاق .. وهذه هي العقوبة الترهيبية والتخويفية التي فصلنا فيها القول قبل قليل ..

وفي الختام أقول :

إن المربي لا يعدم الوسيلة المجدية في زجر الولد وردعه ، وهذه الوسائل التي سبق ذكرها هي من أهم الوسائل الزجرية في التأديب والإصلاح .. وهنا تتجلى حكمة المربي في استعمالها ، واختيار الأصلح منها ...

ولا شك أن هذه الوسائل تتفاوت بتفاوت الأولاد ذكاءً وثقافة وحساسية ومزاجاً .. فمنهم من تكفيه الإشارة البعيدة ويرتجف لها قلبه . ويهتز من التلميح بها وجدانه ، ومنهم من لا يردعه إلا النظرة العابسة والغضب الجاهر الصريح .. ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ .. ومنهم من يصلحه الهجر ، ومنهم من ينفعه التأنيب والتوبيخ ، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحسّ لدغ العقوبة على جسمه لكي يستقيم ..

والإسلام – كما مر – شرع هذه العقوبات بأسرها ، وأرشد المربين إليها .. وهنا تظهر البراعة في استخدامها ، واختيار الصالح منها بقدر ما يحقق مصلحة الولد .. وعلى الله قصد السبيل .

* * *

أخي المربي :

هذه هي وسائل التربية المؤثرة في الولد .. وهي – كما رأيت – وسائل هامة وعملية ومجدية .. إن استطعت أن تنفذها ، وتسهر على تحقيقها ، وتأخذ بوسائل تطبيقها .. فإن الولد – لاشك – سيكون له شأن وأي شأن ، بل سيكون المشار إليه بالبنان ، والمعروف بين قومه وعشيرته بالتقى والورع والإحسان !!..

ويخطىء من يظن أن التربية في الإسلام تقوم على غير هذه الأسس ، وتتكوّن على غير هذه الوسائل .. اللهم إلا إذا كانت التربية ربانية .. كتربية الأنبياء .. فإنها – لاشك – محوطة بعناية الله ، مصنوعة على عينه ، مشتملة على رعايته وتأديبه .. بل لا يمكنها بحال أن يعتريها نقص ، أو يطرأ عليها انحراف !!..

أما تربية الدولة للأمة ، وتربية ذوي الاختصاص للمجتمع ، وتربية الأبوين للأسرة .. فإنها مرتبطة بأسباب تربوية ، ووسائل توجيهية .. إن أخذ بها المسؤولون ، ومشى على منهجها المربون .. فإن الأمة تنصلح ، والأسرة تستقيم ، والفرد يهتدي .. والمجتمعات تصل الى قمة الفلاح ، وذروة السعادة والاستقرار .. ولقد رأيت -- أخي المربي -- الوسائل التي رسم معالمها الإسلام في تربية الولد إيمانياً وخلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعياً ..

فبالتربية بالقدوة يكتسب الولد أفضل الصفات ، وأكمل الأخلاق ، ويترق نحو الفضائل والمكرمات ، وبدونها لا ينفع مع الولد تأديب ، ولا تؤثر به موعظة !!..

وبالتربية بالعادة يصل الولد في التكوين التربوي إلى أفضل النتائج . وأطيب الثمرات .. لأنها تعتمد على وسيلة الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على أساس من الترغيب والترهيب ، وتنطلق من منطلقات الإرشاد والتوجيه .. وبدونها يكون المربي كالذي يرقم على ماء . ويصرخ في واد ، وينفخ في رماد بلا فائدة ولا جدوى ..

وبالتربية بالموعظة يتأثر الولد بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة ، والقصة الهادفة ، والحوار المشوّق ، والأسلوب الحكيم ، والتوجيه المؤثر .. وبدونها لا يهتز وجدان الولد ، ولا يرقّ قلبه ، ولا تتحرك عاطفته .. وتكون التربية جافة ، والأمل في إصلاحه ضعيفاً !!..

وبالتربية بالملاحظة ينصلح الولد ، وتسمو نفسه ، وتكتمل آدابه وأخلاقه .. ويصبح لبنة صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هاماً نافعاً في جسم الأمة المسلمة .. وبدونها ينحدر الولد الى أرذل العادات ، ويهبط إلى أسفل الدركات ، ويكون في المجتمع مجرماً شقياً !!..

وبالتربية بالعقوبة ينزجر الولد ، ويكفّ عن أسوأ الأخلاق ، وأقبح الصفات .. ويكون عنده من الحساسية والشعور ما يردعه عن الاسترسال في الشهوات ، وارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات .. وبدونها يتمادى الولد في الفاحشة ، ويتوغل في حمأة الإجرام ، ويتقلب في متاهات المفاسد والمنكرات !!..

فاحرص – أخي المربي – على أن تكون لهذه الوسائل من المحققين ، ولهذه الأسس من العاملين المطبقين .. إن أردت لولدك إصلاحاً ، ولمجتمعك خيراً وسعادة ، ولدولتك المسلمة نصراً وسيادة .. وما ذلك على الله بعزيز .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

* * *

الفصل الثاني

القواعد الأساسية في التربية

الإسلام بقواعده التشريعية الشاملة ، ومبادئه التربوية الخالدة .. وضع حلولاً ومناهج في تنمية شخصية الولد سواء أكانت هذه التنمية عقيدية أوأخلاقية أو جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية ..

وهذه الاصول والمناهج – كما ترى أخي المربي – هي مبادىء واضحة المعالم ، سهلة التنفيذ ، نبيلة المقصد .. لو انتهجها المربون في تكوين الأجيال ، وتربية المجتمعات والأمم .. لتبدلت الأمة غير الأمة ، والأجيال غير الأجيال .. ولبلغت الذروة في متانة العقيدة ، وسمو الأخلاق ، وقوة الجسم ، ونضج العقل ، وجمال الأدب .. ولاستعادت في العظمة والمجد والخلود سيرة الآباء الاولين ، وتاريخ الغرّ المحجلين ، وعزة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ..

وقبل أن نخوض في تبيان القواعد التي يجب أن يعتمدها المربون في تكوين شخصية الولد ، وإعداده إنساناً سوياً متزناً في الحياة .. يحسن أن نتطرق - ولو باختصار - للصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في المربي ليكون تأثيره في الأولاد أبلغ ، والاستجابة إلى مناصحته أقوى !! ..

صفات المربّي الأساسية

١ - الإخلاص

على المربي أن يحرر نيته ، ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة ..

والثمرة التي يجنيها تنفيذ منهج التربية على الدوام ، وملاحقة الولد تربوياً باستمرار .. عدا عن أنه يحظى بثواب الله ورضوانه ، ويظفر بدار المقامة في جنات خلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

والإخلاص في القول والعمل هو من أسس الإيمان ، ومن مقتضيات الإسلام ، لا يقبل الله العمل إلا به ، جاء الأمر به جزماً وتأكيداً في كتاب الله عز وجل ، وعلى لسان نبينا عليه الصلاة والسلام :

- قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

(البينة : ٥)

- وقال أيضاً :

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ :

(الكهف : ١١٠)

- وقال عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الشيخان - : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... » .

– وقال صلوات الله وسلامه عليه – فيما رواه أبو داود والنسائي –:« إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتُغي به وجهه » .

فما على المربي – بعد الذي علمه – إلا أن يحرر النية ، ويقصد وجه الله في كل عمل يقوم به ، ليكون عند الله من المقبولين ، وبين أولاده أو تلامذته من المحبوبين والمؤثرين !!..

٢ – التقوىٰ

من أميز ما يجب أن يتصف به المربي صفة التقوى ، وهي كما عرفها العلماء الربانيون : « **أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لايفقدك حيث أمرك** » ، أو هي كما قال البعض :

« **اتقاء عذاب الله بصالح العمل ، والخشية منه في السر والعلن** » .

وكلا التعريفين ينصبّان حول مفهوم واحد ألا وهو اتقاء عذاب الله بالمراقبة الدائمة لله ، والتزام المنهج الرباني في السر والعلن ، وبذل الجهد دوماً لتحري الحلال واجتناب الحرام ..

ومما يؤكد هذا تلك المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما وذلك أن عمر بن الخطاب سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال : بلى ، قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى .

لهذا كان الحض على التقوى والأمر بها في كثير من آيات الله سبحانه :

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ..** ﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً** ﴾ .

(الأحزاب : ٧٠)

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ .
(الحشر : ١٨)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ .
(الحج : ١)

- ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .
(الطلاق : ٢ - ٣)

وفي كثير من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ..

- وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

- وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة ، قال : « تقوى الله ، وحسن الخلق .. » .

- وروى أحمد والحاكم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخُلق حسن » .

- وروى الطبراني عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يبرّوكم » .

والمربي يدخل في مضمون هذه الأوامر والتوجيهات دخولا أولياً لكونه القدوة الذي يؤخذ منه وينظر إليه ، ولكونه المسؤول الأول عن تربية الولد على أسس الإيمان ، ومعالم الإسلام ..

ومن المؤكد حقاً أن المربي إذا لم يكن متحققاً بالتقوى ، وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الإسلام .. فإن الولد – لا شك – ينشأ على الانحراف ، ويتقلب في حمأة الفساد والانحلال ، ويتيه في بيداء الضلال والجهالة .. لماذا ؟ لأنه وجد الذي يشرف على تربيته وتوجيهه قد تلوث في أوحال المنكرات ، وتخبط في خضم الشهوات ، وانطلق في بيئة الإباحية .. فينشأ الولد وليس له من الله رادع ، وليس له من مراقبته زاجر ، وليس له من ضميره اعتصام .. فمن الطبيعي أن يلتاث الولد ، وأن يشذّ وينحرف في بيئات الجاهلية ، وعصور الانتكاس والضلال ..

فعلى المربين أن يفهموا هذه الحقيقة إن أرادوا لأولادهم أو تلامذتهم .. الخير والهدى والإصلاح .. في عالم من الطهر ، ودنيا من الصفاء ..

ولقد فصلنا القول عن أثر القدوة في تربية الولد في مبحث (التربية بالقدوة) فارجع إليه – أخي القارىء – تجد ما فيه الكفاية ، وما يشفي الغليل ..

٣ – العلم

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن المربي ينبغي أن يكون عالماً في أصول التربية التي جاءت بها شريعة الإسلام ، وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادىء الأخلاق ، وأن يكون متفهماً على العموم أنظمة الإسلام ، وقواعد الشريعة .. لماذا ؟ لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً يضع الأشياء في موضعها ، ويربي الولد على أصولها ومقتضاها ، ويسير في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدي محمد ﷺ ، وأسوة كريمة من سير الرعيل **الأول من صحابة رسول الله** ﷺ ومن تبعهم بإحسان ..

وأما إذا كان المربي جاهلا – ولا سيما في القواعد الأساسية في تربية الولد – فإن الولد يتعقد نفسيا ، وينحرف خلقياً ، ويضعف اجتماعيا .. ويكون إنساناً من سقط المتاع لا وزن له ولا اعتبار فى أى مجال من مجالات الحياة لأن فاقد الشيء لا يعطيه أبداً ، والحوض الفارغ من الماء لا يمكن أن يفيض على غيره ، والمصباح الخالي من الوقود لا يمكن أن ينير على من حوله ، وكم يجني الأب على أولاده إذا كان جاهلا ؟ وكم

يتقلب الولد في الشقاء إذا كان المربي عن علم الشريعة حائداً ؟ ولا شك أن المسؤولية أمام الله خطيرة ، والوقفة يوم العرض الأكبر جسيمة (وقفوهم إنهم مسؤولون) وذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !!..

ورحم الله من قال :

لا تأخذ العلم إلا عن جهابذة
بالعلم نحيا وبالأرواح نفديه
أما ذوو الجهل فارغب عن مجالسهم
قد ضل من كانت العميان تهديه

ومن أجل هذا كان اهتمام شريعة الإسلام في الحض على العلم عظيماً ، وكانت العناية في التكوين العلمي فائقة كبيرة .

والآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه وتسوقهم إليه أعظم من أن تحصى وأكبر من أن تستقصى .. وها نحن أولاء نقتطف طاقات منها عسى أن تكون ذكرى وعبرة لمن يريد أن يتذكر ويعتبر :

من هذه الآيات :

- ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ .
(الزمر : ٩)

- ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .
(المجادلة : ١١)

- ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾ .
(طه : ١١٤)

من هذه الأحاديث :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة » (مسلم) .

- « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه[1] وعالماً أو متعلماً » (الترمذي) .

- « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » (الترمذي) .

- « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه) .

فما على المربين بعد هذه التوجيهات القرآنية ، والتوصيات النبوية إلا أن يتزودوا بالعلوم النافعة ، والمناهج التربوية الصالحة .. من أجل تربية جيل إسلامي ، بجهوده وعزائمه يتحقق عز الإسلام ، وتقوم في العالمين دولته القوية المنيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

٤ – الحِلْم

من الصفات الأساسية التي تساعد على إنجاح المربي في مهمته التربوية ، ومسؤوليته التكوينية والإصلاحية .. هي صفة الاتزان والحلم ، فبها ينجذب الولد نحو معلمه ، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه ، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة ، ويتخلى عن الأخلاق المرذولة .. ويكون كالمَلَك حين يمشي على الأرض ، وكالبدر حين يظهر في الناس .

من أجل هذا حض الإسلام على الحلم ورغّب فيه في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .. ليعلم الناس – وبالأخص المربون والدعاة – أن الحلم هو من أعظم الفضائل النفسية والخلقية التي تجعل الإنسان في قمة الأدب ، وفي ذروة الكمال ، وفي أعلى مراتب الأخلاق ..

من هذه الآيات :

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .
(آل عمران : ١٣٤)

---

(١) وما والاه : أي أطاع الله .

– ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

(الأعراف : ١٩٩)

– ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

(الشورى : ٤٣)

– ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

(فصلت : ٣٤)

من هذه الأحاديث :

– قال عليه الصلاة والسلام لأشجّ عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » مسلم .

– روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني . قال : « لا تغضب » ، فردده مراراً ، قال : « لا تغضب » البخاري .

– « ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » متفق عليه .

– « يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفّروا » متفق عليه .

ويتفرع عن الحلم الرفق في الأمور كلها :

– عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحبّ الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

– وعنها : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويُعطي على الرفق ، مالا يُعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » مسلم .

– وعنها : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه » مسلم .

فما على المربين إلا أن يتحلوا بالحلم والرفق والأناة إن أرادوا للأمة إصلاحها، وللجيل هدايته، وللأولاد تربيتهم وتقويم اعوجاجهم ..

وليس معنى هذا أن يسلك المربي دائماً طريق الحلم والرفق في تربية الولد، وإعداده للحياة .. وإنما المراد أن يضبط المربي نفسه دونما غضب ولا انفعال في تقويم الاعوجاج، وإصلاح الأخلاق .. وإذا رأى من المصلحة معاقبته بعقوبة التوبيخ أو الضرب مثلا، فعليه ألا يتأخر عن معاقبته حتى ينصلح أمره، وتستقيم أخلاقه .. ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وقد سبق أن فصلنا القول في مبحث (التربية بالعقوبة) فارجع اليه – أخي القارىء – تجد ما فيه الكفاية إن شاء الله.

٥ – الاستشعار بالمسؤولية

ومن الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيداً، وتتأصل في بؤرة شعوره ووجدانه .. استشعاره بمسؤوليته الكبرى في تربية الولد إيمانياً وسلوكياً، وتكوينه جسمياً ونفسياً، وإعداده عقليا واجتماعيا .. هذا الاستشعار يدفعه دائماً لأن ينطلق بكليته في مراقبة الولد وملاحظته، وفي توجيهه وملاحقته، وفي تعويده وتأديبه .. وعليه أن يعتقد أنه إذا غفل عنه فترة، وإذا تساهل عن ملاحظته مرة .. فإن الولد سيتدرج في الفساد خطوة خطوة .. وفي حال الغفلة الدائمة، والتساهل المتكرر .. فإنه سيكون لا محالة من زمرة الأولاد الشاذين، ومن عداد الشباب المنحرفين .. فعندئذ يصعب على المربي إصلاحه، وعلى كل مصلح علاجه وتربيته .. فيندم الأب على ما فرط ولكن لات حين مندم، ويبكي على ما جنت يداه ولكن هل ينفع البكاء ؟.

أتبكي على لُبنى وأنت قتلتها
وقد ذهبت لُبنى فما أنت صانع

لهذا كله نجد الإسلام حمّل الآباء والأمهات والمربين جميعاً مسؤولية التربية في أبعد حدودها، وفي أوسع مراميها .. وحذرهم وأنذرهم أن الله سبحانه مسائلهم في

يوم العرض عليه عن هذه الأمانة هل أدّوها ؟ ، وعن هذه الرسالة هل بلغوها ؟، وعن هذه المسؤولية هل تحمّلوها ؟

وإليك – أخي المربي – ما يقوله الاسلام في تحملك المسؤولية أو تفريطك فيها :

قال تعالى :

– ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ .

(طه : ١٣٢)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ..** ﴾ .

(التحريم : ٦)

– ﴿ **ولتسئلن عما كنتم تعملون** ﴾ .

(النحل : ٩٣)

– ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ .

(الصافات : ٢٤)

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « الرجل راع ومسؤول عن رعيته .. » متفق عليه .

– « .. والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها .. » متفق عليه .

– « علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

– « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

– « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ابن حبان .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي .. وجب على كل مربّ مؤمن عاقل بصير حكيم .. أن ينهض بهذه المسؤولية على أكمل وجه ، وأتم استعداد ، وأقوى عزيمة .. واضعاً نصب عينيه غضب الله إذا هو فرطّ ، وعذاب جهنم إذا هو قصّر .. لأن المسؤولية يوم العرض الأكبر ثقيلة ، والمحاسبة عسيرة ، والهول عظيم ، وجهنم تقول : هل من مزيد ؟

وفي مضمار التحدث عن (الاستشعار بالمسؤولية) أريد أن أضع بين يديك — أخي المربي — هذه المخططات — ولو اختصاراً — لإفساد الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم .. لتكون على بينة وبصيرة من أمرك ، ولتضاعف الجهود في إنقاذ ولدك ، وإصلاح أسرتك ..

وأقصد بالمخططات قرارات التآمر التي تتخذ في **أوكار الصهيونية ، والماسونية ، والصليبية ، والشيوعية** .. والتي تستهدف إفساد عقيدة الأمة الاسلامية وتدمير أخلاقها الأصيلة عن طريق المبادىء الإلحادية الضالة ، وعن طريق الخمر والجنس ، وإطلاق عنان الغرائز والشهوات ، والجري وراء المظاهر المغرية ، والتقليد الأعمى ..

والمرأة — عند هؤلاء — هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر ، فهي العنصر الضعيف العاطفي التي تنساق وراء الدعاية والفتنة بلا روية ولا تفكير ، وهي ذو الفعالية الكبيرة ، والتأثير المباشر في إفساد الأخلاق ..

وإليك — أخي المربي — مخططات التآمر واحدة بعد واحدة بالوقائع والأرقام :

(أ) مخططات الشيوعية :

في إحدي « الوثائق السرية الخطيرة » التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في شهر المحرم سنة (١٣٨٧) هـ الموافق شهر نيسان سنة (١٩٦٧) م ، المخطط الرهيب للقضاء على الإسلام ، وقد أعده الشيوعيون في « موسكو » ، وقدّموه لعبيدهم المسخّرين في أحد بلدان الشرق العربي المسلم لينفّذوه ، وقد أخذوا في تنفيذه بدقة .

وها نحن أولاء ننقل من مجلة « كلمة الحق » بعض ما يحويه المخطط الشيوعي لضرب الاسلام في دياره .

تقول الوثيقة :

(برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفياتي صرحوا كما تذكر مجلة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في أول يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ بما نصه) :

(إننا نواجه في الاتحاد السوفياتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادىء (لينين) لم تتشربها دماء المسلمين » .

(وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين ، فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً ، وما يزال يتفجر بالقوة بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الحزب ، ومفكري المذهب ، لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفياتي الذي أشار في (دائرة معارف الثقافة الشيوعية) إلى أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية ، ويبذل أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين ، والإقطاعيين ، والرأسماليين ، ويقدم كل العون للاستغلال ، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم ، وخصم عنيد للاشتراكية ، ويناهض التحركات التحررية) .

وتقول الوثيقة :

(ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه ، وقررنا ما يلي :

١ – مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه لأجل ، حتى نضمن أيضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

٢ – تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ – تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل .. ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية .

وتقول الوثيقة :

٦ – الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنهاضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضربَ بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

٧ – ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصرو من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذى لا ينم عن معاداة الإسلام .

٨ – تشجيع الكتّاب الملحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني ، والضمير الديني ، والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة ، والحج ، وعقود الزواج والطلاق ، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية ..

٩ – قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية ..

١٠ – إن فصم روابط الدين ، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس ، لأن الدين يكمن في الضمير ، المعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية .. ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر .

١١ – مزاحمة الوعي الديني ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

١٢ - خداع الجماهير بأن نزعم لهم أن المسيح اشتراكي ، وإمام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا إلى محاربة الأغنياء .

ونقول عن محمد : إنه إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه فقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والاقطاعيين ، والمرابين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية ، والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم ، وأوجدها لهم أتباعهم المهوّسون .

١٣ - في القرآن والتوراة والأناجيل قصص ، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً تاريخياً ، فقصة يوسف على سبيل المثال يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين ، والإقطاعيين ، والنساء الشريفات ، والحكام الرجعيين ..

١٤ - إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي ، وتجريد هذه القوى تدريجيا من موجداتها ..

١٥ - إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية ، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير ، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية ، والأغاني الوطنية ، والشؤون العسكرية ، والتنظيمات الحزبية ، والمحاضرات المذهبية ، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة ، وإلقاء مسؤولية التأخر الاقتصادى ، والجوع ، والفقر ، والمرض .. على الرجعية والاستعمار ، والصهيونية ، والإقطاع ، ورجال الدين .

١٦ - تحطيم القيم الدينية ، والروحية ، بإظهار مافيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة .

وتقول الوثيقة :

١٧ - الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة ، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين ، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود

بها جماهير الشعوب الكادحة .

١٨ – نشر الأفكار الإلحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي .

١٩ – لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألّا يطول زمن ذلك ، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر ، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والموارث الدينية جميعها .

٢٠ – الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخّر لخدمة طبقة معينة ، وإلصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذى هو الاشتراكية .

٢١ – تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مأربها ، وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطور ، ودين المستقبل .. حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسماً ، اشتراكيين فعلا ، حتى يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى .

وتقول الوثيقة :

٢٣ – أخذنا بتعاليم « لينين » ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصماً عنيداً للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس ، وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل ، والتأييد بحذر ، على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين .

٢٥ – الاهتمام بالإسلام مقصود منه – أولاً – استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام .. ثانياً – استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي .

ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا إن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام .

٢٦ – وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتنقيتها من الشوائب ، وتحت ستار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية .

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول :-

(وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد ، وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات ، والإدارات الحكومية ، والشركات ، والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ووفّقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة ، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يحمل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي .. ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري ، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ، ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين ...)[1] .

هل عرفت – أخي المربي – ما تريده الشيوعية الحاقدة من إلحاد وتضليل واستئصال شأفة الإسلام والمسلمين من المجتمعات الإسلامية ؟

---

(١) نص الوثيقة من كتاب « الشيوعية والإسلام » للمؤلفين : عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار صفحة : ١٢٣ .

وهل عرفت أنها تريد أن تنزع عقيدة الإسلام من كل مسلم يقول ربي الله ، ونبيي محمد ﷺ ، وديني الإسلام ، لتحل محلها عقيدة الكفر والضلال والمروق من الإسلام ؟

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرين ﴾ .

(التوبة : ٣٢)

(ب) مخططات الصليبية :

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التي استمرت قرنين في استئصال الإسلام ، قام الصليبيون بدراسة واعية ، وخطة ماكرة ، ومؤامرة لئيمة للقضاء على أمة الإسلام ، وتدمير أهله ، وكانت خطواتهم كما يلي :

أولا – القضاء على الحكم الإسلامي بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية ، وقد انتهزت الصليبية المتمثلة بالإنكليزية ، واليونانية ، والإيطالية ، والفرنسية .. فرصة ضعف الدولة العثمانية وتخلخلها ، وخلافاتها بين بعضها .. فانقضّت كالذئب الكاسر بجيوشها الضخمة الكبيرة ، وسيطرت على جميع أراضيها ، ومنها العاصمة « استانبول » ، ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر (لوزان) لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على خائن تركيا الأكبر (أتاتورك) أنها لن تنسحب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

(أ) إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ، ومصادرة أمواله ..
(ب) أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .
(ج) أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .
(د) أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلا من دستورها الذي هو مستمد من أحكام الإسلام ..

عدا عن إلغاء المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد .. وانتهى ذلك كله عام (١٩٢٨ م) .

فنفذ (الخائن أتاتورك) هذه الشروط ، واعترف الإنكليز والحلفاء باستقلال تركيا ، وباركوا جهود أتاتورك في إلغاء الخلافة ، وعَلْمنة الدولة ، ومحاربة الإسلام ..

ولما وقف « كرزون » وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنكليز بعنف على (كرزون) ، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية وتهجم على الغرب . فأجاب (كرزون) : لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين : الإسلام ، والخلافة .

فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة[١] .

ثانياً – القضاء على القرآن ومحوه لأن الصليبية تعتبر أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين ، وعودتهم إلى سالف عزهم ، وماضي قوتهم وحضارتهم ..

١ – يقول (غلادستون) في مجلس العموم البريطاني وقد رفع المصحف أمام المجتمعين :

(ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[٢]) .

٢ – ويقول المبشر الصليبي (وليم جيفورد بالكراف) : (متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه)[٣] .

---

(١) من كتاب « الأرض والشعب » ص ٤٦ ، ج ١ ، وكتاب « كيف هدمت الخلافة » ص ١٩٠ .
(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص : ٣٩ .
(٣) جذور البلاء ص ٢٠١ .

٣ – ويقول المبشر الحقود (كاتلي) : (يجب أن تستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن تبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد ليس صحيحاً)[١] .

٤ – ويقول (الحاكم الفرنسي) للجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها : « يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم)[٢] .

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا ، وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ، قامت بتجربة عملية ، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات ، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية ، وألبستهن الثياب الفرنسية ، ولقنتهن الثقافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماماً .

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخريج رائعة دُعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون .. ولما ابتدأت الحفلة ، فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت : ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً !!؟

أجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي : (وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!!.)[٣] .

ثالثاً – تدمير الفكر الإسلامي في المسلمين وقطع صلتهم بالله ..

لتحللوا من نظام الاسلام ، ويسيروا في الإلحاد والإباحية ، وبهذا يكونون قد تخلوا عن الاسلام ..

---

(١) التبشير والاستعمار ص : ٤٠ .

(٢) المنار : عدد ٩ – ١١ – ١٩٦٢ .

(٣) جريدة الأيام عدد : (٧٧٨٠) عام ١٩٦٢

١ – يقول (صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام /١٩٣٥/ :

(إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً .

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ..

إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات ..

أيها المبشرون : إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه)[١] .

٢ – ويقول (زويمر) نفسه في كتاب الغارة على العالم الإسلامي : (إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزية بناء . أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد . وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه)[٢] .

---

(١) جذور البلاء ص : (٢٧٥) .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص : (١٦) .

٣ – ويقول المبشر (تكلي) : (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية ، وتعلموا اللغات الأجنبية)[1] .

رابعاً – **القضاء على وحدة المسلمين** ليظل المسلمون ضعفاء أذلاء بلا قوة ولا عزة ولا كيان ..

١ – يقول القس (سيمون) : (إن الوحدة العربية الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)[2] .

٢ – ويقول المبشر (لورانس براون) : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ..)[3] .

٣ – في سنة /١٩٠٧/ عقد مؤتمر أوربي كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح :

(إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا) .

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسات والنقاش ، واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة ، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطراً يهدد أوربة . فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة .

---

(١) التبشير والاستعمار ص : ٨٨ .

(٢) كيف هدمت الخلافة ص : ١٩٠ .

(٣) جذور البلاء ص : ٢٠٢ .

وأخيراً قرروا إنشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس ليبقى المسلمون متفرقين . وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين(١) .

خامساً – إفساد المرأة المسلمة وذلك بالاهتمام بحركات تحرير المرأة ، وإثارة المناقشات حول حقوقها ومساواتها بالرجل ، ونقض النظام الإسلامي في تعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق .. كل ذلك لإلقاء الشبه ، وإثارة الشكوك حول صلاحية الشريعة الإسلامية ومسايرتها للحياة .. لقد ألف القسّ (زويمر) رئيس إرسالية التبشير رسالة بعنوان (العالم الإسلامي اليوم) قال فيها : (لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي ، الذي اقتحم قارتي آسيا وافريقيا الواسعتين ، وبث في مائتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده .. وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب ، وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات ، وانحطاط المرأة ..)(٢) .

ثم اختتم عدو الإسلام كلامه بنصيحة للمبشرين بعدم اليأس ، لأن سوس (تحرير المرأة) ينخر في عظام المجتمع الإسلامي ، فقال : (ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير المرأة ..)(٣) .

ونشر الكاتب الفرنسي الشهير « مسيو اتين لامي » مقالا في مجلة « العالمين » الفرنسية بالعدد الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٠١ رسم فيه هذه الخطة المثلى لهدم الإسلام .

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص : ٢٥ .

(٢) من كتاب (الغارة على العالم الإسلامي)ص : ٣٣ .

(٣) من كتاب « الغارة على العالم الاسلامي » ص : ٤٧ .

فقال بالحرف الواحد : (إن طريقة تربية أولاد المسلمين وإن كان لها من التأثير ما ينباه ، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى ، بل أقول : إن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله) .

وتقول المبشرة (آن ميليغان) : (لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة)(١) .

هل عرفت – أخي المربي – بعض هذه المخططات الصليبية اللئيمة في محو العقيدة الإسلامية من نفوس شبابنا وشاباتنا ، وقطع الأواصر بينهم وبين الإسلام ؟

هل عرفت أن جُلّ غايتهم تمزيق الوحدة الاسلامية في ربوع المجتمع الإسلامي حتى يحققوا في المسلمين آمالهم ومآربهم ؟

هل عرفت أن قصارى همهم إفساد الأسرة المسلمة .. لينطلق أفرادها من بنين وبنات في أتون الانحلال الآثم ، ومتاهات الإباحية الفاجرة ؟

إذا عرفت هذا .. فقدّر هذه المسئولية التي حمّلك الله إياها حق قدرها ، لتنهض بها على الوجه الصحيح لتصل في نهاية الشوط إلى أفضل الثمرات في تربية ولدك ، وإصلاح أسرتك !!..

(ج) مخططات اليهودية والماسونية :

لجأ اليهود لعنهم الله إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر سعياً لما تصبو إليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الأرض ، ومد سلطانهم على العالمين ، ووضعوا نصب أعينهم هدفين رئيسيين ليصلوا إلى ما يريدون :

الهدف الأول : (تجزئة أمم الأرض ، وإغراء بعضها ببعض ، وإثارة الحروب بينها ، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها .

الهدف الثاني : إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها وإبعادها عن صراط الله) ..

والغاية المتوخاة من هذا كله هو فقد هذه الأمم عوامل قوتها ومجدها ، ثم بالتالي لتكون دائماً تحت سيطرة اليهود ونفوذهم .. حتى لا تقوم لأي أمة قائمة كيان وقوة في العالم . ومن حيلهم التي اتخذوها لتجزئة الأمم وإفسادها تأسيس الجمعيات السرية ، ولعل من أهم هذه الجمعيات ، وفي مركز القمة منها (الجمعية الماسونية) .

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكه في كتابه (مكائد يهودية) صفحة ، ٢١٩ : (لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية – المحاطة أهدافها الحقيقية بسرية عظيمة – أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدواراً خطيرة في تاريخ الأمم ، وأثرت تأثيراً مباشراً على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لن تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء السجوف أصابع المكر اليهودي الذي يحكم إخفاء نفسه ، في الوقت الذي يكون فيه هو المدبر الحقيقي للعمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها .. في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية ، ولو لم يكن لليهود في هذا البلد عدد كبير من عملائهم لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً لصالح الدهاة من أحبار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آلية ، يتحرك فيها الأفراد دون أن يشعروا إلى أين يسيرون ، ولمن يعملون ؟..

ولقد يبلغ الدهش عندما تعلم أن اليهود هم العاملون على إثارتها وإشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم ...

ومن المؤسف أن الماسونية تغلغلت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، واعتنق مبادئها كثير من أهل الغنى والجاه ، والنفوذ والسلطان .. ولا ندري ماذا تكشف عنه الأيام المقبلة عن الدور التي ستلعبه الماسونية العالمية على يد المنتمين إليها من أهل النفوذ والسلطان في الاعتراف بإسرائيل ، والخضوع إلى الحل السلمي الذي تنادي به دول كبرى في العصر الحاضر لإنهاء قضية فلسطين .

وإذا كان أمر الاعتراف بإسرائيل قد تحقق في المستقبل - كما ظهرت بوادره الآن - علمنا جيداً أن المخطط اليهودي الماسوني هو من وراء هذه الأحداث الخطيرة في إنهاء القضية الفلسطينية .. وأن المنفّذين لهذا المخطط هم حكام أجراء وعملاء باعوا ضمائرهم للشيطان ، وخانوا العهود والذمم ، وقد برهنوا بتصرفهم الآثم هذا أن لهم الارتباط الأكبر بالماسونية العالمية أو أنهم مدفوعون من قبلها من حيث يعلمون أو لا يعلمون .. وعلى كل الأحوال فإن التاريخ سيدمغهم بالخيانة العظمى ، وأن لعنة الله ، والتاريخ ، والأجيال المسلمة ستحل عليهم إلى يوم يبعثون .

ولسنا الآن بصدد الكلام عن تأسيس الماسونية ، وبيان مراتبها ، والكشف عن رموزها وأسرارها وطريقتها .. فمن أراد التوسعة في هذا كله .. فليرجع إلى كتاب « مكائد يهودية » للأستاذ حبنكه ، فإن فيها ما يشفي الغليل .

ولكن الذي نحن بصدده الآن هو إزاحة الستار عن مخططات الماسونية اليهودية في حرب الأديان ، وانهيار الأخلاق ، وإفساد المجتمعات الإنسانية هنا وهناك ..

وإليك أخي المربي أهم هذه المخططات[١] :

● لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم هذه الآراء الضالة ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم ، وتبنوا أفكار شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة الدينية ، وتحطيم مبادىء الأخلاق الفاضلة ..

● إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء (فرويد) الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية والاسترسال في طريق الشهوات والملذات ..

---

(١) ارجع في هذه المخططات كتاب « مكائد صهيونية » للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص : (٢٣٣ - ٢٣٨) .

● وإنهم تبنوا آراء (كارل ماركس) الذي أفسد على الكثير قلوبهم وضمائرهم وعقولهم ، وألغى الأديان ، وهاجم عقيدة الألوهية ؟ ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح ..

● وتبنوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه ، ولو كان القتل أو الدماء أو التخريب ..

● وتبنوا آراء « دارون » الذي أعلن عن نظرية التطور التي نقضها العلم ، وألقاها في سلة المهملات[1] .

● بل وقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الإنسانية منهجاً أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ، ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما ، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .. وعن طريق المنظمات الماسونية التي أوجدوها ، وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور ... واستطاعوا بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون ، والملاهي ، ودور الدعارة وأشباهها .. كما أنهم استطاعوا بدهائهم وتلاعبهم أن يستولوا على كراسي علم النفس ، وعلم الاجتماع في جامعات أوروبا ، وأمريكا ، وفي أكثر جامعات الشرق .. وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم ، ولقد نفذوا مخططهم الخبيث فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسي .. لتتم لهم القيادة الفكرية ، والنفسية ، والفلسفية في العالم كله ..

وإليكم ما يقولون في البروتوكول التاسع : (وقد تمكنا من تضليل من غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً ، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيماننا بها) .

---

(١) يرجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيه الرد الكافي على نظرية دارون وبطلانها .

–ويقولون أيضاً في **البروتوكول الثالث عشر** : (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكتشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب ، وهلمّ جرا .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات ، كالفن ، والرياضة ، وما إليها .. إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا ، لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيّبة حين يحين ذلك الوقت) .

– ومما جاء في هذه **البروتوكولات ما يلي** : (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه) .

وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ م قولهم : (ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها) .

– وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم : (سوف تتخذ الانسانية غاية من دون الله) .

– وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم : (إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود) .

– وفي مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم : (إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة) ، (ستحل الماسونية محل الأديان ، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد) .

هل عرفت - أخي المربي - ماذا تهدف اليهودية الماسونية من وراء هذه المخططات الماكرة الخبيثة ؟ إنها تهدف ولا شك إلى إعادة مجد بني إسرائيل وتأسيس دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل .. ثم السيطرة على العالم أجمع ، ومن وسائلهم في الوصول إلى هذا الهدف هدم جميع الأديان السماوية ، والمذاهب الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية .. في الأرض ، ورفع لواء اليهودية وحدها ، وما الدولة الإسرائيلية في فلسطين إلا صنيعة هذه المخططات الماكرة التي استخدمت المحافل الماسونية وسيلة لغايتها ..

إذا عرفت هذا - أخي المربي - فضاعف جهودك ، واشحذ عزيمتك في تكوين أولادك إيمانياً وخلقياً ، وفي إعدادهم فكرياً ونفسياً .. حتى لا تلفحهم مكائد يهود في زعزعة العقيدة ، وانهدام الأخلاق !!..

* * *

(د) المخططات الاستعمارية :

أعني بالمخططات الاستعمارية هي التي ترتبط بالصليبية والاستشراق ارتباطاً وثيقاً في محاربة الإسلام ، وتحويل المسلمين عن الهدف الأسمى ألا وهو الجهاد في سبيل الله ، وإغراق المجتمع الإسلامي في الأغلال والشهوات .. حتى ينسلخ المسلم من عقيدة الإسلام ، ولا يعرف في الحياة شيئاً مقدساً سوى إشباع الغريزة ، والانطلاق في حمأة الرذيلة .. ولا يسعى إلى مجد مؤثل ، ولا إلى رسالة سامية في الحياة !!..

- يقول أحد أقطاب هؤلاء المستعمرين : (كأس وغانية ، تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

- وسبق أن ذكرنا ما قاله القس « زويمر » في مؤتمر المبشرين : (... إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية .. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في

دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات) .

- قال « راندولف تشرشل » عام ١٩٦٧ م بعد سقوط القدس : (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم اليهود والمسيحيين على السواء ، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود) .

ولقد نقلنا من أقوال المستعمرين ما فيه الكفاية في البحث الذي سبق ذكره عن المخططات الصليبية والاستشراق .. فالكل يدٌ واحدة في تنفيذ وسائل التدمير والإبادة لمقدسات الإسلام ، ومبادىء الإسلام .. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

* * *

واخيراً أخي المربي :

عليك ألا تتغافل عن **نشاطات العملاء** في بلاد الإسلام .. الذين لهم الارتباط الأكبر بالشيوعية الملحدة ، أو الصليبية الحاقدة ، أو الماسونية الماكرة ، أو المذاهب الاستعمارية المضللة .. والذين لا يفتؤون ليل نهار في بثّ مبادىء الكفر والإباحية على أرض الإسلام ، وفي المجتمعات الإسلامية في كل مكان ..

وعليك أن تعلم - أخي المربي - أن لكل فئة عميلة خائنة من هؤلاء عناصرها التي تعمل ، وأساليبها التي تتنوع ، ومبادئها التي تتغلغل ، ومنظماتها التي تتجدد ..

وهذه الفئات من الأذناب والعبيد متكاتفة متضامنة متعاونة .. في سرقة عقيدة الإيمان والإسلام ، وقيم الفضائل والخلق .. من ولدك وابنتك .. حتى لا يبقى عند الولد شيء اسمه إيمان ، أو فضيلة اسمها خُلُق .. وهذا لا يتأتّى عند هذه الفئات الخائنة إلا أن يمر الولد على مراحل التشكيك والتحرر والإباحية .. فعندئذ ينبذ كل شيء مقدس كريم جاءت به الأديان والشرائع ..

وهؤلاء الذين باعوا نفوسهم للشيطان متمركزون منتشرون في طول البلاد وعرضها هنا وهناك .. في الوظائف ، في الوزارات ، في الإذاعة ، في التلفزيون ، في أجهزة التعليم ، في المعامل ، في المؤسسات ، في كل مكان .

ووسائلهم في بث الفساد والتضليل والإلحاد كثيرة ومتنوعة .. في الصحف تارة ، والبث الإذاعي أخرى ، في التمثيليات التلفزيونية حيناً ، وفي المسرحيات الشعبية أحياناً .. وفي الندوات والمراكز الثقافية مرة ، وفي افتتاح المنظمات المتعددة مرات ..

عدا عن الدس المركز الكافر الدائم في أجهزة التعليم والجامعات ..

عدا عن اللقاءات الخاصة في أوكار التآمر والفساد ..

ولا يخفى عليك – أخي المربي – أن هؤلاء العملاء عندهم من أسلوب المنطق والإغراء والتضليل .. ما يستطيعون التأثير به على عقيدة الولد ، وأفكار الولد ، وأخلاق الولد ..

– فمن أساليبهم تمنية الولد عند التخرج بالوظيفة والجاه والمنصب .. وفي حال انتمائه إلى إحدى منظماتهم سيصل إلى أعلى المراتب !!..

– ومن أساليبهم تضليل الولد بالحضارة الغربية ، أو المبادىء الشرقية .. وأن أصحاب هذه الحضارات والمبادىء .. ما وصلوا إلى قمة النصر والعزة .. إلا بعد أن طرحوا الدين جانباً !!..

– ومن أساليبهم تشكيك الولد بالاعتقاد الإلهي كقولهم : إذا كان الله هو الخالق فمن خلقه ؟، أو إذا كان الله لا نراه فهو إذن غير موجود .. إلى غير ذلك من التشكيكات الباطلة التي يثيرونها ، ويركّزون عليها[١] !!..

– ومن أساليبهم تشكيك الولد بالنظام الإسلامي .. كقولهم : إن مبادىء الإسلام قد انتهى دور العمل بها ، واستنفدت في وقت ما أغراضها ، فلم تعد صالحة لعصر الذرة والكهرباء والعلم ..

---

(١) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الأدلة القاطعة في الرد على هذه الشبهات التي تثار .

– ومن أساليبهم إقناع الولد بأن الإسلام فرض على المرأة الحجاب والقعود في البيت ، وجعلها ذليلة مستعبدة للرجل ، ولا يمكن أن تصل إلى قمة الحقوق والكرامة ..! إلا أن تتحرر من كل قيد جاء به الإسلام ، وأن تطرح كل عرف جاء به الدين !!..[1] .

– ومن أساليبهم توجيه الولد في الاسترسال وراء الإباحية والشهوات واقتراف جريمة الخنا والزنى .. بحجة الاستجابة لدواعي الغريزة الشهوانية ، والتخلص من الكبت الجنسي ، والانضباط النفسي .. إلى غير ذلك من هذه الأساليب الملتوية ، والتشكيكات الباطلة ، والتضليلات العفنة ..

﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

أعرفت – أخي المربي – ماذا يريد هؤلاء العملاء الخائنون من هذه الشبهات التي يلقونها ، ومن هذه التشكيكات التي يثيرونها ..؟ إنهم – ولا شك – يريدون أن يربطوا مصير الأجيال المؤمنة ، والمجتمعات الإسلامية الحاضرة بعجلات أسيادهم من أصحاب العقائد الكافرة ، والمذاهب الضالة ، والدعوات المخربة .. حتى لا يبقى عند الشاب المسلم ، والمرأة المسلمة .. شيء اسمه إسلام ، أو شيء اسمه عيب أو حياء أو حرام ..

وإذا تمكن أولئك الأوغاد العملاء في غيّهم وضلالهم .. وفسح لهم المجال في أن يكيدوا كيدهم ، ويجمعوا أمرهم ، وينفثوا كفرهم وسمومهم .. دونما مقاومة ، ولا استشعار بمسؤولية ، ولا اهتمام بتوجيه ولا تلقين ولا تربية .. فإن المجتمعات الإسلامية – لا سمح الله – ستسير حتماً نحو الإباحية والإلحاد ، وسترتبط لا محالة – بشكل سافر – بعجلات الغرب أو الشرق ، أو إن شئت قل : بالنظام الشيوعي أو بالنظام الرأسمالي .. عندئذ نكون قد أصبنا بخزي الأبد ، وغمرت أمتنا

(١) ارجع الى الكتابين : « ماذا عن المرأة » للأستاذ الدكتور نور الدين عتر ، و« المرأة المسلمة » للأستاذ وهبي سليمان الغاوجي فإن فيهما ما يشفي الغليل في الرد على هذه الترهات .

الذلة والعبودية في عصور الانتكاس والضلال .. ونكون من الذين استحقوا لعنة الله ، ولعنة الأجيال ، ولعنة التاريخ .. الى يوم البعث والنشور !!..

* * *

فإذا عرفت – أخي المربي – هذه المخططات التي تصممها الشيوعية ، وتصمّمها الصليبية ، وتصممها الماسونية اليهودية ، وتصممها المذاهب الاستعمارية ، وتصممها الفئات العميلة الخائنة .. فما عليك – بعد هذا البيان – إلا أن تضاعف جهودك الجبارة ، وتستنفر عزيمتك المتينة ، وتستنهض إرادتك القوية .. لتؤدي الواجب الذي يمليه عليك الإسلام نحو تربية أولادك ، وتلقين أسرتك ، وتوجيه من لهم حق التربية في عنقك .. إن مسؤوليتك أمام أسرتك أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ..

فأدِّ هذا الحق على وجهه الصحيح قبل المحاسبة والسؤال ، لتحظى بمرضاة الله في جنات صدق عند مليك مقتدر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[1] .

قال تعالى :

﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ .

(الصافات : ٢٤)

وقال ايضاً :

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ .

(الحجر : ٩٢ ، ٩٣)

* * *

---

(١) لقد أفضنا القول في القسم الثاني من المجلد الأول من كتاب « تربية الأولاد » في مبحث مسؤوليات المربين فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ..

الثاني : القَواعد الأساسية في تربية الوَلد

أما القواعد الأساسية في التربية فتركز في قاعدتين :

الأولى : قاعدة الربط

الثانية : قاعدة التحذير

١ – قاعدة الرّبط :

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضية .. إلى أن تدرّج يافعاً ، الى أن ترعرع شاباً ، إلى أن أصبح رجلا ، إلى أنه انحدر كهلا .. فإن الولد – ولا شك – يصبح عنده من مناعة الإيمان ، وبرد اليقين ، وحصانة التقوى .. ما يجعله أن يستعلي على الجاهلية ، ويهزأ بها .. بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها .. بل يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظام الإسلام موقفا معاديا ، أو ينال من مبادئه الخالدة نيلا حاقداً !!.. لماذا ؟

لأن الولد ارتبط بالاسلام عقيدة ، وارتبط به عبادة ، وارتبط به خلقاً ، وارتبط به نظاماً وتشريعاً ، وارتبط به عملاً وتطبيقاً ، وارتبط به جهاداً ودعوة ، وارتبط به ديناً ودولة ، وارتبط به مصحفاً وسيفاً ، وارتبط به فكرة وثقافة .

وإليك – أخي المربي – أهم هذه الروابط التي تحقّق الخير كل الخير لولدك ، فاحرص على تنفيذها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، عسى أن ترى الولد في عداد

المؤمنين الأبرار ، ومن زمرة المتقين الأطهار ، ومن جماعة المجاهدين الأحرار .. وما ذلك على الله بعزيز .

والروابط هي على الوجه التالي :

أولاً : الربط الاعتقادي

سبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » أن الولد يجب أن يرتبط منذ تعقله بأركان الإيمان الاساسية ، والحقائق الغيبية ، وبكل ما ثبت يقيناً عن طريق الخبر الصادق من اعتقادات وغيبيات .. وبناء على هذا وجب على المربي أن يغرس في الولد حقيقة الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب ، والايمان بالرسل ، والإيمان بالقضاء والقدر ، والايمان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر .. والإيمان بأحوال الآخرة من بعث ، وحساب وجنة ، ونار .. وسائر الغيبيات .

ولا يخفى عليك – أخي المربي – أنك إذا عمقت في ولدك حقيقة الإيمان بالله ، ورسخت في قلبه وتصوره هذه المعالم الإيمانية .. وسعيْتَ جهدك دائماً في أن تربطه بالعقيدة الإلهية .. فإن ولدك ينشأ على المراقبة لله ، والخشية منه والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، والتزام منهجه في كل ما يأمر وينهى ، بل يكون عنده من حساسية الإيمان ، وإرهاف الضمير .. ما يكف عن المفاسد الاجتماعية ، والوساوس النفسية ، والمساوىء الخلقية .. وبهذا يتصلح روحياً وخلقياً .. ويكتمل عقلياً وسلوكياً .. **بل يكون من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين والحق والصراط المستقيم ..**

ولا أراني في حاجة – أخي المربي – أن أعيد إليك حدود مسؤوليتك في تربية ولدك إيمانياً باعتبار أن البحث قد عولج من جميع جوانبه في بحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد» .

فإذا أردت معرفة ذلك كله فارجع إلى البحث المذكور تجد فيه إن شاء الله ما يبل الصدى ، ويشفي الغليل ..

ثانياً : الرّبط الرّوحي

أقصد بالربط الروحي أن تتصف روح الولد بالصفاء والإشراق ، وأن يتفجر قلبه بالإيمان والإخلاص ، وأن تسمو نفسه في أجواء الطهر والروحانية .. وللإسلام منهجه في ربط المسلم بارتباطات روحية متنوعة ، ليظل دائماً محافظاً على صفائه وإشراقه ، وطهره وإخلاصه ..

والمنهج هو كما يلي :

(أ) ربط الولد بالعبادة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

ويقاس على الصلاة ربط الولد بعبادة الصوم إذا كان الولد يطيقها ، وبعبادة الحج إذا كان الأب يستطيعها ، وبعبادة الزكاة إذا كان المربي يقدر عليها ..

وعليك – أخي المربي – أن تفهم الولد أن العبادة في الإسلام ليست مقصورة على هذه الأركان الأربعة من العبادات ، وإنما تشمل كل عمل صالح يكون المسلم ملتزماً فيه منهج الله ، ومبتغياً به وجهه ، ويتحصل من هذا المعنى العام للعبادة أن التاجر في متجره مثلاً إذا انتهج منهج الله في تجارته ، وراعى في بيعه أمور الحلال والحرام ، وابتغى بعمله هذا وجه الله سبحانه فيكون هذا التاجر من العبّاد المؤمنين ..

لهذا كان لزاماً على كل مربٍّ أن يبصر الولد وهو صغير مبادىء الخير والشر ، ومسائل الحلال والحرام ، ومعالم الحق والباطل .. يفعل الولد ما يحل ، ويجتنب ما يحرم ، وهذا التوجيه للولد هو من إرشادات النبي ﷺ للمربين – فيما رواه ابن جرير وابن المنذر – حين قال :

« اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

فالولد ـ أخي المربي ـ حين يرتبط بالعبادة بمفهومها الخاص والعام منذ نشأته ، ويعتاد أداءها ، والقيام بوظائفها منذ نعومة أظافره ، وحين يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقه ، والشكر له ، والتزام منهجه .. عندئذ يكون الإنسان المتوازن المستقيم العامل المخلص .. الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي يعطي للناس القدوة الصالحة في سلوكه وأخلاقه ومعاملته . **بل يكون من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم .**

(ب) ربط الولد بالقرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » .

— وأشار **ابن خلدون** في مقدمته إلى **أهمية** تعليم القرآن الكريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الإيمان ..

— ولقد نصح **ابن سينا** فى كتاب السياسة بالبدء بتعليم الولد القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع منذ الصغر اللغة العربية الأصيلة ، وترسخ فى نفسه معالم الإيمان .

وأوصى **الإمام الغزالي** في إحيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤلية التربية الإيمانية » « **اهتمام الأولين بتربية أبنائهم** » وكيف كان الآباء الأولون من سلفنا الصالح الواعي يدفعون أبناءهم إلى

المؤدب ؟ فأول شيء كانوا ينصحون به ، ويشيرون إليه .. تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتحفيظهم إياه .. حتى تتقوّم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ الإيمان والإسلام في نفوسهم ، ثم بالتالي لا يعرفون سوى القرآن والإسلام دستوراً ومنهاجاً وتشريعاً !! ..

فعليك أن تعلم – أخي المربي – أنه لا يصلح آخر هذه الأمـة إلا بما صلح عليه أولها فإذا كان صلاح أول هذه الأمة بالقرآن تلاوة وعملاً وتطبيقاً ، وعزتها بالإسلام فكرة وسلوكاً وتحقيقاً .. فآخر هذه الأمة لا تصل إلى مراتب الصلاح . ولا تتحقق بظاهرة العزة إلا أن نربط أولادنا بهذا القرآن الكريم فهماً وحفظاً وتلاوة وتفسيراً وتخشعاً وعملاً وسلوكاً وأحكاما .. وبهذا نكون قد كونا في عصرنا الحاضر جيلا قرآنياً مؤمناً صالحاً تقياً .. على يديه تقوم عزة الإسلام ، وبفضل همته العالية الجبارة يرتفع في العالمين صرح الدولة الإسلامية ، لتناهض الأمم في عزتها وقوتها وحضارتها !!..

فاحرص – أخي المربي – أن تهيء لأولادك وبناتك من يعلمهم القرآن الكريم سواء أكان التعليم لهم في البيت ، أو في المسجد ، أو في مراكز تعليم القرآن الكريم ..

واعلم أنك إذا قمت بهذه المهمة على وجهها الصحيح فتكون قد قمت بواجب المسؤولية نحو ولدك ، وربطته بالقرآن روحاً وفكراً وتلاوة وعملاً وأحكاماً ..

فإذا فعلت هذا .. فالولد حين يفتح عينيه فلا يعرف مبدءاً يعتقده سوى مبادىء القرآن الكريم ، ولا يعرف تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولا يعرف بلسماً لروحه ، وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن .. فعندئذ تصل إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ، **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والحق والصراط المستقيم .**

(ج) ربط الولد ببيوت الله :

لما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » ، وقال الله عز وجل :

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة .. ﴾ ، الآية ..

إعلم – أخي المربي – أن المسجد في الإسلام من أهم الدعائم التي قام عليها تكوين الفرد المسلم ، وبناء المجتمع الاسلامي في جميع العصور السالفة عبر التاريخ .. ولا يزال المسجد من أقوى الأركان الأساسية في بناء الفرد والمجتمع فى حاضر المسلمين ومستقبلهم .. إذ بغير المسجد لا يمكن أن يتربى ولدك روحياً وإيمانياً ، وأن يتكون خلقياً واجتماعياً .. وبغير المسجد لا تسمع أنت ومن بكنفك صوت النداء العلوى « الله أكبر » ، يجلجل في سماء الدنيا ، فيهزّ المشاعر ، ويحرك أوتار القلوب ..

وبغير المسجد لا ينصت المسلم إلى سماع كلمة الموعظة والحق ، فتتفاعل بها روحه ونفسه ، وتتأجج بتأثيرها مشاعره وأحاسيسه ..

وبغير المسجد لا يتعلم المسلم أحكام الدين ، وتنظيم الدنيا ، وأمور الحلال والحرام ، ومناهج الحياة ، ودقائق التشريع ..

وبغير المسجد لا يتلقن المسلم تعليم القرآن الكريم ، ويعرف أسباب النزول ، ويفهم لطائف التفسير ..

وبغير المسجد لا يمكن لعامة المسلمين أن يعرفوا شيئاً عن أحوال المسلمين وآلامهم وآمالهم في شرق الدنيا وغربها ..

وبغير المسجد لا يمكن للمسلم أن يتعاطف مع أخيه المسلم ، وأن تتفاعل نفساهما على أسس من المحبة والرحمة والتعاون والتكافل ..

وبغير المسجد لا يجد المسلم لنفسه موئل عزاء إذا أصيب ، وموطن طمأنينة وسلوى إذا جزع ..

هذه هي بعض وظائف المسجد كما كان عليه أمره في بعثة النبي ﷺ ، وفي عهود من جاؤوا بعده من خلفائه وحكامه على مر العصور ..

وهكذا ينبغي أن يظل المسجد أبد الدهر .. إذا أراد المسلمون أن يبنوا في مجتمعاتهم الإسلامية في كل مكان القاعدة الصلبة المتينة ، وأن يظلوا على المحجّة البيضاء ، وأن يكونوا خير الأمم قوة وعلماً وحضارة ، وأن يبنوا في الآخرين ما حققه الأوائل من عز ورفعة ودولة وكيان ..

– أتعلم – أخي المربي – أن من مهام المسجد اطمئنان القلوب بذكر الله ؟ اسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي – : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟، قال : حِلَقُ الذكر » .

– أتعلم – أخي المربي – أن من مهام المسجد مدارسة القرآن الكريم ؟ اسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم – : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

– أتعلم – أخي المربي – أن من مهام المسجد صلاة الجماعة ؟ إسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

– عدا ما لارتياد المساجد ، والسعي إليها – أخي المربي – من رفع في الدرجات ، وحط للخطيئات .. إسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم :– « من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » .

– عدا ما للمشي إليها من البشارة بالنور التام يوم القيامة ، إسمع – أخي المربي – إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أبو داود والترمذي – : « بشّر المشّائين في الظُلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

انطلاقاً – أخي المربي – من التوجيهات النبوية في فضل المشائين إلى المساجد والساعين إليها ، اعقد الهمة ، واشحذ العزم ، لتربط أولادك ببيوت الله عز وجل ،

أُربّوا في المسجد أرواحهم ، ويثقفوا عقولهم ، ويهذبوا نفوسهم ، ويحققوا مع ابناء المجتمع الإسلامي وحدتهم وتماسكهم ..

فإذا نفذت ذلك ، وحرصت على هذا الربط المستمر ، والصلة الدائمة بين البيت والمسجد ، فعندئذ تكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً وإيمانياً وخلقياً .. **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم ..**

(د) ربط الولد بذكر الله عز وجل :

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فاذكروني أذكركم .. ﴾

(البقرة : ١٥٢)

– وقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً ﴾

(الأحزاب : ٤١)

– وقوله :

﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ .

(النساء : ٢٣)

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة .

– ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري –: « مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » .

– وقوله – فيما رواه الطبراني –: « ليبعثنّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، فجثا أعرابي على

ركبتيه فقال : يا رسول الله جِلْهم لنا (صفهم) نعرفهم !، قال : هم المتحابون في الله من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

– وقوله – فيما رواه الشيخان –: « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرّب مني شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرّب اليّ ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة » .

والذكر معناه استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن سواء أكان هذا الاستحضار ذهنياً أو قلبياً أو نفسياً أو لسانياً أو فعلياً .. أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الأرض أو تدبر آيات القرآن ، أو سماع الموعظة ، أو الاحتكام إلى شريعة الله ، أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله . وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة .

– **ففي المعنى الذهني والنفسي** يقول القرآن الكريم :

﴿ رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ .

(النور : ٣٧)

- **وفي المعنى القلبي** يقول القرآن الكريم :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

(الرعد : ٢٨)

- **وفي المعنى اللساني** فكل الآيات القرآنية التي تأمر بذكر الله عز وجل يدخل في مضمونها ذكر اللسان دخولا أولياً لأن اللفظ هو أول ما يحتمله ، والأمر هو أول ما يشمله .. ومما يؤكد هذا حديث أبي هريرة – فيما رواه ابن ماجه وابن حبان – عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدى إذا هو

ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، وروى الترمذي عن عبد الله بن بسر أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبث به ؟ قال : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » .

ويدخل في الذكر اللساني كل الأدعية والمأثورات التي صحت عن النبي ﷺ ، وأثرت عن أصحابه الكرام ، والسلف الصالح رضي الله عنهم .. سواء ما يتعلق بأدعية الصباح والمساء ، أو أدعية الطعام والشبع ، أو أدعية السفر والإقامة ، أو أدعية الدخول والخروج ، أو أدعية النوم واليقظة ، أو أدعية التهجد والظواهر الكونية .. كما يدخل في الذكر اللساني كل الاستغاثات الإلهية ، والاستغفارات الربانية .. التي ذكرها القرآن ، وأثرت عن نبينا عليه الصلاة والسلام[1] .

– وفي المعنى **الفعلي** يقول القرآن الكريم :

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

(الجمعة : ١١) .

– وفي المعنى **الكلي** يقول القرآن الكريم :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

(آل عمران : ١٩١)

• أما أن الذكر يشمل **تلاوة القرآن الكريم** فلقوله تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(الحجر : ٩)

---

(١) من المراجع للأدعية والأذكار : ١ – كتاب « الأذكار للإمام النووي » ، ٢ – « المأثورات » للامام الشهيد حسن البنا ، ٣ – « الأدعية والأذكار » للشيخ العالم الأستاذ عبد الله سراج الدين .

● أما أنه يشمل السؤال عن العلم ومدارسة العلماء فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

(الأنبياء : ٧)

● أما أنه يقصد به العبادة لله فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله** ﴾ .

(الجمعة : ٩)

أعرفت-أخي المربي – ماذا يقصد بمعني الذكر ؟ أعلمت أن الذكر لا يتصف بحالة واحدة ، وأن معانيه لا تختص بطقوس معينة ؟ أأدركت أن الذكر حالة نفسية واعية تنتهي بالمؤمن إلى أن يستحضر عظمة الله سبحانه على الدوام ؟

فإذا عرفت هذا وعلمته .. فاسع جهدك على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في نفسه ، ليخشاه في السر والجهر ، والمتقلب والمثوى ، والحل والترحال ، والسفر والحضر ، والسلم والحرب ، والبيت والسوق ، والنوم واليقظة . وفي كل مكان .. ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال :

﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ .

(الأنفال : ٢)

ولا شك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه ، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ الولد مُخْبِتاً عابداً ذاكراً صالحاً مستقيماً متزناً خلوقاً .. فلا يقع في معصية ، ولا يرتكب فاحشة ، ولا يعمل ذنباً .. وهذا – والله – غاية الصلاح والتقوى في الولد ..

ألا ما أعظم منهج الإسلام في التربية حينما يسير على هداه المربون ، ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون ؟!! ..

فاحرص – أخي المربي – على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني التي سبق ذكرها من أنواع الذكر .. لينشأ ولدك على الإخلاص ، والتقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، واستحضار عظمته في كل الأحوال .. فإذا فعلت هذا فعندئذ تكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ..

بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !!.

(هـ) ربط الولد بالنوافل :

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

(الإسراء : ٧٩)

– ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان – : « .. ومَنْ تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً ، ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً ، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلتُ إليه أهرول » .

– ولقوله ﷺ – فيما رواه مسلم –: « ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة » .

والمقصود بالنافلة عبادة التطوع من غير الفريضة ، وهي في المناسبات كثيرة ، ولا بأس أن أذكرك – أخي المربي – بأهم أنواعها صلاة وصياماً ، عسى أن تنتهجها لنفسك ، وتعوّدها أهلك وأولادك :

(أ) نافلة الصلاة :

١ – **صلاة الضحى** : لما روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً ، ويزيد ما شاء » .

وروى مسلم عن أم هانىء رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ صلى ثماني ركعات » . فيؤخذ من هذه الروايات الثلاثة أن أقلها ركعتان وأوسطها أربع ، وأفضلها ثمان ، فليختر المتنفل ما شاء .

ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة إلى ما قبيل الظهر بساعة تقريباً .

٢ - **صلاة الأوّابين** : وهي ست ركعات بعد صلاة المغرب لما روى ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَن صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتيْ عشرة سنة » . وتجزىء ركعتين .

٣ - **ركعتا تحية المسجد** : لما روى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » .

٤ - **ركعتا سنة الوضوء** : لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه : « حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفّ[1] نعليك بين يدي في الجنة » ، فقال : « ما عملت عملًا أرجى عندي من أنّي لم أتطهر طُهوراً في ساعة ليل أو نهارٍ إلا صليت بذلك الطُهور ما كُتب لي أن أصلي » .

٥ - **صلاة الليل** : لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين ، وهو قُرْبَةٌ إلى ربكم ، ومكفّرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » .

---

(١) الدفّ : صوت النعل وحركته على الأرض .

وأقل صلاة الليل ركعتان ، ولا حدّ للأكثر ، وهي أفضل النوافل لأنها أقرب الى الإخلاص .

٦ – **صلاة التراويح** : وهي عشرون ركعة بعشر تسليمات في كل ليلة من ليالي رمضان ، تصلى بجماعة بعد صلاة فرض العشاء . لما روى البيهقي عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال : « كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة ، وكانوا يقومون بالمئين ، وكانوا يتوكّؤون على عصيّهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام » .

٧ – **صلاة الاستخارة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بالدعاء الذي رواه جابر – كما جاء في صحيح البخاري –: « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدِرُ ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن « هذا الأمر » خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدُره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن « هذا الأمر » شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضّني به » .

ويسمي حاجته مكان قوله في الدعاء : « هذا الأمر » .

ثم يمضي لما ينشرح صدره له من فعل أو ترك .

٨ – **صلاة الحاجة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بهذه الأدعية المأثورة :

« لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرّجته ، ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » . رواه الترمذي .

« اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة ، يا محمد إني توجهتُ بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ » .

إلى غير ذلك من هذه الصلوات التي ثبتت في السنة .

(ب) **نافلة الصوم :**

الأصل في صيام النفل ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » .

والصوم أنواع :

١ – **صوم يوم عرفة** : لما روى مسلم عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال : « صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده » .

٢ – **صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء** : وهما التاسع والعاشر من شهر محرم ، لما روى مسلم عن قتادة : « صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده » .

وروى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع » . ويصح أن يضم إلى عاشوراء اليوم الحادي عشر كما سيأتي في رواية الإمام أحمد . والحكمة في هذا مخالفة اليهود ، لتتميز هذه الأمة الإسلامية بعبادتها ، روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده » .

٣ – **صيام ست من شوال** : لما روى مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « من صام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر ».

٤ – **صيام ثلاثة أيام البيض**[1] : لما روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

---

(١) هي الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر قمري ، وسميت بيضاً لاستضاءة السماء فيها بنور القمر .

٥ – صيام الاثنين والخميس : لما روى الترمذي أنه ﷺ كان يصومهما وسئل عن ذلك فقال : تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » .

٦ – صيام يوم وإفطار يوم : وهو صيام داود عليه السلام ، لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له : « صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام » .

إلى غير ذلك من هذه الأيام والشهور التي ثبت صيامها في السُّنة النبوية .

ويجوز لمن صام متنفّلا أن يفطر ، ولكن يجب عليه القضاء .

هذه أهم النوافل التي ثبتت مشروعيتها في السنة النبوية ، وهي من أعظم الأعمال الصالحة التي تقرّب العبد من الله عز وجل ، وترسخ في نفسه حساسية التقوى ، وطمأنينة اليقين ، وحلاوة الإيمان ..

فاحرص – أخي المربي – أن تعطي لأهلك وأولادك .. القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك .. ليكتسبوا منك ، ويأخذوا عنك ، ويقتدوا بك .. ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة .. في الدعوة إلى الأخذ بفضيلة النافلة ، والعمل بعبادة التطوع . كي ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلة الصوم .. فيحرصوا على العمل والتطبيق في الأوقات المخصصة ، والأيام المتعيّنة ..

وهذا الربط التنفّلي هو – والله – من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً ، وإعدادة خلقياً ونفسياً .. بل هو الذي ينشيء الولد على الإخلاص ، والتقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، واستحضار العظمة الربانية في كل الاحوال ..

فإذا فعلت هذا – أخي المربي – فتكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في الربط الروحي ، والتكوين الرباني ، **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ، ودين الحق والصراط المستقيم .**

(و) ربط الولد بمراقبة الله تعالى :

– لقوله تبارك وتعالى :
﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين ﴾ .
(الشعراء : ٢١٩)

– وقوله :
﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .
(الحديد : ٤)

– وقوله :
﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا في السماء ﴾ .
(آل عمران : ٥)

– ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم –: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

– وقوله – فيما رواه الترمذي –: « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخُلقٍ حسن » .

– وقوله – فيما رواه الترمذي : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

فيؤخذ من مجموع هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية أن الاسلام اعتنى بتربية الفرد المسلم على أساس المراقبة لله في السر والعلن ، ومحاسبة النفس الإنسانية في المتقلب والمثوى ، والاستشعار بتقوى الله في الحلّ والترحال ..

فحبذا تسلك – أخي المربي – مع ولدك هذا المسلك ، وتغرس في أعماق قلبه بذور المراقبة ، والمحاسبة ، والتقوى .. وتروضّه على مراقبة الله وهو يعمل ، ومحاسبة نفسه وهو يفكر ، والاستشعار بالتقوى وهو يُحسّ .. فعندئذ يتربى على الإخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته .. فلا ينوي نية ولا يعمل عملا إلا ابتغاء مرضاة الله .

وكذلك سيترفع على كل شعور طاهر نظيف بل ينجو من آفات النفوس .. فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ولا يتمتع المتاع المدنس .. وإذا أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمّارة تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه .. فإذا هو متذكّر مبصر ..

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

(الأعراف : ٢٠١)

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب الأولاد : أن هذه الظاهرة من الترويض على مراقبة الله عز وجل كانت ديدن السلف الصالح ، وإليكم ما ذكرناه سابقاً من شأن « سهل بن عبد الله التستري » ، كما قصه علينا الإمام الغزالي في إحيائه ، قال سهل بن عبد الله التستري .. « كنتُ أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي « محمد ابن سوار » فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلّبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك لسانك : « الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي » فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل ذلك كل ليلة سبع مرات ، فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلتُه ، فوقع في قلبي حلاوته .. فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ، ودُم عليه الى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدتُ لذلك حلاوة في سرّي ، ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل مَن كان الله معه ، وناظراً اليه ، وشاهده .. أيعصيه ؟ إياك والمعصية .. » .

وبهذا التوجيه السديد ، والترويض المستمر ، والتربية الربانية الحقة .. أصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .

يقول الإمام احمد الرفاعي رحمه الله في كتابه البرهان المؤيد : « من الخشية تكون المحاسبة ، ومن المحاسبة تكون المراقبة ، ومن المراقبة ، يكون دوام الشغل بالله تعالى » .

فاحرص – أخي المربي – أن تروضَ نفسك وأهلك وأولادك على مراقبة الله عز وجل ، وأن تعوِّدهم على محاسبة أنفسهم ، وأن تغرس في نفوسهم أصول التقوى والخشية .. فإذا فعلت ذلك فتكون قد وصلت بالعيال والأولاد إلى الغاية المرجوّة في التربية الروحية ، والتكوين الرباني .. **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم .**

* * *

تلكم أهم بنود المنهج الإسلامي في ربط المسلم روحياً ، وتكوينه إيمانياً وخلقياً .. ومن المؤكد أن الولد منذ نعومة أظافره إذا ارتبط بعبادة الله قولا وعملا ، وبالقرآن الكريم تلاوة وتدبراً ، وبالمساجد ملازمة واعتياداً ، وبذكر الله مداومة واستمراراً ، وبالنوافل تنفيذاً وتطبيقاً ، وبالمراقبة الربانية استشعاراً ومحاسبة .. فإن الولد سيتصف – لا محالة – بالصفاء والإشراق ، ويوسم بالإيمان والإخلاص ، ويُعرف بالورع والتقوى ، ويتميز بمسحة التخشّع والإخبات لله رب العالمين !!..

فعلى المربين جميعاً أن يسلكوا مع أولادهم منهج الإسلام في التربية الروحية حتى يكونوا شامات في الناس ، وكالملائكة يمشون على الأرض .. لكونهم غرسوا في نفوسهم أصول الإيمان والتقوى والمراقبة .. ورسخوا في قلوبهم دعائم الخشية والتوكل والمحاسبة .. وبتقديري أن هذه الأصول ، وهاتيك الدعائم .. من أهم العوامل في إصلاح الولد خلقياً ، وفي تهذيبه اجتماعياً ، وفي تقويمه نفسياً وعقلياً ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون !!..

ثالثاً : الرّبط الفِكري[1]

المقصود بالربط الفكري هو ارتباط المسلم منذ أن يعقل ويميز إلى أن يترعرع يافعاً إلى أن يصبح شاباً إلى أن يتدرّج رجلا .. بنظام الإسلام ديناً ودولة .. وبتعاليم

---

(١) يدخل في الربط الفكري الربط التاريخي وستجد – أخي القارىء – هذا الارتباط جلياً واضحاً خلال كلامنا عن الربط الفكري للصلة الوثيقة بينهما .

القرآن دستوراً وتشريعاً .. وبالعلوم الشرعية منهاجاً وأحكاماً .. وبالتاريخ الإسلامي روحاً وقدوة .. وبالثقافة الإسلامية مدنيّة وحضارة .. وبمنهجية الدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماساً .

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية العقلية » بعض الحقائق في توعية المربين أبناءهم فكرياً . والآن ألخص ما سبق أن كتبناه مع إضافة بعض النقاط للارتباط الوثيق بين ما كتبناه سابقاً ، وبين ما سنذكره الآن .

وهذه الحقائق مرتبة كما يلي :

١ – خلود هذا الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان .. لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار ..

٢ – الآباء الأولون ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عزة وقوة وحضارة .. إلا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام ، وتطبيقهم لأنظمة القرآن ..

٣ – الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت ومازالت مناراً للدنيا . يهتدي الأنام بنورها ، ويرتشفون من معينها على مر العصور والتاريخ .

٤ – الكشف عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام :

- المخططات اليهودية الماكرة .
- والمخططات الاستعمارية الغاشمة .
- والمخططات الشيوعية الملحدة .
- والمخططات الصليبية الحاقدة .

هذه المخططات تستهدف طمس معالم العقيدة الإسلامية في الأرض ، وغرس بذور الإلحاد في المجتمع الإسلامي ، وإشاعة الإباحية والانحلال في الأسرة المسلمة . وإخماد روح المقاومة والجهاد في الشباب المسلم ، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية لمصالحهم الذاتية ، وغاياتهم الشخصية ، ثم السيطرة على العالمين العربي والاسلامي .. لتكون دائماً تحت حكمهم ، وجزءاً لا يتجزأ من بلادهم ..

٥ – التذكير الدائم بأن أمة الإسلام لن تستعيد مكانتها تحت الشمس ، ولا يمكنها بحال أن تصل إلى ذروة العزة والمجد .. إلا أن تتخذ الإسلام منهاجاً وتشريعاً ، والقرآن الكريم دستوراً وأحكاماً .. وأن تضع قول عمر رضي الله عنه نصب أعينها مبدءاً وشعاراً :

« **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** » .

وما أحسن ما قال بعضهم : « نحن أمة الإسلام .. لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبيّ بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله وسلامه عليه وأبي بكر وعمر . ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك .. ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد .. ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزّى ، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ، ومبادىء القرآن .. »[1] .

٦ – التذكير الدائم أن هذا التخلف والتمزق والانقسام الذي أصاب المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وهذا التسلط اليهودي الاستعماري الذي فرض وجوده على فلسطين والمسجد الأقصى .. ما هو إلا نتيجة بُعْد المسلمين عن الله ، وتعطيل الحكم بما أنزل الله ، واستجداء النظم الأرضية ، والقوانين الوضعية من دول لا تقيم للديانات السماوية ، ولا للقيم الخلقية اعتباراً ولا وزناً !!.. وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه البيهقي والحاكم – : « ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيّه إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

٧ – التذكير الدائم أن المستقبل للإسلام مهما تآمر الأعداء ، وخطّط الكافرون .. للحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والبزار والطيالسي عن النبي

---

(١) من خطبة للأستاذ الداعية عصام العطار حفظه الله .

ﷺ أنه قال : « إن أول دينكم نبوة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جلّ جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تكون فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون ملكاً عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تعمل في الناس بسنّة النبي ، ويُلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبّته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلا أخرجته » .

فالذي يبدو من الحديث أن الملك الجبري قد جاء دوره الآن ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكم دون رأي الأمة ، وغصباً عن إرادة الشعب ، دكتاتوريات بدأها « أتاتورك » في تركيا ، وتتابعت في كل مكان .. ولكن دلائل اليقظة الاسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول ، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامة على سنن الإسلام .. ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله(١) .

٨ - التحذير الدائم من وجهة النظر اليائسة القاتلة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » « إلزم جلس بيتك فليس في العمل ولا الجهاد فائدة » ..

وها هو ذا **القرآن الكريم** يحذرنا من هذه الزمرة المعوّقة الميئّسة المتهالكة حين يقول :

﴿ قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا ، أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ .

(الأحزاب : ٩)

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » آخر بحث الجهاد السياسي .

وها هو ذا الرسول عليه الصلاة والسلام يحذرنا من هذه الطائفة التي تعيق المسلمين في تقدمهم السياسي والجهادي .. فيقول :

« **من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم** » .

وها هو ذا التاريخ ينطق بالحق ، ويتكلّم عن الهزّات المدمرة التي أصابت المسلمين عبر العصور فماذا كانت النتيجة ؟.

(أ) من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة حين **استولى الصليبيون** على كثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان ؟

من كان يظن أن هذه البلاد ستتحرر على يد البطل **المغوار صلاح الدين** في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة ما شرّف التاريخ !.

(ب) من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتتار العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأموال والأعراض .. فتكاً ذريعاً ؟

حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين !!..

من كان يظن أن بلاد الإسلام ستتحرر على يد البطل المقدام « **قطز** » في **معركة** عين جالوت الحاسمة .. ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة والسيادة .. ما فخرت به للأجيال ؟ ..

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع أجيالها وشبابها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة[1] !!.. والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول !!..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » مبحث « الجهاد السياسي » .

هذه الحقائق - أخي المربي - :

يجب أن تلقّنها أهلك وأولادك ليل نهار ، وأن تطرق بها أسماعهم على الدوام .. حتى يندفع الجميع إلى الإسلام بنفوس متوثّبة متفائلة ، وهمم عالية متينة ، وقلوب مؤمنة راسخة ..

وأبشرك - ياأخي - أنك إذا ثابرت معهم في هذه التوعية الإسلامية ، والربط الفكري والروحي .. والتذكير الحضاري والتاريخي .. أبشرك بأنّ الأولاد ارتبطوا فكرياً بالإسلام ، وانساقوا شعورياً ووجدانياً في زمرة الداعين إلى الله ، ولم يعرفوا سوى شريعة الاسلام دستوراً ومنهاجاً ، ولم يتخذوا سوى النبي عليه الصلاة والسلام قدوة وإماماً ، ولم يتأثروا بحال من الأحوال بالدعايات المغرضة ، والشعارات الزائفة ، والمبادىء الضالّة ، والعقائد الكافرة والملحدة ..

وهذا لا يتأتى - أخي المربي - إلا أن تهيّىء لمن له حق التربية عليك مكتبة منزلية تجمع بين طياتها متنوعات من الكتب الشرعية ، والفكرية والتاريخية ، والأدبية والقصصية ، والدعوية ، لأعلام الكتّاب الإسلاميين ، والعلماء الشرعيين في العالم الإسلامي ، هذه المتنوعات من الكتب تعرض الإسلام على حقيقته الصافية الناصعة .. كما جاء به نبينّا عليه الصلاة والسلام ، وكما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم ، وكما درج عليه سلفنا الصالح ، ومن تبعهم بإحسان !!..

وعليك - أخي المربي - حين تريد اقتناء أي كتاب أن تستعين بآراء العلماء المخلصين ، والدعاة الصادقين من حملة الدعوة الإسلامية ، في العصر الحديث .. مخافة أن يدخل إلى البيت كتاب يحمل اسم الإسلام ، وبحوث الإسلام ، وعاطفة الاسلام .. ولكن المؤلف صاحب الكتاب متأثر بأفكار أصحاب الغزو الفكري من المستغربين والمستشرقين ، فيظن أن ما قالوه هو الحقيقة في ذاتها ، فيكتبها على أنها حقائق ولكنها في الواقع ونفس الأمر أباطيل ليست من الاسلام .. وهو يظن أنه يحسن صنعاً !!.. كأمثال : أحمد أمين ، طه حسين ، حسين هيكل ، خالد ، محمد خالد ، محمد فريد وجدي ، جلال الدين الكشك ، وعشرات غيرهم ..

ومن الوسائل التي تربط ولدك – أخي المربي – بالإسلام فكرياً ووجدانياً السماع إلى الخطبة الواعية ، والمحاضرة الناضجة القيّمة ، والمسرحية التاريخة الهادفة ..

● فاحرص – أخي المربي – أن تختار المسجد المناسب **لصلاة الجمعة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان الخطيب على درجة من الإخلاص والتقوى ، والوعي الناضج ، والفهم الإسلامي الكامل ، والأسلوب الجذاب ، والثقافة الشاملة ، والعلم المحيط بأحداث الحياة .. لتكون الاستفادة في التأثير بالغة ، والثمرة في الوعي مرجوّة !!..

● واحرص – أخي المربي – أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المحاضرة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المحاضر على درجة عظيمة من العقيدة الإسلامية الراسخة ، والخلق الإسلامي الكامل ، ليربط ما يقول بالإسلام العظيم عقيدة وعلماً وحضارة وفكراً !!..

● واحرص – أخي المربي – أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المسرحية الهادفة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المكان الذي تقام فيه المسرحية بعيداً عن الدنايا وسفاسف الأمور والمنكرات .. ولن تحسن الاختيار إلا إذا كانت المسرحية ترتبط بالأمجاد والتاريخ ، أو تعالج الواقع الجاهلي الذي يتخبط فيه المسلمون بشرط أن يكون المشرفون على المسرحية ممن يشهد لهم بالتقوى والأخلاق والكفاءة والاختصاص .. لتؤدي المسرحية رسالتها ، وتصل بالجمهور إلى الهدف المنشود !!..

هذه أهم الوسائل التي أقترحها عليك – أخي المربي – في ارتباط ولدك فكرياً وفي إعداده عقيدياً وإيمانياً ..

ولعمر الحق أنك إذا سلكت بولدك هذا المسلك ، واتجهت به هذا الاتجاه .. فإن الولد سيكون عنده من حصانة الإيمان ، ورسوخ العقيدة ما يجعله قادراً بأن يواجه تحدّي الجاهلية بتصوراتها وأفكارها ، وتحدي المبادىء الضالة بضلالها وإلحادها .. بل يستعلي على كل المقاييس الأرضية التي هي من مبتكرات الناس .. لأن دين الله أصبح في اعتقاده وتصوره فوق كل اعتقاد وتصور (**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**) ومعنى هذا أن ولدك أصبح يشار إليه بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !!..

* * *

رابعاً : الربط الاجتماعي

سبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الاجتماعية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أن على المربي مسؤولية كبرى في تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وعلى تعويده أصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة ، وتنبعث من الشعور الأخوي العميق .. ليظهر الولد في المجتمع الإسلامي على خير ما يظهر به من حسن الأخلاق ، والتعامل الاخوي والأدب الاجتماعي ، والاتزان العقلي ، والتصرف الانساني الحكيم ..

ولقد حصرنا الوسائل التي تؤدي إلى التربية الاجتماعية الفاضلة في أمور أربعة :

١ – غرس الأصول النفسية النبيلة .
٢ – مراعاة حقوق الآخرين .
٣ – التزام الآداب الاجتماعية العامة .
٤ – المراقبة والنقد الاجتماعي .

ولا يخفى عليك ـــ أخي المربي ـــ ما في هذه الوسائل من تقويم أخلاق الولد سلوكياً ، ومن إعداده اجتماعياً ، ومن تكوينه نفسياً ... ليكون اللبنة الصالحة في تكوين المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثالية الصالحة ... وهذا هو منطلق الإسلام في الإصلاح والبناء !! . ولكن ما المقصود بالربط الإجتماعي بعد أن فصلنا القول عن التربية الاجتماعية ووسائلها ؟ وما المراد بربط الولد اجتماعياً ؟ وما هو علاقة هذا الربط بالتربية؟ . كل ذلك سنجيب عنه في هذا البحث ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون .

المقصود بربط الولد اجتماعياً هو أن يسعى المربي جهده في ربط ولده منذ أن يتفهم حقائق الأشياء .. ببيئة اجتماعية نظيفة صالحة .. يكتسب منها التزكية لنفسه ، والطهر لقلبه ، والتثبيت لإيمانه ، والعلم النافع لعقله ، والأخلاق الفاضلة الصحية لجسمه ، والتوعية الاسلامية لفكره ، والجهاد الصادق لدعوته ، والإشراق الرباني لروحه ، والاندفاع الإيماني لديه ..

ولكن ما هي هذه **البيئة الاجتماعية الصالحة** التي تكسب الولد هذه الصفات المكريمة ، وتجعل منه هذا الإنسان المثالي الواعي الصالح ..

أرى أنها متحققة في ارتباطات ثلاثة :

١ - ربط الولد بالمرشد .

٢ - ربط الولد بالصحبة الصالحة .

٣ - ربط الولد بالدعوة وبالداعية .

* * *

١ - رَبْط الوَلد بالمُرشد :

مما لا يختلف فيه أثنان أن الولد إذا ارتبط بعالم مرشد مخلص صالح ، فاهم للإسلام على حقيقته ، مندفع له مجاهد في سبيله ، مطبّق لحدوده وأحكامه . وقّاف عند أوامره وزواجره ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .. لا يختلف اثنان في أن هذا الولد يكتمل إيمانياً وخلقياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويتكون جهاديا ودعويا ، ويتربى بشكل عام على العقيدة الراسخة ، والإسلام الكامل ..

ولكن لو أجلنا النظر يميناً وشمالاً وتتبعنا أحوال من يتصلون للإرشاد ، وتربية النفوس فماذا نجد ؟

نجد الأكثر - ويا للأسف - يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوّهة عن الإسلام ، أو يعطون جانباً معيناً من الإسلام ، ويهملون الجوانب الأخرى ..

فمن أمثلة إعطاء الصورة المقلوبة عن الإسلام قولهم :

- « إن الاسلام ليس فيه نظام حكم .. » .
- « لا يجوز للمسلم السالك أن يتدخل في السياسة » .
- « إذا رأيت شيخك متلبساً بالمعصية فعليك - أيها المريد - أن تعتقدها طاعة » .
- « الشيخ منزّه عن الوقوع في المعصية لكونه متصفاً بالحفظ والعصمة » .
- « المريد لا يتخلى عن الرذائل ولا يتحلى بالفضائل ، ولا يصل إلى الله حتى يعترف لشيخه عن كل موبقة ارتكبها ، وعن كل ذنب اقترفه » .
- « المريد إذا لم يقر لشيخه بكل شيء حتى عن خاطرة السوء يكون ناقضاً للبيعة » .

إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي تناهض شريعة الله تعالى ، وتخالف نظام الإسلام .

ومن أمثلة من يأمر بجانب من الإسلام ويهمل الجوانب الأخرى :

• منهم من يركّز توجيهه وعنايته على إصلاح النفس وتزكيتها ، ويهمل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومناهضة الظلم والظالمين ..

• ومنهم من يهتم بالمظهر الإسلامي ، والتكوين الروحي والعبادي .. ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الإسلامي .. لإقامة حكم الله في الأرض ..

• ومنهم من يوجه كل اهتمامه بتبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يكترث من قريب أو بعيد بأي تحرك أو نشاط أو عمل يؤدي إلى إقامة دولة الإسلام .. ومنهم .. ومنهم .. علماً بأن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأن أحكامه التشريعية لا تقبل التجزئة والانفصال .. يقول الله سبحانه :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب ﴾ .

(البقرة : ٨٥)

فالمرشد الرباني ، والعالم الواعي الناضج هو الذي يعطي القدوة الكاملة عن الإسلام ، فلا يجوز له في دين الله أن يكتم علماً ، أو يسكت عن حق ، أو يتغاضى عن منكر ، أو يتساهل في واجب ، أو يحرف الكلم عن بعض مواضعه ، أو يخشى أحداً من الناس ، أو يحابي أحداً من ذوي الجاه والسلطان ، أو يجد في حق الله مقالاً ثم يسكت عنه .. وإذا فعل شيئاً من هذا .. فيكون كاتماً لما أنزل الله من البينات والهدى ، بل كان من الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم يوم القيامة .. بل كان ممن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . قال الله تعالى :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم ﴾ .

(البقرة : ١٥٩ – ١٦٠)

وقال أيضاً :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم اللهُ يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .. ﴾ .

(البقرة : ١٧٤)

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أنذر بجهنم وساءت مصيراً كل من يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن حق معلوم من الدين بالضرورة ..

فقد روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

* * *

إن المرشدين المخلصين والعلماء الربانيين . الذين حملوا في الماضي إمامة الإصلاح والتربية والإرشاد ، وتزكية النفوس .. كانوا في الحقيقة على جانب عظيم من الفهم الإسلامي الكامل ، وكانوا على درجة كبيرة من الورع والتقوى ، والتزام المنهج الإسلامي المتمثل في كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، بل كانوا يعطون الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم الاجتماعي ، وفهمهم الإسلامي ، ومهمتهم الإرشادية ، وتوجيههم التربوي .. بل كانوا لا يسكتون عن منكر رأوا من الواجب تغييره ، ولا يتغاضون عن حقّ وجدوا من المصلحة أن يتكلموا فيه ، ولا يتقاعسون عن جهاد مقدس دعت الحاجة إليه ...

أما تمسكهم بالشريعة والتزامهم للقرآن والسنة فلنستمع إلى ما يقوله كبار هؤلاء الأئمة المرشدين ، والعلماء الربانيين :

– يقول الإمام العارف الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابه « الفتح الرباني » ص ٢٩ : « كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ادخُل عليه ويدُكَ في يد الرسول ﷺ » .

ويقول : « ترك العبادات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط الفرائض في حال من الأحوال » .

– ويقول الإمام سهل التستري رحمه الله : « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكفّ الأذى ، وتجنّب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق »[1] .

– ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة »[2] .

– ويقول الإمام أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : « كل باطن خلاف الظاهر فهو باطل »[3] .

ـ ومما نسب إلى ابن العربي قوله : (لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أنه لاتحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله ﷺ ، وخاتم النبيين ، وإنما هو فهم[4] يعطى في القرآن لرجال الله ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أضاعه فألهمه ، ويجعل له نوراً)[5] .

بل نجد من هؤلاء الأئمة الربانيين من ينبه إلى خطر أولئك الأدعياء الباطنيين الذين يسقطون عن أنفسهم وأتباعهم التكاليف ، ويعطلون أحكام الشريعة ، ويؤولون النصوص على خلاف ما تحتمل ، ويسيرون في سلوكهم وتوجيههم على غير سنن

---

(١) ، (٢) : التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

(٣) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

(٤) سئل الإمام علي رضي الله عنه : « هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه » رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

(٥) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

الإسلام .. بل نجدهم يحذّرون من مصاحبتهم ومجالستهم ، ويتبرّؤون من ضلالاتهم وانحرافاتهم ، ويشهرون بآرائهم وأباطيلهم :

– يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله لبعض أصحابه : « قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد ، فمضينا إليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه ، وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه » .

ويقول أبو يزيد أيضاً : « لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى تربّع في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة »[1] .

– ويقول سهل بن عبد الله التستري : « احذر صحبة ثلاثة أصناف من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوّفة الجاهلين »[2] .

– ويقول الإمام الرباني الجنيد رحمه الله : « مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة . الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ .. »[3] .

– ويقول الإمام الشعراني في كتابه « اليواقيت والجواهر » « كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك » .

أما صرختهم لإعلاء كلمة الحق ، ووقوفهم أمام الباطل والمنكر ، وجهادهم المقدس في سبيل الله فلنستمع إلى ما يقوله كبار الكتّاب المحققين عن أئمة هؤلاء المرشدين الربانيين في مواقفهم وأعمالهم الجهادية ، وتأثيراتهم الدعوية ، وإرشاداتهم الإصلاحية والتربوية :

---

(١) شرح الطريقة المحمدية للشيخ عبد الغني النابلسي ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ، ص : ٧٦ .

(٣) الرسالة القشيرية ص : ١٩ .

● **يقول الشيخ الجليل أبو زهرة رحمه الله** : « ... وكذلك التصوف كما قال « الأستاذ فودة » في عصورنا المتأخرة كان له مزايا ، وكانت له آثار واضحة ، فالمسلمون في غرب افريقيا ، وفي وسطها ، وفي جنوبها ، كان إيمانهم ثمرة من ثمرات التصوف .

والإمام السنوسي الكبير عندما أراد أن يصلح بين المسلمين اتجه أوّل ما اتجه إلى أن نهج منهاجاً صوفياً[1] ، وكان منهاجه في ذاته عجيباً غريباً ، فإنه اتخذ المريدين ، ثم أراد أن يجعل من هؤلاء رجال أعمال ، ولذلك أنشأ الزوايا ، وأول زاوية أنشأها في جبل حول مكة ثم انتقل بزواياه في الصحراء ، وهذه الزوايا كانت واحات عامرة في وسط الصحراء ، وبعمل رجالهم وقواتهم .. استنبط الماء وجعل فيها زرعاً وغراساً وثماراً ..

ورجههم وعلمهم الحرب والرماية حتى اقضوا مضاجع الإيطاليين أكثر من عشرين سنة عندما عجزت الدولة العثمانية عن أن تعين أهل ليبيا .

---

(١) التصوف معناه في نظرهم الصفاء ، لأن الصوفي أكثر صفاء ونقاء من غيره
ومنه قول الشاعر :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا
وكلهم قال قولاً غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

وقوله أيضاً :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والإسلام والدينا

واستمرت المقاومة السنوسية بهذه الزوايا إلى أن أدال الله الدولة الإيطالية وإذا السنوسية تحيا من جديد ، وكنا نودّ أن تحيا كما ابتدأت طريقة صوفية عاملة قوية ... »[١] .

● **ويقول الأستاذ صبري عابدين** في ندوة لواء الاسلام : (... والواقع أن **الصوفية ينشرون الإسلام في العالم** ، وأذكر لكم أنه منذ خمسين عاماً كتب الشيخ البكري كتاباً ذكر فيه نقلا عن المبشرين يقول : « إن هؤلاء يقولون : ما ذهبنا إلى أقاصي المناطق البعيدة عن الحضارة والمدنية في افريقيا ، وأقاصي آسيا إلا وجدنا الصوفي يسبقنا إليها ، وينتصر علينا » .

ليت المسلمين يفهمون ما في الصوفية من قوة روحية مادية ، فجنودهم مجندون للإسلام .

رأيت على حدود الحبشة ، والسودان ، وأرتيريا ، بعثة سويدية للتبشير ، ووجدت إلى جانبهم أكواخاً أقامها الصوفيون ، وأفسدوا على المبشرين السويديين إقامتهم أربعين سنة ، ولذلك أرجو أن نتعاون لإخماد هذه الحركات التي تؤذينا دينياً وسياسياً .. وإن الذين يحملون على الصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات ، بل غارقون في الشبهات ...) .

● ويقول الداعية الكبير **أبو الحسن الندوي في كتابه** « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » عن العالم الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني : (كان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفاً ، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى : وتاب على يديه من « الأشقياء » أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لا يحصيهم إلا الله ، وصلحت أحوالهم ، وحسن إسلامهم ، وظل الشيخ يربيهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم ، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون ، يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان ، ثم يجيز الشيخ

---

(١) مجلة لواء الإسلام : العدد الثاني عشر ـ شعبان ١٣٦٩هـ ـ الموافق ١٩٦٠م .

كثيراً منهم ممّن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية .. **فينتشرون في الآفاق يدعون الخلق إلى الله ، ويربون النفوس ويحاربون الشرك ، والبدع ، والجاهلية والنفاق** ، فتنتشر الدعوة الدينية ، وتقوم تكنات الإيمان ، ومدارس الإحسان ، ومرابط الجهاد ، ومجامع الأخوة في أنحاء العالم الإسلامي ..

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ، ولمن سار سيرتهم في الدعوة وتهذيب النفوس من أعلام الدعوة وأئمة التربية في القرون التي تلته فضل كبير **في المحافظة على روح الإسلام ، وشعلة الإيمان ، وحماسة الدعوة والجهاد ، وقوة التمرد على الشهوات والسلطات** ..

وقـــد كان لهـؤلاء فضـل كبير لنشر الإسـلام في الأمصـــار البعيــــدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تـستطع إخضاعهـا للحكم الإسـلامي ، **وانتشر الإسـلام في أفريقيا السوداء ، وفي أندونيسيا ، وجزر المحيط الهندي ، وفي الصين ، وفي الهند** ..) .

• ويقول أستاذنا الكريم **الشيخ محمد راغب الطباخ** رحمه الله في كتابه « الثقافة الإسلامية » : (ومن جليل أعمال الصوفية ، وآثارهم الحسنة في الأمة الإسلامية أن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء بإيعاز ، وبغير إيعاز يحرضون أتباعهم على الخروج إلى الجهاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم ، وانقيادهم لهم ، كانوا يبتدرون إلى الانتظام في سلك المجاهدين فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثيراً ما كان أولئك يرافقون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرضّون فيكون ذلك سبباً للظفر والنصر ..) .

• ويقول الكاتب الاسلامي الكبير الأمير شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » تحت عنوان « نهضة الإسلام في أفريقيا وأسبابها » : (وفي القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر حصلت نهضة جديدة عند أتباع الطريقتين : **القادرية والشاذلية** ، ووجدت طريقتان هما : **التيجانية والسنوسية** .

فالقادرية هم أحمس مبشري الدين الإسلامي في غربي أفريقيا من « السنيغال » إلى « بنين » ، التي بقرب مصب « النيجر » ، وهم يتشرون الإسلام بطريقة سليمة بالتجارة والتعليم .. فيلقنون صغار الزنج الدين الإسلامي أثناء التعليم ، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس ، والقيروان ، وجامع القرويين بفاس ، والجامع الأزهر بمصر .. فيتخرجون من هناك طلبة مجازين ، ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحي في السودان .

وتحدث عن شيخ الطريقة القادرية فقال : « وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني الموجود في جيلان من فارس ، متصوفاً عظيماً زكي النشأة .. وله أتباع لا يحصى عددهم ، ووصلت طريقته إلى اسبانيا ، فلما زالت دولة العرب من غرناطة انتقل مركز الطريقة إلى فاس ، وبواسطة أنوار هذه الطريقة زالت البدع من بين البربر ، وتمسكوا بالسنة والجماعة ، كما أن هذه الطريقة هي التي – في القرن الخامس عشر – اهتدى على يدها زنوج غربي افريقيا » .

وحديثه عن السنوسية هو نفس الحديث الذي حدث به الشيخ محمد أبو زهرة في محاربتها للنفوذ الأجنبي الإيطالي إلى أن حقق الله على يديها النصر .. فآثرت عدم ذكره حتى لا يكون الكلام مكروراً ..

* * *

وتحدث عن الطريقة الشاذلية فقال : « وأما الشاذلية فنسبتها إلى أبي الحسن الشاذلي ، أخذ عن عبد السلام بن مشيش الذي أخذ عن أبي مدين .. وهي من أوليات الطرق التي أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها في مراكش ، وكان من أشياخها سيدي العربي الدرقاوي (المتوفى سنة ١٨٢٣م) الذي أوجد عند مريديه حماسة دينية امتدت إلى المغرب الأوسط وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسي » ..

* * *

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن هؤلاء الذين سبق ذكرهم من العلماء الربانيين ، والمتصوّفة الواعين ، وأصحاب الطرق المخلصين .. هم الذين حملوا خلال العصور إمامة الدعوة الى الله عز وجل ، ورسالة الإسلام الحقة إلى الناس ، وهم الذين جمعوا ما بين العبادة والجهاد ، ووفقوا بين حقوق الله ، وحقوق العباد .. وهم الذين أعلنوا صوت الحق أمام المستبدين الظالمين ، ووقفوا ببسالة فائقة أمام المستعمرين الغاشمين ..

هؤلاء هم الذين ربطوا الحق بشريعة الإسلام الحق لا بأشخاصهم الفانية ، ينتظرون ما يحكم الشرع لهم أو عليهم ، يقبلون الانتقاد إذا أخطأوا ، والمناصحة إذا زلّوا ، اعتقاداً بأنهم بَشَرٌ يصيبون ويخطئون ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، ورحم الله الإمام مالك حين وقف مرة أمام قبر الرسول ﷺ وقال : « ما منا إلا مَن رَدّ ورُدّ عليه إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر النبي ﷺ .

ومن **المواقف الخالدة** التي كان يقفها العلماء المخلصون من الشرع والحق موقف عالم العصر ومرشدة الشيخ « **سعيد النورسي** » التركي ، الملقب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ، هذا الموقف يتلخص أنه حين أحسّ مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « إياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم إليه بشخصي الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلال على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، قد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق الذي ربطتموه بي بذلك الذنب أو الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من انحرافي وآثامي » .

ومن المواقف الخالدة لعلماء السلف الربانيين أيضاً موقف عبد الله بن المبارك من الفضيل بن عياض – رحمهما الله – حين بلغه أن الفضيل قد لزم العبادة بحرم مكة ،

وآثر السلامة على الجهاد في سبيل الله ؟ كتب له قصيدة مشهورة نجتزىء منها هذه الأبيات :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لوجدت أنك بالعبادة تلعب
من كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعب
أو كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رَهَجُ السنابك والغبار الأطيب

فلما بلغ الفضيل هذه الأبيات بكى وقال : صدق أخي ونصحني .

وحين كتب له هذا كان ابن المبارك ملازماً للجهاد والرباط بأرض الشام رحمه الله ورضي عنه .

فما أعظم العالم المرشد حين يقيس نفسه بالحق ، ولا يقيس الحقّ بنفسه . وما أعظم قدوته عند الناس حين يعطيهم الإسلام منهاجاً شاملا عاماً سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع ، أو ما يتصل بالدين والدولة ، أو ما يرتبط بالتزكية والجهاد ، أو ما يختص بالعبادة والسياسة ، أو ما يتعلق بقولة الحق وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

* * *

فما عليك – أخي المربي – إلا أن تبحث عن عالم مرشد رباني تجتمع فيه هذه الصفات وتكتمل في شخصيته هذه المفاهيم .. حتى إذا ارتبط به ولدك أعطاه التلقين الإسلامي الصحيح المتكامل ، ووجه قلبه وفكره وروحه إلى منهج الإسلام الشامل ، وربطه بالحق والشرع وتوجيهات السلف .. لا بوجوده الفاني وشخصه غير المعصوم ..

وحذار – أخي المربي – أن تربط ولدك بأدعياء الإرشاد ، وجهلاء التصوّف ، وشراذم النفاق .. وما أكثرهم في هذه الأيام !!..

– فالمرشد الذي يدّعي لنفسه الحفظ والعصمه فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يطلب من مريده أن يعترف له عن ذنوب فعلها فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يمنّي المريد بإرشاده ، ويصرفه عن تأثير القرآن الكريم وهدايته ، وهداية السنة المطهرة فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يمنّي يقنع المريد بأن يسكت عن معصيته إذا عصى لتصوّره المعصية طاعة فهو جاهل دعّي .

– والمرشد الذي يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن توضيح حق معلوم من الدين بالضرورة فهو جاهل دعيّ ..

– والمرشد الذي يقصر الإسلام على تزكية النفس الإنسانية وإصلاحها ، ويعطل مبادىء الإسلام الأخرى من أنظمة حكم ، ومناهج حياة .. فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي ينافق للحكام ، ويسبح بحمدهم ، ويتصكّر على موائدهم فهو جاهل دعيّ .

ولا شك – أخي المربي – أن الولد حين يرتبط بالقدوة الواعية بالشكل الذي بيناه ، ويلتقي بالمرشد العالم الرباني بالحال الذي وصفناه .. فيتربّى الولد – ولا شك – على التقوى وطاعة الله عز وجل ، وينشأ على الإخبات لله سبحانه والجرأة في الحق ، ويدرج على التعبد في المحراب ومقارعة الأعداء في ميادين الجهاد والوغى ، وعندئذ يندفع إلى إقامة حكم الله في الأرض بحرارة الإيمان ، ونخوة الإسلام ، واندفاع الشباب ، وحصيلة الوعي ؛ ونتيجة الفهم ، واستشعار المسؤولية ..، وينطبق عليه قول القائل :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

فهذا التكوين الذى اكتمل ، وبهذه التربية التي تلقنها .. يصبح الولد على يد هذا المرشد الرباني لبنة صالحة في الكيان الإسلامي العام ، فعندئذ يتحقق على يديه عز الإسلام ، ونصر المسلمين ، وإقامة دولة القرآن العتيدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

٢ - ربط الولد بالصحبة الصالحة

ومن العوامل الهامة في تكوين الولد إيمانياً ونفسياً ، وإعداده خلقياً واجتماعياً .. ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة .. ليكتسب منها ما ينمّي شخصيته من روحانية مشرقة ، وعلم نافع ، وأدب سام ، وأخلاق قويمة ..

وعلى المربي أن يلحظ في الولد ظاهرة التكامل بين الربط بالمرشد الرباني ، والربط بالصحبة الصالحة .. لأن التناقض ما بين التوجيهين والانفصام ما بين الربطين يؤدي في أغلب الأحيان إلى خطرين بالغين :

الأول : الازدواجية في التوجيه .

الثاني : الانحراف في السلوك .

وأعني **بالازدواجية في التوجيه** أن الولد الذي يتربى على يد مرشد رباني واع ، ثم يصاحب أناساً ليسوا على درجة من الوعي الإسلامي والفهم الحركي الكامل .. فالولد قد يتأثر بهم ، ويأخذ عنهم ، وينجذب إليهم ، ويتقبل أفكارهم .. لكونه لم يصل بعد إلى مرتبة النضج العقلي والثقافي الذي يجعله أن يميّز بسببه بين ما هو صحيح ، وبين ما هو خاطىء .. وبهذه الحالة يكون الولد قد تأثر بفكرين ، وأخذ عن شخصيتين : شخصية واعية فاهمة ، وشخصية قاصرة جاهلة ، فعندئذ يقع في حيرة متزايدة ، وصراع فكري ونفسي أليم .. لا يدري أين يتجه ؟ ولا يعلم أين يسير ؟.

وأعني بالانحراف في السلوك أن الولد حين يرى المرشد الرباني أو الفئة الإسلامية الواعية .. يعطونه إسلاماً وتوعية يختلف كل الاختلاف عن إسلام وتوعية الصحبة التي خالطها ، وأخذ عنها .. لا شك أن الولد يتأثر بهذا التناقض ، ويعيش في دوامة من التساؤلات ، والبلبلة ، والأفكار .. قد تؤدي به في بعض الأحيان إلى الانحراف في السلوك والعقيدة نتيجة ردود الفعل لهذه المتناقضات .. إذن فالتكامل بين الربط بالمرشد ، والربط بالصحبة الصالحة هو من أكبر العوامل في تكوين شخصية الولد ، وإعداده النفسي والخلقي ، حتى لا يعيش الولد في عالم من المتناقضات ، وانفصام الشخصية ، والتحير ، والصراع النفسي ...

وبناء على هذا وجب على المربي أن يبحث عن نوعيات من الأصدقاء لولده هم من جنس الأشخاص الذين يتربّون على يد المرشد الرباني الواعي الفاهم .. الذي سبق ذكر مواصفاته ، وعرفنا طرفاً عن مفاهيمه وأفكاره ..

وبهذا يكون الربط أحكم ، والتأثير أقوى ، والتكامل في بناء شخصية الولد أعظم .

* * *

ومن الأمور التي ينبغي على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويسعى جهده في تحقيقها .. ربط الولد بأربعة أصناف من الأصحاب :

الأول : صحبة البيت .

الثاني : صحبة الحي .

الثالث: صحبة المسجد .

الرابع : صحبة المدرسة أو المعمل ..

● وأعني بصحبة البيت صحبة الإخوة والقرابة .. فهؤلاء هم أول ما يلتقي بهم الولد ، ويجتمع معهم ، ويتعرف عليهم .. وهؤلاء أيضا هم أول ما يكتسب منهم ، ويأخذ عنهم ، ويرتبط بهم .. لهذا وجب على المربي أن يكون عنده من قوة المراقبة ،

واستمرار الملاحظة .. ما يستطيع أن يكشف به عن قرب أو بعد .. عن أحوال هؤلاء الذين يصحبهم ويلتقي معهم ولو كانوا إخوته أو من ذوي قرباه !!..

ومن المعلوم أن الأخ الأكبر للولد هو القدوة في الخير أو الشر بالنسبة للأولاد جميعاً .. فإذا ترك الأب أو الأم حبل الولد على غاربه أو حبل البنت على غاربها في الصحبة والمخالطة فلا شك أن هذا الأخ السيء في خلقه ، أو هذه الأخت السيئة في خلقها .. سيكون لهما من التأثير اللا أخلاقي على باقي الإخوة والأخوات .. فعندئذ يصعب على المربي أو الأب معالجة انحرافهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وردهم إلى جادة الحق ، وسبيل الهدى والرشاد ...

والحل العملي في تدارك هذا كله هو بذل أقصى الجهد للحيلولة دون الاختلاط الدائم ، والصحبة المستمرة مع كل أخ سيىء ، أو قريب فاسد .. حتى لا يتأثر الصغار بهم ، ويكتسبوا شيئاً من صفاتهم المرذولة ، وأخلاقهم الدنيئة ..

وعلى المربي أيضاً أن يبحث في الأسرة أو من ذوي القرابات .. عن أولاد يتّسمون بالطهر والفضيلة والأخلاق والوعي الإسلامي .. ويمهد لتوثيق العلاقة الاجتماعية بين الناشئين من أولاده وبينهم عسى أن تتوثق الرابطة وتقوى ، وعسى أن يكتسبوا منهم الفضائل النفسية والخلقية ، وصفات الخير ، ومكارم الأخلاق ..

وفي حال عدم وجود القريب الصالح ، والولد المؤمن الخلوق .. وجب على المربي أن يأخذ الأمور بالحزم والعزم في كف الأولاد الناشئين عن مصاحبتهم ، والخلطة معهم ، والارتباط بهم ، بل يتأكد على المربي أن يكون أكثر اهتماما وملاحظة ومراقبة ومناصحة .. لهؤلاء الناشئين ، كما عليه ألا يألو جهداً في توعيتهم ، وتحذيرهم من رفاق السوء ، ثم بالتالي توجيههم في كل فرصة سانحة بالتوجيه المناسب الذي يتفق مع تثبيت إيمانهم ، وتوثيق أخلاقهم ، والحفاظ على فطرهم السليمة ، وقلوبهم الصافية البريئة ...

وإذا كان لابد للولد من أصحاب يلتقي معهم ، ويجد في خلطتهم الأنس لقلبه ، والترويح عن نفسه ، فعلى المربي أن يبحث له عن رفقة صالحة من غير ذوي

القرابات .. ليرتبط بهم ، ويجد في صحبتهم السلوى والعزاء ، واكتساب صفات الخير ، ومكارم الأخلاق .. وبهذا يكون المربي قد نقل الولد إلى البيئة الصالحة ، والمحيط الملائم ...

* * *

• وأعني **بصحبة الحيّ** صحبة الولد لأولاد حيّه وجيرانه في المسكن الذي يقطن فيه ، وفي الحي الذي يقيم في كنفه ، ويترعرع في أحضانه ..

ومن الأمور المسلم بها أن أي حي من الأحياء القريبة أو البعيدة ، البدائية أو المتمدينة ، الجاهلة أو المثقفة .. يعج بأولاد لاحياء لهم ولا تربية ولا أخلاق .. من الوقاحة التي يبدونها ، ومن الكلمات البذيئة القذرة التي يطلقونها ، ومن سوء الأدب الذي يظهرونه أمام الغادي والرائح ، والبَرّ والفاجر ، والصغير والكبير ، والمرأة والرجل ..

وهذه ظاهرة خطيرة يجب أن يعالجها المربون والمسؤولون ، ويتعاون على استئصال شأفتها الناس أجمعون .. ولقد تكلمنا عنها بما فيه الكفاية في مبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فارجع اليه تجد فيه ما يشفي الغليل .

ولكن الذي يعنينا في التنويه عن هذه الظاهرة هو لفت نظر المربي للحالة المتردية التي وصل إليها أكثر أبنائنا من تميع في الخلق ، وفساد في التربية ، وانحراف في العقيدة .. حتى يضاعف المربي جهوده ، ويواصل نشاطه في إصلاح الولد عقيديا ، وتكوينه أخلاقياً .. وحتى يختار أنجع السبل . وأجدى الوسائل في إنقاذ الولد من هذا الأتون الفاسد ، والمحيط السيىء الذي يعيشه أكثر أبنائنا ...

ومن أهم الوسائل المجدية – في نظر كثير من علماء التربية والاجتماع – هو ربط الولد بالصحبة الصالحة ، ومن أميز هذه الصحبة وأنجعها ربط الولد برفيق صالح من أبناء حيّه أو جيرانه ، يلتقي معه على الدوام في المسجد ، وفي أوقات الفراغ ، أو على منضدة الاجتهاد ، أو في مزاولة الرياضة ، أو الخروج الى المتنزّهات البريئة ..

ولا شك أن الربط بهذه الرفقة الصالحة من أبناء الحي تحفظ الولد من أن يندمج مع غوغائية الحي وأبنائه الشاذين ، وأولاده المنحرفين ، بل تعصم له عقيدته من الزيغ ، وأخلاقه من التميع والانحلال ..

فاحرص - أخي المربي - على أن تربط ولدك برفقة صالحة من أبناء الحي مع الملاحظة التامة ، والمراقبة الدائمة ، والتوجيه المستمر .. ليكون ولدك من عداد المؤمنين الصالحين الأبرار ..

* * *

● وأعني **بصحبة المسجد** صحبة الولد لأولاد من سنه اعتادوا صلاة الجماعة والجمعة وحضور الدروس .. في المسجد الكائن في حيهم .

وفي تقديري أن الولد الذي يعتاد المساجد من ذاته ، أو من توجيه أبويه ومربيه .. هو ولد تأصلت في نفسه روح الإيمان والطاعة لله تعالى ، والانقياد للإسلام في كل أوامره ونواهيه .. وهو الذي يرجى منه الخير ، ويؤمل من وجوده كل نفع وصلاح ..

وإذا تسنى لهذا الولد الذي يعتاد المساجد من يوجهه ويعلمه ، ويقوم على تربيته على الأسس الإسلامية المتينة ، والمبادىء الخلقية القويمة والتوعية الفكرية الشاملة .. فيكون - ولا شك - ممن يعقد عليهم الآمال في بناء صرح الإسلام ، وإقامة دولته العتيدة !!..

والذي أريد أن أنبه اليه أن صحبة الحي ، وصحبة المسجد ، هما أمران متلازمان ، لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر ، فما جدوى من مصاحبة رفيق الحي إذا لم يصلّ ولم يعتد المساجد ؟ وما الثمرة التي يجنيها من يؤم المساجد من صديق حي يخالطه إذا كان لا يولي وجهه شطر البيوت التي أذن الله أن يذكر فيها اسمه ؟

وإذا كان حريصاً على أن ينتقي لولده أفضل الأصحاب ، وأخيرَ الأصدقاء .. ليربط ولده بهم ، ويوثق علاقته معهم .. فليكن هذا الانتقاء ممن يعتادون مسجد الحيّ .. لأنهم على الفطرة الخالصة ، والإيمان الصافي والخُلق الطاهر النبيل !!..

وهنا يأتي دور المربي في ملاحظة الولد ومن صادقهم من الأصحاب .. في مواظبتهم على صلاة الجماعة ، وحضور الدروس التوجيهية والتعليمية التي تقام في المسجد ، وارتياد حلقات القرآن الكريم ، وتحسين التلاوة ، التي يقوم بها العلماء والمعلمون في بيوت الله عز وجل ..

وعلى المربي ألا يغفل جانب التشجيع والترغيب في اعتياد الأولاد مساجد الله تعالى ، حتى يندفعوا بكليتهم إلى الصلوات في أوقاتها ، ويتسابقوا إلى صلاة الجماعة في حينها ، ويحرصوا على التزام حلقات القرآن الكريم ، والعلوم الشرعية في المواعيد المحددة لها ..

فاحرص – أخي المربي – على أن تربط ولدك برفقة مساجدية صالحة على الوجه الذي بيناه مع الملاحظة التامة ، والتشجيع المستمر ، ليكون ولدك – إن شاء الله – من عداد المسلمين الأطهار ، ومن زمرة الصالحين الأخيار !!..

* * *

• وأعني بصحبة المدرسة أو المعمل صحبة الولد لأولاد في صفه ومن سنه في المدرسة التي يدرج فيها ، ويتعلم منها ، وينتمي إليها .. أو في المعمل الذي يعمل فيه ، ويتكسب منه ، وينتمي إليه .

وأريد في سياق الحديث عن الصحبة المدرسية أن ألفت نظر المربين إلى حقيقة هامة يجدر الحديث عنها ، والكلام فيها .

هذه الحقيقة تتلخص أن المدرسة اليوم في البلاد التي تسودها الأفكار الضالة ، والنزعات الملحدة ، والمبادىء المستوردة .. أصبحت ـ ويالـلأسف ـ مرتعاً خصباً لهذه الأفكار ، والنزعات والمبادىء .. على يد مَنْ ؟ .

على يد معلمين باعوا ضمائرهم للشيطان ، ونفوسهم للأجنبي ..

على يد أحزاب عقائدية ضالة ليس لها من مهمة أو هدف إلا التشكيك بالدين ، ومحاربة الإسلام ..

على يد منظمات طلابية عقائدية تستمد أوامرها من الأحزاب التي ينتمون إليها ، لتؤدي رسالة التضليل ، والتسيب ، والتشكيك .. في صفوف الطلاب والطالبات ..

على يد اتحادات نسائية ليس لها من رسالة وهدف سوى الوقوف أمام الحجاب الإسلامي الذي هو شعار الطهر والعفة ، أمام النظام الإسلامي الذي أنصف المرأة ، وأمام مبادىء الإسلام الحقوقية التي أعطت كل ذي حق حقه .. وكم طرحت من شعارات باسم تحرير المرأة حينا ، وباسم مساواتها مع الرجل أحيانا ؟..

هذا عدا ما في جو المدرسة من نزعات متباينة ، واتجاهات مختلفة ، وتحلل وضيع .. وقلّما نجد من يدعو في البيئة المدرسية إلى دين رشيد ، وإسلام حق ، وأخلاق فاضلة ، ومبادىء تربوية صالحة ..

فبعد تبيان هذه الحقيقة الهامة ، فما عليك – أخي المربي – إلا أن تبذل جهدك ، وتضاعف سعيك لإنقاذ ولدك من هذا الجو المكفهر المظلم ، ومن هذه البيئة الفاسدة الضالة .. ولا يتحقق هذا الإنقاذ إلا بصحبة طلابيّة صالحة واعية .. يرتبط بها ولدك في هذه المراحل التي يمر عليها في التلقين العلمي ، والتكوين الثقافي سواء أكانت المرحلة التي يتلقى منها الدراسة ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية أو جامعية ؟.. ومن الأفضل أن يكون الانتقاء لهذه الصحبة الطلابية ممن يصحبهم في الحي أو في المسجد إذا وجدوا ، لتكون متانة الصحبة الصالحة أقوى ، ونتائجها في تحقيق الخير للولد أكثر .. وإن لم يوجد فيكون الانتقاء على أساس من الفهم ، وسلامة العقيدة والخلق ، والمباشرة العملية لأركان العبادات ولا سيما عبادة الصلاة .

ورحم الله من قال :

تمسّك إن ظفرتَ بذيل حُرّ   فإن الحرّ في الدنيا قليل

وأريد في الكلام عن المدرسة أن ألفت نظرك – أخي المربي – إلى حقيقة أخرى ينبغي أن تهتم لها ، وتوجه أنظارك إليها ألا وهي وضع البنت في المدرسة ، وأحوال تأثيراتها العاطفية والنفسية ..

إعلم – أخي المربي – أن الأنثى بما جبلت عليه من عاطفة فياضة ، وبما تتأثر به من أمنيات ومغريات ، وبما تنساق إليه من فتنة المدنيّة الحديثة ، وزينة الحياة الدنيا ومظاهرها الخادعة .. سرعان ما تتنكب عن الحق ، وتتكيف مع البيئة ، وتميل مع الهوى ، وتجاري التيار .. بدون رادع من دين ، أو زاجر من ضمير ، أو احتكام لعقل ، أو نظرة للعواقب ..

لأجل هذا وجب عليك أن تكون أكثر اهتماماً بالبنت من أولادك الذكور ، مخافة أن تتزعزع في إيمانها ، أو تتحلل في أخلاقها ، أو أن تنزلق في متاهات الرذيلة والفحشاء .. أو أن تنتمي إلى منظمات حزبية لا دينية .. فتنتزع منها أعزّ ما تملك ألا وهو الإسلام والشرف .. والإسلام يحتم عليك – أخي المربي – أن تهيىء لابنتك المناخ الصالح ، والبيئة الراشدة في البيت ، وفي المدرسة .. لتحصنها من الزلل ، وتعصمها من الانحراف ..

ومن وسائل تهيئة البيئة الصالحة أن تربطها بداعيات مرشدات يكن على اتصال دائم بها ، والاجتماع معها .. ومن الوسائل أيضاً تهيئة الصديقات الصالحات لترتبط البنت بهن ، وتكتسب منهن .. سواء أكُنّ هؤلاء الصديقات على صعيد القرابة في البيت ، أم كُنّ على صعيد الصداقة في المدرسة .. هذا عدا عن مراقبتها وملاحظتها وتوجيهها بشكل دائم ومستمر ، لتبقى على العهد ، وتستمر على الإيمان والاستقامة والخلق ، والتمسك بمبادىء الإسلام ، وتعاليمه الخالدة .. وإذا آنست – أيها الأب – من نفسك على أنك غير قادر على تهيئة وسائل الحصانة والعصمة لابنتك .. وإعداد البيئة الصالحة لفلذة كبدك .. فيحرم عليك شرعا أن تزج هذه الإنسانة في هذه المتاهات ، وأن ترمي بها في هذه المزالق .. مخافة أن تفقد أعز ما تملك ألا وهو الدين والشرف .

وأعلم – أخي المربي – أن ما ينطبق على صحبة المدرسة فإنه ينطبق تماماً على صحبة المعمل ، فأكثر المعامل والمؤسسات – ويا للأسف – تعجّ بعمال لا أخلاق لهم ، ولا أدب ، ولا دين .. بل يوجد من هؤلاء العمال على اختلاف مستوياتهم من

يعتنقون الشيوعية الكافرة الملحدة الحمراء .. ويوجد منهم أيضاً من ينتمون إلى منظمات عمالية لا تقيم للدين حرمة ، ولا للقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام أي وزن أو اعتبار ، ويوجد كذلك من هؤلاء العمال من يعيش في حياته عيشة البهائم في اتجاهم الإباحي ، ونزعتهم اللا أخلاقية .. ليس لهم هم سوى أن يشبعوا نهمتهم الجنسية ، وأشواقهم الغريزية ، وليس لهم من مثل أعلى سوى أن يتقلبوا في حمأة الخمر والقمار والفحشاء ، والاستماع إلى أميع الأغاني ، وحضور أقبح النوادي والمسارح .. ليذبحوا رجولتهم وكرامتهم على أقدام مغنية فاجرة ، أو راقصة ساقطة ، أو امرأة بغيّ زانية !!..

وفي الوقت نفسه يوجد من العمال من هم على الدين والاستقامة والأخلاق والتزام المنهج الإسلامي الذي جاء به رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه . ولكن هؤلاء قلة بالنسبة للفئات اللا أخلاقية التي تعجّ بها المعامل والمصانع ، والقطاعات العامة والخاصة .. في كثير من البلاد .. فالإسلام يحتم عليك – أخي المربي – أن تبحث في المعمل أو المصنع .. عن هذه الفئة الصالحة ، والرفقة المؤمنة .. لتربط ولدك بها .. فإذا نسي ذكرته ، وإذا ذكر أعانته ، وإذا رأته شذّ أو انحرف أنقذته وأحاطت به ، ليبقى دائماً على الاستقامة والأخلاق !!..

وحينما يتعاون ويتضافر توجيه البيت مع الربط بالصحبة الصالحة سواء أكانت صحبة مدرسة أو معمل أو حي أو مسجد ...

فلا شك أن الولد يتصلح حاله ، ويستقيم أمره ، وتتكامل شخصيته الإسلامية ، ويظل دائماً على العهد والاستقامة والأخلاق .. ومن هنا كانت وصية ابن سيناء في تربية الولد قوله : « أن تكون مع الصبي في مكتبه صبيّة حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

فاحرص – أخي المربي – على أن تأخذ بهذه القواعد التربوية الأصيلة ، والمبادىء الإسلامية القويمة .. للحفاظ على ولدك من الضياع ، والتشرد والزيغ ، والانحراف ..

وما ذاك إلا بالصحبة التي فصلنا عنها ، وأطلنا الكلام فيها ، لتكون دائماً على هدى من الأمر ، وبصيرة في الحياة ، وعلم في الطريقة ..

﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

(يوسف : ١٠٨)

* * *

وإليك أخيراً – أخي المربي – **توجيهات الإسلام وتحذيراته** من قرناء الشر ، **ورفاق السوء والفساد** ، لتعلم كيف أن الإسلام اهتم بالصحبة الصالحة وأمر بها ، وركّز عليها ؟

– قال تعالى :

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ .

(الفرقان : ٢٨ – ٣٠)

– وقال أيضاً :

﴿ قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ .

(ق : ٢٧)

– وقال كذلك :

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ﴾ .

(الزخرف : ٦٧)

– وقال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي –: « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِل » .

وقال أيضاً – فيما رواه البخاري ومسلم –: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك (يعطيك) ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

- وقال – فيما رواه ابن عساكر –: « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

* * *

٣ – ربط الولد بالدعوة والداعية :

ومن العوامل الأساسية في اكتمال شخصية الولد ، وإعداده ، نفسياً واجتماعياً ودعوياً .. ربط الولد منذ أن يتعقّل الحياة ، ويتفهم مسؤوليتها .. بالدعوة والداعية والتحرك لإعلاء كلمة الله .. وما ذاك إلا لتنمو في نفسية الولد روح الدعوة إلى الله . والجرأة في الحق ، والتخلق بالصبر .. حتى إذا تأصلت بين جوانحه هذه المعاني الدّعويّة ، والصفات النفسية انطلق كالأسد يبلغ دين الله عز وجل ، دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن تردّه عن المضي في طريقه عراقيل الحياة وأحداثها !!..

ولا شك أن المرشد الرباني الذي يرتبط به الولد حين يكون على المواصفات الإرشادية الكاملة من شمولية الفهم ، والوعي ، والتحرّق على الإسلام ، والتحرك في سبيله .. هو الذي يربي الولد على روح الدعوة ، والجهاد ، واستشعار المسؤولية ، والتحرك الدائم لإعلاء كلمة الله .. بل هو الذي يؤهله ليكون جندياً من جنود الحق ، وداعية من دعاة الإسلام .. يبلغ رسالة ربه ، ولا يخشى أحداً إلا الله .

ومن الأمور التي لا يماري فيها أحد أن الولد حين يتهيأ له مناخ الدعوة في كل ما يتعلق بها من أسباب ، وحين تتمهد له ظروف الجهاد التبليغي في كل ما يدفع

إليه من بواعث .. فإن الولد – ولا شك – يشب وهو في سن التعقل والتمييز على روح الجهاد ، وتبليغ الدعوة ، وهداية الناس ، وإنقاذ البشرية .. بل تتأصل هذه الروح الدعوية الجهادية في نفسه ، وتتعمق في كيانه ، وتصبح عنده في النهاية طبعاً وخلقاً وعادة ...

ومن المعلوم يقيناً أن الولد حين ينشغل في أوقات فراغه في الأعمال الدعوية ، والواجبات التبليغية .. وحين يمارس عملية الاتصال بالناس ، والالتقاء معهم ، والتحدث إليهم .. فنكون قد أشغلنا فراغه في أمور يعود نفعها على نفسه ، وآثارها الطيبة على أمته ومجتمعه .. وفي الوقت نفسه نكون قد نمّينا في الولد النزعة الاجتماعية التي تطلق مواهبه ، وتكوّن شخصيته ، وتهيؤه ليكون جندي الحق ، ورجل الدعوة والإسلام !!..

ولكن كيف نهيء الولد ليكون داعية ؟، وما هي المراحل التي يتدرج فيها ليصل إلى صفّ الدعاه المرموقين ، ومرتبة الرجال العاملين ؟

المراحل في تقديري هي على الوجه التالي :

١ – التهيئة النفسية :

وذلك بتصوير الواقع المؤلم الذي وصل إليه العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه .. تصوير الصراع في المبادىء والأفكار ، تصوير التفكك السياسي والاجتماعي ، تصوير الظاهرة الانحلالية والإباحية ، تصوير المؤامرات الصليبية واليهودية والشيوعية والاستعمارية ، تصوير اليأس والقنوط الذي خيّم على كثير من المسلمين .. إلى غير ذلك من هذه التصورات التي لا تخفى على أدنى مسلم في دنيا الإسلام !!..

فهذا التصوير للواقع ، والوصف للحاضر .. مما يدفع الولد الى أن يقتنع بضرورة العمل الدعوي ، والجهاد التبليغي .. بل نكون قد هيأناه نفسياً لينطلق في مضمار الدعوة عن إيمان وقناعة واندفاع ..

٢ – ضرب الأمثال :

وهنا يأتي دور المربي أو المرشد الرباني في إقناع الولد بضرورة العمل الدعوي والجهاد التبليغي لأجل إعزاز شرع الله ، ورفع راية الاسلام ..

ولضرب الأمثال وجهان :

١ – ضرب للمثل يزيل عن النفس يأسها وقنوطها ، ويحقق لها أملها وتفاؤلها .

٢ – وضرب آخر للمثل يدفع المسلم إلى العمل والتضحية والثبات مهما كانت العراقيل والعقبات .

فبالنسبة للنوع **الأول** يستشهد بالأحداث التاريخية التالية :

● من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة بعد أن تشتت الناس وانقسموا وارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وفي المرحلة الأولى من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ففي هذه الفترة برزت فيها قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ، وارتدت العرب عن الإسلام ، ومنع ممّن ينتسبون إلى الإسلام ظاهراً الزكاة ، ومنهم من أبطل الصلاة ..، وكان المسلمون بعد موت النبي ﷺ كالغنم في الليلة المطيرة كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها .. وبلغت الحالة حد اليأس حتى أن بعض الناس جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال : « يا خليفة رسول الله ، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً .. إلزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (الموت) » .

ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الهادىء الرقيق .. لم يدبّ اليأس إلى قلبه ، ولم يقنط من رحمة الله ونصره .. وإنما انقلب في هذه الفترة الخطيرة من خلافته إلى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر ويقول : « أجبّارٌ في الجاهلية ، وخوّار في الإسلام ؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر يُفترى ؟ هيهات ، هيهات !!. مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحي ، والله لأجاهدنّهم ما استمسك السيف في يدي ، فوالله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة .. لقد تمّ الوحي واكتمل .. أينقص الدين وأنا حي ؟ والله لو منعوني عَناقاً أو عقال بعير لقاتلتُهم عليه !!..

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق .

وهكذا استطاع أبو بكر رضي الله عنه بإيمانه وعزمه وجهاده وقوة نفسه الكبيرة .. أن يُعيد لدولة الإسلام استقرارها ، ويرسّخ لها عزتها ونقاءها !!..

● من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الاسلامية ، والمسجد الأقصى وما حوله ما يقارب قرناً من الزمان .

● من كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار « **صلاح الدين** » في **معركة حطين الحاسمة** ويصبح لها من الكيان والعزة والمجد ما شرّف التاريخ ؟!.

● من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب **المغول والتتار** العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً ؟ حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين .

● من كان يظن أن بلاد الإسلام ستحرر على يد البطل المقدام « **قطز** » في معركة « **عين جالوت** » الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والعزة ما فخرت به الأجيال ؟!.

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها من أن يصنعوا من اليأس أملا ، ومن الهزيمة انتصاراً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذلة عزة .. ومن الشتات وحدة ..

فحين تضع – أخي المربي – في الولد هذه المعاني من الأمل والتفاؤل .. فإنه سيندفع لا محالة إلى ميدان الدعوة إلى الله ، بل يكون جندياً من جنودها ، وفتىً جلداً صبوراً من فتيانها..

وبالنسبة **للنوع الثاني** يستشهد بالقدوات التالية :

● بصاحب القدوة الأولى نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لقي في سبيل الدعوة الإسلامية ما لقي من أصناف العذاب ، وألوان الاضطهاد ، وأنواع الألم ..

وكتب السيرة النبوية فائضة بذكر هذه الأمثال والأخبار ..

● بأصحاب القدوة من الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ودخلوا محنة الدعوة في المرحلة المكية بإيمان كالجبال ، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ضعفوا ، بل زادتهم المحن والشدائد إيماناً وتسليماً .. وهم الذين قال عنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلّها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا .. اختارهم الله لصحبة نبيّه عليه الصلاة والسلام ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » . وأخبارهم في الثبات والتضحية والصبر .. كثيرة ومستفيضة .

● بأصحاب القدوة من رجالات الدعوات عبر التاريخ إلى عصورنا اليوم .. فهؤلاء لهم من المواقف المشرقة ، والتضحيات الخالدة .. ما تفتخر به الأجيال على مر العصور والأيام ، كأمثال الحسن البصري ، والعز بن عبد السلام ، ومنذر بن سعيد ، وأحمد بن حنبل ، وأبي غياث الزاهد ، والإمام حسن البنا ، والشهيد سيد قطب .. ومئات غيرهم .. الذين كانوا جبالا في التحمل ، وأسوداً في الثبات ، ومضرب المثل في الصبر والتضحية ..

فحين تضع – أخي المربي – في الولد هذه المعاني من مواقف التضحية والصبر والثبات في سبيل تبليغ دعوة الإسلام .. فإن الولد – ولا شك – ستنطبع في تصوره هذه المواقف ، وتسري معانيها إلى نفسه وقلبه .. فعندئذ يتخذ في حياته طريقاً للقدوة ، فينهج نهجهم ، ويمشي على طريقتهم ، ويصبح ممن عناهم الله سبحانه بقوله :

﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ (الأنعام ٩٠) .

٣ – إظهار فضيلة الدعوة إلى الله :

على المربي في هذه المرحلة أن يركز في ذهن الولد الأجر الكبير الذي يحظى به الداعية إلى الله حين ينطلق في مضمار الدعوة ، ويبلّغ الناس رسالة الإسلام الخالدة :

– يركز في ذهنه أن الدعاة هم خير الناس وأفضلهم لقوله تبارك وتعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. ﴾ .

(آل عمران : ١١٠)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة هم المفلحون الفائزون في الدنيا والآخرة . لقوله سبحانه :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

(آل عمران : ١٠٤)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة لا يدانيهم أحد في الشرف والمنزلة وحسن الفعال .. لقوله عزّ من قائل :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

(فصلت : ٣٣)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة لهم من الأجر مثل أجور من اتبعوهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم وأصحاب السنن –: « من دعا الى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. » .

– ويركز في ذهنه أن الدعاة فيما يتركون في المجتمع من أثر ، وما يحقق الله على أيديهم من هداية خير لهم مما طلعت عليه الشمس وغربت ، لقوله ﷺ – فيما رواه البخاري – « فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حُمْر النَّعم »[1] ، وفي رواية : « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

فحين تضح – أخي المربي – هذه الحقائق من فضائل الدعوة بين يدي الولد ، وحين ترسخها في ذهنه ، وتعمقها في نفسه .. فإن الولد سينطلق في هذا المضمار طائعاً مختاراً .. ليحظى بالأجر والمثوبة عند من بيده مقاليد كل شيء في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

٤ – بيان الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة :

على المربي في هذه المرحلة أن يبين الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة حتى يلتزمها ، ويسير على هديها دون أن يعتريه عوج أو التواء .. حتى يكون تأثيره أبلغ ، والنتائج التي يصل إليها دائماً أفضل وأحسن ..

ونلخص هذه الأصول فيما يلي :

(أ) **أن يكون عالما بحكم كل قضية يدعو إليها أو ينهى عنها** : حتى يكون أمره أو نهيه دائماً مطابقاً لأحكام الشريعة ، ومبادىء الإسلام .. وصدق الله حين قال :

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .
(الزمر : ٩) .

(ب) **أن يكون فعله دائماً مطابقا لقوله** : حتى يقبل الناس هديه ، ويستجيبوا لدعوته .. وما أشقى الذين يقولون مالا يفعلون !!، وما أحمق الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم !! وما أعظم وأشنع ما قاله الله في حق أولئك :

---

(١) حُمْر النعم : هي الإبل الحمراء وكان العرب يتفاخرون بها .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون مالا تفعلون كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ .

(الصف : ٣)

﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

(البقرة : ٤٤)

(ج) **أن يكون المنكر مجمعاً على إنكاره** حتى لا يقع الناس بسبب تعصبّه في بلبلة فكرية ونفسية واجتماعية ...، ولاسيما القضايا التي يرجع البتّ فيها للاجتهاد وآراء الأئمة .. وقد قالوا قديماً : « مَن قلّد عالماً لقي الله سالماً » .

(د) **أن يكون متدرجا في تغيير المنكر** : حتى لا يصل في النهاية إلى نتائج صعبة ليست بالحسبان ، فالتدرج من النصح .. إلى التخويف بالله .. إلى التهديد .. الى التعنيف بالقول .. إلى التغيير باليد .. هو عين الصواب والحكمة ، وقد قال الله سبحانه :

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ .

(البقرة : ٢٦٩)

(هـ) **أن يكون لطيفاً رفيقاً حسن الخلق** : حتى يملك قلوب الناس بملاطفته وكريم أخلاقه ، ويستجيبوا للطيف موعظته ورقيق كلامه .. وصدق الله سبحانه حين قال :

﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

(النحل : ١٢٥)

(و) **أن يكون صابراً على الأذى** : حتى لا ييأس أو ينهزم مما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ، واستهزاء الساخرين .. ولنستمع إلى نصيحة لقمان الحكيم لولده كما حكاها القرآن الكريم :

﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

(لقمان : ١٧)

تلكم - أخي المربي - أهم الأصول[1] المتبعة في تبليغ الدعوة الإسلامية ، وهداية الناس إلى سبيل الخير .. فما عليك إلا أن ترشد ولدك إليها - وهو في سن التمييز - حتى يعتادها ، ويدرج عليها ، ويتفهم مراحلها وأصولها .. عسى أن يكون في المستقبل الداعية الموفق الذي يشار إليه بالبنان في حكمته ، وأسلوبه ، وحسن معشره ، ولطيف أخلاقه ، وعظيم أثره ...

٥ - من التوجيه إلى التطبيق :

في هذه المرحلة الهامة ينتقل المربي بالولد إلى الناحية التطبيقية العملية في إعداده اجتماعياً ، وتكوينه دعوياً ...

ويحسن بك - أيها المربي - في بدء هذا التكوين الدعوي أن تربط ولدك بداعية مخلص مجرب .. عنه يتلقى التوجيه ، ومنه يتقن أصول الدعوة ، وبصحبته يمارس الجانب العملي في دعوة الناس إلى الخير ...

ولا يخفى ما في هذا الارتباط في سن مبكرة من أثر كبير في نضج الولد دعوياً ، وفي تربيته اجتماعياً ، وفي اكتمال شخصيته نفسياً وسلوكياً ..

وبعد هذه المرحلة **يأتي دور التدريب على الاتصال الفردي للهداية والإصلاح .**

وهذا لا يتأتى إلا أن يتدرب الولد عملياً على أن يمارس دعوة الآخرين الى الخير بنفسه دون مصاحبة مرشد أو مرافقة رقيب ...

---

(١) ارجع إلى القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » ، واقرأ بحث « المراقبة والنقد الاجتماعي » في الفصل السادس منه ، تجد هذه الأصول مشروحة بشكل واف مع كل الشواهد الكثيرة .

ولكن قبل أن يقوم الولد بالتجربة العملية في دعوة إنسان ما إلى الخير يحسن من المربي أو الداعية أن يذكر الولد بأصول الدعوة ومراحلها .. ليقوم بالتنفيذ على أدق وجه ، وأحسن سبيل .. ثم بعدها ينطلق في مضمار الدعوة إلى الله بنفس مؤمنة إيجابية رضية ..، وقد يكون المنطلق إلى دعوة صديق في مدرسة لا يقيم وزناً للعبادة ، ولا يكترث بالصلاة ، ولا يسير في حياته سير الصالحين الأبرار !!

وهنا تظهر براعة الولد في دعوة هذا الصديق إلى الصلاة ، وانقاذه من بيئة الفساد والانحراف .. وهنا تبرز شخصيته المؤثرة في الإقناع والاستجابة والاهتداء .. وهنا تتجسد قدرته الدعوية في انجذاب النفوس إليه ، وتأثرهم به ، ومحبتهم له ، ومدى استجابتهم للدعوة التي يدعو إليها ، ويأمرهم بها !!

وبعد أن ينتهي الولد من هذه المرحلة العملية في الدعوة **يأتي دور المربي أو المرشد أو الداعية ثانية ، ليسأل الولد عن النتائج التي وصل إليها ، ويحاسبه عن المراحل التي مرّ بها** .. فإن رأى الولد أحسن في سير الدعوة ، واتبع الأصول اللازمة ، وانتهج المراحل المتدرّجة .. شكر الولد على صنيعه ، وشجعه على توفيقه ، وطالبه بالمزيد من النشاطات الدعوية في محيط المجتمع ، ودنيا الناس .

وإن رأى الولد أخطأ في السير ، ولم يتبع الأصول الصحيحة أرشده إلى معالم الحق ، وطريق الصواب .. فيتوجّب على المشرف الدعوي أو المربي إذن ، أن ينهج مع الولد هذا المنهج ، ويتبع معه طريق السؤال والمحاسبة في كل عملية دعويّة يقوم بها !!. حتى إذا رآه نضج دعوياً ، وبرع سلوكياً واجتماعياً رمى به في بيئات الجهالة .. ليؤدي رسالة الدعوة والإصلاح على أحسن وجه ، وأنبل معنىً .. ويبلغ مبادىء الإسلام في الأرض لا يخشى أحداً إلا الله .. ولو لقي في سبيلها ألوان العذاب ، وأصناف الألم .. وحسبه فخراً وشرفاً أن يتأسى بالأنبياء عليهم السلام وما كابدوه ، ويقتدي بالمصلحين الكبار وما لا قوه ..، وهذه سنّة الله في كل داعية إلى الخير والإصلاح ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا !!..

* * *

إن أردت – أخي المربي – أن يكون ولدك جندياً من جنود الاسلام . وداعية من دعاة الحق .. فما عليك إلا أن تربط ولدك بدعاة صادقين ، وهداة مخلصين .. منهم يستمد عزم الإيمان ، وبواسطتهم يندفع نحو الجهاد ، وبإعدادهم ينطلق في ميادين الدعوة إلى الله .. حتى إذا تخرج على أيديهم ، وامتطى صهوة الجهاد الدعوي ، قام بالدور الكبير في الإنقاذ ، والهداية ، والإصلاح والتبليغ .. دونما إهمال أو تواكل أو تقصير .. فما أحوج دنيا الإسلام إلى أولاد يرضعون لبان الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفارهم ، ويستظلون في ظلال العمل الحركي ، والجهاد التبليغي وهم لم يبلغوا الحُلم بعد !!.. حتى إذا بلغوا السنّ التي تؤهلهم لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة .. انطلقوا في مجاهل الأرض ، يمدّنون الأمم ، ويكرّمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ، وينصرون الحق ، ويدعون إلى الهدى ، ويملؤون الأرض عدلاً وأمناً واستقراراً ..

انطلقوا في مضمار الدعوة والجهاد غير هيّابين ولا وجلين .. يبلّغون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله .. حتى يصلوا في نهاية المطاف إلى تحكيم شريعة الله ، وإقامة دولة الإسلام ، واستعادة ما بناه الأوائل من مجد شامخ ، وعزة منيعة ، ودولة كبيرة واسعة لا تغيب عن أرضها الشمس !!.. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

خامساً : الرّبط الرّياضي

من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسمياً ، وتكوينهم صحياً .. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية ، وتدريبات عسكرية ، وتمرينات رياضية .. كلما سنحت لذلك فرص ، أو تهيأت ظروف ..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة ، وتعاليمه السامية .. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء ، ووفق بين مطالب الروح ، وحاجات الجسم ، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حدّ سواء .

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي ، والتكوين الجسماني .. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة وعلى أعضائه بالقوة ، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط .. وذلك لثلاثة أسباب :

الأول : للفراغ الكثير المتيسر له .

الثاني : لوقايته من الأمراض والأسقام .

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد .

وإليك – أخي المربي – **طاقات من نصوص الشريعة** في اهتمام الإسلام بالتربية الرياضية ، والإعداد العسكري .. ليعلم كل ذي عينين أن الاسلام هو دين الله الخالد في دعوته إلى وسائل العزة والقوة والجهاد :

– قال تعالى .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

(الأنفال : ٦٠)

– وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. » .

– وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

– وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ، ثم قال : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

– وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي : « أما بعد فعلّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل .. » .

وروى الشيخان أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم يا عمر » .

– وروى أحمد والبخاري أن النبي ﷺ مرّ على نفر من أسْلَم ينتضلون بالسوق (يتدربّون على الرمي) ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أُرموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، أرموا وأنا مع بني فلان » ، فأمسك أحد الفريقين عن الرمي ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم لا ترمون ؟ » ، فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

– وروى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سابقني رسول الله ﷺ فسبقتهُ ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك » .

– وروى أبو داود عن محمد بن علي بن رُكانة : « أن ركانة صارع النبي ﷺ ، فصرعه عليه الصلاة والسلام » .

– وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « أرموا واركبوا ، وأن ترموا خير من أن تركبوا » .

– وروى أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له (ناقة فتية) فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا : سُبِقَتْ العضباء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » .

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية ، والتدريبات الجهادية من مصارعة ، وعَدْوٍ ، وسباحة ، ورماية ، وفروسية .. من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة ، وأن تترقى أفراداً وجماعات على معاني القوة ، والفتوة والجهاد .. تنفيذاً لقوله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكرياً وحربياً ، وتكوّنت صحيّاً وجسمياً ، واكتملت إيمانيا ونفسيا ، وعزمت على الجهاد حركيا وإرادياً .. فإنهم – لا شك – ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة .. قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد ، وهذا ما يعرف اليوم **بالسلم المسلح** ، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال : « نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر » .

* * *

وإذا كان الولد – كما مر – هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الجسمي ، والتكوين الجهادي ، والتربية الرياضية .. فهل معنى هذا أن ينطلق الولد في هذا المضمار بلا قيود ولا حدود أم أن يتقيد بمنهج يلتزم حدوده،ويمشي على منواله ؟

في الحقيقة وواقع الأمر أن الارتباط الرياضي للولد لا يعطي الثمرة المرجوة ، ولا يفي بالغاية المطلوبة إلا أن يكون على وفق المنهج الذى وضعه الإسلام .

وإليك – أخي المربي – معالم هذا المنهج وحدوده المرسومة :

١ – إيجاد التوازن :

لا يصح أن يكون الارتباط الرياضي للولد على حساب واجبات أخرى يكلف بها ، ويدعى إليها ، ويطلب في حقه تنفيذها .. كأن يشغل جل وقته في اللعب بكرة القدم ، أو اتقان فن المصارعة ، أو مزاولة أعمال السباحة ، أو التدريب على الرماية .. على حساب حق الله في العبادة ، أو حق نفسه في تحصيل العلم ، أو حق أبويه في الطاعة والبر ، أو حق إسلامه في التبليغ والدعوة ..

فالارتباط الرياضي للولد إذن يجب أن يكون بحدود الوسط والاعتدال لإيجاد التوازن مع سائر الواجبات الأخرى دون أن يَطْغى حق على حق ، أو يتغلب واجب على واجب .. تحقيقاً لمبدأ التعادل والتوازن الذي وضع أصوله نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يا عبد الله بن عمرو » :

(إن لله عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً وإنّ لأهلك عليك حقاً .. فأعط كل ذي حقٍّ حقَّه) .

٢ – مراعاة حدود الله :

على من يقوم بتدريب الولد رياضيا ، وإعداده جهادياً وعسكرياً مراعاة الأمور التالية :

(أ) أن يكون اللباس الرياضي للولد من السرة إلى ما تحت الركبة للأحاديث التالية :

– روى الدارقطني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما فوق الركبتين من العورة ، وما أسفل من السرة من العورة » .

– وروى الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : « ما بين السرّة والركبة عورة » .

– وروى أبو داود والحاكم والبزّار عن علي كرّم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تبرز فخذيك ، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميّت » .

– وروى البخاري في تاريخه ، والإمام أحمد والحاكم عن محمد بن جحش رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال : (يا معمر غطّ فخذيك فإن الفخذين عورة) .

وروى عقبة بن علقمة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الركبة من العورة » .

وعلى هذا لا يجوز للمدرّب أن يلبس الولد لباساً رياضياً لا يغطي الفخذ ولا يستر الركبة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها ، وإذا لم يراع في تدريبه حدود الله عز وجل فإنه يستحق إثماً ، والله سبحانه مسائله عمّا فرّط في جنب الله .

(ب) **أن تكون الأعمال الرياضية في أماكن غير مشبوهة** ، لما روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مُشتَبِهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ...) .

ومما قالته عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم) .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : « إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فربّ سامع نُكراً لا تستطيع أن تُسْمعه عذراً » .

وأيّة شبهة أعظم حين يزاول الولد أعمال الرياضة والتدريب في بيئات الانحلال والفساد .. كأن يمارس أعمال السباحة في مسابح مختلطة حيث التكشف الفاضح ، والعري الممقوت .. أو يتدرب على المصارعة والملاكمة في نوادٍ يقام في ساحتها المنكر ، وترتشف في أرجائها الخمور ..

فما عليك – أخي المربي – إلا أن تجنّب الولد مواقف التهم حتى لا تسوء في المجتمع سمعته ، ولا يشتبه في الناس أمره ، وحتى لا يتأثر سلوكياً وخلقياً في بيئات الضلال والفساد ..

(ج) **أن يكون التشجيع على النبوغ الرياضي برهان غير محرّم** : لما روى أصحاب السنن والإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « لا سبق (لا رهان) إلا في خُف أو حافر أو نصل (أي سهام) » .

ويؤخذ من هذا الحديث أن الرهان غير المحرم يترتب عليه شرطان :

الأول : أن يكون الرهان في إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة .

الثاني : أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط . فأما إذا بذل كل منهما جُعلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعْلين معاً فهو القمار المحرّم المنهى عنه ، وقد سمّى النبي ﷺ هذا النوع من الخيل الذي يُعَد للقمار أو يراهن عليه « **فرس الشيطان** » وجعل ثمنها وزرًا ، وعلفها وزراً ، وركوبها وزراً . أما إذا كان بذل الجُعْل (المكافأة) **من هيئة أجنبية** كرئاسة الدولة أو الوزارة أو إدارة مدرسة أو جمعية .. فإن البذل في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة سواء كان هذا التشجيع من أجل الاستعداد الحربي أو من أجل النبوغ الرياضي .. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ سبّق بين الخيل وأعطى السابق » .

٣ – تحرير النية الصالحة :

على المربي الذي يشرف على تربية الولد وتكوينه الصحي والجسمي والنفسي .. أن يهمس في أذن الولد أن ما يقوم به من تمارين رياضية وبدنية ، وما يتدرّب عليه من أعمال عسكرية وحربية هو من أجل أن يقوى صحياً وجسمياً ، ويكوّن نفسه حربياً وجهادياً .. حتى إذا بلغ السن التي تؤهله بأن ينهض بأعباء التكاليف اليومية ، وأن

يلبي نداء الواجب في تحقيق نصر الإسلام .. قام بالمسؤولية والواجب على أحسن وجه دون أن يعتريه ضعف أو يناله عجز أو تقصير ..

ولا شك أن هذه الهمسات المستمرة ، والتوجيهات الدائمة للولد تجعله دائماً في أن يحرر نيته ويحاسب نفسه بأن **ما يقوم به من تدريبات رياضية ، وتمرينات بدنية** هو من أجل أن يتحقق فيه قول النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف » ، وقوله : « رحم الله أمرءاً أراهم من نفسه قوة » ، **وأن ما يقوم به من عمليات عسكرية ، وإعدادات جهادية** .. هو من أجل أن ينفذ أمره سبحانه وتعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾ .

(الأنفال : ٦٠)

وبهذه النية الصالحة في تربية الجسم على القوة ، وفي إعداد النفس على عمليات الجهاد .. نكون قد ربطنا الولد بالإسلام عقيدة وفكراً ، وبالجهاد اندفاعاً وتضحية ، وبالواجب اليومي نشاطاً وحيوية ، ونكون بالوقت نفسه قد هيأناه ليكون جندياً من جنود الإسلام ، يعمل للدنيا ويجاهد للدين ، ويحمل في نفسه المخلصة أنبل معاني الإيمان والخلق والعزة والتفاؤل ونصرة هذا الإسلام العظيم !!..

وبهذه النية الصالحة أيضاً يستشعر الولد من قرارة وجدانه أن الذي يقوم به من تمرين وتدريب ليس من قبيل اللهو والعبث ، وإنما هو من قبيل التكوين والإعداد . وبهذا الاستشعار الصادق يقدم على عمليات التدريب باخلاص نية ، وبصدق عزيمة ، وبتفتح ذهن ، وبحيوية نفس ، وباستفادة وقت ، وبإملاء فراغ ..

وهكذا يتحول الولد تحويلا جديداً حينما نُلقي في روعه هذه المعاني ونهمس في أذنه هذه التوجيهات ، ونرسّخ في نفسه هذا الوعي الناضج السديد ..

وعليك - أخي المربي - أن تعلم أن تحرير النية الصالحة للولد ليس خاصاً بالتمرينات الرياضية ، والتدريبات الجهادية .. وإنما تشمل سائر الأعمال الحيوية ،

والمتع الجسدية الداخلة في دائرة الحلال .. فالأكل ، والشرب ، والنوم ، والنزهة البريئة ، والتمتع بسائر الطيبات .. إذا فعلها الولد أو أي مسلم آخر بنية الامتثال لأمر الله ، والتعفف عن الحرام ، وتقوية الجسم ليكون أقدر على حمل المسؤوليات والتكاليف .. يصبح العمل بهذه النية الصالحة عبادة يتقرب المؤمن بها إلى الله زلفى ، وعلى هذا أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أن الانسان يعد مثاباً ومأجوراً إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية إيناسها وإدخال السرور عليها ، وأخبر أيضاً صلوات الله وسلامه عليه أن الذي يضع شهوته في الحلال بنية الإحصان ، وإنجاب الذرية الصالحة .. فله ثواب وأجر . وعلى هذا استنبط فقهاء الشريعة من هذه الأحاديث المتقدمة هذا الحكم : **« إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة »** .

فإذا كان للنية الصالحة هذا الأثر الكبير في الأجر ، فما عليك – أخي المربي – إلا أن تلقي في روع الولد وفي نفسه هذا المعنى حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم ، وحتى يحظى دائماً بالأجر والمثوبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

* * *

تلكم – أيها المربون – أهم الظواهر الارتباطية في صيانة عقيدة الولد ، والحفاظ على سلوكه واتزانه ، وتكامل نفسيته وشخصيته ، وتصحيح تصوره وأفكاره ، وتقوية جسمه وأعصابه .. بل هي من أكبر العوامل في تربية الولد منذ نشأته على الإيمان الراسخ ، والخلق الفاضل ، والعقل الناضج ، والنفسية المتزنة ، والفكر الواعي ، والسمعة الاجتماعية النظيفة الطاهرة ..

فاحرصوا – أيها المربون – على تنفيذ هذه الارتباطات بدقة وأمانة وإخلاص .. واعملوا على تطبيقها بعزم وإيمان ومضاء ..

فإذا فعلتم هذا فسترون أفلاذ أكبادكم بدوراً تنير ، وشموساً تشرق ، وزهرات تفوح ، وشامات في خدّ الزمن تظهر ، وملائكة تمشي على الأرض ..

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ . (التوبة : ١٠٥)

* * *

٢ – قاعدة التحذير

بعد أن تكلمنا طويلا – في بحثنا السابق - عن قاعدة الارتباط وأثرها الفعال في تربية الولد ، وتكوين شخصيته ، واستقامة سلوكه .. ستشد العزم للحديث عن القاعدة الثانية من (القواعد الأساسية في تربية الولد) ألا وهي (قاعدة التحذير) .

وهذه القاعدة التي ستكون الآن محور حديثنا لا تقل أهمية وتأثيراً عن القواعد الأخرى التي سبق الكلام عنها ، بل هي من العوامل الأساسية التي تغسل مخّ الولد من الأفكار العفنة ، والمفاهيم الضالّة الباطلة .. بل تجعل من وعيه وإيمانه حصناً يرد عنه أفكار الضالين ، وميوعة المتحللين ، ومصاحبة المنحرفين والشاردين !!..

وقبل أن أخوض في الكلام عن أهم التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ، يجدر بك – أخي المربي – أن تفهم هاتين الحقيقتين :

الأولى : التحذير الدائم للولد يؤصّل في قلبه كراهية الشر والفساد ، ويورث في نفسه النفور من ظواهر الزيغ والانحلال ..

الثانية : التعرية لظواهر الزيغ والإلحاد والانحلال تزيد المربي عزماً وتصميماً في تحمل المسؤولية ، والولد توجيهاً وتعليماً في البعد عن الشر والتخلي عن الباطل ..

بعد تبيان هاتين الحقيقتين ندخل في صلب الموضوع ، لنأتي على البحث من جميع جوانبه والله المستعان وعليه التكلان .

* * *

لو تصفحنا كتاب الله عز وجل ، وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام نجد أن أسلوب التحذير من الشر ، والتعرية للباطل .. ظاهر للعيان في كثير من الآيات القرآنية ، وفي عديد من الأحاديث النبوية ..

إليكم طائفة من هذه الآيات والأحاديث :

قال الله تعالى في سورة الإسراء :

- ﴿ **لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً** ﴾ ... آية : ٢٢ .

- ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ .. آية : ٢٩ .

- ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً** ﴾ . آية : ٣١ .

- ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ . آية : ٣٢ .

- ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً** ﴾ . آية : ٣٣ .

- ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولًا** ﴾ ... آية : ٣٤ .

- ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا** ﴾ . آية : ٣٦ .

- ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ . آية : ٣٧ .

- ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً** ﴾ . آية : ٣٨ .

إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تحذر من الزيغ في العقيدة ، والفساد في الخلق ، والسوء في المعاملة .. وما أكثرها في القرآن الكريم !!..

وقال عليه الصلاة والسلام :

- « إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب للإيمان » رواه أحمد وأصحاب السنن ..

- « إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق » رواه مسلم وأحمد .

– « إياكم والظن فإن الظنّ أكذب الحديث ، ولا تحسّسوا ، ولا تجسسّوا ، ولا تنافسوا ، ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك) متفق عليه .

– (إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور أهل الجنة) رواه ابن ماجه .

– (إياكم وزيّ الأعاجم) رواه ابن حبان .

– (إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف) رواه ابن عساكر .

(إياكم والشحّ فإنما أهلك مَن كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) رواه أبو داود والحاكم .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تنهى عن الشر ، وتحذر من الفساد ، وتلفت النظر إلى توقّي الزيغ ومساوىء الأخلاق .. وما أكثرها في كتب السنة !!..

* * *

فقاعدة التحذير إذن ليست من ابتكارات المربّين ، ولا من عنديات الفلاسفة الاجتماعيين ، وإنما هي طريقة القرآن الكريم في تكوين الأفراد ، ومنهج السنة النبوية في تربية المجتمع ..

وصدق الله العظيم القائل :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ . (الإسراء : ٩) .

وصدق رسول الله ﷺ القائل : (.. فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين عضّوا عليها بالنواجذ)[1] رواه أصحاب السنن وابن حبان .

---

(١) أي اجتهدوا على السنة والزموها ، والنواجذ : هي الأنياب .

وها نحن أولاء نضع بين يدي المربّين أهم المسائل التحذيرية في توعية الولد ، وغسل مخّه ، وتثبيت عقيدته ، وتقويم سلوكه وأخلاقه .. عسى أن ينهضوا بها ، ويهتموا لها ، ويكلفوا أنفسهم عناء تلقينها وتبليغها ..

فإن هم فعلوا ذلك فيكونون من عداد أولئك الذين أدوا واجبهم التربوي ، ومسؤوليتهم الإسلامية على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، وكانوا من زمرة أولئك الذين وهب الله لهم من أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين ، وجعلهم للمتقين إماماً !!..

وإليك – أخي المربي – أهم هذه التحذيرات :

أولاً : التحذير من الرِّدة

المقصود من الرِّدة – أخي المربي – ترك المسلم دينه الذي ارتضاه الله له واعتناق دين آخر أو عقيدة أخرى تناقض شريعة الإسلام .

وللارتداد مظاهر كثيرة :

• من مظاهر الارتداد **المناداة بشعارات تصرف المسلم عن أن يكون الله سبحانه مقصوده ومعبوده أو يكون دين الإسلام هدفه ومبتغاه** ، ويدخل في هذا النوع **حالات كثيرة :**

(أ) أن يعمل الإنسان **لشعار القومية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويقاتل في سبيله ، وهذا هو العصبية الجاهلية التي نهى الرسول ﷺ عنها ، وحذر منها : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داود .

(ب) أن يعمل **لشعار الوطنية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويكافح في سبيله .. وقد عاب الله عز وجل على أقوام تعلّقوا بأوطانهم فقال :

﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً ﴾ .

(النساء : ٦٦)

فالارتداد منحصر في دائرة الهدف والغاية من أجل رفع هذا الشعار وتقديسه حتى العبادة دون أن يكون لله سبحانه فيه ذكر ، أو للإيمان به وبشرعه غاية .. أما إذا كان الهدف لأجل الله تعالى ، وتنفيذ ما أمر ، وكان مما أمر القيام بما فيه مصلحة الوطن الإسلامي ، والدفاع عن العرض ، والشرف ، والنفس ، والمال ، والدين .. فهذا من العبادة التي تجعل صاحبها أن يستحق رضى الله عز وجل وثوابه إن قاتل ، وأن يحظى بالشهادة في سبيل الله إن قُتل .. وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه أبو داود : (مَن قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) .

(ج) أن يعمل **لشعار الإنسانية وحدها** دون أن يدور في خاطره أنه يعمل لأن الله سبحانه أمره بهدايتها ، والتعارف على شعوبها ، والتعاون مع المسلمين منها .. وهذا الشعار تنادي به الماسونية التي تحركها اليهودية العالمية من وراء وراء ..

وبالاختصار نقول : كل شعار يرفعه المسلم لا يبغي من ورائه رضوان الله عز وجل ، وإعزاز دينه ، ورفع راية الإسلام فهو **شعار الجاهلية** ، فالذي تبنّاه ، ويدعو له ، ويجاهد من أجله ، ويكافح في سبيله .. إنسان مرتدّ كافر خارج عن ملة الإسلام ، محارب لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام مهما ادعى الإيمان وتبجح بالإسلام !!..

● ومن مظاهر الارتداد **إعطاء الولاء والمحبة والحاكمية والطاعة لغير الله .**

قال تعالى :

- **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .**

(المائدة : ٤٤)

– ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ .

(الجاثية : ١٨)

– ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

(المائدة : ٥١)

– ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ .

(التوبة : ٢٣)

– وروى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أنه دخل على رسول الله ﷺ - قبل أن يسلم – وفي عنق عديّ صليب من فضة ، وهو يقرأ هذه الآية :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) . (التوبة : ٣١)

قال عدي : إنهم لم يعبدوهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :

بلى ! (إنهم حرّموا عليهم الحلال . وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم ..) .

● ومن مظاهر الارتداد كراهية شيء من الإسلام كأن يقول قائل : أنا أكره الصيام لأنه يؤخر اقتصاد الأمة . أو يقول آخر : أنا أكره الحجاب للمرأة لأنه من علامات التخلف ، أو يقول ثالث : أنا أكره النظام المالي في الإسلام لأنه يحرم الربا أو ما سوى ذلك ، قال الله تعالى عن هؤلاء :

﴿ والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

(محمد : ٨ – ٩)

● ومن مظاهر الارتداد الاستهزاء بشيء من الدين ، أو بشعيرة من شعائر الإسلام ..

قال تعالى :

﴿ يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ .

(التوبة : ٦٣ - ٦٥)

● ومن مظاهر الارتداد تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله . قال تعالى :

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ .

(النحل : ١١٦)

ومن يفعل هذا فإنه مُنكر لما جاء من الدين بالضرورة ، ومنازع لله في حاكميته وتشريعه .. لهذا كان مرتداً كافراً !!..

● ومن مظاهر الارتداد الإيمان ببعض الإسلام والكفر ببعض كأن يؤمن المسلم بأن الاسلام دين عبادة ويكفر أنه دين نظام وتشريع .. أو يؤمن بأن الاسلام جاء بالنظم الروحية والخلقية والتربوية .. ويكفر بالنظم الأخرى كالنظام السياسي أو النظام الاقتصادى أو النظام الاجتماعي .. قال تعالى :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب ﴾ .

(البقرة : ٨٥)

• ومن مظاهر الارتداد **الاقتصار على الإيمان بالقرآن الكريم وجحود السنة النبوية** كالفرقة القاديانية التي صنعها الإنكليز في الهند غايتها هدم الشريعة ، والتشكيك بنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

والقرآن الكريم نفى الإيمان عن كل من لا يحتكم للرسول ﷺ في حال حياته ، ولسنته بعد وفاته ، قال تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

(النساء : ٦٥)

ومن المعلوم يقيناً أن طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام هي طاعة لله سبحانه ، قال تعالى :

﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (النساء : ٨٠)

وروى الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألاهل عسى رجل يبلُغُهُ الحديث عني ، وهو متكيء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّمه الله » .

وفي رواية لأبي داود : « ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه » .

وعلى العموم بقول الله تعالى في وجوب الطاعة للرسول ﷺ :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

(الحشر : ٧)

• ومن مظاهر الارتداد **الاستهزاء أو الغمز بفعل من أفعال الرسول ﷺ** كأمثال من يغمز الرسول ﷺ في تعدد زوجاته لكونه جمع بين تسع نسوة في آن واحد[١] ..

قال تعالى في سورة الحجرات :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .

فإذا كان رفع الصوت أمام الرسول ﷺ مظنة ردة فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟

• ومن مظاهر الارتداد **ادعاء البعض أن للقرآن الكريم باطناً يخالف الظاهر ، وظاهراً يخالف الباطن** ، وإن هذا الباطن يستقل بعلمه بعض الناس بواسطة الإلهام المزعوم .. فهذا الادعاء تعطيل للشريعة الإسلامية بتعطيل نصوصها ، لأنه لا يبقى بعد ذلك أصل يرجعون إليه ، ولا قواعد من اللغة العربية يحتكمون إليها ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين لقوله تعالى :

﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ . (يوسف : ٢)

﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ ... (الرعد : ٣٧)

فكل تفسير لأي آية من كتاب الله عز وجل لا يستند على الأثر أو على قواعد اللغة ، والبيان العربي ، وأقوال العرب فهو تفسير باطل يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان ، وحقيقة الإسلام .. ولا شك أن أصحاب هذه الدعوات الضالة هم من أعظم الزائغين كفراً وتضليلا وإلحاداً !!..

---

(١) ارجع إلى كتابنا (تعدد الزوجات . والحكمة من تعداد أزواج النبي ﷺ) تجد ما فيه الكفاية من الحكمة في هذا الصدد .

ولقد ذكر القرآن الكريم هذا الصنف من الناس الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التضليل .. قال تعالى :

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(آل عمران : ٧)

والمقصود بابتغاء الفتنة في الآية[١] : طلب فتنة المؤمنين عن دينهم بالتشكيك والتلبيس وإثارة الشبُه ..

والمقصود بابتغاء تأويله[٢] : طلب تأويل الكتاب وتحريفه ، التأويل الباطل الذي يشتهونه ، والتحريف السقيم الذي يقصدونه ، زاعمين أنه الغاية المراد منه ، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل عصر ..

● ومن مظاهر الارتداد **عدم معرفة الله معرفة صحيحة** كاعتقاد أن الله تعالى يحلّ في المخلوقات ، أو وصفه بصفات لا تليق بجلاله سبحانه .

– فالذي يقول **إن الله سبحانه يحل في الأشخاص أو هو منبث في الوجود أو هو محصور في جهة** .. فهو كافر وخارج عن ملّة الإسلام لقوله تبارك وتعالى :

(**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**) ،

(**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) ، (الشورى : ١١)

(**وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين**) ، (الزخرف : ١٥)

(**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**) . (المائدة : ١٧)

---

(١) ، (٢) التفسير منقول من كتاب « صفوة البيان » للشيخ حسنين مخلوف .

– والذي يقول إن الله هو ثالث ثلاثة كافر ضالّ مضلّ .
(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ..)

– والذي ينسب الى الله سبحانه الولد كافر ضالّ ... لقوله تعالى :

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً .. ﴾ .

(مريم : ٨٨ – ٩٢)

ـ والذي يصف الله بوصف لا يليق به كافر ضال .. ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (آل عمران : ١٨١) .

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ﴾ .

إلى غير ذلك من مظاهر الردّة التي تخرج أصحابها من الإسلام وتدخلهم في حظيرة الكفر والضلال والزندقة والإلحاد ..

وقد حذّر رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه من هذا الزمن الذي ستكون فيه الردة ما بين أمسية يُمسيها الرجل وصباح يستيقظ فيه ، وحضّ المؤمنين على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، والتحصّن بدرع الإيمان مخافة أن يتزلقوا بمزالق الكفر ، أو يتأثروا بمؤثرات الارتداد .. قال عليه الصلاة والسلام : « بادروا إلى الأعمال الصالحة فإنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. » رواه الطبراني وابن ماجه .

﴿ ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(آل عمران : ٨)

* * *

ثانياً التحذير من الإلحاد

المقصود بالإلحاد التنكر للذات الإلهية ، وجحود الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والاستهتار بكل الفضائل والقيم المنسوبة إلى وحي السماء ..

والإلحاد هو نوع من الردّة ، بل هو أنكى وأشد منها كما سيأتي بعد قريب بيانه .

وأصبح الإلحاد – وبالأسف – نظاماً قائماً بنفسه تتبناه **دول كبرى** ، وتفرضه على من تحت سلطانها بقوة الحديد والنار ، وبسلطان القسر والجبر والإكراه ..

وأصبح لهذه الدول في كل بلد عملاء وقيادات تدعو جهاراً نهاراً إلى الإلحاد ، وجحود الأديان ، والتنكر للأنبياء .. بلا حياء ولا خجل !!..

بل نجد أن هذه الدول الإلحادية التي تتبنى مبادىء ماركس ، ولينين .. تركّز في دعوتها الإلحادية على بلاد الإسلام بشكل خاص ، لما تعلم ما لمبادىء الإسلام من قوة دفع حضارية وسياسية وعلمية .. ولما تحمل هذه المبادىء من مقومات الشمول ، وخصائص التجدد والاستمرار !!..

ولو تتبعنا دعوة هذه الدول إلى الإلحاد **لرأيناها تتفنن في بث مبادئها الإلحادية بفنون كثيرة ، وأساليب متنوعة .. للترويج لكفرها وضلالها** :

• فتارة يُلبسون الماركسية ثوب الإسلام ويقولون : إن محمداً عليه الصلاة والسلام أول من دعا إلى الاشتراكية ، وأول من سوّى بين الغني والفقير ، وأول من ألغى الملكية الجماعية .. فهو رسول الماركسية ، ونبي الشيوعية !!..

• وتارة يقولون :إن المبادىء الماركسية لا تتنافى مع مبادىء الإسلام ، ولا تتعارض مع عدالة الإسلام الإجتماعية !![1] .

---

(١) في الاسلام غناء عن كل المذاهب الاقتصادية المستوردة ، إرجع إلى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الإسلام » وكتاب « العدالة الاجتماعية » للمرحوم سيد قطب تجد فيها ما يشفي الغليل في الوسائل التي وضعها الإسلام في محو الفقر في المجتمع .

• وأخرى يقولون ما المانع من أن نأخذ الأنظمة الشيوعية كنظام اقتصادي ونبقى على ديننا مؤمنين مسلمين ؟!!.

• وأحياناً يقولون : إن الدين شيء ، والمذاهب السياسية والاقتصادية شيء آخر ، فلا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة ، أو ندخل الأنظمة الاقتصادية والنظريات العلمية بالدين !!..

• وفي كثير من الأحيان يكون التحدي صريحاً ، والإلحاد سافراً لزرع التشكيك والكفر في نفوس المتحللين والزائغين .. كأن يقول قائلهم : (إن الله ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والاستعمار ، والمتخمين .. وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ) .

أو أن يقول : (لا إله في الكون والحياة مادة) ، (الدين أفيون الشعوب) ، (الأنبياء لصوص كذابون) ...

ومن أساليب تضليلهم في ترويج إلحادهم استغلالهم النظريات العلمية وإقناع المضلّل به على أنها حقائق ثابتة كترويجهم (لنظرية داروين) التي تتحدث عن أصل الحياة ، وكيف أن الحياة تطورت من الأدنى إلى الأعلى إلى أن انتهت أخيراً بالإنسان ؟ علماً أن هذه النظرية قد أبطلها العلم ، وألقاها في سلات المهملات [١] !!..

وكترويجهم **لنظرية فرويد** التي تربط كل شيء بالجنس والشهوة ، وتفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية . **والهدف الخبيث من وراء هذا الترويج** هو إنكار وجود الخالق العظيم .

فيتبين من هذا التفنن في اصطناع الأساليب أن الماركسية الملحدة **تعطي كل حالة** لبوسها ، ولكل فئة حجتها في الإقناع ، ولكل طبقة من البشر ما يناسبها من التزوير

---

(١) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الرد القاطع على نظرية داروين وبطلانها علمياً .

والخداع .. حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد زيّن له دعاة الماركسية المذاهب المادية ، والعقائد الإلحادية .. حتى يصلوا به إلى الهدف الخبيث في تضليله .. فعندئذ لا يؤمن بدين ، ولا يعتقد بالإله ، ولا ينشد في الحياة مثلاً أعلى .. بل يكون من الزمرة الضالة الكافرة التي قال الله عنها :

﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ حتى قوله ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ .

(محمد : ٢٣ - ٢٨)

والإلحاد وإن كان يدخل في مفهوم الردة **إلا أنه أعظم سوءاً وأشد خطراً على الفرد والمجتمع .. من أية ردّة أخرى كاعتناق اليهودية أو النصرانية أو البرهمية ..**

وذلك لأن الإلحاد يميت في نفس الملحد الشعور بالمسؤولية :

ويهدم في نفسيته الإيمان بالغيب والمثل الأخلاقية الثابتة ..

ويدفعه إلى أن يعيش في هذه الحياة العابثة عيشة البهائم ، لا دين يوجهه، ولا ضمير يؤنّبه ، ولا رقابة من الله تردعه ، ولا ثواب في الآخرة يرجوه ، ولا عقاب يوم يقوم الناس لربّ العالمين يخشى منه ..

ولقد سخر القرآن الكريم من هذه الزمرة اللئيمة الفاجرة حين قال : **« وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون »** .

(الجاثية : ٢٤)

وكشف عن تعاميهم المذموم ، وحيوانيّتهم الهابطة ، وإباحيتهم القذرة حين قال :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

(الأعراف : ١٧٩)

وقال :

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم ﴾ .
(محمد : ١٢)

وقال :

﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ .
(الحجر : ٣)

والإسلام يقف تجاه المرتدين والملحدين موقفاً قاسياً وحاسماً حيث وضع عقوبة الإعدام بالسيف جزاء إصرارهم على الكفر وصدودهم عن الحق الأبلج المبين ..

روى الإمام البخاري وأحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من بدّل دينه فاقتلوه) .

وروى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : (لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) .

ولكن المرتدّ أو الملحد لا يقتل حتى يمهل ثلاثة أيام ، وفي أثنائها يناقشه أهل الاختصاص والعلم في أسباب ردته أو إلحادة ، ويزيلون من تصوره جميع الشبه الموهومة ، ويوضحون له معالم الحق المبين .. فإن بقي مصراً على الكفر أو الإلحاد بعد ما تبين له الحق قُتل بحد السيف ليكون عبرة لمن يريد أن يعتبر !!.

وإذا كوّن المرتدون أو الملحدون قوة ، وشكّلوا فيما بينهم جماعة وجب على أولي الأمر من المسلمين مقاتلتهم حتى يعودوا إلى الإسلام الحق ، ولا يقبل منهم غير ذلك .. كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه أهل الردة ولم يرض منهم إلا الإسلام ، وكما قاتل الخليفة العباسي المهدي (المقنّع) الذي ادّعى الألوهية في خراسان ، وأسقط على أتباعه الصلاة والصوم والزكاة والحج .. وأباح للناس الأموال والنساء .. وكان ذلك سنة (١٦٩)هـ

وإنما فرض الإسلام هذه العقوبة القاسية على المرتدين والملحدين لثلاثة أسباب :

الأول : حتى لا تجتذب المغريات بعض ضعاف النفوس ، وتحملهم على الردة أو الإلحاد استجابة لداعي الإغراء .

الثاني : حتى لا يفكر منافق بالدخول في الإسلام ثم الخروج منه تشجيعاً لحركة الردة أو الإلحاد ، وزرع البلبلة والفتنة في أنحاء المجتمع الإسلامي .

الثالث : حتى لا تقوى شوكة الكفر ، فتشكل الخطر الأكبر على دولة الإسلام ، فتعمل على حرب الإبادة للمسلمين حين تتاح لها الظروف والمناسبات .

ولكي تظهر للعيان حقيقة الإلحاد والملحدين في تحزبهم وإجرامهم وتآمرهم أسوق لك – أخي المربي – هذه الأمثلة التاريخية ، لتعلم ماذا يريد الملحدون من المسلمين حين تتاح لهم الفرص ، وتسنح لمجرميهم الظروف :

● **لقد أبادت الصين الشيوعية ، وروسيا الشيوعية من المسلمين ستة عشر مليونا** .. بمعدل مليون في السنة .. وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق ، وقد وقع **في القطاع الصيني من التركستان المسلمة** ما يغطي على بشاعة التتار في الماضي ، لقد جيء بأحد زعماء المسلمين ، فحفرت له حفرة فى الطريق العام ، وكُلّف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية فيلقوها على الزعيم المسلم في حضرته .. وظلت العملية ثلاثة أيام ، والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات !!.

● **كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها حتى أبادت منهم مليونا** منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم ، وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي – التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالا ونساء فى مفارم اللحوم التي تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء – ماضية حتى الآن !!.

• وما يجري في يوغسلافيا يجري في جميع الدول الشيوعية الآن .. في هذا الزمان .. وكم سمعنا عن مجازر الشيوعية في العراق وعن فتكهم وإجرامهم في مدينة (الموصل) في عهد عبد الكريم قاسم ، وعن حوادث السحل ، والقتل ، والتمثيل .. بالدعاة المؤمنين ، والزمرة المسلمة هناك ؟.. وصدق في حقهم بما بدر منهم من غدر وإجرام وخيانة قوله تبارك وتعالى :

﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّاً ولا ذمة .. ﴾ .

وقوله :

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾[١] .

(التوبة : ٨ — ١٠)

فما عليك – أخي المربي – بعد تبيان هذه الحقائق إلا أن تسعى جاهداً في تحذير ولدك من براثن الردّة ، ومخالب الإلحاد .. حتى ينشأ الولد على الإيمان الراسخ ، والإسلام المتين ، والاستقامة المثلى .. وتتعمق هذه المعاني في فطرته السليمة ، وقلبه الصافي ، ونفسه البريئة .. عندئذ لا يرضى سوى الله رباً ، والإسلام ديناً ، ومحمد ﷺ نبياً ورسولا ، والقرآن العظيم منهاجاً وإماماً !!..

ويكون من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان ، وكرامة الإسلام إلى يوم أن يلقى الله عز وجل !! .

* * *

---

(١) ارجع إلى كتاب (الشيوعية والإسلام) للمؤلفين : المرحوم عباس محمود العقاد ، والأستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، وارجع الى الظلال في تفسير قوله تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّاً ولا ذمة) في سورة التوبة تجد ما يفتت الكبد من مؤامرات الشيوعية على بلاد الإسلام والمسلمين وإجرامهم الأثيم . علماً أننا بحثنا بشيء من التفصيل في فصل (الوسائل المؤثرة في التربية) عن مخططات الشيوعية لحرب الإسلام فارجع إليه .

ثالثاً : التحذير من اللهو المحرم

الإسلام بتشريعه السامي ، ومبادئه الحكيمة حرم على المسلمين أصنافاً من اللهو ، وألواناً من الترفيه .. لضررها البالغ على أخلاق الأفراد . واقتصاد المجتمع ، وكيان الدولة ، وكرامة الأمة ، وتماسك الأسرة ..

وها نحن أولاء سنضع بين يدي المربين هذه الأصناف من اللهو المحرم حتى ينتبهوا لها ، ويحذروا منها بعد إعطائهم القدوة في تجنبها والابتعاد عنها وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق :

١ - اللعب بالنرد (الطاولة) :

من اللهو المحرم اللعب بالنرد سواء أكان اللعب على رهان أم كان لأجل التسلية البريئة[١] .. **والدليل على الحرمة** ما رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن لعب بالنردشير (طاولة الزهر) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » . وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك في الموطأ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » .

والحكمة في هذا التحريم أن اللعب بالنرد – ولو كان على غير رهان – يستهلك قدراً كبيراً من أوقات اللاعبين ، وهذا الاستهلاك يصرفهم عن كثير من واجبتهم الدينية ، والتربوية ، والدنيوية .. فضلاً عن كونه وسيلة تؤدي إلى اللعب على الرهان ، وهذا هو القمار بعينه ، والمسلم في هذه الدنيا خلق لأجل أن يؤدي رسالة ، ويبلغ أمانة ، ويقوم بواجب .. فهل عنده شيء من الوقت ليلهو هذا اللهو

---

(١) لا عبرة بما نقله الأستاذ القرضاوي في كتابه (الحلال والحرام) عن الشوكاني عن ابن المسيب وابن مغفل بأنهما رخصا في النرد على غير قمار لأن الصيغة التي أتى بها الشوكاني (رُوِي ..) ولفظ رُوِي يفيد الضعف ، وما كان ضعيفاً لا يقرر حكماً من أحكام الشريعة ، وهذه الأحاديث التي أوردناها في تحريم النرد حجة على كل من قال بالجواز والحق لا يقاس بالرجال ، وإنما يقاس الرجال بالحق .

الرخيص ، ويقع في مثل هذا الترفيه المحرم ؟ وصدق من قال : (الواجبات أكثر من الأوقات) ، وما أحسن من قال : (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) .

وها هو ذا رسول الله ﷺ يأمر كل مسلم بأن يغتنم حياته في النفع الكبير ، والخير الجزيل سواء أكان هذا النفع والخير لنفسه أو أهله أو مجتمعه ؟!...

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

٢ – الاستماع إلى الغناء والموسيقى :

من اللهو المحرم الاستماع إلى الغناء المصحوب بموسيقى مهما كان هذا الغناء مباحاً للأدلة التي سوف نوردها في تحريم الموسيقى ، وكذلك الغناء المائع الذي يثير كوامن الغريزة والشهوة ، وكذلك الغناء الذي فيه وصف امرأة معينة ، وكذلك الغناء الذي يدعو إلى شعارات كافرة ، ومبادىء ضالة .. وما شابه هذا ..

والأدلة على التحريم ما رواه ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْري في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَن قعد الى قَيْنةٍ يستمع منها صبَّ الله في أذنيه الآنُكَ (الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : إذا كان المغنم دولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبرّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولُبس الحرير ، واتخذت القينات (المغنيات) والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً » .

وروى مسدّد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال : « يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير » قالوا : يا رسول الله أمسلمون هم ؟ قال : « نعم ويشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويصومون » ، قالوا : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : « اتخذوا المعازف ، والقينات ، والدفوف ، وشربوا الأشربة (الخمر) ، فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تحرم الإنشاد الفاسق . والغناء الشهواني المائع ..

أما ما يباح وما يحل من الغناء فإليك خلاصة ما نقله العالم المرحوم الشيخ محمد الحامد في رسالته (حكم الإسلام في الغناء) عن الفقهاء : (يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل ، أو لترويح النفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز . فقد ارتجز النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في بناء المسجد ، وحفر الخندق .. وكالحداء الذي يحدو به الأعراب إبلهم ، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامرأة حيّة معيّنة ، والخالي أيضاً من هجاء مسلم أو ذمي ، فإن الغناء بهذه المحترزات حرام .

فإن كان التشبيب (ذكر المحاسن) بغير معين جاز ، فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ قوله :

وما سعادُ غداةَ البَين إذْ رحلوا
إلا أغنّ غضيضُ الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت
كأنـه منهلٌ بالـرّاح مَعْلـول

وقد سمع النبي ﷺ أيضاً قصيدة حسان التي أولها :

قبلت فؤادك في المنام خريدة
تسقي الضجيع ببارد بسّام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار .

ومنه الغزل البريء كالذي يقوله النساء في الأعراس ولا رجال يسمعونهن ، فقد أذن النبي ﷺ أن يقلن :

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيونـــا نحييكـــم
ولولا الحبة السمراء ما حللنا بواديكم

ومنه الزهريّات المجردة مما فيه وصف الرياض والرياحين والأنهار ..

فهذا كله جائز إن لم يُقل على آلة لهو محرمة ، فإن قيل عليها كان محظوراً ولو وعظاً وحكماً لمكان الآلة لا لذات التغني بالمباح ..) أ هـ .

* * *

أما اتخاذ المعازف والاستماع إليها فإنها محرمة للأدلة التالية :

– سبق أن ذكرنا قبل قليل حديث : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء .. والتي منها : واتخذت القينات والمعازف .. » .

وسبق أن ذكرنا حديث المسخ في آخر الزمان الذي من أسبابه « .. اتخذوا المعازف والقينات ... » .

– وروى الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث بن أبي أسامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي تعبد في الجاهلية ... » .

– وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليكونَنّ في أمتي أقوام يستحلّون الحِرَ (الزنا) ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » .

إلى غير ذلك من هذه الأحاديث التي تحرم اقتناء آلات الطرب ، وتنهى عن العزف بها ، والاستماع إليها ..

والحكمة في التحريم ظاهرة :

إن المتتبع لمجالس الغناء الفاسق ، ومسارح الطرب ، وأماكن اللهو .. وما يصحبها من معازف وآلات .. فماذا يجد ؟

يجد الرقص الخليع الفاجر من مومسات امتهنّ الرذيلة والفاحشة . يجد كؤوس الخمر تدار هنا وهناك ..

يجد العربدة والصياح يتعالى من أفواه السكارى والمخمورين ..

يجد الكلمات البزيئة الفاحشة العارية من الحياء والخجل ، والمشخنة بالوقاحة وسوء الأدب ..

يجد الاختلاط الشائن بين عوائل متحلّلة حيث التخلّع والمراقصة وهدر النخوة والشرف ..

وباختصار يجد التحلّل والإباحية في أسوأ تبذلها ومظاهرها ..

وتلك خطة المستعمرين – كما يقول أستاذنا الحامد – يغرقون الأمم التي استعمروها بسيول الأغاني الموبقة ، وبافتتاح المسرح الماجن ، وبالخمر ، وبالنساء .. كيلا تصحو لواجب أو تنهض الى معروف ، أو تدعو إلى خير !!..

ومن المعلوم أن أمة الإسلام في الماضي لم تصل إلى ذروة العظمة والمجد والقوة .. ولم تملك أكثر المعمورة شرقاً وغرباً إلا بطرح مظاهر الخلاعة والمجون التي حرمتها شريعة الإسلام . إلا بالتزام النظام الرباني منهاجاً وتشريعاً وتطبيقاً .. إلا بالجدّية الحقة التي كانت من خصائص الرجال والشباب ، والصغار والكبار .. إلا بحبهم للموت كما يحب أعداؤهم الحياة .. إلا باستشعار الجيل كله مسؤولية الإسلام ..

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

فإن أردتم لأجيالكم العزة ، ولأمة الإسلام النصر ، ولبلادكم الحضارة والعلم .. فليس أمامكم من سبيل إلا أن تربوا أبناءكم على الجدية ، واتباع النظام الرباني ، واستشعار المسئولية ، وحب الشهادة في سبيل الله ، حتى تعيدوا لأمتكم المجد والعظمة والخلود والمهابة .. وليس ذلك على الله بعزيز .

٣ - رؤية السينما والمسرح والتلفزيون :

سبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أن اختراع وسائل الإعلام الحديثة من مذياع ، وتلفزيون ، وآله تسجيل وسينما .. وغيرها هو من أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في القرن العشرين .. وأنها سلاح ذو حدين تستعمل للخير وتستعمل للشر ..

ومما ذكرناه : أن هذه الاختراعات إن استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الإسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في اقتنائها وجواز استعمالها ، والاستماع إليها .. أما إذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف ، ونشر الميوعة والانحلال ، وتحويل الجيل الحاضر إلى طريق غير طريق الإسلام .. فلا يشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، وإثم اقتنائها ، ووزر من يستمع إليها ..

ومما استطردناه أيضاً : ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا نجد أن أكثر برامجه ترمي إلى هدم الفضيلة والشرف ، وتوجّه نحو الخنا والزنى ، وتدفع نحو الميوعة والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية ..

وقليل من برامجه ما يهدف إلى العلم ، ويوجه نحو الخير ، وينفع الأمة في دينها ودنياها ..

وانتهينا أخيراً إلى هذا الحكم : إن اقتناء التلفزيون ، والنظر إليه ، والاستماع إلى برامجه الحالية يعدّ من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم ..

ومما يلحق بالتلفزيون بالحرمة والإثم ارتياد دور السينما والمسارح الليلية ، وأماكن اللهو والفجور .. للأدلة التالية [١] :

---

(١) سبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أدلة تحريم الإسلام للتلفزيون ، والآن نورد نفس هذه الأدلة مع شيء من التصرف للحالة المتشابهة بين التلفزيون والسينما والمسرح .

١ — من مقاصد الشريعة الإسلامية — كما هو مقرر — **هو حفظ النسب والعرض** .. وباعتبار أن أكثر ما يعرض في هذه الأفلام والمسرحيات ودور اللهو .. يستهدف هدر الشرف والفضيلة ، وضياع العرض والنسب .. فإن الدخول اليها ، وارتياد أماكنها ، والنظر إلى ما يعرض فيها يعد من الحرام ، وارتكاب الإثم ، والإغضاب لله ورسوله !!.

٢ — روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ضرر ولا ضرار » ، وباعتبار أن الأفلام الحالية ، والمسرحيات الليلية .. توجه فيما يعرض فيها إلى الميوعة والانحلال ، وتثير في المجتمع كوامن من الغريزة والشهوة ، وتدفع إلى الخنا والزنى والفاحشة .. يحرم على المسلم أن يرتاد أماكنها ، ويشاهد ما يعرض فيها حفاظا على أخلاق الفرد والمجتمع ، وقطعاً لدابر الفساد والانحلال ، وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ القائل : « لا ضرر ولا ضرار » .

٣ — من المعلوم أن ما يعرض في السينما والمسارح الليلية ودور اللهو **مصحوب دائماً بالمعازف ، والغناء الفاسق الخليع ، والرقص المقترن بالخلاعة والتكشف ..** وباعتبار أن هذه الأشياء محرمة — كما سبق بيانها قبل قليل — فإن الدخول إلى هذه الأماكن ، ومشاهدة ما يعرض فيها هو من اللهو المحرم بل هو من أكبر الإثم ، وأعظم الحرام .

وفي مجال الكلام عن التلفزيون والمسرح والسينما .. **أريد أن أبين لكل مربٍ يؤمن بالله ورسوله هذه الحقيقة الهامة :**

إن من مخططات اليهود انهيار الأخلاق في المجتمعات الإنسانية غير اليهودية . لقد جاء في بروتوكولاتهم : (يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن (فرويد) منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه) ، ومن وسائل انهيار الأخلاق عندهم إفساد الإنسانية عن **طريق وسائل الإعلام ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما** ،

والبرامج الإذاعية .. وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور .. واستطاع اليهود بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون والملاهي ، ودور الدعارة والمجون ، وأشباهها . اسمعوا إلى ما يقولونه **في البروتوكول الثالث عشر** (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب .. وهلمّ جرّا .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن ، والرياضة ، وما إليها ، إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد ، هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين يحين ذلك الوقت) .

أعرفت – أخي المربي ماذا يخطط اليهود في بروتوكولاتهم ؟

أليسوا يعملون ليل نهار لإفساد عقول الناس وأخلاقهم حتى يصلوا إلى إقامة دولتهم المرتقبة ؟

أليسوا يخطّطون في أن يشتغل الناس باللهو ، واللعب ، والشهوات ، والمرفّهات عن التفكير السليم ، والعمل البناء ، والإخلاص للوطن .. ؟

أتعرف – أخي المربي – أن الذين يَجْرون وراء الزنى ، والإلحاد ، والتخنفس والانحلال ، والشهوات .. والمسارح الليلية ، والأفلام الداعرة .. من شبابنا وشاباتنا ، ما هم في الحقيقة إلا منفّذون من حيث يعلمون أولا يعلمون مخططات يهود ؟

فإذا عرفت – أخي المربي - فما عليك إلا أن تحذّر ولدك من ارتياد هذه الأماكن الموبوءة من سينما ، ومسرح ، ودور لهو .. لأنها في وضعها الحالي مفسدة للعقيدة والأخلاق بل هي من مخططات اليهود – كما علمت – لإفساد الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والجيل المسلم .. إن في ذلك ذكرى للذاكرين ..

قد يقول قائل : ما المانع من الدخول إلى السينما أو المسرح .. إذا كانت المواضيع المعروضة فيها نافعة للأمة في دينها ، وأخلاقها ، وتاريخها ؟.

هذا الاعتراض مردود للأمور التالية :

١ — لوجود الاختلاط بين النساء والرجال أثناء العرض ، والإسلام يحرم الاختلاط .

٢ — لما يتخلّل أثناء العرض في الفلم التاريخي أو المسرحية التاريخية من ظهور نساء سافرات فاتنات ، أو ظهور لقطات جاهلية من رقص فاجر ، وغناء خليع .. والإسلام يحرم النظر إلى كل ما يهيج الغريزة ، ويثير الفتنة .

٣ — لاختصاص السينما أو المسرح في أكثر مواضيعهما في عرض المناظر الفاسدة ، والمشاهد الماتعة الماجنة .. حتى أصبحا علماً للتحلل ، وعنواناً للفساد .. ويحرم على المسلم أن يرتاد موطن الشبهة ، ومكان التهمة لقوله عليه الصلاة والسلام : « من وقع في الشبهات وقع في الحرام » .

٤ — لانجذابه إلى الدخول مرة ثانية وثالثة ورابعة .. لتجرئه وهو في الحياء الإسلامي إلى الدخول في المرة الأولى ، « وإنما الصبر عند الصدمة الأولى » ، أما في المرات التي تليها فلا تحفظ ولا رادع ، وبالتدريج ينعدم الخجل والحياء .. وقد يؤدي هذا في الغالب إلى الشذوذ والانحراف ..

نعم في حال وجود **هيئة دينية** موثوقة أشرفت على تخصيص أماكن خاصة مستقلة لعرض أفلام علمية واجتماعية ، ومسرحيات توجيهية وتاريخية .. ولم يتخللها شيء من المفاسد والمفاتن والمحرمات .. فعندئذ يجوز للشباب المسلم أن يرتادوها للاستفادة من برامجها الهادفة ، وموضوعاتها القيمة .. أما ما عدا ذلك فإن ارتياد هذه الأماكن من أكبر الإثم وأعظم الحرام في نظر الإسلام .

وقد يعترض معترض آخر فيقول ما المانع من استعمال الجهاز التلفزيوني في الأمور النافعة ، والبرامج المفيدة كالاستماع إلى القرآن الكريم ، والاخبار ، والبرامج التي تتصل بالعلم والتوجيه ، وطرح ما عداها من المشاهد الماجنة ، والمناظر الفاسدة ؟.

ولكن في الحقيقة أن هذا الادعاء لا يمتّ إلى الواقع والصدق بصلة أبداً ، لأنه من المشاهد أن الذي يقتني الجهاز التليفزيوني لابد إلا أن يستقصي برامج الليلة من الألف إلى الياء ، لأن الشيطان - أخزاه الله - واقف له بالمرصاد يوسوس له ويوحي إليه أن المفيد النافع سيكون بعد هذا البرنامج ، أو بعد هذه الأغنية أو بعد هذا الخبر .. إلى أن ينتهي الوقت المخصص للبرنامج .. وعلى فرض أنه ضبط الأمور ، وأصبح عنده من قوة الشخصية والإرادة ما يجعله أن يتحكم أثناء وجوده في اختيار المفيد النافع ، ولكن هل يضمن أن تنضبط الأمور عند غيابه حين يترك الجهاز بين أهله وأولاده ، فحتماً الجواب ، لا . ثم متى سيحكم على هذا العرض بالفساد ، حتماً سيكون بعد المشاهدة ، ومعنى هذا أن الأسرة رأت الفساد المتخلّل أثناء العرض بدون تحفظ ، وأن إبليس لعب دوراً كبيراً في تحسين المنكر ، وتزيين الباطل حتى ينتهي عرض البرامج كلها .

وكثير من الأحيان أن الأب الغيور حين يرى في العرض ما يخل بالشرف والأدب ، وما يظهر من الميوعة والانحلال .. ويصر على إطفاء الجهاز قد تمنعه زوجته أو من يلوذ به من أهل وأقرباء وولد .. فتقع بين أفراد الأسرة المشادّة والمنازعة ، ولا ندري ماذا تترك هذه الخصومات من آثار نفسية واجتماعية .. وماذا تؤول إليه من نتائج وخيمة سيئة ..؟ وكم وقعت حوادث في الطلاق ، وفتن بين الأولاد ، وأعضاء الأسرة بسبب هذه المشاحنات والمنازعات ؟

فتبين على ضوء ما ذكر أن التحكم الإرادي في اختيار المفيد النافع من البرامج التليفزيونية هو أمر يشبه المستحيل ، ولا يمكن تحقيقه في عالم الواقع !!..

والمسلم يجب أن يحتاط لدينه وعرضه ، وتربية أسرته ، ولا يتأتى ذلك إلا بإبعاد الخطر عن جو البيت والأسرة .

وأي خطر على العرض والشرف والأخلاق أعظم من البرامج التليفزيونية الحاضرة ؟

وأمر آخر يجب التنبيه له والإشارة إليه :

هو أن بعض الآباء يشترون لأولادهم الجهاز التلفزيوني بحجة كفّهم عن السينما وأماكن اللهو والفجور ؟

والحقيقة أن حجتهم داحضة ، ودعواهم باطلة للأمور التالية :

١ - إن المنكر لايزال بمنكر آخر يقوم مقامه .

٢ - إن المنكر الذي يترتب من اقتناء التلفزيون هو أعظم من المنكر الذي يترتب من ارتياد أماكن اللهو والفجور ، ذلك لأن مفاسد التلفزيون يومية ومستمرة يراها الصغير والكبير ، والصالح والطالح ، والمرأة والرجل .. أما مفاسد دور اللهو والفجور فإنها موسمية ومؤقتة ، وقاصرة على الأولاد الشاذين ، والكبار المنحرفين .

٣ - يتسبب من الإقتناء التلفزيوني أخطار اجتماعية كبيرة ، ومفاسد خلقية لا تحمد عقباها للسهرات العائلية الدائمة ، واللقاءات المختلطة المستمرة بين الجيران والأصدقاء ، والنساء والرجال .. وكم أعراض انتهكت ، ودماء أريقت ، وفتن أثيرت .. من لعنة هذا التلفزيون والاختلاط ؟

بعد الذي ذكرناه لم يبق أية حجة للذين يدّعون أن وجود التلفزيون في البيت يكف الأولاد عن الشر ، ويحجبهم عن المفاسد !!..

هذا عدا ما للتلفزيون :

من أضرار صحية كإضعافه البصر ..

وأضرار نفسية كتعلق القلب بممثلة حسناء شغلت لبه وتفكيره ..

وأضرار تعليمية كإشغال الأولاد عن واجباتهم الدراسية ..

وأضرار فكرية كإضعافه الذاكرة وملكة التفكير والفهم ..

وأضرار اقتصادية كإتلاف المال في شرائه والأسرة بأمس الحاجة إلى الحاجات الضرورية[1] .

---

(١) ارجع إلى ما كتبه المؤلف في كتابه (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) ، فإن فيه ما يشفي العليل عن حكم الإسلام في التلفزيون والمسرح والسينما ..

٤ - اللعب بالميسر :

من اللهو المحرم في نظر الإسلام القمار بشتى أشكاله وأنواعه .

(وهو كل لعب بين فريقين تتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر على سبيل المصادفة والحظ) .

والدليل على التحريم قوله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ .

(المائدة : ٩٠ - ٩١)

والحكمة في التحريم :

• القمار يجعل الإنسان يعتمد في كسبه على المصادفة والحظ ، والأماني الفارغة لا على العمل والجد ، وكدّ اليمين ، وعرق الجبين ، واحترام الأسباب المشروعة ..

• القمار أداة لهدم البيوت العامرة ، وتفريغ الجيوب الممتلئة ، وافتقار العوائل الغنية ، وإذلال النفوس العزيزة .... وكم سمعنا عن نفوس ذلت بعد عز ، وعن عوائل افتقرت بعد غنى ؟

• القمار يورث العداوة والبغضاء بين المتلاعبين لأكل الأموال بينهم بالباطل وحصولهم على المال بغير حق ..

• القمار يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويدفع بالمتلاعبين إلى أسوأ الأخلاق ، وأقبح العادات .. روى البيهقي أنه ﷺ مرّ على قوم يلعبون بالنرد فقال : (قلوب لاهية ، وأيد عاملة ، وألسنة لاغية) أي قائلة ما هو لغو وباطل .

• القمار هواية آثمة تلتهم الوقت والجهد ، وتعوّد على الخمول والكسل ، ويعطل الأمة عن العمل والإنتاج ..

• القمار يدفع صاحبه إلى الإجرام لأن الفريق المفلس يريد أن يحصل على المال من أي طريق كان ، ولو عن طريق السرقة والاغتصاب ، أو الرشوة والاختلاس ...

• القمار يورث القلق ويسبب المرض ، ويحطم الأعصاب ، ويولد الحقد .. ويؤدي في غالب الأحيان إلى الإجرام أو الانتحار أو الجنون أو المرض العضال ...

ولا يستبعد - كما يقول الاستاذ القرضاوي - على مَن تعشّق (المائدة الخضراء) - كما يسمونها - أن يبيع من أجلها دينه وعرضه ووطنه .. لأجل إشباع نهمة المال والجنس .

ومن القمار المحرم :

• **شراء أوراق اليانصيب** ، لأن اليانصيب يعتمد على المصادفة والحظ . وهو لون من ألوان القمار المحرم ، ولا ينبغي الترخيص به ، والتساهل فيه ولو كان باسم الجمعيات الخيرية ، والأغراض الإنسانية ، علماً بأن الميسر الذي كان متداولا بين العرب في الجاهلية كان يؤول في النهاية الى طريق البر ، وجهة الخير ، دون أن يأخذ الرابح لنفسه شيئاً .. فهو يشبه إلى حد كبير مشروعات اليانصيب التي يرصد ريعها إلى جهات خيرية ، ومبرّات إنسانية .. في عصرنا اليوم .

والإسلام يعتبر مبدأ (**الغاية تبررها الوسيلة**) من المبادىء الهدامة التي يروّجها اليهود للوصول إلى غاياتهم ، بل المبدأ الذي يتخذه الإسلام في السعي إلى أية غاية نبيلة هو سلوك الوسائل الشريفة ، فالتبرع مثلا لأي عمل إنساني خيري لا يعترف عليه الإسلام إلا إذا كانت الوسيلة التي تؤدي إليه طاهرة وشريفة ..، أما عن طريق القمار المحرم أو الاقتطاع المغتصب فلا لكونه حراماً . وما قيمة تبرع لم تتحقق وسائله على نوازع الخير ، وبواعث الرحمة ، ومعاني البر والإحسان ؟

وما قيمة إنفاق لم تنبع منابعه من معين الإيمان الصافي ، وسلسبيل الإسلام العذب ؟

فلنربِّ أبناءنا على البذل الخالص ، والإنفاق المشروع .. حتى ينبعثوا من ذواتهم إلى المساهمة في جهات الخير ، ويحظوا بالأجر والثواب في مقعد صدق عند مليك مقتدر !!

● **ومن القمار المحرم اللعب على المراهنة** سواء أكانت المراهنة على اللعب بالكرة أو بالحَمَام أو بالشطرنج .. أو ما يشابه هذا ..

وصورته : أن يشترط كل من الفريقين على الآخر ، أو أحد الفريقين على الآخر جُعلا (أي مكافأة) في حالة الربح أو الخسارة ، فكان ذلك مقامرة لتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر ، وأكل المال بينهم بغير حق ..

ويستثنى من هذا الرهان اللعب لأجل إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو من أجل رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة ، لقوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن والإمام أحمد : « لا سبَق (لا رهان) إلا في خُفٍّ أو حافر أو نصْل (سهام) » .

ولكن يشترط في هذا الرهان أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط ..

فأما إذا بذل كلٌّ من المتسابقين جُعْلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعلين معاً فهو قمار محرم ، وقد سمّى النبي ﷺ هذا النوع من سباق الخيل الذي يعدّ للقمار أو يراهن عليه (فرس الشيطان) كما سبق ذكره .

أما إذا كان بذل الجُعْل من (**هيئة أجنبية**) أي من غير اللاعبين كرئاسة الدولة ، أو الوزارة ، أو المدرسة .. فإن العطاء في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة وللتشجيع .. سواء أكان هذا التشجيع من أجل **الاستعداد الحربي كالرمي** ، **أو التفوق الرياضي كالمصارعة** أو اللعب بالكرة .. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ (سبّق بين الخيل وأعطى السابق) .

* * *

وإذا كان الإسلام حرم أنواعاً معينة من اللهو لأضرارها الروحية والنفسية والخلقية والاجتماعية .. فإنه في الوقت نفسه فتح أبواباً كثيرة من اللهو المباح ترفيهاً عن أبناء الإسلام ، وترويحاً لهم حتى ينشطوا للواجبات والقيام بالمسؤوليات من ناحية ، وحتى يتدربوا على معاني القوة ووسائل الجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى ..

يقول علي كرم الله وجهه : (إن القلوب تملّ كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة) .

ويقول أيضاً : (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أكره عمي) .

وروى البخاري في الأدب المفرد : (كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون (يترامون) بالبطّيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال) .

فلا بأس على المسلم أن يلهو ويمرح ويتفكّه .. على ألا يجعل ذلك عادته وخلقه ، ويملأ به صباحه ومساءه ، فيهزل في موضع الجد ، ويعبث ويلغو في وقت العمل ..

وما أحسن ماقيل : (أعط الوقت حقه من اللهو (أي المباح) بقدر ما يعطى الطعام من الملح) .

ألوان شرعها الإسلام من اللهو الحلال :(١) :

(أ) مسابقة العدو :

من وسائل اللهو الحلال الجري على الأقدام ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام ، والنبي ﷺ يقرّهم عليه .

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها ، مباسطة لها وتعليماً لأصحابه .

---

(١) من كتاب (الحلال والحرام) للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٢١١ مع بعض التصرف .

روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني ، فقال : (هذه بتلك) أي واحدة بواحدة .

(ب) المصارعة :

روى أبو داود أن النبي ﷺ صارع (ركانة) ، فصرعه النبي ﷺ أكثر من مرة ، **وفي رواية** أن النبي ﷺ صارعه وكان شديداً فقال : شاة بشاة[1] ، فصرعه النبي ﷺ ، فقال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي ثالثة ! فقال ركانة : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت (هربت) ، فما أقول في الثالثة ؟. فقال النبي ﷺ : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرّمك ، خذ غنمك .

(ج) اللعب بالسهام :

ومن فنون اللهو المشروعة اللعب بالسهام والحراب :

وسبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : (ارموا وأنا معكم كلكم) .

غير أنه عليه الصلاة والسلام حذّر اللاعبين أن يتخذوا من الأنعام والدواجن .. ونحوها غرضاً للرمي ، وهدفا للتعليم كما كان الحال في الجاهلية .

– روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن ابن عمر رأى جماعة يتخذون من الأنعام هدفاً للرمي ، فقال : (إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً) .

وروى أبو داود والترمذي (أن النبي ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم) .

---

(١) لابد أن يكون هذا قبل تحريم القمار ، ولقد رأينا أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الغنم ولم يقبلها منه كتمهيد للتحريم فيما بعد .

وذلك بتسليط بعضها على بعض حتى تهلك أو تصاب .. كما كان يفعل العرب في الجاهلية .

من هذه الأحاديث نعلم كيف أن الإسلام أمر بالرفق بالحيوان ، ونهى عن تعذيبه والإساءة إليه ؟ بل نعرف حكم الإسلام فيما عرف اليوم باسم (مصارعة الثيران) !!..

(د) اللعب بالحراب :

ومن اللهو المباح أيضاً اللعب بالحراب .

وسبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ..

وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أن يقرّ مثل هذا اللعب في مسجده الشريف ، ليجمع فيه بين الدين والدنيا ، والعبادة والجهاد .. على أن هذا ليس لعباً فقط بل هو رياضة وإعداد وتدريب !!..

(هـ) ألعاب الفروسية :

سبق أن ذكرنا في بحث (**الربط الرياضي**) بما فيه الكفاية ، فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ..

والأصل في ذلك : ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحه » .

وما أثر عن عمر رضي الله عنه : (علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) ...

(و) الصيـــد :

ومن اللهو النافع المباح الذي أقره الإسلام صيد البر والبحر لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً ﴾ .

(المائدة : ٩٦)

وأما ما يكون به الصيد فنوعان :

(أ) الآلة الجارحة كالسيف والسهم والرمح كما أشارت الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ﴾ .

(المائدة : ٩٥)

(ب) الحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطيور ، قال تعالى :

﴿ قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ﴾ .

(المائدة : ٤)

أحكام عامة تتعلق بالصيد :

١ – أن يقصد الصائد في صيده الأكل والانتفاع .. لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : من قتل عصفوراً عبثاً عجّ الى الله يوم القيامة ، يقول : يارب ، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة » .

٢ ـ أن لا يكون الصائد محرماً بحج أو عمرة[1] .. لقوله تبارك وتعالى : **﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً ﴾ .**

(المائدة : ٩٦)

---

(١) هذا كله في صيد البر كما قيدته الآية . أما صيد البحر فإنه جائز سواء أكان الصائد محرماً أو غير محرم لقوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه) .

٣ – يشترط الصيد بالآلة النفاذ والخدش لا بالثقل ، لما روى الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال : إني أرمي بالمعراض (بالسهم الذي لا ريش عليه) الصيد فأصيبه ؟، قال : « إذا رميْتَ بالمعراض فخزق (أي نفد في الجسد) فكُلْ ، وما أصاب بعرضه فلا تأكل » باعتبار أن الصيد قتل بالثقل لا بالنفاذ وقد دلّ الحديث على أن المعتبر هو الخزْق (أي نفاذ ما يصاد به إلى الجسم) .

وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، لكونها تنفذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح ..

٤ – أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي أو عند إرسال الحيوان الجارح المعلّم لقوله تبارك وتعالى :

﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾

(المائدة : ٤)

فإذا نسي التسمية عند الرمي أو الإرسال فإنّ أكل الصيد جائز عند أكثر الفقهاء ، لأن الله سبحانه وضع عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ..

٥ – إذا وقع الصيد في الماء وأخرج ميتاً فلا يجوز أكله ، لما روى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رميت سهمك ، فإن وجدته قد قتل فكل ، إلا أن تجده قد وقع في ماء ، فإنك لا تدري : الماء قتله أم سهمك ؟ » .

(ز) اللعب بالشطرنج :

ومن ألوان اللهو المعروفة اللعب بالشطرنج .

وذهب الصحابة والتابعون والفقهاء .. في قضية الشطرنج مذهبين :

الأول : **الحرمة** ، وهم : علي بن أبي طالب ، وابن عمر ، وابن عباس .. والإمام مالك ، والإمام أبو حنيفة ، والإمام أحمد بن حنبل .

الثاني : الحلّ ، وهم أبو هريرة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين .. والإمام الشافعي .

والذين ذهبوا بإباحته قالوا : **أصل الأشياء الإباحة** ، ولم يجيء نص على تحريمه . وهو يفارق النرد (الطاولة) من وجهين :

الأول : إن المعول في النرد على الحظ ، فأشبه الاستقسام بالأزلام[1] ، والمعوّل في الشطرنج على الحِذْق والفكر والتدبير ، فأشبه المسابقة بالسهام .

الثاني : في الشطرنج تدريب على تدبير الحرب ، وفي النرد تضييع للوقت في اللهو والعبث واللغو بدون فائدة أو جدوى ..

وقد اشترط من أباح الشطرنج شروطاً ثلاثة :

١ - ألّا يؤخر اللاعب صلاة عن وقتها .

٢ - ألّا يشترط الرهان لكونه قماراً .

٣ - أن يحفظ اللاعب لسانه من بذاءة الكلام ، وفحش اللسان .

وإذا فرط بشرط من هذه الشروط ، اتجه القول إلى التحريم .

* * *

فقد عرفت - أخي المربي - من بحث (التحذير من اللهو المحرم) أن الإسلام حرم ألواناً من اللهو .. لما لها من أضرار بالغة على أخلاق الفرد والمجتمع ، ولما تترك من آثار سيئة في نفسية الإنسان وسلوكه .. فاحرص جهدك على أن تحذّر ولدك

---

(١) الأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية ، مكتوب على أحدها « أمرني ربي » ، وعلى الثاني : (نهاني ربي) ، والثالث غفل من الكتابة ، فإذا أرادوا سفراً أو غزواً أو زواجاً .. أتوا إلى بيت الأصنام - وفيه الأزلام - واستقسموا بها ، فإن خرج السهم الآمر اقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أمسكوا عنه ، وإن خرج الغفل أعادوا الاستقسام مرة أخرى ..

منها ، وتنهاه عنها ، حتى لا يتدنس بالموبقات ، ويتقلب في حمأة الانحلال والميوعة .. وعرفت أيضا أن الإسلام فتح لأبناء المجتمع الإسلامي أبواباً من اللهو الهادف المباح .. لما لها من أثر كبير في ترويح النفس الإنسانية ، واستعادة نشاطها وحيويتها .. ولما لها كذلك من انعكاسات إيجابية في تربية الفرد عسكرياً ، وإعداده جهادياً .. فاحرص ما استطعت — أخي المربي — على أن توجه ولدك إلى هذه التربية ، وتدربه على هذا الإعداد .. حتى تراه مثالا يحتذى في القوة والشجاعة ، وقدوة صالحة في العزة والإباء !!.

رابعاً : التحذير من التقليد الأعمى

من أهم الأمور التي ينبغي أن يهتم بها المربون تحذير الولد من الانسياق وراء التقليد الأعمى بلا روية ولا تفكير ، وتوعيته من الانزلاق وراء التشبه بلا تبصرة ولا هدى .. **وذلك للأمور التالية :**

● لأن التقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية ، وعدم الإيمان بالذات ، بل فيه معنى ذوبان الشخصية ، وفقدان الذاتية في بوتقة من يحب ، وفي كيان من يقلد ...

● لأن التقليد الأعمى يدفع بالكثير الى فتنة الحياة الدنيا ومظاهرها ، وهذا لا شك يؤدي بصاحبه الى الغرور والكبرياء ، لكونه معجباً ببهرجة الزيّ وبريق المظهر ، وثوب الشهرة .

● لأن التقليد الأعمى في الأخلاق الفاسدة .. يؤدي بصاحبه حتماً إلى حياة الترهل والميوعة والانحلال ..

● لأن التقليد الأعمى يُفضي بالامم والشعوب إلى الهلاك المحقق ، والدمار

المحتوم ، بل تفقد هذه الأمم كل مقومات وجودها ، وأسباب بقائها وعزتها .. لسلوكها طريق الكفر والعصيان .

ومما يؤكد هذا ، ما قاله الكاتب الفرنسي (أندريا موروا) في كتاب (أسباب انهيار فرنسا) : (من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسخ الشعب الفرنسي لانتشار الرذيلة بين أفراده) .

وهذا ماحدا بالجنرال « ديغول » في أعقاب تسلمه زمام السلطة في فرنسا لأن يستدعي رئيس شرطة باريس ويقول له : (أغلق لي هذه المواخير ، وأوكار الخنافس في عاصمتي) .

● لأن التقليد الأعمى يقعد هؤلاء المنساقين وراء عادات الأجنبي وأزيائه وأخلاقه .. عن كثير من الواجبات الدينية ، والمسؤوليات الاجتماعية ، والدفع بعجلة البناء الاقتصادي والحضاري إلى الإمام .

● لأن التقليد الأعمى من أكبر العوامل ، ومن أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة ، وتحطيم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، واستئصال فضيلة الشرف والعفاف .. لما يؤدي حتما إلى تفلت الغرائز ، وانطلاق الشهوات والملذات ..

يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه « الانسان ذلك المجهول » : (عندما تتحرك الغريزة لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدّره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي ..) .

ذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » ما يلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وإن من بين كل سبعة

شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ..)(١) .

فلا عجب أن نرى الإسلام قد نهى عن التشبه ، وحذّر من التقليد الأعمى ..

وإليكم أهم هذه النصوص :

– روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى » .

– وروى الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تشبّه بقوم فهو منهم » .

– وروى البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجّلات من النساء » .

– وروى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » .

– وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وهذا النهي الذي توجه إليه هذه الأحاديث النبوية منصب إلى تقليد الأجنبي في سلوكه وأخلاقه وعاداته وأزيائه .. للاعتبارات التي ذكرناها آنفاً .

أما تقليده في كل ما ينفع الأمة الإسلامية علمياً ، وينهض بها مادياً وحضارياً .. كالانتفاع بعلوم الطب ، والهندسة والفيزياء .. وأسرار الذرة ووسائل الحرب الحديثة .. وغيرها ، فهو جائز باتفاق ، لكونها تدخل تحت عموم قوله تبارك وتعالى :

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١٢٤ .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ : (الأنفال : ٦٠)

وتحت مضمون قوله عليه الصلاة والسلام : – فيما رواه الترمذي والعسكري – : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » .

ومن أهم مظاهر التقليد الأعمى في نسائنا :

● خروج الكثير منهن كاسيات عاريات ، سافرات متبرّجات ، وقد أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات[1] ، رؤوسهن كأسنمة البخت (سنام الجمل) ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

● ارتداؤهن السواد عند وقوع مصيبة الموت تشبهاً بالنصارى .

● اجتماعهن في مناسبات الأفراح والأعراس على غناء المغنيات ، ورقص الراقصات .

● حلفهن بغير الله في حال الرضى أو الغضب .

● ظهورهن سافرات حاسرات أمام غير المحارم كأخ الزوج ، وابن العم .. ومن أظهر مظاهر التقليد الأعمى عند شبابنا التخنفس والتخنّث ، والتشبّه بالنساء ، وبعض شبابنا يحتج ويقول : ما دام أن الرسول ﷺ أطال شعره حتى جاوز أذنيه ، فلماذا يستنكر أهل العلم منظر المتخنفسين وأشكالهم ؟

نقول لهؤلاء :

١ – في حال ثبوت أن النبي ﷺ أطال شعره ، كان لا يخرج به حاسراً إلى الناس ، وإنما كان يخرج بالعمامة التي هي تاج النبوة ، وشعار الإسلام .

---

(١) مائلات : أي متبخترات في مشيتهن ، مميلات : أي مميلات لقلوب الرجال بإثارتهن وحلاعتهن

ورحم الله من قال :

وجمعت حولك يا رسول صحابة
بعـوالم أزهـى من التيجـان

٢ – التخنفس اليوم أصبح شعاراً للميوعة ، ورمزاً للانحلال .. فهل يقول عاقل : إن الإسلام يرضى من شبابه أن يكثروا سواد المائعين ، وجماعات المنحلّين ؟ والنبي ﷺ يقول : فيما رواه أبو يعلى – : « من كثّر سواد قوم فهو منهم » .

٣ – أليس في ظاهرة التخنفس واسترسال الشعر إلى المنكبين .. تشبه فاضح بالنساء ، والله سبحانه لعن الرجال المتشبهين بالنساء كما جاء في الحديث الذي سبق ذكره ؟

٤ – كيف يرضى المسلم المتخنفس على نفسه أن ينتمي في تخنفسه إلى حشرة « الخنفساء »[1] القذرة ، وأن يتشبه بها شكلا وهيئة ، والله سبحانه يقول : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ؟ ﴾ (الإسراء : ٧٠)[2] .

فاحرص – أخي المربي – أن تقبّح لولدك كل هذه المظاهر الماجنة ، والعادات السافلة . لما لها من أثر كبير في تحطيم الذاتية ، وتمييع الشخصية وفقدان النخوة والشرف والفضيلة .. كما عليك أن تفهم من له حق التربية عليك أن ظاهرة التقليد الأعمى في الأمة من أحط الظواهر في ضياع المجد ، وفقدان العزة ، وانتكاس الأخلاق ، وهدر الفضائل .. عسى أن تجد أفلاذ الكبد قد ساروا في طريق الهدى والرشد والتعقل والصراط المستقيم .. دون أن يفتنهم إغراء ، أو تتملكهم شهوة !!..

* * *

---

(١) جاء في القاموس : الخنفس والخنفساء ، دُوَيْبّة سوداء أصغر من الجُعل « الصرصور » كريهة الرائحة ج : خنافس .

(٢) من كتاب « حتى يعلم الشباب » ص ١٣٥ .

خامساً:التحذير من رفقة السوء

من الأمور التي لا ينتطح فيها عنزان ، ولا يختلف فيها اثنان أن الخلطة الفاسدة من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي والخلقي .. ولا سيما إن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الصفات .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطي سريعة ، وقدم ثابتة .. حتى يصبح الإجرام طبعا من طباعه ، والإنحراف عادة متأصلة من عاداته .. وعندئذ يصعب على المربي ردّه إلى الجادة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء !! ..

وسبق أن ذكرنا في القسم الأول من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » في فصل « أسباب الانحراف عند الأولاد » أن الإسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة .. ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون .. كما أنه وجههم في أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة !!..

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفقاء السوء ، حتى لا يقعوا في حبائل غيّهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم ..

واستشهدنا بالكثير من الآيات الكثيرة ، والأحاديث المتعددة في انتقاء الرفيق الصالح ، والابتعاد عن رفيق السوء ..

فارجع إلى الفصل المذكور تجد ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل !!. وارجع إلى بحث « التربية بالملاحظة » في هذا الكتاب ، تجد الأصول المتبعة في تربية الولد خلقياً ، وتكوينه نفسياً .. مع التحذير من رفاق الشر ، وصحبة الضلال .. بما يتفق مع مسؤولية الآباء والمربين في حمل الأمانة التربوية !!..

سادساً : التحذير من مفاسد الأخلاق

سبق أن ذكرنا في فصلَيْ « مسؤولية التربية الخلقية » و « مسؤولية التربية الجسمية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أن هناك ظواهر

متفشية في الأولاد وجب على المربين أن يهتموا بها ، ويحذّروا منها ، والآن أذكرك — أخي المربي — بها ، وألفت نظرك إليها .. عسى أن تؤدي ما عليك من مسؤولية التحذير ، وواجب الملاحظة .. في ميدان التربية والتوجيه والإعداد ..

في مسؤولية التربية الخلقية عالجنا :

(أ) ظاهرة الكذب .

(ب) ظاهرة السرقة .

(ج) ظاهرة السّباب والشتائم .

(د) ظاهرة الميوعة والانحلال .

وفي مسؤولية التربية الجسمية عالجنا :

(أ) ظاهرة التدخين .

(ب) ظاهرة العادة السرية .

(ج) ظاهرة المسكرات والمخدرات .

(د) ظاهرة الزنى واللواط .

ومن المجمع عليه لدى علماء التربية والأخلاق أن هذه الظواهر الآنفة الذكر هي من أفتك الظواهر في إفساد الولد الخلقي ،وتميّعه السلوكي ..

فإن لم يقم المربون بدورهم في التحذير والملاحقة والنصح .. فإن الأولاد سينحدرون — ولا شك — إلى أسفل الدركات ، ويتخبطون في أحلك الظلمات .. وعندئذ يتعذر على كل مصلح أن يردّهم الى الجادة ، ويربطهم بالحق ، ويبصرهم طريق النور والهداية .. بل يكونون أداة خطر على الأمن ، ومعول هدم للمجتمع .. يستعيذ الناس من شرهم ، ويضجرون من إجرامهم وسوء فعالهم !!..

فما عليك — أخي المربي — إلا أن ترجع إلى بحوث المسؤوليات .. لتستوعب جيداً مسؤولية المربين في التربية الخلقية ، والتربية الجسمية .. حتى إذا استعدت بذاكرتك الأضرار والآفات التي تنجم عن الكذب ، والسرقة ، والسباب والشتائم ، والميوعة والانحلال ، والتي تنجم عن التدخين ، والعادة السرية ، والمسكرات والمخدرات ، والزنى واللواط .. قمت بواجبك ثانية في تحذير الولد من هذه الآفات النفسية والخلقية ، ومن هذه الأضرار الصحية والجسمية ..

وعليك أن تستشهد له بالأطباء وأهل الاختصاص في كشفهم لأضرار هذه المفاسد ، وتحذيرهم من أخطارها وآفاتها .. بأقوالهم حيناً ، وبالمجلات العلمية أحياناً ، وبالكتب الاختصاصية تارة ، وبالنشرات التحذيرية تارة أخرى ..

فإذا نهجت هذا بين كل فترة وفترة بشكل مستمر دائم .. فإن الولد — ولا شك — سيتجنب كل مفسدة للأخلاق ، وكل ضرر للصحة .. بل يكون على درجة من الفهم والوعي ما يجعله أن يكون محذراً غيره فضلا عن محاذرته لنفسه .

فاحرص — أخي المربي — أن تؤدي مسؤوليتك نحو ولدك على الوجه الأكمل ليكون دائماً من الصالحين الاخيار ، والمتقين الأبرار ، ومن النماذج الصالحة المؤمنة التي يشار إليها بالبنان .

* * *

سابعاً : التحذير من الحرام(١)

ومن أهم الأمور التحذيرية التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها ، ويركزوا عليها .. التحذير من الحرام ، **والحرام — كما عرفه علماء الأصول — هو ما طلب الشرع تركه طلباً جازماً بحيث يتعرض من خالف الترك لعقوبة الله في الآخرة ، أو لعقوبة شرعية في الدنيا** كقتل النفس ، واقتراف الزنى ، وشرب الخمر ، واللعب بالميسر ، وأكل مال اليتيم ، وبخس المكيال والميزان ...

فلا عجب أن يأمر نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه المربين أن يعودوا أولادهم منذ نعومة أظافرهم على امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأن يبصّروهم بأحكام الحلال والحرام .. حتى يكون لهم ذلك خلقاً وعادة .. روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، **ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار** » .

---

(١) من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب « الحلال والحرام » للأستاذ يوسف القرضاوي حفظه الله .

وعليك أن تعلم – أخي – المربي – أن الحلال ما أحله الله تعالى ، وأن الحرام ما حرمه الله تعالى فلا يستطيع أحد من البشر مهما كان أن يحرم شيئاً أباحه الله سبحانه ، ولا أن يبيح شيئاً حرمه الله جل جلاله .. ومن فعل من ذلك شيئاً فقد تجاوز الحدّ ، واعتدى على حق الربوبية في التشريع ، ومن رضي بعملهم هذا من البشر فقد اتخذهم من دون الله شركاء ، وألحد في دين الله ، وكفر بالقرآن الذي أنزله الله سبحانه على قلب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .

(الشورى : ٢١)

وقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم ، فقال تعالى :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون ﴾ .

(التوبة : ٣١)

وسبق أن ذكرنا كما روى الترمذي أن عدي بن حاتم جاء إلى النبي ﷺ – وكان نصرانياً – فلما سمع عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، قال : يا رسول الله ، إنهم لم يعبدوهم ! فقال : بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » .

كما نعى على المشركين الذين حرّموا وحلّلوا بغير إذن من الله ، قال تعالى :

﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ .

(يونس : ٥٩)

من هذا كله يتبين أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يحل ويحرّم وأنه فصل لنا في كتابه المنزل كل شيء .

﴿ وقد فصل لكم ما حرّم عليكم إلّا ما اضطررتم إليه .. ﴾ .

(الأنعام : ١١٩)

فما عليك – أخي المربي – بعد الذي ذكرناه إلا أن تبحث عن أصناف هذه المحرمات التي جاء تحريمها في كتاب الله عز وجل أو في سنة نبينا عليه الصلاة والسلام ، لتقوم بواجب التلقين التحذيري لكل من كان له في عنقك حق التوجيه والتربية .. ولاشك أن النصح المستمر له نفعه وتأثيره ، وأن النقطة الدائمة تؤثر في الحجر ، وأن الاستمرارية في التلقين والتحذير تجعل من الولد إنساناً ملتزماً حدود الله سبحانه ، متمثلا أوامره مجتنباً نواهيه ، وقافاً عند أحكام الحلال والحرام ، لا يزيغ ولا يضلّ ولا يشقى !!..

وها أنا ذا أضع بين يديك – أخي المربي – أهم هذه المحرمات لتكون لك تبصرة وذكرى ، عسى أن تؤدي مهمة التحذير والتلقين على الوجه الأكمل :

(أ) الحرام في الأطعمة والأشربة :

١ – تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصُب .. ﴾

(المائدة : ٣)

● **الميتة هي** كل ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير .

والحكمة من التحريم أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لمرض مُزمن أو لعلّة طارئة أو أكل نبات سامّ .. وأكل هذا – لا شك – يضر بالجسم ، ويفتك بالصحة .

● **الدم المسفوح** (السائل) الذي يخرج من الحيوان سواء خرج بسبب الذبح أو غيره .

والحكمة من التحريم أن الدم مستقذر طبعاً ، وأنه مستجمع الجراثيم ، وأنه كالميتة في الضرر .

● **لحم الخنزير** ، وهو من أشد المحرمات في نظر الإسلام لكونه نجس العين ، مستقذر المنظر .

والحكمة من التحريم أنه يضر بالصحة ويورث ضعف الغيرة على العرض .

أما أنه يضر بالصحة فلأن الطب الحديث قد أثبت أن أكل لحمة يسبّب الدودة الوحيدة القتّالة ، ويؤدي إلى اضطراب في المعدة والجهاز الهضمي لكون لحمه عسير الهضم .. ومن يدري لعل العلم يكشف لنا في الغد عن أضرار أخرى أكثر مما عرفنا اليوم ؟ .

أما أنه يورث ضعف الغيرة على العرض فلأن المختصين بعلم الطب قالوا إن لحوم الحيوانات تحوي مواد من شأنها أن تنقل إلى الآكل صفات الحيوان نفسه ، ولنستمع إلى ما قاله الدكتور صبري القباني في مجلة « طبيبك » عدد (٣٢) ، ص ١٨٩ :

(لقد ثبت أن اللحوم تحوي موادّ من شأنها أن تنقل إلى آكلها صفات الحيوانات نفسها ، فالإنكليز مغرمون بالأسماك الباردة ولهذا طباعهم باردة ، والفرنسيون مغرمون بلحوم الخنازير ولذا تمتّ أخلاقهم إليها بصلة (ويقصد أنهم متصفون بعدم الغيرة) ، أما عرب البادية التي تعتاش من لحوم الجمال فتتصف بالصبر والحقد ، وأهل المدن الذين يعتادون على أكل لحوم الغنم تسهل قيادتهم) .

وتكلم مثل هذا : عميد كلية العلوم الطبيعية في جامعة (كلفورنيا) كما جاء في مجلة « الهلال » .

● **ما أهلّ لغير الله به** ، وهي الذبيحة التي ذُبحت وذكر عليها اسم غير اسم الله تعالى كاللات والعزى من الأصنام .

والعلة في التحريم حماية التوحيد ، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية في كل لون من ألوانها ، لأن ذكر اسم الله على الذبيحة – كما يقول الأستاذ القرضاوي – إعلان من الذابح بأنه يصنع هذا الصنيع بهذا الكائن الحيّ الذي لله للذبح بإذن من الله ورضاه ، فإذا ذكر اسم غير الله تعالى عند ذبحه فقد أبطل هذا الإذن ، واستحق أن يحرم من أكل هذا الحيوان المذبوح .

ومن أنواع الميتة :

- **المنخنقة** : وهي التي تموت اختناقاً بوسيلة من الوسائل .
- **الموقوذة** : وهي التي تضرب بالعصا أو نحوها حتى تموت .
- **المتردّية** : وهي التي تتردّى من مكان عالٍ فتموت .
- **النطيحة** : وهي التي تنطح من قبل نطيحة أخرى فتموت .
- **ما أكل السبع** : وهي التي أكل السبعُ (الحيوان المفترس) جزءاً منها فماتت .

وقد ذكر الله بعد هذه الأنواع الخمسة قوله تعالى : ﴿ **إلا ما ذكّيتم** ﴾ أي ما أدركتم من هذه الأشياء وفيه حياة فذبحتموه أي أحللتموه بالذبح .

ولا بدّ أن تكون في الذبيحة حياة مستقرة ، وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة .

والحكمة في تحريم هذه الأنواع هو توقع الضرر في أكلها كما ذكر في الميتة ، وزجر وتأديب لصاحب الحيوان لإهماله له . فلا ينبغي له أن يهمل أمر العناية به والمحافظة عليه حتى ينخنق أو يضرب حتى يموت ، أو يتردّى من مكان عالٍ ، أو يترك الحيوانات تتناطح حتى يقتل بعضها كما نسمع عن التحريش بين البهائم ، فيغرون الثورين أو الكبشين بالتناطح حتى يهلكا .. وأما تحريم ما أكل السبع ففيه تكريم للإنسان ، وتنزيه له من أن يأكل فضلات السباع ، والله سبحانه يقول :

﴿ **ولقد كرّمنا بني آدمَ** ﴾ . (الإسراء : ٧٠)

- **ما ذُبح على النُّصُب** ، والنُّصُب هو الشيء المنصوب من أصنام أو حجارة معظّمة تُقام حول الكعبة علامة للطاغوت (وهو ما عُبد من دون الله) ، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم ، والذبح على هذه الحجارة أو عندها تجعل الذبيحة محرمة سواء تلفظ الذابح باسم غير الله أو لم يتلفظ لأنه قصد تعظيم الطاغوت .

والعلة في التحريم هي نفس العلة التي سبق ذكرها في الإهلال لغير الله .

واستثنت الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة **السمك والجراد** ، ومن الدم **الكبد والطحال** ، للحديث الذي رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم .. عن ابن عمر مرفوعاً : (أُحِلَّت لنا ميتتان : السمك والجراد ، ودمان : الكبد والطحال) .

كل هذه المحرمات التي سبق ذكرها هي في حالة الطواعية والاختيار .

أما في حالة الاضطرار فيجوز أن يأكل منها بشرطين :

الأول : **غير باغ** أي طالب للشهوة .

الثاني : **ولا عادٍ** أي غير متجاوز حد الضرورة .

وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهِلّ به لغير الله فمن اضطُرّ غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ .

(البقرة : ١٧٣)

والحكمة في ذلك إنقاذ للحياة ، واتقاء للهلاك ، ودفع للحرج عن الناس .

٢ – تحريم أكل لحوم الحُمر الأهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير :

لما روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام « نهى عن أكل لحوم الحمُر الأهلية يوم خيبر » .

ولما روى الشيخان أنه ﷺ « نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير » .

والمراد بالسباع ما كان له ناب من الحيوان للافتراس كالأسد والنمر ، والذئب ، ونحوها .

والمراد بذي المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر ، والبازي ، والصقر ، والحدأة ..

والتحريم في هذا هو مذهب الجمهور ، أما مذهب ابن عباس رضي الله عنه ، ومذهب الإمام مالك فهو الجواز مع الكراهة ، وأجابوا عن أحاديث النهي أنها تفيد الكراهة لا التحريم .

ومن المقرر في الشريعة الإسلامية أن هذه الحيوانات المحرم أكلها إذا ذبحت ذبحاً شرعياً طهر جلدها ، وجاز الانتفاع به بعد الذبح بدون دباغ .

٣ - تحريم ما ذبح على غير الطريقة الشرعية كتذكية الذبيحة عن طريق الصعق الكهربائي ، أو تذكيتها بيد ملحد أو مجوسي أو وثني ..

والذكاة الشرعية لا تصح إلا بشروط :

(أ) أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما يُنهر الدم ، ويفري الأوداج ..

(ب) أن يكون الذبح في الحلق ويشمل : قطع الحلقوم ، والمريء (مجرى الطعام والشراب من الحلق) ، والودجان (وهما عرقان غليظان في جانبي النحر) .

ويسقط هذا الشرط (أي الذبح بالحلقوم) إذا تعذر الذبح في موضعه الخاص كأن وقع الحيوان في بئر وتعذر ذبحه ، أو نفر البعير ولم يقدر صاحبه على أخذه ، ومثله ما إذا هجم حيوان على أحد فرماه دفاعاً عن نفسه .. ففي مثل هذه الأحوال يعامل كمعاملة الصيد ، ويكفي أن يجرحه بمحددٍ في أي موضع مستطاع من بدنه ، فعندئذ يحل أكله .. أما إذا علم أن الحيوان مات على غير الجرح فلا يحل أكله لاعتباره كالموقوذة .

(ج) أن يُذكر اسم الله تعالى على الذبيحة عند ابتداء الذبح لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾

(الأنعام : ١١٨)

(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ..) .

(الأنعام : ١٢١)

وروى البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكلوا » .

وإذا ترك الذابح التسمية سهواً فالذبيحة تحل لأن الله سبحانه رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان .

والحكمة من التسمية أن الذابح لا يفعل هذا تسلطاً على هذه المخلوقات وإنما يفعله بإذن من الخالق سبحانه ، فباسم الله يذبح ، وباسمه يصيد ، وباسمه يأكل ..

(د) أن يكون الذابح مسلماً أو كتابياً (يهودياً أو نصرانياً) .

أما إذا كان الذابح ملحداً أو مجوسياً أو وثنياً أو يدين بعقيدة باطنية كتأليه الإمام « **عليّ** » رضي الله عنه ، أو تأليه (**الحاكم بأمر الله الفاطمي**) ، أو تأليه « **آغا خان** » .. فإن الذبيحة لا تحل باتفاق الأئمة الأربعة ، وبإجماع الذين تلقت الأمة فقههم ومذاهبهم بالقبول .

أما اشتراط الذابح **بأن يكون مسلماً** فلأنه يدين بدين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

وأما الاشتراط **في كونه كتابياً** فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ اليومَ أحلّ لكم الطيباتُ وطعامُ الذين أوتوا الكتابَ حِلّ لكم وطعامكم حِلّ لهم ﴾ .

(المائدة : ٥)

وقد شدد الإسلام مع الملاحدة والوثنيين والباطنيين ، وتساهل مع أهل الكتاب لأن الكتابيين أقرب إلى المؤمنين لاعترافهم بالوحي والنبوات وأصول الدين في الجملة .. وقد شرع الإسلام مناكحتهم وأحلّ ذبائحهم .. لأنهم إذا عاشروا المسلمين وعرفوا الإسلام على حقيقته ظهر لهم أنه الدين الحق ، فيدخلون فيه عن طواعية واختيار .

إذا سمع من الكتابي أنه يُسمّي غير الله تعالى عند الذبح كالمسيح ، والعُزَير .. فإن ذبيحته لا تحلّ لأنها مما أهلّ لغير الله به .

وبناء على ما ذكر من الشروط في الذبائح :

● يحرم ما كان ذبحه عن طريق الصعق الكهربائي أو ما كان على شاكلته لكون الذبيحة ماتت خنقاً ولم تذبح بآلة حادة من الحلقوم .

● ويحرم أكل ذبيحة الملحد والمجوسي والوثني والباطني لأنها مما أُهلّ لغير الله به .

● ويحرم أكل معلّبات اللحوم الحيوانية إذا كان استيرادها من بلاد ملحدة تنكر الخالق والأديان السماوية ...

● ويحرم كذلك أكل هذه المعلبات إذا ثبت بيقين أن اللحم فيها حين ذُبح ذُبح على غير الطريقة الشرعية كالخنق والصعق بالكهرباء ...

● ويحرم أيضاً تناول السّمون المعلبة إذا ثبت بيقين أن السمن فيها قد خالطه شحوم خنزير أو لبن خنزير .

أما الأسماك المعلبة فإن أكلها جائز بالإجماع ، لقوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماؤه ، الحِلّ ميتته » .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث سرية من أصحابه تغزو في سبيل الله ، فوجدوا حوتاً كبيراً قد جزر عنه البحر (أي ميتاً) ، فأكلوا منه بضعة وعشرين يوماً ، ثم قدموا المدينة ، فأخبروا الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « كلوا رزقاً أخرجه الله لكم ، أطعمونا إن كان معكم » ، فأتاه بعضهم بشيء فأكله .

٤ - تناول الخمر والمخدرات :

تناول الخمر والمخدرات حرام بالإجماع ، وسبق أن ذكرنا بالتفصيل في **القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد » في فصل « مسؤولية التربية الجسمية »** عن كل ما يتعلق بالأضرار التي تنجم عن الخمر والمخدرات ، وذكرنا بإسهاب كذلك عن حكم الإسلام في تناولهما ، وذكرنا بإيضاح أيضا عن العلاج الناجع الذي وضعه الإسلام في استئصالهما ، والقضاء عليهما .. فيمكنك - أخي المربي - أن ترجع إلى الفصل المذكور ، لتستعيد بذاكرتك أضرار هذين المحرّمَين الفتاكَين ، وحكم الإسلام فيهما ، وكيفية العلاج في استئصالهما من المجتمع المسلم ، ومن بيئة الفساد والإنحلال !!..

بقي الكلام عن الخمرة المصنوعة من غير العنب والتمر هل يباح شربها ؟

روى مسلم أنه ﷺ سئل عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة أو من الشعير .. فأجاب عليه الصلاة والسلام وهو الذي أوتيَ جوامع الكلم -: « كل مسكر خمر ، وكل خمر ، حرام » .

وبناء على هذا :

كل ما صنع من الفاكهة أو الشعير أو أي مادة أخرى . يدخل في الخمر ما دام أنه يسكر ويخامر العقل ، وقد أعلن عمر رضي الله عنه من فوق منبر رسول الله ﷺ - كما روى الشيخان : (**الخمر ما خامر العقل**) .

وما دام أنه مسكر فقليله وكثيره حرام ، لما روى أحمد وأبو داود والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

ولم يكتف النبي عليه الصلاة والسلام بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، **بل حرّم بيعها وشراءها والاتجار بها ولو مع غير المسلمين** ، فلا يحل لمسلم أن يستورد الخمر أو يصدّرها ، أو يصنّعها ، أو ينقلها ..

ومن أجل ذلك « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمول إليه ، وآكل ثمنها » أبو داود والترمذي .

وعلى طريقة الإسلام في سدّ الذرائع . **حرم على المسلم أن يبيع العنب لمن يتخذه خمرا** .

فقد روى الطبراني في الأوسط عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من حبس العنب أيام القطاف ، حتى يبيعه من يهودي (أي ليهودي) أو نصراني أو ممن يتخذه خمراً فقد تقحّم النار على بصيرة) .

وعلى هذا النهج **أمر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ، ومجالسة شاربيها** ، فقد روى أحمد والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر » .

ومما روى عن الخليفة الراشد عمر عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يجلد شاربي الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، وروُي أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً ، فقال : به ابدؤوا ، أما سمعتم قول الله تعالى :

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ .

(النساء : ١٤٠)

وسبق أن ذكرنا في بحث (ظاهرة المسكرات والمخدرات) في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أنه لا يجوز استعمال الخمر كدواء ، هذا ما أجاب عنه رسول الله ﷺ – فيما رواه مسلم وأحمد – فقد سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : إنما أصنعها للدواء ! قال عليه الصلاة والسلام : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » .

فهذا النص ، ونصوص أخرى استشهدنا بها سابقاً تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها ويتعالج بها ..

أما ما خالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول – لضرورة – كحفظها من الفساد مثلا فإنه يجوز استعمالها ضمن الشروط التالية :

١ – أن يكون هناك خطر حقيقي على صحة الإنسان إذا لم يتناول هذا الدواء .
٢ – أن لا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه .
٣ – أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معاً .

لأن مبادىء الإسلام قائمة وعلى اليسر ، ودفع الحرج ، وتحقيق المصلحة والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ فمن اضطُر غيرَ باغ ولاعاد فلا إثم عليه ﴾ .

(البقرة : ١٧٣)

* * *

(ب) الحرام في الملبس والزينة والمظهر :

الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم من أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به من زينة ولباس ورياش .. قال تعالى :

﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً .. ﴾ .
(الأعراف : ٢٦)

وقال سبحانه :
﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .
(الأعراف : ٣١)

على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة ، **في حدود الوسطية والاعتدال** تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .
(الفرقان : ٦٧)

وقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه البخاري - : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة » .

● ومن عناية الإسلام بالمظهر **أمره المسلم بالنظافة** لأنها الأساس لكل زينة حسنة ، ومظهر جميل لائق :

- روى ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » .

- وروى الطبراني : « النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » .

- وروى أبو داود وغيره أن النبي ﷺ أوصى بعض أصحابه وهم قادمون من سفر بالاعتناء بالنظافة وحسن المظهر بهذه الوصايا : « إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » .

ومن عناية الإسلام بالمظهر أنه حث على النظافة والتجمل في مواطن الاجتماع ، وفي أوقات الجمعة والعيدين :

– روى النسائي : أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال ؟ قال : نعم ، قال : من أي المال ؟ قال : من كل المال قد أعطاني الله تعالى ، قال : فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » .

– وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته » .

● **ومن عناية الإسلام بالمظهر حثه على إصلاح شعر الرأس واللحية** : روى مالك في الموطأ أن رجلا جاء الى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه الرسول ﷺ(كأنه يأمره بإصلاح شعره) ففعل ، ثم رجع ، فقال النبي ﷺ : « أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » .

فالإسلام أباح للمسلم كل هذا بل طلبها منه واستنكر كل الاستنكار على من يحرمها وينهى عنها قال تعالى :

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ... » .
(الأعراف : ٣٢)

غير أن الإسلام حرّم على المسلم أنواعاً من الزينة واللباس والمظهر .. لحكم جليلة .. وإليك – أخي المربي – أهم هذه المحرمات :

١ – تحريم الذهب والحرير على الرجال :

لما روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه :. عن علي كرم الله وجهة قال : أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه ، وأخذ ذهباً فجلعه في شماله ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » ، وزاد ابن ماجه : « حِلّ لإناثهم » .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، قال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ .

وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال : (نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه) .

وروى مسلم عن علي كرم الله وجهه قال : (نهاني رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب) .

والمقصود بحرمة الحرير ، الحرير الخالص الأصلي المستخرج من دود القز ، أما الحرير الصناعي فلا يحرم لبسه ولا استعماله .

ويستثنى من حرمة الحرير الأصلي ما ركّب من حرير وغيره إن استويا في الوزن ، وكذا التطريز والخياطة به ، والترقيع ، والحشو .. مالم يبلغ كل من ذلك وزن الثوب ، لما روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمّت من الحرير (أي الحرير الخالص) ، فأما العَلم من الحرير ، وسدى الثوب ، فلا بأس به) .

ويجوز استعمال الحرير الأصلي الخالص في حالة الضرورة كدفع جَرَب أو حكّة أو اتقاء حرّ أو برد مُهلكين ، أو ستر عورة إن لم يجد ساتراً غيره[1] .. لما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (رخّص النبي ﷺ للزبير ، وعبد الرحمن في لبس الحرير لحكّة بهما) .

وتحريم الذهب والحرير قاصر على جنس الرجال ، أما النساء فيحل لهن لبس الذهب والحرير لحديث علي رضي الله عنه الذي سبق ذكره .

أما التختم بالفضة فيجوز ، بل يسنّ ما لم يبلغ حد الإسراف[1] ، والأفضل جعله في اليد اليمنى ، ولبسه في الخنصر لما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه (... ثم اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة ، فاتخذ الناس خواتيم الفضة فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان في بئر أريس) .

---

(١) واستثنى بعض الفقهاء من تحريم استعمال الحرير الخالص : كيس المصحف ، وخيط السبحة ، وستر الكعبة ..

(١) عند فقهاء الحنفية ألا يزيد الخاتم على الدرهم وهو ما يساوي ثلاثة غرامات وثلث .

والعلة في تحريم الذهب والحرير على الرجال هو البعد عن التخنث الذي لا يليق بشهامة الرجال، ومحاربة الترف الذي يؤدي الى الانحلال وقطع دابر التفاخر والخيلاء من نفسية الإنسان، والحفاظ على رصيد الذهب العالمي للنقد في كل زمان ومكان ..

وإنما استثنى النساء من هذا، مراعاة لأنوثة المرأة، وتنمية لغريزة حب التملك فيها، وتلبية لفطرتها في حب الزينة، وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر، وأجمل هيئة ..

٢ - **تحريم تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة**، لما روى البخاري وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

وفي رواية للبخاري: « لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجّلات من النساء » .

وروى أحمد والطبراني عن رجل من هذيل، قال: رأيت عبد الله بن عمرو بن العاص، ومنزله في الحِلّ، ومسجده في الحرم، قال: فبينا أنا عنده رأى أم سعيد بنت أبي جهل متقلّدة قوساً، وهي تمشي مشية الرجل، فقال عبد الله: مَن هذه؟، فقلت: هذه أم سعيد بنت أبي جهل، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس منا من تشبّه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال » .

ولقد طغت في شبابنا وشاباتنا موجه التشبه والتقليد الأعمى .. فعلى المربين أن يعالجوا هذه الظاهرة بالأسلوب الحسن .

٣ - **تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال**، لما روى أحمد وأبو داود والنسائي .. عن رسول الله ﷺ أنه قال: « مَن لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة » .

والمقصود بثياب الشهرة هو لبس الثوب الفخم الثمين بقصد المباهاة والتعاظم والافتخار على الناس .. ولاشك أن التظاهر به يجرّ إلى الكِبر والخُيلاء ﴿ والله

لا يحبّ كل مختار فخور ﴾ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما – رواه الشيخان – : « منْ جرّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » .

فما على المسلم إلا أن ينهج حدود الاعتدال في ملبسة ومطعمه وأثاث منزله حتى لا يستحوذ عليه الكبر ، ولا تتملكه شهوة الخيلاء .

سأل رجل ابن عمر ماذا ألبس من الثياب ؟ فقال : مالا يزدريك فيه السفهاء (لتفاهته) ولا يعيبك به الحكماء . (يعني لتجاوز حدود الاعتدال) .

٤ – **تحريم تغيير خلق الله** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الواشِمةَ والمستوشمة ، والواشِرَة والمستوشرة » .

الوَشْم : هو تشويه الوجه واليدين وبهذا اللون الأزرق ، والنقش القبيح ..

والوَشْر : هو تحديد الأسنان وتقصيرها ، ومثله اليوم ما يعرف بجراحات التجميل .. وقد لعن النبي ﷺ من يفعله لما فيه من تعذيب للإنسان ، وتغيير لخلق الله ، وعدم الرضى بقدر الله ..

والقرآن الكريم اعتبر هذا التغيير من وحي الشيطان حين يقوم بمهمة التضليل لأتباعه .

﴿ **ولآمُرنَّهم فلَيُغيرنّ خلْقَ الله** ﴾ .

(النساء : ١١٩)

ويستثنى من عمليات التجميل ما يسبب للإنسان ألماً حسياً أو نفسياً كاستئصال الزوائد أو اللوزتين أو ما أمر به الشرع كقصّ الشعر ، وتقليم الأظفار ، وحلق العانة .. لدفع الحرج عن الناس ، والتحقق بالنظافة ، وجمال الهيئة ..

٥ – **تحريم حلق اللحية** ، لما روى مسلم عن **أبي هريرة رضي الله** عنه : قال : قال رسول الله (ﷺ) : « جزوا الشارب ، وارخوا اللحى وخالفوا المجوس » .

وروى ابن اسحق ، وابن جرير من طريقه عن يزيد بن أبي حبيب أن رجلين من المجوس دخلا على النبي ﷺ ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال لهما : « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » ، قالا : أمرنا ربنا – يعنيان كسرى – فقال النبي ﷺ : « لكنّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقص شاربي » .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : « أعفوا اللحى ، وجزّوا الشوارب ، ولا تشبهوا باليهود والنصارى » .

وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة (أي من سنن الأنبياء) : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، والمضمضة ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء »[1] .

رأي الأئمة الأربعة في اللحية[2] :

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على وجوب توفير اللحية ، وحرمة حلقها ..

١ - مذهب السادة الحنفية : (ويحرم على الرجل قطع لحيته ، وصرّح في النهاية بوجوب قطع ما زاد على القبضة ، وأما الأخذ منها وهي دون ذلك كما يفعله بعض المغاربة ومخنثة الرجال فلم يُبحه أحد ، وأخذ كلها فعل يهود الهند ومجوس الأعاجم) . أ هـ عن فتح القدير .

٢ - مذهب السادة المالكية : حرمة حلق اللحية وكذا قصها إذا كان يحصل به مُثْلَة ، وأما إذا طالت قليلا وكان القص لم يحصل به مُثْلَة فهو خلاف الأولى أو مكروه) أ هـ من شرح الرسالة لأبي الحسن وحاشيته للعدوي .

٣ - مذهب السادة الشافعية : قال في شرح العباب :

(فائدة : قال الشيخان : (يكره حلق اللحية) ، واعترضه ابن الرفعة بأن الشافعي رضي الله عنه نص في كتاب الأم على التحريم) ، وقال الأزرعي : (الصواب تحريم حلقها جملة لغير علة بها) ، ومثله في حاشية ابن قاسم العبادي على الكتاب المذكور) .

---

(١) غسل البراجم : غسل غضون الأصابع من ظاهرها وباطنها ، حلق العانة : حلق الشعر الذي حول القبل ، انتقاص الماء : أي الاستنجاء بالماء .

(٢) ارجع الى رسالة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الحامد رحمه الله (حكم اللحية في الإسلام) فإن فيها الكثير من الأدلة على حرمة حلق اللحية .

٤ – **مذهب السادة الحنابلة** : نص الحنابلة على تحريم حلق اللحية (فمنهم من صرّح بأن المعتمد حرمة حلقها ، ومنهم من صرّح بالحرمة ولم يحك فيه خلافاً لصاحب الإنصاف ..) .

فتبين من هذه الأحاديث النبوية ، والنصوص الفقهية أن حلق اللحية حرام ، وأن المنصف المتحري للحقيقة لابد إلا أن يقول بوجوب إرخائها لنصاعة الحجّة ، وقوة الدليل ، وأقل ما يقال عن الحالق للحيته أنه مخنّث أو متشبه بالنساء أو مغيّر لخلق الله ، أو مقلد غيره تقليداً أعمى .. فواحدة من هاتيك الأمور تكفي في إيقاع المسلم بالإثم ، فضلا عن انطباق كل الأوصاف عليه .

ألهم الله شبابنا رشدهم ، وقوّى عقيدتهم وإسلامهم ليظهروا دائماً بمظهر الرجولة والكمال ..

٦ – **تحريم آنية الذهب والفضة** ، لما روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » .

وروى البخاري عن حذيفة قال : (نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، ونهانا عن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه » ، وقال : « هو لهم (أي الكفار) في الدنيا ولنا في الآخرة » .

من هذه الأحاديث يتبين أن اتخاذ أواني الذهب والفضة ، ومفارش الحرير الخالص حرام في بيت المسلم ، ويأثم من يفعله ، **وهذا التحريم شامل للرجال والنساء جميعاً** ، **والحكمة في هذا** تطهير البيت المسلم من مواد الترف المذموم ، ومظاهر الكبرياء الممقوتة .

٧ – **تحريم الصور والتماثيل** ، لما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون » .

– وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيُوا ما صنعتم » .

- وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترت سهوة لي بقرام (أي سترتُ خزانة في الحائط بسِتْر) فيه صور ، فلما رآه رسول الله ﷺ تلوّن وجهه وقال : يا عائشة « أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون (يشبِّهون) بخلق الله » ، فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين .

- وروى البخاري ومسلم عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » .

- وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن حيّان بن حُصين قال : قال لي علي رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تَدَعْ صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مُشرفاً (مرتفعاً) إلا سوّيته) .

وهذه الأحاديث في مجموعها تدل بوضوح على تحريم التماثيل والصور سواء أكانت مجسمة أو غير مجسمة ، وسواء أكانت ذات ظل أو غير ذات ظل ، وسواء أكان صنعه بما يمتهن أو بغير ما يمتهن لأن فيه مضاهاة بخلق الله تعالى ؟..

ومما يؤكد هذه الحرمة أن النبي ﷺ - كما روى البخاري - لم يدخل الكعبة بعد فتح مكة حتى أخرج كل ما فيها من صور وأصنام وتماثيل ، وقد روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ، فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها حتى مُحيَت الصور ، وقد روى البخاري في كتاب الحج عن أسامة رضي الله عنه أنه ﷺ دخل الكعبة فرأى صورة إبراهيم عليه السلام ، فدعا بماء فجعل يمحوها .

ويستثنى من التصوير تصوير الشجرة وكل شيء ليس فيه روح ، لما روى البخاري ومسلم عن سعيد بن أبي الحسن قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « مَنْ صوّر صورة فإن الله معذّبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » ، فربا الرجل ربوة شديدة (أي فزع) ، فقال له ابن عباس : (ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح) .

ويرخص من التماثيل لُعَب الأطفال لكونها لا يظهر فيها قصد التعظيم ولا كبرياء الترف . لما روى الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (كنت ألعب بالبنات (أي باللُّعَب التي على هيئة البنات) عند رسول الله ﷺ ، وكان يأتيني صواحب لي ، فكنّ ينقمعن (يختفين خوفاً) من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يُسرّ لجيئهن إلي ، فيلعبن معي) .

وفي رواية لأبي داود : أن النبي ﷺ قال لعائشة يوماً : « ما هذا ؟ قالت : بناتي ، قال : ما هذا الذي في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : ما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيْل لها أجنحة ؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه » .

قال الشوكاني : في هذه الأحاديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل التي هي على هيئة عرائس ، وقد روي عنْ الإمام مالك أنه كره للرجل أن يشتري لبنته ذلك ، وقال القاضي عياض : (إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة) .

ومما نلفت الانتباه إليه أن امتهان الصورة وتغيير معالمها يجعلها حلالا ، ويجوز الانتفاع بها ، لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه « أن جبريل عليه السلام استأذن على النبي ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ أدخل ، قال جبريل : كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير ؟ فإن كنت لابد فاعلا ، فاقطع رأسها أو اقطعها وسائد أو اجعلها بسطاً » .

أما التصوير بالآلة (وهو ما يسمى بالتصوير الفوتوغرافي) فيشمله ظاهر التحريم للنصوص القاطعة الشاملة إلا ما توجبه الضرورة وتقتضيه المصلحة كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، وصور المجرمين ، والمشبوهين ، والصور التي تتخذ وسائل للإيضاح ونحوها ، لكونها تدخل في القاعدة العامة التي تقول : (الضرورات تبيح المحظورات) .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن كثيراً من البيوت التي تدّعي الإسلام يصدّرون بيوتهم بصورة كبيرة بحجة ذكرى الأب أو الجدّ أو العائلة .. ويزيّنونها بتماثيل ذات

روح توضع هنا وهناك ، وبسجاجيد مصوّرة يملؤون بها الجدران .. وهذا العمل من أفعال الجاهلية ، بل من مظاهر الوثنية التي قضى عليها الإسلام ..

فما على الآباء والمربين إلا أن ينظفوا بيوتهم من هذه المحرمات ، ويطهّروها من تلك الموبقات .. ليحظوا برضوان الله عز وجل ، ويكونوا من عداد أولئك الذين عناهم الله سبحانه بقوله :

﴿ ومن يُطع اللهَ والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً ﴾ .

(النساء : ٦٩)

***

(ج) الحرام في المعتقدات الجاهلية :

الغيب لايعلمه إلا الله سبحانه ، فلايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من عباده من رسول . قال تعالى :

﴿ عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

(الجن : ٢٧)

فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس .

قال تعالى :

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون ﴾ .

(النمل : ٦٥)

فلا الملائكة ولاالجن ولاالبشر يعلمون الغيب إلا ماعلمهم الله إياه ، وقد أخبر الله تعالى عن جنّ سليمان .

﴿ أنْ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين ﴾ .

وعلى هذا حرم الإسلام المعتقدات التالية :

١ – حرم تصديق الكهّان ، لما روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدّقه بماقال : لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً » .

وروى البزّار بإسناد جيد : « مَن أتى كاهناً فصدّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

فتبين من هذه الأحاديث أن حَمْلَةَ الإسلام لم تقتصر على الكهان والدجالين وحدهم ، بل أشرك معهم فى الإثم كل من يصدقهم فى أوهامهم وتضليلهم ..

٢ – حرم الاستقسام بالأزلام ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. ﴾ .

(المائدة : ٩٠)

والأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية مكتوب على أحدها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، وعلى الثالث : غفل من الكتابة ، فإذا أرادوا غزواً أو زواجاً أو نحو ذلك ، أتوا الى بيت الأصنام – وفيه الأزلام -- فاستقسموا بها ، فإن خرج السهم الآمر أقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أحجموا عنه ، وإن خرج الغفل أجالوها مرة أو مرات حتى يخرج الآمر أو الناهي .

ويشبه هذا في بعض مجتمعاتنا الإسلامية اليوم ضرب الرّمل ، والودَع ، وفتح الفنجان .. وكل ما كان من هذا القبيل ، وكل هذا منكر وحرام في الإسلام .

روى الطبراني بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « لا ينال الدرجات العلى من تكهّن أو استقسم (أي بالأزلام) أو رجع من سفر تطيّراً (أي تشاؤماً » .

وإذا كان الإسلام حرم الاستقسام بالأزلام وجعله شركاً فإنه في الوقت نفسه علم الناس الاستخارة الشرعية التي بها يتوجه الإنسان إلى غايته أو يحجم عنها ، وسبق أن ذكرنا في الارتباط الروحي الاستخارة وكيفيتها فارجع إليه في موضعه من هذا الكتاب .

٣ - حرّم السحر ، لما روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله ، وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وكما حرّم الإسلام على المسلم الذهاب إلى الكهنة والعرّافين لسؤالهم عن الغيوب والأسرار ، حرّم عليه كذلك أن يلجأ إلى السحر والسحرة في كشف الخبايا ، وحل المشاكل ، والإضرار بالناس .. لما روي عن البزّار بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس منا من تطيّر (تشاءم) أو تُطيِّر له ، أو تكهّن أو تُكهِّن له ، أو سَحَرَ أو سُحِر له » .

وروى ابن حبّان في صحيحه عن الرسول ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » .

وقد اعتبر بعض فقهاء الشريعة السحر كفراً ، أو مؤدياً إلى الكفر ، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من رجسه ، وحفاظاً على عقيدة الأمة أن يدخلها الزيغ والفساد ..

وعلمنا القرآن الكريم الاستعاذة من شر النفاثات في العقد وهم أرباب السحر الذين ينفثون بسحرهم ما يفرّقون به ما بين المرء وزوجه ، وما يتسببون بفعله من إيقاع الضرر في الناس .

ومن هنا كان السر في قراءة المعوذتين كل ليلة ليأمن القارىء شر الجنّة ، وشر النفاثين في العقد ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ « كان إذا أوى الى فراشة كل ليلة جمع كفيه ثم نفث[1] فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ..، وقل أعوذ بربّ الفلق .. ، وقل أعوذ برب الناس .. ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » .

٤ - حرّم تعليق التمائم ، لما روى أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ ، فبايع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال : إن في عضده تميمةً !» .

---

(١) والنفث : هو نفخ لطيف بلا ريق .

فقطع الرجل التميمة ، فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال : « من علق تميمة فقد أشرك » . وفي رواية للإمام أحمد : « من علّق تميمة فلا أتمّ الله له ، ومن علّق ودعة فلا أودع الله له » .

والتميمة : هو ما يعلّق على الصغير أو الكبير من أحجبة وودع وخرز .. ونحوها على اعتقاد أنها تشفي من المرض ، أو تقي من العين ، أو تدفع الشر والمصيبة ..

وكم نسمع عن كثير من المضللين والدجالين من يكتب للبسطاء من الناس من أحجية وتمائم ، يخطّون فيها خطوطاً وطلاسم ، ويتلون عليها أقساماً وعزائم .. زاعمين أنها تحرس حاملها من مسّ الجن ، وإصابة العين ، ودفع الأذى والشر .. الى آخر ما يزعمون .

أما إذا كانت الكتابة للأحجية باللفظ العربي البيّن أو ما يعرف معناه من غيره ، وبالأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ، وبما ثبت في السنة عن خصوصيات بعض الآيات القرآنية والسّور كالمعوذتين مثلا فبعض الفقهاء لا يرى من ذلك بأساً ، **وكذلك الرّقى** ، وهي قراءة التعويذات أو الفاتحة على المريض أو الممسوس أو الملدوغ .. ثم المسح باليد ، والنفخ بالفم بدون ريق . وقد نقل عن الإمام النووي ، والحافظ بن حجر وغيرهما الإجماع على مشروعية الرّقي عند اجتماع ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون الكلام بكلام الله تعالى أو بأسمائه أو صفاته .

الثاني : أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى .

ومن التعويذات التي علمنا إياها النبي ﷺ في تعويذ الصبيان وغيرهم هو ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامّه (الحشرات المؤذية) ، ومن كل عين لامّة (العين التي تصيب » .

٥ — **حرّم التطيّر (التشاؤم)** ، لما روى البزار والطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من تطيّر أو تُطيّر له .. » .

وروى أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « العيافة ، والطِّيرة ، والطَّرق من الجبت » .

العيافة : الخطّ في الرمل ، وهو ضرب من التكهّن لازال حتى اليوم .

الطَّرق : الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن .

الجِبْت : ما عبد من دون الله .

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بنعيق الغربان ، ونعيب البوم ، ومرور الطير من اليمين الى اليسار .. وكانت تصدهم عن مقاصدهم في الحياة ، فنهى النبي ﷺ عنها ، وأخبر أنها ليس لها تأثير في جلب نفع ، أو دفع ضرّ بل التأثير لله وحده .

روى ابن عديّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا » .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عرض له من هذه الطِيرَة شيء فليقل : اللهم لا طَيْرَ إلا طيرك ، ولا خَيرَ إلا خيرُك » .

وقال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فمرّ طائر يصيح : فقال رجل من القوم : (خير خير) ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر .

فهذه النصوص بجملتها تبين أن التشاؤم من الزمان أو المكان أو الحيوان .. ليس من الإسلام ، وأن التطيّر محرم في الشريعة ، وأن الفاعل المطلق ، والمؤثر الحقيقي هو الله وحده . فعلى المسلم أن يمضي إلى غايته ، وأن يتوكل على الله في الوصول إلى هدفه دون أن يردّه شؤم ، أو يقعده عن العمل تطيّر !!..

* * *

(د) الحرام في التكسب :

لما بُعث النبي ﷺ كان للعرب في الجاهلية أنواع من البيع والشراء ، والتعامل المالي ، والمبادلات التجارية .. فأقرهم على البعض مما لا يتنافى مع قواعد الشريعة

ونصوصها التي جاء بها ، ونهاهم عن البعض الآخر لكونها تضر بمصلحة الفرد والجماعة ، وتؤدي الى أسوأ المفاسد ، وأرذل الآثار ..

وإليكم أهم هذه المحرمات في التكسب كما ثبت عن نبي الإسلام :

١ – **بيع الأشياء المحرمة** : لما روى أحمد وأبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » ، وعلى هذا فإن بيع الخمر ، والتماثيل ذات الروح ، والخنزير ، والمعازف بأنواعها ، والصلبان ، وأوراق اليانصيب ، وغيرها . محرم في نظر الإسلام .

والحكمة في هذا التحريم إهمال لها ، وإهمال لذكرها ، وإبعاد للناس عن التعامل بها ، وإنقاذ للمجتمع من أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية والخلقية .. إلى غير ذلك مما لا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة !!..

٢ – **بيع الغرر** ، لما روى مسلم في صحيحه وأحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : « نهى عن بيع الحصاة[1] ، وعن بيع الغَرَر » .

وروى أحمد والطبراني أن رسول الله ﷺ قال : « لا تشتروا السمك بالماء فإنه غرر » .

والغرر : هو بيع الأشياء الاحتمالية التي لا تُدرى عاقبتها هل تحصل أم لا ؟ وذلك كبيع السمك في الماء ، والطير في الهواء ، لكون هذا البيع غير متحقق الوجود في يد بائعه ، ولا قدرة له على تسليمه .. ولا شك أن هذا النوع من البيع يؤدي إلى المنازعات والخصومات ما بين البائع والمشتري . ويضر أيضاً بالمصالح الاقتصادية للتغرير وعدم الثقة ما بين المتعاملين من التجار ..

٣ – **البيع على أساس الغبن والتلاعب بالأسعار** : لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أحمد وابن ماجه – : « لا ضرر ولا ضرار » .

---

(١) بيع الحصاة : هو اتفاق ما بين البائع والمشتري على شراء ما تقع عليه الحصاة من مجموع أشياء كثيرة .

الإسلام في الأصل يحب أن يطلق الحرية في التعامل التجاري لتسير الحياة الاقتصادية على أحسن ما يرام وفقاً للعرض والطلب ، وانتعاشاً للسوق التجارية في ميدان التعامل .. ومن أجل هذه الحرية نرى الرسول ﷺ حين غلا السعر على عهده فقالوا : يا رسول الله سعِّره لنا قال : « إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . وغيرهم .

ولكن إذا تدخلت في السوق عوامل مصطنعة كاحتكار بعض السلع الضرورية ، والتلاعب بالأسعار ، واستغلال ظروف معينة .. فيباح التسعير استجابة لضرورة المجتمع وحاجته ، ووقاية لأغلبية الأمة من المحتكرين والمستغلين ، كما تقرر الأصول العامة ، والقواعد الشرعية كأصل : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، وكقاعدة : (لا ضرر ولا ضرار) .

قرر فقهاء الحنفية : (إذا كان أرباب الطعام يتحكمون في السوق ويتعدّون في القيمة تعدياً فاحشاً ، وعجز القاضي ، عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير ، فحينئذ لا بأس به بمشورة أهل الرأى والبصر) أ هـ (هداية) في الفقه الحنفى .

٤ - **البيع على أساس الاحتكار** ، لما روى أحمد والحاكم وابن أبي شيبة .. عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : (لا يحتكر إلا خاطىء) : وخاطىء معناها آثم ، ومنه قوله تعالى :

﴿ **إن فرعونَ وهامانَ وجُنُودَهما كانوا خاطِئينَ** ﴾ (القصص : ٨) أي آثمين .

وروى ابن ماجة والحاكم عنه ﷺ أنه قال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

والاحتكار معناه : هو أن يُخفي التاجر ما يحتاج الناس إليه حاجة ضرورية ليتحكم بالسعر في الوقت المناسب ، كالمواد التموينية بشكل عام .

ومما يلحق بالاحتكار **بيع الحاضر للبادي** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يبع حاضر لبادٍ ، دعوا الناس يرزق بعضهم من بعض » .

الحاضر : هو ساكن المدينة .

والبادي : هو ساكن البادية .

وصورة هذا : أن يقدم رجل غريب أو من البادية بمتاع تعمّ الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة فيقول له : خلِّ متاعك عندي حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادي بنفسه لأرخص ، ونفع البلد ، وانتفع هو أيضاً .

٥ - **البيع عن طريق الغش** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه مرّ برجل يبيع طعاماً (حبوباً) فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء (أي المطر) فقال عليه الصلاة والسلام : **« فهلاّ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا »** .

والغش معناه : إظهار الشيء على خلاف حقيقته دون علم المشتري .

روى الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يحلّ لأحد يبيع بيعاً إلا بيّن ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه » .

وتشتد الحرمة ، **إذا غشه بيمين كاذبة** : وقد نهى النبي ﷺ التجار عن كثرة الحلف بصورة عامة ، وعن الحلف الكاذب بصورة خاصة ، روى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » . والذي يحلف وهو متيقن الكذب يكون حالفاً بيمين الغموس ، واليمين الغموس هو من الكبائر ، وسمّي غموساً لأنه يغمس صاحبه في النار ، وليس له كفارة سوى التوبة الصادقة النصوح .

وإنما نهى النبي ﷺ عن كثرة الحلف - ولو كان الحالف صادقاً - لأنه مظنّة لتغرير المتعاملين أولا ، وسبب لزوال تعظيم اسم الله تعالى من القلوب ثانياً ..

ومن ألوان الغش تطفيف المكيال والميزان ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين ﴾ .

(المطففين : ١ - ٤)

والتطفيف معناه هو إنقاص المكيال والميزان أثناء التعامل التجاري ، ومزاولة البيع والشراء ..

وقد قص علينا القرآن نبأ قوم جاروا في معاملتهم ، وانحرفوا عن القسط في الكيل والوزن ، وبخسوا الناس أشياءهم ، فأرسل الله إليهم من ينذرهم ، ويردهم إلى صراط العدل والقسطاط المستقيم ، أولئك هم قوم شعيب الذين صاح فيهم نبي الله شعيب داعياً ومنذراً :

﴿ أوفوا الكيلَ ولا تكونوا من المخسِرينَ ، وزِنوا بالقسطاط المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ .

(الشعراء : ١٨٢)

٦ – البيع أو الشراء عن طريق السرقة والاغتصاب ، لما روى البيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اشترى سرقة (أي مسروقاً) وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك في إثمها وعارها » .

ولا يخفى ما في هذا التحريم من تضييق لدائرة الكسب الحرام ، ومن مشاركة المجتمع في تحمل المسؤولية لقطع دابر الجريمة والمجرمين !!..

٧ – التكسب عن طريق الربا والميسر ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذروا ما بَقِيَ من الرِّبا إن كنتم مؤمنين فإنْ لَمْ تفعَلوا فأذَنوا بحربٍ من اللهِ ورسولِهِ ، وإن تبتم فلكم رؤوسُ أموالِكُمْ لا تَظلِمُونَ ولا تُظلَمون ﴾ .

(البقرة : ٢٧٨)

ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن – : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال هم سواء » .

وتحريم الإسلام للربا يشمل كل تعامل بالربا ، سواء أكان الربا ربا نسيئة[١] ، أو ربا فضل[٢] ، وسواء أكان ربا استثمار أو ربا استهلاك ، وسواء أكان بفائدة قليلة أو بفائدة كثيرة ، فكل هذه التنويعات تندرج تحت لفظ التحريم في قوله تعالى :

﴿ وأحلَّ اللهُ البيعَ وحَرَّمَ الرِّبا ﴾ . (البقرة : ٢٧٥)

والإسلام حرم الربا للأمور التالية :

● **لانعدام** التقابل بين الجهد والثمرة لكون الدائن المرابي لا يبذل جهداً ، ولا يقدم عملاً ، ولا يتحمل خسارة .. فيما يحصل عليه من كسب ، وما يتملكه من ربح ..

● **لانهيار** اقتصاد المجتمع بسبب تلكؤ الدائن عن العمل ، وإخلاده إلى الراحة والكسل .. طمعاً في ربح الفائدة ، والإثقال على المدين بالالتزامات الربوية ..

● **لانهيار** أخلاق المجتمع بسبب انعدام التعاون بين أفراده للعلاقات الربوية .. مما يؤدي حتماً الى تفسخ المجتمع ، وشيوع الأنانية والأثرة فيه ، بدل التضحية والمحبة والإيثار ..

● **لانقسام** المجتمع الى طبقتين متنازعتين : طبقة المستغلين والمتحكّمين برؤوس أموالهم ، وطبقة المستضعفين الذين أُكلت جهودهم وأتعابهم من غير حق .

● **لاستفحال** المبادىء الإلحادية الهدامة المستوردة في ربوع المجتمعات الإسلامية لاستغلال الواقع المرير الذي ينتج عن التعامل الربوي المحرم ..

لهذا كله حرم الإسلام الربا ، وصنّفه في جدول الكبائر ، واستحق فاعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين !!..

---

(١) ربا النسيئة : ويسمى بربا الأجل ، وهو كل زيادة يؤديها المدين الى الدائن على رأس المال المستحق نظير مدة معلومة من الزمن أجّله إليها .

(٢) ربا الفضل : وهو تبادل مطعومين أو نقدين من جنس واحد مع زيادة أحد البدلين على الآخر ، كمبادلة كيل قمح بكيل ونصف منه ...

ما هي الطرق التي فتحها الإسلام للتخلص من الربا ؟

١ - **سمح بشركة المضاربة** ، وهي شركة يكون رأس المال فيها من شخص ، والعمل من شخص آخر ، والربح مشترك بينهما بالقدر المتفق عليه ، والخسارة على صاحب رأس المال ، أما صاحب الجهد والعمل فلم يتحمل من الخسارة شيئاً إذ يكفيه أنه خسر جهده وعمله .

٢ - **سمح ببيع السلم** ، وهو بيع آجل بعاجل ، فمن كان مضطراً للمال يبيع على الموسم من إنتاجه بسعر مناسب ، وبشروط مذكورة في كتب الفقه .

٣ - **سمح ببيع المؤجل** ، وهو زيادة عن الثمن في بيع النقد ، وقد أباحه الإسلام لتسيير مصالح الناس ، وللتخلص من التعامل بالربا .

٤ - **حضّ على وجود مؤسسات للقرض الحسن** سواء أكان القرض على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الحكومات تحقيقاً لمبدأ التكامل الاجتماعي بين الأمة .

فتح مؤسسات للزكاة حيث تدفع هذه المؤسسات للمديون المحتاج ، أو الفقير الذي لا يملك ، أو الغريب المنقطع .. تدفع لهم قسطاً من المال يسدّ حاجتهم ، ويحقق تكافلهم ، ويرفع من مستواهم ..

تلكم أهم الأبواب التي فتحها الإسلام أمام أي فرد من المجتمع ، لتتحقق مصلحته التكافلية ، وتحفظ له كرامته الإنسانية ، ويصل إلى مقصده النبيل في قضاء حوائجه ، وتأمين مصالحه وازدهار عمله وإنتاجه ..

اما الميسر فقد سبق ذكره فى بحث اللهو المحرّم فى هذا الكتاب فارجع إليه لترى البحث وافياً والمعالجة تامة ..

(هـ) الحرام في التقاليد الجاهلية :

لقد دخل على المسلمين اليوم كثير من العادات البغيضة ، والتقاليد الجاهلية .. واستحكمت في نفوسهم وبيوتهم ، وأصبحت في نظر البعض كالدّين في الاتباع ، وكالإيمان في الاعتقاد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وإليكم أهم هذه التقاليد الجاهلية المستحكمة :

١ - **الانتصار للعصبية** : وهذا ما نراه في البيئات المتخلفة إسلامياً حيث ينتصرون لأقوامهم وقراباتهم سواء أكانوا على حق أم كانوا على باطل ؟..

وهذا ما وضحه النبي ﷺ للسائل حين سأله عن العصبية . فقد روى أبو داود عن واثلة بن الأسقع قال : قلت يا رسول الله ، ما العصبية ؟ قال : « أن تعين قومك على الظلم » . كما أنه أعلن براءته عليه الصلاة والسلام ممّن يفعل ذلك : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود .

كما أنه حوّل عليه الصلاة والسلام مفهوم « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » من الجاهلية إلى الإسلام ، وذلك في الحديث الذي رواه البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن حوله مرة : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » ، فعجب الناس ودهشوا ، وقالوا يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم فذلك نصر له » .

وما أعظم ما نطق به القرآن في إحقاق الحق ، والتزام جانب العدل ولو على أقرب الناس وأحبّهم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُونوا قوامّين بالقِسْط شُهَداءَ لله ولو على أنفسكُم أو الوالدين والأقربين ﴾ .

(النساء : ١٣٥)

٢ - **التفاخر بالنسب** : لا نزال نسمع من الذين لاخلاق لهم دعوى التعاظم بالحسب ، والتفاخر بالنسب .

وما قيمة الأحساب والأنساب إذا كان أصحابها يحيدون عن طريق الإسلام ويتبعون سُبُل الضلال ؟ ألم يقل الله سبحانه :

﴿ فإذا نُفِخ في الصُّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾

(المؤمنون : ١٠١)

وصبّ النبي ﷺ جام غضبه على المتعاظمين بالأحساب ، والمتفاخرين بالأنساب في كلمات قارعة ، وعبارات لاذعة .. فقال – فيما رواه أبو داود والترمذي – : « لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، أو ليكوننّ أهون على الله من الجُعَل (حشرة الخنفساء) يدَهْدِهُ الخُرْءَ بأنفه .. إن الله أذهب عنكم عُبّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، وإنما هو تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب » .

ولنستمع إلى ما أعلنه عليه الصلاة والسلام من مبادىء حقوق الإنسان في حجة الوداع : « يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ..» رواه البيهقي .

٣ – **النياحة على الموتى** : ومن التقاليد التي حاربها الإسلام النياحة على الميت ، والغُلوّ في إظهار الحزن والجزع كلطم الخدود ، وشق الجيوب ، وخمش الوجوه .. وهذا من فعل الجاهلية ، وتقاليدها الموروثة .. وقد تبرّأ النبي ﷺ ممن يفعل هذا الفعل ، ويظهر بهذا المظهر .. روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

أما دمع العين من غير عويل ، وحزن القلب من غير جزع فإنه جائز لأنه يتفق مع آداب الإسلام والطبيعة البشرية .. روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضى (أي مات) ، قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا ، فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ، (وأشار إلى لسانه) أو يرحم ، وإن الميت يعذب[1] ببكاء أهله عليه » .

---

(١) يقصد بالبكاء ، مع النوح ورفع الصوت ، والميت يعذب إذا أوصى بذلك أو كان يرضى به .

وفي الكلام عن النياحة **يقتضي التنبيه إلى الأمور التالية** :

١ – لا يحل لأي مسلم أو مسلمة أن **يلبسوا من شارات الحداد والحزن** أو يتركوا لباس الجديد والتزين ، أو يغيّروا من مظاهر الزّي والهيئة المعتادة .. إظهاراً للجزع .. وامتداداً للحزن .. لأن هذا من قبيل التشبه بالكفار ، والتقليد للأجنبي .. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لا تشبّهوا باليهود ، ولا بالنصارى » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود .. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تشبّه بقوم فهو منهم » .

٢ – ومن التشبة والتقليد الأعمى **وضع الأكاليل من الزهور على النعش أو على القبر** فهذا العمل عدا عن أنه عمل الكفار فإنه أيضاً من إتلاف المال في غير حق . أما وضع بعض الزروع والزهور على القبر من غير إكليل ولا تشبّه .. فإنه جائز ، وفي السنة النبوية ما يبيح ذلك ويؤيده :

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « أما إنهما ليعذّبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله (أي لا يتوقّى منه) ، قال : فدعا عليه الصلاة والسلام بعسيب رطب (بغصن نخل أخضر) ، فشقّه باثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » .

٣ – ومن التشبه والتقليد الأعمى **وضع صورة الميت على النعش ، أو تصديرها في بيت التعزية** .. فهذا العمل عدا عن أنه من تقليد الأجنبي فإنه أيضا من ارتكاب المحرم ، لأن اتخاذ الصور من غير ما ضرورة محرم في نظر الإسلام كما سبق بيانه .

٤ ـ ومن التشبيه والتقليد الأعمى **عزف الموسيقى الحزينة أمام النعش أو في بيت التعزية** ، هذه الظاهرة عدا عن أنها من التشبيه الممقوت بالكافرين ، فإنها أيضاً من فعل المحرمات في نظر الشريعة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها في تحريم المعازف ، وتحريم الاستماع إليها .. سواء أكان ذلك في الفرح أو في الحزن ..؟

٥ – ومن ارتكاب المنكر في التعازي **توزيع الدخان وشربه** ولاسيما عند قراءة القرآن الكريم ، وهذا من المنكرات المستهجنة في نظر الإسلام لتناول المحرم من ناحية ، وانتهاك حرمة القرآن من ناحية أخرى ..

٦ – ومن المنكرات الشائعة بعد دفن الميت **تجصيص القبر ، والبناء عليه** ، لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يجصَّص القبر ، وأن يُقْعَد عليه ، وأن يبنى عليه » .

ومن المؤسف حقاً أن بعض الناس اليوم أصبحوا يتباهون في البناء على القبر ، وتزيينه .. ولا شك أنهم مخالفون لهدي محمد ﷺ في نهيه عن التجصيص والبناء ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه حين مات ولده ابراهيم سطَّح القبر ، ووضع عليه الحصا ، ورشَّه بالماء ..

ومن السنة أن توضع علامة عند القبر ليعرف عند زيارته ، كما وضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأس عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال : « أتَعَلَّمُ بها قبر أخي » .

وكم يكون الورثة وقّافين عند حدود الله حين يلتزمون هذا الهدي النبوي عند دفن مورثهم ؟ .

وكم يكونون ورعين صالحين حين يضعون كلفة البناء والتزيين في بناء مسجد ، أو تشييد مدرسة ، أو إقامة مستشفى .. بنيّة الثواب لفقيدهم ، ليجري له الخير إلى ماشاء الله ؟ وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » البخاري في الأدب المفرد وغيره .

٤ – وعادات أخرى حرمها الإسلام :

● ومن العادات الجاهلية المستحكمة في بعض بيئاتنا **اجتماع الناس في حفلات الاعراس والمناسبات على غناء المغنين والمغنيات ، ورقص الراقصين والراقصات .. عدا عما يتخلل هذه الحفلات من كؤوس للخمر تدار ، ومعازف للنغم تعزف ، وضحكات فاجرة تنبعث هنا وهناك من أفواه السكارى وعربدة المخمورين .. وطلقات من الرصاص تنطلق من مسدسات الحمقى ، وبنادق المهوّسين !!..**

وكم أصيبت نفوس ، وأريقت دماء ، ووقعت فتن ، واقْتَتَلَتْ عوائل .. من لعنة هذه الاجتماعات الفاجرة ، والحفلات العابثة ، والتقاليد الجاهلية الآثمة ..؟ .

ولسنا بحاجة إلى أن نبين مرة ثانية حكم الإسلام في الغناء ، والرقص ، والمعازف ، والخمر ، واختلاط الرجال بالنساء .. لأننا تطرقنا لهذه البحوث في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد بيّنا – أخي المربي – حكم الإسلام فيها .. فيمكنك أن ترجع الى هذه البحوث لتعرف الدليل والحكمة في تحريم هذه المفاسد !!..

● ومن العادات الجاهلية التي نسمع عنها في بعض البيئات أيضاً **انتساب الولد إلى غير أبيه** .. وقد عدّ النبي ﷺ ذلك من المنكرات الشنيعة التي تستوجب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقد روى الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا » أي لا يقبل الله منه توبة ولا فدية .

وروى الشيخان أيضاً عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » .

ويتفرع عن هذا **حرمة التلقيح الصناعي** وهو وضع نطفة الرجل الأجنبي في رحم امرأة لا تحل له بقصد إنجاب الولد ، وهو جريمة منكرة تلتقي مع الزنى في إطار واحد ، تلتقي معه في إنجاب الولد عن طريق آثم ، وكيفية محرّمة .. تنبو عنها الشرائع السماوية ، والقيم الأخلاقية الفاضلة !!..

أما التبني للولد بمعنى التربية والرعاية والتكافل كرعاية اللقيط أو اليتيم .. مثلا فإنه جائز شرعاً مالم ينسبه الرجل لنفسه ، ويثّبت له أحكام البنوّة ، وارتباطات النسب .. ولا شك أن لهذا الكافل المثوبة في الجنة .. لما روى البخاري وأبو داود والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبّابة والوسطى ، وفرّج بينهما » .

وللكافل أن يَهَب لليتيم أو اللقيط ما شاء من المال في حياته ، وأن يوصي له في حدود الثلث من التركة بعد وفاته .

• ومن العادات الجاهلية المتفشية في كثير من المناطق والأرياف **أكل مهر البنت وحرمانها من الميراث .**

إن الله سبحانه قرّر للمرأة حقها من المهر ، كما قرر لها حقها من الميراث ، فلا يحلّ لوالد ، ولا لأخ ، ولا لزوج ولا لأي إنسان أن يحرمها حقها من الميراث ، أو أن يسلب لها حقها من المهر ..

فتقرير حقها من الميراث ثابت في القرآن الكريم ، قال الله تعالى :

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ .

(النساء : ٧)

وتقرير حقها من المهر مقرر في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

(النساء : ٢٠ ، ٢١)

فمن خالف شرع الله في الميراث وفي المهر فقد ضلّ سواء السبيل ، وحاد عن الحق الذي قرّره الله تعالى في محكم التنزيل .. واستحق وعيد الله وانتقامه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ألا فليتذكر أولو الالباب .

تلكم أهم المحرمات التي نهى الإسلام عنها ، وحذّر منها ، وتوعدّ بالعذاب من يرتكبها ..

فما عليك – أخي المربي – الا أن تجتنبها بنفسك ، وتعطي القدوة في الابتعاد عنها لغيرك ، ثم بالتالي تحذّر من كان له في عنقك حق التربية من أن ينزلق في متاهاتها ، ويتعثّر في أوحالها ، ويتردّى في مهالكها ..

فإذا فعلت ذلك فالله سبحانه يثيبك خيراً ، ويدّخر لك يوم القيامة أجراً ، ويتقبل طاعتك ، ويستجيب لدعائك ، ويجعل لك من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويحشرك يوم القيامة مع أوليائه وأصفيائه في مجمع من الملائكة والأنبياء ، والصديقين والشهداء .. وحسُن أولئك رفيقاً .

فاستمع إلى ما يقوله سيد الوجود عليه الصلاة والسلام فيمن يكون مطعمه حراماً ، ومشربه حراماً ، وملبسه حراماً ، لتعلم شيئاً عن حاله في بعد الله عنه ، وغضبه عليه .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ . (المؤمنون : ٥١)

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ . (البقرة : ١٧٢)

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبَرَ يمدّ يديه إلى السماء : ياربّ ياربّ ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذّي بالحرام ، فأنّى يستجاب له » .

وروى البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل جسد نبت من سُحْت (من حرام) فالنار أولى به » .

أعاذنا الله – أخي المربي – أن نكون ممن استحقوا عذاب جهنم ، وممن يدعون فلا يستجاب لهم .. إنه خير مأمول ، وبالإجابة جدير ..

* * *

تلكم – أيها الإخوة المربّون – أهم القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الولد ، ولقد رأيتم أن هذه القواعد كلها تنصب في قاعدتين أساسيتين :

الأولى : قاعدة الربط .

الثانية : قاعدة التحذير .

وسبق أن قرأتم أن تحت كل قاعدة من هاتيك القواعد قواعد فرعيّة تندرج تحتها ، لها أهميتها الكبرى في توازن الولد ، وتكوينه الروحي والإيماني والنفسي ، وإعداده الخلقي والاجتماعي والعلمي ..

● **قرأتم التفريعات التي انبثقت عن قاعدة الربط .. فماذا وجدتم ؟**

أما وجدتم أن **الربط الاعتقادي** هو خير ما تصونون به عقيدة الولد من الزيغ والإلحاد ؟

وأن **الربط الروحي** هو خير ما تصونون نفسه وأخلاقه من التحلل والإباحية ؟

وأن **الربط الفكري** هو خير ما تصححون به تصوره من كل مفهوم باطل ، ومبادىء مستوردة ؟

وأن **الربط الاجتماعي** هو خير ما تصونون به شخصيته من الانكماش والانطوائية والضياع ؟

وأن **الربط الرياضي** هو خير ما تصونون به جسمه من الضعف والخَوَر واللهو العابث ؟..

● **وقرأتم التفريعات التي انبعثت عن قاعدة التحذير فماذا رأيتم ؟..**

أما رأيتم أنّ التحذير من الردة يجنّب الولد الانزلاق في متاهات الكفر والضلال ؟

وأن التحذير من الإلحاد يجنّب الولد التنكرّ للذات الإلهية ، والأديان السماوية ؟

وأن **التحذير من اللهو المحرم** يجنّب الولد مع تميّع الشخصية ، وانتهاك الكرامة الانسانية ؟

وأن **التحذير من رفقة السوء** يجنبّ الولد الاسترسال في حياة الشهوات والملذات .

وأن التحذير من التقليد الأعمى يجنّب الولد تميّع الشخصية وانتهاك الكرامة الإنسانية .

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنّب الولد الانغراط في بوتقة الرذيلة ، ومستنقع الفحشاء ؟

وأن التحذير من الحرام يجنّبّ الولد عذاب جهنم وغضب الجبار ، والتعرض للأمراض والأسقام ؟ ..

فإذا كان الأمر كذلك فاسعوا جهدكم ، واجمعوا أمركم ، وابذلوا كل ما في وسعكم .. لتنفّذوا قاعدة الربط قاعدة قاعدة .. وتأخذوا بمبادىء التحذير مبدءاً مبدءاً ..

وفي هذا إصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونُضج لعقلة ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

ومن الأمور التي أذكّر بها ، وألفت النظر اليها أن **قاعدتي الربط والتحذير** يجب أن يسيرا مع بعضهما جنباً إلى جنب عندما يقوم المربي بواجب التربية والتكوين والإعداد .. لأن انفكاك إحداهما عن الأخرى قد يؤدي بالولد إلى انحرافات فكرية أو خلقية أو نفسية ..

وكم سمعنا عن أولاد ارتبطوا ببيوت الله ، وارتبطوا بالشيخ المربي ، وارتبطوا بالصحبة الصالحة .

ولكنهم وقعوا في اعتقادات فكرية باطلة ، كاعتقاد أن الإسلام قاصر على القضايا الإيمانية ، والمسائل التعبدية ولم يتعرض لقضايا الحكم ، وأنظمة السياسة ، ومناهج الحياة ..

أو وقعوا في انحرافات خلقية خطيرة كدعوى أن البيرة حلال ، وأن اقتناء التلفزيون بوضعه الحالي جائز ، وأن التعامل بربا القليل غير محرم ، وأن الاستماع إلى الغناء المائع مباح ...

أو وقعوا في أمراض نفسية وعصبية لسوء التوجيه ، وفساد التربية كتلقينه المستمر العزلة والانطوائية والتزام أحلاس البيوت ، وأماكن العبادة ؟..

إذن على المربي أن يوازن ما بين الربط والتحذير ، وأن يجمع ما بين الإيجابية والسلبية .. وأن يكون مع الولد في جميع حركاته وسكناته .. حتى إذا رأى منه انحرافاً عن الجادة ردّه إليها ، وإذا وجد زيغاً في العقيدة بصّره بنور الحق ، وأضاء قلبه بإشراقة الإيمان ، وإذا استشعر فساداً في الخلق حذره من مغبة النتائج ، وربطه بالرباط الأمتن ، ووجهه التوجيه الأقوم ..

وعلى هذه الأسس فَلْيمْضِ المربون ، وعلى هاتيك القواعد فليعمل العاملون !!..

الفصل الثالث

الثالث : اقتراحات تربوية لابد منها

وفي الختام أضع بين يدي المربين طائفة من الاقتراحات التربوية التي لابد منها ولا غناء عنها ، وهي لا تقل أهمية عما كتبناه سابقاً من فصول مضت حول (مسئوليات المربين) ، وحول (وسائل التربية المؤثرة) ، وحول (القواعد الأساسية في تربية الولد) . وفي كتابة هذه الاقتراحات نكون قد أحطنا بوسائل التربية من جميع الجوانب ، ونكون في الوقت نفسه قد فتحنا أمام المربين آفاقاً جديدة في إعداد الولد خلقياً وفكرياً ونفسياً ، وفي تكوينه جسمياً وسلوكياً واجتماعياً .. ليكون الإنسان الصالح لدينه وأمته ، والعضو النافع في إسرة الحياة ، وهيئة المجتمع ..

وأرى أن هذه الاقتراحات تنحصر في الأمور التالية :

١ – تشويق الولد إلى أشرف الكسب .

٢ – مراعاة استعدادت الولد الفطرية .

٣ – ترك المجال للولد في اللعب والترويح .

٤ – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة .

٥ – تقوية الصلة بين المربي والولد .

٦ – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة .

٧ – تهيئة الوسائل الثقافية النافعة للولد .

٨ – تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة .

٩ – استشعار الولد الدائم بمسئولية الإسلام .

١٠ – تعميق روح الجهاد في نفسية الولد .

وإن شاء الله في هذا الفصل فستكون الكتابة وافية حول كل مقترح من هذه الاقتراحات التي سبق ذكرها ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

* * *

١ – تشويق الولد إلى أشرف الكسب :

من أهم المسؤوليات التي يجب أن ينهض بها المربي تجاه الولد تشجيعه على العمل الحر سواء أكان هذا العمل صناعياً أو زراعياً أو تجارياً ..

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يزاولون الأعمال الحرة، ويتخصصون ببعض المهن والصناعات .. فأعطوا للأمم والأجيال القدوة الحسنة في العمل الحر والكسب الحلال ..

فهذا نوح عليه السلام تعلم صنع السفن ، وأمره الله بصنعها في قوله : **﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ، ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ .**

(هود : ٣٧ – ٣٨)

وقد نجا في السفينة هو ومن آمن معه .

وهذا داود عليه السلام كان يُجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية ، قال تعالى :

﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم (الدروع) **لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ .**

(الأنبياء : ٨٠)

وقال أيضاً :

﴿ وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدّر في السرد (صنع الدورع) **واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ﴾ .**

(سبأ : ١٠ – ١١)

وهذا موسى عليه السلام الذي أجرّ نفسه في رعي الغنم ثماني سنين لنبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام مقابل نكاح إحدى ابنتيه ، قال تعالى :

﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجُرَني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد إن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بيني وبينك ايما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ والله على ما نقول وكيل ﴾ .

(القصص : ٢٧ - ٢٨)

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام الذي كان يرعى الغنم ، ويزاول التجارة قبل مبعثه ﷺ ، وهو القائل - كما روى البخاري : « كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة » . وقد سافر إلى الشام مرتين للتجارة : المرة الأولى مع عمه أبي طالب وكان له من العمر اثنتا عشرة سنة ، والمرة الثانية أرسلته السيدة خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة ، وكان له من العمر خمس وعشرون عاماً ، وقد أجاد بها وأحسن .

فمن الشواهد التي سقناها يتبين أن الإقبال على تعلم الحِرَف والصناعات ، ومزاولة العمل والتجارة .. هو من أشرف الكسب ، ومن أعظم الحلال .. لأن ذلك مهنة الأنبياء ، وفعل المرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

والإسلام بمبادئه الشاملة ، وتشريعه الكامل قد قدّس العمل ، وكرّم العمال ، واعتبر كسب الرجل من يده من أفضل القُربات ، وأشرف الأعمال ..

وإليكم طائفة من نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام :

- ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .

(الملك : ١٥)

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ .

(الجمعة : ١٠)

- وروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أفضل الكسب كسب الرجل من يده » .

– وروى الطبراني وابن عدي والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يحب العبد المحترف » .

– وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

– وروى البخاري وأحمد وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » .

– وروى الطبراني والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : « كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

وإليكم ما قاله السلف الصالح في شأن البطالة والبطالين :

– وروى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي قوماً لا يعملون فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : (كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبّة فى الأرض ثم توكل على الله) وقال : (لا يقعدنَ أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات حين قال : « يا معشر الفقراء استبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين » .

– وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في الآخرة » .

– ورحم الله الشافعي حين قال :

لنقل الصخر من قلل الجبال
أحبّ الي من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار
فقلت العار في ذلّ السؤال

فمن هذه النصوص التي أوردناها يتبين أن الإسلام اهتم بالعمل اليدوي ، وركزّ على التعليم المهني ، وندد بالبطالة والكسل ، وحضّ على التكسب والعمل ...

وهذا لا يتأتى إلا في سنّ مبكّرة حيث يكون التعليم فيه أفضل ، والنبوغ في المهنة أقوى وأظهر .. لذا وجب على المربي أن يدفع الولد منذ الصغر إلى التدريب على بعض المهن والفنون والصناعات - بعد أن يمر بمراحل الدراسة الابتدائية في تعلم الخط واللغة العربية ، وتلاوة القرآن الكريم ، وما يلزم تعليمه من العلوم الشرعية والتاريخية والكونية .. - لإعداد الولد لكسب عيشه ورزقه من كدّ يمينه ، وعرق جبينه .

ولنستمع الى ما يقوله ابن سينا في تعليم الولد أمور الصناعة ، وأعمال المهنة : (إذا فرغ الصبيّ من تعلّم القرآن الكريم ، وحفظ أصول اللغة .. نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه . فإن أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وطورح الحساب (أي مُرّن على الحساب) ودخل به الديوان وعني بخطّه وإن أريد أخرى أخذ به فيها) .

فدراسة القرآن الكريم ، ومعرفة أصول اللغة كانتا من المواد الدراسية الأساسية في المناهج الإسلامية .. فإذا انتهى الصبي منهما نظر في أمره وفي الصناعة التي يميل إليها ، وأرشد إلى السير في طريقها حتى يحسنها ويجيدها .

ومما يدل على عناية المسلمين بالمهنة لكسب الرزق نورد هذه القصة في اهتمامهم لمهنة الخط : لما حضرت الوفاة أبا الإمام الغزالي وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له من الخيرين للخير وقال له : إني آسف كثيراً لعدم تعلمي الخط ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديّ هذين ، وهما محمد وأحمد ، فعلمهما ولا لوم عليك في أن ينفد في ذلك جميع ما أتركه لهما .

فلما مات الأب أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن انتهى ذلك النزر اليسير الذى كان قد تركه لهما أبوهما ، وتعذر على الصوفي أن يقوم بإطعامهما .

فقال لهما : إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وإني رجل فقير زاهد ليس لي مال فأواسيكما به ، وإن أصلح شيء أراه مناسباً لكما أن تلجئا إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فتحصلا على القوت الضروري الذي يعينكما على الحياة .

ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما ، وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » .

وينبغي أن نميّز بين صنفين من الأولاد في تعليمهم أمور المهنة والصنعة :

الأول : صنف المتفوقين دراسياً ، وعلى الغالب هم الأذكياء فهؤلاء لا ضير عليهم في أن يتابعوا تحصيلهم العلمي حتى النهاية على أن يتعلموا أثناء العطل والفرص المواتية ما يميلون إليه من حرفة أو صناعة .. لكونهم لا يدرون ما تواجههم به الأيام من نكبات وأحداث ، ورحم الله من قال : (صنعة في اليد أمان من الفقر) ، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال : « إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : أله صنعة ؟ ، فإن قالوا : لا ، سقط من عيني » .

الثاني : صنف المتخلفين دراسياً ، وعلى الغالب هم متوسطو الذكاء أو الأغبياء ، فهؤلاء بعد تعليمهم ما يلزمهم من أمور دينهم ودنياهم يجب أن يتوجهوا إلى العمل المهني ، والاختصاص الصناعي من حين أن يشعر الأب أو المربي بقصورهم وتخلفهم .. ومن الخطأ أن يتابع الوليّ دراستهم وهم على هذه الحال من التخلّف والقصور والغباء .

وكم سمعنا عن أولاد بلغوا سن الشباب وهم لم يحصّلوا علماً ولم يتعلموا مهنة ؟ وما ذاك إلا لقصور نظر الأب أو المربي في وضع الولد في غير الموضع الذي يستأهل أن يكون فيه ، وربما عاش هملاً على هامش الحياة يستجدي الناس لينال عطفهم وإحسانهم وصدقاتهم ، أو تدرّج على سُلّم الإجرام ليسلب الناس أموالهم ، وينتهك أمنهم واستقرارهم .. وفي كلا الحالين هدر للكرامة ، وامتهان للشخصية ، وتحطيم للكيان العام .

فما على الآباء والمربين إلا أن ينتبهوا لهذه الظاهرة ، ليعرفوا كيف يعدّون أولادهم للحياة ، وكيف يؤهلونهم للقيام بأعظم التكاليف ، وأضخم المسؤوليات ؟

أما المرأة وهي فتاة فينبغي أن تتعلم من الصناعات ، وأمور المهنة ما يتفق مع وظيفتها واختصاصها كأم وزوجة سواء ما يتعلق بأصول تربية الطفل ، أو ما يرتبط بوظائف البيت ، أو ما يتصل بتعليم الخياطة أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه .

أما عدا ذلك من الأعمال والمسؤوليات فالإسلام أعفاها منها .

– إما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات لا تتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة .

– وإما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات تتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كأن تكون عاملة في معمل ، أو موظفة في وظيفة .. ولها زوج وأولاد وبيت .

– وإما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات يترتب عليها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في بيئة أو وظيفة يكون فيها اختلاط الرجال بالنساء .

وفي تقدير أصحاب العقول الناضجة ، والبصائر النيّرة أن هذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ، وحفظ لأنوثتها ، ورفع لكرامتها ومنزلتها .

وإلا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها التي خلقت من أجلها ؟

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبب لها الأمراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزج المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلويث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل من شيء أغلى على المرأة من العرض والشرف ؟

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن العمل اليدوي ، والاختصاص المهني هو من أحل المكاسب وأشرف الأعمال ، فلنوجه أولادنا إليه ، وليكن دائماً اعتمادهم عليه !! لنحفظ لهم كرامتهم ، ونصون لهم شخصيتهم ، ونحقق لهم في الحياة معيشتهم !!.

* * *

٢ – مراعاة استعدادات الولد الفطرية :

من الأمور الهامة التي يجب أن يدركها المربون جيداً ، وأن يهتموا بها ، ويوجهوا نظرهم إليها .. معرفة ما يميل إليه الولد من صنائع ، وما يناسبه من أعمال ، وما ينشده في الحياة من آمال وأهداف ..

ولاشك أن الأولاد يختلفون فيما بينهم أمزجة وذكاء وطاقة واتزاناً .. فالمربي الحكيم أو الأب الحصيف هو الذي يضع الولد في المكان المناسب الذي يتفق مع ميوله ، وفي البيئة الملائمة التي يصلح أن يكون فيها .

فإن كان الولد من النوع الذكي وعنده الرغبة الأكيدة في متابعة الدراسة وإتمام التحصيل فعلى المربي أن يسهل له الأسباب للوصول إلى غايته ، وتحقيق أمله .

وإن كان الولد من النوع المتوسط ذكاءً ، وعنده الميل الى تعلم صنعة من الصنائع ، أو مهنة من المهن .. فعلى المربي أن ييسّر له الأمور حتى يصل إلى هدفه المنشود .

وإن كان الولد من النوع البليد فعلى المربي أن يوجهه إلى عمل يتفق مع عقليته ، ويتلاءم مع مزاجه واستعداده .

وهذا هو معنى قول عائشة رضي الله عنها فيما رواه مسلم وأبو داود :

« أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم » .

حتى الدراسة التي يميل إليها الولد بطبعه ، ويعيشها بفطرته .. تختلف على حسب المزاج والميل والوجهة .. فمن كان يميل بطبيعته إلى الأدب والشعر والكتابة .. لا يستطيع أن يكون فائقاً في الهندسة والطب والرياضيات .. ومن كان يميل إلى الهندسة أو العلوم أو الطب .. لا يمكنه أن يتفوق في الشعر والأدب .

وليس من السهل أن ينبغ الولد ويتفوق في كل علم يحصله أو مادة يدرسها ، ولكن من السهولة بمكان أن يتفوق الولد وينبغ في المواد التي يحبها ويميل إليها ، أما المواد التي يكرهها ، وينفر منها فمن المحال أن يصل في دراستها إلى ذروة التفوق والنبوغ .

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه الطبراني عن ابن عباس – : **« اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له » .**

انطلاقاً من هذه التوجيهات النبوية في مراعاة ميول الولد ، وإنزاله منزلته .. طالب علماء التربية الإسلامية ، وعلى رأسهم (ابن سينا) بمراعاة ميول الولد ، واستعداداته

الفطرية ، وقدراته الطبيعية عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها أو الدراسة التي يتوجه إليها . وقد نادى (ابن سينا) بالعناية بدراسة ميول الصبي ، وجعلها أساساً لاختصاصه ووجهته حيث قال : (ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غُفْلاً من الأدب ، وعارياً من صناعة . وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب ، وأرفع الصناعات . وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء .. ولذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك)[١] .

وقد عني عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) كل العناية بتوضيح أهمية الاستعدادت الفطرية التي لدى الصبي ، ومراعاتها في التوجيه حيث قال :

(إن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والكَوْدَن (البغل) لا تنفعه الرياضة ، والسبع وإن رُبّي صغيراً لا يترك الافتراس)[٢] .

ومعنى هذا أن للذكاء والغباوة أثراً كبيراً في تفوّق الولد أو إخفاقه في التكوين الثقافي والإعداد العلمي ، ورحم الله من قال :

إذا ما المرء لم يولد لبيباً   فليس بنافع قدم الولادة

فالمربي إذن لا يعدم وسيلة في التعرف على نفسية الولد ، وما ينطوي عليه من ذكاء وغباوة ، وما يميل إليه من دراسة أو صناعة ..

وفي استطاعته أن يشق له طريق الحياة بما يتلاءم مع مصلحته ، وما يتناسب مع رغبته .. سواء ما يتعلق بالنبوغ الدراسي أو ما يتصل بالازدهار الصناعي أو التجاري .. في كلا الأمرين نفع للعباد ، وتقدم للبلاد !!..

وعلى المربي ولاسيما الأب أن **لا يحول بين الولد وبين الرغبة التي ينشدها في الحياة** إذا كان في هذه الرغبة مصلحة تعود إليه ، وفائدة يرجوها ..

---

(١) و (٢) من كتاب « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الابراشي صفحة : ١٩٧ .

فإن كان الولد يرغب في التحصيل العلمي وهو من الفطانة والذكاء بمكان فعليه أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة ، ولو وجد الأب في سبيل ذلك ما يثقل كاهله من النفقة والتكاليف ، وسيقطف ثمرة تضحيته حين يرى ولده في مصاف المفكرين العظماء ، والنابغين العلماء !!.

وإن كان يرغب في العمل المهني أو التعامل التجاري .. فعليه أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة ، عسى أن يتفوق في عمله واختصاصه وينبغ في مهنته وصناعته .. وفي ذلك ازدهار للاقتصاد ، وتقدم ملموس للأمة في ميادين العمل والإنتاج .. أما إذا وقف الأب حجرة عثرة في طريق الولد ، وما يتطلبه من حياته من آمال ، وما ينشده من أهداف .. فإن الولد سيصطدم نفسياً ، ويتأثر صحيا .. وربما وقعت المشادة والخصومة بين الولد وأبيه ، وآل الأمر في النهاية إلى الهجر والقطيعة والعقوق ، وكان المتسبب في ذلك الأب الذي لم يحسب لهذه الأمور حسابها ، ولم يقدّر لهذه النتائج قدرها ..

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه أبو الشيخ في الثواب – :

« رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

* * *

٣ – ترك المجال للولد في اللعب والترويح :

الإسلام دين الواقع والحياة يعامل الناس على أنهم بشر لهم أشواقهم القلبية ، وحظوظهم النفسية ، وطبيعتهم الإنسانية ، فلم يفترض فيهم أن يكون كل كلامهم ذكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل تأملاتهم عبرة ، وكل فراغهم عبادة .. وإنما اعترف الإسلام بكل ما تتطلبه الفطرة البشرية من سرور وفرح ، ولعب ومرح ، ومزاح ومداعبة .. بشرط أن تكون في حدود ما شرعه الله ، وفي نطاق أدب الإسلام .

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغاً ظنوا معه أن التعبد الدائم ، والمراقبة المستمرة لله .. لابد أن تكون عادتهم وديدنهم ، وأن عليهم أن يطرحوا وراء ظهورهم مرح الحياة ، وطيبات الدنيا .. فلا يفرحون ولا يمرحون ولا يلعبون ..

بل ظنوا أن وقتهم وفراغهم يجب أن ينصرف الى الآخرة دون أن يكون للهو المباح ، والمرح المعتدل أي نصيب من دنياهم !!..

ولنستمع إلى حديث حنظلة الاسدي رضي الله عنه – كما روى مسلم – فيما يحدث به عن نفسه :

لقيني أبو بكر وقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافق حنظلة !!..

قال : سبحان الله ، ما تقول ؟

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً !!..

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا !.

قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ .

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : وماذاك ؟

قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً !.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر ، لصافحتكم الملائكة على فُرُشكم وفي طُرُقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ، وكرر هذه الكلمة (ساعة وساعة) ثلاث مرات .

ورأينا في النهاية كيف أقرّ النبي ﷺ حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما على ملاعبة الأزواج والأولاد ..، وعلى ملاطفتهم وإدخال السرور عليهم ؟.. لكون هذا يتفق مع أمزجة البشر ، وطبيعة الإنسان ..

وهناك وسائل شرعها الإسلام في الإعداد الجسمي ، والتدريب الجهادي .. تنبىء لكل ذى عقل وبصيرة أن الإسلام هو دين واقعي يقر للمسلم اللعب البرىء واللهو المباح .. مادام في مصلحة الإسلام ، ومادام في حدود ملاطفة الأهل والعيال !!..

من هذه الوسائل : ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : : **مشي الرجل بين** الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

وسبق أن ذكرنا الكثير من هذه الوسائل في مواطن عدّة من بحوثنا في هذا الكتاب .. فارجع إليه – أخي المربي – لترى بأمّ عينيك سماحة هذا الدين ، وعظمة هذا الإسلام !!.

وإذا كان اللعب البريء ، والترويح عن النفس ، والإعداد الجسمي والرياضي .. من الأمور اللازمة للمسلم فإن لزومها للولد وهو صغير من باب أولى . وذلك لأمرين هامين :

الأول : لأن قابلية الولد للتعليم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير لحديث : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » رواه البيهقي والطبراني .

الثاني : لأن حاجة الولد إلى ظاهرة اللعب والمرح والترويح .. وهو صغير أكثر بكثير من حاجته إليها وهو كبير لحديث « عُرامة الصبي[1] في صغره زيادة في عقله في كبره » رواه الترمذي في نوادره .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الصالحة في كل شيء كان يلاعب أبناء الصحابة ، ويروّح عن نفوسهم ، ويدخل السرور عليهم ، ويمزح معهم ، ويستأنس بهم ، ويشجعهم على اللعب البريء ، والمرح المباح !!..

وإليكم بعض النماذج :

١ – أخرج الإمام أحمد باسناد حسن عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيّر بن العباس رضي الله عنهم ثم يقول : « من سبق إلي فله كذا وكذا » ، قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

---

(١) عُرامة الصبي : أي لعبه وحيويته وقوة حركته واحتكاكه مع غيره .

٢ - وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت : نعم الفرس تحتكما ! فقال عليه الصلاة والسلام : « ونعم الفارسان هما » .

٣ - وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلتُ على النبي ﷺ فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ، ثم بسط يده فجعل يفر ههنا وههنا ، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ، ثم اعتنقه وقبله ، ثم قال : « حسين مني وأنا منه !!.. أحبَّ الله من أحبّه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط » .

السبط : هو ولد الولد .

٤ - وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة (أي على يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول « نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما » .

٥ - أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوما لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجتُ حتى أمُرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال يا أُنَيس : ذهبت حيث أمرتك ؟ قال : قلت نعم أنا ذاهب يارسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمتُه قال لشيء صنعتُه : لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا » .

٦ - ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فيما رواه البيهقي - . « علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » .

فانطلاقاً من ملاعبة النبي ﷺ للصبيان ، وملاطفتهم والترويح عن نفوسهم .. نادى علماء التربية الإسلامية بحاجة الطفل إلى اللعب والمرح والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه أو عمله ..

ولنستمع الى ما يقوله الإمام (**الغزالي**) في إحيائه في هذا الشأن : وينبغي أن يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالتعليم دائماً يُميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغّص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ..

وقد ذهب (**العبدرى**) ما ذهب اليه الغزالي بضرورة اللعب والترويح عن النفس للطفل بعد ساعات الدرس ، أو الانتهاء من العمل !!..

ومن المعلوم أن الحكمة من هذا اللعب إزالة ما يحس به الولد من السآمة والملل والتعب ، وتجديد لنشاطه وحركته وصفاء ذهنه ، وترويض لجسمه من أن يصاب بالأمراض والآفات !!..

ولكن على المربي أن يلحظ في لعب الأولاد أمرين هامين :

الأول : ألّا يؤدى اللعب الى الإرهاق الزائد ، والمشقة المؤذية لأن في ذلك ضرراً للبدن ، وإضعافاً للجسم ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لا ضرر ولا ضرار » .

الثاني : ألّا يكون هذا اللعب على حساب واجبات أخرى يجب أن يتلقنوها ، أو يكلفوا بها .. لأن في ذلك إضاعة للوقت ، وقتلًا للفائدة .. والنبي ﷺ يقول :

« **إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ..** » رواه مسلم .

* * *

٤ – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة :

ومن العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الولد العلمية والروحية والجسمية .. إيجاد التعاون الوثيق بين البيت والمدرسة والمسجد .

● ومن المعلوم أن **مسؤولية البيت** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الجسمية** للإثم الكبير الذي ينال منْ يضَيع حق أولاده ، ويهمل معيشة عياله !!..

روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء إثماً ان يضيّع من يقوت » . وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته » .

● ومن المؤكد أن **رسالة المسجد في الإسلام** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الروحية** ، لما لصلاة الجماعة ، وقراءة القرآن الكريم من فيوض ات ربانية ، ورحمات إلهية لا تنتهي ولا تنقطع .. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تضعّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطّت عنه بها خطيئة ، فإذا صلّى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلّاه مالم يُحدِث ، تقول : اللهم ارحمه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » .

– وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »

● ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن مهمة المدرسة تتركز في الدرجة الأولى على **التربية العلمية** لما للعلم من أثر كبير في تكوين الشخصية ، ورفع كرامة الإنسان !!..

ومن هنا كان فضل العلم عظيماً في نظر الإسلام :

فمن فضائله أن « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

ومن فضائله أن « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

ومن فضائلة « أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتان في الماء .. » ؟ رواه أبو داود والترمذي .

ومن فضائله أن « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب » رواه أبو داود والترمذي .

فحينما نقول بتعاون البيت مع المسجد والمدرسة ، فمعنى هذا أن الولد قد اكتملت شخصيته ، وتكون روحياً وجسمياً وعقلياً ونفسياً .. بل كان العضو الفعال في تقدم أمته ، وإعزاز دينه ..

ولكن هذا التعاون لا يتم على الوجه الأكمل إلا بتحقيق شرطين أساسيين :

الأول : ألّا يكون هناك ازدواجية وتناقض بين توجيه البيت والمدرسة .

الثاني : أن يكون التعاون هادفاً لإيجاد التكامل والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية . فاذا تم التعاون ضمن هذين الشرطين المذكورين .. فالولد يكتمل روحياً وجسمياً ، ويتكون عقلياً ونفسياً .. بل يكون إنساناً متوازناً سوياً .. ينال إعجاب الناس ، ويشار إليه بالبنان !!..

وفي مجال التعاون مع المدرسة أريد أن أضع بين يدي الآباء والمربين الحقائق التالية :

(أ) إن كثيراً من الأساتذة والمعلمين في مدارسنا وجامعاتنا (لا يعرفون من التربية الصحيحة إلا أنها تقليد للأجنبي في سلوكه وأخلاقه ، ومحاكاة ، لأوروبا في عاداتها وتقاليدها ، واستجداء للشرق أو الغرب في مبادئه ومعتقداته وأفكاره ..

وها هم أولاء يربّون أبناء المسلمين على الطريقة الغربية الملتوية ، والنهج الإلحادي المنحرف .. لأن عواطفهم الدنسة ، وقلوبهم الخاوية ، وعقولهم الفارغة تعشقت أوروبا العاهرة ، والشيوعية الكافرة .. واستنقعت بحبّ المادة ، ومظهرها البرّاق ..

(ب) وإن الكتب المدرسية التي يدرسها الطلاب في مدارسهم مليئة بالدس والتشكيك ، والطعن بالأديان ، والدعوة إلى الكفر والإلحاد .. ونذكر على سبيل المثال بعض ما جاء فيها ، جاء في **كتاب المجتمع** لصف الشهادة الثانوية في سورية : (إن كل دعوة لإنشاء كيانات سياسية على أسس دينية

إنما هي دعوة غبية) . **وفي كتب العلوم** عرض لنظرية (دارون)[١] على أنها حقيقة علمية ، لاتخاذها ذريعة للتشكيك بالخالق ، علماً أن العلم أبطلها ، وألقاها في سلة المهملات . **وفي كتب الأدب** تركيز على الحجاب الإسلامي ، ووصمة بأنه تأخر ورجعية ، وتركيز على التاريخ الإسلامي ، ووصفه بأنه تاريخ إقطاع واستبداد وانحلال ..)[٢] .

(ج) إن تعليم الدين ضئيل جداً بالنسبة لسائر المواد العلمية والأدبية التي يتلقنها الطالب في المدرسة ، فالمسلم – والحال هذه – لا يمكنه أبداً أن يتقن تلاوة القرآن الكريم ، ولا أن يتعرف على أحكام الشريعة ، ولا أن يحيط بحقائق السيرة والتاريخ !! لكون المدرسة **لا تعطي** هذا كله ، فيتخرج الطالب من المدرسة محدود الثقافة ، قاصر الفهم في نظام الإسلام ، وعلوم القرآن وتاريخ الجدود الأمجاد !!..

فإذا لم يقم المربي في البيت بمسؤوليته التربوية على الوجه الأكمل .. فربما انحرف الولد في عقيدته ، أو تميّع في أخلاقه .. فعندئذ لا ينفع مع الولد توجيه ، ولا يجدي في تقويم إعوجاجه إصلاح ..

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم أن الأب في البيت مسؤول أولا عن تربية الولد الجسمية والخلقية إذا كان الولد في المسجد يتربى روحياً ، وفي المدرسة يتكونَ عقيدياً وعلمياً وثقافياً ..

أما إن شعر أن الولد في المدرسة لا يتربى على مبادىء العقيدة الإسلامية ، ولا يأخذ حظه من تعاليم الشريعة .. فعليه أن ينهض بمسؤوليته الشاملة في تربية الولد على كل ما يتصل بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً .. بل عليه أن يضاعف جهده ، ويكرس وقته في كل ما يعود على الولد بالنفع الكبير ، والخير العميم .. كما

---

(١) تتلخص النظرية على أن أصل الإنسان جرثومة حية ، ثم تطورت من حال إلى حال حتى وصلت الى قرد ، ومنه إلى انسان ، ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » لترى الرد العلمي على النظرية ، وكيف تهاوت تحت مطارق البحث والمنهج العلمي ؟

(٢) من رسالتنا « إلى ورثة الأنبياء » صفحة : ٤٢

عليه أن يربط الولد بالمسجد والعالم الرباني ، أو ما يتعلق بربطه بالرفقة الصالحة ، أو بربطه بالدعوة الواعية .. وبهذا يكون الأب أو المربي قد أحاط الولد بسياج من العقيدة الإسلامية الراسخة ، وبمناعة من الخلق الإسلامي القويم .. فعندئذ لا يتأثر بزيغ أو إلحاد ، ولا ينساق وراء ميوعة أو انحلال !! ..

* * *

٥ – تقوية الصلة بين المربي والولد :

من القواعد التربوية المجمع عليها لدى علماء الاجتماع والنفس والتربية .. تقوية الصلة ما بين المربي والولد ، ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي .. على أنبل معنى !! ..

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول النيّرة أنه إذا كان ثمة جفوة ما بين الولد والمربي أو ما بين الطالب والأستاذ .. فلا يمكن أن يتم تعليم ، أو تتحقق تربية .. لذا وجب على الآباء والمربين أن **يبحثوا عن الوسائل الإيجابية** في تحبيب الأولاد بهم ، وتقوية الصلة بينهم ، وإيجاد التعاون معهم ، واستشعار الشفقة عليهم ..

فمن هذه الوسائل ألّا تفارق ثغر المربي الابتسامة للولد ، لما روى الترمذي عن أبي ذر : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » .

ومن هذه الوسائل تشجيع الولد بالهدية في كل أمر يحسنه ، أو دراسة يتفوق بها ، لما روى الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » .

ومن هذه الوسائل استشعار الولد الاهتمام به والشفقة عليه ، لما روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » .

ومن هذه الوسائل معاملة الولد بحسن الخلق ، وسياسة الملاطفة ، لما روى الترمذي والنسائي والحاكم ، وقال : رواته ثقات عن أبي هريرة رضى الله عنه : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله ».

ومن هذه الوسائل تلبية المربي رغبة الولد لتكون عوناً له على برّه ، لما روى أبو الشيخ عن النبي ﷺ أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

ومن هذه الوسائل اندماج المربي بالولد ، والمباسطة معه ، والتصابي له ؛ لما روى الطبراني عن جابر قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة ، وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدْلان أنتما » ..

ونبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه – وهو المربي الأول ، والقدوة الصالحة للناس جميعا – كان المثل الأعلى في تطبيق هذه الوسائل الإيجابية بين أصحابه ، وبين كل من يلوذ به من أهل وولد ..

فمن ناحية التبسم يقول أبو الدرداء – كما روى الإمام أحمد – : « ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدّث حديثاً إلا تبسّم » .

ويروي الترمذي عن جرير بن عبد الله : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسّم » .

ومن ناحية المهاداة ، فكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويثيب عليها .

ومن ناحية الرحمة بالأولاد ، والاهتمام بهم ، والشفقة عليهم ..

كان عليه الصلاة والسلام يمسح رؤوس الصبيان ، ويقبلهم ، جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التيمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة ما قبلتُ منهم أحداً قط ! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ « كان إذا أُتي بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجْد أمه » .

ومن ناحية حسن أخلاقه ، وملاطفته لأصحابه عليه الصلاة والسلام فإنها أكثر من أن تحصى ..

– جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أفٍ قط ولا قال لشيء صنعته : لم صنعتَه ؟، ولا لشيء تركتُه : لم تركته ؟ وفي رواية لأبي نعيم : قال أنس : فما سبّني ﷺ قط ، ولا ضربني من ضربة ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمر في أمر فتوانيتُ فيه فعاقبني عليه ، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال : « دعوه لو قدر شيء كان » .

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ؟ فقالت : (كان ألين الناس ، بسّاماً ضحّاكا ، لم يُرَ قطّ مادًا رجليه بين أصحابه) وذلك لعظيم أدبه ، وكمال وقاره عليه الصلاة والسلام .

– روى الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد عن عليّ كرم الله وجهه قال : استأذن عمار على النبي ﷺ ، فعرف صوته فقال : « مرحباً بالطيّب المطيَّب » .

– أخرج الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يلقى الرجل فيقول له : « يا فلان كيف أنت ؟ فيقول : بخير أحمد الله ، فيقول له النبي ﷺ : – جعلك الله بخير » .

– روى الطبراني عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه قال : لما بُعث النبي ﷺ أتيتُه فقال : « ما جاء بك ؟ » ، قلتُ : جئت لأسلم ، فألقى إلي كساءه وقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

– وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟، فقال جابر : نعم كثيراً ، كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلّاه الذي يصلّي فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم عليه الصلاة والسلام .

– وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : إنْ كان النبي ﷺ ليخالطنا – أي يلاطفنا ويمازحنا – حتى يقول لأخ لي : (يا أبا عمير ، ما فعل النُّغير ؟)

أي – الطير – لأنه كان له (نُغَير) يلعب به فمات ، فحزن عليه فقال النبي ﷺ له : (يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟) ..

فانطلاقاً من هذه الوسائل الإيجابية التي كان يعامل بها النبي ﷺ أصحابه ، ويقابل بها الناس حتى الصغار والصبيان .. أحبّه الأصحاب محبة صادقة مخلصة ، وبذلوا نفوسهم إيماناً به ، وفداء له ، وحباً فيه ، فكانوا كما وصفهم الله سبحانه : (لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه) ، ولا يؤثرون أحداً عليه .

– ومما يؤكد هذه المحبة الصادقة المخلصة قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وقد سئل كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : « كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ » .

– ومما يؤكد هذه المحبة ما رواه البيهقي وابن اسحاق أن امرأة من الأنصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها ، شهداء يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ (وأرادت بذلك السؤال عن سلامته وبقائه) ، قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبّين .

فقالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته عليه الصلاة والسلام قالت : « كل مصيبة بعدك جلل » ، أي بعد سلامتك هينة ..

– ومما يؤكد هذه المحبة **أنه لاصبر لهم على مفارقته في الدنيا وفي الآخرة** ..

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها .. أن رجلا هو ثوبان – أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لأنت أحبّ إلي من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك ، وإني ذكرتُ موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعْتَ مع النبيين ، وإن دخلتها لا أراك أبداً . فأنزل الله تعالى هذه الآية :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] ، فدعا به النبي ﷺ فقرأ الآية عليه .

– ومما يؤكد هذه المحبة **بكاؤهم عند ذكره ﷺ .**

أخرج ابن سعد عن عاصم بن محمد عن أبيه قال : ما سمعت ابن عمر ذكر رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان .

وروى ابن سعد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ ، ثم يبكي .

وروى ابن عساكر بسند جيد – كما نص عليه الحافظ الزرقاني – عن بلال رضي الله عنه أنه لما نزل (بداريا) – اسم مكان قريب من الشام – رأى النبي ﷺ في المنام – أي بعد وفاته – وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه بلال حزيناً خائفاً . فركب راحلته ، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرّغ وجهه عليه .

فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فجعل بلال يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : نتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله ﷺ في المسجد . فعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما قال : « الله أكبر ، الله أكبر » : ارتجّت المدينة ، فلما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » ازدادت رجتها ، فلما قال : « أشهد أن محمداً رسول الله » خرجت العواتق – النساء – من خدورهن وقالوا : أبُعث رسول الله ﷺ ؟! فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم .

وذلك لتذكرهم رسول الله ﷺ بسبب سماع الأذان من مؤذنه بلال رضي الله عنه .

– ومما يؤكد هذه المحبة **ضجيج بكاء الصحابة لوفاته عليه الصلاة والسلام ..**

أخرج الواقدي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لوفاة رسول الله ﷺ لم ننم ، ورسول الله ﷺ في بيوتنا ، ونحن نتسلّى برؤيته على السرير . إذ سمعنا صوت الكرازين – أي صوت الفؤوس يحفر بها – في السحر ، وأذن بلال الفجر وانتحب . فزادنا حزناً ، وعالج الناس الدخول – أي الوصول إلى القبر – فغُلق دونهم – (أي منعوا من الهجوم إلى القبر الشريف وقت الدفن) .

قالت أم سلمه رضي الله عنها : فياها من مصيبة !، ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ .

يقول أبو العتاهية في هذا المعنى :

اصبر لكل مصيبة وتجلّد
واعلم بأن المرء غير مخلّد
أو ما ترى أن المصائب جَمَّة
وترى المنيةَ للعباد بمرصد
مَن لم يُصَبْ ممن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست فيه بأوحد
فإذا ذكرتَ محمداً ومصابَه
فاذكر مصابك بالنبيّ محمد

فمما عرضناه آنفاً من الوسائل الإيجابية التي وجه إليها نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في التحبب إلى الناس ، وتوثيق أواصر المودة لهم ، واستشعار معنى الاهتمام بهم ، وإيجاد روح التعاون معهم .. يتبين لكل ذي عينين أن من أكبر الأسس في تكوين الشخصية الإسلامية ، وتربيتها على الفضائل . وتعويدها على خلق المكارم .. هو توثيق أواصر المحبة والإخاء والتفاهم .. ما بين المربي والولد .. لتتحقق بينهما الفائدة المرجوّة ، والأثر الطيب . ويقطف المربي ثمرة سعيه ، ويجني حصاد زرعه .. ويرى الولد يرتع في رياض الصالحين الأخيار ، ويسرح في رحاب المتقين الأبرار !!..

فإذا أردت – أخي المربي – أن يستجيب ولدك إلى ندائك ، ويصغي إلى نصحك وإرشادك .. فما عليك إلا أن تسير على هدي الإسلام ، في التحبيب إلى الولد ، وتتأسى بالنبي ﷺ في معاملته لأصحابه ، وحسن معاشرته لجلسائه .. وبهذا تكون قد سلكت سبيل التربية القويمة ، وأخذت بأفضلها ، وبالتالي تكون أيضاً قد ملكت قلب ولدك ، وشُغِفَ بك حبًّا ، وتعلق بك قلباً ، وتَقَبَّل كل ما ترشد إليه من نصح ، وما تسعى إليه من إصلاح !..

* * *

٦ – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة :

من أوجب المسؤوليات التي يجب أن يهتم المربي بها ، ويسعى إليها .. تسيير الولد على منهج تربوي رتيب في اليوم والليلة حتى يعتاده ، ويدرج عليه ، ويجد تنفيذه في المستقبل أمراً عادياً مألوفاً .. لكونه تأصل في كيانه ، وترسّخ في شعوره وفؤاده ..

وإليك – أخي المربي – تفاصيل هذا المنهج مستوحى من هدي الإسلام لعلك تأخذ به وتسير عليه :

(أ) عند الصباح يتبع المربي المنهج الآتي :

● فما أجمل أن يرافق انتباهك وانتباه ولدك من النوم ذكر الله عز وجل ، وذلك بقراءة الدعاء المأثور : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) رواه البخاري ومسلم .

« لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ، ولا تُزغْ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب » رواه أبو داود .

● ثم إن كان للولد حاجة إلى دخول بيت الخلاء فعلمه – أخي المربي – **آداب الدخول ، وآداب الاستنجاء :**

– علّمه أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، وتقديم اليمنى خروجاً ، لورود البدء بالتيامن فيما هو شريف ، والبدء بالتياسر فيما هو دنيء .

علّمه عند دخوله إلى الخلاء الدعاء بالمأثور : « اللهم إني أعوذ بك من الخُبث[1] والخبائث » رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

– علمه ألا يصحب معه ما فيه ذكر الله بشكل ظاهر ، لما روى أصحاب السنن عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله إذا دخل الخلاء وضع خاتمه . وكان منقوشاً عليه (محمد رسول الله) كما روى الحاكم .

---

(١) المراد بالخبث والخبائث : ذكران الشياطين وإناثهم .

– علّمه أن يبتعد عن أعين الناس إذا كان في الفلاة ؛ لما روى أبو داود عن جابر رضي الله أن النبي ﷺ كان إذا أراد البَرَاز انطلق حتى لا يراه أحد .

– علمه ألا يستقبل القِبْلة ولا يستدبرها ، لما روى البخاري ومسلم .. عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا أتيتم الغائط ، فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » .

– علمه ألا يقضي حاجته في ظل الناس وطريقهم وأماكن جلوسهم ، لما روى مسلم وأحمد .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا اللاعنَيْن[1] ، قيل : وما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم » .

– علّمه ألا يتكلم مطلقاً عند قضاء الحاجة ، لما روى مسلم وغيره .. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً مرّ على النبي ﷺ – وهو يبول – فسلّم عليه ، فلم يردّ السلام .

– علّمه أن يستبرىء من البول ، وأن يتجنب النجاسة حتى لا تصيب ثوبه أو بدنه ، لأن عامة عذاب القبر من عدم الاستبراء من البول ، لما روى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » .

– علمه ألّا يستنجي بيمينه ، لما جاء في الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذَكَرَهُ بيمينه ، ولا يستنج بيمينه ، ولا يتنفس في الإناء » .

– علّمه أن يجمع ما بين المسح بالورق والماء في حالة الاستنجاء فإن هذا الجمع أفضل ، لما روى البزار وابن ماجه والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) اللاعنين : الأمرين الجالبين للعن ، اللاعين إليه . وهما التغوّط في الطريق أو الظل .

قال لأهل قباء : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور ، فما ذاك ؟ قالوا : نجمع في الاستنجاء بين الأحجار[1] والماء » .

– علمّه عند الخروج من الخلاء أن يقدم رجله اليمني ويدعو بالدعاء المأثور :

« **غفرانك** » رواه أبو داود والترمذي .

« **الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني** » ابن ماجه .

وقد ورد : « الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيّ قوّته ، ودفع عني أذاه » .

– علمه عند الخروج من الخلاء أن يغسل يديه بالماء والصابون ، لما روى النسائي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنتُ مع النبي ﷺ ، فأتى الخلاء ، فقضى الحاجة ، ثم قال : يا جرير هاتِ طَهوراً ، فأتيته بالماء ، فاستنجى ، وقال بيده ، فدلك[2] بها الأرض » .

● **ثم اشرع معه بالوضوء :**

– بيّن له فضل الوضوء ، وأنه يغفر الذنوب ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه ، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب » .

– علمّه الدعاء بالمأثور بعد الفراغ من الوضوء :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » رواه مسلم وأحمد ..

« اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » رواه الترمذي .

---

(١) الآن يقوم الورق مقام الحجر .

(٢) والآن يقوم الصابون مقام الدلك بالتراب .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » رواه النسائي .

– علمّه أن يصلي ركعتين بعد كل وضوء ، لما روى مسلم وأحمد .. عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »[1] .

● **ثم اشرع معه في أن يصلي ما تيسر من الليل :**

لما روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين » .

وقبل الصلاة يدعو بدعاء التهجد ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال :

« اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيّم السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت مَلِكُ السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والنار حق ، والجنّة حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت : أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك » .

وليس لصلاة الليل عدد معين ، فليصلّ طاقته ويسره ، وليصلّ ركعتين ، ركعتين .. ، لما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة » .

---

(١) أما كيفية الوضوء وآدابه فيمكنك – أخي المربي – أن ترجع الى أي كتاب من كتب الفقه للاستفادة والتعليم ، واذكرك بسنة السواك الذي ورد فيه أكثر من مائة حديث .

– ومن فضائل قيام الليل أنه **سبيل إلى الجنة** ، لما روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

– ومن فضائله **أن القائم بالليل يكتب عند الله من الذاكرين والذاكرات** ، لما روى أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ايقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً كُتب في الذاكرين والذاكرات » .

– ومن فضائله أنه **قربة إلى الله ، ومكفر للخطايا** ، لما روى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقُربَة إلى ربكم ، ومَكْفَرَةٌ للسيئات ومنهاة عن الإثم » .

● **ثم اشرع في أن يصلي صلاة الفجر في المسجد :**

علّمه الدعاء بعد الأذان ، لما روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول[1] ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة : فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة : حلّت له الشفاعة » .

والدعاء بعد الأذان يكون بالصيغة التي صحت عن رسول الله ﷺ .

روى البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : من قال حين يسمع النداء : « اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة » .

---

(١) أي أن يقول مثل ما يقول المؤذن تماماً إلا في قول المؤذن ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح فإنه يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » كما روى الإمام مسلم ...

– بين له فضيلة صلاة الجماعة في المسجد ، لما روى أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بشّروا المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة » .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » .

– علّمه قراءة التسبيحات والدعاء بعد الفراغ من الصلاة ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَن سبّح الله تعالى في دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

الدعاء الوارد بعد صلاة الفجر والمغرب :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » عشر مرات (الترمذي) .

« **اللهم أجرني من النار** » سبع مرات (أبو داود) .

« **اللهم إني أسألك الجنة** » ثماني مرات .

الدعاء الوارد بعد كل صلاة :

« **اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام** » .

(مسلم وغيره) .

« **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » .

(ابو داود والنسائي)

« **رب قني عذابك يوم تبعث عبادك** » .

(مسلم)

آية الكرسي ، ثم : قل هو الله أحد ، ثم : المعوذتين قل أعوذ برب الفلق .. قل أعوذ برب الناس ..

« **سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر » ثلاثاً وثلاثين مرة .**

(مسلم)

قال في تمام المنة :

« **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير** » .

(مسلم)

الى غير ذلك من الأدعية المأثورة ...

بيّن له كراهية صلاة النافلة بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر ، لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : قال « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » .

- بيّن له كراهية الصلاة مطلقاً عند شروق الشمس ، وعند الظهيرة ، وعند الغروب[1] ، لما روى مسلم وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن ، أو نقبر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تَضيّف (تميل) الشمس للغروب حتى تغرُب » .

- **ثم اشرع معه بأذكار الصباح :**

لورود الأمر بالذكر والحض عليه :

قال تعالى :

﴿ فاذكروني أذكركم ﴾

(البقرة : ١٥٢)

---

(١) ويقدر الشروق ، وقبيل الظهيرة ، والغروب بنصف ساعة تقريباً .

وقال أيضا :

﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين ﴾ .

(الأعراف : ٢٠٥)

وقال كذلك :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ .

(الأحزاب : ٤١)

– وقال عليه الصلاة والسلام : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه الشيخان .

– وروى الشيخان عنه ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت . » .

– روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة ، قال : أمَا لو قلتَ حين أمسيت : « أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق » لم تضرك .

– وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أصبح : « اللهم بك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور » ، وإذا أمسى قال : « اللهم بك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير »[1] .

● ثم اشرع معه بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم :

لما ورد من أحاديث صحيحة في فضل تلاوة القرآن الكريم :

– روى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

---

(١) ارجع إلى المأثورات للإمام الشهيد حسن البنا تغمده الله في رحمته ، ففيها مجموعة جيدة من الأدعية والأذكار الصباحية والمسائية مسندة بالأحاديث الصحيحة .

– وروى البخاري عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه » .

– وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

ولا تترك التلاوة لنفسك وولدك ولو على آيات يسيرات في كل يوم ، وخير العمل أدومه وإن قلّ .

● **ثم اشرع معه بتدريبات رياضية :**

امتثالاً لقوله تبارك وتعالى :

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..** » . **(الانفال : ٦٠)**

وتحققاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير » .

وانطلاقاً من نماذج ترويحية ، ومواقف ترفيهية ، ومبادىء تكوينية وإعدادية .. خط معالمها نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وأظهر تطبيقاتها في عالم الواقع .. لتكون للمربين قدوة .. وقد سبق الكلام عنها في بحث مضى قبل قليل .

وهذه التدريبات تشمل جميع أنواع الرياضة من جري ، وحركات سويدية ، وقفز ، ومصارعة ، وحمل أثقال ، وغير ذلك .

وما أجمل المربي حين يجمع مع من له في عنقه حق التربية بين العبادة والجهاد ، وبين المرح وإعداد وسائل القوة ، وبين الجد والمرح ، وبين الدين والدنيا ، وبين الآخرة والأولى ..

وما أكرمه عند الله وعند الناس حين يُظهر بتوجيهه وفعله واقعية الإسلام ، وسماحة هذا الدين ، وحسن المعاملة لرياحين القلوب ، وفلذات الأكباد !!..

• ثم اشرع معه بمطالعة ثقافية :

امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ .

(طه : ١١٤)

وتحققاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

والولد إن كان طالباً فالمطالعة تكون مدرسية ، حيث يجلس في هذه الساعة الصباحية ليحضر ما يجب تحضيره من إعداد الدروس ، ومراجعة البحوث ، ولا بأس في الجمع بين مطالعة الدراسة ، ومطالعة الثقافة العامة ، لينضج الولد عقلياً ، ويتكون ثقافياً ..

والولد إن كان عاملا فالمطالعة تكون ثقافية حيث يجلس في هذه الساعة الصباحية ليطالع ما يستطيع مطالعته من فنون المعرفة ، وحقائق العلم ، عسى أن يصل إلى مستوى لائق من النُضج العقلي ، والوعي الثقافي ، والشمول العلمي ..

ولا بأس على المربي بأن يستعين ببعض المعلمين أو الأولاد الكبار في تكوين أولاده علمياً ، وإعدادهم دراسياً وثقافياً .. إذا كان وقته لا يسمح في تلقين الولد ، وتوجيهه وتعليمه ..

• ثم اشرع معه بأن يصلي الضحى :

لما ورد من أحاديث صحيحة في فضيلة صلاة الضحى :

– روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد » .

– وروى مسلم وأحمد .. عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يصلي الضحى أربع ركعات ، ويزيد ما شاء الله » .

وأقل صلاة الضحى عند جمهور الفقهاء ركعتان ، وأكثرها ثمان ، ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة تقريباً ، **وينتهي إلى ما قبيل الظهر** بثلاث أرباع الساعة .

● **ثم اشرع معه بتناول طعام الفطور :**

على المربي أن يتقيد بآداب الطعام والشراب كما سبق ذكرها في القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) تحت عنوان (أدب الطعام والشراب) .

وأن يعلمها الأولاد ليعتادوها في حال طعامهم ، وحال شرابهم ، فتصبح لديهم خلقاً وعادة ..

فارجع – أخي المربي – إلى البحث المذكور ، لتقوم على تنفيذه مرحلة بعد مرحلة عند الاجتماع على الطعام مع أهلك وأولادك .

● **ثم اشرع معه بتعليمه أدب الخروج من المنزل :**

– علمه أن يلبس حذاءه أو معطفه مبتدئاً باليمين ، وفي حال الخلع يبتدىء بالشمال ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمني ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال » .

– علمه دعاء الخروج من المنزل ، لما روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال :

« **بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله** » ، يقال له : « حسبُك ، هُديت وكُفيت ، ووُقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال :

« **بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل ، أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا** » .

● **ثم اشرع معه بالتزامه آداب الطريق :**

ـ علمه أن يمشي على الأرض هوناً (مشياً ليناً رفيقاً) ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ .

(الفرقان : ٦٣)

– علّمه أن يغض بصره عن النساء الأجنبيات ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾ وقوله : **﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن .. ﴾**

(النور : ٣٠)

– علّمه أدب السلام وهو أن يسلم بلفظ (السلام عليكم) وأن يرد بلفظ (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) .

ويمكنك – أخي المربي – أن ترجع إلى القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) لتقرأ بحث (أدب السلام) حتى ترشد ولدك إليه ، وتُخلّقه به .

ومن أدب السلام إقراء السلام على من يعرف ومن لم يعرف ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ ، قال : أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام ، على من عرفت ومن لم تعرف .

– علّمه إذا لقي أحداً من إخوانه أن يصافحه ، لما روى أبو داود والترمذي بإسناد صحيح ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المسلمان فتصافحا ، وحمدا الله ، واستغفراه غُفر لهما » .

وفي رواية ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرّقا » .

– علّمه أن يتجنب أخطار الطريق ، وذلك بأخذ الحذر من المركبات والمشي على الرصيف ، لعموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

– علّمه ألا يلقي على الأرض ما يؤذي الناس كإلقاء أشياء تسبب الانزلاق ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » ، كما عليك أن تعلمه أن يرفع عن الطريق ما يؤذي المارّة من رفع حجر أو إماطة ضرر ، لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

– علّمه على العموم حق الطريق ، لما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » ، فقالوا يا رسول الله : ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه » قالوا ، وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : **« غضُّ البصر ، وكفّ الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »** .

– علّمه إن ذهب إلى المدرسة أو المصنع أن يؤدي حق الرفيق : السلام إذا لقيه ، وعيادته إذا مرض ، وتشميته إذا عطس ، وزيارته في المناسبات ، وإعانته وقت الشدّة ، وإجابة دعوته إذا دعاه ..

وقد فصلنا القول عن هذه الحقوق في بحث (حق الرفيق) في القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) فارجع اليه تجد البحث وافياً مدعماً بالدليل .

علّمه أيضاً أن يؤدي حق معلمه سواء أكان معلماً في مدرسة أو كان معلّما في معمل : أن يتواضع له ، أن ينظر إليه بعين الإجلال والاحترام ، ألّا ينسى له فضله عليه ، أن يصبر على سوء خلقه إذا غضب ، أن يجلس بين يديه جلسة الأدب ، أن يدخل عليه باستئذان ، أن يصغي إليه عند التحدث ..

وقد فصلنا القول أيضاً عن هذه الحقوق في كتاب (التربية) الآنف الذكر ، فارجع إليه – أخي المربي – تجد البحث وافياً مدعماً بالشواهد والدليل .

وأخيراً أوصه قبل أن يخرج بتقوى الله عز وجل ، ومراقبته في السر والعلن ، والمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، والا يصحب إلا أهل التقوى والايمان ، وألا يظهر منه سوء أدب ، أو فساد خلق يسيء إلى سمعته ، ويخل بوقاره !..

(ب) وعند المساء يتبع المربي المنهج الآتي :

● احرص على أن تكون صلاة المغرب والعشاء في مسجد الحي :

للحديث :« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » رواه الشيخان .

– احرص على أن ترتدي وأولادك ثوب الزينة عند كل صلاة لقوله تبارك وتعالى :

﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ . (الأعراف : ٣١)

ـ احرص على ألاّ يأكل ثوماً ولا بصلاً عند الذهاب إلى المسجد حتى لا يتأذى الناس ، لما روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجدنا » .

– احرص على أن يظهر بمظهر الأناقة والنظافة والطّيب في المسجد وفي كل مكان ، لما روى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله طيّب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

أما المرأة فلا تمسّ الطيب إذا أرادت الخروج إلى المسجد ، للحديث الذى رواه مسلم : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ طيباً » لعدم إثارة الفتنة بين الرجال .

– احرص على أن يكون الدخول الى المسجد بسكينة ووقار ، لما روى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جَلَبَة رجال (ضجّة) ، فلما صلى قال : ما شأنكم ؟ قالوا : استعجلنا إلى الصلاة ، قال : (فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلّوا ، وما فاتكم فأتموا) .

– احرص على قراءة هذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة لما روى أحمد وابن ماجة وابن خزيمة .. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من خرج من بيته إلى الصلاة فقال :

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق خروجي إليك ، إنك تعلم أنه لم يخرجني شر ولا بطر ، ولا سمعة ولا رياء ، خرجت هرباً وفراراً من ذنوبي إليك ، خرجت رجاء رحمتك ، وشفقة من عذابك ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار برحمتك » .

وروى مسلم أيضاً :

« **اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، واجعل في سمعي نوراً ، واجعل في بصري نوراً ، واجعل من خلفي نوراً ، ومن أمامي نوراً ، واجعل من فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، اللهم أعطني نوراً** » .

– فإذا وصلتم إلى المسجد ، فاحرصوا على تقديم الرجل اليمنى عند الدخول واقرؤوا هذا الدعاء :

« **أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم** » .

« **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد** »

« **رب اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك** » .

لما ورد فيما رواه أبو داود ومسلم والنسائي والترمذي .

– احرصوا على صلاة ركعتين تحية للمسجد قبل الجلوس ، لما أخرج الشيخان .. عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

– بعد الانتهاء من صلاة الجماعة اشرع مع أولادك بالأذكار الواردة التي سبق ذكرها .

– فإذا خرجت من المسجد قدم الرجل اليسرى عند الخروج واقرأ هذا الدعاء :

« **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد** » .

« **ربّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك** » .

فاحرص على أن تعلمها أولادك ، بعد أن يقتدوا بك في تطبيقها .

● **أحرص على أن يؤدوا واجباتهم المدرسية من كتابة وظائف ، ومراجعة أبحاث ، وحل مسائل ، وفهم دروس** .. على أحسن وجه ، وأرشدهم إلى أن يتقنوا أعمالهم ، وينجزوا دراستهم على أكمل مثال تحققاً بقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

«﴿ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ولا بأس في تذكير الولد دائماً فضيلة العلم والتعلم بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكلمات التوجيهية ..

– فتذكيره بالآيات :

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

(الزمر : ٩)

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

(المجادلة : ١١)

﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ .

(طه : ١١٤)

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ .

(فاطر : ٢٨)

– وتذكيره بالأحاديث :

روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا ملعونة ، وملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه (أطاعه) .. وعالماً أو متعلماً » .

وروى الترمذي عن أنس : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت يصلّون على معلمي الناس الخير » .

– وتذكيره بالكلمات التوجيهية :

كان يقول المربي للولد : إن العلم يرفع من قدر الرجال ، ويجعلهم في مصافّ العظماء الأبطال ، ويكونون محل احترام الناس ، وتقدير المجتمع ..

وإن الجهل يهدم بيوت العز والكرم . ويجعل من المتصفين به أناساً لا وزن لهم ولا احترام بين صفوف العلماء ، وطبقات المثقفين ، ورجال الفكر والإصلاح .. ورحم الله الإمام الشافعي حين قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

ورضي الله عن الإمام عليٍّ حين قال :

فقم بعلم ولا تبغ به بدلاً
الناس موتى وأهل العلم أحياء

إلى غير ذلك من التوجيهات القيمة التي تحضّ على العلم ، وترغّب فيه ، وتبيّن من منزلته الكبرى عند الله ، وعند الناس ..

والمربيّ لا يعدم الوسائل في تلقين الولد فضل العلم والعلماء سواء ما يتعلق بسرد الموعظة ، أو ما يتعلق بعرض القصة ، أو ما يتعلق بضرب الأمثال ، أو ما يتعلق بالاستشهاد بالشعر وأقوال السلف ..

• **احرص على أن تلقن أولادك في السهرة فضيلة خلقية ، أو مأثرة اجتماعية ، أو معجزة نبوية ، أو قصة تاريخية ، أو حقيقة علمية** .. ليستفيد الأولاد من توجيهاتك ، ويتأثروا من مواعظك .

ولنضرب على ذلك مثلا :

حينما تمر على المسلمين مناسبة عظيمة **كمناسبة (الإسراء والمعراج)** مثلاً ، إجمع – أخي المربي – أهلك وأولادك لتبين لهم الحقائق التالية :

١ – **حادثة الإسراء والمعراج معجزة خالدة** أكرم الله بها نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه في وقت عصيب ، وزمن رهيب ، في وقت أمعن الكافرون في تعذيبه ، والتصدي لدعوته ، والتنكيل بأتباعه وأصحابه ..

قبل الهجرة بعلم كان الإسراء والمعراج ، أو بالأحرى كان الإعزاز والإكرام ، كانت الرحلة المباركة في ملكوت السموات والأرض ..

٢ – ما معنى الإسراء والمعراج ؟

معنى الإسراء : توجهه صلوات الله عليه ليلًا من مكة إلى بيت المقدس في لحظات .

ومعنى المعراج : صعوده عليه الصلاة والسلام إلى السبع الطباق في لمحات .

وكلا الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد ، لتسطر لرسولنا العظيم المعجزة الخالدة في سجل معجزاته الكثيرة التي هي دلائل صادقة على نبوته ، وبراهين ناطقة على صدق رسالته ..

٣ – ما هي أهم المشاهد التي رآها النبي عليه الصلاة والسلام في رحلته المباركة ؟

روى الطبراني والبخاري والبيهقي والبزار .. أنه عليه الصلاة والسلام : « مرّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل عليه السلام ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يُخْلفه وهو خير الرازقين » .

– « ثم أتى على قوم تُرْضخ رؤوسهم بالصخر (تكسر) ، كلما رُضخت عادت كما كانت ، ولا يفتّر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

– « ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع ، والزقوم ، وَرَضْف جهنم ، فقال : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلّام للعبيد » .

– « ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج ، في قدر ، ولحم نيّء خبيث في قدر ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ، ويدعون النضيج ، فقال : ماهؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى تصبح ، والمرأة يكون عندها الرجل الحلال ، فتأتي رجلاً خبيثاً ، فتبيت عنده حتى تصبح » .

- « ثم أتى على قوم تُقرَضُ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتّر عنهم من ذلك ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة » .

- « ومرّ بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون جمراً فيخرج من أسافلهم . فسأل جبريل مَنْ هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » .

- « ومرّ بقوم يقطع من جنوبهم اللحم ثم يطعمونه ، فسأل جبريل من هؤلاء ؟ فقال : إنهم الغمازون اللمازون » (أي المستهزؤون العيّابون) .

إلى غير ذلك من هذه المشاهد التي مُثّلت للنبي عليه الصلاة والسلام ليلة إسرائه ومعراجه .

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه اجتمع في هذه الرحلة المباركة بالأنبياء والمرسلين يرحبون به ويسلمون عليه ، وأنه ﷺ صلّى بهم جماعة في المسجد الأقصى .

ويستطيع المربي بعد سرد هذه المشاهد أن يركز على أهمية الصلاة ، ومصير الذين يتثاقلون عنها ، وماذا يلقون من إهانة وعذاب ، وإن الصلاة فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج ، ليعرج المسلم بروحه في لحظات الخشوع إلى السماء يستمد من الله عز وجل عزم الحياة ، وروح الجهاد ، وحساسية التقوى .. وفي ذلك ترفع للمسلم عن رعونات الحياة ، ووساوس النفس الأمّارة ، ومطامع الدنيا الفانية ..

كما أنه يستطيع أيضاً أن يحذّر من الزنى ، وأكل المال بالباطل ، ومن الغيبة والنميمة ، والاستهزاء بالآخرين .. وذلك في التعليق على كل مفسدة ذكرها عليه الصلاة والسلام في سرد مشاهده بعد أن انتهى من رحلته المباركة .. عسى أن ينزجر الأولاد عن الفساد حين يعرفون شيئاً عن نهاية المفسدين ومصيرهم !!..

٤ – ماهي صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ؟

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في مقال له : (أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهو صلة الشرف بالشرف ، فسكان مكة أشرف أهل الأرض لأنهم حراس الكعبة وسدنتها من لدن إبراهيم عليه السلام ، والمسجد الاقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ .. فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين ، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين .. ليهتدي العالم الضال ، والإنسانية الحائرة بنور الإيمان ، ورسالة الإسلام .. وتمضي السنوات بسرعة فائقة بعد حادثة الإسراء ، وإذا المسلمون يدقون أبواب بيت المقدس هادين وفاتحين ، ثم إذا هم ينطلقون من بيت المقدس شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً .. **ليضعوا الشام ، والعراق ، ومصر في مملكة واحدة** ، تنبعث منها جيوشهم إلى أنحاء الدنيا فاتحة محرّرة ..

هذا أول أنباء المعجزة الخالدة من قصة الإسراء ، وهذا أول تفسير واقعي وسياسي لمغزاها الكبير العميق .. ثم يمضي التاريخ مسرعاً وإذا جيوش الصليبيين تدق أبواب بيت المقدس ، وإذا المذابح تجري أنهاراً في شوارعها ومسجدها الأقصى ، وإذا هي عاصمتهم الدينية لمدة تقترب مئة سنة .. ثم يمضي التاريخ مسرعاً ، فإذا صلاح الدين الايوبي يدق أبواب بيت المقدس مرة أخرى ، ويحررها من ربقة الصليبية الجائرة ، فلا يراق دم ، ولا تنتهك حرمة ، ولا يخفر عهد .. ويظل بيت المقدس وفلسطين كلها تحت حكم المسلمين ، وتظل كنائسها ومعابدها أمانة في أيديهم ، يحسنون القيام بها ، والحفاظ عليها حتى تدخلها جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . ويقول القائد الانكليزي (ألنبي) قولته المشهورة : (الآن انتهت الحروب الصليبية) ، يقول ذلك وهو يظن أنهم انتزعوها إلى الأبد من أيدي المسلمين ، ويأبى الإنكليز أن يخرجوا من فلسطين إلا بعد أن يخلّفوا وراءهم صنيعتهم القزم (إسرائيل) .

وها هي الدول الكبرى تساند اليهود ، وتفتعل الحروب الطاحنة لتنفيذ المخطط الذي تحلم به إسرائيل حتى انتهت المأساة في حرب ١٩٦٧ / أن يقع المسجد الأقصى ، وبلد الإسراء والمعراج فريسة سائغة في قبضة اليهود .. ولايزال الصراع قائماً بفصوله الدامية بيننا وبين اسرائيل ، ولسنا ندري ما تكشف به الأيام القريبة عن نتائج هذا الصراع ، وعن مطامع اليهود التوسعية !!..

فهل عرفنا السر في حادث الإسراء ؟ وهل أدركنا أي مغزى عظيم قد انطوى عليه هذا الحادث المعجز ؟) .

٥ ما هو واجب المسلمين تجاه فلسطين والمسجد الأسير المستغيث ؟

هو في الحقيقة واجب شاق وصعب ، بل مسؤولية كبرى أمام الله وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال الحاضرة والمستقبلة ..

لقد وضع رسول الله ﷺ بهذا الإسراء أمانة عظيمة في أعناقنا نحن المسلمين ، وهي أن نحرر المسجد الأقصى ، وما حوله من براثن اليهودية الغادرة ، وربقة الصهيونية الحاقدة وأن نحتفظ بأرض فلسطين كجزء لا يتجزأ من وطننا الإسلامي الكبير ، وأن نواصل الكفاح ، ونريق الدماء ، ونقدّم المهج والأرواح .. حتى نخلّص آخر شبر من أرض الإسراء والمعراج من الغزاة المعتدين ، والبغاة الظالمين ..

(إن اسرائيل لن تزول ، وفلسطين لن تتحرر إلا على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، والآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ، الذين يخوضون المعارك أطهاراً متوضئين .. أولئك الذين لا يقف لهم أحد ، ولا تصمد أمامهم قوة إذا نادى فيهم المنادي (الله أكبر) ، (هبّي يا ريح الجنة) ، (يا نصر الله اقترب) ، (يا رجال القرآن زينوا القرآن بالفعال) .

أولئك الذين آمنوا بأنهم إنْ فقدوا ولاية الناس ، ونصرة العالم ، ومساعدة الدول .. فإن معهم جلّ شأنه (وكفى بالله وكيلا ، وكفى بالله نصيراً) ، وإن معهم جنود الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ، أولئك الذين ستتحرر بهم فلسطين وتُقتلع بهم جرثومة اليهودية من أرض الإسلام ، ليس لهؤلاء هدف إلا إعلاء كلمة الله ، ولا عنوان إلا الإسلام ، ولا شعار إلا العبودية لله ، ولا هتاف إلا الله أكبر)(١)

فكل تحرير لفلسطين عن غير هذه المعاني والشعارات .. لا يكون من ورائه - والله - إلا النكسات والوكسات والهزائم المنكرة .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان .

فنرجو من الله أن يهيىء لعزة الإسلام أجيالا مؤمنة تكون من تلك الطائفة التي قد اختارها الله لنصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، والجهاد في سبيله ..

فيا مَن أخلص نفسه لله ، ويا من باع دنياه بآخرته ، ويا من أرخص الروح يوم ينادي المنادي : حيّ على الجهاد ، هبّي ريح الجنة ، يا نصر الله اقترب !!..

وعلى المربي أن يركز في ذهن الأولاد قضية الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المقدسة بشكل مستمر دائم كلما وجد الفرصة سانحة ، والظروف مواتية .. لتتأصل في نفسية الولد حب الجهاد ، وتترسخ في قلبه مسؤولية الأجيال في تخليص المسجد الأقصى من براثن اليهود ، وتحرير فلسطين من دنس الصهيونية الغاشمة . فالتوجيه الدائم له أثره الأكبر ، والنقطة الدائمة تؤثر في الحجر !!..

وهكذا يستطيع المربي في كل أمسية أن يوجه أولاده بما يتلاءم مع إصلاحهم الأخلاقي ، وما يرتبط بواقعهم الاجتماعي ، وما يتصل بتوعيتهم الفكرية والتاريخية ..

ولا بأس بالاستعانة بكتب التفسير والحديث القديمة والمستحدثة ، كما عليه أن

---

(١) من كتاب « دروس من النكبة » للأستاذ القرضاوي .

يستعين بالكتب التي عالجت تزكية النفوس ، ووقائع السيرة والتاريخ ، ونظم الإسلام المتنوعة[1] .. وعلى الله قصد السبيل .

• احرص على إدخال المرح والسرور في جو العائلة ، ومحيط الأسرة ..

– وذلك بإجراء مسابقات ثقافية بين الأولاد الهدف منها : قدح الأذهان ، وشحذ العزائم ، وتكوين الثقافات ، ونشر روح المرح في جو الأسرة .

– وبإلقاء النكات الطريفة ، واللطائف الجميلة ، والحكايات الظريفة .. الهدف منها : تجديد النشاط ، وقتل السآمة والملل في النفوس ..

– وبالقيام بألعاب رياضية ، ومحاورات أدبية ، وتمثيليات اجتماعية وتاريخية .. الهدف منها : تنشيط الدورة الدموية ، وتثبيت الدعائم الخلقية ، وتكوين التوعية الفكرية ..

وقد مر بك – أخي المربي – نماذج من ممازحته عليه الصلاة والسلام للأصحاب ، ومن ملاعبته للصبيان ، ومن سنّه للهو الهادف المباح .. فتأسى بنبي الهدى والرحمة والتسامح ، لتضْفي على البيت المرح والحبور ، وتدخل في نفوس أولادك الفرح والسرور ..

• احرص على أن يكون النوم للجميع باكراً لأن السهر مضرّ بالصحة ، مرهق للأعصاب ، قاتل لبركة البكور ، مسبب لفوات الصلاة عند الفجر ، وارتخاء البدن عند النهوض ..

والنوم باكراً والاستيقاظ باكراً هما من سيماء الإسلام ، ومن فعله وتوجيهه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) من كتب التفسير التي اقترحها :
التفسير لابن كثير ، « الظلال » للمرحوم سيد قطب .
من كتب الحديث : « الترغيب والترهيب » للمنذري ، « رياض الصالحين » للنووي ..
من كتب التزكية للنفوس : «الإحياء» للإمام الغزالي ، « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة المقدسي ، « رسالة المسترشدين » للمحاسبي .
من نظم الإسلام والسيرة : « فقه السيرة » للأستاذ البوطي والغزالي ، « روح الدين الإسلامي » للأستاذ طبارة ، « النظم الإسلامية » للدكتور صبحي الصالح .

أما النوم باكراً من سيماء الإسلام فلكراهته ﷺ النوم قبل العشاء والحديث بعدها ، لما روى البخاري عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها » .

والحديث بعدها إذا كان لغرض نافع ، وتربية فاضلة ، وتعليم مفيد .. فإنه جائز ، لما روى البخاري وأحمد عن عمر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يسمُرُ عند أبي بكر رضي الله عنه الليلة ، كذلك في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه » .

وأما السمر بعد العشاء مع الأهل فجائز مطلقاً ، لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : « رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي ﷺ عندها لأنظر : كيف صلاة رسول الله ﷺ ؟ قال : فتحدث النبي ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد .. » .

وأما السهر في اللغو والغيبة والمعصية كما يسهر الناس اليوم على أكل لحوم الناس ، ومشاهدة مرائي التلفاز الآثمة .. فإنه حرام باتفاق .

وأما أن الاستيقاظ باكراً من توجيهاته عليه الصلاة والسلام ، فلما روى الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ : « بورك لأمتي في بكورها » .

ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعرفها المربي أن الجسم ينبغي أن يأخذ حظه من النوم والراحة ، حتى ينشط كل النشاط في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ..

والولد بشكل خاص ينبغي الاعتناء به من ناحية صحته ونومه لأنه يمر بأطوار النمو الجسمي والعقلي والنفسي .. فعلى الأقل يجب أن يكون نومه بين اليوم والليلة ثماني ساعات ، وإلا .. فإن جسمه سيتعرض للضعف والانهيار .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه كان ينام القيلولة بعد صلاة الضحى ، ليعوّض ما فاته من النوم ليلا .. وهذا توجيه كريم لهذه الأمة حتى تكون صحيحة الجسم ، قوية الهمة ، متجددة النشاط والحيوية ..

• احرص على أن يقبِّل الأولاد قبل نومهم يد[1] أبويهم ، وأن يقرأوا دعاء النوم المأثور ، وأن ينووا الاستيقاظ للتهجد وصلاة الفجر ، ليستأنفوا برنامجهم اليومي من جديد .

من السنة إذا أويت إلى الفراش أن تنفضه بإزار مخافة التعرض لحشرة مؤذية ، ثم تضطجع على شقك الأيمن وأنت على وضوء ، ثم تقول :

« **الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآونا ، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوى** »

(مسلم وغيره)

ثم تقرأ آية الكرسي .
ثم تنفث في يديك ، وتقرأ .
– قل هو الله أحد ..
– قل أعوذ برب الفلق ..
– قل أعوذ برب الناس ..

وتمسح بهما ما استطعت من جسدك ، تفعل ذلك ثلاث مرات (البخاري ومسلم) .
ثم تسبّح الله ثلاثاً وثلاثين .
وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين .
وتكبّر الله ثلاثاً وثلاثين . (مسلم) .

ثم تضع يدك اليمنى تحت خدّك وتقول (**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**) ثلاث مرات . (الترمذي) .

وأخيراً تقرأ هذا الدعاء :

---

(١) ارجع إلى بحث « تقبيل يد الكبير » من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » القسم الثاني صفحة : ٣٥٧ لترى الدليل على جواز تقبيل اليد للكبير .

- ﴿ باسمك اللهم أحيا وأموت ﴾ .

(البخاري ومسلم)

﴿ باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ﴾

(البخاري ومسلم)

﴿ اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ﴾ ..

(مسلم وغيره)

﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر ﴾ .

(مسلم وغيره)

- ﴿ اللهم اني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ﴾ .

(البخاري ومسلم)

ثم نم بنيّة الاستيقاظ على صلاة التهجّد والفجر ، فستيقظ بإذن الله . وإذا أصابك أرق فاقرأ هذا الدعاء فإنك تنام بإذن الله ، روى الترمذي عن بريْدَة رضي الله عنه قال : شكا خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه ، فقال يارسول الله : ما أنام الليل من الأرق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : إذا أويت إلى فراشك فقل :

« اللهم ربَّ السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليَّ أحد أو يبغي علي ، عزَّ جارك ، وجلّ ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت » .

ولقد رأيت – أخي المربي – أن هذا المنهج التربوي في اليوم والليلة جمع ما بين الذكر والعبادة وآداب الإسلام ، ومزج ما بين الرياضة والثقافة والمرح .. وركز على جوانب معينة من التوجيه والإعداد والتربية ..

فإذا كنت من المواظبين عليه ، والمطبقين له ، والمتمسكين به .. فإن ولدك – ولاشك – سينشأ على الطهر والأخلاق ، ويتدرّج على سلم الإيمان والتقوى ، ويكون إنساناً سوياً متزناً يخشى الله في السر والعلن ، ويراقبه في المنقلب والمثوى ، ويلتزم مبادىء الإسلام في الحل والترحال .. بل يعطي للأولاد الذين حوله القدوة الصالحة في ورعه وتقواه ، والأسوة الحسنة في تطبيقه ومعاملته .. فاحرص على التطبيق – أخي المربي – من غير سآمة ولا ملل ، حتى ترى ولدك في مصاف المتقين الأبرار ، وما ذلك على الله بعزيز .

ولكن عليك أن تلاحظ في هذا المنهج الأمور التالية :

١ – أن تحرص على تطبيق ما جاء في فصل (الوسائل المؤثرة في تربية الولد) وما جاء في فصل (مسؤولية التربية الاجتماعية) في توجيهاتك لأولادك في الفترة المسائية والصباحية وفي كل الأوقات .

٢– هذا المنهج التربوي يصلح للأولاد الذين شارفوا سنّ التمييز وما بعده ، أما إذا كان الأولاد ما قبل سن العاشرة فعلى المرّبي أن ينهج معهم نهجاً تربوياً آخر ، يتلخص في شيئين :

(أ) تلقينهم مبادىء العقيدة الإسلامية ، وتعليمهم أركان العبادة ولاسيما الصلاة .

(ب) تلقينهم مبادىء الأخلاق الإسلامية من صدق ، وأمانة ، وبرّ الوالدين ، وتقيد بألفاظ الخطاب الجميلة .. كما عليك أن تحذّرهم من الكذب والخيانة ، والعقوق ، وكلمات السبّ والشتائم ...

وهذا المنهج التربوي الآخر للصغار يتفق مع المبدأ الذي خطّه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال :

« أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم » .

(رواه الديلمي)

٣ – اجعل من المنهج اليومي جزءاً من الوقت لتسأل أولادك ماذا يتوجهون ويتعلمون ، فإن رأيت التوجيه الذي يتلقونه من المدرسة غير متلائم مع عقيدة الإسلام ، وأخلاق الإسلام .. فما عليك إلا أن تصحح لهم الأفكار ، وتحذرهم من معلمي السوء والزيغ .. وتتخذ الإجراءات الحازمة تجاه من يُلحدون بالإسلام ، ويخونون أمانة التربية الفاضلة ، ويوقعون الأولاد في شباك الإلحاد والضلال !..

٤ – لقن أولادك بشكل دائم مبادىء الأخوة والمحبة ، والتعاون ، والإيثار ، حتى إذا بلغوا سن الكبر كان التعاطف فيما بينهم خلقاً وعادة ، وكان برّهم لأبويهم طواعية واختياراً .. بل تراهم المثل الأعلى في التعاطف والمحبة والبر ..

٥ – كلما رأيت الفرصة سانحة لإخراجهم إلى نزهة في بستان ، أو تَفَرّج على شاطىء بحر .. فعليك ألا تقصر في هذا الحق التربوي ، حتى تنشط أجسامهم ، وتتروّح نفوسهم ، ويتعلموا من فنون الرياضة والسباحة والألعاب ما فاتهم ..

٦ – صُمْ مع أهلك وأولادك الأيام المندوب صيامها شرعاً .. حتى إذا جلست وإياهم على مائدة الإفطار رأوا منك البشاشة والبشر والملاطفة .. ليعتادوا صيام النفل بقدوتك الصالحة ، وأخلاقك الكريمة ، وأسلوبك الجميل .

٧ – ولا بأس أن تسلك مع أولادك أسلوب الهدايا ، وتلبي لهم ما يطلبونه من مال ، أو شراء حاجات .. ورحم الله أباً أعان أولاده على برّه . ولا يخفى عليك ما للهدايا من أثر كبير في تشجيع الولد على استمراره في عبادة أو مثابرة على اجتهاد ، أو نجاح في امتحان !!..

هذه أهم الاقتراحات التي رأيت أن تتبعها في المنهج التربوي في اليوم والليلة ، فاحرص – أخي المربي – على تطبيقها ، لتكون تربيتك لأولادك على النحو الذي يتطلبه منك الإسلام ، ويمليه عليك الواجب ، والله هو الموفق .

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وهب لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، وعزماً متيناً ، وإرادة قوية إنك خير مأمول ..

* * *

٧ – تهيئة الوسائل الثقافية النافعة :

انطلاقاً من مسؤولية المربين في الواجب التعليمي تجاه مَن لهم في أعناقهم حق التعليم والتربية ، وجب عليهم أن يهيئوا لهم الوسائل الثقافية النافعة المتنوعة حتى ينضج الولد عقلياً ، ويتكون في الحياة فكرياً وعلمياً ..

وأرى أن هذه الوسائل تتركز في الأمور التالية :

١ – تكوين مكتبة خاصة بالأولاد تتناول الأصناف التالية :

(أ) مصحف كريم واضح الكلمات والتشكيل لكل ولد في الأسرة .

(ب) تفسير للسور القصيرة يتلاءم مع أفهام الأولاد الذين هم في سن التمييز .

(ج) تفسير عام للقرآن الكريم يتلاءم مع أفهام الأولاد الذين هم في سن ما بعد التمييز .

(د) كتب خاصة بالحديث الشريف متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

(هـ) كتب خاصة بالفقه ولاسيما العبادات ، متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

(و) كتب خاصة بالعقيدة الإسلامية ، تتناول المعالجة بأسلوب قصة أو حوار ..

(ز) كتب خاصة بالسيرة النبوية والتاريخ ، تتناول المعالجة بأسلوب شيق ، ولغة مبسطة سهلة ..

(ح) كتب فكرية عامة تتناسب مع عقلية الأولاد وأفهامهم حيث تعرض الإسلام ككل على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وترد الشبهات التي يثيرها الأعداء حول نظام الإسلام .

(ط) كتب علمية وتاريخية وأدبية وطبية .. تتلاءم مع أفهام الأولاد ، وتتفق مع ثقافتهم ومداركهم وأعمارهم ..

وإليك – أخي المربي – بعض النماذج عن الكتب التي يجب توفيرها لأولادك في مكتبة البيت ، عسى أن تقوم على شرائها ، لتكون لهم عوناً وذخراً في مستقبل الأيام .. وستجد بجانب كل كتاب العمر الذي يتناسب معه ، وعلى الله قصد السبيل :

١ – سلسلة مع الجيل المسلم ، للأستاذ يوسف العظم .

صدر منها :

١ – براعم الإسلام – القسم الأول : في العقيدة .

٢ – براعم الإسلام – القسم الثاني : في الحياة .

٣ – أناشيد وأغاريد للجيل المسلم .

٤ – أدعية وآداب للجيل المسلم .

٥ – مشاهد وآيات للجيل المسلم .. (نشر المكتب الإسلامي) .

(السن : (٧ – ١٢) سنة

٢ – مكتبة الطفل الدينية (٣٠) قصة

لمؤلفها الأستاذ : محمد عطية الأبراشي

السن (٧ – ١٢) سنة (مكتبة مصر) .

٣ – سلسلة العرب في أوربة ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار .

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٤ – سلسلة قصص الانبياء :

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٥ – سلسلة (الخلفاء الراشدون) ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٦ – مجموعة السيرة النبوية ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٧ – سلسلة (الفدائيون في الإسلام) ..

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب .

السن : (١٢ – ١٦) (دار الوراقة : حمص)

٨ - سلسلة مسلمات خالدات ..

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب

السن : (١٢ - ١٦) المكتبة العصرية : بيروت - صيدا) .

٩ - سلسلة غزوات النبي ﷺ ..

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب .

السن : (١٢ - ١٦) (المكتبة العصرية : بيروت - صيدا) .

١٠ - سلسلة القصص الديني .

للدكتور : محمد رواس قلعه جي

السن : (١٢ - ١٦) سنة ، طبع حلب .

١١ - مجموعات أمهات المؤمنين (١٦) عدداً

للأستاذ محمد أحمد برانق .

السن : (١٢ - ١٦) سنة . للإناث (دار المعارف - مصر)

١٢ - مجموعة قصص النبيين ..

للأستاذ أبو الحسن الندوي .

السن : (١٢ - ١٦) سنة - (مؤسسة الرسالة) .

١٣ - قصص القرآن الكريم ..

للأستاذ محمد كامل الحسن المحامي .

السن : (١٢ - ١٦) - (المكتب العالمي للطباعة والنشر) .

١٤ - سلسلة أعلام المسلمين ..

لمؤلفين مختلفين

السن : (١٢ - ١٦) - (مكتبة المنار الإسلامية - الكويت)

١٥ - سلسلة الأبطال .. (٨٠) عدداً .

للاستاذين : محمد علي قطب ، محمد عمر الداعوق .

السن : (١٢ - ١٦) - (المكتبة العربية بيروت) .

١٦ - أناشيد البراعم المؤمنة

للشاعر محمود أبو الوفا

السن : (١٠ - ١٦) - (مؤسسة الأقصى - عمان) .

١٧ - الخالدون ..

للأستاذ محمد علي قطب

السن : ١٥ فما فوق (التجارية المتحدة - بيروت)

١٨ أبطال ومعارك ..

للأستاذين : عبد الوهاب القاسم أحمد الدعاس

السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة البرهان - حمص)

١٩ - السلسلة الجامعة المختارة ..

للأستاذ محمد نبهان حباز

السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة الغزالي - حماه) .

٢٠ مجموعة أحسن القصص ..

للأستاذ : علي فكري

السن : ١٥ فما فوق - (دار الكتب العالمية - بيروت) .

٢١ - سلسلة قصص إسلامية ..

للأستاذ : عبد الرحمن البنا

السن : ١٥ فما فوق - (مكتبة المنار الإسلامية - الكويت)

٢٢ - مجموعة السيرة النبوية .. (الكبيرة) .

للأستاذ : عبد الحميد جودت السحار .

السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة مصر) .

٢٣ - قصص في التاريخ ..

للأستاذ : محمد حسن حمصي .

السن : ١٥ سنة فما فوق - (دار الرشيد - دمشق) .

٢٤ - قصص الأستاذ نجيب الكيلاني .

السن : ١٥ سنة فما فوق (دار النفائس - بيروت) .

٢٥ مجموعة سير إسلامية .

للأستاذ : محمد علي دولة

السن : ١٥ سنة فما فوق - (دار القلم : دمشق - بيروت) .

٢٦ – مشاهير قادة الإسلام ..
للأستاذ : بسام العسلي
السن : ١٥ سنة فما فوق – (دار النفائس – بيروت) .
٢٧ – قصص وحكايات .
للأستاذ : محمد علي دولة
السن : ١٥ سنة فما فوق ، (دار القلم : دمشق – بيروت)
٢٨ – نشيدنا .
لأبي الجود وفرقته (دار السلام : حلب)

أما الكتب الفكرية :

١ – سلسلة (من هدي الإسلام) .. بحوث توجيهية وتربوية متنوعة .
للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني
السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة الهدى : حلب – حول القلعة)
٢ – سلسلة (العقائد) و (العبادات)
للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني
السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة الهدى : حلب حول القلعة) .
٣ – سلسلة (أبحاث في القمة) ، بحوث إسلامية متنوعة .
لكتاب مختلفين ، وعلى رأسهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة الفارابي – دمشق) .
٤ - سلسلة (كتب قيمة) ، بحوث إسلامية متنوعة .
لكتاب مختلفين .
السن : ١٥ سنة فما فوق . (دار القلم : دمشق - بيروت)
٥ سلسلة (بحوث إسلامية هامة) .
لكتاب مختلفين وعلى رأسهم مؤلف هذا الكتاب .
السن : ١٥ سنة فما فوق ، (دار السلام : حلب) .

وأشهر الكتاب الذين بحثوا النظام الإسلامي ككل هم :

١ – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله .
٢ – الأستاذ سيد قطب رحمه الله .
٣ – الاستاذ محمد قطب .
٤ – الاستاذ أبو الحسن الندوي .
٥ – الأستاذ علي الطنطاوي .
٦ – الاستاذ فتحي يكن .
٧ – الاستاذ سعيد حوّى .
٨ – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
٩ - الاستاذ يوسف العظم .
١٠ – الأستاذ متولي شعراوي .
١١ ـ الدكتور يوسف القرضاوي .
١٢ ـ الأستاذ يوسف العظم .

ويمكنك – أخي المربي – أن تستعين بأهل العلم الواعين ، والدعاة المخلصين .. ليرشدوك إلى هذه الكتب التي تتناسب مع عقلية الولد وسنه وثقافته .. والتي لا تصطدم مع فكرة الإسلام عن الكون والحياة والانسان ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن المكتبة الإسلامية فقيرة جداً من الكتب الفكرية والتوجيهية والتعليمية التي تتناسب مع مرحلة الطفولة (٦ – ١٢) سنة . ولم أجد حتى الآن من كتب لهذه المرحلة فيما أعلم سوى الأستاذ يوسف العظم الذي أخرج لنا سلسلة (براعم الإسلام) بأسلوب سهل ، ولغة مبسطة .

وإني لأهيب بالكتاب الإسلاميين في أن يسنّوا أقلامهم ، ويشحذوا هممهم .. عسى أن يملؤوا المكتبة الإسلامية بكتب تعليمية ، وفكرية ، وتوجيهية توضح للأطفال فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، وتعطيهم التصور الإسلامي الصحيح عن أنظمة الإسلام الشاملة العامة ..

٢ – الاشتراك بمجلة أسبوعية أو شهرية :

والمواصفات لهذه المجلة هو ما يلي :

(أ) أن تكون معروفة باتجاهها الإسلامي ، أو العلمي البحت .
(ب) أن لا يُعرف عما يحررها الزيغ والانحراف .

(ج) أن تعالج موضوعات تتصل بالمرأة والرجل على اختلاف المستويات
(د) أن لا ينشر فيها صور تمسّ الفضيلة والأخلاق .
(هـ) أن لا يعرف عنها بكتابة موضوعات فيها دسّ على الإسلام .

فإذا وجدت – أخي المربي – مجلة هذه مواصفاتها ، فلا بأس أن تدخلها بيتك وتكون في متناول أولادك وبناتك .

من هذه المجلات :

- مجلة (الحضارة) السورية .
- مجلة (المجتمع) الكويتية .
- مجلة (الوعي الإسلامي) الكويتية .
- مجلة (البعث الإسلامي) الهندية .
- مجلة (الدعوة) المصرية .
- مجلة (الاعتصام) المصرية .
- مجلة (الأزهر) المصرية .

وما شابهها من مجلات أخرى تصدر في العالم الإسلامي .

٣ – الاستعانة بالفانوس السحري وعرض الأفلام .

ومن الوسائل الثقافية النافعة التي تنمّي مدارك الولد ، وتعزّز من ثقافته استعانة المربي بالفانوس السحري ، والجهاز السينمائي المنزلي لعرض أفلام تتصل بالحقائق العلمية ، والأمجاد التاريخية ، والمواقع الجغرافية ، والتوجيهات التربوية ..

وكم ينشّط الولد ، وتتجدد حيويته ، ويقوى انتباهه .. حين يرى بأم عينه الحقائق العلمية والتاريخية .. متجسدة في مناظر واقعية ، وصور واضحة متحركة ؟..

– وكم يرسخ البحث الدراسي في ذهن الولد حين يرى معالم الحج مثلاً متجسدة في مناظر واقعية تصور له مناسك هذه العبادة من مبتدئها إلى منهاها ، حيث لا يفوته منسك من هذه المناسك إلا وقد رآه كأنه حقيقة واقعة ، ورؤية ماثلة ؟.

- وكم يفرح الولد ويبتهج حين يتعرف عن طريق الفيلم على بلاد الإسلام فتتحرك مشاعره الإيمانية نحوها ، ويحنّ قلبه الصافي إليها .. لما تربطه بينه وبينها من آصرة العقيدة ، وأخوة الإسلام ؟.

– وكم يستوعب الولد الحقائق العلمية الثابته حين يرى هذه الحقائق متجسدة على شاشة العرض كأنها رأي عين ؟.

وفي اعتقادي أن هذه الوسيلة من أعظم الوسائل النافعة في شمولية ثقافة الولد وترسيخها في ذهنه ، وتحبيبها إلى نفسه !!.

فعلى المربي أن يسعى جهده في إعدادها وتأمينها بشكل دائم سواء أكان تحضيرها عن طريق الشراء أو الاستئجار أو الإعارة ..

ومما يجب التنبيه له أن على العاملين في الحقل الإسلامي أن يبذلوا كل ما في وسعهم في تكوين شركات مساهمة لإخراج أفلام علمية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وتربوية .. تتناسب مع عقلية الأولاد وأعمارهم .. ليتم تداولها في كل بيت ، وحي ، وبلد ولا يخفى ما لهذه الأفلام من أثر كبير في تعليم الولد ، وثقافة الأسرة ، وإصلاح المجتمع !!...

٤ – الاستعانة بوسائل الإيضاح :

ومن الوسائل النافعة في تعليم الولد وتثقيفه استعانة المربي بوسائل إيضاحية توضح للمتعلم كل غامض ، وتسهّل له كل صعب ، وتيسّر له كل سبيل ..

وأرى أن هذه الوسائل تختص بالأمور التالية :

(أ) مصورات جغرافية توضح للولد العالم الإسلامي بشكل خاص والعالم البشري بشكل عام .

(ب) مصورات عن البلاد الإسلامية توضح للولد عمران هذه البلاد ، ومساجدها ، ومصانعها ، وكل ما يتصل بأحوالها العامة ...

(ج) مصوّرات تكشف للولد عن الحضارة الإسلامية عبر التاريخ ، وخلال العصور ، ليرى بأمّ عينيه ما شاده الجدود البواسل من مدنيات وحضارات وعلوم ..

(د) مصورات تكشف للولد عن الخطّ البياني في الفتوحات الإسلامية ، وعز الإسلام ودولته .. في كل الأزمنة والعصور .

(هـ) مصورات تكشف للولد عن الوسائل الحربية التي كان يستخدمها الجدود

الأمجاد في فتوحاتهم السالفة ،وجهادهم الدائب ، وقتالهم المستمر ..
(و) مصورات أخرى تكشف للولد حقائق العلم والأدب والتاريخ ..

إلى غير ذلك من هذه المصورات التي تعين الولد في تعليمه ، وتعزّز من ثقافته ، وترسخ المعلومات في ذهنه ..

فعلى المربين أن يبذلوا الجهد في تأمينها ، ويسعوا دائماً في الحصول عليها .. حتى يروا أولادهم قد بلغوا مرتبة النضج العقلي والعلمي ، وتزوّدوا بالثقافة الشاملة ..

٥ – زيارة المتاحف بين كل فترة وفترة :

ومن الأمور الهامة التي ننصح المربين بها ونحضهم عليها تنسيق المواعيد المحددة لزيارة المتاحف الأثرية سواء اكانت الزيارة في بلد المربي أو بلد آخر من بلاد الإسلام . ولاشك أن هذه الزيارة للمتاحف تفتح أمام الولد آفاقاً جديدة من المعرفة ، والحضارة ، وثقافة التاريخ .. كما أنها تربط الولد بروابط المجد المؤثل الذي ركّز دعائمه أبطال مغاوير لهم في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال إجلال ومكانة .. كما أنها تقوّي في نفس الولد المشاعر النفسية والقلبية لعقد العزم على بناء العزة الإسلامية ، وإقامة دولة الإسلام ، وترسيخ دعائم الحضارة .. كما حققها الجدود البواسل الأمجاد في العصور الإسلامية الزاهية ، وماذلك على الله بعزيز !!..

فما عليك – أخي المربي – إلا أن تعقد العزم والهمة في زيارة دور المتاحف والآثار مع أولادك عسى أن تتحقق في نفوسهم معنى الإباء والشمم ، وتتأصل في ذاتيتهم حقيقة العزة والقوة والنهوض .. ورحم الله من قال :

تلك آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

٦ – زيارة المكتبات العامة كلما سنحت الفرصة :

ومن الوسائل الثقافية التي تسترعي اهتمام المربين العمل على زيارة الأولاد المكتبات العامة كلما سنحت الفرص ، وواتت الظروف . سواء أكانت هذه المكتبات أثرية أو مستحدثة .. ومن ثمرات ذلك : ليتدرب الأولاد على كيفية إعارة الكتب المؤقتة والدائمة ..

ومن ثمرات ذلك أيضاً تعويد الولد على الجرأة الأدبية ، وأصول الارتياد للأماكن العامة ، ودور الثقافة والعلم ..

عدا ما في زيارة المكتبات من فائدة ثقافية ، وتعرف عام على التراث الفكري والعلمي لأمة الإسلام ، واكتشاف لفكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، وفتح آفاق جديدة عن النهضة الثقافية التي مرت بها الأمة الإسلامية عبر التاريخ ، وتقادم العصور ..

فاحرص – أخي المربي – على زيارة المكتبات العامة مع أولادك ، لتتحقق فيهم تلك المعاني ، وتتأصل في نفوسهم هاتيك القِيم ..

وإذا كان وقتك أو ظروفك لا يسمح لك بالزيارة ، فأْذن لولدك أن يصحب أهل الاختصاص ، ليكتسب منهم أصول الزيارة ، وفنّ الاطلاع والمعرفة ..

تلكم – أخي المربي – **أهم الوسائل الثقافية النافعة** في تكوين الولد ثقافياً ، وإعداده علمياً وفكرياً .. فاحرص على تهيئتها لتكون دائماً في متناول ولدك ، وبين أهلك وعشيرتك .. عسى أن تجد فلذات الأكباد في المستقبل القريب قد نضجت عقولهم ، واتسعت مداركهم ، وازدهرت ثقافتهم ، وقويت علومهم ومعارفهم .. عدا أنهم ارتبطوا بالإسلام عقيدة وفكراً ، وبالتاريخ الإسلامي روحاً وعاطفة ، وبالحضارة الإسلامية اعتزازاً وقدوة ، وبالعلوم النافعة المستحدثة معرفة وثقافة ..

* * *

٨ – تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة :

انطلاقاً من الشعار الذي رفعه الإسلام : **﴿ وقل رب زدني علماً ﴾** (طه : ١١٤) .

﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

واستشعاراً بمسؤولية التوعية الفكرية التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين ..

وجب على كل من يهمه أمر الولد فكرياً ، وتكوينه علمياً وثقافياً أن يعرّفوا الولد منذ أن يبلغ سنّ الوعي والتمييز :

بالإسلام ديناً ودولة ..
وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ..
وبالتاريخ الإسلامي عزة وقدوة ..
وبالثقافة الإسلامية تنوعاً وشمولاً ..

وبالارتباط الحركي للدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماسة ..

وهذا لا يتأتى إلا بمطالعة واعية شاملة تتركز في الأمور التالية :

• مطالعة لكتب **فكرية** تكشف للولد عن خلود هذا الإسلام لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار .

• مطالعة لكتب **تاريخية** توضح للولد العز الإسلامي السالف ومجد المسلمين الغابر ..

• مطالعة لكتب **ترتبط بالغزو الفكري** تكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام ، سواء أكانت هذه المخططات تتصل باليهودية الماكرة ، أو ترتبط بالشيوعية الملحدة ، أو تنبثق عن الصليبية الحاقدة ..

• مطالعة لكتب **حضارية** تكشف القناع عن حضارة الإسلام الزاهية التي شادها الأجداد خلال العصور ، وعبر التاريخ ..

ومن هنا كان اهتمام سلفنا الصالح بتوعية أولادهم الفكرية والتاريخية والثقافية .. وسبق أن ذكرنا في بحث (**مسؤولية التربية العقلية**) ما قاله رجال التربية الإسلاميون في ضرورة تعليم الولد القرآن الكريم ، وأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار ، والشعر الجيد ، وتاريخ الملاحم ومغازي رسول الله ﷺ .. وما ذاك إلا تأكيد بأنّ الإسلام حمّل الآباء والمربين جميعاً مسؤولية الواجب التعليمي ، والتوعية الفكرية ، وغرس بذور العقيدة الإسلامية الراسخة منذ نشأتهم ، وفي كل مرحلة من مراحل حياتهم .

ولكن ما السبيل إلى هذا كله ؟

السبيل هي المطالعة الفاهمة الدائمة مع التلقين الواعي !!..

والمطالعة لا يندفع الولد إليها ، ولا يرغب فيها إلا باتخاذ وسائل التحبيب بها ، والتشويق إليها ...

وأرى أن هذا التشويق يتركز في النقاط التالية :

● أن نوازن له ما بين العلم والجهل ، ونقارن له أيضاً ما بين العلماء والجهلاء .. وهذه الموازنة والمقارنه طريقة القرآن الكريم في الإقناع وإقامة الحجة . قال تعالى :

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩)

وكم يقتنع الولد ، وينكبّ على الدراسة والمطالعة حين تتضح له كرامة العلماء ، وشقاوة الجهلاء ؟

وكم تتحرك نفسه شوقاً إلى العلم حين يسمع ما لطالب العلم من منزلة عالية ، وفضل عظيم عند الله عز وجل[١] ، وعند الناس ؟

– قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : (العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومذاكرته تعدل القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويُعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، ويُلهمهُ السعداء ، ويحرَمُهُ الأشقياء)[٢] .

- وقال العلامة نصير الدين الطوسي في أول رسالته (آداب المتعلّمين) :

(شرف العلم لا يخفى على أحد ، إذ العلم هو المختصّ بالإنسانية ، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الإنسان ، وسائر الحيوانات كالشجاعة والقوة والشفقة وغيرها ، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة ، وأمرهم

---

(١) سبق أن ذكرنا في مواطن كثيرة من هذا الكتاب فضل العلم والعلماء .

(٢) هذه الأقوال الثلاث من كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، تحقيق فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

بالسجود له ، وأيضاً هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية إن وقع العمل على مقتضاه)[١] .

– وقال الحسن البصري رحمه الله : (لو كان للعلم صورة لكانت صورته أحسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء ..)[٢] ..

● إقامة مباريات بين الأولاد : بعضها لأسرع قراءة وبعضها لمطالعة أكثر عدد ممكن من الكتب في وقت محدد ، ثم تعقد اختبارات لهم في ذلك ، ويمنح الأوائل جوائز مغرية أو رمزية للاندفاع والتشجيع .. وهذه الوسيلة في إكرام الولد وتشجيعه فيما يحسنه من عمل ، وما يظهر به من خُلق جميل ، هي ما حض عليه الإمام الغزالي ، ورغب فيه ، يقول رحمه الله في الجزء الثالث في إحيائه : (إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود فإنه ينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح أمام الناس لتشجيعه على الأخلاق الكريمة ، والأفعال الحميدة ..) .

وإكرام الولد وتشجيعه بالجائزة أو الهدية أو الخطاب الجميل ، يتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني : « تهادوا تحابوا » ، ومع قوله ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له » ، ويتفق مع ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ سبّق بين الخيل وأعطى السابق » رواه أحمد .

● إفهام الولد أن ما يقرؤه ويتعلمه من قراءة مفيدة ، وعلم نافع .. إذا قُرن بالنية الصالحة ، والقصد الحميد كان له ثواب القانتين المتعبّدين ، لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان – :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .. » .

ويستنتج الفقهاء من هذا الحديث هذا الحكم :

(إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة) .

---

(١) ، (٢) هذه الأقوال الثلاث من كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، تحقيق فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

ولا شك أن الولد حين يعلم أنه مأجور على المطالعة ، مجزي من قبل الله عز وجل على تحصيل العلم ، والتزود من الثقافة .. فإنه يقبل بكليته على القراءة دون تواكل أو تقصير !!..

● تهيئة الأجواء الصافية الهادئة المريحة .. من أضواء منيرة ، ومناظر خلابة ، وهدوء تام ، وتدفئة مناسبة أيام الشتاء ، وتهوية ملائمة أيام الصيف .. فإن هذا كله مما يساعد في الإقبال على المطالعة ، والتشويق إليها ، والتحبيب بها .

● توفير الكتب المتنوعة للولد سواء أكان توفيرها في مكتبة البيت ، أو في مكتبة المدرسة ، أو في مكتبة المسجد ، أو في المكتبات العامة ..

ولاشك أن الولد حين يجد أمامه الكتاب الذي يطلبه ، سواء أكان الكتاب قصة أو شعراً ، أو كان تاريخاً أو كان أخلاقاً .. فإنه يقبل على المطالعة بشوق ، ويسعى إليها بشغف !!..

● وأخيراً إفهام الولد أن الوقت كالسيف ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن ما يجهله أكثر مما يعلمه ، وأن الإسلام يأمر المسلم بأن يملأ فراغه بما ينفع ، لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم – : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .. » كما يأمره بأن يغتنم الفرص للعمل الدائب لعزّ الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، لقوله عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه الحاكم بسند صحيح – : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

وأخيرا المطالعة لا تعطي الثمرات المرجوة إلا باتباع الطرق التالية :

١ – التهيئة النفسية قبل المطالعة ، وذلك باستحضار النية أنه يقرأ ليتكون ثقافياً ، حتى يبلغ الدعوة ، ويؤدي رسالة الإسلام ، وينفع أمته وبلده ...

٢ – التركيز الذهني أثناء المطالعة ، وذلك باستحضار الذهن والفهم بكل ما يقرأ ، حتى يكون استيعابه للمقروء تاماً ، وفهمه لمعاني المسطور شاملاً ..

٣ — وضع خطوط بالقلم الرصاص تحت المعاني الهامة ، والأفكار الرئيسية إذا ألقي إلى البحث نظرة ثانية ترسخت هذه المعاني في ذهنه ، وتثبتت الأفكار الرئيسية في خاطره ..

٤ — وضع العناصر الأساسية على هامش الصفحة بالقلم الرصاص ، ليكون الاستيعاب لهذه العناصر تاماً شاملا ..

٥ — تثبيت عناوين المواضيع المهمة ، أو أفكار الأبحاث المحببة في مذكرات خاصة مع ذكر الكتاب ، ورقم الصفحة حتى إذا احتاج إليها رجع إلى مصادرها بسهولة ..

٦ — إعداد دفتر مذكرات ليدوّن فيه كل ما يستحسنه القارىء من شواهد حديثة أو لطائف أدبية ، أو حكم شعرية ، أو قصص تاريخية ، أو حقائق علمية أو فتاوى شرعية ..

ولا شك أن هذه المذكرات هي حصيلة كتب كثيرة مرّ بها القارىء ، في أزمان ماضية ، وأوقات كثيرة ، وهي خير ما ينتفع بها في مستقبل حياته العلمية والعملية ..

فاحرص — أخي المربي — على أن تعوّد أولادك عليها ، وأن ترشدهم إليها .. ليكونوا في مستقبل الأيام من عداد الرجال العالمين ، ومن فئات العناصر المثقفة ، ومن الجيل الناضج الفاهم .. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

٩ — استشعار الولد بمسؤولية الإسلام :

من الأمور الهامة التي نؤكد على ضرورة الاعتناء بها ، ونلفت نظر المربّين إليها .. السعي الدائم في تلقين الولد الحقائق التالية :

(أ) إن العصبة المؤمنة التي تركّزت في دار الأرقم وعلى يديها تحقق نصر الإسلام كانوا شباباً فرسول الله ﷺ كان عمره أربعين سنة عند البعثة ، وأبو بكر رضي الله عنه أصغر منه بثلاث سنين ، وعمر رضي الله عنه كان عمره سبعاً

وعشرين سنة ، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله ﷺ ، وعلي رضي الله عنه كان أصغر من الجميع .. وهكذا كان عبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وسعيد بن زيد ، ومصعب بن عمير ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعشرات غيرهم .. بل مئات .. كلهم كانوا شباباً »[١] .

(ب) « هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة ، وهم الذين استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية .. وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم .. حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره وكيانه ، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه .. فما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة .. وأخضعوا لحكمهم المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتد ظلمهم إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية أفريقية .. وذلك كله في خمس وثلاثين سنة .

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الاندلس غرباً ، وقد استطاع أحد الخلفاء هارون الرشيد أن يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمرّ به ولا تمطره فيقول لها : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا[٢] .

(ج) هؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن بعدهم بإحسان لم يبلغوا قمة المجد والعظمة إلا بشيئين عظيمين :

الأول – التزامهم الإسلام عقيدة وفكراً ، قولا وعملا ، تحقيقاً وتطبيقاً ..

---

(١) من كتاب « السيرة النبوية » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي صفحة : ٨٢ .

(٢) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » صفحة : ٩ – ١٠

وقد ضمنوا في ذلك النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة الظافرة على أعداء الله والدين .. وبدون ذلك لا يمكن أن يتحقق لهم النصر ، ولا أن يمسكوا بأيديهم زمام العزة والسيادة .. تذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص – وكان قائداً عاماً على الجيش – يقول :

(أما بعد : فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم) .

ورحم الله الخليفة العادل حين قال : (نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلّنا الله) رواه الحاكم .

الثاني – حملهم رسالة الإسلام إلى الدنيا بجهادهم وتضحياتهم ، وقوة صبرهم واستبسالهم ..

حتى إن فتوحاتهم وصلت إلى آخر المغرب ، ووقف عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) ، وقال : – وقد خاض جواده بالماء :– (اللهم ربّ محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك .. اللهم فاشهد !!..)

ووصلت إلى آخر الشرق ، وتوغّل قتيبة الباهلي في بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذّراً مشفقاً : (لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر ..) ، فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : (بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدّة لم تنفع العدّة ..) ، فلما رأى ذلك المحذّر عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله قال له : « أسلك سبيلك حيث شئت ياقتيبة ، فهذا عزم لا يفلّه إلا الله !!.. » . وبدون ذلك لا يمكن أن يملكوا شبراً من الأرض ، ولا أن ينشروا دين الله في العالمين !!..

(د) فنحن جيل الإسلام اليوم إذا نهجنا نهج الجدود في التزام الإسلام ، وسرنا سير السلف في الجهاد والتضحية ، والصبر والمصابرة ، والثبات والاستبسال ..

فسوف نحقق بأيدينا عز الإسلام ، ونبني بسواعدنا دولة المسلمين .. ونستعيد بتأييد الله المجد والعظمة والخلود ، ونرجع خير أمة أخرجت للناس ، لأننا رجال ، وسلفنا رجال ، وقد امتدح الله سبحانه عزائم الرجال حين قال :

﴿ رجالٌ صدقُوا ما عاهدُوا الله عليه فمنهم من قضَىٰ نَحبهُ ومنهم من ينتظرُ وما بدلوا تبديلا ﴾ .

(الأحزاب : ٢٣)

﴿ رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوبُ والأبصار .. ﴾ .

(النور : ٣٧)

وما يضير جيل الإسلام اليوم أن يكونوا في الظاهر رجالاً ، وفي المعنى جبالاً . ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال حين قال :

مَن ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك
فوق هامات النجوم منارا
كانوا جبالاً في الجبال وربما
ساروا على موج البحار بحاراً

(هـ) العالَمُ اليومَ يتيه في ظلمات المادية الطاغية ، ويتخبط في أوحال الانحلال والإباحة ، ويرسف في قيود الظلم والاستبداد .. ويتصارع في دياجير الأفكار والمبادىء .. وها هي الدول الكبرى تنشب مخالبها المتوحشة لتفترس حضارة الإنسان ، وتخنق ببغيها ووحشيتها القيم الإنسانية ومثلها العليا ، ورسالات الأنبياء .. وتشنّ هجومها لاستعباد الإنسان ، وطرده من أرضه ، وابتزاز خيراته ، وتشريده بالعراء مع أطفاله ونسائه وشيوخه ..

فما الذي يقي العالم من هذه الويلات والكوارث ؟ ما الذي يحمي البشرية من هذا الانحطاط الفكري ، والانحلال الأخلاقي ؟ ما الذي يحمي الآمنين من حرب طاغية مدمّرة ؟ أو بعبارة أوضح ما هي سفينة الإنقاذ ؟ ما هو صمام الأمان ؟

في تقديري ، وتقدير الكثير من مفكّرين ، وفلاسفة ، وعلماء .. **أن القيم الروحية ، والأنظمة الاجتماعية والسياسية التي جاء بها الإسلام هي الجديرة بأن تحمل للعالم إمامة الفكر والإصلاح والمبادىء .. لتخليص الإنسانية من ويلات الزيغ والضلال ، وموبقات الفساد والإباحية ..**

قال (إلياس أبو شبكة) في كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانية وأوربة ، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظلّ العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب ..) .

وقال (برناردشو) الفيلسوف الإنكليزي قولته المشهورة : (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، **وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته ..)** .

ويقول المؤرخ **الإنكليزي** (ويلز) في كتابه (ملامح تاريخ الإنسانية) : (إن أوربه مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية) .

ولذا فإن جيل الإسلام اليوم مطالب بأداء مسؤوليته الكبرى، ودوره **الحضاري** في إنقاذ البشرية من ظلمات المادية الطاغية ، وموجات الإباحية العاتية ، وعواصف الحروب المدمرة .. وهذا لا يتأتى إلا بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى الدنيا من جديد حتى يسود الرخاء والأمن والاستقرار في كل أرض وتحت كل سماء ، وتنعم الإنسانية بنور الايمان وشريعة القرآن ..

هذه الشريعة تتسم بالربانية ، والعالمية ، والشمول ، والعطاء والخلود ..

أما اتسامها **بالربانية** فلأنها تنزيل من حكيم حميد .

أما اتسامها **بالعالمية** فلأنها شريعة البشرية جمعاء .

أما اتّسامها بالشمول فلأنها جاءت لمناحي الحياة .

أما اتسامها **بالعطاء** فلأنها تفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان[١] .

أما اتسامها **بالخلود** فلأنها تحمل في طبيعتها بذور نمائها واستمرارها الى يوم الدين ..

ويكفي أمة الإسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله عنها في محكم تنزيله :

﴿ كنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمرونَ بالمعْرُوف وتنهونَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله ﴾ . (آل عمران : ١١٠)

فلتنهض هذه الأمة بمسؤوليتها كما أمرها الله عز وجل ، لتخرج إلى الدنيا بأخلاقية الجنود البواسل الأمجاد ، وبعزيمة القوّاد الأشاوس الأبطال ، وبفتوح بدر والقادسية واليرموك وحطين .. وبرسالة الإسلام ، ومبادىء القرآن الكريم ..

ألا فليغرس المرّبون في نفوس أبنائهم وطلابهم هذه الحقائق ، ويلقنونهم في كل آن هذه المعاني .. حتى يستشعروا بمسؤوليتهم على الوجه الأكمل ، ويؤدوا واجبهم على النهج المطلوب ..

فإن هم فعلوا ذلك فسوف يرون أولادهم دعاة صادقين ، وجنوداً للإسلام مخلصين .. يبلغون دعوة ربهم ولا يخشون أحدا إلا الله ، ويتحملون في سبيلها كل عنت وأذى واضطهاد .. وسيصلون بإذن الله في نهاية المطاف إلى النصر الأكبر ، والعز الأرفع ، والكرامة المنشودة .. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

١٠ - تعميق روح الجهاد في نفسية الولد :

من المسائل الخطيرة ، والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المربّون بها ، ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها .. تعميق روح الجهاد في نفسية الولد ، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره .. ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام ، وغربت شمس العزة الإسلامية عن الدنيا ، وأصبحت

---

(١) ارجع الى كتابنا « حتى يعلم الشباب واقرأ بحث « القرآن دستورنا » تجد ما فيه الكفاية من خصائص الشريعة الإسلامية ومزاياها .

السيادة للطواغيت ، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الإسلام أناس لاهمَّ لهم ولا غاية إلا أن ينفذوا مخططات أعداء الله والإسلام ، سواء أكانت هذه المخططات شيوعية ، أو كانت استعمارية ، أو كانت يهودية ، أو كانت صليبية .. فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الإسلامية ، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية ، وعواصف هوجاء من التحلل والاباحية .. وتيارات متدفقة من المبادىء الضالة والفكر الإلحادي .. وأصبحت بلاد الإسلام هدفاً لكل طامع ، وغاية لكل مريد !!

لذا وجب على المربين أن يلقنوا أولادهم معنى الصبر والمصابرة . وأن يعمقوا في نفوسهم روح الجهاد .. عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الإسلام ، ومجد المسلمين !!.

ولكن ما هي المراحل التي يجب أن ينتهجها المربون مع أولادهم في تعميق الجهاد في نفوسهم ، وترسيخ معانيه في جوارحهم وكيانهم ؟

أرى أن هذا التعميق يكون في النقاط التالية :

١ – استشعار الولد بشكل دائم أن تحقيق العزة الإسلامية ، وبناء المجد الاسلامي .. لا يكون إلا بالجهاد وإعلاء كلمة الله ..

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .. ﴾ .

(المائدة ٥٤)

٢ – إفهام الولد بشكل دائم أن الجهاد في سبيل الله أنواع :

(الجهاد المالي : وذلك بالإنفاق لأجل إعلاء كلمة الله ، وهو العصب الحساس لكل جهاد تقوم به أمة الإسلام في الحياة سواء أكان الجهاد تبليغياً أو تعليمياً ، وسواء أكان سياسياً أو حربياً ..

– **﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ .**

(التوبة : ١١١)

– ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ .
(التوبة : ٤١)

– وفي الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي : « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف » .

– وفي الحديث الذي رواه الستة إلا مالكا « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا » .

● **الجهاد التبليغي** : وذلك بتبليغ الإسلام باللسان ، وإقامة الحجة بأن دعوة الإسلام حق على الكافرين والمنافقين والملحدين والمنحرفين ..

– ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .
(التوبة : ٧١)

– ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً** ﴾ .
(الأحزاب : ٣٩)

– قال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي وأحمد وابن حبان – : « نضّر الله أمرءاً سمع مني شيئاً فبلغه كما سمعه فربّ مبلغ أوعى من سامع » .

وقال أيضاً – فيما رواه مسلم وأصحاب السنن –: « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. » .

● **الجهاد التعليمي** : وذلك ببذل الجهد في التكوين الإسلامي علمياً وثقافياً وفكرياً . وإعطاء التصور الصحيح عن فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ..

– ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم** ﴾ .
(التوبة : ١٢٢)

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله ، وإن الله مسائلكم » .

– وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي : « من سُئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار يوم القيامة » .

• **الجهاد السياسي** : وذلك ببذل الجهد في إقامة الدولة الإسلامية على أسس من مبادىء الإسلام ، وقواعده العامة الشاملة ، وبالاختصار أن تكون الحاكمية في نظام الحكم لله وحده .

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .

(المائدة : ٤٩ – ٥٠)

– روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

• **الجهاد القتالي** : وذلك ببذل الجهد للوقوف أمام كل طاغوت يقف عقبة كأداء دون حكم الله عز وجل ، ونشر دعوته في الأرض .. سواء أكان هؤلاء الطواغيت في دار الإسلام أو في دار الحرب !!..

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .. ﴾ .

(الأنفال : ٣٩)

- ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ .

(التوبة : ٢٩)

وهذا ما ذكره ربعي بن عامر في المقابلة التي جرت بين المسلمين ورستم قائد الفرس : (إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) .

فالمربي حين يستشعر الولد هذا المفهوم العام عن الجهاد ، وحين يعلمه أنواعه وما يتفرع عنه .. فإنه يندفع إلى الجهاد بكل عزم ومضاء .. لكون الجهاد يشمل **كل عمل دعوي مادامت النية إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه في الأرض)**[1] !!..

٣ ـ **تذكير الولد بشكل دائم بمواقف أبناء الصحابة البطولية رضي الله عنهم ،** ليتأسى بهم ، ويمشي على طريقتهم ومنوالهم ، **وإليكم طرفاً منها :**

(أ) لما خرج المسلمون إلى أحد ردّ النبي ﷺ من استصغر منهم ، وكان فيمن ردّه رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له : إنه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمّه : أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردّني مع أني أصرعه ، فبلغ رسول الله الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سمُرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

(ب) لما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة ، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما وقطعت أسماء قطعة من نطاقها ـ وهو ما يشد به الوسط فربطت به على فم الجراب (وعاء الطعام) الذي كانت تحمله ، فسميت ذات النطاقين ، وعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل

---

(١) ارجع ـ أخي المربي ـ إلى كتابنا « حتى يعلم الشباب » لتجد فيه ما يشفي الغليل في بحث مفهوم الجهاد ، وتنوعاته الشاملة .

الأخبار ، فلا يسمع من قريش أمراً يبيتونه من المكروه لهما إلا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسحر ، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائماً فيها ، ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

(ج) وتذكر كتب التاريخ أن غلاماً مؤمناً كان يسأل أباه بأن يمكنه ليجوب مناكب الأرض ويسعى في أرجائها حتى يصل إلى قمة المجد والكرامة :

اقذف السرْج على المُـــ ـهر وقرِّطـــه اللجامـــا
ثم صبَّ الدرع في رأ سي وناولنـي الحسامـــا
فمتـى أطلـب إن لم أطلب الـرزق غلامـــا
سأجـوب الأرض أبغيـــ ـه حلالاً لا حرامـــا
فلعلَّ الطعن ينفي الفــ ـقر أو يدني الحمامـــا

ومن أراد المزيد من هذه الأمثلة فليرجع الى القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) في بحث (ظاهرة الخوف) يجد ما فيه الكفاية .

٤ - **تحفيظ الولد سورة الأنفال وسورة التوبة ، وسورة الأحزاب .. ونصوصاً** أخرى من آيات الجهاد في القرآن الكريم مع أسباب نزولها ، وشرح معانيها ، وبيان المواقف الشجاعة التي وقفها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه الكرام في بدر والخندق وحنين .. وغيرها .. فإنها - ولاشك - تحرك المشاعر في نفسية الولد ، وتجعل منه إنساناً شجاعاً مقداماً لا يخشى في الله لومة لائم ، بل يندفع إلى الجهاد بكليته ، ويتمنى الشهادة في سبيل الله ، كما اندفع أجداده من قبل ، وتمناها الرعيل الأول من أبناء هذه الأمة المحمدية عبر التاريخ[١] !!.

٥ - **تعميق عقيدة القضاء والقدر** في نفسية الولد ، ليؤمن إيماناً جازما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضرّوه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأنه إذا جاء أجلهم

---

(١) انصح المربي أن يقرأ على أولاده كتاب « حياة الصحابة » للكاندهلوي ، وكتاب « شهداء الإسلام في عصر النبوة » للنشار .

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، وأن الله سبحانه هو وحده المحيي والمميت ، والمعز والمذل ، والضار ، والنافع ، والخافض والرافع .. بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير ..

ولا بأس باستشهاد ما قاله السلف في هذه المعاني :

أيَّ يوميّ من الموت أفِرّ
يوم لا يقدَرُ أم يوم قُدِر

يوم لا يقدرُ لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

* * *

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

* * *

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تُراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيلُ الخلود بمستطاع

* * *

تلكم – أيها المربون – أهم النقاط والمراحل في تعميق روح الجهاد في نفسية الولد ، فما عليكم إلا أن تنتهجوها ، وتلقنوها أولادكم حتى إذا بلغوا سن الشباب ، وناداهم منادي الجهاد انطلقوا في ميادين العزة والكرامة مستبسلين مجاهدين لا يخشون أحداً إلا الله ، وسوف لا يلقون السلاح ، ولا يتخلون عن الجهاد وإعلاء كلمة الله .. حتى يروا راية الإسلام قد ارتفعت وعلم النصر قد خفق ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

* * *

خاتمة المطاف

مما فصلنا القول عنه سابقاً من سلسلة (تربية الأولاد في الإسلام) يتبين لك – أخي المربي – بشكل واضح لا يقبل الشك ولا الالتباس .. أن الإسلام بمنهجه الكامل ، وطريقته المتميزة ، وأسلوبه الفريد .. في إعداد الولد الإيماني والخلقي ، وفي تكوينه النفسي والعقلي ، وفي تربيته الجسمية والاجتماعية .. ليكون في المستقبل إنساناً صالحاً متوازناً سوياً ذا عقيدة وخلق ورسالة .. ينهض بأعباء ، ويضطلع بمسؤوليات ، وينتهي في الخاتمة إلى غاية الغايات ألا وهي رضوان الله عز وجل ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار !!..

ومن الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء الأخلاق والاجتماع ، ورجال التربية والتعليم .. أن المربي سواء أكان معلماً أو أباً أو أماً أو مرشداً ربانياً .. حين يبذل قصارى جهده ، ويشحذ غاية اهتمامه في تنفيذ هذا المنهج الرباني الذي أنزله الله عز وجل ، وتطبيق هذا النظام الذي قعّدت أصوله وفروعه شريعة الإسلام ..

فمن المؤكد أن الولد ينشأ على الإيمان والتقوى ، ويتدرّج على الفضيلة والأخلاق ، ويظهر أمام المجتمع بأفضل ما يظهر به إنسان ناضج العقل ، مكتمل الخلق ، متوازن السلوك ، سمح المعاملة ، حسن السيرة ، كريم المعشر ...

أما ما يشكو منه بعض المربين والآباء من انحراف أبنائهم ، أو تمردهم وعقوقهم .. فيعود في الدرجة الأولى إلى هؤلاء المربين أنفسهم ..

فكيف يستقيم الولد ، والأب يسمح له برفقاء السوء ؟

وكيف تثبت عقيدة الولد ، والأب يدفع به إلى المدارس الأجنبية ، والمعاهد التبشيرية ؟

وكيف تصلح أخلاق الولد ، والأب قد أدخل إلى بيته جهاز التلفزيون ليرى فيه كل مشهد متحلل ، ومنظر آثم .. ؟

وكيف نحافظ على سلوكية الولد والأب يضع بين يديه المجلات الماجنة ، والقصص الغرامية التي تتّجر بالغرائز ، وتشجع على الميوعة والانحلال ؟

وكيف نسلم على إيمان الولد والأب يغض نظره في انتمائه إلى منظمات إلحادية وأحزاب علمانية لا دينية ؟

وبالعموم كيف ينصلح الولد ويستقيم ؟ والمربي لم يأخذ بمنهج الإسلام في التربية ، وبنظامه في التكوين والإعداد ؟!!..

وما أحسن ما فعله عمر رضي الله عنه حين علم أن أباً لم يقم بحق ولده عليه في انتقاء أمه ، وتحسين اسمه ، وتعليمه القرآن .. فلم يلبث إلا أن صرخ في وجهه قائلا : جئت إلي تشكو عقوق ولدك وقد عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك !!..

فجعل رضي الله عنه الأب حين أهمل تربية ولده هو المسؤول الأول عن عقوقه وانحرافه !..

أما ما يدعيه بعض الآباء أن أولادهم نشؤوا عاقّين منحرفين على الرغم مما قاموا به من مسؤولية التربية والتأديب .. فهي دعوى مرفوضة ، لأننا لو بحثنا عن السبب لرأينا أن السبب يعود على الآباء والأمهات أنفسهم : إما لإعطائهم الأولاد القدوة السيئة .. أو لعدم أخذهم بمنهج الإسلام في التربية .. أو لإهمالهم حقاً ألزمهم الإسلام به وفرضه عليهم !!..

ومن هؤلاء النمط ما روته كتب الأدب أن أعرابياً شكا عقوق أولاده فما وجد بداً سوى أن يهجوهم بهذه الأبيات :

إنّ بنيّ كلهم كالكلب
أبرُّهم أولاهم بسبي
لم يُغنِ عنهم أدبي وضربي
ولا اتساعي لهم ورُحبي
فليتني مِتُّ بغير عَقْبِ
أوليتني كنتُ عقيم الصُّلْبِ

ومن يدري هل كان الأعرابي يعق أباه فانتقم الله منه بعقوق أولاده له ؟

وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أبو نعيم والديلمي وابن عدي – : « البرّ لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديّان لا يموت ، فكن كما شئت ، فكما تدين تُدان » .

وروى الطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام : « بَرّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفوا تعفّ نساؤكم » .

وأحياناً قد تتخلّف القاعدة ، فيبذل المربي قصارى جهده ، ويأخذ بمناهج التربية الإسلامية ، ومع هذا ينشأ الولد على الشذوذ والانحراف ، كما أخبرنا الله سبحانه عن ولد نوح عليه السلام . فأبى الهداية والتربية النبوية واستكبر وكان مع الكافرين ، فعاقبه الله معهم بالطوفان فأصبح الجميع من المغرقين .

وفي هذه الحال يعذر المربي أمام الله لكونه أدى ما عليه من الحقوق وقام بما أوجبه الله عليه من مسؤوليات !!..

وأخيراً ـ أخي المربي ـ أعطِ العهد لله عز وجلّ على أن تأخذ بهذا المنهج **الإسلامي** في تربية أولادك ، واعقد الهمة ، واشحذ العزم على أن تقوم بواجب التنفيذ في كل مرحلة من مراحله ، وبكل جانب من جوانبه ، وبكل قسم من أقسامه .. فإنك إن فعلت ذلك فسترى أولادك شموس إصلاح ، وأقمار هداية ، وملائكة يمشون على الأرض .. بل يشار إليهم بالبنان لصفاء نفوسهم ، وطهارة قلوبهم ، وكريم أخلاقهم ، وجميل معاملتهم ، ومظهر اتزانهم ، ولطف معاشرتهم ..

وإني لمتفائل أن هذا الجيل إذا التزم الإسلام عقيدة وعملاً ، وأخذ بتعاليمه أحكاماً ومنهاجاً .. فإنه سيعيد سيرة الأولين في المجد والرفعة ، ويقيم في العالمين دولة قوية صلبة تضاهي الأمم الكبرى في عزتها وكبريائها .. بل ستخضع الأمم لجلال هيبتها وعظيم سلطانها !!.. وما ذلك على الله بعزيز .

ولن يصلح – أخي المربي – آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

فإن صلح أولها بنظام الإسلام تطبيقاً وتنفيذاً حتى وصلت إلى قمة السيادة والنصر .. فكذلك لا يصلح آخرها إلا بنظام الإسلام تطبيقاً وتنفيذاً حتى تصل إلى قمة السيادة والنصر !!..

ورحم الله عمر رضي الله عنه القائل :

« **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** » رواه الحاكم .

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه البيهقي والحاكم :

« **... ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستفدوا بعض ما في أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم** » .

ومن منطلقات الوصول إلى السيادة والنصر البدء بإصلاح نفوسنا ، ثم القيام بإصلاح أسرنا ، ولا يتأتى هذا الإصلاح لأعضاء الأسرة إلا أن تأخذ بمنهج الإسلام في تربية أبنائنا وبناتنا ، لأن اصلاح الفرد هو المنطلق الطبيعي لإصلاح الأسرة ، ثم بالتالي يأتي إصلاح المجتمع ، ثم تتكون في المجتمعات الإسلامية القاعدة الصلبة من المؤمنين المخلصين المجاهدين .. الذين على أيديهم تقوم دولة الإسلام ، وبعزائمهم الفتية تتحقق عزة المسلمين ..

فيا أيها الآباء ، ويا أيتها الأمهات ، ويا أيها المربون :

هذا هو منهاج الإسلام في تربية أولادكم ، وهذا هو الطريق الأقوم في إصلاحهم وهدايتهم ، فانهضوا بمسؤولياتكم ، وقوموا بواجباتكم .. ليتحقق في المجتمعات الإسلامية إصلاح أولادكم وأسركم ، وتتكون في الشعوب المحمدية كتائب الجهاد والنصر .. حتى تقوم بدورها في هداية العالم من الضلال والجاهلية والمادية .. إلى نور الحق ، ورسالة الإسلام !!..

﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ . (التوبة : ١٠٥)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المصادر والمراجع

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	– القرآن الكريم	
٢	– المرشد لآيات القرآن الكريم	لمحمد فارس بركات
٣	– الجامع لأحكام القرآن الكريم	لأبي عبد الله محمد القرطبي
٤	– تفسير ابن كثير	لأبي الفداء اسماعيل بن كثير
٥	– في ظلال القرآن الكريم	للشهيد سيد قطب
٦	– تفسير آيات الأحكام	للشيخ محمد على الصابوني
٧	– تفسير آيات الأحكام	للشيخ محمد علي السايس
٨	– أحكام القرآن الكريم	لأبي بكر الجصاص
٩	– أحكام القرآن الكريم	لأبي بكر محمد ، المعروف بابن العربي
١٠	– صفوة البيان في تفسير القرآن	للشيخ محمد حسنين مخلوف
١١	– الترغيب والترهيب	لعبد العظيم المنذري
١٢	– فيض القدير	للعلامة المناوي
١٣	– نيل الأوطار	لمحمد الشوكاني
١٤	– سبل السلام	للصنعاني
١٥	– فتح الباري في شرح البخاري	للحافظ بن حجر العسقلاني
١٦	– رياض الصالحين	للامام النووي
١٧	– كشف الخفاء	لاسماعيل العجلوني
١٨	– حياة الصحابة للكاندهلوي	تحقيق محمد علي دولة
١٩	– صفة الصفوة لابن الجوزي	تحقيق الدكتور قلعه جي والفاخوري
٢٠	– محمد رسول الله (ص)	للشيخ عبد الله سراج الدين
٢١	– فقه السيرة	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٢٢	– السيرة النبوية	للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٢٣	– شرح فتح القدير	لكمال الدين ابن الهمام الحنفي
٢٤	– بدائع الصنائع	لعلاء الدين الكاساني
٢٥	– المغني لابن قدامه	تحقيق محمود عبد الوهاب فايد
٢٦	– حاشية رد المحتار على الدر المختار	للعلامة ابن عابدين
٢٧	– الفقه على المذاهب الأربعة	لعبد الرحمن الجزيري
٢٨	– فتح باب العناية لعلي القاري	تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة
٢٩	– إحياء علوم الدين	لحجة الاسلام الغزالي .

٣٠ – رسالة المسترشدين للمحاسبي تحقيق الشيخ أبو غدة
٣١ – مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي
٣٢ – كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك
٣٣ – تحفة المودود بأحكام المولود لمحمد بن قيم الجوزية
٣٤ – آداب المتعلمين أحمد عبد الغفور العطار
٣٥ – التربية الاسلامية للقابسي للدكتور أحمد فؤاد الاهواني
٣٦ – التربية والتعليم في الاسلام للدكتور محمد أسعد طلس
٣٧ – التربية الاسلامية لمحمد عطية الابراشي
٣٨ – التربية الاسلامية وفلاسفتها لمحمد عطية الابراشي
٣٩ – وسائل التربية الاسلامية للمرحوم الدكتور محمد أمين المصري
٤٠ – أسس التربية الاسلامية لعبد الرحمن النحلاوى
٤١ – مبادىء علم الأخلاق للدكتور محمد عبد الله دراز
٤٢ – الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي
٤٣ – الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى
٤٤ – دروس النكبة الثانية للدكتور يوسف القرضاوي
٤٥ – المجتمع المتكامل فى الاسلام للدكتور عبد العزيز الخياط
٤٦ – عمل المسلم في اليوم والليلة لمحمد طارق محمد صالح
٤٧ – حديث الاسلام لمحمد مصطفى أبى العلا
٤٨ – العدالة الاجتماعية للمرحوم سيد قطب
٤٩ – الاسلام والسلام العالمي للمرحوم سيد قطب
٥٠ – أخلاقنا الاجتماعية للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٥١ – عظماؤنا في التاريخ للمرحوم الدكتور مصطفي السباعي
٥٢ – هكذا علمتني الحياة للمرحوم الدكتور مصطفي السباعي
٥٣ – كيف ندعو الى الاسلام لفتحي يكن
٥٤ – مشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن
٥٥ – محاضرة « الرسول المعلم » للعلامة الشيخ أبو غدة
٥٦ – الشيوعية والاسلام للعقاد والعطار
٥٧ – المشكلات النفسية للدكتور نبيه الغبرة
٥٨ – مكائد يهودية للشيخ عبد الرحمن حبنكه
٥٩ – خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي
٦٠ – الاسلام (٤ أجزاء) للشيخ سعيد حوى
٦١ – الله للشيخ سعيد حوى

٦٢ - الرسول (جزءان) للشيخ سعيد حوى
٦٣ – جند الله ثقافة للشيخ سعيد حوى
٦٤ – خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون
٦٥ – حكم الاسلام في النظر لمحمد أديب كلكل
٦٦ – تحفة العروس لمحمود مهدي استانبولي
٦٧ - ماذا عن المرأة ؟ للدكتور نور الدين عتر
٦٨ – المرأة المسلمة للشيخ وهبي سليمان الغاوجي
٦٩ – شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي
٧٠ – دراسات اسلامية للمرحوم سيد قطب
٧١ – التكافل الاجتماعي في الاسلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٢ – تعدد الزوجات في الاسلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٣ – شبهات وردود للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٤ – حتى يعلم الشباب للمؤلف « عبد الله علوان »
٧٥ – حكم الاسلام في وسائل الاعلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٦ – عقبات الزواج .. للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٧ – إلى كل أب غيور .. للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٨ – إلى ورثة الأنبياء للمؤلف « عبد الله علوان » .

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات

* * *

المفهرس

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الفهرس

فهرس (القسم الثالث)

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصـفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

القواعد الأساسية :

الموضـــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *

تم الكتاب بفضل الله وحسن توفيقه